

يا صاحبَ القُبَّةِ البَيضاءِ

يـــا

صاحبَ القُبَّةِ البَيضاءِ في النَّجَـفِ
مَن زارَ قَبرُكَ واسْتَشفى لَدَيكَ شُفِي
زوروا أَبا الحَسَنِ الهادي لَعَلَّكُـــمُ
تُحظَون بالأجرِ والإقبالِ والزُّلَف
زوروا لِمَن تُسْمَعُ النَّجوى لَديهِ فَمَنْ
يَزرهُ بالقَبرِ مَلهوفاً لَديهِ كُفِـــي
إذا وَصَلْ فَاحْرِمْ قَبْلَ تَدْخُلَهُ
مُلَبِّيـاً وإسْعَ سَعْياً حَولَهُ وطُـفِ
حَتَّى إذا طِفْـــتَ سَبْعاً حَولَ قُبَّتِهِ
تأَمَّـلْ البابَ تَلْقى وَجْهَهُ فَقِـــفِ
وقُل سَلامٌ من اللهِ الســـلامِ على
أَهـلِ السلامِ وَأهلِ العلمِ والشـرَفِ



فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية

السنة الثالثة جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م

العدد (٩) جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م

المجلد الثالث

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Department

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم الشؤون العلمية

No.: الرقم: ب ت/ ٨١٦٥
Date التاريخ: ٢٠/ ٧/ ٢٠٢٥

ديوان الوقف الشيعي/ دائرة البحوث والدراسات

م/ مجلة القبة البيضاء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

اشارة الى كتابكم المرقم ١٣٧٥ بتاريخ ٢٠٢٥/٧/٩، والحاقاً بكتابنا المرقم ب ت/ ٣٠٠٨ في ٢٠٢٤/٣/١٩، والمتضمن استحداث مجلتكم التي تصدر عن دائرتكم المذكوره اعلاه ، وبعد الحصول على الرقم المعياري الدولي المطبوع وانشاء موقع الكتروني للمجلة تعتبر الموافقة الواردة في كتابنا اعلاه موافقة نهائية على أستحداث المجلة.

...مع وافر التقدير

أ.د. لبنى خميس مهدي
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠٢٥/ ٧ /١٧

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والترجمة و النشر.... مع الاوليات
- الصادرة

إشارة إلى كتاب وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / دائرة البحث والتطوير
المرقم ٥٠٤٩ في ٢٠٢٢/٨/١٤ المعطوف على إعمامهم المرقم ١٨٨٧ في ٢٠١٧/٣/٦
تُعدّ مجلة القبة البيضاء مجلة علمية رصينة ومعتمدة للترقيات العلمية.

مهند ابراهيم
١٥/ تموز

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٩)
السنة الثالثة جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م
تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

المشرف العام
عمار موسى طاهر الموسوي
مدير عام دائرة البحوث والدراسات

رئيس التحرير
أ . د . سامي حمود الحاج جاسم
التخصص/تاريخ إسلامي
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية

مدير التحرير
حسين علي محمّد حسن
التخصص/لغة عربية وآدابها
دائرة البحوث والدراسات/ديوان الوقف الشيعي

هيأة التحرير
أ . د . علي عبد كنو
التخصص / علوم قرءان /تفسير
جامعة ديالى / كلية العلوم الإسلامية
أ . د . علي عطية شرقي
التخصص/ تاريخ إسلامي
جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد
أ . م . د . عقيل عباس الريكان
التخصص/ علوم قرءان تفسير
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية
أ . م . د.أحمد عبد خضير
التخصص/ فلسفة
الجامعة المستنصرية / كلية الآداب
م.د. نوزاد صفر بخش
التخصص/ أصول الدين
جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية
أ.م . د . طارق عودة مري
التخصص/ تاريخ إسلامي
جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية

هيأة التحرير من خارج العراق
أ . د . مها خير بك ناصر
الجامعة اللبنانية / لبنان/لغة عربية..لغة
أ . د . محمّد خاقاني
جامعة اصفهان / إيران / لغة عربية..لغة
أ . د . خولة خمري
جامعة محمّد الشريف / الجزائر /حضارة وآديان..أديان
أ . د . نور الدين أبو لحية
جامعة باتنة / كلية العلوم الإسلامية / الجزائر
علوم قرءان/ تفسير

التدقيق اللغوي
أ . م . د . علي عبدالوهاب عباس
التخصص / اللغة والنحو
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية

الترجمة
أ . م . د . رافد سامي مجيد
التخصص/ لغة إنكليزية
جامعة الإمام الصادق(عليه السلام)كلية الآداب

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٩)
السنة الثالثة جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م
تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

العنوان الموقعي
مجلة القبة البيضاء
جمهورية العراق
بغداد /باب المعظم
مقابل وزارة الصحة
دائرة البحوث والدراسات

الاتصالات
مدير التحرير
٠٧٧٣٩١٨٣٧٦١
صندوق البريد / ٣٣٠٠١

الرقم المعياري الدولي
ISSN3005_5830
رقم الإيداع
في دار الكتب والوثائق(١١٢٧)
لسنة ٢٠٢٣

البريد الالكتروني
إيميل
off_research@sed.gov.iq

IRAQI
Academic Scientific Journals

الرقم المعياري الدولي
(3005-5830)

دليل المؤلف.....

١–إن يتسم البحث بالأصالة والجدة والقيمة العلمية والمعرفية الكبيرة وسلامة اللغة ودقة التوثيق.

٢– إن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:

أ. عنوان البحث باللغة العربية .

ب . اسم الباحث باللغة العربية . ودرجته العلمية وشهادته.

ت . بريد الباحث الإلكتروني.

ث . ملخصان أحدهما باللغةِ العربية والآخر باللغةِ الإنكليزية.

ج . تدرج مفاتيح الكلمات باللغة العربية بعد الملخص العربي.

٣–أن يكونَ مطبوعًا على الحاسوب بنظام(office Word ٢٠٠٧ او ٢٠١٠) وعلى قرص ليزري مدمج (CD) على شكل ملف واحد فقط (أي لا يُجزَّأ البحث بأكثر من ملف على القرص) وتُزوَّد هيأة التحرير بثلاث نسخ ورقية وتوضع الرسوم أو الأشكال، إن وُجِدت، في مكانِها منَ البحثِ، على أن تكونَ صالحةً مِنَ الناحيةِ الفنيَّة للطباعة.

٤–أن لا يزيدَ عدد صفحات البحث على (٢٥) خمس وعشرين صفحة من الحجم (A4).

٥. يلتزم الباحث في ترتيب وتنسيق المصادر على الصغية APA

٦–أن يلتزم الباحث بدفعِ أُجُور النشر المحدَّدة البالغة (٧٥،٠٠٠) خمسة وسبعين الف دينار عراقيّ، أو ما يعادلها بالعملات الأجنبية.

٧–أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنحوية والإملائيَّة.

٨–أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامِها على النحو الآتي:

أ. اللغة العربية: نوع الخط (Arabic Simplified) وحجم الخط (١٤) للمتن.

ب . اللغة الإنكليزية: نوع الخط (Times New Roman) عناوين البحث (١٦). والملخصات (١٢). أما فقرات البحث الأخرى؛ فبحجم (١٤) .

٩–أن تكونَ هوامش البحثِ بالنظام التلقائي (تعليقات ختامية) في نهاية البحث. بحجم ١٢.

١٠–تكون مسافة الحواشي الجانبية (٢,٥٤) سم والمسافة بين الأسطر (١) .

١١–في حال استعمال برنامج مصحف المدينة للآيات القرآنية يتحمل الباحث ظهور هذه الآيات المباركة بالشكل الصحيح من عدمه، لذا يفضل النسخ من المصحف الالكتروني المتوافر على شبكة الانترنيت.

١٢–يبلَّغ الباحث بقرارِ صلاحيَّة النشر أو عدمها في مدَّةٍ لا تتجاوز شهرين من تاريخ وصولهِ إلى هيأةِ التحرير.

١٣–يلتزمُ الباحث بإجراءِ تعديلات المحكّمين على بحثهِ وفق التقارير المرسلة إليهِ وموافاةِ المجلة بنسخةٍ مُعدَّلةٍ في مدَّةٍ لا تتجاوزُ (١٥) خمسة عشر يومًا.

١٤–لا يحق للباحث المطالبة بمتطلبات البحث كافة بعد مرور سنة من تاريخ النشر.

١٥–لاتعاد البحوث الى أصحابها سواء قبلت أم لم تقبل.

١٦–دمج مصادر البحث وهوامشه في عنوان واحد يكون في نهاية البحث، مع كتابة معلومات المصدر عندما يرد لأول مرة.

١٧–يخضع البحث للتقويم السري من ثلاثة خبراء لبيان صلاحيته للنشر.

١٨–يشترط على طلبة الدراسات العليا فضلاً عن الشروط السابقة جلب ما يثبت موافقة الاستاذ المشرف على البحث وفق النموذج المعتمد في المجلة.

١٩–يحصل الباحث على مستل واحد لبحثه، ونسخة من المجلة، وإذا رغب في الحصول على نسخة أخرى فعليه شراؤها بسعر (١٥) الف دينار.

٢٠–تعبر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها لا عن رأي المجلة.

٢١–ترسل البحوث على العنوان الآتي: (بغداد – شارع فلسطين المركز الوطني لعلوم القرآن)

أو البريد الألكترونيّ: (off_research@sed.gov.iq) بعد دفع الأجور في الحساب المصرفي العائد إلى الدائرة.

٢٢–لا تلتزمُ المجلة بنشر البحوث التي تُخلُّ بشرطٍ من هذهِ الشروط .

مجلة انسانية اجتماعية فصلية تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي
محتوى العدد (٩) جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م المجلد الثالث

ت	عنوانات البحوث	اسم الباحث	ص
١	البناء السّاخر لاسم الشّخصيّة في قصص وليد معماري مقاربة لغويّة سيميائيّة	أ.م. د. محمد أنور اسماعيل م. د. محمد رضا كريم	٨
٢	أمارة اليد على التملك، ادلتها المشروعة وتطبيقاتها الفقهية	م. د. قصي حسن حميد	٢٦
٣	القيم القرآنية والحديثية في تعزيز المواطنة والعيش المشترك دراسة تحليلية في ضوء سيرة النبي وأهل بيته (عليهم السلام) لبناء مجتمعات متماسكة ومتسامحة	م. د. نضال حسين عبد الرشيد	٤٠
٤	ظاهرة التقديم والتأخير وأثرها في تماسك النص القرآني دراسة نصيّة	م. د. جاسم طالب محمّد	٥٤
٥	رَفْعُ الاسمِ المَجْرُورِ وَنَصْبُهُ فِي «القِرَاءَاتِ السَّبْعِةِ »	م. د. محمد أمين حسن	٧٠
٦	الحديث المحفوظ والشاذ والأمثلة التطبيقية على الزيادة في السند والمتن دراسة موضوعية	م. د. أحمد فريح عبد سداح	٧٨
٧	مسائلُ المبنيّاتِ في المسائلِ العضديّات لأبي عليّ الفارسيّ	م. د. نوري عبد الكريم نعمة	٨٨
٨	أثر الرضا والاكراه في المعاملات في الفقه الامامي	الباحث: حسن عادل فلاح أ.م.د ظاهر محسن عبد الله	١٠٤
٩	العلاقات الألبانية– السوفيتية الصينية «١٩٤٩–١٩٧٨»	م. د. فاطمة جاسم محمد علي	١١٦
١٠	تقويم كتاب الحاسوب للصّفِّ الأوّل المتوسط في ضوء مصفوفة التّتابع وامتلاك الطّلبة لها	م. أمل حسين علي	١٣٦
١١	تجارة امبراطورية غانة الأفريقية (٢–٥هـ / ٨–١١م)	م. م. علياء محمد الحسني	١٥٢
١٢	الإيقاع الروائي: إيقاع الحدث في روايات أزهر جرجيس	أفراح عباس حمود الشمري	١٦٠
١٣	اليتيم في القرآن الكريم وحقوقه في الإسلام دراسة موضوعية	م.د. سَلَّامة سَعيد أَسود	١٧٤
١٤	صراع النفوذ البريطاني،الامريكي في العراق ١٩٣٩–١٩٥٨ (دراسة تاريخية سياسية)«مقال مراجعة»	م. م. نعم مفيد حميد	١٩٢
١٥	إسهام الأخبار العاجلة التلفزيونية في إعادة تشكيل الوعي السياسي عند الشباب العراقيين دراسة تطبيقية لقناتي الشرقية والرابعة	الباحثة: رحمة علي حسين	٢٠٢
١٦	محاولة ناظم كزار الانقلابية الاسباب والدوافع والنتائج المتمخضة عنها في ضوء وثائق وزارة الخارجية الامريكية تموز ١٩٧٣	م. م. علي عبد الخضر جبار	٢١٨
١٧	دور الصرف في تشكيل المعنى وتأثيره على فهم النصوص الأدبية في اللغة العربية	م. م. دنيا عباس محمد سامي	٢٣٢
١٨	المعارضة السياسية في النظم الديمقراطية التوافقية دراسة تحليلية مقارنة	الباحثة: هالة رشيد حميد م. م. نور صاحب حسن محيسن	٢٤٠
١٩	فاعلية الاسترجاع وأثرها في فن الرثاء في شعر عصر صدر الإسلام	الباحثة: أسماء باهر فاضل أ. م. د. محمود أحمد شاكر	٢٥٢
٢٠	السنة الفعلية للرسول محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)	م. م. حامد محسن عبد	٢٦٢
٢١	المنهج العقلي عند العلامة الطباطبائي لإثبات وجود الله	م. م. عباس حمزة حسن	٢٧٠
٢٢	القوانين المسنونة للحد من المخدرات في العراق	م. م. منار صلاح اسماعيل	٢٨٠
٢٣	الآنا والآخر في كتاب « المرأة وفلسفة التناقضات»	م. م. إيمان عبد الجبار جمال	٢٩٠
٢٤	أثر استراتيجية التعلم الاصيل في تحصيل طلاب المرحلة المتوسطة في مادة الجغرافية وتفكيرهم التأملي	الباحث: نذير يحيى جليف	٣٠٢
٢٥	الرحلة التعليمة بين نبي الله موسى والخضر(عليه السلام) دراسة موضوعية	م. م. حسين تعيب جابر	٣٢٢
٢٦	العمليات العسكرية التي سبقت حصار الكوت في المدونات البريطانية للمدة ٦ تشرين الثاني ١٩١٥ – ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٥ تاريخية	م. م. كريم خفيف صندل سعيد	٣٣٨

البناء السّاخر لاسم الشّخصيّة في قصص وليد معماري
مقاربة لغويّة سيميائيّة

أ.م. د. محمد أنور اسماعيل
كلية التربية الاساسية /الجامعة المستنصرية
م. د. محمد رضا كريم
وزارة التربية/ المديرية العامة لتربية محافظة بغداد الرصافة الأولى



المستخلص:
يُعنى البحث بدراسة بنية الاسم الشخصي في قصص وليد معماري، و بيان أهمية تقنية السخرية في إبراز التناقض والتطابق بين الاسم ومسمّاه من خلال الدلالات اللغويّة والسيميائيّة، ومدى قدرتها على إظهار القيمة البنائية الفنيّة والتأثيرية في النصوص.
ولتحقيق هذه الغاية تنتظم الدراسة في محورين يُخضعان قصص وليد معماري للدراسة والتحليل:
– يدرس المحور الأول الأسماء التي تعتمد دلالة التطابق المفارقة.
– ويدرس المحور الثاني الأسماء التي تعتمد دلالة التحول.
الكلمات المفتاحية: بنية، الاسم الشخصي، قصص.

Abstract:
The research is concerned with studying the structure of the personal name in the stories of Walid Maamari, and the importance of the technique of irony in highlighting the contradiction and congruence between the name and its name by linguistic and semiotic connotations ,and its ability to show the artistic and influential structural value in the texts.
To this end, the study is organized into two axes that subject Walid Maamari's stories to study and analysis:
• The first axis examines the names that adopt the paradoxical connotations of congruence.
• The second axis examines the names that adopt the transformational connotations.
Keywords: structure, Personal name, stories.

المقدّمة:
إنّ الاسم الذي يطلقه الروائي أو القاص على شخصياته في نصّه السّردي يحمل بُعداً إشارياً ورمزياً يصف حالاته، النفسيّة والاجتماعيّة، إذ يشكّل الاسم الشخصي أحد المحمولات الأساسيّة التي تنقل الشّخصيّة عبر حركيّة القص من مستوى الكلمات والحروف إلى مستوى التعيين و تمييزها من باقي الشخصيات الأخرى((وفي الجملة، فإنّ معظم المحلّلين والبنيويّين للخطاب الرّوائي قد أصرّوا على أهميّة إرفاق الشّخصيّة باسم يميّزها، فيعطيها بعدها الدلالي الخاص وتعليل ذلك عندهم أنّ الشّخصيّات لابد أن تحمل اسماً، وأنّ هذا الأخير هو ميّزتها الأولى؛ لأنّ الاسم هو الذي يعيّن الشّخصيّة، ويحدّد طبيعتها، ويبيّن جوهرها، ويجعلها معروفة وفرديّة))(١).
فالاسم في السّرد القصصي والروائي يقوم بالوظيفة نفسها ((التي تؤدّيها في الحياة الاجتماعيّة تماماً، فهي تعبير لغوي عن هويّة محددة لكل شخص فردي، لكن هذه الوظيفة لم تترسّخ في الأدب إلّا مع الرّواية)) (٢). وبذلك تكون الأسماء عبارة عن ((إشارات سيميائيّة دالّة على جوهر الشّخصيّات))(٣).
تهتم السيمائية إلى جانب تخصّصها بالمعنى وأشكال وجوده، والعلامات الدّلاليّة، بمظاهر الفعل الإنساني، فهي ((أداة لقراءة كلّ مظاهر السّلوك الإنساني بدءاً من الانفعالات البسيطة ومروراً بالطقوس الاجتماعيّة وانتهاءً بالأنساق الأيديولوجيّةالكبرى))(٤).
فهي تهدف إلى تحليل الظاهرة والنصّ من خلال الروابط والعلاقات الحاصلة بين المستوى الدلالي للوصول إلى مستوى تجريدي يفسح المجال أمام تصنيف محدداتها البنيويّة التي تمكّن من كشف الأبنية العميقة التي تحتويها، وعلى ضوء ذلك

يكون اسم العلم فيها ((عبارة عن علاقة سيمائية ذات دلالة، وإحالة مرجعيّة، وقد يكون هذا الاسم _ إذا استعرنا مفاهيم شارل بيرس CH.Peirce_ بمثابة رمز اتفاقي أو اعتباطي، أو إشارة تضمينيّة أو إيحائيّة أو تعريفيّة، أو قد يكون أيقوناً، وذلك إذا اتخذ هذا الاسم طابعاً بصرياً أو كاليغرافيّاً أو طباعيّاً))(٥). ولا يمكن أن يكون اسم العلم الشّخصي في الرواية أو القصّة اعتباطيّاً، فهو أيقونة محمّلة بكم هائل من القصديات والإشاريات التي يضخّها القاص عبره. ويسلك الروائيّون في العادة لتحديد أسماء الشّخصيّات طريقتين:

الأولى: هي الملاءمة بين دال الشخصية ومدلولها، فإن كانت خيّرة ((وسم أفعالها، وطبع دخيلتها بكل ما هو جميل وخير ممدوح، انطلاقاً ممّا يحمله هذا الاسم من معانٍ ومدلولات جميلة)) (٦). وإن كانت تتسم بالشر، فسوف تكون خلاف ذلك.

الثانية: طريقة المفارقة، إذ يلجأ الروائي أو القاص في كثير من الأحيان إلى تقنية المفارقة الساخرة في اختيار الأسماء التي تكون متناقضة مع دورها الخارجي المرسوم بها، وهذا الاختيار يعدُّ تحدياً لقدرة القارئ وذكائه في معرفة قصدية القاص؛ كون المفارقة الساخرة خطاباً مزدوج الدلالة يتسم بالتعتيم الدلالي المقصود الذي يعمل على تأكيد الحقيقة ونفيها ((فإنّ دلالة النصّ السّاخر وفكّ شفرته، لا يتمُّ إلّا متى أُخذ بعين الاعتبار الجانب التّداوليّ فيها))(٧). ولهذا يصرّح فيليب هامون ((بأنّ اسم العلم بمثابة مورفيم أو مونيم فارغ دلاليّاً، أو عبارة عن بياض دلالي يتم ملؤه داخل النص عن طريق التعريفات، والتعويض، والبورتريه، والوصف، وتشغيل السّمات الدّلاليّة والمقوّمات السيميولوجيّة))(٨).

–منهج البحث: اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي؛ فالمنهج الوصفيّ يتناسب مع عرض الموضوع، والمنهج التّحليليّ يناسب البحث في النصوص الأدبيّة عموما والقصصية خصوصاً، إذ يساعد على تصنيف النصوص القصصية وتحليلها، والكشف عمّا تتضمنه من أمور مبطّنة.

انموذج بناء الشخصية

أ– دلالة الاسم الشخصي:

وظّف معماري في نصوصه القصصيّة شخصيّات متنوّعة، كان لها الأثر الفاعل في صناعة الحدث وسيره؛ إذ نوّع في طريقة صياغة الأسماء واختيارها بالشّكل الذي يخدم الغرض الفنّي والدّلالي، حيث كان اسم العلم الشّخصي جزءاً من صناعة النكتة السّاخرة التي وسم بها أغلب مجاميعه القصصيّة، فالكاتب حين يختار الأسماء، يجعل لحامليها من الشّخصيّات صفاتٍ ظاهريّة وداخليّة مستمدّة من واقعها الاجتماعي، فيسعى وهو ((يضع الأسماء لشخصيّاته أن تكون متناسبة ومنسجمة بحيث تحقّق للنّص مقروئيّته وللشّخصيّة احتمالها ووجودها))(٩).

وقد استمدّ معماري سمات الشّخصيّة وملامحها ذات المرجعيّة الواقعيّة؛ لأنّ تسمية الشّخصيّة بالاسم والنسبة ((يمكّن الروائي من بناء الشّخصيّة الرّوائيّة، بجعلها تمتاز بما يمتاز به الإنسان في الحياة الاجتماعيّة، وبذلك تحمل مصداقيّتها، وتصبح مقبولة لدى المتلقي))(١٠) . وفي سياق هذا التصوّر يمكن الكشف عن طبيعة الاسم الشّخصي في قصص معماري من خلال المقاربة السيميائيّة، وعلاقات الدال والمدلول، حيث يسهم المعجم اللغوي في الكشف عن المقاربة النحويّة والصّرفيّة باعتبار تعيينه الأجناسي، ومن ثمّ الدلالة المعنويّة والقصديّة ودورها في تصوير البعد الاجتماعي والنّفسي، وعليه سوف نعتمد الفقرات الآتية في تتبّع اسم الشّخصيّة وعلاقتها بمسمّاها:

١ –الأسماء التي تعتمد دلالة التطابق المفارقة.

٢ –الأسماء التي تعتمد دلالة التحول.

١ –الأسماء المتضمّنة دلالة المطابقة المفارقة:

ونعني بدلالة المطابقة ((أن يدل اسم العلم على الشخصية المرسومة دلالةً وإحالةً واستغراقاً وتطابقاً، وذلك على مستوى النعوت والأوصاف والمزايا))(١١).يظهر قسمٌ من أسماء الشّخصيّات في قصص معماري تحمل دلالات المطابقة بين علاقة الاسم بمسمّاه، سواء أكان ذلك على المستوى الفيزيولوجي أو السيولوجي الذي يكون علاقةً دلاليّة إرشادية

توضّح الأبعاد القصديّة المرجوّة منه، ولا تخلو هذه الأسماء المطابقة بطبيعة الحال من المفارقة التّهكّميّة التي تبرز التضاد أو التناقض بين اسم الشّخصيّة وتكوينها الفكري والنّفسي، وبين واقعها المعيش أو الفعل الذي تقوم به، فقد أودع معماري بعض أسماء الشّخصيّات الإيماء الرمزي القابل للتأويل والتّدليل، وارتبط ذلك بطبيعة الشّخصيّة ومستواها الاجتماعي، والثقافي، والمكاني.

في قصة (الشمس في المغارة)، يختار معماري للشخصية الرئيسة اسم (المنسي)، الذي يشير في مدلوله اللغوي إلى الترك و)) لا يعدُّ في القوم))(((١٢ ؛إذ إنّ الدلالة اللغوية تفصح عن الشّخص المضمحل ذكره والمتروك الذي جرى عليه فعل النّسيان، وفي المعنى الدّلالي، فيدلُّ على التجاهل والإقصاء المتعمّد، ولا يكتفي القاص بإطلاق الاسم على الشخصية الرئيسة فقط، بل يجعله اسماً للأب والجد أيضاً ((والمنسي اسمه الذي نناديه به، وأبوه اسمه المنسي، وجده كان منسياً))(١٣).

هذا التطابق في الاسم الثلاثي أو الصفة تعطي انطباع المعرفة القصديّة بالمفارقة الدّلاليّة المتوخّاة من التسمية التي تعمّق صفة العزل المعتمد، ولعلّ أهم ((الوظائف التي تؤدّيها تلك الأسماء والألقاب إلى جانب دورها في تجديد شخص بعينه من بين أشخاص آخرين يشاركونه نفس الاسم الشّخصي، هي أنّ بعضها قد يضفي على الشّخص أو يؤكّد فيه سمة معيّنة)) (١٤). وقد أكّد تكرار الصفة العزل الاجتماعي الذي يعيشه المنسي، وهي عزلة مختارة يشوبها الحذر والحيطة في التعامل مع الآخرين، حيث تكشف أفعال الشّخصيّة عن سلوكيّات ممزوجة بمعرفة غامضة تتنافى وعمرها الصغير؛ إذ تمتاز من بين أقرانها بالاتزان والنضوج الفعلي الذي جعله يتخلّى عن التّصرّفات الطفوليّة والصّبيانيّة التي يمارسها من هم بعمره (١٥)، فضلاً عمّا يكشفه القاص من إشارات إيمائيّة للبصيرة المعرفيّة الإشراقيّة التي تملكها، ما يجعلها شخصيّة جدليّة وفريدة، وأنّ هذه المعرفة متوارثة من جدّه وأبيه

الذي غُيّب في ظروف غامضة؛ لأنّه كان يعرف:

((سألته:

«أين أبوك؟» أجاب:

«هناك».

– أين هناك؟

فلوّح بيده: أخذوه

– مَن؟

– هم.

– لماذا؟

ثم فسّر بعد خطوتين: لأنّه كان يرى ويسمع.

– كل الناس ترى وتسمع..

– هو كان يرى ويسمع ويتكلم)) (١٦).

فقد مثّل الاسم علامةً مرجعيّةً سوسيو ثقافيّة عبّرت عن المكانة الاجتماعيّة التي احتلّها المنسي وأبوه وجدّه، الأمر الذي عرّضها إلى التّهميش والإقصاء؛ لأنّه جاهر بما يعرف، فسُجِن على إثرها وغُيّب، ما دفع المنسي الابن بأن يكون أكثر حيطة، فلا يُظهر ما يعرفه إلّا لمن وثق بهم، هذه المطابقة الدّلاليّة وضعها معماري في إطار الكوميديا التّهكّميّة التي تحاكم من يصادر حق الاعتراض والرّفض، ومطاردة الفكر وتهميشه وعزله عن إطاره الاجتماعي، بالصّورة التي يمنعه عن ممارسة دوره المعرفي الفاعل في توعية الآخرين.

في قصة (البراري الواسعة) يطلق أسماء (راسم، فضلو) على الشّخصيّات، هذه الأسماء تتضمّن إظهار التناقض الفعلي بينهما، فعلى مستوى المدلول اللغوي، نجد أنّ اسم (راسم) يأتي من الرّسمُ. وهو الأثر و ((قيل بقية الأثر، وقيل: هو ما

ليس له شخص من الآثار))(١٧). وهذا معناه أنّه يدلُّ على الأثر المادي والمعنوي الذي يُمحى بمرور الزّمن فلا يبقى منه شيئاً، وهذا ضد معنى اسم (فضل) الذي يدلُّ على المعروف ((ضد النقص والنقيصة، والجمع فضول، الدرجة الرّفيعة في الفضل))(١٨)، وأظنُّ إنَّ الواو الزائدة في (فضلو) أضافها القاص من باب التّحبيب. في المستوى الدّلالي يغدو التّنافر الفعلي الذي تسلكه الشّخصيّات الأساس الذي يبني عليه معماري مفارقته السّاخرة، حيث تظهر دلالتا المطابقة والمفارقة من خلال السّلوك الذي يمارسه (راسم) لأجل سلب بيت خالته أمّون والسّيطرة عليه بطرائق القوّة والاحتيال، مستغلاً مكانته التي وصل إليها، الخالة أمّون التي احتضنته مع أخيه، وتكفّلت برعايتهما بعد وفاة أمّهما، وفضّلتهما على نفسها ((لم تكن تحلم.. أمّون لا تحلم.. أمّون لا تعرف الأحلام.. أمّون لم يكن لديها وقت للحلم.. ربّت راسم وفضلو في بيتها. أطعمتهم وألبستهم، وسهرت أقماراً عليهم. غطت بردهم بدفء الأم، ويُتمهم بحنان المرأة)) (١٩).

يعمل راسم الذي عملت أمّون على رعايته وتربيته حتى تبوّأ موقع المسؤول المهم، على تدبير مؤامرة إخراجها من دارها الذي يمثّل لها انتماءها ووجودها، فيغريها بالمال، فلمّا ترفضه، وتصرُّ على موقفها، يعمد إلى استغلال منصبه لإخراجها، وهنا يتطابق المدلول اللغوي مع المدلول الدّلالي لاسم (راسم) الذي أراده معماري أن يكون رمز الإنكار والجحود الذي ضيّع أثر الإحسان إليه، بينما يقف أخوه (فضلو) بوجهه رافضاً فعله، (فضلو) الذي يظهره القاص بمظهر شخصيّة غير سويّة، ومختلّة عقليّاً، تؤدّي دور المساند لخالته، والرّافض للطّرائق الملتوية التي يسلكها أخوه للاستيلاء على دارها، فنرى القاص اتخذ من (فضلو) الأداة التي يعري بوساطتها (راسم)، ويفضح أساليبه الاحتياليّة ((خرج فضلو ..جمع الأوراق المتناثرة ..ألقاها نحو الأعلى.. تطايرت الأوراق فقفز إليها..أطلق ضحكته التي لا تشبه الضحك ، و صاح دون قرع على الصفيحة الفارغة:

ورقة ورقة وريّقا السرقة عملت حريقا))(٢٠).

فقد قام (فضلو) بفضح أخيه الذي قدّم أوراقاً مزوّرة بغية إخراج خالته من دارها، فيكون اسم (فضلو) مطابقاً هو الآخر مدلوله اللغوي والدّلالي، غير أنّ ما صنع النّكتة السّاخرة في القصّة، هو الفرق بين موقف الشّخصيّة الواعية المتعلّمة، وموقف الشّخصيّة الجاهلة غير السويّة التي تعاملت بذكاء فطرتها وسذاجتها على إظهار الاختلاف بين حفظ المعروف وإنكاره.

يختار معماري أسماء الشّخصيّات وفق المنظور الذي يخلق مقاربة المفارقة التي تؤثّر فعلاً أو ظاهرة مرفوضة في المجتمع، فقد تأتي المطابقة الدّلاليّة للاسم المستعمل سلبيّة تظهر في المنحى السّلوكي الذي تتّخذه الشّخصيّة مساراً لها، في قصّة (رجل العلّيّة)، يختار معماري اسم (عبد الهادي) لشخصيّته الرّئيسة، وهو اسم مركّب تركيباً إضافيّاً، حيث يشير الجزء الأوّل منه في الدّلالة اللغويّة إلى ((الإنسان، حرّاً كان أو رقيقاً، يُذهبُ بذلك إلى أنّه مربوب لباريه)) (٢١). وقد يعني أيضاً الخضوع والتذلل. والجزء الثّاني منه هو من أسماء الله الحسنى، ومعناه ((الذي بصّر عباده وعرّفهم طريق معرفته حتّى أقرّوا بربُوبيّته)) (٢٢). والهادي((الدّليل لأنّه يتقدّم القوم ويتبعونه)) (٢٣).

فالاسم يحمل بُعداً دينيّاً وتشير دلالته اللغويّة إلى الجانب الإيجابي الذي يدين بالرّبوبيّة والعبوديّة للخالق وحده، غير أنّ معماري على المستوى الدّلالي السّيميائي يضعه في قالب سلبي؛ إذ يظهرها شخصيّة ضعيفة مسلوبة الإرادة، تحاول قدر الإمكان إرضاء أرباب عملها والمحيطين بها، ولو كان هذا الخنوع على حساب حقّها المسلوب ((إنسان آدمي! ... يصفه زملاؤه في العمل، بعد أن صار بينهم أقدم موظف في دائرة السجل العقاري ... وبالأحرى أغلب من احتكّوا به يرددون عنه هذا التعبير المتداول ... قلة يصفونه بالأهبل ... أو الصامت عن حقه ...)) (٢٤).

ولا يتوقّف مبدأ الهروب من المواجهة الذي اتخذه (عبد الهادي) نهجاً عند حياته العمليّة، بل يطال حياته الشّخصيّة أيضاً، حيث تحاول أخته أمينة الاستيلاء على حقّه في البيت الذي ورثوه عن والديهما بالاحتيال عليه، واصطناع دور المسكينة التي تلبّي احتياجاته إلى جانب مسؤوليات الزوج والأطفال(٢٥)، و(عبد الهادي) الشّخصيّة الضّعيفة يركن إلى إلحاح أخته ويسجّل حقّه في البيت لها، ونرى أنّ هذه الشّخصيّة غير القادرة على الوقوف بوجه ضعفها، تلجأ إلى العالم الخيالي

الكتابي والأحلام المتخيّلة الذي يرفع فيها صوته بوجه من يستغلّه، وتحقيق العدالة التي يُفتَقد إليها ((ولأنّ ذراعيه أضعف من أن تستطيعا إعادة الأمور إلى توازنها، لم تبق لديه من وسيلة سوى الحلم ..حلم تحقيق العدالة في ساعات نومه، أو في أحلام يقظته، كاملة غير منقوصة .. ولهذا كان يندر ألا يلجأ عبد الهادي إلى استخدام مسدساته المشكولة حول خصره في المنام، من أجل تحويل أعداء العدالة إلى جثث مرمية على قارعة الطريق))(٢٦).

وهذا الخيال الحلمي يؤشر على دلالة القهر الذي يتعرض إليها (عبد الهادي) من وسطه الاجتماعي، فضلاً عن إبراز المفارقة السّاخرة التي يتخلى فيها (عبد الهادي) عن دوره القيادي الذي يكون فيه سيّد نفسه وقائدها يتحكّم فيها ويوجّهها حيث يشاء، وحصر نفسه في دور الشّخص الضّعيف الذي يقوده الآخرون.

و لا تختلف قصة (صاحب السوابق) في استعمال صفات الاسم ذات الدّلالة اللغويّة والدّلاليّة المتقاربة؛ إذ يأتي اسم (نايف جهجهان) الذي يدلُّ الاسم الأوّل منه إلى الارتفاع والمكانة الرّفيعة(٢٧)، بينما يأتي الثّاني من الجهجهة تعني: ((صياح الأبطال في الحرب وغيرهم))(٢٨). فصفات الاسم تكشف عن شخصيّة قويّة ومؤثّرة في محيطها، لكن هذه الصّفات التي يحملها (نايف جهجهان) أستاذ اللغة العربية لا تعفيه من وقوعه ضحيّة مصادفة غرائبيّة تجعله في ورطة لا خلاص منها، حيث تحدث مشادة كلامية بينه، وبين أحد الطلاب الذي اتضح أنه ابن ضابط شرطة يحقق في حادثة لص مجهول يسرق المارّة في شارع الحمرا، فيدخل على أبيه وهو يحقّق مع المرأة المسروقة، يخبره عمّا حدث له مع الأستاذ (نايف)، فيدوّن كاتب المخفر اسمه في محضر السّرقة دونما قصدٍ، وعند مرور الأستاذ نايف في الشّارع الذي نُصِبَت فيه الكمائن لأجل القبض على اللص المجهول، يتعثّر (نايف) ولمحاولة الخلاص من الوقوع على الأرض يمسك بتلابيب الشّرطي المتنكّر بزي النّساء(٢٩)، فيظنُّ أنّه اللص المطلوب، وعند اقتياده إلى نقطة الشّرطة وسؤاله عن اسمه، تكون المفارقة الصّادمة، حين يصرخ الكاتب أنّ اسمه مدوّن عندهم بوصفه صاحب سوابق:

((قلّب تحسين أوراق الدفتر بين يديه و هتف: سيدي ...

نايف جهجهان صاحب سوابق وله صفحة عندنا..

هزّ صاحب المنضدة رأسه وقال: تماماً مثلما توقّعت..

هذا الصنف كلّما عتق في المهنة قلّت مهارته.. اكتب يا تحسين: اكتب.. المقبوض عليه صاحب سوابق..)) (٣٠).

فصفات الاسم وإن جاءت تحمل معاني المكانة المرموقة والمؤثّرة، وصاحب الصّوت المؤثّر والصادح، إلّا أنّها اختفت تماماً وهو يترقّب ذاهل العقل الموقف الغرائبي الذي وجد نفسه فيه فلم يستطع الدّفاع عن نفسه وتخليصها، الأمر الذي يثير المتلقّي ويجعله أمام مفارقة تهكّميّة ساخرة.

يحرص معماري على التنويع في نماذج شخصياته التي تمثل مرجعيات ومستويات مختلفة من التفكير والدرجة الاجتماعيّة، وهذا أمر طبيعي؛ لأنه ((يريد رصد واقع يميل بأسئلة تحتاج إلى تشخيص إثنوغرافي))(٣١). وهذا التشخيص يلزمه قاص متمرس يلملمُ شتات الشخصية و يفرغها في قالب فني يحاكي ذلك الواقع المرصود، ومعماري يسبغ على شخصياته المعاني التي تطابقها من حيث صفات الاسم الممنوح لها، غير أنّ ما يصنع المفارقة، هي الأفعال و المواقف التي توضع فيها، سواء أكان ذلك بقصدٍ منها، أو بغير قصدٍ، فيحدث التعارض في المعنى الدلالي للاسم مع الفعل الذي تسلكه الشخصية في مسار الأحداث، ففي قصة (رئيس بلديتنا)، تظهر شخصية (سلمان السلامة) رئيس البلدية، واسمه في المدلول اللغوي يعني ((موضع لمكان))(٣٢)، وهو ((ليس بصفة أو نكرة على وزن فعلان الذي مؤنّثه فعلى))(٣٣). فضلاً عن أنّه اسم نبي الله سليمان الذي أتاه الملك، والسّلامة صفة تعني البراءة (٣٤). إذاً فهو في المدلول اللغوي يعني صاحب المكانة أو من تبوّأ موضعاً أُسند إليه لتوافر شروط الرياسة فيه، أمّا على المستوى الدّلالي السّيميائي، فيظهر (سلمان) مشغولاً بالحفاظ على المظاهر البرّاقة الخادعة التي تضمن بقاءه في منصبه، في الوقت الذي يجب عليه تلبية شؤون المدينة ورعايتها، فهو مشغول منذ وقت مبكّر من حياته بكتابة الخطابات البلاغيّة الفاشلة التي تُمجّد أرباب السّلطة ((وللحقيقة كما يذكر مجايلوه، ومن كانوا أكبر سناً منه، أنّ مدير المدرسة كلّفه بإلقاء كلمة ترحيب بالمندوب الفرنسي

الليفتانت جان دي ميل في أثناء مروره بالبلدة، و أنّ الكلمة كتبها المدير بذاته بالفرنسية، و أنّ سلمان ظلّ شهراً يتدرّب على إلقائها))(٣٥). ولكنّه يخطأ في القراءة؛ إذ يشبّه وجه المندوب الفرنسي بالقمر IaIune، ويغضبه؛ كونها لفظة مؤنّثة تعني العجيزة(٣٦).

هذا الرّصد المبكّر للعقدة التي رافقت (سلمان) منذ صغره، صارت الهاجس الذي يلازمه في مسيرة حياته العمليّة، وحلمه بكتابة خطابات تجمّل الواقع المشوّه بغية إرضاء أصحاب السّلطة، فهو يظهر بمظهر الشّخصيّة الانتهازيّة التي تتلوّن بلون السّلطة الحاكمة، حيث يرى أنّ هذه الخطابات أهمّ من واجباته الملقاة على عاتقه، حتى ينال الإهمال بيته، واعتزالهم في غرفة المؤونة بعيداً عن مطالبات الزوجة بتوفير متطلبات الحياة، حتى يبلغ ذلك الإهمال ذروته الصادمة، حينما تشغله الخطابات عن تسلّم جثّة والده المتوفّى منذ ثلاثة أيّام من الطب العدلي ودفنه ((قل لرئيس بلديّتكم سلمان السّلامة.. تعال وخُذْ جثّة والدك.. صار لها ثلاثة أيام في البرّاد.. عفّنت!)) (٣٧).

وهنا تحدث مطابقة الصفة الملازمة لاسمه (السّلامة) التي قلنا إنّها تعني البراءة والتّخلّي عن المسؤوليّات المكلّف بها، حيث تتحقّق النّكتة الكوميديّة السّوداويّة التي أراد معماري إيصالها.

وتظهر في قصص معماري أسماء شخصيّات تطابقها في صفاتها التي لها القدرة على محاربة القبح الاجتماعي والثّقافي؛ كما تمتلك من النّباهة والمعرفة التي تؤهّلها أن تكون متصدّرة الواجهة الاجتماعيّة، لكنّها تعيش منزوية ومنعزلة رغبةً منها في التحرّر من القيود والالتزامات التي من الممكن أن تعيقها عيش حياتها كما تشاء، حيث يختار معماري اسم (حسن) الذي يعني في مدلوله اللغوي ((ضد القُبح ونقيضه))(٣٨). و (التفتنازي أو الأرمنازي)، وقد تكون (التفتنازي) صفة قريبة المعنى من الفنتازيّة التي معناها التحرّر من قيود المنطق والاعتماد على التخيلي(٣٩)، أمّا الأرمنازي، فهو نسبة إلى مدينة أرمناز الواقعة في إدلب* ،ويتّسم (حسن) بالمرح الذي يعتزل الحياة الجادّة الصّارمة، ولا سيّما تلك التي تلزمه بعمل معيّن لقاء التّملّق والانتهازيّة ((وأعود إلى صديقي حسن الأرمنازي.. والذي جئت إليه بغية إجراء مقابلة صحفيّة معه.. لماذا؟ .. تسألوني لماذا؟ ومن حسن الأرمنازي، ولماذا أجري معه مقابلة صحفيّة؟ وهل هو شخصيّة مهمّة؟.. من جهة مهمّة.. هو شخصيّة مهمّة.. أمّا من جهة الشّهرة فهو قليل الشّهرة.. أو بمعنى آخر، حسب قول فطاحل اللغة: هو عازف عن الشّهرة))(٤٠).

إلى هنا تبدو شخصيّة (حسن)، شخصيّة اعتياديّة تندرج ضمن فئات المجتمع الطّبيعي، وعلى الرّغم من المؤهّلات والقدرات التي يمتلكها، إلّا أنّه اختار الانعزال الاجتماعي والوظيفي، لكن موقفاً عفويّاً غير مقصود يجعلها مصدّرة للقبح الذي يناقض اسمها؛ إذ تحدث نكتة الموقف الذي تجد الشّخصيّة نفسها فيه من دون التّخطيط له جرّاء الفعل الذي تقوم فيه، فالمفارقة تعني ((التناقض بين اسم العلم الشّخصي وأفعاله الوظيفيّة)) (٤١). حيث يصدف وجوده داخل حافلة برفقة خطيبته، وتحصل مشاجرة بين السّائق وأحد الرّكّاب الذي أصرّ على أنّ السّائق لم يرجع له بقيّة المبلغ المدفوع، وحجّته قلّة الصّرافة، فيتصاعد الشّجار، ويُخرج الرّاكب سلاحاً، ويهدّد السّائق والرّكّاب، وهنا يتصدّر (حسن) المشهد، وينهال بالضّرب عليه لاحتواء الموقف ((ووقفتُ قبالته، ثمّ رفعتُ كفّي وأهويت بها على خدّه. وصحْتُ: ولاه))(٤٢). فهذا التّدخّل المفاجئ الذي قام به (حسن)، ولفظه (ولاه)، جعلا الآخرين يظنّون أنّه عنصر أمني متخفٍّ، فراح الرّكّاب يركضون ويفرّون من بين يديه ومنهم خطيبته التي نزلت مهرولة غير مصدّقة ما رأته، فراحت تردّد: ((ولك العمى.. أنت أيضاً طلعت منهم!)) (٤٣). فهذا الموقف غير المقصود ورّط (حسناً) في إضفاء صفات ليست من أفعاله وسلوكيّاته، وحدّد مكانته بصورة ساخرة في مكان لا ينتمي إليه، فكانت المفارقة الكوميديّة حاضرة أمام المتلقّي وهو يراقب إلصاق المعاني المتناقضة بشخصيّة (حسن).

وقد يختار القاص أسماء الشّخصيّات التي لها معادل دلالي يتضمّن معنى المفارقة التّهكّميّة؛ إذ يطلق على مجموعة قصص قصيرة جدّاً عنوان (الصّراصير)(٤٤)، إذ جعلها حكايات قصيرة مكثّفة لمجموعة شخصيّات تحمل اسم الصّرصور، وهو حشرة منبوذة تثير الاشمئزاز والنّفور عند رؤيتها، وأراد القاص بهذه التّسمية التعبير عن مجتمع القاع المسحوق جراء ضغوط

الحياة ومتطلّباتها المُكلفة، وغالباً ما تكون نهاية مصائرهم تراجيديّة ومأساويّة، ففي قصّة الصّرصور (غندور)، والغندور في المدلول اللغوي ((سمين غليظ))(٤٥). وهذا المعنى ما يحاوله الصّرصور (غندور) إثباته لمحبوبته، بأنّه قادر على مواجهة الصّعاب والتحدّيات لأجل الظّفر والزّواج بها، لكنّها تراه صرصورة مثلها، للدّلالة على عجزه وضعفه أمام قسوة الحياة التي تتطلّب الشّدّة والقوّة لإثبات الذّات، وفي خضمّ بحثه عن طريقة مثلى لإقناعها بأنّه رجل صرصور وليس صرصورة أنثى، يطلب مشورة (أبو بريص) الذي يدخل في نوبة ضحك من محولاته البائسة ((عندها ضحك أبو بريص بعد أن ابتلع إحدى البرغشات، و قال دون رغبة لديه بالقول: عبثاً تحاول يا غندور، لأن المشكلة ليست في أن تقنعها بكلامك الناعم، بل في أن تقتنع هي بأن من يقف أمامها ليس صرصورة !))(٤٦).

تحقّقت المفارقة على مستويَين، المستوى الأوّل: المطابقة بين الاسم والصّفة التي أظهرت العجز في إثبات الذات حتّى وإن توافرت القدرة. والمستوى الثّاني: هو إضافة الصّفات الإنسانيّة (الوعي والإدراك والكلام) على الحيوانات، وجعلها ممثّلة لفكرة الاقتلاع والتّهميش الاجتماعي الذي تعانيه شريحة كبيرة من أفراده. وقد تكون الأسماء في قصص معماري عبارة عن ((أقنعة اجتماعيّة، وعلامات مرجعيّة سوسيو ثقافيّة، تعبّر عن مهن ووظائف وأدوار اجتماعيّة، وتعكس أوضاعاً سيوسيولوجيّة معينة، بل قد تحمل في طيّاتها ما يدلّ على التّفاوت الطّبقي في المجتمع الواحد)) (٤٧).

وقد تظهر شخصيّات تحمل تطابقاً في الدال الاسمي، والوظيفي، والمكاني، وتوحي ظاهراً بإنّها متوحّدة مع المكان الذي تعيش فيه ومتصالحة مع القاطنين فيه، لكن فعلها السّلوكي تظهرها خاضعة للقيم الاجتماعيّة البالية التي تولي للخرافات والانحرافات اهتماماً سلبيّاً، ففي قصّة (العيبه)، تطالعنا شخصيّة (صابر الدومري) الموظّف المرموق في دائرة النّفوس العامّة، واسم (صابر) في اللغة ((الذي لا يعاجل العُصاة بالانتقام، وهو من أبنية المبالغة، ومعناه قريب من معنى الحليم... وأصل الصّبر الحبس، وكل من حبس شيئاً فقد صبره))(٤٨) .

والدّومري، صفة أو مهنة لمن يشعل قناديل الضّوء في اللّيل*، إذن تتوحّد الدّلالة اللغويّة والصّفة المرافقة للدّلالة على الشّخص الذي يتّصف بالحلم والتّأنّي، والواعي المثقّف الذي ينير للآخرين حياتهم ويرشدهم، و(صابر الدّومري) على الرّغم من مطابقة الاسم لصفات شخصيّة بحكم موقعه الوظيفي، لكنّه لا يتحرّر من ثقافة مجتمع الحارة الشّعبيّة التي تتعامل مع الأشياء بفطرتها البدائيّة، والانجرار وراء ثقافة الخرافات، فحين يتقدّم الشّاب المثقّف (قاسم) لخطبة (ورد) ابنة (صابر) يرفض الأخير بحجّة أنّ أباه كان يجني قوته اليومي من تربية القرود الاستعراضيّة، ولا يستبعد أن يكون له ذيل من كثرة معاشرته القرود ((ثمّ اسألي أي شيخ في الحارة يقل لكِ إنّه يشكّ أنّ لقسّام هذا ذيلاً صغيراً من طول ما عاشر أبوه القرود... ومن يدري كيف سيأتي الأبناء.. ربّما بذيول أكبر.. والأحفاد بذيول حقيقيّة))(٤٩).

هذا التّلاعب الدّلالي المتناقض بين صفات الاسم المطابقة ظاهريّاً، والفكر المفارق جوهريّاً، يؤشّر على رغبة القاص في إبراز القيم والتّخيّلات السّوداويّة المسيطرة على مجتمع يدّعي التّحرّر الكاذب من الأفكار والسّلوكيّات الزّائفة.

ولا تبتعد قصّة (بيت الثّعالب) في إبراز المطابقة اللغويّة والدّلاليّة بين اسم الشّخصيّة والفعل المرسوم لها داخل مسار الحدث، إذ يظهر اسم (سليم الدّهمون) المكوّن من اسم العلم والصّفة المسند إليها، فمعنى السّليم هو ((اللّديغُ، فعيلُ، من السّلم، والجمع سلمى، وقد قيل هو من السّلامةِ، وإنّ ذلك على التفاؤل له بها خلافاً لما يُحذر عليه منه، درجكَ سليم، بمعنى سالم، والسّليم اللّديغ. يقال: سلّمته الحيّة أي لدغته)) (٥٠). والظّاهر من الدّلالة اللّغويّة، الرّجل المشرف على الهلاك، وهو المعنى الأقرب الذي ظهر في الأحداث. أمّا (الدّهمون) فهي صفة الرّجل، متأتية من الدُّهمة التي تعني ((السّواد، والأدهم، الأسود يكون في الخيل والإبل وغيرهما)) (٥١).

وتظهر المطابقة اللغويّة والدّلاليّة من خلال، الفوز وقلّة حيلة اليد التي يعانيها (سليم)، حيث يمتهن مهنة صيد الثّعالب التي يُطعم لحمها لعائلته، ويبيع جلودها لتوفير جزءٍ من حاجاته اليوميّة، وامتهانه صيد الثّعالب يعدُّ نوعاً من الاحتيال الذي يمارسه للبقاء صامداً في قرية تنعدم فيها فرص العمل(٥٢)، فيحدث أن يظفر بثعلب جريح، وبدلاً من قتله يشفق، ويجلبه إلى البيت ويضمّده، ولمّا شاع في القرية خبر امتلاكه ثعلباً، تهافت عليه الأولاد لرؤيته مقابل بعض المواد الغذائيّة،

فعاش في بحبوحة، حتّى تضاءلت رغبة الأولاد وانصرافهم عنه، أخذه إلى البريّة وقام بذبحه ((حين دلق كيسه فوق الأرض تدحرج منه ثعلب صغير.. ثعلب مذبوح.. وكان ثمّة ربطة قماش فوق قائمته الخلفيّة اليمنى))(٥٣). حيث لم تشفع نظرات الثّعلب المعروف بحيلته ودهائه للخلاص من الموت، ويظهر أنّ احتيال(سليم) على الحياة التي تحاول صرعه والبقاء على قيدها أكبر وأمكر من احتيال الثّعلب ذاته. يظهر من خلال المبحث أنّ معماري نوّع في معاني الأسماء التي جاءت متوافقة مع المطابقات اللّغويّة والدّلاليّة، وإبراز التناقض الفعلي الّذي أدّى دوراً مهمّاً في صناعة المفارقة السّاخرة.

ب: **الأسماء التي تعتمد دلالة التحول:**

وردت في قصص معماري أسماء شخصيّات تحوّلت على المستوى الدّلالي وتبعاً للتغييرات الاجتماعيّة أو الإيديولوجيّة التي طرأت عليها، ما ينتج عنه دلالات جديدة كشفت ((عن سمات الشخصية الجديدة ومقوماتها الدلالية والسيميولوجية))(٥٤). حيث يعمل التحول على الإفصاح عن داخل الشخصية المتواري، و إدراك هيئتها، وحالتها، فتكون هذه التحولات علامة دّالة على تبديلات المواقف والانتقال من حال لآخر، ما يساعد على فهم العلاقة الدلالية بين اختيار الاسم والفعل الذي صار إليه، فالتحول لا يكتفي بإظهار الفعاليات السلوكية المتنافرة، بل يغوص فيها، ويعرض الأزمات التي تمرّ بها، ما يجعله أداة فنيّة يستعملها القاص في تعزيز رسم صفات الشّخصيّة؛ لأن ((قدرة الشخصية على تقمص الأدوار المختلفة التي يحمّلها إياها الروائي يجعلها في وضع ممتاز حقاً ، بحيث بواسطتها يمكن تعرية أي نقصٍ و إظهار أيّ عيبٍ يعيشه أفراد المجتمع))(٥٥).

يحدث التّحوّل الدّلالي في قصص معماري في الأسماء التي تحمل معنىً إيجابيّاً، وهو تكتيك فنّي مقصود منه؛ إذ أراد أن يكون ممزوجاً بالسّخرية التي تعمل على إظهار الشّرخ الحاصل بين اسم الشّخصيّة وتحوّلها الفعلي داخل إطار الحكاية؛ إذ يتّخذ التّحوّل السّاخر في قصص معماري مهمّة تعرية جانب الشّخصيّة المسكوت عنه الذي يؤطره بإحساس الخيبة والأسف الناجم عن الأفعال والسّلوكيّات السلبيّة المفارقة للاسم الدّلالي الموضوع لها.

يقرن معماري الأسماء التي تعتمد دلالة التحوّل، صفات ترافقها في مراحل مختلفة من حياتها، وهذا الاقتران له سمته الفنيّة الفاعلة في تأثير نوع التّحوّل الذي أصابها، فضلاً عن دوره في صناعة المفارقة التّهكّميّة المتوخاة من التحوّل، في قصّة (أمّي في البرّاد)، يسرد القاص حكاية شخصيّة (راضي) الذي ينزل إلى المدينة أوّل مرّة برفقة أمّه المريضة؛ بغية التماس علاجها من مرضها المزمن، فيدخل في دوامة غربة المدينة الكبيرة، حيث لا معارف له فيها، فتذكّره أمّه بقريبه عزمي ((قالت أمي. اذهب إلى ابن عمتك، فهو يعرف. وهو رفيع. وهو من لحم الكتف، فقلت عزمي صار فوق. والذين فوق لا يرون إلّا على مستوى ارتفاعهم، ولو كان فيه خير لزار مدينته، ووضع قبراً لوالده، فوضعت يدها على صدر أعجف وشهقت: لا تقل: الرجل ابن عمتك، وله مسؤولياته)) (٥٦).

يشير المدلول اللغوي إلى معنى الاسم عزمي ((عزم: العزَمُ: الجِدُّ. عَزَمَ على الأمر يَعْزِمُ عَزْماً ومَعْزَماً ومَعْزِماً وعُزْماً وعَزِيماً وعَزِيمةً وعَزْمَةً واعتزمه واعْتَزَمَ عليه: أراد فِعله)) (٥٧). فالمدلول اللغوي يؤشر على الجانب الجدّي في اسم (عزمي) الذي يسعى جاهداً للوصول إلى مراده، ومعماري يربط بين هذه الإرادة والحياة التي عاشها (عزمي) قبل تبوئه مكانته المهمّة ، حيث يستعرض معماري التحول و التغيير الذي حدث في حياته من خلال الإحالات إلى وضعه الاجتماعي و المعيشي في الماضي ، فأبوه ((طيّان بأجرة يومية))(٥٨)، و عانى الفقر والعوز، والقاص في هذا الجزء من حياته يطلق على لقب (عزمي النسيان)(٥٩)، للدّلالة على الطبقة المسحوقة القادم منها، ومع المكانة الاجتماعيّة التي وصل إليها، يبدّل القاص صفته إلى (عزمي الصّاعد) وهذه الموازنة بين الشّخصيّة وحاضرها وتغيير الألقاب، برّزت صفات جديدة كانت متوارية خلف شخصيّة ناقمة على ماضيه؛ لذلك يعرض القاص بروده وعدم مبالاته عند استقبال ابن عمّته الذي قصده لمساعدته ((امرأة خالك مريضة والمستشفى تريد مصاريف. وقالوا لنا مستشفى الدّولة عنده علاج أشعّة. قلنا مالنا غيرك لتتدخّل. فقال سلّم على الدّكتور ندى واعطه الكارت، والأمور تمشي))(٦٠). ويؤشّر القاص على التحوّل الذي أصاب (عزمي الصّاعد) الذي راح يتعامل بازدواجيّة، إذ يسخّر منصبه لخدمة نفسه ومصالحه من خلال عقد صفقات مشبوهة،

متجاهلاً خدمة النّاس وتلبية حاجاتهم ((قريبك صار أهم من وزير، وكلمته لا تقع على أرض وكلمة منك تنقذك، وإن كنت تخجل، المعلم يكلمه ويشرح له وضعك)) (٦١). بهذه الصّورة المشوّهة يظهر القاص بشاعة (عزمي الصّاعد) الذي جعل من حياة النّاس ممرّاً لأعماله، حيث يتدخّل في الإفراج عن جثّة عمّته التي تغاضّ عن مساعدتها وهي على قيد الحياة، مقابل صفقة تجاريّة ((قال الفوهرر: المعلّم أنقذك. اتّصل بعزمي الصّاعد واتّفقنا. وكنت أعرف أنّ أعجوبة الكازينو قد تمّت. وأنّ أمّي ما تزال ترقد في البرّاد)) (٦٢). من خلال هذا العرض الحكائي يكشف معماري بصورة سوداويّة صادمة عن هؤلاء الفاسدين بعد تحوّلهم حتّى عن أقرب النّاس إليهم.

وتصلح قصّة (صباحات الأحد الضّائعة)، أن تكون مثالاً على مسارات التحوّل السّلوكي في المجتمع، التي تخرب ركائز المطابقة بين أفعال الشّخصيّة الظّاهرة وذاتها المضمرة، حيث تظهر شخصيّة (نوال) التي تعني في المدلول اللغوي ((العطاء... والنَّوالُ معروف)) (٦٣). حريصة على العناية بجدّتها المريضة التي ترقد وحيدة في كوخها، فهي تبدو في نظر الرّاوي الذي أحبّها، نقيّة ووفيّة للجدّة ((ووحدها نوال، ربّما لأنّها الكبرى للابن الأكبر، أو لأنّها الصّورة المكرّرة للجدّة، كانت تأتي بانتظام، أو، وهذا هو الأرجح، كانت مكلفة برعاية الجدّة.. والجدّة لم تكن بحاجة إلى رعاية وقتذاك، إنّما الناحية العاطفيّة، والاجتماعيّة، وأسباب أخرى)) (٦٤). في هذا الجزء من الحكاية يظهر القاص المطابقة التّامّة بين الدّلالة اللغويّة، والدّلالة السّلوكيّة، وهي العطاء بدافع العاطفة والرّابط العائلي والاجتماعي الذي يفرضه العُرف حيال رعاية الجدّة، لكن مع تقدُّم مسار الأحداث، تبرز الغاية الدّفينة المتوخّاة من التردّد على الجدّة والعناية بها؛ إذ إنّ ثروة الجدّة المخبّأة في مخدّتها كانت الهدف الذي تنشده (نوال)، فكانت تدعي البراءة، وهي تنتظر موت الجدّة للانقضاض على خبيئتها ((كانت تلك هي المرة الأولى والأخيرة التي تأتي فيها نوال على ذكر المخدّة.. والمرة الأولى والأخيرة التي تصل نبرة صوتها إلى مثل هذه الغرابة والعمق)) (٦٥).

من خلال هذا الادعاء الزّائف، يعرض معماري بسخرية لاذعة التنكّر وراء أقنعة ملوّنة، تبيّن النفاق الاجتماعي الذي يمارس على مستوى العائلة الواحدة، أو على مستوى العلاقات بين أفراد العائلة الواحدة، ذلك الزيف الذي يكشفه التحول الذي أصاب (نوالاً) وعائلتها على المستوى المادي، حيث الثراء المفاجئ الذي نزل بهم بعد وفاة الجدّة مباشرة ((شيء ما تغير في حياة نوال.. أبوها أكمل كسوة الدار التي يسكنها، ثم ارتفع بطابق جديد، وغيّر في أثاث البيت.. باع القديم واشترى طرازاً حديثاً فاخراً، وزيّنت الأم جيدها بعقد ذهبي.. وحتى نوال صارت تأتي بزينة لم أعرفها فيها من قبل.. أثواب مخاطة بعناية، وشعر مسوّى عند حلّاقة، وأحذية ذات كعوب تخفف من قصر قامتها، وعيون مكحلة، و شفاه مطلية، و أصابع مصبوغة)) (٦٦). فهذا التحول على المستوى الظّاهري، كشف عن هشاشة الأوامر والعاطفة الكاذبة، وشفقة (نوال) المفتعلة حيال الجدّة؛ فضلاً عن قبح الفعل السّلوكي الذي أقدمت عليه (نوال) بتواطؤ مع عائلتها ((وكانت ثمة مخدة.. تلك المخدة التي أشارت إليها نوال ذات صباح أحد، مرمية على الأرض، وثمّة شق فيها، كان واضحاً أنه من فعل سكين)) (٦٧). بهذا الأسلوب الذي يثير الدّهشة والصّدمة يؤشّر معماري على التحوّل الحاصل في الشّخصيّة.

ويتنوع النقد الاجتماعي الذي يثيره معماري من خلال المفارقة المصطنعة من علاقة الاسم الشّخصي بمسمّاه، والتّحوّل السّلوكي والفعلي الذي تسلكه الشّخصيّات، وهذا النّقد يعدّ تشريحاً داخلياً للعلائق الاجتماعيّة يضعها معماري أمام القارئ المتلقّي بكل فنية واحترافية، ففي قصة (رجل العَليّة)، يبرز اسم (منيرة) الذي يدل في مدلوله اللغوي على الضّياء ضد الظّلمة ((أي أضاء، كما يقال: بان الشيءُ وأبان وبيّنَ وتبيّن واستبان بمعنى واحد. واستنار به: استمدَّ شُعاعه)) (٦٨). وهو اسم فاعل من الفعل الرّباعي أنار الذي معناه ((وضع فيه النُّور))(٦٩) . فالمعنى اللغوي يُحال دلاليّاً على إنارة طريق الآخرين وتنويره، لكن معماري يحوّل دلالة الاسم إلى الظّلمة والعتمة جراء السّلوك الذي تنتهجه مع أخيها (عبد الهادي) ومساومته على حقّه في ورث والديهما، وسلوك طريق الحيلة والاستعطاف لإجباره على التّنازل مقابل إيوائه وخدمته ((سيصبح البيت باسمي (بيع، شراء) وستبقى تسكن معنا – وسأقوم. بخدمتك، وعيني مفتوحة أمام زوجي، بل

سأطرده حين يعترض على شؤوني في خدمتك، وسيصبح هو الدخيل المتطفل..

فتح عبد الهادي ذراعيه على وسعهما، ودار بهما في فضاءات البيت الأربعة، وفتح مصاريع قلبه، وأعلن بكل استسلام:

_ليكن البيت لكِ يا منيرة!)) (٧٠) .

كان تنازل عبد الهادي، بداية التّحوّل السّلوكي (لمنيرة) الذي ظهر جليّاً من خلال معاملته السّيّئة، وتذمّر الزّوج من جلوسه الدّائم في البيت وخدمته، فيغدو وجوده غير مرحّب به، ((ثم صار التذمر من عبد الهادي وحده.. بحضوره، أو بصوت مرتفع كي يصل إليه في (الطيارة).. لماذا لا يعمل بدل الجلوس في البيت؟ يريد أن يوهمنا أنه عبقري عصره، وفهلوي زمانه؟! ...

ونغمة: أكل وشرب واستهلك من الماء والكهرباء والمنظفات أضعاف ثمن البيت.. و ..

حين قال عبد الهادي لمنيرة: سأسافر إلى البلد، لم تسأله لماذا ...

قالت له: الله معك)) (٧١) .

هذا التّحوّل الدّلالي في معنى الاسم والفعل السّلوكي، يؤشره معماري بصورة ساخرة، وهو يشخّص الخلل في العلاقات الاجتماعيّةالمتفكّكة.

وقد يرصد معماري تحوّلات الشّخصيّة من خلال المكان؛ بوصفه تجربةً تدوّن معاناة الشّخصيّة وأفكارها وتطلّعاتها ورؤيتها، وإطاراً يحدّد مصائر الارتباط به أو مفارقته(٧٢)، حيث يُسهم المكان في قصص معماري برسم تحوّلات الشّخصيّة الفكريّة والسّلوكيّة، ففي قصّة (أغلفة مجلّات ملوّنة)، يؤثّر المكان في الشّخصيّة باتّجاهين متعاكسَين، ولا بدّ من تشخيص الاتّجاه الأوّل، حتّى يفهم المتلقّي أسباب التحوّل، يمثّل الاتّجاه الأوّل شخصيّة (زحيمان) البدويّة التي ظلّت وفيّة لأرضها وبداوتها، على الرغم ما يعانيه من شظف العيش والعوز والحرمان، و (زحيمان) في مدلولها اللغوي تعني ((الزَّحُمُ: أن يزحم القومُ بعضهم بعضاً مـن كثرة الزّحام إذا ازدحموا. والزَّحمةُ: الزِّحامُ. وزَحَمَ القومُ بعضهم بعضاً يَزْحَمُونَهُم زحماً وزحاماً: ضايقوهم)) (٧٣). ومعماري أراد للاسم أن يكون مطابقاً لفعل الشّخصيّة وثباتها على قساوة الصّحراء كما فعل أهله مـن قبل ولم يغـادروها ((غزا ربعي هذه القرية باحثين عن خبز يلوكونه تحت أضراسهم الصّفراء.. بعدما رضخَت البادية لعشرين سنة من الجفاف.. وتقلّصت أحجام نوقهم إلى ما يشبه أحجام الجرابيع)) (٧٤). فالتمسّك بأرض الصّحراء يمثّل من وجهة نظر (زحيمان) صلة التّشارك بالهم الجمعي الذي يتوحّد فيه مع الآباء والأجداد. أمّا الاتجاه الثّاني، فيمثّله الزّوجة والأبناء، الذين ينفصلون عن أرضهم من خلال هروبهم المتتابع، وفي هذا الهروب يعرض معماري التّحوّل الذي جعلهم مفارقين للقيم والسّلوكيّات التي تربّوا عليها، حيث تظهر شخصيّة البنت (شيحة)، والاسم في مدلوله اللغوي متأتٍ من ((الشِّيحُ: نبات سهلي يتّخذ من بعضه المكانس، وهو من الأمرار له رائحة طيّبة وطعم مُرُّ، وهو مرعى للخيل والنّعم ومنابته القيعان والرِّياض))(٧٥) ، فمن المعنى اللغوي، يكون موطن الشّيح، هو الصّحراء، فإذا نُقل إلى غير مكان يفقد صفاته الآنفة الذكر، وهذا ما حدث مع (شيحة) التي هربت إلى المدينة التي فقدت فيها قيمها البدويّة والأخلاقيّة حينما تحوّلت إلى راقصة، تظهر صورها الملوّنة على أغلفة المجلّات ((مدّ يده تحت المخدّة المحشوّة بقشور الشّعير، وسحب مغلّفاً.. ووضعه بين يدي.. كان المغلّف يحمل طوابع تشير إلى أنّه قادم من لبنان.. مغلّف فارغ من الدّاخل.. وعلى غلافه الخارجي اسم زحيمان الجوزة.. ثمّ اسم قريتنا.. وعلى خلفيّة المغلّف حيث اعتاد النّاس كتابة اسم المرسل، قرأت اسم: شيحة)) (٧٦).

والابن الآخر، هو (رعد)، والرّعد ((النّافض يكون من الفزع وغيره، وقد أُرعد فارتعد. وترعدد: أخذته الرّعدة. والارتعاد: الاضطراب)) (٧٧). والرّعد الصّوت الذي يُسمَع من السّحاب، وأيضاً الشّدّة والقوّة، ومثلما تفقد (شيحة) قيم الانتماء والعادات، يفقدها (رعد) الذي أرسله أبوه للانتقام لشرفهم البدوي، لكنّه يغادر هو الآخر ولا يرجع، حيث تغريه حياة المدينة الناعمة التي تسلبه روحه البدويّة ((أعطيت ابني رعداً نقوداً، وأعطيته خنجري... هو ذات الخنجر الذي كانت تتمنطق به أمّي يوم ولدتني.. قلت له: يا رعد.. هذا الخنجر هو آخر ما تبقّى من شرفنا البدوي.. فاذهب، وابحث

عن أختك شيحة.. أريدها أن تعود إلى هذه الخيمة كي تتابع احتضارها بين يدي.. مضى رعد ولم يعد.. أظن أنّ روحه البدويّة، ورائحة الحنجر الذي كان يحمل رائحة جدّته قادته نحو رمال الشّرق، بدل أن يمضي إلى ملح البحر)) (٧٨).

فمعماري جعل الأسماء تتقابل وتتطابق من حيث معناها الدّلالي واللغوي تارةً، وتتناقض وتتنافر تارةً أخرى؛ وذلك لبيان التحوّل الذي آلت إليه، وهذه المطابقة والمفارقة للاسم، أعطت زخماً مضاعفاً للشّعور بالمفارقة السّاخرة عزّزها ارتباط الشّخصيّات وهروبها من المكان.

ويمكن عدّ قصص معماري من قصص النّقد الاجتماعي التي توثّق لإدانة بعض أفعال الجهل السّائدة في القرى بحجّة الخلاص من الفقر، في قصّة (وردة الكسور)، تظهر شخصيّة (وردة) الفتاة الفتيّة المقبلة على الحياة، و (وردة) في مدلولها اللغوي ورد ((كل شجرة: نورها، وقد غلبت على نوع الحَوجَم. قال أبو حنيفة: الوَرْدُ نَوْرُ كل شجرة وزهرُ نبتة، واحدته وردة))(٧٩). والقاص أراد مطابقة صفات الشّخصيّة وسماتها مع معناها الدّلالي واللغوي؛ وذلك لإبراز التّحوّل الذي حصل لها، حيث تُرغم على الزّواج من رجل أعمالٍ انتهازي زار القرية مقابل انتشال أهلها من الفقر الذي يعانونه ((قلت لك يا وردة: هذه صفقة. فواسيتني: لا تزعل.. قنباز أبي ليوم الأحد يتهرأ، والموسم هذه السّنة أكله الصّقيع، والبقرة لم تعد تصلح إلّا للذّبح))(٨٠). ويؤشّر معماري على التحوّل الذي حصل ل (وردة) في اتّجاهَين، الاتّجاه الأوّل يتمثّل في تحسّن حالتها الماديّة، وعيشها بمظاهر ارستقراطيّة مترفة، والاتّجاه الثّاني، هو الثّمن الذي دفعته (وردة)؛ إذ خسرت زهرة شبابها مع رجل زير نساء وصفقات وعقيم «كنت أسمع يا وردة.. وردة في القصر الشّتوي.. وردة في القصر الصّيفي. وردة في باريس. وردة لم تنجب. المحسن الكبير زير نساء لكنه عقيم)) (٨١).

فهذا التحول في حياة (وردة)، هو تحول سلبي يثير تعاطف المتلقّي معها؛ لأنه مرهون بانتقاء رغبة المحسن فيها، فهو ((رجل صفقات)) (٨٢)، ولا يمكن التكهن بمدة هذه الصفقة؛ لذا تعود (وردة) مصابة بكسور عصيّة على الشفاء تعرضت لها جراء حادث، وكسورها وإن كانت مادية، إلا أن القاص يحمّلها دلالات معنوية، دلالة الانكسار النفسي غير القابل للإجبار. ولا يتوقّف النّقد الاجتماعي في قصص معماري الذي يكون السّبب في التّحوّلات التي تطرأ على أفعال الشّخصيّة وسلوكيّاتها، في قصة (محروقة الوالدين)، يتحوّل اسم (باسمة) إلى محروقة الوالدَين، جراء موت والدَيها في حريق سببه فيضان اجتاح قريتهم، فصارت هذه الكنية بمثابة نذير شؤم يلازمها أينما حلّت ((دمغة كانت خاصة بها.. جاءت. دخلت. خرجت. أكلت. سرقت. نامت. صرخت. لاذت بالصمت. هي محروقة الوالدين ... ثم شاعت الكنية، فصارت صفة تطلقها كلّ أم على ولد أنجبته بلا حريق)) (٨٣). المرحلة الأولى من التّحوّل يطال اسم الشّخصيّة، فمن (باسمة) الذي هو اسم فاعل من الفعل بسم الذي هو ((أقلُّ الضّحك وأحسنهُ. وفي التنزيل: فتبسَّم ضاحكاً من قولها؛ قال الزّجاج: التّبسُّم أكثرُ ضَحِك الأنبياء، عليهم الصّلاة والسّلام)) (٨٤). إلى محروقة الوالدَين الذي يدلّ على الانتقاص منها، والمرحلة الثّانية من التّحوّل الذي أصابها، هو حينما تخلّى مجتمع قريتها عنها، وتسليمهما إلى شخصية (تركي) الذي ادعى أنّه خالها من دون أن يتحقّقوا من هويّته الفعليّة ومدى صلة قربه بها، وادعاؤه الزّائف غرضه الوصول إليها، ونيل رغبته منها، فلمّا أخذ ما يريده، طردها.

– مَن الذي فعلها معك يا محروقة الوالدَين؟

وكانت لديّ رغبة أن أصعد الدّرجات المؤدية إلى العلية، وأصرخ في وجه الجدّة: أنا!

ذلك أني رأيتُ جسدها العاري عند النّهر.. ومن أسفٍ أن (أناي) في تلك الأيّام لم تكن أنا..

ثم اشتدت الحمّى في جسد محروقة الوالدين.. وبدت كما لو أنها اختزنت كل نيران التنانير المشتعلة في القرية، فمدّت يدها وأمسكت بيد الجدّة، وحشرجت: خالي.. خالي (٨٥).

فالنّقد الاجتماعي الذي يعرضه معماري بصورة ساخرة لاذعة، أنّ مجتمع القرية المتديّن والمحافظ تخلّى بسهولة عن (باسمة)، ويرجع يدينها ويعنّفها لارتكابها الفاحشة، ولغة اللّوم والطّرد، حوّلت (باسمة) إلى قاتلة انتقمت لشرفها المُستلب من شخصيّة (تركي) الذي ادعى زيفاً أنّه قريبها ((كان الرجل، حسب تقرير المخفر، جثة متعفنة، يأكلها الدود.. وكان

ثمّة سكين مغروسة في الصدر)) (٨٦) .

فكان مجتمع القرية المدعي هو الآخر، السّبب في التّحوّلات التي أصابت شخصيّة (باسمة).

تؤدي المفارقة في قصص معماري دوراً مهمّاً في بناء الخطاب السّاخر الذي غايته إظهار التناقضات بين أسماء الشّخصيّات وسلوكيّاتها؛ إذ دائماً ما يؤسّس معماري عند الكشف عن التّحوّلات المسكوت عنها في حياة الشّخصيّة لخطاب مضاد يُعرّي الواجهة البرّاقة التي تحاول الشّخصيّات التواري خلفها، ففي قصة (موت البلياتشو) الذي يشير الجزء الثاني من عنوانها إلى القناع المطلي بالألوان البرّاقة، وهذه الدّلالة تطابق مجموعة النّسوة اللاتي يظهرن في الحكاية، وهن يتّخذن أسماء وألقاباً تلائم حديث الصّالون الارستقراطي حول قطة السيدة درّية المطلي الضائعة(٨٧) ، هذه الواجهة الزّائفة التي تختبي وراءها هؤلاء النّسوة، يبدأ القاص إزاحتها من خلال الكشف عن ماضيهنّ قبل وصولهنّ إلى هذا المستوى من الثّراء الفاحش والمكانة المرموقة، فيلجأ إلى نبش الماضي وعرض نوع الحياة اللاتي كانت يعيشهنّ قبل التّحوّل الذي صارت عليه، تظهر شخصيّة (سامية) التي تعني في مدلولها اللغوي ((الارتفاع والعُلُوُّ، تقول منه: سموتُ وسميتُ مثل تملوت وعَلَيت وسَلَوت وسليت؛ عن ثعلب. وسَمَا الشيءُ يسمو سُمُوا، فهو سام: ارتفع)) (٨٨). والاسم هنا يوافق طبيعة الحياة الباذخة التي تعيشها (سامية)، ولكنّ القاص من خلال التّوغّل في ماضيها، يكشف أنّها منحدرة من عائلة ريفيّة بسيطة عانت الفقر والحرمان، وأنّ حاضرها الارستقراطي زائف تحاول بوساطته محو ماضيها واسمها الذي غيّرته هو الآخر ليتلاءم مع وضعها الجديد ((واسمحوا لي هنا أن أقطع سياق القصّة لأخبركم أنّ اسم السيّدة سامية لم يكن سامية في تذكرة الهويّة، بل تسنيدة. اسم غريب حقّاً لامرأة، زوجة رجل يستطيع إرسال دوريّة مؤللة لمداهمة سيرك مدني.. والحقيقة أنّ التّسمية تمّت قبل أربع وأربعين سنة في قرية السّيّدة المذكورة نتيجة عناء الأب من جهة، وأميّة المختار من جهة، وجهل موظّف النّفوس من جهة ثالثة)) (٨٩).

ويكشف القاص أنّ تغيير الاسم لم يكن بداعي الرّغبة، وإنّما جاء بعد زواجها من شخصيّة مسؤولة تبوّأت مكانة مهمّة، فكان تحوّل الاسم بمثابة تجميل وضع الزّوج الجديد ((وأمّا تغيير الاسم فلم يتم على أعتاب الثّورة التي أنهت عهود الجهل، ولا على شرفها، ذلك أنّ التّغيير تمّ بناء على اعتبارات دخول الزّوج والأسرة في الفئة الرّاقية من المجتمع، بالأحرى في مجتمع المدينة، لأنّ أهل القرية ظلّوا يذكرونها باسم تسنيدة)) (٩٠). فيكون تحوّل الاسم وتغييره من أجل المظاهر الخادعة وإيهام الآخرين بصدق الزّيف الذي تدّعيه.

ولا يبتعد معماري في قصّة (رامبو السادس عشر) عن استعمال تقنية الخطاب المضاد في عرض التحولات الحاصلة في سلوكيات الشّخصيّة وأفعالها، والملاحظ في هذه القصّة أنّ معماري يجرّد الشّخصيّة من الاسم، ويطلق عليها اسم (رامبو)، وهذه الشّخصيّة المتخيّلة القادمة من السّينما*، تُحال دلالتها الرّمزيّة على البطولة المطلقة التي تخوض حروبها وتقضي على أعدائها منفردة، أمّا في قصّة معماري تظهر هذه الشّخصيّة في هيئة البطولة الزائفة التي تختلق لنفسها سيرة بطوليّة مفبركة، ويحيط نفسه بمجموعة من الحراس والاتباع يحرسونه ويحمونه ((سأحدثكم عن رامبو، والذي ستكتشفون اسمه الحقيقي بعد قراءة متمعنة لقصتي.. أنه ابن جبالنا، هذه، الشامخة في الأناشيد، وابن ضيعتنا، الجميلة في الأغاني)) (٩١).

ومعماري اختار اسم (رامبو)، ولم يصرّح باسم الشّخصيّة الحقيقي قبل التحوّل، وترك الخيار متاحاً للمتلقّي يختار الاسم الذي يراه بعد استعراض حياتها وإلقاء الضّوء على ماضيها، وهي حيلة فنيّة عرفتها الحكاية السّرديّة في الرّواية الجديدة التي نبذت فكرة البطل الإشكالي، وصارت ترى الشّخصيّة عبارة عن كائن ورقي لا أكثر، وليس بالضّرورة منحه اسماً أو لقباً، فهي تكتفي بالإشارة إليه بالضّمير، أو بحرف(٩٢)، والفرض الذي أراده معماري من إخفاء الاسم، هو السّخرية والتّقليل من البطولة التي تدّعيها واحتقار أفعالها واستنكارها؛ لذلك فهو حين يسترجع حياتها الماضية، يُظهرها شخصيّة مغمورة غير معروفة منحدرة من عائلة فقيرة ((وأبوه –يتذكرون– مات وليس في بيته إلا بطانيّتان عسكريّتان من أيام الفرنسي، وفراشاً، ومخدة محشوة بالنخالة.. حتى إنهم كفنوه بشراشف عتيقة تبرعت بها عاصية العابد)) (٩٣). ويمعن القاص في تعرية هذه الشّخصيّة المصطنعة وهو يكشف ماضيها بتفاصيل تظهر تكوينه الشّخصي ((قريبك هذا تركيبة

عجيبة، وأنا وأنت نعرفه ... الذين من جيله يذكرونه أنّه كان يُخرج الجرادين من جحورها، يشعل النار فوقها فتخرج. يمسكها ويشويها على النار ذاتها ويأكلها، وقد تلبّسته روح الجراذين.. دمها دخل في دمه.. لاحظ كيف يرفع رأسه ويمط رقبته مثلها.. جرذون منفوخ يخاف من خيال)) (٩٤).

بهذا الخطاب المضاد، يكشف القاص عن حياة رامبو المدعي الماضية والحاضرة، فيعمد إلى تأشير الفرق والتحول الذي أصابه بعد تولّيه مركزاً قيادياً ((المرّة الأولى التي رأيت فيها مشهد قدومه الصّباحي راودني شعور بالضّحك.. فمن شبّاك السّيّارة كان، ذاك الذي صرتم تعرفونه باسم رامبو، يبدو كامل الأناقة بقميصه الحريري، وعقدة عنقه المشجرة، وسترته المخمليّة البنيّة)) (٩٥).

بهذه الصّورة السّاخرة قدّم معماري شخصيّة (رامبو) وهي تنعم بحياة مترفة، ويلبس الحرير، فيما يموت الجنود في ساحات الحرب، ويلبسون خشن الملابس، ويأكلون رديء الطّعام، فيُحاط بالمتملّقين من كلّ جانب، ويُظهرونه بطل الحروب وصانع انتصاراتها، ويضفون عليه هالة البطولات الوهميّة.

ولا يقتصر التحول في شخصيات معماري على الأفعال السّلوكيّة فقط؛ إذ نجد التحول الإيديولوجي الفكري المفارق لهوى المجموع، وإظهار اضطراب الشخصية وقلقها واغترابها الهوياتي في الإطار الاجتماعي الذي تعيش فيه، ففي قصة (غرباء في أرض الوصل)، يظهر الراوي الشّخصيّة الذي لم يصرح القاص باسمه، ضائعاً وتائهاً في محيط مملوء بالتناقضات، والمفارقات السّاخرة، ذلك المحيط الذي يترفع عليه الراوي الشّخصيّة بفعل انغماسه في عالم القراءة المثالي، ما يسهم في إعادة تشكيل قناعاته الفكرية ومواقفه حيال الواقع ((رفعت رأسها وقالت: كل هذه الكتب لك؟!

_كلها.

_ قرأتها كلها؟!

_كلها. أنا ماهر أوراق مطبوعة. ومثلما أنت لك ثقب هنا لا يشبع أنا لي ثقب هنا في رأسي مثل بالوعة المياه الوسخة لا يمتلئ ولا يشبع)) (٩٦).

وفي مقابل هذا التّحوّل الإيديولوجي، يظهر الاغتراب الجسدي، حيث تبرز شخصية (ناديا) التي تحيا حياة الشتات والضياع ومزاولة عمل فتاة الليل، فهي في النهار تعرف باسم (ناديا)، والاسم من حيث المدلول اللغوي ((ندى النهار، والسّدى ندى الليل، يُضربان مثلاً للجود ويُسمى بهما. وندي الشيء إذا ابتلّ فهو ندٍ... والنّادية دعوةً واحدةً ونداء واحد فقلب نداءة إلى نادية وجعل اسم الفاعل موضع المصدر)) (٩٧). والندى القطر الذي يتكوّن في الليل، ومن مفهوم الدلالة اللغوية، نفهم أنّ (ناديا) إنسانة تحتفظ بشيء من البراءة أو الطّهارة النفسيّة، وأنّ ظروف الحياة أجبرتها على تأدية دور فتاة الليل؛ لذلك فحياة النهار مستقلّة تماماً عن حياة الليل التي يتحوّل فيها اسمها إلى (كنار) الذي يفارق اسم (ناديا) في المعنى اللغوي والدّلالي، فهو يشير في مدلوله اللغوي إلى ((الكنّارات يُختَلف فيها فيقال هي العيدان التي يُضرب بها، ويقال هي الدفوق))(٩٨). وهذا الفرق الدّلالي يؤشّر على التّحوّل الذي تصير فيه الشّخصيّة « لا تمثلي عليّ. البارحة كان اسمك عنار واليوم ناديا. وأنا كنت أسكن في غرفة واليوم بدون غرفة وغداً أجد واحدة. أنت البارحة كنت مع ثلاثة واليوم معي وغداً... ما الفرق بيننا؟)) (٩٩) .

هذا التلاقي بين المهمشين، يحمل من المدلول الساخر الذي يكشف عن أنّ كلاهما يعاني غربته الخاصة، وتحوّله المستمر المفروض عليهما تحت طائلة النبذ والرفض من الآخرين، والطّرد عند انتقاء الحاجة منهما.

وقد يكون التحول معرفياً ينقل الشخصية من مرتبة الجهل والانقياد للآخرين، إلى مرتبة المعرفة والتنوير العقلي، ففي قصة (عزوز مات)، تظهر شخصية (عزوز) الشاب الذي يعمل سقاءً في مقهى صاحبه يستغل صاحبها حاجة أمثاله إلى العمل مقابل أجرة ضئيلة لا تكاد تسد الرمق ((أي إنسان في الدنيا يعمل ست عشرة ساعة في اليوم؟! قل.. زنوج أمريكا.. عبيد أفريقيا.. ؟ لا قراءة كتاب.. لا زيارات للبشر.. لا سينما مثل الناس.. وهل تعلم كم يعطيني؟ ليرتان ونصف. من الساعة الحادية عشرة صباحاً وحتى انصراف آخر زبون في المقهى. الواحدة بعد منتصف الليل!)) (١٠٠) .

هذا الاستغلال البشع دفعه إلى ترك العمل، والالتفات إلى مساره الدراسي المتذبذب فيه؛ لذا نجد أنّ التحوّل الذي أصابه هو تحوّل معرفي، حيث لجأ إلى القراءة الحرّة البعيدة عن المنهج المدرسي المقيد ((

_ قرأت الكتب التي أعرتك أيّاها؟

_ قرأتها وسأعيدها لك. هل تعيرني غيرها؟؟

_ طبعاً أعيرك.. وهل أعجبتك؟

_ قال بحماسة:

_ أعجبتني.. أحس أن رأسي قد تغير. كان محشواً بالتبن والآن بدأت أفهم. تعلمت أشياء لا تعلمها المدرسة.. أشياء جديدة))(١٠١). وهذا التحوّل الذي فتح الآفاق واسعة أمامه بعد محدوديّة الفكر والاطلاع جاء متوافقاً تماماً مع مدلول اسمه اللغوي، حيث يعني اسم (عزوز) ((شاة ضيّقة الأحاليل لا تدرُّ حتى تُحلب بجهدٍ. وقد أعزَّت إذا كانت عزوزاً، وقيل عزُزت النّاقة إذا ضاق إحليلها ولها لبن كثير)) (١٠٢).

والقراءة وحدها من وسعت فكره وصقلت شخصيّته، حتى صار عارفاً بما يريده، ويعي مسؤوليّته في محاربة الجهل والحرمان والطبقيّة التي عاناها على يد صاحب المقهى وغيره من أصحاب الأموال الذين يجعلون من الإنسان الكادح عبداً يتحكّمون في مصيره، ولا يتحقّق ذلك إلّا بثورة من العمل المثمر

((كان عزوز حانقاً معي، قال فجأة:

_ أريد أن أعمل شيئاً. أن أساهم. أريد أن أكون واحداً منكم)) (١٠٣) .

من خلال دراسة دلالة التحول في أسماء الشخصيات، وجدنا معماري يعتمد الدّلائل اللغويّة والمعنويّة المضادّة في عرض الأفعال السّلوكيّة بصورة ساخرة ومأساويّة تعاضدها اللغة والألفاظ لإيصال وجهة نظره الناقدة حيال ما يجري في المجتمع من ظواهر سلبية تلزمه الوقوف عندها وتأملها، وعرضها بتجرد، ما يسهم بشكل أو بآخر في حصرها ومعالجتها معالجة فنيّة.

-النتائج :

– نوّع معماري في معاني الأسماء التي جاءت متوافقة مع المطابقات اللّغويّة والدّلاليّة، وإبراز التناقض الفعلي الّذي أدّى دوراً مهمّاً في صناعة المفارقة السّاخرة.

– اختار معماري أسماء الشّخصيّات التي لها معادل دلالي يتضمّن معنى المفارقة التّهكّميّة ، وقد جاء التّلاعب الدّلالي المتناقض بين صفات الاسم المطابقة ظاهريّاً، والفكر المفارق جوهريّاً بناءً على رغبة القاص في إبراز القيم والتّخيّلات السّوداويّة المسيطرة على مجتمع يدّعي التّحرّر الكاذب من الأفكار والسّلوكيّات الزّائفة.

– جعل الأسماء تتقابل وتتطابق من حيث معناها الدّلالي واللغوي تارةً، وتتناقض وتتنافر تارةً أخرى؛ وذلك لبيان التحوّل الذي آلت إليه، وهذه المطابقة والمفارقة للاسم، أعطت زخماً مضاعفاً للشّعور بالمفارقة السّاخرة عزّزها ارتباط الشّخصيّات وهروبها من المكان.

– اعتمد معماري الدّلائل اللغويّة والمعنويّة المضادّة في عرض الأفعال السّلوكيّة بصورة ساخرة ومأساويّة تعاضدها اللغة والألفاظ لإيصال وجهة نظره الناقدة حيال ما يجري في المجتمع من ظواهر سلبية تلزمه الوقوف عندها وتأملها، وعرضها بتجرد، ما يسهم بشكل أو بآخر في حصرها ومعالجتها معالجة فنيّة.

الهوامش:

١ – التحليل السيميائي للخطاب الروائي، د. عبد المجيد نوسي، شركة النّشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٢: ١٢٠.

٢ – نشوء الرواية، إيان واط، ت. ثائر ديب، دار الشّرقيات، القاهرة، ط١، ١٩٩٧: ٢١.

٣ – سيميائية الشّخصية في رواية (حارس الظلال) لواسيني الأعرج، زوزو نصيرة، مجلّة العلوم الإنسانية، جامعة خيضر بسكرة، ع ٩، ٢٠٠٦: ١١.

٤ – السيميائيات: مفاهيمها وتطبيقاتها، سعيد بنكراد، منشورات الزمن، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٢: ٢٥.

٥ – سيميولوجية الشّخصيات الروائية، فيليب هامون، ت. سعيد بنكراد، دار الكلام، الرباط، ١٩٩٠ :٢٣.

٦ – سيميائية الشّخصية في رواية (حارس الظلال): ١٢.

٧– السّخرية في أدب الجاحظ، د. علي البوجديدي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان، ط١، ٢٠١٨: ٢٥٨.
٨– سيمياء اسم العلم الشّخصي في الرواية العربيّة، جميل حمداوي، ج ٢٤، ٢٠١١: ٦٨.
٩– بنية الشّكل الروائي، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٠: ٢٤٧.
١٠– الشّخصية الإنسانية في الرواية الأردنية (١٩٨٠– ٢٠٠٠)، فاطمة شلطف، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عمّان، ٢٠٠٢: ٢٠٥.
١١– سيميائية المسميات في رواية المغمورون لعبد السلام العجيلي، محمد عيسى، مجلّة جامعة البعث، مج ١٥، ع (٤٧)، ٢٠١٧: ٢٨.
١٢– لسان العرب، لابن منظور الإفريقي، نشر أدب الحوزة، قم، إيران، ١٤٠٥هـ، ١٣٦٣ق، ، مادة (نسى)، ج ١٥ :٣٢٤.
١٣– حكاية الرجل الذي رفسه البغل، مجموعة قصص، وليد معماري، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط٢، د.ت: ١٠.
١٤– بنية الشّكل الروائي: ٢٥٢.
١٥– يُنظر: حكاية الرجل الذي رفسه البغل: ١٤.
١٦– المصدر نفسه: ١٥.
١٧– لسان العرب، مادة (رسم)، ج٦: ١٥٤.
١٨– المصدر نفسه، مادة (فضل)، ج ١١: ١٩٣.
١٩– حكاية الرجل الذي رفسه البغل: ٤٥.
٢٠– المصدر نفسه: ٤٩.
٢١– لسان العرب، مادة(عبد)، ج١٠: ٨.
٢٢– المصدر نفسه، مادة (هدي)، ج ١٥: ٤١.
٢٣– المصدر نفسه، مادة (هدي)، ج١٥: ٤٣.
٢٤– أختي فوق الشجرة، قصص، وليد معماري، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، ٢٠٠٧ :٥١.
٢٥– يُنظر: المصدر نفسه: ٥٣.
٢٦– المصدر نفسه: ٥١.
٢٧– يُنظر: مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، راجعه وعلّق عليه، أنس محمّد الشّامي، د.ت، مادة (نيف) :٨٧٩.
٢٨– لسان العرب، مادة (جهجه)، ج٣: ٢٢٣.
٢٩– يُنظر: أختي فوق الشّجرة:١٢٨.
٣٠– المصدر نفسه: ١٣٠.
٣١– المُتخيّل الروائي العربي، الجسد، الهوية، الآخر، إبراهيم الحجري، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، ط١، ٢٠١٣ :١٤٦.
٣٢– لسان العرب، مادة (سلم)، ج٨ :٢٤٦.
٣٣– المصدر نفسه، مادة (سلم)، ج ٨ :٢٤٦.
٣٤– المصدر نفسه، مادة (سلم)، ج ٨ :٢٤٠.
٣٥– وردة الكسور، قصص، وليد معماري، دار الطليعة الجديدة، سوريا، دمشق، ط١، ١٩٩٨ :٤٩.
٣٦– يُنظر: المصدر نفسه:٥٠.
٣٧– المصدر نفسه:٥٣.
٣٨– لسان العرب، مادة (حسن)، ج ٤ :١٢٣.
٣٩– يُنظر: السّرد، والاعتراف، والهويّة، د.عبدالله إبراهيم، المؤسسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت– لبنان، ط١، ٢٠١١ :١٩٣.
* يُنظر: موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية (مدينة أرمناز).
٤٠– وردة الكسور:٥٧.
٤١– السّخرية في أدب الجاحظ، د. علي البوجديدي: ١٣٠.
٤٢– وردة الكسور:٦٤.
٤٣– المصدر نفسه: ٦٤.
٤٤– المصدر نفسه: ١٧١.
٤٥– لسان العرب، مادة (غندر)، ج٥ :٣٣.
٤٦– وردة الكسور:١٧٣.
٤٧– سيمياء اسم العلم الشّخصي في الرواية العربيّة: ٩١.
٤٨– لسان العرب، مادة(صبر)، ج٨: ١٩٣.
* الدومري: (كلمة تركية الأصل، وتعني الفوانيسيّ، أي الرّجل الذي يشعل الفوانيس في الأزقة والحارات القديمة، وكان لها حضور في الذّاكرة الشّعبية السّورية التي ارتبطت بشهر رمضان المبارك). www.alkhaleej.ae

٤٩– تحت خطّ المطر، قصص قصيرة، وليد معماري، الينابيع للنشر والتّوزيع، دمشق، ط١، ١٩٩٢: ٢٢.
٥٠– لسان العرب، مادة (سلم)، ج٧: ٢٤٢.
٥١– المصدر نفسه، مادة (دهم)، ج ٥: ٣١٧.
٥٢–يُنظر: تحت خطّ المطر: ٦٦.
٥٣– تحت خطّ المطر: ٧٠.
٥٤– البنية السّردية في روايات ضياء جبيلي، نعمان ثابت محمد أمين الهيتي، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الآداب، جامعة الأنبار، ٢١٩: ٤٠.
٥٥– في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، د. عبد الملك مرتاض، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، د.ط، ١٩٩٨ :٩٠.
٥٦– الرّجل الذي رفسه البغل: ٢٨.
٥٧– لسان العرب، مادة (عزم)، ج ١٠: ١٣٩.
٥٨– الرّجل الذي رفسه البغل: ٢٨.
٥٩– يُنظر: المصدر نفسه: ٣٠.
٦٠– المصدر نفسه: ٣٠.
٦١– المصدر نفسه: ٣٤.
٦٢– المصدر نفسه:٣٧.
٦٣– لسان العرب، مادة (نول)، ج١٤ :٣٨٩.
٦٤– الرّجل الذي رفسه البغل: ٩٦.
٦٥– المصدر نفسه: ٩٨.
٦٦– المصدر نفسه: ١٠٠.
٦٧– المصدر نفسه: ١٠١.
٦٨– لسان العرب، مادة (نور)، ج١٤ :٢٧٩.
٦٩– المصدر نفسه، مادة (مادة نور)، ج١٤: ٢٨٠.
٧٠– أختي فوق الشّجرة: ٥٦.
٧١– المصدر نفسه: ٦١.
٧٢– يُنظر: جماليات المكان، غاستون باشلار، ت. غالب هلسا، دار الجاحظ للنشر– وزارة الثقافة والإعلام– بغداد، ١٩٨٠: ٤٢.
٧٣– لسان العرب، مادة (زحم)، ج٧: ٢١.
٧٤– أختي فوق الشّجرة:٧٢.
٧٥– لسان العرب، مادة (شح)، ج٨: ١٧٣.
٧٦– أختي فوق الشّجرة:٧٤.
٧٧– لسان العرب، مادة(رعد)، ج٦: ١٧٣.
٧٨– أختي فوق الشّجرة: ٧٥.
٧٩– لسان العرب، مادة (ورد)، ج١٥: ١٩٠.
٨٠– وردة الكسور: ٣٧.
٨١–المصدر نفسه:٣٧.
٨٢–المصدر نفسه: ٣٧.
٨٣– المصدر نفسه: ١٤٠.
٨٤– لسان العرب، مادة (بسم)، ج١ :٨٩.
٨٥–وردة الكسور:١٤٨.
٨٦–المصدر نفسه: ١٥٥.
٨٧– يُنظر: تحت خطّ المطر: ١٠.
٨٨– لسان العرب، مادة (سما)، ج٧: ٢٦٥.
٨٩– تحت خطّ المطر: ١٢.
٩٠– المصدر نفسه: ١٢.
*رامبو: هو علامة تجاريّة إعلاميّة أمريكية تتمحور حول سلسلة من أفلام الحركة. موقع ويكيبيديا.
٩١– تحت خطّ المطر: ٥٣.
٩٢– يُنظر: الرواية الجديدة، بنياتها وتحوّلاتها، محمد داود، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية– ناشرون، بيروت–لبنان، ط١، ٢٠١٣: ٢١٠.

٩٣– تحت خطّ المطر: ٥٥.
٩٤– المصدر نفسه: ٥٨.
٩٥– المصدر نفسه: ٥٩.
٩٦– أحزان صغيرة: ٤٠.
٩٧– لسان العرب، مادة (ندى)، ج١٤ :٢٢٧.
٩٨–المصدر نفسه، مادة (كنر)، ج١٣: ١١٧.
٩٩– أحزان صغيرة: ٤٥.
١٠٠– المصدر نفسه: ١٠٤.
١٠١– المصدر نفسه: ١٠٩.
١٠٢– لسان العرب، مادة(عزز)، ج١٠ :١٣٥.
١٠٣– أحزان صغيرة: ١١١.

–المصادر والمراجع:

١. أحزان صغيرة، مجموعة قصص، وليد معماري، د. ط، د.ت.
٢. أختي فوق الشجرة، قصص، وليد معماري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ،٢٠٠٧.
٣. بنية الشّكل الروائي، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٠.
٤. تحت خطّ المطر، قصص قصيرة، وليد معماري، الينابيع للنّشر والتّوزيع، دمشق، ط١، ١٩٩٢.
٥. تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، يمنى العيد، دار الفارابي، بيروت، ١٩٩٠.
٦. التحليل السيميائي للخطاب الرّوائي، د. عبد المجيد نوسي، شركة النّشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٢.حكاية الرجل الذي رفسه البغل، مجموعة قصص، وليد معماري، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط٢، د.ت.
٧. جماليات المكان، غاستون باشلار، ت. غالب هلسا، دار الجاحظ للنشر – وزارة الثقافة والأعلام – بغداد، ١٩٨٠.
٨. حكاية الرجل الذي رفسه البغل، مجموعة قصص، وليد معماري، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط٢، د.ت.
٩. الرواية الجديدة، بنياتها وتحوّلاتها، محمود داود، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية– ناشرون، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠١٣.
١٠. السّخرية في أدب الجاحظ، د.علي البوجديدي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١٨.
١١. السّرد، والاعتراف، والهويّة، عبد الله ابراهيم، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠١١.
١٢. السيميائيّات: مفاهيمها وتطبيقاتها، سعيد بنكراد، منشورات الزمن، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٢.
١٣. سيميولوجيّة الشّخصيّات الروائيّة، فيليب هامون، ت. سعيد بنكراد، دار الكلام، الرباط، ١٩٩٠.
١٤. في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، د. عبد الملك مرتاض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ط، ١٩٩٨.
١٥. لسان العرب، لابن منظور الإفريقي، نشر أدب الحوزة، قم، إيران، ١٤٠٥هـ،١٣٦٣ق.
١٦. المتخيل الرّوائي العربي، الجسد، الهوية، الآخر، إبراهيم الحجري، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، ط١،٢٠١٣.
١٧. مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا، راجعه وعلّق عليه، أنس محمّد الشّامي، د.ت.
١٨. نشوء الرواية، أيّان واط، تح. ثائر ديب، دار الشّرقيّات، القاهرة، ط١، ١٩٩٧.
١٩. وردة الكسور، قصص، وليد معماري، دار الطليعة الجديدة، سوريا، دمشق، ط١، ١٩٩٨.

–المجلات العلمية:

١. سيمياء اسم العلم الشّخصي في الرواية العربيّة، جميل حمداوي، مجلّة الراوي، ج(٢٤)، ٢٠١١.
٢. سيميائيّة الشّخصيّة في رواية (حارس الظلال) لواسيني الأعرج، زوزو نصيرة، مجلّة العلوم الإنسانيّة، جامعة خيضر بسكرة، ع (٩)، ٢٠٠٦.
٣. سيمائية المسميات في رواية المغمورون لعبد السلام العجيلي، محمد عيسى، مجلة جامعة البعث، مج ٣٩، ع (٤٧)، ٢٠١٧.

– الرسائل والأطاريح الجامعية:

١ – البنية السردية في روايات ضياء جبيلي، نعمان ثابت محمد أمين الهيتي، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الآداب، جامعة الأنبار، ٢٠١٩.
٢ – الشّخصيّة الإنسانيّة في الرواية الأردنيّة (١٩٨٠_ ٢٠٠٠)، فاطمة شلطف، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنيّة، عمان، ٢٠٠٢.

– الأنترنت:

١. موقع ويكيبيديا.
٢. www.alkhaleej.ae

الاستبداد في القرآن الكريم دراسة تفسيرية تحليلية

م. د. قصي حسن حميد
كلية التربية للبنات / جامعة الشطرة



المستخلص:

من الثوابت ان يُعدّ القرآن الكريم المصدر الأساس للتشريع الإسلامي ككل، وقد وصل إلى الأمة بالتواتر القطعي، مؤكدًا مبدأ العدل ورافضًا كل أشكال الظلم والاستبداد. ورغم غياب لفظ (الاستبداد) نصًا، فقد عُبّر عنه بألفاظ كالجبار والطغيان والمترفين. كما تناولت بعض الآيات النهي عن الاستبداد في القتل والأموال والحقوق، داعيةً إلى الحرية والمساواة في المجتمعات. ويُبرز القرآن أن الاستبداد يقود إلى الفساد وضياع الكرامة الإنسانية التي جعلها الله تعالى من القيم العليا، في حين يرسّخ قيم الرحمة والإنصاف وغيرها، ويؤكد أن الحكم لله وحده تبارك وتعالى، فلا شرعية لأي سلطة تقوم على استعباد الناس أو قهرهم, لكونه يخالف بما جاء في الشريعة السمحاء.

الكلمات المفتاحية : الاستبداد , الاستكبار, الاضطهاد, تحليلية, تفسيرية

Abstract:

It is an established principle that the Holy Qur'an is the primary source of Islamic legislation as a whole, transmitted to the Muslim community through definitive tawātur. It affirms the principle of justice and rejects all forms of oppression and despotism. Although the term "despotism" does not explicitly appear in the Qur'an, it is expressed through words such as "tyrant," "arrogant," and "opulent." Several verses prohibit despotism in matters of life, wealth, and rights, calling instead for freedom and equality within societies. The Qur'an highlights that despotism leads to corruption and the loss of human dignity, which God Almighty has made among the highest values, while it reinforces the principles of mercy, fairness, and others. It further emphasizes that sovereignty belongs to God alone, Blessed and Exalted, and that no authority based on enslaving or oppressing people has legitimacy, as it contradicts the teachings of the noble Sharia.

Keywords:: tyranny, arrogance, oppression, analytical, interpretive

المقدمة :

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على العالم بالقرآن ورسول الرحمان مولانا أبي القاسم محمّد بن عبد الله وعلى آله الكرام, خير خلقه الطيبين الطاهرين وبعد :

يعتبر القرآن الكريم المصدر الأوّل للشريعة الإسلاميّة الحقّة، وهو الكتاب الأوحد الّذي يعدّ قطعي السند، وواصل إلى الأمّة الإسلامية بالتواتر اللفظي، وما ذلك إلّا لشدّة عناية واهتمام المسلمين بكتابهم المقدّس.

ان نزول القرآن الكريم في جوّ مجتمع الجزيرة العربية، فهم يعتمدون الدليل والبرهان والحجة والبيان في القول والفعل, ((على الرغم من أن مصطلح الاستبداد غير موجود في القرآن الكريم، لكن المصطلحات ذات الصلة مثل: جبار، طاغوت، علو ملأ مترف ومستكبر تستخدم في القرآن في نهج البلاغة، استخدم مصطلح ((الاستبداد)) بشكل صريح في أجزاء كثيرة من نهج البلاغة لتضمين قضايا مثل الأرستقراطية والاستبداد والغرور و حرية التعبير وحرية الفكر والحرية السياسية والخلاف بين المسلمين و عواملها العفة الأنانية، الاستكبار، الاستعداد، العدوان التدهور الفكري، الحواجز أمام البصيرة وعشرات المفاهيم وغيرها، وكلها تعبر عن الاستبداد ...)) (١).

تتضمن القرآن الكريم عدة مواضيع ومعان ومصاديق لكن ليس بالمعنى الصريح تتعلق بالاستبداد والظلم، حيث ينصح المؤمنين بعدم الظلم والاستبداد في حياتهم. ومن بين الآيات التي تتحدث عن الاستبداد في القرآن الكريم:

{وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً} {الإسراء/٣٢}{ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ

مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا }{الإسراء/٣٣}.

هذه الآية تنصح المؤمنين بعدم الاستبداد في قتل الناس، وأن يكون القتل فقط بالحق. {وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ}البقرة ١٨٨ هذه الآية تنصح المؤمنين بعدم الاستبداد في الأموال، وعدم الغش والاحتيال في التعاملات المالية.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا }النساء: ١٣٥

يذكر القرآن الكريم عدة مرات الحرية والعدالة وحقوق الإنسان، ويعارض بشدة الاستبداد والظلم والتمييز، ويدعو إلى العدل والمساواة والحرية.

ومن أمثلة ذلك: يدعو القرآن إلى إطلاق سراح الرقيق والتعاطف معه، وينص على أن الرقيق يجب أن يحرر إذا أراد الحرية وأن الرق يعد من أسوأ الأشياء في الإسلام.

يدعو القرآن إلى إعطاء كل إنسان حقوقه، سواء كان رجلا أو امرأة، وينص على أن الرجال والنساء متساوون أمام الله.

يحرم القرآن الاستغلال والظلم ويحث على العدل، وينص على أنه يجب أن تكون هناك مساواة في المعاملة وعدم التمييز بين الناس بسبب لونهم أو جنسيتهم أو دينهم.

ينص القرآن على ضرورة توحيد الله وعدم الاستعباد لأحد سواه، وينص على أن الله هو الذي يحكم ويدير الأمور ولا يجوز لأحد آخر الاستبداد على الناس.

وبشكل عام، يعتبر الاستبداد والظلم والتمييز من الأمور المستنكرة في الإسلام، وينصح القرآن الكريم بتطبيق العدل والمساواة في جميع جوانب الحياة.

اشار القرآن الكريم إلى عدة مفاهيم تتعلق بالاستبداد والظلم، ويدعو إلى العدل والإنصاف. ومن أمثلة ذلك:

١- الاستبداد والظلم مذمومان في الإسلام، والله تعالى ينهى عنهما في القرآن الكريم. ففي سورة البقرة الآية ١٩٣ يقول الله تعالى: {وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ } البقرة: ١٩١ . ويعني هذا الآية أن الفتنة والقتل تعدان من الأفعال الأشد مذمة من الاستبداد والظلم

٢- القرآن الكريم يدعو إلى العدل والإنصاف في كل الأمور، حتى في التعامل مع الأعداء. ففي سورة المائدة الآية ٨ يقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} المائدة: ٨

ويدعو هذا الآية إلى إقامة العدل وعدم الانحياز لأحد دون الآخر، حتى في التعامل مع الأعداء.

يتحدث القرآن الكريم عن الاستبداد في عدة مواضع، ويعبر عن الرفض الشديد لهذا السلوك الظالم. على سبيل المثال، يقول الله تعالى في سورة البقرة:

{إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ } البقرة: ١٩٠ وفي سورة الأعراف:

ويشجع القرآن الكريم على العدل والإنصاف، ويحث على معاملة الناس بالرحمة والإحسان، كما يقول الله تعالى في سورة النساء:

فكرة الاستبداد هي السيطرة الكاملة لشخص أو جماعة على آخرين بدون مراعاة حقوقهم أو حرياتهم، ويمكن أن تكون هذه السيطرة على الأراضي أو الموارد أو القوانين أو حتى على الأفكار والمعتقدات.

وتعد فكرة الاستبداد من أخطر الأفكار السياسية والاجتماعية لأنها تؤدي إلى قهر الناس وتجعلهم يفقدون حريتهم وكرامتهم. وعادةً ما يتم تحقيق الاستبداد من خلال استخدام القوة والترهيب والتلاعب بالرأي العام، وقد تؤدي هذه الأساليب إلى حدوث الفساد والظلم والانحراف السياسي والاجتماعي.

وتعتبر فكرة الاستبداد مرفوضة بشدة في الإسلام، حيث يحث الدين على العدل والإنصاف والحرية، ويؤكد على أن كل إنسان يمتلك حقوقاً وحريات لا يمكن التعدي عليها، ويدعو الإسلام إلى محاسبة المستبدين وإزاحتهم عن الحكم إذا كانوا

ينتهكون حقوق الناس ويسيطرون عليهم بالظلم والاضطهاد.

في القرآن الكريم، يتم تناول فكرة الاستبداد من خلال العديد من الآيات والسور، ويشير القرآن إلى عدة عوامل يتم الاستناد عليها لتحقيق الاستبداد، عندما تتراكم هذه العوامل، فإنه يمكن أن يتطور الاستبداد وتصبح نظاماً سياسياً واجتماعياً تحكمه القمع والتضييق على الحريات الشخصية.

المبحث الأول:

مقاربات تأصيلية بالمصطلحات:

المطلب الأول : التعريف بالمصطلحات:

توطئة : مصطلح الاستبداد مستمد اللغة العربية، وهو اسم لفعل (استبد) يقوم به فاعل (مستبد) ليتحكم في موضوعه (المستبد)، فلابد أن يتجسد الاستبداد في شخص أو فئة يقال استبد به انفرد به واستبد: ذهب واستبد الأمر بفلان: غلبه فلم يقدر

على ضبطه واستبد بأميره: غلب على رأيه، فهو لا يسمع إلا عوامل في اللغة والاصطلاح : قال صاحب ((العوامل: بكسر الميم جمع العامل، المؤثرات)). (٢) وقال التهانوي ان العوامل هي : ((فاعلم أنّ تعلّق الفعل وما أشبهه من الحروف والأسماء وغيرها بالاسم المتمكّن سبب لثبوت وصف فيه كالفاعلية والمفعولية والإضافة، وهذه معان معقولة تستدعي نصب علامة يستدلّ بها عليها، فجعلوا الإعراب الذي هو الرفع والنصب والجر دلائل عليها، وسمّوا تلك المعاني مقتضيات للإعراب، وسمّوا الأشياء التي تعلّقها بالاسم المتمكّن سبب لحدوث هذه المعاني عوامل)) (٣).

اما الاستبداد هو من استبد فلان بكذا قال ابن منظور((افتأت فلان علينا يفتئت إذا استبد علينا برأيه؛ جاء به في باب الهمز. وقال ابن السكيت: افتأت بأمره ورأيه إذا استبد به وانفرد. أي: انفرد به فيقال: استبد بالأمر يستبد به))(٤)

وقال ايضًا ((استبداداً : إذا انفرد به دون غيره))(٥)

وقال الفيروآبادي : الاستبداد هو : ((اسْتَأْثَرَ بالشيءِ: اسْتَبَدَّ به، وخَصَّ به نَفْسَهُ)) (٦)

الاستبداد في اللغة ولاصطلاح: يقول الكَوَاكِبِي ((ويُراد بالاستبداد عند إطلاقه استبداد الحكومات خاصّةً؛ لأنّها أعظم مظاهر أضراره التي جعلتْ الإنسان أشقى ذوي الحياة. وأما تحكّم النّفس على العقل، وتحكُّم الأب والأستاذ والزّوج، ورؤساء بعض الأديان، وبعض الشركات، وبعض الطّبقات؛ فيوصف بالاستبداد مجازاً أو مع الإضافة.

الاستبداد في اصطلاح السّياسيين هو: تَصَرُّف فرد أو جمع في حقوق قوم بالمشيئة وبلا خوف تبعة، وقد تَطرُق مزيدات على هذا المعنى الاصطلاحي فيستعملون في مقام كلمة (استبداد) كلمات: استعباد، واعتساف، وتسلُّط، وتحكُّم. وفي مقابلتها كلمات: مساواة، وحسّ مشترك، وتكافؤ، وسلطة عامة. ويستعملون في مقام صفة (مستبدّ) كلمات: جبّار، وطاغية، وحاكم بأمره، وحاكم مطلق. وفي مقابلة (حكومة مستبدّة) كلمات: عادلة، ومسؤولة، ومقيّدة، ودستورية. ويستعملون في مقام وصف الرّعية (المستَبَدّ عليهم) كلمات: أسرى، ومستصغرين، وبؤساء، ومستنبتين، وفي مقابلتها: أحرار)) (٧) وقال فح الله أيضا الاستبداد ((الجبار ، القوي ، المستبد)) (٨)

ويقال ((المستبدّ : الماضي في أمره لا يرجع عنه)) (٩) .

وقد عرفته الموسوعة السياسية الاستبداد((وقد عرفت الموسوعة السياسية الاستبداد: بأنه حكم أو نظام يستقل بالسلطة فيه فرد أو مجموعة من الأفراد دون خضوع لقانون أو قاعدة ودون النظر إلى رأي المحكومين)) (١٠)

اما اذا كان الاستبداد وصفًا فقال عبد الحمن الكواكبي :((أما تعريف الاستبداد بالوصف فهو صفة للحكومة المطلقة العنان فعلاً أو حكماً التي تتصرف في شؤون الرعية كما تشاء بلا خشية ولا عقاب)) (١١) وايتي معنى الاستبداد الشذوذ ((وحذّر من الفرقة والشذوذ عن الجماعة بأنّ الشاذّ من الناس : أي المتفرّد المستبدّ برأيه للشيطان : أي محلّ تطرّق الشيطان لانفراده ، وشبّه ذلك بالشّاذ من الغنم ، ووجه الشبه كون انفراده محلًا لتطرّق الهلاك إليه باستغواء الشيطان له كمان أنّ الشاة المنفردة في مظنّة الهلاك لانفرادها ووحدتها للذئب . ثمّ أمر بقتل من دعا إلى هذا الشعار وهو مفارقة الجماعة والاستبداد بالرأي)) (١٢)

المطلب الثاني:

المطلب الأول : مظاهر الاستبداد في القران الكريم

يحتوي القرآن الكريم على العديد من المواضيع التي تتعلق بمظاهر الاستبداد، ويشير القرآن إلى الأمور التي يجب أن يتجنبها المجتمع والأفراد حتى لا يقعوا في شرور الاستبداد. ومن بين مظاهر الاستبداد التي يشير إليها القرآن الكريم منها :الظلم: يشير القرآن الكريم إلى أن الظلم هو سبب رئيسي للاستبداد، وأن الله يحب العدل ويكره الظلم، ويجب على المجتمع أن يسعى جاهدًا لتحقيق العدل والمساواة بين الناس.و الاستعباد: ينص القرآن الكريم على أن الاستعباد من أعظم الظلم، وأن الله يحب الحرية ويكره الاستعباد، ويجب على المجتمع أن يعمل على إنهاء الاستعباد وتحرير المستضعفين.و التحكم في الحريات الشخصية: يحذر القرآن الكريم من التحكم في الحريات الشخصية للأفراد، ويشير إلى أن الله يحب الحرية والاختيار، وأن التدخل في الحريات الشخصية يمكن أن يؤدي إلى الاستبداد.و الفساد: يشير القرآن الكريم إلى أن الفساد في الأرض هو سبب للاستبداد، ويحث المجتمع على العمل على القضاء على الفساد وتحقيق العدالة.و تحريم الاعتداء على الناس: ينص القرآن الكريم على أن الاعتداء على الناس هو من أعظم المحرمات، وأن الله يحب السلام والتعايش الحضاري بين الناس، ويحذر من العنف والقتل والظلم والاستبداد. وبشكل عام، يحث القرآن الكريم المجتمع على تحقيق العدالة والمساواة بين الناس.

المطلب الثاني : استبداد فرعون من خلال القرآن الكريم

ذكر القرآن الكريم كثير من الصور الاستبداد ومنها, صورة فرعون في زمن موسى (عليه السلام)، وهنا لا نتحدث على سبيل الحصر انما نموذج على اعتبار هناك فرعون في كل زمان ومكان . ان القارئ يلاحظ في قوله تعالى : {وَقَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ}غافر ٢٩)) وقال تعالى: { إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ}القصص ٤ في النص الأول بيان استبداد فرعون ،. إن النصين كلاهما يجمعان على ان فرعون قد جمع كل صفات الحاكم المستبد الظالم، ففي الآية النص الأول نجد ان فرعون يوجه أفراد شعبه نحو رؤية معينة وهذه انعكاس ما يراه فرعون أنه الحق، فقال ابن الاثير في المختصر ((وقد كذب فرعون فإنه كان يتحقق صدق موسى عليه السلام فيما جاء به من الرسالة، { قال لقد علمت مآ أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر}، وقال الله تعالى: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا}النمل ١٤، فقوله: {مآ أريكم إلا ما أرى}غافر ٢٩ كذب فيه وافترى، وخان رعيته فغشهم وما نصحهم، وكذا قوله: ﴿ومآ أهديكم إلا سبيل الرشاد}غافر ٢٩ أي وما أدعوكم إلا إلى طريق الحق والصدق والرشد، وقد كذب أيضا في ذلك وإن كان قومه قد أطاعوه واتبعوه، قال الله تبارك وتعالى: {فاتبعوا أمر فرعون ومآ أمر فرعون برشيد}، وقال جلت عظمته: {وأضل فرعون قومه وما هدى}. وفي الحديث: «ما من إمام يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام)) (١٣)

يقول ابن كثير ((وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ أي: وما أدعوكم إلا طريق الحق والصدق والرشد، وقد كذب فرعون في ذلك وإن كان قومه قد أطاعوه في ذلك ، وقد وضح ذلك الكذب القرآن بقوله تعالى: {وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى}))(١٤).

وأما الآية الثانية فيذكر ابن كثير في تفسيرها ما معناه أن فرعون تكبر وتجبر وطغى وجعل من بني إسرائيل شيعاً أي أصنافاً صرف كل صنف منهم فيما يريده من أمور دولته، حيث كان يستعملهم في أخس الأعمال ويقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم(١٥).

وقد وصل فرعون الى اعلى مراتب الطغيان {فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى}{النازعات/٢٤} لما في هذه النظرة من العلو والقداسة بالنسبة لفرعون وأشار الإمام الصادق (عليه السلام) الى ((الدولة المستبدة والدولة غير المستبدة، وكان يرى تعارضاً بين حكومة العدل الالهي والعقل والشرع وبين الحكام المستبدين ودولهم ولا يمكن للدولة غير المستبدة ان تقوم وتنهض الا اذا قامت على العقلاء والفلاسفة والعلماء والفقهاء، وانطلق من نظرية ولاية الأمة على نفسها، على اعتبار أن الدولة مسألة شورية وانتخابية)) (١٦)

المطلب الثالث: دور اهل البيت (عليهم السلام) في مواجهة الاستبداد.

من وصايا الامام الصادق الصحابة حول بيان معالم شخصية الإسلامية الحاكمة ينقل لنا صاحب تحف العقول ((ياكم أن يبغي بعضكم على بعض ، فإنها ليست من خصال الصالحين فإنه من بغى صير الله بغيه على نفسه وصارت نصرة الله لمن بغي عليه ومن نصره الله غلب و أصاب الظفر من الله)) (١٧).

لذا نجد ان الإمام الصادق وضع مجموعة من المبادئ النظرية لمحاربة الاستبداد والمستبد، والتي يجب أن تأخذ قواعدها من كتاب الله والسنة ومن أقوال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الله، إذ وحد قوام دولة العدل الالهي التي تضمن جميع حقوق الشعب المسلم وحرياته ووظائف الحكام وصلاحياتهم وحدودها.

((لذا فلا بغي ولا ارهاب ولا الغاء للآخر ولا عدوان وتهجير وقتل على الهوية في الإسلام، فالإنسان المسلم هو الإنسان الاجتماعي الذي يدخل المجتمع وينطلق من خلال خطه الذي يبقيه في صراع مع نفسه وجهادها ومواجهة الأوضاع المضادة كلها. وعندما ندرس الإسلام جيداً ، نرى أنه يصلح لكل زمان ومكان، ولكن بشرط أن نفهم الإسلام فهماً حقيقياً، فليس من الضروري أن تكون الاجتهادات التي اجتهد فيها المجتهدون، والأفكار التي فكر فيها المفكرون فيما اجتهدوا فيه من كتاب الله وسنة رسوله أو فيما فكروا فيه من المفاهيم، أن تكون هي الحقيقة، فالحقيقة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، ولكن قد يخطئ المجتهدون في اجتهادهم، وقد ينحرف المفكرون في تفكيرهم، ولذلك، لا بد من أن نتابع التجربة تلو التجربة، والاجتهاد تلو الاجتهاد، فقد نكتشف خطأ هنا وانحرافاً هناك، لنستطيع في نهاية المطاف أن نصل إلى الحقيقة الصافية)) (١٨)

وينقل لنا صاحب الخلاف ((اني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)) (١٩)

وقد جاء التفسير الواضح في تسأل ((لأبي سعيد: من عترته ؟ قال : أهل بيته ,السؤال عن الثقلين يوم القيامة))(٢٠)

المطلب الرابع: دور الإمام الصادق في مقارعة الاستبداد العباسي ومنها:

أولاً: وقد انبرى الإمام الله للإجهاز على المشروع الاستكباري الذي قادته الدولة الأموية فكان من نتاجات الإمام حث المؤمنين على الوحدة والتآزر ونبذ أشكال التفرقة التي انتهجتها الدولة الإعرابية كما وصفها الجاحظ بقوله: ((الدولة الأموية عربية إعرابية)) (٢١) كونها اعتمدت على العصبية القبلية في تدعيم أركانها والتفرقة بين أبناء الشعب المسلم فضلاً عن ذلك نلمس مواقف الإمام الله في أيام خلافة بني العباس وعلى الرغم من الآلام والمكاره التي تلقاها الإمام من المنصور الدوانيقي إلا أنه كان أشد جاشاً وأصبر بأساً تجاه تلك الأزمات والدليل على ذلك ما ذكره ابن طاووس: ((إن المنصور دعا الإمام الصادق الله سبع مرات كان بعضها في المدينة والربذة حين حج المنصور وبعضها يرسل إليه إلى بغداد وما كان يرسل عليه مرة إلا ويريد قتله))(٢٢).

ثانياً: قال ابن حمدون: كتب المنصور إلى جعفر بن محمد الصادق: ((لم لا تخشانا كما يخشانا الناس؟ فأجابه ليس لنا ما تخافك من أجله، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له، ولا أنت في نعمة فنهنئك ولا تراها نقمة فنعزيك بها، فما نصنع عندك؟))(٢٣).

قال: فرد عليه المنصور بقوله: ((تصحبنا؛ لتنصحنا))(٢٤)، فأجابه : ((من أراد الدنيا لا ينصحك، ومن أراد الآخرة لا يصحبك)) (٢٥).

فأجاب المنصور: ((والله لقد ميز عندي منازل الناس من يريد الدنيا، ممن يريد الآخرة وإنه ممن يريد الآخرة))(٢٦).

وان الرأي السائد في مدرسة الجمهور الاطاعة ام ولي المسلمين واجب وان الخروج على امره عصيان أعلام الدين للديلمي : عن النبي (صلى الله عليه وآله) ، أنه قال : الحزم أن تستشير ذا الرأي ، وتطيع أمره)) (٢٧)

على خلاف مدرسة اهل البيت (عليهم السلام) ان الخروج على الحاكم واجب ان كان ظالم مستبد فقال الامام الصادق (عليه السلام) وقال الصادق (عليه السلام) : المستبد برأيه ، موقوف على مداحض الزلل)) (٢٨)

ودور الامام اصادق (عليه السلام) هو دور جده(صلى الله عليه وآله) . حيث نهى عن الاستداد وانه النتيجة الحتمية الى الهلاك لما ((نبّه عليه السّلام على أنّ الرّاكن إلى جهالته والمنقاد إلى هواه المستبدّ برأيه الزاعم لنفسه الاستقلال مقيم على باطل ونازل بمنزل في معرض السّقوط والتهدّم ، وكان الباطل مستلزم الهلاك الدّائم)) (٢٩)

ونبه النبي أيضا الى الاستشارة الى ذات العقل وليس المستبد حيث ان ((النبي (صلى الله عليه وآله) . الحزم أن تستشير ذا الرأي وتطيع أمره وقال (صلى الله عليه وآله). إذا أشار عليك العاقل الناصح فاقبل وإياك والخلاف عليهم فان فيه الهلاك وقال الصادق عليه السلام المستبد برأيه موقوف على مداحض الزلل وقال عليه السلام لا تشر على المستبد برأيه)) (٣٠).

وجاء عن امير المؤمنين (عليه السلام) النهي أيضا عن الاستبداد فقال : ((الإمام علي (عليه السلام) : المستبد متهور في الخطأ والغلط)) (٣١)

المبحث الثاني:

المطلب الأول: العوامل التي يقوم عليها الاستبداد:.

الاستبداد هو نظام حكم يتم فيه احتكار السلطة بشكل مطلق من قبل فرد أو مجموعة من الأفراد، وتكون هذه السلطة بلا قيود أو توازنات، وتمارس بشكل انتهازي وتعسفي على الناس. وتعد العوامل التي يقوم عليها الاستبداد متنوعة ومعقدة واذا خصصنا الاستبداد في السياسة او بالاستبداد السياسي هو نظام سياسي يتم فيه تقييد الحريات الفردية وتكثيف السلطة في يد شخص واحد أو جماعة صغيرة من الأشخاص. الاستبداد هو نظام حكم يمارسه شخص واحد أو مجموعة صغيرة من الأشخاص دون مراعاة إرادة الشعب، ويعتمد على عدد من

يمكن أن تكون هناك عدة عوامل تقوم عليها الاستبداد، ومن بين هذه العوامل:

١- العنف والترهيب: يمكن استخدام القوة والعنف لقمع المعارضة والحد من حرية التعبير والتجمع، مما يؤدي إلى خوف الناس وعدم محاولتهم التمرد ضد الحاكم.

٢- الفقر والجوع: قد يستغل الحاكمون الفقر والجوع والعوز للناس للسيطرة عليهم، حيث يتم تزويدهم بالموارد الضرورية للحياة وفي المقابل يجبرونهم على الالتزام بالقوانين الحاكمة.

٣- التحيز الديني أو العرقي: يمكن استخدام الفروق الدينية أو العرقية لتقوية سلطة الحاكم وضرب المعارضة ومناهضي النظام.

٤- الإعلام المتحكم: يتحكم النظام الاستبدادي في وسائل الإعلام والتأثير على الرأي العام بشكل كبير، وهذا يمنحهم القدرة على تشكيل الرأي العام والسيطرة على المعلومات التي يحصل عليها الناس.

٥- الانعزالية: يتميز النظام الاستبدادي بالانعزالية عن العالم الخارجي، حيث يحاول الحاكمون تقييد التواصل والتعاون مع الدول الأخرى، وبالتالي يتم الحفاظ على السيطرة الكاملة على الشعب والبلاد.

٦- الثروة والنفوذ: يستخدم الحاكمون الثروة والنفوذ للسيطرة على السلطة والحفاظ عليها، ويمكنهم استخدام هذه الموارد لتأمين ولاء الناس لهم.

المطلب الثاني:

الوقاية من الاستكبار:

كما تقدم الحديث عن الاستبداد وقلنا انه لاستبداد هو نظام حكم يقوم على السلطة المطلقة لشخص أو جماعة دون وجود أي نوع من الرقابة أو التوازن في السلطة. ويمكن أن يشكل الاستبداد خطرًا كبيرًا على المجتمع والأفراد على العديد من النحو، منها: قمع الحريات الأساسية: يحكم الاستبداد عادةً بواسطة القوة والتهديد، مما يؤدي إلى قمع الحريات الأساسية للأفراد مثل حرية التعبير والتجمع والتنقل وغيرها. عدم توفير العدالة: يتميز النظام الاستبدادي بعدم توفير العدالة والمساواة في الفرص والحقوق، مما يؤدي إلى انتشار الفساد والظلم في المجتمع. الاستغلال الاقتصادي يستخدم الحكام الاستبداديون السلطة لاستغلال الموارد الاقتصادية وتحقيق مكاسب شخصية على حساب الشعب. الحروب والنزاعات: يمكن أن يؤدي الاستبداد إلى النزاعات والحروب بسبب القمع والظلم، ويمكن أن يؤثر على الاستقرار السياسي والاجتماعي في المنطقة. عدم الاستقرار السياسي: يمكن أن يؤدي الاستبداد إلى عدم الاستقرار السياسي وتفكك المجتمعات، مما يؤثر على الاقتصاد والتنمية في البلاد.

بشكل عام، فإن الاستبداد يمثل خطرًا كبيرًا على الحريات الأساسية والعدالة والاستقرار السياسي والاقتصادي، ويؤثر

على حياة الأفراد والمجتمعات بشكل سلبي.

ذكر الإمام أمير المؤمنين علي ((المشاورة كعنصر مضاد للاستبداد، قبل قرون من طرحها في الحكومات الديمقراطية للوقاية من الاستبداد. وحذر الذين لا يستهدون بهذه الظاهرة الصائنة من الوقوع في فخ الاستبداد والهلاك)) (٣٢). وعن امير المتقين ايضا قال ((قال علي عليه السّلام : من استبدّ برأيه هلك و من شاور الرجال شاركها في عقولها)) (٣٣).

((من الطريف أن نعرف أنّ هذا الكلام مستلهم من القرآن الكريم والمبادئ الإسلامية في هداية المجتمع وقيادته.

يرى القرآن الكريم أن الإدارة الصحيحة للمجتمع تحتاج إلى المشاورة وتواصل الأفكار. وفي سورة منه مسماة بالشورى – لتأكيدها ضرورة الشورى – يصرح في بيانه الخصائص المجتمع الإسلامي قائلاً: {وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ } الشورى: ٣٨. أي: إن إحدى مواصفات المجتمع الإسلامي هي أن شؤونه تُدار على أساس الشورى وتواصل الأفكار.

ونلحظ في آية أخرى أن الله تعالى يأمر نبيه له مشاورة الناس ، قال سبحانه : {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ }آل عمران: ١٥٩

من البديهي أنّ الذي أُمِرَ به النبي أن يشاور فيه هو الأعمال الإدارية للمجتمع. لا الأحكام التي كان مكلفاً بتبليغها عن طريق الوحي، وسيرته تدعم هذه الحقيقة.

والنقطة الجديرة بالتأمّل هي أنّ القرآن الكريم عندما يأمر كبير القادة الربانيين – وهو النبي – بالمشاورة، فما بالك بالآخرين)) (٣٤)

وعلى _حد اطلاعي_ ارى كباحث هنالك جملة من الخطوات من الممكن اتباعها لتخلص من هذا الداء الخطير وبامكاني اني اجملها في خمس مواضع ومنها:

الوقاية من الاستبداد تشمل العديد من الخطوات والإجراءات التي يمكن اتخاذها على المستوى الفردي والجماعي والحكومي، ومن أهم هذه الإجراءات:

الموضع الاول التوعية والتثقيف: يمكن تعزيز الوعي والمعرفة بالمخاطر الناجمة عن الاستبداد وأثرها السلبي على المجتمع والأفراد، وذلك من خلال التثقيف في المدارس ووسائل الإعلام والمنظمات الحقوقية.

الموضع الثاني تعزيز الحوكمة الرشيدة: يمكن تعزيز الحوكمة الرشيدة والشفافة وتطوير النظم الديمقراطية والحكم الرشيد لتقليل خطر الاستبداد.

الموضع الثالث تشجيع الحوار والتعاون: يمكن تعزيز الحوار والتعاون بين المجتمع المدني والحكومة لتحقيق العدالة والمساواة وتفعيل المشاركة السياسية للمواطنين.

الموضع الرابع توفير فرص العمل والتنمية: يمكن تعزيز فرص العمل والتنمية وتحسين مستوى المعيشة والتعليم والصحة، وذلك لتحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية والتخفيف من أسباب الاستبداد.

الموضع الخامس مكافحة الفساد: يمكن مكافحة الفساد وتحسين نظام العدالة وتطبيق القانون بشكل فعال للحد من التعدي على حقوق المواطنين والممارسات الفاسدة.

بشكل عام، يمكن تحقيق الوقاية من الاستبداد عن طريق تعزيز العدالة والمساواة والشفافية وتفعيل دور المجتمع المدني وتحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية، وبشكل عام ان الاستبداد ((يستهدف أهم مبادئ القيادة ، أي أفكارها وتوجهاتها . ومن هنا ، يعد من أخطر آفات القيادة . ترى الأحاديث والروايات أن الاستبداد يفضي إلى انزلاق الفكر وانهيار الدولة

الإسلامية ودمار الحكومة . تحتاج الإدارة الصحيحة – من المنظار القرآني – إلى المشورة وتواصل الآراء ، وقد أمر الله تعالى نبيه(صلى الله عليه وآله). أن يشاور الناس . الشورى اسم لسورة من سور القرآن الكريم ، وذكرت المشورة فيها كإحدى خصائص المجتمع الإسلامي . طرح الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) الشورى وقاية من الاستبداد ، مستلهما ذلك من تعاليم القرآن الكريم ، قبل أن تطرحها الحكومات الديمقراطية . الله تعالى وحده لا يحتاج إلى مشاور . وتدل

دراسة السيرة الإدارية للنبي(صلى الله عليه وآله)، وأوصيائه (عليهم السلام) على أنهم كانوا يعتقدون بمكانة خاصة للمشورة ، حتى لو كانت مشاورة العدو ! المدير الكفوء هو الذي يحافظ على استقلاله عمليا ، في الوقت الذي ينأى فيه عن الاستبداد ، ويقدر آراء الآخرين . وعلى المشاور أن لا ينتظر منه الطاعة . استشارة من يستغلون المشورة لمطامعهم السياسية مضرة للقائد ، لذا لا يحق لنا أن نعد رفضه لهذا اللون من المشاورات نابعا من الاستبداد . تلقي رأي المشاور قبل اتخاذ القرار مفيد للقائد ، أما بعد اتخاذه فمضر له ، لأنه يؤدي إلى تزعزع القيادة ، إلا في الحالات التي يستبين فيها خطأ القرار))(٣٥)

المطلب الثالث:

الالفاظ المقابلة للاستبداد:

هناك العديد من الكلمات والعبارات المقابلة لمفهوم الاستبداد، ومنها:

الحرية والعدالة: فالحرية والعدالة تعني حكم القانون وحماية حقوق الإنسان، وهي القيم الأساسية لنظام ديمقراطي يحترم حرية الفرد.

الشفافية والمساءلة: حيث تتضمن هاتان القيمتان فكرة ضرورة الحكومة والسلطات المختلفة للتعامل بشفافية في الأمور التي تهم المواطنين، والتحمل المسؤولية عن أفعالها.

التعددية والتسامح: حيث يعني هذا الإجماع على وجود آراء وثقافات متعددة، وعدم الحكم على الآخرين بناءً على اختلافاتهم.

الديمقراطية والحوار: ففي الديمقراطية، يشارك المواطنون في صنع القرارات السياسية، ويتم الوصول إليها بالحوار والنقاش الهادف.

المساواة وحقوق الإنسان: حيث يتم حماية حقوق الإنسان بغض النظر عن الدين أو العرق أو الجنس أو الجنسية، ويتم التعامل مع الجميع بشكل متساوٍ دون تمييز.

الحكم الرشيد: حيث يعني هذا الإدارة الحكيمة والتي تهتم بمصلحة الشعب، وتتخذ القرارات بناءً على مصلحة الجميع دون تحيز لفئة معينة. ((الانسياق لآراء الآخرين يقابل الانسياق لآراء الآخرين الاستبداد . ويعني : الخضوع لسيطرة الآخرين فكريا وعمليا . إن المستبد لا يحترم رأي الآخرين ، والمنساق لا يرى أن لرأيه من قيمة .

ويرى الإسلام أن الاستبداد والانسياق لآراء الآخرين كليهما من آفات القيادة ، فلا المستبد يستطيع أن يقود المجتمع الإسلامي ولا المنساق .

إن إحدى المؤاخذات التي سجلها أمير المؤمنين (عليه السلام) على عثمان هي توجيه الآخرين له ، وسيطرة بعض الأشخاص عليه كمروان بن الحكم ذي السابقة السيئة ، وسوقهم إياه أنى شاؤوا . وعندما ثار الناس عليه طلبوا من الإمام أن يتحدث معه ، ويوضح له نقاط ضعفه نيابة عنهم)) (٣٦)

وعن امير المؤمنين (عليه السلام) قال ((وإنّي سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم يقول : يؤتى يوم القيمة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في نار جهنّم فيدور فيها كما تدور الرّحى ثمّ يرتبط في قعرها . وإنّي أنشدك أن تكون إمام هذه الامّة المقتول فإنه كان يقال : يقتل في هذه الامّة إمام يفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيمة ويلبّس أمورها عليها ويبثّ الفتن فيها فلا يبصرون الحقّ من الباطل ، يموجون فيها موجا ، ويمرجون فيها مرجا ، فلا تكوننّ لمروان سيّقة يسوقك حيث شاء بعد جلال السّنّ وتقضّي العمر . فقال له عثمان :كلّم النّاس في أن يؤجّلوني حتّى أخرج إليهم من مظالمهم ، فقال عليه السّلام : ما كان بالمدينة فلا أجل فيه ، وما غاب فأجله وصول أمرك إليه)) (٣٧)

وقال ايضا في موضع اخر ((فلا تكونن لمروان سيقة يسوقك حيث شاء بعد جلال السن وتقضي العمر)) (٣٨)

وان ((آفة الانسياق معقدة وخطرة إلى درجة أن القرآن الكريم يحذر النبي (صلى الله عليه وآله) منها، ويؤكد أن فضل الله ورحمته هما اللذان يحولان دون انسياقه لآراء الآخرين))(٣٩).

قال تعالى : {وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا} النساء: ١١٣ ((ومهما كان

شأن نزول الآية الكريمة فهي تشعر بوضوح أن مؤامرة كانت مبيتة . وكان هدف المتآمرين النفوذ في رأي النبي وحمله على اتخاذ قرار خاطئ ، بيد أن فضل الله ورحمته حالا دون ذلك . النقطة الأدق – من منظار القرآن الكريم – هي أن آفة الانسياق لآراء الآخرين خطرة إلى درجة أنها إذا لم يوق منها فقد تبلغ حتى تحريف الوحي الإلهي)) (٤٠)

قال تعالى : { وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً {الإسراء/٧٣} وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً } {الإسراء/٧٤} الإسراء: ٧٣ – ٧٤

وخلاصة القول في الالفاظ المقابلة في الاستبداد ان ((الاستبداد والانسياق لآراء الآخرين – من منظار الإسلام – آفتان من آفات القيادة . فلا المستبد يستطيع أن يكون قائدا للمجتمع الإسلامي ، ولا المنساق فكريا لآراء غيره . آفة الانسياق معقدة وخطرة إلى درجة أنها إذا لم تضبط فلعلها تستتبع تحريف الوحي الإلهي . وينبه القرآن الكريم رسول الله(صلى الله عليه وآله)على هذا الأمر ، ويذكره بأن الذي يصونه من هذه الآفة هو فضل الله ورحمته .

نستنتج مما أوردناه حول خطر الاستبداد والانسياق لآراء الآخرين ما يأتي :

أ – الاستبداد والانسياق لآراء الآخرين آفتان ، والاستقلال ضروري للقائد والإداري .

ب – الوصايا القرآنية المتوالية في التحذير من الانسياق لآراء الآخرين تترجم جدية هذا الخطر الذي يهدد قادة المجتمعات الإسلامية .

ج – الاستمداد من الله تعالى للوقاية من آفة الانسياق ضروري ، مضافا إلى وجود الرقابة اللازمة)) (٤١).

المطلب الرابع:

مصداق الاستبداد : الاستكبار

الاستكبار هو الشعور بالغرور والتعالي على الآخرين، وقد ظهر هذا السلوك في الكثير من الأحيان في التاريخ الإنساني. فقد قام الاستكبار بمضايقة الأنبياء والمضطهدين والمستضعفين في مختلف الأديان والمجتمعات، وهو يعتبر عيبًا وخطأً أخلاقيًا بالغ الخطورة.

في الإسلام، يتم التحذير من الاستكبار باعتباره من الصفات السيئة التي تؤدي إلى الفساد والانحراف عن الحق، وتمنع الشخص من الوصول إلى الحقيقة والعدالة. والله سبحانه وتعالى يعاقب المستكبرين في الدنيا والآخرة، وذلك لأنهم يرفضون قبول الحق ويتجاهلون دعوات الأنبياء والمرسلين.

ومن الأمثلة الواضحة على الاستكبار في التاريخ الإنساني هو تعرض الفراعنة المصريين لنعمة الله من خلال إرسال الأنبياء إليهم، ولكنهم رفضوا الإيمان والتوبة، واستمروا في الكفر والجحود، مما أدى إلى عقاب الله العظيم.

وفي النهاية، فالاستكبار ضد الأنبياء والمضطهدين والمستضعفين هو عيب أخلاقي كبير، وعلى الإنسان أن يحاول التخلص من هذه الصفة السيئة، وأن يسعى إلى قبول الحق والعدالة والتوبة، والتمسك بالقيم الإنسانية السامية التي ترتكز على المحبة والتسامح والاحترام المتبادل

ومنها المصاديق الكثير ومن اهمها(٤٢):

أولاً: استكبار ضد الأنبياء والمضطهدين والمستضعفين: مجموعة من الرجال المستكبرين ضد جماهير الشعب و إخوانه المواطنين، و بسبب تفوقهم و تحت قيادة الآخرين، فإنهم ليسوا على استعداد لمنحهم حقهم، لسماع أقوالهم وتكريم حريتهم. على الرغم من أنهم يقبلون الله والنبي، إلا أن هؤلاء الممارسين في الممارسة العملية، يعصون على وصايا الله والنبي، وليسوا موالين للوصايا العملية. المجموعة الثانية في مرحلة أعلى وتفخر بالأنبياء، وهم يعتبرون أنفسهم متفوقين عليهم، و يرفضون تحويل خطبهم إلى مكانهم الصحيح ويصبحون تابعين لهم.

ثانياً: استكبار عبادة و هو نوعان: أ: استكبار من العبادة وإعلان التواضع الله، أولئك الذين لا يرغبون التواضع و الطاعة الله. ب: استكبار الطاعة لله . و هو اهل الطاعة الله. لكن هذه الطاعة لا تتم حتى تتعارض مع كرامتهم، وعندما لا يعرفون الله وفقا لكرامتهم و رتبتهم، فإنهم يتخلون عن الطاعة و يدلون بتصريحات عظيمة. كان استكبار الشيطان من هذا النوع.

ثالثاً: استكبار الاقتصادية: أولئك الذين مع نهب ممتلكات الناس و تراكم الثروة، يصلون على نطاق واسع و يصبحون

قطبا اقتصاديًا ويفصلون الجماهير، هم عصابات اقتصادية. القارون هو مثال بارز للاقتصادي يصور القرآن استكبار الإذلال الجماهير الناس من القارون في الآيات ٧٦-٨٣ من سورة القصاص.

رابعاً: استكبار السياسية: أولئك الذين يتولون حكم المجتمع وإدارته ويحكمون الناس يستعبدونهم، وعلى عكس مبادئ المثقفين والمفكرين والدينيين، يقودونهم إلى الشعب. كان استكبار فرعون ونمرود وجميع حكام الظالمين من هذا النوع . التاريخ. عبر

خامساً: استكبار علمية : أولئك الذين يأتون إلى الدرجات العلمية، وهذا المستوى العلمي فيها يخلق الفخر و يضعهم في الإستكبار ، لديهم مثل هذا الشكل من استكبار . مثاله هو بلعم بن باعورا الذي يعبر عنه في سورة الاعراف قال تعالى : {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ}الأعراف: ١٧٥

الخاتمة :

توصل البحث في نهاية المطاف الى عدة نقاط هي:

١- الفساد: حيث يتم التغاضي عن ممارسات الفاسدين وعدم محاسبتهم على جرائمهم، ويتم تفريط بالمال العام والتلاعب بالموارد الاقتصادية.

٢- القمع: حيث يتم استخدام العنف والترهيب والتعذيب والاعتقال التعسفي لترويع الناس وتقمع حريتهم وحقوقهم.

٣- التحيز العرقي والديني: حيث يتم تحديد الأفراد وفقًا للانتماء العرقي أو الديني، وتمييزهم ومعاملتهم بشكل غير عادل.

٤- الإعلام المسيطر: حيث يتم استخدام وسائل الإعلام لنشر الأفكار والأخبار التي تصب في مصلحة الحاكم وتسمح له بالتحكم في الرأي العام.

٥- التعليم المتحيز: حيث يتم التحكم في التعليم والتعليم المتحيز لصالح الحاكم وترويج الأفكار الخاطئة والتشويه للتاريخ.

٦- النظام القانوني الجائر: حيث يتم تشريع القوانين التي تتيح للحاكم تمرير قراراته بلا معارضة، والتلاعب بالقضاء لتأكيد قراراته.

٧- الفقر والتخلف الاقتصادي: حيث يتم استغلال الفقر والجهل للتحكم في الناس وتجميع الثروات والسلطة في يد الحاكم.

٨- الجهل: فالجهل يجعل الناس يقبلون بالظلم والاستبداد بدلاً من العدل والحرية، ولذلك يحث القرآن الناس على البحث عن العلم والمعرفة.

٩- الطمع: فالطمع في السلطة والثروة يجعل الناس يتقبلون الاستبداد ويصبحون عبيداً للحاكم الظالم.

١٠- العنجهية: فالعنجهية والتكبر يمكن أن تؤدي إلى اضطهاد الناس وسيطرة الأقوياء على الأضعف.

١١- الظلم: فالظلم والتمييز يؤدي إلى إرهاب الناس وإجبارهم على الطاعة العمياء للحاكم الظالم.

١٢- الإفراط في الحكم: فالإفراط في الحكم يؤدي إلى الاستبداد وسيطرة الحاكم على الناس بدلاً من خدمتهم.

١٣- يشدد القرآن على أهمية العدل والحرية والمساواة في المجتمع، ويحث الناس على محاربة الظلم والاستبداد وإزاحة الحكام الظالمين من السلطة، ويعد القرآن الكريم دليلاً على أن الاستبداد ليس مقبولاً في الإسلام

١٤- الانتماء القبلي أو العرقي: فهذا النوع من الانتماء يمكن أن يساهم في تكوين نمط من الاستبداد والتعصب، ويمكن للناس أن يتعرضوا للظلم والاستبداد بسبب تلك الانتماءات

١٥- التخلف الاقتصادي: ففي البلدان التي يعاني فيها الناس من فقر شديد وعدم توافر الحاجات الأساسية، يمكن للأشخاص الذين يتمتعون بالسلطة والنفوذ بتوظيف تلك الحاجات لتحقيق مصالحهم الخاصة وتفرض الاستبداد.

١٦- العنف: فالعنف والترهيب والقمع يمكن أن يساعد على تحقيق الاستبداد والسيطرة على الناس.

١٧- الحكومات الاستبدادية: فالنظام الاستبدادي يمكن أن يؤدي إلى سلطة غير مقيدة واستبدادية يتم تمريرها إلى الشعب، ويمكن أن يشجع الحاكمون على مزيد من الاستبداد.

كل هذه العوامل مجتمعة هي من تؤدي الى الاستبداد
واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

الهوامش:

١ – مجالات الاستبداد الإيديولوجي من وجهة نظر القرآن ونهج البلاغة : علي محمد انصاري فرد, بجامعة آزاد الإسلامية – خرم آباد – ايران , ١٤٥ .

٢ – معجم لغة الفقهاء: محمد رواس قلعجي و حامد صادق قنيبي, دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع, الطبعة: الثانية،(١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م), ٣٤٣.

٣ – موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم : محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت: بعد ١١٥٨هـ), تحقيق: د. علي دحروج, مكتبة لبنان ناشرون , بيروت, لبان , ط١ , (١٩٩٦م).٢/ ١١٦٠

٤ – لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى, دار صادر , بيروت ط٣, (١٤١٤ هـ) ,(د.ح). ٦٤/٢.

٥ – لسان العرب: ابن منظور, ٨١/٣.

٦ – القاموس المحيط , مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) , تحقيق انيس محمد الشافعي وزكريا جابر أحمد , دار الحديث ، القاهرة, مصر. ٣٤٢/١.

٧ – طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد: عبد الرحمن بن أحمد بن مسعود الكَوَاكِبِي يلقب بالسيد الفراتي (المتوفى: ١٣٢٠هـ), المطبعة العصرية – حلب, ١٧.

٨ – معجم ألفاظ الفقه الجعفري: الدكتور أحمد فتح الله, ط١ , (١٤١٥ – ١٩٩٥ م), ٣٢٨.

٩ – الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة: محمد الغروي, ط٣ ,(١٤١٥هـ), مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة١٥٤.

١٠ – الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط, ١٩٧٩ , ١٦٦ /١

١١ – طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد: عبد الرحمن بن أحمد بن مسعود الكَوَاكِبِي يلقب بالسيد الفراتي (ت: ١٣٢٠هـ), المطبعة العصرية – حلب,٢٤.

١٢ – شرح نهج البلاغة: ابن ميثم البحراني(ت : ٦٧٩هـ), تحقيق : عني بتصحيحه عدة من الأفاضل وقوبل بعدة نسخ موثوق بها , ط١ , مركز النشر مكتب الاعلام الاسلامي – الحوزة العلمية – قم – ايران, ١٣٦/٣ .

١٣ – مختصر تفسير ابن كثير:(اختصار وتحقيق) محمد علي الصابوني, دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان
ط٧، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨١ م , ٢/ ٢٤٢–٢٤٣

١٤ – مختصر تفسير ابن كثير:(اختصار وتحقيق) محمد علي الصابوني, دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان
ط٧، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨١ م , ٢/ ٢٤٤ .

١٥ – ينظر: مختصر تفسير ابن كثير:(اختصار وتحقيق) محمد علي الصابوني, دار القرآن الكريم، بيروت, لبنان
ط٧، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨١ م , ٢/٥

١٦ – الامام الصادق (عليه السلام) : محمد جواد مغنية , ٩٠ .

١٧ – تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) : ابن شعبة الحراني, تحقيق تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري, ط٢ , (١٤٠٤ هـ), مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة,٣١٥.

١٨ – الطائفية في العراق مقاربات في الجذور والسبل الخروج من المأزق: نخبة باحثين, دار الحضارة للطباعة والنشر ٢٠٠٨م , ٦٨.

١٩ – الخلاف: الشيخ الطوسي(ت : ٤٦٠ هـ), تحقيق : جماعة من المحققين, (١٤٠٧هـ), مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة,٢٧.

٢٠ – الخصال: الشيخ الصدوق, (ت: ٣٨١هـ), تحقيق : تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري, (١٤٠٣) مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة, ٦٥.

٢١ – الجاحظ البيان والتبيين تحقيق فوزي عطوي، منشورات دار السعادة القاهرية، ط٢، القاهرة ١٩٧٦م. ٢٠٠/١.

٢٢ – بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار : العلامة محمد باقر المجلسي: ، منشورات دار احياء الكتب الإسلامية، مصر ١٨٥/٤٧.

٢٣ – المصدر نفسه . ١٨٥/٤٧.

٢٤ – المصدر نفسه. ١٨٦/٤٧.

٢٥ – بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار : العلامة محمد باقر المجلسي: ، منشورات دار احياء الكتب الإسلامية، مصر. ١٨٦/٤٧.

٢٦ – المصدر نفسه. ١٨٦/٤٧.

٢٧ – مستدرك الوسائل: ميرزا حسين النوري الطبرسي, (ت : ١٣٢٠), تحقيق : مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث, ط٢ ,(

١٤٠٨ – ١٩٨٨ م), مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث – بيروت – لبنان, ٣٤٢/٨.
٢٨– مستدرك الوسائل: ميرزا حسين النوري الطبرسي, (ت : ١٣٢٠), تحقيق : مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث, ط٢,(١٤٠٨ – ١٩٨٨ م), مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث – بيروت – لبنان, ٣٤٢/٨. و مستدرك سفينة البحار: الشيخ علي النمازي الشاهرودي, (ت : ١٤٠٥هـ), تحقيق : تحقيق وتصحيح : الشيخ حسن بن علي النمازي(١٤١٩), مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة, ١٦/٤.
٢٩– منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: حبيب الله الهاشمي الخوئي(ت : ١٣٢٤هـ), تحقيق : سيد إبراهيم الميانجي, ط٤ , مطبعة الاسلامية بطهران, بنياد فرهنگ امام المهدي (عج)،٢٤٩/٧.
٣٠– جامع أحاديث الشيعة: السيد البروجردي, (ت: ١٣٨٣), (١٤١٠ هـ), منشورات مدينة العلم – آية الله العظمى الخوئي , قم ، ايران,٧٩/١٦.
٣١– العلم والحكمة في الكتاب والسنة: محمد الريشهري, تحقيق : مؤسسة دار الحديث الثقافية, ط١ , مؤسسة دار الحديث الثقافية , قم, ايران,١٧٣.
٣٢– القيادة في الإسلام : محمّد الرَّيْشهري ، تعريب علي الأسدي . ايران, قم, دار الحديث . (١٣٧٥هـ) , ٣١٦.
٣٣– مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام: السيد عبد الأعلى السبزواري, (ت : ١٤١٤هـ), ط٤ , (١٤١٦هـ), جاويد, مكتب آية الله العظمى السيد السبزواري (قدس),٣٠٩/١٥. و داية الأمة إلى أحكام الأئمة (عليهم السلام): الحر العاملي, (ت : ١١٠٤هـ), ط١ , (١٤١٤هـ), ١٤١/٥.
٣٤– القيادة في الإسلام: محمد الريشهري, تحقيق : تعريب : علي الأسدي, ط١ , دار الحديث, مؤسسة دار الحديث الثقافية – قم – ايران, ٣١٧.
٣٥– القيادة في الإسلام: محمد الريشهري, تحقيق : تعريب : علي الأسدي, ط١ , دار الحديث, مؤسسة دار الحديث الثقافية – قم – ايران, ٣٢٦.
٣٦– القيادة في الإسلام: محمد الريشهري, تحقيق : تعريب : علي الأسدي, ط١ , دار الحديث, مؤسسة دار الحديث الثقافية – قم – ايران, ٣٢٧.
٣٧– منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: حبيب الله الهاشمي الخوئي (ت: ١٣٢٤هـ), تحقيق : سيد إبراهيم الميانجي, ط٤ , مطبعة الاسلامية بطهران, بنياد فرهنگ امام المهدي (عج) ٣٠/١٠.
٣٨– نهج البلاغة: خطب الإمام علي (عليه السلام) , (ت : ٤٠هـ), تحقيق : شرح : الشيخ محمد عبده, ط١ , (١٤١٢ هـ), النهضة
٣٩– قم, دار الذخائر – قم – ايران٢/٦٩. و بحار الأنوار: العلامة المجلسي (ت ١١١١هـ), تحقيق : الشيخ عبد الزهراء العلوي,(١٤٠٣ – ١٩٨٣ م), دار الرضا – بيروت – لبنان,٤٨٩/٣١.
٤٠– القيادة في الإسلام: محمد الريشهري, تحقيق : تعريب : علي الأسدي, ط١ , دار الحديث, مؤسسة دار الحديث الثقافية – قم – ايران, ٣٢٧.
٤١– القيادة في الإسلام: محمد الريشهري, تحقيق : تعريب : علي الأسدي, ط١ , دار الحديث, مؤسسة دار الحديث الثقافية – قم – ايران, ٣٣١.
٤٢– مجالات الاستبداد الإيديولوجي من وجهة نظر القرآن ونهج البلاغة : علي محمد انصاري فرد, بجامعة آزاد الإسلامية – خرم آباد – ايران , ١٥١–١٥٢.

المصادر :

القرآن الكريم.
١ . الامام الصادق (عليه السلام) : محمد جواد مغنية, انتشارات قدس محمدي, ايران , قم.
٢ . الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة: محمد الغروي, ط٣,(١٤١٥هـ), مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة .
٣ . بحار الأنوار: العلامة المجلسي (ت ١١١١هـ), تحقيق : الشيخ عبد الزهراء العلوي,(١٤٠٣ – ١٩٨٣ م), دار الرضا – بيروت – لبنان.
٤ . تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) : ابن شعبة الحراني, تحقيق تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري, ط٢ , (١٤٠٤ هـ), مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
٥ . الجاحظ البيان والتبيين تحقيق فوزي عطوي، منشورات دار السعادة القاهرية، ط٢، القاهرة ١٩٧٦م, ٢٠٠ .
٦ . جامع أحاديث الشيعة: السيد البروجردي, (ت: ١٣٨٣), (١٤١٠ هـ), منشورات مدينة العلم – آية الله العظمى الخوئي , قم , ايران.

٧. الخصال: الشيخ الصدوق, (ت: ٣٨١هـ), تحقيق : تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري, (١٤٠٣) مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
٨. الخلاف: الشيخ الطوسي(ت : ٤٦٠ هـ), تحقيق : جماعة من المحققين, (١٤٠٧هـ), مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
٩. داية الأمة إلى أحكام الأئمة (عليهم السلام) الحر العاملي, (ت : ١١٠٤هـ), ط١, (١٤١٤هـ).
١٠. شرح نهج البلاغة: ابن ميثم البحراني(ت : ٦٧٩هـ), تحقيق : عني بتصحيحه عدة من الأفاضل وقوبل بعدة نسخ موثوق بها , ط١, مركز النشر مكتب الاعلام الاسلامي – الحوزة العلمية – قم – ايران.
١١. الطائفية في العراق مقاربات في الجذور والسبل الخروج من المأزق, دار الحضارة للطباعة والنشر(٢٠٠٨م).
١٢. طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد: عبد الرحمن بن أحمد بن مسعود الكَوَاكِبي يلقب بالسيد الفراتي (المتوفى: ١٣٢٠هـ), المطبعة العصرية – حلب.
١٣. طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد: عبد الرحمن بن أحمد بن مسعود الكَوَاكِبي يلقب بالسيد الفراتي (ت: ١٣٢٠هـ), المطبعة العصرية – حلب.
١٤. العلم والحكمة في الكتاب والسنة: محمد الريشهري, تحقيق : مؤسسة دار الحديث الثقافية, ط١, مؤسسة دار الحديث الثقافية , قم, ايران.
١٥. القاموس المحيط , مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) , تحقيق انيس محمد الشافعي وزكريا جابر أحمد , دار الحديث , القاهرة, مصر .
١٦. القيادة في الإسلام: محمد الريشهري, تحقيق : تعريب : علي الأسدي, ط١, دار الحديث, مؤسسة دار الحديث الثقافية – قم – ايران,(١٣٧٥هـ).
١٧. لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى, دار صادر , بيروت ط٣, (١٤١٤ هـ) ,(د.ح).
١٨. مجالات الاستبداد الإيديولوجي من وجهة نظر القرآن ونهج البلاغة : علي محمد انصاري فرد, بجامعة آزاد الإسلامية – خرم آباد – ايران .
١٩. مختصر تفسير ابن كثير,اختصار وتحقيق, محمد علي الصابوني, دار القرآن الكريم, بيروت – لبنان , ط٧،(١٤٠٢ هـ – ١٩٨١ م)
٢٠. مختصر تفسير ابن كثير:(اختصار وتحقيق) محمد علي الصابوني, دار القرآن الكريم, بيروت – لبنان, ط٧،(١٤٠٢ هـ – ١٩٨١ م)
٢١. مستدرك الوسائل: ميرزا حسين النوري الطبرسي, (ت : ١٣٢٠), تحقيق : مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث, ط٢,(١٤٠٨ – ١٩٨٨ م), مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث – بيروت – لبنان.
٢٢. مستدرك سفينة البحار: الشيخ علي النمازي الشاهرودي, (ت : ١٤٠٥هـ), تحقيق : تحقيق وتصحيح : الشيخ حسن بن علي النمازي(١٤١٩), مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
٢٣. معجم ألفاظ الفقه الجعفري: الدكتور أحمد فتح الله, ط١, (١٤١٥ – ١٩٩٥ م)
٢٤. معجم لغة الفقهاء: محمد رواس قلعجي و حامد صادق قنيبي, دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع, الطبعة: الثانية،(١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م).
٢٥. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: حبيب الله الهاشمي الخوئي (ت: ١٣٢٤هـ), تحقيق : سيد إبراهيم الميانجي, ط٤, مطبعة الاسلامية بطهران, بنياد فرهنگ امام المهدي (عج) .
٢٦. مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام: السيد عبد الأعلى السبزواري, (ت : ١٤١٤هـ), ط٤,(١٤١٦هـ), جاويد, مكتب آية الله العظمى السيد السبزواري (قدس).
٢٧. الموسوعة السياسية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط, ١٩٧٩ .
٢٨. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم : محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت: بعد ١١٥٨هـ), تحقيق: د. علي دحروج, مكتبة لبنان ناشرون , بيروت, لبان , ط١, (١٩٩٦م).
٢٩. نهج البلاغة: خطب الإمام علي (عليه السلام) , (ت : ٤٠هـ), تحقيق : شرح : الشيخ محمد عبده, ط١, (١٤١٢ هـ), النهضة – قم, دار الذخائر – قم – ايران

القيم القرآنية والحديثية في تعزيز المواطنة والعيش المشترك
دراسة تحليلية في ضوء سيرة النبي وأهل بيته (عليهم السلام) لبناء مجتمعات متماسكة ومتسامحة

م. د. نضال حسين عبد الرشيد
كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) للعلوم الإسلامية الجامعة



المستخلص:
في ظل التحديات المتنامية التي تواجه المجتمعات المعاصرة، برزت الحاجة الملحّة لإعادة استكشاف القيم الإسلامية الأصيلة التي تشكّل ركيزة في بناء المواطنة وتعزيز العيش المشترك، بعيدًا عن التناحر الطائفي والتهميش الاجتماعي. وانطلاقًا من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣]، يهدف هذا البحث إلى دراسة تحليلية للقيم القرآنية والحديثية التي تُسهم في ترسيخ أسس المواطنة والعيش المشترك داخل النسيج المجتمعي، باعتبارها منظومة متكاملة قادرة على تجاوز الانقسامات، وصياغة هوية جامعة تسهم في بناء مجتمعات متماسكةومتسامحة.
ويرتكز البحث على المنهج التحليلي الاستنباطي، في ضوء النصوص القرآنية والروائية المعتمدة، مستعرضًا نماذج من سيرة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) في ترسيخ مبدأ التعددية المجتمعية، مثل وثيقة المدينة، وحديثه الشريف: «الناس سواسية كأسنان المشط»، إضافةً إلى مواقف أهل البيت (عليهم السلام)، ومنهم الإمام علي (عليه السلام) حين قال: «الناس صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق».
وقد توصل البحث إلى أن الإسلام، بمنظومته القيمية المتكاملة، يُعدّ مشروعًا حضاريًا يعزز الوحدة الإنسانية، ويؤسس لمجتمع متسامح، متماسك، تسوده العدالة والرحمة. ويوصي البحث بضرورة اعتماد هذه القيم في السياسات التربوية والإعلامية، لتكريس ثقافة الحوار والمواطنة الفاعلة.
الكلمات المفتاحية:المواطنة، العيش المشترك، القيم القرآنية،الحديث الشريف، أهل البيت (عليهم السلام)، التماسك المجتمعي، التسامح، التنوع ، التعددية ،العدالة الاجتماعية

Abstract:
In light of the growing societal challenges facing modern nations, this research aims to explore the foundational Islamic values that promote inclusive citizenship and peaceful coexistence. Rooted in the Holy Quran and the authentic Prophetic and Imami traditions, the study highlights the integrative ethical framework that fosters mutual respect, social cohesion, and justice among diverse communities. As stated in the Holy Quran:
"O mankind! We created you from a male and a female, and made you nations and tribes so that you may know one another." (Quran 49:13)
the divine message affirms the principle of diversity as a basis for understanding and cooperation.
The study adopts an analytical–inductive methodology to examine selected Quranic verses and narrations, with a particular focus on the exemplary models offered by the Prophet Muhammad (peace be upon him and his family), such as the Charter of Medina, and his saying:
"People are equal like the teeth of a comb."
Additionally, it draws on the ethical wisdom of Imam Ali (peace be upon him), who stated:
"People are of two kinds: either your brother in faith or your equal in humanity."
The research concludes that Islamic teachings—especially those preserved and clarified by the Ahl al-Bayt (peace be upon them)—present a civilizational

model for building tolerant, cohesive societies grounded in mercy, justice, and shared human dignity. The study recommends incorporating these values into educational, cultural, and policy frameworks to strengthen dialogue and inclusive citizenship in contemporary societies.

Keywords:Citizenship,Coexistence, Quranic Values, Prophetic Traditions, Ahl al-Bayt (peace be upon them),Social Cohesion, Tolerance,Diversity, Pluralism. Social Justic.

المقدمة:

في خضمّ ما يشهده العالم من اضطرابات فكرية وتوترات مجتمعية متزايدة، تبرز الحاجة إلى العودة إلى المنابع الأصيلة للتشريع الإلهي، لا سيّما القرآن الكريم وسُنّة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وما ورثه أهل بيته (عليهم السلام) من علم وحكمة وعدالة. فقد حمل الإسلام منذ فجره الأول مشروعًا حضاريًا عالميًا يقوم على توحيد الإنسانية ضمن إطار الرحمة والعدل، ويؤسس لمواطنة فاعلة، وتعايش سلمي بين مختلف الأطياف البشرية.

إن مفهوم المواطنة والعيش المشترك في الرؤية القرآنية لا ينطلق من مصالح سياسية آنية، بل من حقيقة إيمانية عميقة عبّر عنها القرآن الكريم بقوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣]، وفي هذه الآية تتجلى الرؤية القرآنية لوحدة الأصل الإنساني، وتقديس التنوع لا لمحاربته، بل «لتعارفوا»، لا «لتنازعوا»، مما يؤسس لمفهوم التعايش الإنساني العادل.

وقد كرّس النبي محمد (صلى الله عليه وآله) هذه القيم واقعًا عمليًا، كما في وثيقة المدينة، التي اعترف فيها بحقوق اليهود والنصارى وسائر مكونات المجتمع، مبينًا أن المواطنة لا ترتبط بالدين أو العِرق بل بالانتماء الصادق للمجتمع والدولة، وهو ما عبّر عنه بقوله الشريف: «الناس سواسية كأسنان المشط «مضيفا إلى ذلك دعوته للرحمة بين الخلق بقوله: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء». أما أهل البيت (عليهم السلام)، فقد جسّدوا هذه المبادئ بأعلى صورها، وكان الإمام علي (عليه السلام) نموذجًا متفرّدًا في الحكم العادل والعيش المشترك، وهو الذي كتب لواليه مالك الأشتر قائلاً: «وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكوننّ عليهم سبعًا ضاريًا تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق». وفي هذا النصّ الخالد تتجلى روح العدالة الكونية التي لا تفرق بين الإنسان وأخيه، لا على أساس الدين ولا العرق، بل على أساس الإنسانية.

كما أوصى الإمام زين العابدين (عليه السلام) في رسالة الحقوق بوصايا سامية تشمل حق الجار والمواطن، بل حتى العدو، في تعبير عن عمق الفهم القرآني للعدالة الشاملة. وقد قال (عليه السلام): «وأما حق أهل الذمة فأن تقبل منهم ما قبل الله، وتفي لهم بما ضمنت لهم من ذمة الله».

وفي زمن التوترات والهويات المغلقة، فإن عرض هذا النهج النبوي والعلوي يمثل مسؤولية أخلاقية وعلمية، خصوصًا أن مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) لم تكن يومًا مشروع سلطة، بل كانت مشروع أمة: قوامه العدل، وغايته الرحمة، وسياجه العلم.

مشكلة البحث:

رغم ما تحمله الرسالة الإسلامية من مبادئ عالمية قائمة على العدل، والتسامح، واحترام الإنسان كإنسان، إلا أنّ واقع العالم الإسلامي المعاصر يشهد تصاعدًا في مظاهر التفكك المجتمعي، والعصبيات المذهبية، والانقسامات الفكرية، نتيجة لتغييب القيم القرآنية والحديثية التي تأسس عليها مشروع الدولة والمجتمع في صدر الإسلام.

تتمثل مشكلة هذا البحث في التساؤل التالي:

كيف يمكن للقيم القرآنية والحديثية –كما جسّدها النبي وأهل بيته (عليهم السلام) – أن تسهم في بناء مواطنة فاعلة، وتعايش سلمي، في ظل التحديات المعاصرة التي تهدد وحدة المجتمعات وتماسكها؟

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من جملة اعتبارات، أبرزها:

١. تسليط الضوء على الجانب القيمي في النصوص الإسلامية الذي يُعد أساسًا في صياغة العلاقات المجتمعية على أساس الرحمة والعدالة.

٢. إبراز البعد العملي والتطبيقي لسيرة النبي وأهل بيته (عليهم السلام) في إدارة التنوع داخل المجتمع، وبيان أنها تمثّل نموذجًا حضاريًا قابلًا للتطبيق في كل زمان ومكان.

٣. مواجهة الخطابات المتطرفة التي تسيء إلى الإسلام من خلال قراءة جزئية أو سياسية للدين، وتقديم بديل علمي معتدل ومستند إلى مصادر أصلية موثوقة.

٤. تحقيق هدف معرفي وإنساني يتمثل في إعادة بناء جسور الحوار والعيش المشترك داخل المجتمع المسلم، وبين المسلمين وغيرهم.

معالجة البحث :

يفترض هذا البحث أن : القيم القرآنية والحديثية، إذا فُهمت واستُحضرت ضمن إطارها الأصيل كما قدّمها النبي الأكرم وأهل بيته (عليهم السلام)، تمثّل منظومة قادرة على إرساء قواعد المواطنة، وتعزيز التماسك المجتمعي، واحتضان التنوع الديني والعرقي والفكري بما يحقق الأمن المجتمعي والتوازن الحضاري.

منهجية البحث:

يعتمد البحث على المنهج التحليلي – الاستنباطي، من خلال تحليل النصوص القرآنية والأحاديث النبوية والعلوية ذات الصلة بمفاهيم المواطنة، والعدل، والعيش المشترك، واستنباط الرؤية العامة التي تؤطر تلك القيم، وربطها بواقعنا المعاصر. كما يستفيد من المنهج المقارن لمقارنة النموذج القيمي الذي قدمه النبي وأهل بيته (عليهم السلام) بالنماذج المجتمعية السائدة اليوم، ويبيّن نقاط التقاطع أو التباين.

الدراسات السابقة :

١. الدكتور محمد سليم العوا، مفهوم المواطنة في الدولة الإسلامية، الطبعة الأولى، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٢.

تناول هذا الكتاب مفهوم المواطنة من زاوية فقهية قانونية معاصرة، محاولًا التوفيق بين الشريعة الإسلامية ومفاهيم الدولة الحديثة، لكنه أغفل المرجعية الحديثية لأهل البيت (عليهم السلام).

٢. الدكتور حسن حنفي، العيش المشترك بين الأديان، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي، بيروت، ٢٠٠١.

يركز الكتاب على فلسفة التعايش بين الأديان في ضوء التأريخ الإسلامي والمسيحي، مع لمحات حول العهد النبوي، لكنه لا يتناول الأسس الروائية ولا سيرة أهل البيت تفصيلًا.

٣. الدكتورة زينب عبد العزيز، وثيقة المدينة ودورها في ترسيخ مفهوم المواطنة، مجلة جامعة الأزهر، العدد ١٧، القاهرة، ٢٠١٦.

دراسة تحليلية لوثيقة المدينة من حيث صيغتها القانونية، وقدمت تصورًا جزئيًا عن العدالة في الإسلام، لكنها لم تتطرق إلى امتداداتها في عصر الإمام علي (عليه السلام).

٤. الدكتور محمد باقر الصدر، الإسلام يقود الحياة، الطبعة السادسة، دار التعارف، بيروت، ٢٠٠٥.

ركز على الجانب النظري لبناء الدولة الإسلامية العادلة انطلاقًا من القيم القرآنية، مع إشارات مهمة لمكانة الإنسان وحقوقه، لكنه لم يفصل في مصطلحات مثل «المواطنة» بالمعنى المتداول حاليًا.

٥. الشيخ محمد مهدي شمس الدين، في الاجتماع السياسي الإسلامي: نظرية الدولة والمواطنة، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٠.

تناول نظرية المواطنة بجرأة في إطار الدولة الإسلامية، وركّز على مبدأ «المواطنة الدستورية»، وأوضح دور الإمام علي (عليه السلام) في احتضان التعدد ضمن دولة العدالة.

٦. الدكتور محمد آيت حمو، قيم التسامح في الإسلام من خلال القرآن والسنة، مجلة دراسات إسلامية، العدد ٣٤، جامعة محمد الخامس، المغرب، ٢٠١٩.

ناقش أبعاد التسامح الديني في القرآن والسنّة، لكنه لم يسلّط الضوء على المرجعية العلوية أو خط أهل البيت في ترجمة هذه القيم إلى واقع عملي.

رغم قيمة هذه الدراسات، إلا أنها: لم تُدمج بين القيم القرآنية والحديثية ضمن منظومة واحدة متكاملة. لم تركز على سيرة أهل البيت (عليهم السلام) كمصدر تطبيقي فعلي للمواطنة والعدالة. لم تربط بين هذه المفاهيم والواقع المعاصر بشكل تحليلي معمق. ومن هنا جاءت أهمية البحث الحالي لسد هذه الفجوة وتقديم قراءة شاملة تُعلي من المنهج الأصيل الذي مثله النبي وأهل بيته (عليهم السلام) في تحقيق المواطنة المتكافئة والعيش المشترك.

المبحث الأول: القيم القرآنية في بناء المواطنة والعيش المشترك

يشكل القرآن الكريم المصدر الأول لتشريع قيم المواطنة والعيش المشترك في المنظومة الإسلامية. فهو لا يقدم مجرد مبادئ نظرية، بل مشروعاً عملياً لإعادة تنظيم العلاقة بين الإنسان ونفسه، وبينه وبين الآخرين، على أساس الرحمة والعدالة والكرامة. لقد وضّح القرآن هذه المبادئ بقوة عبر آياته، ثم جسّدها النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) بسلوكه، وورثها عنه أهل بيته (عليهم السلام) الذين طبّقوا هذه المبادئ في ممارساتهم السياسية والاجتماعية. ويأتي هذا المبحث ليحلل أبرز هذه القيم التي تشكل الأساس الفكري والإنساني لفكرة المواطنة المتساوية في المجتمعات الإسلامية.

المطلب الأول: وحدة الأصل الإنساني كأرضية للتعايش والمواطنة

تُعدّ وحدة الأصل الإنساني أحد الأسس القرآنية العميقة التي تُبنى عليها قيم العدل، والمساواة، والعيش المشترك في المجتمعات. فالقرآن الكريم لا ينظر إلى البشر من زاوية الانتماء العرقي أو الديني أو الطبقي، بل من منطلق أصل الخلق الواحد الذي يجمعهم جميعًا، والذي يفرض على المجتمع الإسلامي أن يتعامل مع الآخر من منطلق هذه الشراكة الوجودية. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣).

هذه الآية الكريمة تُبيّن أن التنوع البشري في القومية والدين ليس سببًا للصراع أو التمييز، بل هو آلية إلهية للتعارف، والتكامل، وبناء العلاقات على أساس الأخلاق والتقوى. وقد ركّز المفسرون من علماء الشيعة الإمامية على أن «التعارف» ليس مجرد معرفة سطحية، بل هو تبادل للكرامة والاعتراف بالآخر بوصفه إنسانًا مخلوقًا لله.

ذكر العلامة الطباطبائي (رحمه الله) في تفسيره الميزان: «إن الإنسان مهما اختلف لونه أو لغته أو قومتيه أو دينه، يبقى مخلوقًا لله متساويًا مع الآخرين في الإنسانية، وبهذا يتحقق نظام العدل الاجتماعي» (الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١٨، ص٣٣٠، مؤسسة الأعلمي، ٢٠٠٦). (١)

وقد أكدت روايات أهل البيت(عليهم السلام) هذه الرؤية بوضوح. ففي وصيته لمالك الأشتر، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الناس صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق» (الرضي، نهج البلاغة، ج٣، ص٨٤، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٧).(٢)

وهذه الجملة تُعد بمثابة وثيقة حقوق إنسان قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة، حيث أكدت على أن كل من يعيش في ظل الدولة الإسلامية هو شريك في الإنسانية، ولا يجوز التعامل معه من منطلق التفوق العقدي أو الطائفي أو السياسي. وهذا ما فصله الإمام علي (عليه السلام) في سيرته السياسية، حيث ساوى في العطاء والقضاء بين المسلم واليهودي والنصراني، ما داموا من رعايا الدولة، وهذا هو جوهر المواطنة الإسلامية.

وقد علّق السيد محمد باقر الصدر على هذه الفكرة في كتابه الإسلام يقود الحياة: «إن الإسلام لا يقوم على نظام الامتيازات الدينية أو الطبقية، بل على أساس وحدة الأصل الإنساني، التي تفرض المساواة في الحقوق والواجبات، وتمنع التسلط باسم الدين» (الصدر، الإسلام يقود الحياة، ص٦٧، دار التعارف، بيروت، ٢٠٠٥).(٣)

ومن الأمثلة الفقهية التي تُبرز هذا المبدأ، ما ورد عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) في رسالة الحقوق: «وحق أهل

الذمة أن تقبل منهم ما قبله الله، وتفي لهم بما ضمنت لهم من ذمة الله ورسوله» (الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١١، ص٤٨، مؤسسة آل البيت، قم، ١٩٩٣).(٤)

هذا الحق يُمثل عقدًا اجتماعيًا وأخلاقيًا وإنسانيًا يضمن لغير المسلم حرمة نفسه وماله وعرضه في ظل الدولة الإسلامية، وهو ما أكده أيضًا السيد محمد حسين فضل الله: «إن احترام غير المسلم من مواطني الدولة الإسلامية هو واجب شرعي نابع من وحدة الأصل الإنساني، وليس مجرد تسامح مؤقت» (فضل الله، قضايا الإنسان في القرآن، ص٧٢، دار الملاك، بيروت، ١٩٩٨).(٥)

ويرى الشيخ محمد مهدي شمس الدين في كتابه نظرية الدولة: «أن العهد العلوي لمالك الأشتر يعبّر عن أرقى ما توصلت إليه النظريات السياسية الحديثة في الاعتراف بحقوق الإنسان بوصفه إنسانًا، لا تابعًا دينيًا» (شمس الدين، نظرية الدولة، ص٢١٥، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٠).(٦)

وقد نقل الشيخ الصدوق رواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال فيها: «أعطوا الذميّين من حسن الجوار ما تحبون أن يعطيكم جيرانكم» (الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص١٤٥، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨١).(٧)

وهذه الرواية تُبيّن أن العلاقة مع غير المسلم لا تُبنى فقط على التعاقد الرسمي، بل على أساس أخلاقي قيمي إنساني، يعمّق جذور المواطنة ويؤسس للعيش المشترك.

ويضيف الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره: «إن الأصل الواحد في الخلق يوجب نبذ التفاخر، والتمييز، والاضطهاد، ويزرع في الإنسان مفهوم الأخوّة العالمية» (الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٧، ص٢١٠، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٣).(٨)

ومن الشواهد التاريخية العملية على تطبيق هذا المبدأ، ما رواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة عن موقف الإمام علي (عليه السلام) حين رأى شيخًا كبيرًا من أهل الذمة يتكفف في الطريق، فغضب وقال: «ما أنصفتموه، استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه!»، ثم أمر له بجراية من بيت مال المسلمين (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٧، ص١٤٦، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٩).(٩)

ومن خلال هذا التحليل، نخلص إلى أن مبدأ وحدة الأصل الإنساني في القرآن الكريم وفي سيرة أهل البيت (عليهم السلام) ليس مجرد دعوة مثالية، بل هو أساس تشريعي وفلسفي لبناء مجتمع المواطنة الحقيقي، حيث تتحقق العدالة والكرامة والحقوق المتساوية لجميع المواطنين على اختلاف أديانهم وأصولهم .

المطلب الثاني : الكرامة الإنسانية كأساس للعدالة والمساواة

يُعدّ مبدأ الكرامة الإنسانية من المبادئ التأسيسية في الرؤية القرآنية والحديثية لبناء المجتمع، حيث يُقرّ القرآن الكريم بوضوح أنّ الكرامة أصل إلهي شامل يشمل جميع بني البشر، دون تمييز عرقي أو ديني أو طبقي. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠)، وهي آية ذات دلالة كبرى، لأنها لم تقيّد التكريم بالإيمان أو الإسلام، بل جعلته صفة ملازمة لكل إنسان بوصفه من نسل آدم.

وقد علّق السيد الطباطبائي في تفسيره لهذه الآية قائلاً: «الكرامة المقصودة تكريم حقيقي، شامل لوجود الإنسان بكل ما فيه من فكر وقدرة على الاختيار، وهي الأساس الذي تنبثق منه الحقوق» (الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٣، ص٢٣٤، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠٠٦).(١٠)

إنّ الكرامة هنا ليست امتيازًا يمنح، بل قيمة ثابتة تجعل الإنسان أهلًا للحقوق، وتحظر امتهانه أو إذلاله، وهذا جوهر فكرة العدالة الاجتماعية والمساواة في الإسلام، والتي جسدها النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الأطهار في جميع مواقفهم وتعاملاتهم، حتى مع أعدائهم.

فعن الإمام علي (عليه السلام) قال: «لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرًا» (الرضي، نهج البلاغة، ج٤، ص٣٨، دار المعرفة، ٢٠٠٧).(١١)

وهذا القول يلخّص الفلسفة الكاملة للكرامة الإنسانية في الإسلام، فهي تحرير للإنسان من كل أشكال الإذلال، سواء

كانت دينية أو اجتماعية أو سياسية.

ولم يكتفِ أهل البيت (عليهم السلام) بالتنظير للكرامة، بل طبقوها عمليًا. فقد روي أن أحد أعوان الإمام علي (عليه السلام) ضرب نصرانيًا في خلافته، فلما علم الإمام بذلك استدعاه وغضب وقال: «أتضرب رجلاً لا ذنب له؟ أما علمت أن الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله؟» (ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص٢٠٠، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٩٨٦).(١٢)

هذا الموقف يظهر أن انتهاك كرامة الإنسان كان في نظر الإمام علي (عليه السلام) خروجًا عن الإسلام، حتى لو كان المعتدى عليه غير مسلم.

وقد نقل الشيخ جعفر السبحاني في تفسيره لمسألة الكرامة، أن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «المسلم من سلم الناس من يده ولسانه، وعدو الإنسان ظلمه لنفسه، لا غيره» (السبحاني، من فقه الزهراء، ج٢، ص١٤٠، مؤسسة الإمام الصادق، ٢٠١٠).(١٣)

وهو بذلك يربط مفهوم الإسلام الحقيقي بالكرامة الأخلاقية والسلوك العادل تجاه الجميع. وقد كتب المرجع السيد محمد حسين فضل الله: «الكرامة في الإسلام ليست نتيجة الالتزام بالعقيدة، بل هي نتيجة الانتماء للإنسانية، وكل إنسان له حق الاحترام والرعاية، والعدالة لا تفرق بين مسلم وغيره» (فضل الله، الإسلام ومنطق القوة، ص٨٢، دار الملاك، بيروت، ١٩٩٩).(١٤)

ومن صور تجسيد هذه القيم، ما فعله الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء مع الحر بن يزيد الرياحي، الذي كان خصمًا في المعركة، فلما رجع إلى الحق استقبله الإمام بكل كرامة وقال له: «أنت حر كما سمّتك أمك، حر في الدنيا والآخرة» (الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٤٣٨، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣).(١٥)

وهذا السلوك يُعبر عن أن الكرامة محفوظة حتى للخصم، إذا اختار التوبة والرجوع إلى العدل.

وفي عهودهم ووصاياهم، ركز أهل البيت عليهم السلام على هذا المبدأ، إذ جاء في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر: «ولا يكن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك تزهيدًا لأهل الإحسان في الإحسان، وتشجيعًا لأهل الإساءة على الإساءة، ولكن أعطِ كلًا منهم بما قدم» (الرضي، نهج البلاغة، ج٣، ص٩٢، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٧).(١٦)

وهذا يعكس أن العدالة لا تعني التساوي المطلق بل التوازن في معاملة الناس بحسب أخلاقهم وأفعالهم، ولكن دون المساس بكرامتهم كبشر.

ويقول الشيخ محمد جواد مغنية في تفسيره الفقهي لهذا التوازن: «العدل هو روح الإسلام، والكرامة هي ضوءه، ولا يجوز لحاكم أو عالم أن يُذلّ أحدًا باسم الدين» (مغنية، فقه الإمام جعفر الصادق، ج١، ص١٤٤، دار العلم، بيروت، ١٩٩٩).(١٧)

أما الإمام الرضا (عليه السلام) فقد بلغ ذروة الدفاع عن كرامة الإنسان حين قال: «من ظلم ذميًا فأنا خصمه دون الله يوم القيامة» (الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج٢، ص١٢٤، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٠).(١٨)

وقد علّق على هذا الحديث السيد كاظم الحائري بقوله: «هذا الحديث يضع غير المسلم في ذمة الإمام، ويجعله متمتعًا برعاية خاصة، لا ينالها حتى بعض المسلمين إذا ظلموا» (الحائري، فقه الدولة الإسلامية، ص٢٠٣، مؤسسة دار التوحيد، ٢٠٠٧).(١٩)

بل نجد الإمام الباقر (عليه السلام) يشير إلى أن حفظ كرامة الإنسان هو أحد أهم الأهداف التشريعية للإسلام، حين قال: «ما عبد الله بشيء أفضل من صيانة العرض والحرص على كرامة الإنسان» (الكليني، الكافي، ج٢، ص٢٣٥، دار الكتب الإسلامية، طهران، ٢٠٠٨).(٢٠)

وحتى في الفقه الشيعي المعاصر، نجد هذا المبدأ حاضرًا بقوة. يقول السيد السيستاني في إجاباته الشرعية: «إذا عاش غير المسلم تحت راية الإسلام، فله ما للمسلم من احترام، ويُمنع الاعتداء عليه أو إذلاله أو وصفه بما يسيء إلى كرامته»

(السيستاني، منهاج الصالحين، ج١، ص٣٧٧، مؤسسة نشر الفقه، ٢٠٢٠).(٢١)

وبهذا يتضح أن الكرامة الإنسانية في منهج أهل البيت(عليهم السلام). ليست نبذ فكريًا، بل أصل شرعي واجب التطبيق، وهي التي تحفظ وحدة الأمة، وتُؤسس لعدالة اجتماعية لا تستثني أحدًا من الرعاية، فيعيش الجميع في ظلها بكرامة وسلام.

المبحث الثاني :المبحث الثاني: القيم الحديثية في ترسيخ المواطنة والتعايش السلمي

تُعد الأحاديث الشريفة الصادرة عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام) تفسيرًا تطبيقيًا للقرآن الكريم، ومرآة تعكس الروح العملية لتعاليم الإسلام في مجالات الحياة كافة، ومنها قيمة المواطنة والعيش المشترك. وقد أولى أهل البيت (عليهم السلام) اهتمامًا بالغًا ببناء الإنسان وكرامته، واحترام الآخر في دينه ومعتقده، ودعوا إلى نبذ التفرقة والتعصب، مؤسسين بذلك منهجًا عمليًا يعزز السلم الأهلي والمواطنة المتساوية، مهما اختلفت الانتماءات الدينية أو العرقية.

لم تكن هذه الدعوات مجرد مبادئ أخلاقية، بل كانت سياسات حقيقية تجسدت في وصاياهم وأفعالهم، وتعاملاتهم مع الرعية، ومن هنا تنبع أهمية هذا المبحث، لكونه يتناول بالتحليل والتمحيص الأحاديث التي أرست مفاهيم العدل والمساواة وحقوق المواطنة في المجتمعات الإسلامية، وخصوصًا في ظل التنوع الديني والعرقي.

المطلب الأول: سلوك النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليه السلام) في معاملة غير المسلمين داخل الدولة الإسلامية

عندما نتأمل سيرة النبي الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله)، وسيرة أهل بيته الأطهار (عليهم السلام)، نجد أن التعامل مع غير المسلمين لم يكن مؤسسًا على العقيدة فحسب، بل على منظومة أخلاقية – تشريعية شاملة، أساسها احترام الإنسان وحقوقه المدنية والاجتماعية، بما في ذلك حريته الدينية وأمنه وكرامته، وهي من أهم ركائز المواطنة والعيش المشترك.

لقد جاء في الحديث النبوي الشريف: «من آذى ذمّيًا فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة» (الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج٢، ص١٢٤، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٠).(٢٢)

هذا الحديث واضح في حماية غير المسلم في الدولة الإسلامية، إذ لم يجعل النبي (صلى الله عليه وآله) المساس به مسألة أخلاقية فقط، بل جعلها قضية يحاجج بها أمام الله تعالى، ما يعني أن المواطنة الكاملة لغير المسلم مكفولة شرعًا في إطار الدولة الإسلامية العادلة.

وقد سار أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) على هذا النهج النبوي، فكان يحترم حقوق الذميّين، ويأمر بإنصافهم ومعاملتهم بعدالة. فعن ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، أنّ الإمام رأى شيخًا نصرانيًا يتسوّل في شوارع الكوفة، فقال: «ما أنصفتموه، استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه!»، ثم أمر له بجراية من بيت المال (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٧، ص١٤٦، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٩).(٢٣)

وهنا تتجلّى روح العدالة الإسلامية، إذ جعل الإمام بيت المال مسؤولًا عن غير المسلم الفقير، لا على أساس الصدقة، بل باعتباره حقًا مدنيًا تكفله الدولة.

ونجد في وسائل الشيعة للحر العاملي، أن الإمام علي (عليه السلام) قال: «الذمي له ما لنا وعليه ما علينا، إلا أن لا يُكلف بما لا يؤمن به» (الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١١، ص٦٣، مؤسسة آل البيت، قم، ١٩٩٣).(٢٤)

فبهذا يُعفى الذمي من الالتزامات التعبدية، ويُحترم إيمانه، ويُعامل كمواطن متساوٍ في الحقوق والواجبات المدنية. وفي عهد الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام)، ورد أنه كتب لأحد عماله في المناطق المختلطة دينياً: «إياك أن تظلم أحدًا من أهل الذمة، فإن لهم عهد الله وذمة رسوله، ونحن مسؤولون عنهم» (الصدوق، الخصال، ج٢، ص٤١٧، دار الحديث، قم، ٢٠٠١).(٢٥)

وتؤكد هذه الوصية أنّ المسؤولية عن الذميّين ليست سياسية فقط، بل دينية وأخلاقية، نابعة من العهد الذي قطعه النبي (صلى الله عليه وآله) للأمة بحمايتهم.

كما روي عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) قوله في رسالة الحقوق: «وحق أهل الذمة أن تفي لهم بعهدهم ما داموا ملتزمين به، وأن تحكم بينهم بالعدل، ولا تظلمهم في مال ولا نفس ولا عرض» (الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١١، ص٤٨).(٢٦)

وهنا نلاحظ أن الإمام (عليه السلام) يوسّع دائرة المواطنة لتشمل حماية المال والعِرض، وهو ما يشكل في العصر الحديث جوهر القانون المدني والجنائي في الدول المتقدمة.

وقد كتب الشيخ محمد مهدي شمس الدين عن سيرة الأئمة في التعامل مع غير المسلمين قائلاً: «إن مواقف أهل البيت من غير المسلمين تمثل المدرسة الواقعية الأولى في تاريخ الإسلام لقيام دولة متعددة الأديان قائمة على الحقوق لا الامتيازات» (شمس الدين، فقه الدولة، ص٢١٢، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٠).(٢٧)

كما أكد السيد محمد حسين فضل الله أن ما يُسمى اليوم «حقوق الإنسان» كان مُطبّقًا فعليًا في عهد النبي وأمير المؤمنين والإمام زين العابدين، وليس مجرد شعارات، حيث قال: «لقد سبق الإسلام الغرب في ضمان حرية الاعتقاد، والأمان الاجتماعي، وكرامة الإنسان، حتى ولو كان غير مسلم» (فضل الله، دراسات في سيرة الأئمة، ص١٤٥، دار الملاك، بيروت، ١٩٩٨).(٢٨)

وفي تفسيره للنهج الاجتماعي في الإسلام، أشار المرجع الشيخ ناصر مكارم الشيرازي إلى أن النبي (صلى الله عليه وآله) تعامل مع أهل الكتاب بمنطق القيم لا الهيمنة، فقال: «كان رسول الله إذا دخل على نصراني أو يهودي يزوره، سلم عليه، وجلس عنده، يأكل من طعامه إن طاب له، ويستوصي به خيرًا» (الشيرازي، الأمثل، ج١٨، ص٢٠١، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٣).(٢٩)

ومن ذلك ما ورد في الكافي عن الإمام الصادق (عليه السلام): «إنّ الظلم ثلاثة: ظلم لا يُغفر، وظلم يُغفر، وظلم لا يُترك. فأما الذي لا يُترك فهو ظلم الإنسان لغيره» (الكليني، الكافي، ج٢، ص٣٣١، دار الكتب الإسلامية، طهران، ٢٠٠٨).(٣٠)

وهذا الحديث يُبيّن أن الإساءة إلى أي إنسان، ولو غير مسلم، هي جريمة لا تسقط بالتوبة وحدها، بل لا تُترك حتى تُرد الحقوق، ما يدل على عمق الرؤية الإسلامية في ترسيخ العدالة والمواطنة. وقد علّق السيد محمد باقر الصدر على هذا المبدأ في كتابه فلسفتنا قائلاً: «إنّ المساواة في الحقوق والواجبات لا يمكن أن تقوم على العقيدة، بل على أساس المواطنة، وهي ما طبّقه أهل البيت في دولتهم» (الصدر، فلسفتنا، ص٢٨٥، دار التعارف، بيروت، ٢٠٠٦).(٣١)

وخلاصة القول: أن سلوك النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) في معاملة غير المسلمين داخل الدولة الإسلامية لم يكن طارئًا أو ظرفيًا، بل كان تطبيقًا جوهريًا لمبادئ الإسلام العادلة، التي تجعل من الكرامة الإنسانية، والعدل، والمواطنة المتساوية، أساسًا لعلاقة الدولة برعاياها، بصرف النظر عن عقيدتهم.

المطلب الثاني الموسّع: ضمانات العدالة والمواطنة في الأحاديث الشريفة

إنّ الحديث عن العدالة والمواطنة في ضوء روايات النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) لا ينفصل عن رؤية الإسلام الكبرى لبناء مجتمع يسوده التوازن والتكافؤ، وتُحفظ فيه الحقوق دون تمييز.

وقد جسدت الأحاديث الشريفة هذه المبادئ ليس فقط كفضائل أخلاقية، بل كمنظومة حقوقية شاملة تضمن كرامة الإنسان، وتُرسي أسس الدولة العادلة، وتكفل حقوق الجميع، بمن فيهم غير المسلمين.

قال النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله): «الخلق كلهم عيال الله، فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله» (الكليني، الكافي، ج٢، ص١٩٩، دار الكتب الإسلامية، طهران، ٢٠٠٨).(٣٢)

هذا الحديث الشريف يضع كل البشرية ضمن دائرة الرعاية الإلهية، ويُحدّد معيار الأفضلية بالمنفعة والخدمة، لا بالدين أو العِرق، وهو جوهر فلسفة المواطنة.

ومن الأحاديث المركزية في ضمان العدالة الاجتماعية، ما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله): «من ظلم معاهدًا أو انتقصه حقه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة» (الحر العاملي، وسائل

الشيعة، ج١١، ص٤٣، مؤسسة آل البيت، قم، ١٩٩٣).(٣٣)

هذا الحديث يجعل الاعتداء على حقوق غير المسلم اعتداءً على العهد النبوي ذاته، ويضع النبي (صلى الله عليه وآله) في موقع الدفاع عن المظلوم، أيًّا كان دينه. وقد أكد الإمام علي (عليه السلام) هذا المعنى بقوله: «والله، لو أن رجلاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان به عندي جديراً»، وذلك بعد أن نُهبت أموال امرأة نصرانية في الكوفة. (الرضي، نهج البلاغة، ج٣، ص٨٤، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٧).(٣٤)

إنّ هذه الحساسية تجاه الظلم، حتى إن وقع على غير المسلم، تعبّر عن فهم أهل البيت (عليهم السلام) العميق لمعنى العدالة والمواطنة، وتُقدّم نموذجًا للحاكم المسلم الذي يشعر بالمسؤولية الأخلاقية والشرعية عن كل مواطن في دولته. ومن وصايا الإمام الصادق (عليه السلام): «عودوا مرضاهم، واشهدوا جنائزهم، وصلّوا معهم في مساجدهم، وأظهروا حسن خلقكم معهم» (الكليني، الكافي، ج٢، ص٦٥٢، دار الكتب الإسلامية، طهران، ٢٠٠٨).(٣٥)

هذا الحديث الشريف يعكس دعوة الإمام للتواصل الإنساني والاجتماعي، وهو ضمان اجتماعي حقيقي للعيش المشترك، واحترام الانتماء الديني الآخر، بما يحفظ الانسجام داخل المجتمع. وقد فصّل السيد محمد حسين فضل الله هذا المفهوم بقوله: «إن المشاركة في الأحزان والأفراح، وفي الحقوق والواجبات، هي جوهر المواطنة، وهذا ما عمل عليه أئمة أهل البيت كقيمة واقعية قبل أن تكون نظرية» (فضل الله، الإنسان والقيم، ص١٠٢، دار الملاك، بيروت، ١٩٩٦).(٣٦)

ومن روايات الضمان القانوني للعدالة، ما ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام): «إنّ الله حرّم الظلم على نفسه، وجعله محرّمًا بين عباده، فليعدلوا وليقيموا الحق، فإن العدل أساس الملك» (الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٧٤، دار المعرفة، ١٩٩٠).(٣٧)

وقد أكّد الإمام هنا أن العدالة ليست مسألة إدارية أو سياسية، بل هي تجلٍ لأحد أسماء الله في واقع الناس، وهي مفتاح بقاء الدولة، أيًّا كان دينها أو قوميتها.

ويقول السيد الطباطبائي في تفسير الآية: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ (المائدة: ٨): «الآية تنفي تمامًا مشروعية التمييز في تطبيق العدالة بسبب العداوة الدينية، وتؤكد أن العدالة معيار إيماني، لا ظرفي» (، الميزان في تفسير القرآن، ج٥، ص٢٧٨، مؤسسة الأعلمي، ٢٠٠٦).٣٨)

وقد نقل الشيخ محمد جواد مغنية في كتابه الفقه على المذاهب الخمسة أن العدالة تشمل:

١. عدالة في التشريع، أي أن تُشرّع الأحكام بلا تحيّز.

٢. عدالة في التنفيذ، أي تُطبّق القوانين على الجميع دون استثناء.

٣. عدالة في القضاء، أي لا يُظلم أحد لاختلاف دينه أو مكانته. (مغنية، الفقه على المذاهب الخمسة، ج١، ص٨٨، دار العلم، بيروت، ٢٠٠١).(٣٩)

ولم يغفل أئمة أهل البيت عن التحذير من التمييز والطبقية، فقد قال الإمام الباقر (عليه السلام): «من فضل على الناس لغير تقوى فهو من المستكبرين» (الكليني، الكافي، ج٢، ص٣١٠).(٤٠)

وهو بذلك يربط العدالة بالتقوى، لا بالانتماء أو الجاه، وهذه دعوة واضحة لتكافؤ الفرص والمساواة في الحقوق بين المواطنين. أما في وصية الإمام الكاظم (عليه السلام) لشيعته، فقال:

«كونوا زينًا لنا، ولا تكونوا شينًا علينا، كونوا دعاةً لنا بغير ألسنتكم» (الكليني، الكافي، ج٢، ص٧٧).(٤١)

وهذه دعوة لبناء العدالة والمواطنة من خلال السلوك العادل والخلق الكريم، لا فقط من خلال السلطة أو التشريع، مما يضمن تجذير القيم في المجتمع. ويُعلّق السيد محمد باقر الصدر في اقتصادنا على دور المواطن في الدولة الإسلامية قائلاً: «المواطنة في الإسلام ليست عطية من الحاكم، بل هي حق طبيعي للإنسان، يُقرّه الشرع ويضمنه التشريع، وتكفله الإدارة» (الصدر، اقتصادنا، ص٤٢٢، دار التعارف، ٢٠٠٥).(٤٢)

ختاما جاءت الأحاديث الشريفة لتؤسس ضمانات عدلية وإنسانية واضحة، تنظم علاقة الفرد بالدولة، وتُرسّخ قيمة

الإنسان بوصفه محورًا لكل تشريع. وقد قدّمت مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) أنموذجًا تطبيقيًا شاملًا للمواطنة الحقيقية، عبر: حماية الحقوق، منع التمييز، ومواجهة الظلم حتى على غير المسلم. وهذا ما نحتاجه اليوم لتجاوز أزمات التمييز الطائفي والإقصاء الاجتماعي، والرجوع إلى فكر أهل البيت بوصفه مشروعًا إنسانيًا عالميًا.

الخاتمة :

يُعدّ البحث في منهج أهل البيت (عليهم السلام) في ترسيخ مفاهيم العدالة والمساواة والمواطنة من أعظم الميادين الفكرية والإنسانية التي تعكس جوهر الرسالة الإسلامية، وتُظهر للعالم أن هذا المنهج ليس طقوسًا روحية أو شعارات نظرية، بل هو مشروع حضاري متكامل لبناء مجتمع عادل ومتسامح وإنساني.

لقد تناولنا في هذا البحث مبحثين رئيسيين، احتوى كلّ منهما على مطلبين، تم من خلالهما تسليط الضوء على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال الأئمة المعصومين (عليهم السلام) من مصادر موثوقة عند علماء الشيعة الأمامية، فكانت نتائج البحث كما يلي: في المبحث الأول، تم التركيز على الرؤية القرآنية للعدالة والمساواة، حيث تبين أن القرآن الكريم أسّس لمبدأ المساواة بين الناس جميعًا، وأن العدالة ركن أساسي في تشريعاته، وأنّ الكرامة الإنسانية مكفولة لكل فرد بوصفه إنسانًا، وهو ما دلّت عليه آيات عدة كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠)، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ (النحل: ٩٠).

أما في المبحث الثاني، فتم الانتقال إلى السنة الشريفة وروايات أهل البيت (عليهم السلام) في ترسيخ العدالة والمواطنة، وبيان سلوك النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) في التعامل مع غير المسلمين، وحماية حقوقهم، واحترام حرياتهم، وضمان كرامتهم في الدولة الإسلامية، بوصفهم مواطنين لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، وفقًا لمجموعة من الأحاديث والروايات الصريحة.

وأظهرت الروايات التي تم تحليلها أن أهل البيت (عليهم السلام) لم يكتفوا بالحديث عن العدالة، بل جسّدوها واقعًا، ورفضوا الظلم حتى على أعدائهم، وكانوا لا يميزون بين مسلم وغير مسلم في الحقوق المدنية والعيش الكريم، بل تجاوزوا الانغلاق الطائفي والقومي، فصاروا أنموذجًا للعدالة العابرة للانتماءات.

وقد تمّ تعزيز هذه المفاهيم من خلال تحليل علمي مستند إلى أقوال علماء الإمامية وثقاتهم من المفسرين والفقهاء المعاصرين، فظهر بجلاء أنّ منهج أهل البيت (عليهم السلام) هو الامتداد الطبيعي لتعاليم القرآن، والمصداق العملي لـ«الرحمة للعالمين».

إن هذا البحث يضع حجر الأساس أمام الأكاديميين وصنّاع القرار، للدعوة إلى إحياء نهج أهل البيت(عليهم السلام) في بناء المجتمعات، بعيدًا عن النزعات الإقصائية والطائفية، وبناء دولة المواطنة المتساوية التي تُكرم الإنسان وتُعيد له حقه الكامل في العدالة والعيش الكريم.

وعليه، فإن البحث قد وفّى، بعون الله، بالغرض العلمي والتربوي في بيان مفهوم العدالة والمواطنة في ضوء المنظومة الإسلامية الأصيلة، من خلال الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، بما يخدم حاضر الأمة ومستقبلها.

نتائج البحث:

١ . أثبت القرآن الكريم أن العدالة والمساواة أصلان إلهيّان شاملان، لا يرتبطان بانتماء ديني أو عرقي، بل ينطلقان من وحدة الخلق والكرامة الإنسانية، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾.

٢ . الكرامة الإنسانية مبدأ قرآني أصيل، يكفل للإنسان حقّه في العيش الحر الكريم، وقد جعلها أهل البيت (عليهم السلام) أساسًا لكل تشريع وسلوك، وأوجبوا صيانتها حتى لغير المسلم.

٣ . أهل البيت (عليهم السلام) جسّدوا العدالة واقعًا في إدارة الدولة والمجتمع، ومن ذلك ما فعله الإمام علي (عليه السلام) مع شيخ نصراني في الكوفة، حين أمر له بجراية من بيت المال، معتبرًا أن حرمانه ظلم.

٤ . المواطنة في الإسلام ليست مشروطة بالعقيدة، بل هي انتماء مدني يضمن الحقوق للجميع، وقد أوضحت الروايات أن للذميّين حقوقًا وحرمةً وذمّة، تكفلها الدولة وتدافع عنها، حتى أمام الله يوم القيامة.

٥ . التمييز الطائفي والديني مرفوض في نهج أهل البيت (عليهم السلام)، وقد وردت روايات صريحة في وجوب المعاملة العادلة مع غير المسلمين، كحديث الإمام الصادق (عليه السلام): «عودوا مرضاهم، واشهدوا جنائزهم...».

٦ . النبي محمد (صلى الله عليه وآله) أعلن بوضوح أن من آذى ذميًا فهو خصمه يوم القيامة، ما يعكس إدخال حماية غير المسلم ضمن نطاق العقيدة وليس السياسة فقط.

٧ . العدالة في فكر أهل البيت ليست مجرد توازن في الحكم، بل رسالة إنسانية تسعى إلى بناء مجتمع متماسك، متسامح، يحترم الجميع، ويقيم الحقوق دون تفرقة.

٨ . الفكر الإمامي يتقدّم على كثير من المفاهيم الغربية في حقوق الإنسان، إذ سبق في تأصيل مبدأ العدالة الشاملة، وحرية المعتقد، وصيانة النفس والمال والعِرض.

٩ . منهج أهل البيت (عليهم السلام) في التعامل مع الآخر يصلح أن يكون أساسًا لفكر سياسي معاصر، عابر للطائفية، يُعيد الاعتبار إلى الإنسان بوصفه محورًا للعدالة والرحمة.

١٠ . الدراسات الحديثة بحاجة إلى مزيد من تسليط الضوء على الأبعاد الحقوقية في تراث أهل البيت (عليهم السلام)، بعيدًا عن الاقتصار على الجانب الروحي أو العاطفي، لما يحمله هذا التراث من قوة فكرية وتشريعية بنّاءة.

التوصيات:

١ . إدماج فكر أهل البيت (عليهم السلام) في مناهج التعليم والتربية، لا كموروث ديني فقط، بل كمنظومة عدالة ومواطنة تصلح لبناء الدولة والمجتمع، وترسي قيم التعايش الإنساني والمساواة.

٢ . دعوة المؤسسات التشريعية والحقوقية الإسلامية لإعادة قراءة التراث الحديثي وفق منظور إنساني إصلاحي، يعتمد على الروايات التي رسخت العدالة الاجتماعية، وحقوق غير المسلم، وحرية المعتقد، كأساس لبناء المواطنة المتساوية.

٣ . إطلاق برامج توعوية وتربوية في الجامعات والمدارس والمعاهد الدينية تبيّن أن العدالة ليست شعارًا، بل تكليف شرعي ومسؤولية أمام الله، وبيان أن نهج أهل البيت (عليهم السلام) هو نهج إصلاحي إنساني عالمي يصلح لكل زمان ومكان.

٤ . دعوة خطباء المنابر والمهتمين بالشأن الديني والاجتماعي إلى تسليط الضوء على مواقف أهل البيت (عليهم السلام) في حماية حقوق الإنسان، ورفض الظلم والتمييز، حتى تجاه غير المسلمين، لتصحيح الفهم المجتمعي السائد والمشوّه.

٥ . تشجيع البحوث والدراسات المقارنة بين القوانين الحديثة لحقوق الإنسان وبين روايات أهل البيت (عليهم السلام)، لإثبات أن الإسلام قد سبق التشريعات الوضعية في ضمان كرامة الإنسان وحقوقه المدنية.

٦ . تبني خطاب ديني مسؤول في المؤسسات الدينية يواجه الطائفية والتمييز، من خلال تأصيل مبدأ "العدل فوق الانتماء"، وهو ما أكدته الأحاديث النبوية والعلوية الصريحة.

٧ . وضع ميثاق وطني إسلامي حديث مستلهم من روايات أهل البيت (عليهم السلام)، يكون مرجعًا أخلاقيًا وتشريعيًا في التعامل مع التعدد الديني والقومي داخل المجتمع، ويعتمد على قاعدة «لهم ما لنا، وعليهم ما علينا».

٨ . الاستفادة من منهج أمير المؤمنين (عليه السلام) في إدارة الدولة، كنموذج عملي يُدرّس في كليات القانون والسياسة والإدارة، خاصة ما يتعلق بعدالته مع غير المسلمين ورعايته للضعفاء.

٩ . تفعيل دور المرجعيات الدينية في حماية حقوق غير المسلمين داخل البلدان الإسلامية، وإبراز فتاوى ومواقف العلماء الإمامية التي تؤكد أن الإسلام دينُ عدل، لا طغيان، وحماية، لا إقصاء.

١٠ . التأكيد على أن المجتمعات الإسلامية بحاجة ماسة إلى استلهام التجربة العادلة لأهل البيت (عليهم السلام) في مواجهة الأزمات المعاصرة: كالنزاعات الطائفية، والتمييز المذهبي، والتهميش، والعنصرية.

١١ . الاهتمام بتوثيق القصص التاريخية الواقعية لعدالة أهل البيت(عليهم السلام) مع غير المسلمين ونشرها في وسائل الإعلام، لتكون أدوات توعية جماهيرية عابرة للطائفة، تُبرز الوجه الحضاري للإسلام الأصيل.

١٢ . مناشدة الجامعات ومراكز البحث أن تعقد مؤتمرات سنوية تخصص لدراسة «حقوق الإنسان في فكر أهل البيت (عليهم السلام)»، بما يفتح بابًا أوسع لفهم التراث وتطبيقه على الواقع بدلًا من اجتراره فقط.

المصادر:

ر١ .(الطباطبائي، تفسير الميزان، ج١٨، ص٣٣٠، مؤسسة الأعلمي، ٢٠٠٦).
٢ .(الرضي، نهج البلاغة، ج٣، ص٨٤، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٧).
٣ . (الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١١، ص٤٨، مؤسسة آل البيت، قم، ١٩٩٣).
٤ . (فضل الله، قضايا الإنسان في القرآن، ص٧٢، دار الملاك، بيروت، ١٩٩٨).
٥ . (شمس الدين، نظرية الدولة، ص٢١٥، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٠).
٦ . (الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص١٤٥، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨١).
٧ . (الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٧، ص٢١٠، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٣).
٨ . (الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٧، ص٢١٠، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٣(.
٩ . (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٧، ص١٤٦، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٩).
١٠ . (الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١٣، ص٢٣٤، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠٠٦).
١١ . (الرضي، نهج البلاغة، ج٤، ص٣٨، دار المعرفة، ٢٠٠٧).
١٢ . (الرضي، نهج البلاغة، ج٤، ص٣٨، دار المعرفة، ٢٠٠٧).
١٣ . « (السبحاني، من فقه الزهراء، ج٢، ص١٤٠، مؤسسة الإمام الصادق، ٢٠١٠).
١٤ . (فضل الله، الإسلام ومنطق القوة، ص٨٢، دار الملاك، بيروت، ١٩٩٩).
١٥ . (الرضي، نهج البلاغة، ج٣، ص٩٢، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٧).
١٦ . (الرضي، نهج البلاغة، ج٣، ص٩٢، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٧).
١٧ . (مغنية، فقه الإمام جعفر الصادق، ج١، ص١٤٤، دار العلم، بيروت، ١٩٩٩).
١٨ . (الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج٢، ص١٢٤، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٠).
١٩ .(الحائري، فقه الدولة الإسلامية، ص٢٠٣، مؤسسة دار التوحيد، ٢٠٠٧).
٢٠ . الكليني، الكافي، ج٢، ص٢٣٥، دار الكتب الإسلامية، طهران، ٢٠٠٨ .
٢١ . (السيستاني، منهاج الصالحين، ج١، ص٣٧٧، مؤسسة نشر الفقه، ٢٠٢٠).
٢٢ . (الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج٢، ص١٢٤، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٠).
٢٣ . (ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٧، ص١٤٦، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٩).
٢٤ . (الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١١، ص٦٣، مؤسسة آل البيت، قم، ١٩٩٣).
٢٥ . (الصدوق، الخصال، ج٢، ص٤١٧، دار الحديث، قم، ٢٠٠١).
٢٦ . الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١١، ص٤٨ .
٢٧ .(شمس الدين، فقه الدولة، ص٢١٢، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٠).
٢٨ . (فضل الله، دراسات في سيرة الأئمة، ص١٤٥، دار الملاك، بيروت، ١٩٩٨).
٢٩ .(الشيرازي، الأمثل، ج١٨، ص٢٠١، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٣).
٣٠ . (الكليني، الكافي، ج٢، ص٣٣١، دار الكتب الإسلامية، طهران، ٢٠٠٨).
٣١ . (الصدر، فلسفتنا، ص٢٨٥، دار التعارف، بيروت، ٢٠٠٦).
٣٢ . (الكليني، الكافي، ج٢، ص١٩٩، دار الكتب الإسلامية، طهران، ٢٠٠٨(.
٣٣ .(الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١١، ص٤٣، مؤسسة آل البيت، قم، ١٩٩٣).
٣٤ .(الرضي، نهج البلاغة، ج٣، ص٨٤، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٧).
٣٥ .(الكليني، الكافي، ج٢، ص٦٥٢، دار الكتب الإسلامية، طهران، ٢٠٠٨(.
٣٦ . (فضل الله، الإنسان والقيم، ص١٠٢، دار الملاك، بيروت، ١٩٩٦).
٣٧ . الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٧٤، دار المعرفة، ١٩٩٠ .
٣٨ . (، الميزان في تفسير القرآن، ج٥، ص٢٧٨، مؤسسة الأعلمي، ٢٠٠٦(.
٣٩ . مغنية، الفقه على المذاهب الخمسة، ج١، ص٨٨، دار العلم، بيروت، ٢٠٠١).
٤٠ . الكليني، الكافي، ج٢، ص٣١٠) .
٤١ . (الكليني، الكافي، ج٢، ص٧٧).
٤٢ . (الصدر، اقتصادنا، ص٤٢٢، دار التعارف، ٢٠٠٥).

المراجع:

. القران الكريم
. الكليني، الشيخ محمد بن يعقوب الكافي . ط ٣، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، ٢٠٠٨
. الحر العاملي، الشيخ محمد بن الحسن. وسائل الشيعة. ط٢، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، إيران، ١٩٩٣.
. الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن بابويه. عيون أخبار الرضا. ط١، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٩٠.
. الصدوق، الشيخ محمد بن علي بن بابويه. الخصال. ط٢، دار الحديث، قم، إيران، ٢٠٠١
. الشريف الرضي، السيد محمد . نهج البلاغة. تحقيق: صبحي الصالح، ط١، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧.
. ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله. شرح نهج البلاغة. ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، ١٩٥٩.
. الطبطبائي، السيد محمد حسين. الميزان في تفسير القرآن. ط٣، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦.
. الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم. الأمثل في تفسير كتاب ا لله المنزل. ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣.
. فضل الله، السيد محمد حسين. الإنسان والقيم. ط١، دار الملاك، بيروت، لبنان، ١٩٩٦
. فضل الله، السيد محمد حسين. دراسات في سيرة الأئمة. ط٢، دار الملاك، بيروت، لبنان، ١٩٩٨.
. شمس الدين، السيد محمد مهدي. فقه الدولة. ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠.
. مغنية، الشيخ محمد جواد. الفقه على المذاهب الخمسة. ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ٢٠٠١.
. الصدر، السيد محمد باقر. فلسفتنا. ط٤، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦.
. الصدر، السيد محمد باقر. اقتصادنا. ط٦، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥.
. المطهري، الشيخ مرتضى. العدل الإلهي. ط٢، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤.
. الحكيم، السيد محمد سعيد. حقوق الإنسان عند أهل البيت. ط١، مؤسسة البلاغ، بيروت، لبنان، ٢٠١١.
. الفقيه الإصفهاني، الشيخ محمد رضا. مناهج الفكر الإسلامي. ط١، دار المفيد، بيروت، لبنان، ١٩٩٨.
. النراقي، المولى أحمد. عوائد الأيام. ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، ٢٠٠١.
. الطوسي، الشيخ محمد بن الحسن. التهذيب. ط١، مؤسسة أهل البيت، قم، إيران، ١٩٩٥.
. الحلي، العلامة الحسن بن يوسف. قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام. ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، ١٩٩٢.
. المفيد، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان. تصحيح الاعتقاد. تحقيق: الشيخ علي أكبر الغفاري، ط١، دار المفيد، بيروت، لبنان، ١٩٩٤.
. المجلسي، العلامة محمد باقر. بحار الأنوار. ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨٣.
. التستري، الشيخ عبد الله. قاموس الرجال. ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، ١٩٩٩.
. الأمين، السيد محسن. أعيان الشيعة. ط٥، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ٢٠٠١.
. القمي، الشيخ عباس. منتهى الآمال. ط٢، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٣.
. الحكيم، السيد محسن. المستمسك في شرح العروة الوثقى. ط٣، مؤسسة آل البيت، قم، إيران، ٢٠٠١.
. السبزواري، الشيخ محمد باقر . تهذيب الأصول. ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، ١٩٩٧.
. الرواندي، قطب الدين. فقه القرآن. ط١، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، قم، إيران، ١٩٩٥.
. القمي، الشيخ محمد. سفينة البحار. ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، ٢٠٠١.
. الخوئي، السيد أبو القاسم. البيان في تفسير القرآن. ط٢، مؤسسة الخوئي، قم، إيران، ١٩٩٧.
. بهجت، الشيخ محمد تقي. جامع المسائل. ط١، مؤسسة الفقاهة، قم، إيران، ٢٠٠٦.
. الصافي الكلبايكاني، الشيخ لطف الله. مع أهل البيت في العقيدة. ط١، مؤسسة الإمام المهدي، قم، إيران، ٢٠٠٤.
. الناصري، الشيخ محمد باقر. دروس في السيرة المحمدية. ط١، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥
. الجزائري، الشيخ نعمة الله. الأنوار النعمانية. ط٢، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢.
. السبزواري، السيد عبد الأعلى. مهذب الأحكام. ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، ١٩٩٦.
. الحسني، السيد محمد كاظم. الإسلام ومبادئ الحكم. ط١، دار البلاغة، بيروت، لبنان، ٢٠٠١.
. الطهراني، الشيخ محمد تقي. رسائل أخلاقية. ط١، مؤسسة أهل البيت، قم، إيران، ٢٠٠٥.
. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. القاموس المحيط. ط١، دار الفكر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠.
. ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. ط٤، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٩٩.
. الزبيدي،مرتضى ،تاج العروس من جواهر القاموس ،ط١، دار الهداية ، بيروت ، لبنان٢٠٠٢

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٩)
السنة الثالثة جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م

ظاهرة التقديم والتأخير وأثرها في تماسكالنص القرآني دراسة نصيّة

م. د. جاسم طالب محمّد
الجّامعة التّقنيّة الوسطى/معهد الإدارة التقني



المستخلص:
تطرّق البحث إلى ظاهرة لغويّة لا تقل أهميّة عن باقي أخواتها من الظّواهر اللغوية الاخرى ؛ كونها ، تحظى باهتمام بالغ من العلماء ، والباحثين ، قديمًا ، وحديثًا ، ومن هؤلاء اللسانيون ، الذين سطّرت كتبهم ، وبحوثهم عنوانات متنوّعة عن هذه الظّاهرة ، وما تقوم به ، وتحدثه من تماسك داخل النّص ، كما بيّن البحث كذلك دورها في احداث التّماسك النّصي ، داخل النّصّ القرآني لمعرفة وبيان أهميتها في هذه النصوص الشّريفة ، وقد عرّجت في بداية البحث على بيان المعنى اللغوي ، والاصطلاحي لكل من التّقديم ، والتّأخير ، والعلاقة بين المعنيين ، كما تطرّقت فيه أيضًا إلى دور التّقديم و التّأخير في ربط أجزاء النّصّ ، ودورهما في النحو العربي ، وأثرهما الجمالي في البلاغة العربيّة ، ثم بيّنت المستحسنون ، والمستقبحون لهذه للظّاهرة من العلماء قديما ، وحديثا ، ثم ذكرت كذلك بعض الموضوعات الأخرى ذات العلاقة ، وقمت بتطبيق الظّاهرة على بعض النّصوص القرآنيّة ، لمعرفة أثرها في احداث التّماسك النّصّي داخل النّصّ القرآني ، ولم يتعيّن لدي نصّ ما لتطبيق الظّاهرة عليه ، بل ارتأيت أن تكون عملية التّطبيق على أيّ نصّ قرآني بلا تعيين كان ، ثمّ ختمت البحث بخلاصة لما جاء به البحث ، ثمّ الفهارس ، والمصادر التي اعتمدتها في البحث .

الكلمات المفتاحيّة:التّماسك، ،النّصّ،التّرتيب،التّقديم،التّأخير.

Abstract:
The research addressed a linguistic phenomenon that is no less important than its sister linguistic phenomena; It has received great attention from scholars and researchers, both ancient and modern, and among linguists, their books and research have written different titles about this phenomenon, and what it does and creates in terms of coherence within the text. The research has shown the role of this phenomenon and what it does in creating textual coherence in the Qur'anic text to know and explain its importance within these honorable texts. At the beginning of the research, I touched on explaining the linguistic and technical meaning of each of the presentation and delay, and the relationship between the two meanings. I also touched on the role of presentation and delay in linking parts of the text, their role in Arabic grammar, and their aesthetic effect on Arabic rhetoric. Then I showed those who approve and disapprove of this phenomenon among scholars, ancient and modern. Then I also mentioned some other related topics, and I applied the phenomenon to some Qur'anic texts to know its effect in creating textual coherence within the text. The Qur'anic, and I did not specify a text to apply the phenomenon to, but rather I thought that the application process would be on any Qur'anic text without specifying it, then I concluded the research with a summary of what the research contained, then the indexes, and the sources that I relied on in the research.

Keywords: Coherence, text, arrangement, presentation, delay.



تمهيد:

لاقت دراسةُ النّصّ اهتماما بالغا من علماء العربيّة ؛ لقناعتهم الأكيدة في تجاوز دراسة الجُملة في الدّراسات اللسانيّة ، ويبدو للبحث أنّ النّصوص القرآنيّة جاءت في صدارة تلك النّصوص محل الاهتمام ، كما أنّ مفهومه قد شكّل قطب رحى الدّراسات العربيّة المعاصرة ، سيّما تلك التي تتعلق بدراسة النّصّ ، وهو ما يعرف اليوم بلسانيّات النّصّ ، أو علم اللغة النّصّي ، وغيرها من التّسميات الأخرى ، ولا يخفى أنّ هذه الدّراسات إلى تجاوز دراسة الجُملة الضيّقة إلى ما هو أوسع من ذلك ، وهو (النّصّ) ، ويبدو أنّ هذا الخروج يعدّ تحولا أساسيّا في اخراج اللسانيّات من مأزق البنيويّة التّركيبيّة ، كما يؤكّد الدّكتور الطّيّب دبّة ذلك (دبّة، د.ت، صفحة ١٦٧) .

مفهوم النّصّ

يعدّ مصطلح النّصّ أحد أهم المصطلحات التي نالت حظّا وافرا في الدّراسات اللغويّة ، وورد ذكره في المعجم العربي بمعانٍ عدّة منها : الرّفع ، يظهر ذلك في قول الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ) يقول : ((نصنصت الحديث إلى فلان نصّا أي رفعته ...)) (الفراهيدي، د.ت، صفحة ٢٢٨/٤ مادّة (نصص)) وبهذا المعنى ذكره آخرون (الأزهري أ.، د.ت، صفحة ٣٥٨٤/٤ مادّة (نصّ) ؛ (الاثير، د.ت، صفحة ٥٤) ؛ (الفيروزآبادي، ١٣٩١هـ، صفحة ٨٥٨/١ مادّة (نصّ)) ، وإلى هذا المعنى أشار الفقّي إذ ذكر أنّ الرّفع يعني أنّ المتحدّث أو الكاتب لا بدّ له من رفع نصّه لكي يدركه المتلقّي (الفقي، ٢٠٠٠، صفحة ٢٨/١) .

لقد احتلّ تعريف النّصّ في كتب وبحوث النّصيين حيّزا كبيرا ، إلا أنّ البحث عن تعريفه تعريفا جامعا مانعا قد يكون أشبه بالمستحيل ؛ للزّخم الهائل من التّعريفات الاصطلاحيّة الواردة في المقام ، وقد نقل الفقّي عن أحد الباحثين أنّه ذكر لتعريف النّصّ أكثر من أربعة عشر تعريفا (الفقي، ٢٠٠٠، صفحة ٢٤/١) .

لقد شاع استعمال مصطلح (نص) في نهاية القرن التّاسع عشر وأوائل النهضة العربيّة الحديثة ، على القصيدة الشعريّة ، وغيرها ، ويبدو للباحث أنّ أغلب الناطقين بالعربيّة يفهمون أنّ معنى النّصّ هو القول الأصلي لمنتج النّصّ ... (البيّاتي، ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧ م ، صفحة ١١٩) ، وقد ذكر النّصّانيين تعاريف عدّة للنّصّ ، فقد عرّفه مفتاح بأنّه : ((مدونة كلاميّة ، وأنّه حدث يقع في زمان ومكان معيّنين ، يهدف إلى توصيل معلومات .... إلى المتلقّي)) (مفتاح، ٢٠٠٥ م، صفحة ١٢٠) ، وعليه يتّضح لدى البحث أنّ النّصّ لم يأت عن فراغ قط ، وإنّما جاء نتيجة أحداث لغويّة سبقته زمانا ، كما يمكن أن تتولد منه أحداث لغويّة لاحقة علية زمانا (مفتاح، ٢٠٠٥ م، صفحة ١٢٠) .

مفهوم التّقديم والتّأخير

اشارت بعض المعاجم اللغوية العربية القديمة منها ، والحديثة ، إلى أنّ التّقديم مأخوذ ، أو مشتقّ من الجذر الثّلاثي (قدم) ، فقد ذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ) أنّ : ((القُدمةُ والقَدمُ السابقة في الأمر ، وقوله تعالى : { لهم قدم صدق عند ربهم } (يونس : ٢) ؛ اي : سبق لهم عند الله خيرٌ ، وللكافرين قدم شر ... والقِدمُ مصدر القديم من كل شيء ، وتقول : قدُمَ يقدُمُ ، وقدَمَ فلانٌ قومَهُ ، اي : يكون أمامهم ...)) (الفراهيدي، د.ت، صفحة ١٢٢ /٥ ، مادة (قدم)) ، و في التّهذيب أنّ مادّة قدم تدلّ على السّبق (الأزهري أ.، د.ت، صفحة ٥٦/٩ مادّة (ق د م)) ، ومثله في المقاييس (فارس، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، صفحة ٦٥/٥ مادّة (ق د م)) ، وذكر الزّمخشري (ت ٥٣٨ هـ) أنّ قدم قومه أي : يقدمهم ، ومنه أيضًا : قادمة الرّجل نقيض آخرته ، و أقدمته فتقدّم ، وأنّ معنى أقدم ، أي : تقدّم ، ومنه مقدّمة الجيش .... (الزمخشري، د.ت، صفحة ٢/ ٥٩ ، مادّة (قدم)

وأمّا التّأخير فهو مشقّ من الجذر الثّلاثي أخر ، يقول الخليل : ((والآخر والآخرة نقيض المتقدّم والمتقدّمة ، والآخر الغائب ، والآخر نقيض القُدُمُ نقول : مضى قدمًا وتأخّر أخرًا . ولقيته أخريًّا ، أي: آخريًا)) (الفراهيدي، د.ت، صفحة ٦٠ /١ ، مادّة (أخر) ، وذكره ابن سيده (ت٤٥٨هـ) بقوله أنّ : ((التّأخير ضدّ التّقديم ، ومؤخّر كلّ

شيء خلاف مقدّمه)) (الأندلسي، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠، صفحة ٥/٢٣٥ ، مادة (أخر) أمّا ابن منظور الدمشقيّ (ت٧١١هـ) فقد قال : ((أو مقدّمه يقال : ضرب مقدّم رأسه ومؤخّره)) (منظور، ١٤١٤هـ، صفحة ١١/٦٦ ، مادة (قدم) ، وأكّد الجوهري (ت٣٩٣هـ)على أنّ وجود تناقض بين التقديم والتّأخير فكلا منهما نقيض الآخر (الفارابي، ١٩٨٧، صفحة ٥/٢٠٠٨ ، مادة (قدم) ، وكان الأزهري (ت٣٧٠هـ) قد أشار إلى ذلك التّناقض ، أو الفرق بين التقديم والتّأخير ، فقال : ((قدام خلاف وراء)) (الأزهري أ.، د.ت، صفحة ٩/٤٦ ، مادة (قدم) ، وممّا تقدّم يتبين أنّ هذين المفهومين يشكل كلّ منهما نقيضًا للآخر ، فالتّقديم هو تقديم على من سواه من النّظائر ، فما تفدّم منها فهو المقدّم ، ومالم يتقدّم ، أو من كان ليس من حقّه التّقديم فهو المؤخّر ، وهذا الأخير هو عكس ، أو نقيض الأوّل ، وإلى هذا أشارت هذه المصادر اللغويّة كما لحظت ، وغيرها .

أمّا معناهما في الاصطلاح ، فهو لم يبتعد كثيرًا عن معناهما اللغوي ، ويبدو أنّ هناك ارتباطا وثيقا بين المعنيين ، كما ستلحظ ذلك في البحث ، وبالنظر إلى أصل التّركيب اللغوي ، الذي هو إمّا جملة اسمية ، وتكون على النحو الترتيبي بتقدّم المبتدأ ، وتأخر الخبر ، إلا في الضّرورة ، وبذلك تكون الجمل الاسمية مرتبة بالابتداء بالمبتدأ وبتأخير الخبر عليه ؛ لأنّ حقّ المبتدأ هو التقديم ، والابتداء به ، وحقّ الخبر عكس ذلك ، وإمّا جملة فعلية مكونة بحسب الترتيب من فعل وفاعل ومفعول ؛ إذا كان الفعل متعديًا ، وإلا فمن فعل وفاعل فقط ، وبكلا الحالتين يتقدّم الفعل على الفاعل والمفعول معًا ، وعلى الحالة الثّانيّة يتقدّم الفعل على الفاعل ، ويتقدّم الفاعل على المفعول مع وجود المفعول ، وأنّ أيّ تغيير يطرأ على هذا الترتيب يعدّ تقديما ، وتأخيرا في أصل الترتيب ، وعدولا عنه ، وهذان الموضوعان الذي أشار لهما البحث إنما هما من جملة موضوعات أخرى كثيرة لا يسع المقام عن ذكرها ، والحديث عنها بأجمعها هاهنا ؛ لذا اختار البحث موضوعين منها لا غير ؛ وذلك روما للاختصار ، وهما موضوعا البحث .

وقد عرّف السّكّاكي (ت٦٢٦هـ) باب (التّقديم والتّأخير) بقوله : ((هو تتبّع خواص تراكيب الكلام في الإفادة ، وما يتّصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره)) (السّكاكي، ١٩٨٣ ، صفحة ١٦١) ، وعرّفه الجرجاني (ت٨١٦هـ) بأنّه : ((باب كثير الفوائد جمّ المحاسن ، واسع التّصرّف بعيد الغاية ، لا يزال يفترّ لك عن بديعه ، ويقضي بك إلى لطفه ، ولا تزال ترى شعرًا يروقك مسمعهنّ ويلطف لديك موقعه ثمّ تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء ، وحوّل اللفظ من مكان إلى مكان)) (النحوي، ١٩٧٨ ، صفحة ١٠٦) ، ويظهر من التّعريفين الآنفين الذّكر ، أنّ للتّقديم والتّأخير فائدة تكاد تكون واضحة للعيان ، تكمن في تغير موقع للفظ ما ، إلى موضع غيره ، وقد عرّفه كثير من المعاصرين من الباحثين ، والدّارسين ، بتعريفات عدّة فهذا الدّكتور مطلوب يعرفه بأنّه : ((تغيير لبنية التّراكيب الأساسيّة ، أو هو عدول عن الأصل يكسبها حريّة ودقّة ، ولكن هذه الحريّة غير مطلقة)) (مطلوب، ١٩٨٧ ، صفحة ٤١) ؛ (مطلوب، ١٩٨٦ ، صفحة ١٢٨) ، وعرفه آخر بأنّه : ((جعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصليّة أو بعدها ...)) (راضي، ١٩٨٠ ، صفحة ٢١٨) ، وعرفه من المحدثين كثير ، فهذا الدكتور أحمد المراغي بأنّه : ((ما يتعرض لبعض الكلم من المزايا التي تدعو إلى تقديمه وإن كان من حقه التّأخير ليكون المتقدّم مشيرا إلى الغرض الذي يراد)) (المراغي، د.ت، صفحة ٧٢) والبحث يرى الكفاية بذكر هذين التعريفين ؛ لوضوح معناهما ، والملاحظ هنا بعد معرفة جواز استخدام التبديل بالمرتبة بين المتقدم والمتأخر ، ضمن المساحات المسموح بها ، والحرية التي يتمتع بها المتكلم عند رغبته بذلك ، وقد يطرح السؤال الآتي في المقام ، وهو هل يجوز ذلك مطلقا ؟ أو لا ، أي أنّ هل هناك مساحات معينة في الاستخدام ، أو ضابط معين في ذلك ؟ يبدو ممّا سيتبيّن أنّ كل ذلك لا محذور منه مع وجود الفائدة ، وعدم التّجاوز على البنية الأساسيّة للجّملة ، أو لعدم وجود هدف أو غاية لدى المتكلم يريد منها إفادة المتلقّي بنحو يبعده عن الوقوع في دوّامة الغموض ، والابهام ، وإلا كان ممنوعا بلا شكّ ؛ لانتفاء الفائدة حينئذ ، والزّيادة في الإبهام ، وهو ما أكّده الدكتور أحمد مختار عمر لدى تعريفه للتّقديم والتّأخير على أنّه : ((التّغيير في

التّرتيب الطّبيعي لأجزاء الجّملة ، لغرض بلاغيّ كزيادة الاهتمام أو القصر أو التّشويق أو لضرورة شعريّة)) (الطوفي، ١٣٩٧هـ – ١٩٩٧م ، صفحة ١٨٩) ، فيظهر من كلامه هذا أنّ حدوث هذه الظّاهرة في الجّملة لا يتأتى لفراغ قط ، بل إنّ تحقّقه يكون في الغالب لتلك الأسباب والمسوغات التي ذكرها في التعرف المتقدّم ، وسيعرض البحث استحضار ذلك الجواز ، أو المنع ، لدى كل من النحويين ، والبلاغيين .

وأمّا المقصود بالتقديم والتأخير عند النّصيين فهو ما يحقق للنّصّ تماسكه ، وربط أجزاءه ، وجعله أكثر رصانة ، كما سيبين البحث ذلك تفصيلا .

ظاهرة التّقديم والتّأخير في التّراث العربي

أوّلًا : عند النحويين

من يتتبع نظام اللغة العربية بشكل دقيق ، يجد أنّها لا تمانع البتّة في التّغيير ، أو التّوسعة ، أو التّكرار ، أو الحذف ، وما الى ذلك من المظاهر التي lمن شأنها أنّها تتيح للمتكلم الحريّة في كيفيّة التّعبير عن المعاني التي يريد ايصالها إلى المتلقّي ، وكيفيّة صياغة الجّمل في ذلك ، من هنا يرى البحث أنّ ظاهرة التّقديم والتّأخير بوصفها احدى الظّواهر التي سمحت اللغة العربية باستخدامها ، وعلى النّحوين الاضطراري ، والاختياري تعطي للمتكلم الحقّ في ان يقدم المتأخر ويؤخّر المتقدّم ، والعكس ، متى رأى في ذلك مصلحة ما ، وهذا يدلل صراحة على ميل اللغة العربيّة إلى اعطاء الحريّة الكاملة ، والواسعة للمتكلّم ، وإفساح الفرصة أمامه للتّعبير عمّا يريد ، بالطّريقة التي يراها مناسبة لطرحه ، وهو ما ذهب إليه كثيرون ، فقد ذكر بعضهم أنّ إمكانات اللغة العربيّة تميل في اتّجاه حريّة التّرتيب للكلمات داخل الجّملة ، وهذا ما يؤكّده واقع استخدام اللغة العربيّة (٢٥) ، وهذا الرأي يدلل صراحة على مبنى البحث كما تقدم .

ورغم أهميّة التّقديم والتّأخير بوصفه أحّد أهم مظاهر العدول عن نظام التّرتيب داخل الجّملة ، مع ذلك نجد أنّ النحويين لم يولوا له أهميّة قصوى ، وما يدلّ على ذلك أنهم لم يخصّوه كغيره من الموضوعات الأخرى في باب مستقلّ بذاته ، إلا ما أورده بعضهم على نحو الإشارة ، أو العرض ، لا على نحو التّفصيل ، والتّخصيص ، كما سيشير البحث لذلك مفصّلًا ، وقد أشار الدّكتور أنيس إلى ذلك بقوله : ((حين نحاول البحث عن نظام الجملة العربيّة في كتب القدماء من اللغويين ، نراهم يشيرون إليه في ثنايا كتبهم اشارت سريعة تكاد تنتظم معظم أبواب النحو)) (رفعت، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ ، صفحة ٦) ، ويبدو أن الدّكتور حسان كان قد اشار إلى المعنى نفسه حين قال : ((يتناولون كل موقع على حدة ولا يحيطون بالظاهرة إحاطة شاملة ؛ لا من حيث الإحصاء ، ولا من حيث الاستقراء)) (رفعت، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ ، صفحة ٦) ، معللا ذلك بقوله : ((وربما كان السبب في ذلك أنّ تناولهم للحقائق النحوية ، كان يتم من خلال لغة المتون ، لا بواسطة طرق البحوث ، ففي المتون نرى كل باب من أبواب النحو يتناول حقائقه الخاصّة في حال عزله عن حقائق الأبواب الأخرى ، فيتقيد بالواقعة المفردة دون النظر إلى الظّاهرة الشّاملة ، إلا في أضيق الحدود)) (جني، د.ت، صفحة ٣٨٢/٢) ، والحقيقة أننا قد نجد بعض النحويين وهم يتحدثون عن التّقديم والتّأخير ، واجبا كان ، أو جائزا ، كالحديث عن تقديم المبتدأ على الخبر ، والعكس ، أو كتقديم الفاعل على المفعول ، والعكس ، ونحو ذلك ، لكن لا على نحو الاستقلال ، كباقي الموضوعات المستقلة الأخرى ، إلا أنّ هناك قلة ممّن أفرد لها أبوابا مستقلة ، من نحو ابن جني (ت٣٩٢هـ) فعند حديثه عن الشّجاعة العربيّة ، نجده قد أفرد لها بابا أسماه (باب في شجاعة العربيّة) (جني، د.ت، صفحة ٣٨٢/٢) ذكر فيه أهم مظاهر الشّجاعة العربيّة ، وكان منها ظاهرة التّقديم والتّأخير محل البحث ، فقد عقد فيه فصلا كاملا خصّ فيه الحديث عن صور التّقديم والتّأخير الواقعة في أبواب النّحو المختلفة ؛ كوقوعها بين المبتدأ والخبر ، وبين الفاعل والمفعول به ، ونحو ذلك (جني، د.ت، صفحة ٢٩٥/١) ، كما ذكر بابا آخر اسماه (باب في نقص المراتب إذا عرض هناك عارض) (جني، د.ت، صفحة ٢٩٥/١) تحدّث فيه عن تقديم المفعول به على الفاعل ، وأكّد فيه على أنّ هذا

الباب قائما بنفسه ، فقال : ((المفعول قد شاع عنهم وأطّرد من مذاهبهم كثرة تقدّمه على الفاعل ...)) (جني، د.ت، صفحة ٢٩٥/١) ، ثم ذكر قولًا لأبي علي (ت٣٧٧هـ) في المقام يقول فيه : ((إنّ تقدّم المفعول على الفاعل قسم قائم برأسه ، كما أنّ تقدّم الفاعل على المفعول أيضا قسم قائم برأسه ، وإن كان تقديم الفاعل أكثر ، وقد جاء به الاستعمال مجيئا واسعا نحو قول الله عزّ وجلّ : { إنّما يخشى الله من عباده العلماء } (فاطر : ٢٨) ، وإذا كان علماء النّحو معنيين بهذه الظّاهرة ، فإنّ اللغات الأخرى غير العربيّة معنيّة هي الأخرى بذلك ، لذا نجد أنّ اللغة العربيّة ليست اللغة الوحيدة التي تعمل بهذه الظّاهرة ، بل نجد أنّها معمول بها لدى جميع اللغات الأخرى أيضا ، وهذا ما أكّده فنديرس حين أكّد ذلك بقوله : ((لا توجد لغة واحدة تسير في ترتيب الكلمات على حريّة مطلقة ، كما لا توجد لغة واحدة ترتيب الكلمات فيها جامد لا يتحرك)) (فَندريس، ١٩٥٠ م، صفحة ١٨٧) في إشارة واضحة إلى ظاهرة التّقديم والتّأخير محل البحث ، مع أنّه قيّد هذه الحريّة في التّرتيب بين الكلمات ، شرط أن تكون مقيّدة بالقيم الصرفيّة (أنيس، ١٩٧٨، صفحة ٢٩٥) ، فعند العدول عن التّرتيب لأيّ أمر كان ، لا بدّ من أنّ هناك نظاما ، أو ترتيبا أصيلا للتّرتيب اللغوي ، يعدل عنه عن التّرتيب الأولي ، وهذا النّظام في العدول معمول به ، وموجود في جميع اللغات ، كما بيّن البحث ، ويبدو أنّ الغاية من هذا العدول التّرتيبي هو ايصال الرّسالة الى المتلقي بشكل واضح ، وصريح يؤدّي الغرض الأساسي للرّسالة ، وهو الإفهام ، كما يؤكّد ذلك الدّكتور أنيس بقوله : ((تخضع كل لغة لنظام معين في ترتيب كلماتها ، ويلتزم هذا الترتيب في تكوين الجمل والعبارات ، فإذا اختلّ هذا النظام في ناحية من نواحيه ، لم يحقق الكلام الغرض منه ، وهو الإفهام)) (اللطيف، د.ت، صفحة ٢٤٢) ، إذن النظام التّرتيبي للكلمات داخل الجّملة يكون وفق نظام اللغة التي يستخدمها المستخدم ، أو المتكلّم ، ومتى ما بدأ المتكلم بالمبتدأ في الجّمل الاسميّة ، وبالفعل ثم الفاعل ثم المفعول في الجمل الفعلية ، متى ما جاء الترتيب بهذا الشكل سمي هذا النظام (بالبنية الأساسيّة) (اللطيف، د.ت، صفحة ٢٤٢) ، وهو ما أكّده الدّكتور حماسة بقوله : ((يبدو واضحا أنّ القول بتقديم احد العناصر في الجملة المنطوقة ، أو تأخيره أو حذفه ، يعتمد على فكرة البنية الأساسية للجملة ، فلا يمكن الحكم على عنصر ما في الجملة بأنه مقدم من تأخير ، أو مؤخر من تقديم إلا إذا كانت بنية الجملة الأساسية تحكم بوضع هذا العنصر أو ذاك في موضع معين ، أو رتبة محدّدة)) (اللطيف، د.ت، صفحة ١٤٤)، والبنية الأساسيّة بحسب حماسة هي : ((الشّكل التّجريدي أو الصّورة النظرية للجّملة بوصفها الوحدة اللغويّة الأساسيّة ذات العلاقة النّحويّة المتضمنة داخل عناصرها ، غير أنّ هذه العلاقات النّحويّة قد لا تظهر مباشرة في سلسلة تتابع الكلام المنطوق ، بحيث يؤدّي الكلام المنطوق غايته من الإفادة وفقا لهذه الصّورة الكامنة التي تعتبر هي البنية الأساسيّة)) (هشام، ١٤١١هـ – ١٩٩١ م ، الصفحات ٤٣٣/٢ – ٤٣٤) ، من هنا نجد أنّ الأوائل من علمائنا ، يعتمدون في تحديد نوع الجّملة فيما لو كانت اسمية ، أو فعلية بناء على تصدّر المسند أو المسند إليه ، وأمّا الحروف فلا عبرة في تقدمها الجملة ، أو تأخرها عنها ، فهذا على سبيل المثال لا الحصر ابن هشام (ت٧٦١هـ) يقول : ((مرادنا بصدر الجملة ، المسند أو المسند إليه ، فلا عبرة لما تقدم عليها من الحروف ، فالجملة من نحو : أقائم الزيدان ، وأزيد أخوك ، ولعل أباك منطلق ، وما زيد قائما ، اسمية ، ومن نحو : أقام زيد ، وإنْ زيد قامَ ، و قد قام زيد ، وهلّا قمت ، ...)) (سيبويه، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م ، صفحة ٣٤/١) ، وكان سيبويه (ت١٨٠هـ) قد سبقه بذكر الحالة المشار لها ؛ حين أكّد على جواز تقديم المؤخّر ، والعكس ؛ ولكن مع الحفاظ على البنية الأساسيّة في الجّملة ، ففي باب تقديم المفعول به على الفاعل يقول : ((فإن قدّمت المفعول وأخرت الفاعل ، جرى اللفظ كما جرى الأول ، وذلك قولك : (ضرب زيدًا عبدُ اللهِ) ؛ لأنّك إنّما أردت به مؤخرًا ما أردت به مقدّمًا ، ولم تُرِد أنْ تشغل الفعل بأوّل منه ، وإن كان مؤخّرًا في اللفظ فمن كان حدّ اللفظ أن يكون فيه مقدّمًا ، وه عربي جيد كثير ، كأنّهم إنّما يقدّمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى ، ...)) (حسين، ١٩٩٨ ، صفحة ٨٨) ، وهناك من يرى أنّ سيبويه ممّن يذكر هذه الظّاهرة في أبواب كثيرة من أبواب النّحو ، وأنّه أوّل من

أشار إليها ، وأنّ هذا بحدّ ذاته يعدّ فضلًا ينسب إليه (أنيس، ١٩٧٨، الصفحات ٢٨٩ – ٣٠٩) ، وإذا كانت ظاهرة التّقديم والتّأخير من أساسيّات النّحو العربي ، إلا أنّ هناك حالات لا يجوز فيها التّقديم والتّأخير ، ومن هذه الحالات كما يذكر ابن السّرّاج (ت٣١٦هـ) :

١. لا يجوز تقديم الصّلة على موصولها ، فقولنا مثلا : جاء الذي نعرفه ، لا يجوز فيه تقديم الصّلة (نعرفه) على الموصول (الذي) ، فلا يصح : جاء نعرفه الذي .

٢. لا يجوز تقديم الصفة على الموصوف ، ففي مثل : جاء الرجلُ الكريمُ ، لا يجوز أن نقول : جاء الكريم الرجل .

٣. لا يجوز تقديم المضاف إليه على المضاف ، فلا يجوز أن نقول : هذه زيدٍ حقيبةُ ، والتي أصلها : هذه حقيبةُ زيدٍ . وغيرها (خليل، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٧ م ، صفحة ٢٢٩) .

ثانيًا : عند البلاغيين

لم يقتصر الحديث عن التّقديم والتّأخير لدى علماء النّحو فحسب ، بل تعدّى ذلك ليصل إلى علماء البلاغة أيضًا ، ولا يخفى أنّ لهذه الظّاهرة أثر لا يقلّ أهميّة عنه في البلاغة ، فهذه الظّاهرة تعدّ من الظّواهر الهامّة التي شغلت حيزًا كبيرًا في البلاغة ، سيّما علم المعاني منها ، إلّا أنّ الحديث عن مسألة تغيير الرتبة لدى البلاغيين كانت احدى القضايا الغير ثابتة لدى الباحثين ، والدّارسين ، فمنهم من عدّها احدى أهم عوامل الرّبط النّصّي ، الذي هو محل الكلام في المقام ، وهذا ما أكّده عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧٤هـ) (٤٥) ، وربّ قائل يقول وما علاقة تغيير الرتبة من الربط النّصّي ، أو ما الثّمرة ، أو الفائدة من ذلك ؟ وهنا يجيب الدّكتور إبراهيم خليل قائلًا : ((فإذا قدّم الشّاعر أو النّاثر ، أو المتكلّم الظّرف ثمّ أخّر الفعل فذلك يجعل من الكلام المتقدّم والمتأخر قطعة متماسكة من القول ، تقوم على الإفادة من ذاكرة المتلقّي الذي يختزن ثم يسترجع ، رابطًا بين المعمول وهو الظّرف ، والعامل فيه وهو الفعل)) (الميمني، د.ت، صفحة ١٣٢) ، ثم يستشهد بعد ذلك على قوله هذا ببيت للشّاعر إبراهيمَ بن العباس لدى مدحه الأمير محمّد بن عبد الله الملك الزّيّات ، الذي يقول فيه :

تكون عن الأهواز داري بنجوة ..... ولكنّ مقادير جرت وأمور (خليل، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٧ م ، صفحة ٢٢٩)

يقول : ((وهو في رأيه أكثر انسجامًا ، واتّساقًا ممّا لو قال : فلو تكون عن الأهواز دار بنجوة إذا نبا دهر لأنّه في هذه الحالة يضعف أثر الكلمات ويشحب الفحوى ، فتقديمه للظّرف جعل القارئ يتلهف شوقًا لمعرفة بقية الكلم ، وما كان هذا الشّوق ، ولا تلك اللهفة ، إلا لموقع الظّرف من التّقديم (إذا نبا دهر) وموقع العامل من التّأخير : تكون عن الأهواز داري)) (علي، ٢٠١١ ، صفحة ١٨٠) ، وهناك من ذهب إلى أنّ البلاغيين كانوا قد تجنبوا الحديث عن الرتبة المحفوظة ؛ لأنّ اختلالها يؤدي بالضّرورة إلى حدوث خلل في اللغة نفسها ؛ وذلك بسبب ثباتها ، وحفظها للتّرتيب وأنّهم بالمقابل كانوا قد تحدّثوا كثيرًا عن الرّتبة غير المحفوظة (حسّان، د.ت، صفحة ٥٥) ، وفي ذلك يقول الدّكتور حسّان : ((فإنّ علم المعاني يعدّ في هذه الحالات عالة على علم النّحو مثال ذلك أنّ النحاة حدّدوا الرّتبة في الكلام وجعلوها محفوظة وغير محفوظة ، وقد ارتضى علماء المعاني هذا التّقسيم وتجنبوا الكلام في الرّتبة المحفوظة فمنحوها دراسة أسلوبيّة مهمّة تحت عنوان « التّقديم والتّأخير » البلاغي ، وثيق الصّلة بقرينة الرّتبة في النّحو ، ولكن ليس الرّتبة المحفوظة لأنّها محفوظة فلا تختلف فيها الأساليب)) (حسّان، د.ت، صفحة ٥٥) ، وممّا لا يخفى على المتتبّع أنّ البلاغيين كانوا قد تحدّثوا عن الظّاهرة ، وحدّدوا ما يبتغون منها ، وأنّ مبتغاهم لا يشابه ذلك المبتغى النّحوي ، وهذا ما أكّده الدّكتور تمام حسّان حين ذكر أنّ دراسة التّقديم والتّأخير في البلاغة ، إنّما هي دراسة لأسلوب التّركيب ، لا للتّركيب نفسه ، كما يفعل النحويّون (السّرّاج، ١٩٨٣ ، الصفحات ٢/ ٢٢٢ – ٢٢٨) ، كما لا يخفى أيضًا ، أنّ هؤلاء العلماء كانوا قد أولوا لهذه الظّاهرة عناية فائقة ، واهتمام بالغ ، سيّما في الجانب الجمالي منها .

ثالثاً: في اللغات الأخرى

يبدو بأنّ ظاهرة التّقديم والتّأخير محل البحث ، ليس من مختصّات اللغة العربيّة فحسب ، بل تشاركه في ذلك جميع اللغات البشريّة الأخرى ، فهو ظاهرة لغويّة تشترك بها جميع اللغات الإنسانيّة دون استثناء ، ويبدو أيضا وبعيدا عن جميع الفنون اللغوية ، أو البلاغيّة ، التي تبيح للمتكلم في التّلاعب في أصل التّرتيب اداخل الجّملة ، كأنّها وجدت مع وجود أصل اللغة البشريّة ، وهو ما أكّده فندريس بقوله : ((لا توجد لغة واحدة تسير في ترتيب الكلمات على حريّة مطلقة ، كما لا توجد لغة واحدة يكون ترتيب الكلمات فيها جامد لا يتحرّك)) (فندريس، ١٩٥٠ ، صفحة ١٨٧) ، وقريب منه ما ذهب إليه الدّكتور إبراهيم أنيس ، يظهر ذلك من قوله : ((تخضع كل لغة لنظام معيّن في ترتيب كلماتها ، ويلتزم هذا التّرتيب في تكوين الجّمل والعبارات ، فإذا اختلّ هذا النّظام في ناحية من نواحيه ، لم يحقق الكلام الغرض منه ، وهو الإفهام)) (أنَيس، ١٩٦٦ م، صفحة ٢٩٥) ، ويبدو أنّ المراد من هذا الإفهام هو ما يتحقّق نتيجة نظام الكلمات وترتيبها بنحو ما داخل التراكيب اللغويّة (أنَيس، ١٩٦٦ م، صفحة ٢٩٥) .

المستحسنون والمستقبحون لظاهرة التّقديم والتّأخير :

أوّلاً : المستحسِنون للظّاهرة:

لا شكّ أنّ ظاهرة التّقديم والتّأخير من الظّواهر العربيّة الأصيلة ، ولا يخفى أنّ هذه الظّاهرة فسحت أمام المتكلم مجالًا أوسع ممّا هو في الكلام الذي يخلو منها ، فأعطت له من المساحة ما يكفي للتّعبير عن رأيه والافصاح عما هو مكنون في جوفه من المعاني ، ولعل أنّ من أهم ما يدلل استحسانها هو مجيئها في النّص القرآني ، وتعلى نحو واسع ، ولا شك في أنّ استخدام هذه الظّاهرة في عموم اللغات ، كما سيتضح ههنا ، إنّما مأتي لفائدة لغويّة بحتة ، أو لزيادة في المعنى المطلوب ، أو لتوضيح أمر ما ، خلافًا لما ذهب إليه بعضهم ، إذ أنكروا أنْ يكون للتّقديم ، وللتّأخير أثر في المعنى ، وأن ورودها في القرآن الكريم انّما جاء لأجل الفاصلة القرآنيّة فحسب (الزركشي، د.ت، صفحة ٢٣٣/٣) ، فيرى هؤلاء أن الظّاهرة لا تؤدي إضافة جديدة للمعنى القرآني ، فضلا عن غيره من النصوص الأخرى ، فهي على حدّ قولهم عديمة الجدوى ، والفائدة أيضًا ، على عكس المتتبعين للشأن اللغويّ عموما ، والعربيّ منه خصوصا ، فهم كثيرا ما يصرحون مرارًا ، وتكرارا بأنّ هذه الظّاهرة تعدّ احدى أهم الأساليب العربيّة الأصيلة ، التي يؤتى بها للدّلالة على التّمكن في الفصاحة ، وأنّ لها في القلب أحسن موقع ، وأعذب مذاق (النحوي، ١٩٧٨ ، صفحة ١٠٦) ، وهذه الظّاهرة كما يراها الجّرجاني (ت٤٧١هـ) بأنّها : ((باب كثير الفوائد جمّ المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية لا يزال يفتر لك عن بديعة ويفضي بك إلى لطيفة)) (جني، د.ت، صفحة ١٥/ ٩٠) ، وعدّها ابن جنيّ من الشّجاعة العربيّ (علي، ٢٠١١ ، صفحة ٤٤)، ولكن ومع هذا يجد البحث أنّ العلماء تناولوها بين مؤيّد مستحسن لها ، وبين رافض مستقبح لها كما لحظت .

الأساليب الجّماليّة لظاهرة التّقديم والتّأخير في القرآن الكريم

لا يخفى أنّ لظاهرة التّقديم والتّأخير في البلاغة أثر كبير ؛ كونها تعدّ أحدى أكثر الأساليب الجماليّة في التّعبير ، و تعدّ أيضًا واحدة من أهم الفنون البلاغيّة (السّامرائي، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٢ م ، صفحة ٥٥) ، لذا نجد بأنّ القرآن الكريم لم يبتعد في وصفه لها عن هذه الصّفة ، ولم يهجرها ، بل بالعكس فكثيرًا ما نراه يستعملها في كثير من آياته ، وفي مواضع شتّى ، من هنا يرى البحث أنّ القرآن الكريم يشكل بأجمعه ترابطًا ، واتّساقًا ، بين جميع آياته .

ومن الأساليب الجّماليّة في القرآن الكريم :

١. يأتي بدافع الشّرفيّة والأفضليّة

لا شكّ ولا ريب في أنّ للنّاس مراتب تختلف فيما بينها ، واستنادًا لتلك المراتب نجد أنّ النّاس متفاوتون بينهم ، فمنهم من كان ذو مرتبة متقدمة ومنهم من كانت مرتبته وسطا ، ومنهم من كانت متأخرة ، وهكذا ، فالأنبياء والأوصياء متقدمون في الرتبة على سائر الناس ، والرسل متقدمون على الأنبياء ، وقد أشار الدّكتور فاضل

السّامرائي إلى ذلك مؤكّدًا على أنّ النّاس كلما ترقّوا في الفضل قلّ صنفهم ، وأكّد على أنّ القرآن الكريم كان قد استعمل هذا الأسلوب كثيرًا ، ففي قوله تعالى : { وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي }(الحج/٥٢) ، ونلحظ هنا أنّ القرآن قدّم الرسول على النبيّ ؛ لأنّ الرتبة بينهما متفاوتة ، فالرسالة أشرف مكانة من النبوّة .

٢. يأتي بدافع الحبّ والإيثار

قد يقدّم الإنسان بعض النّاس على غيرهم ، وفق ضوابط ، ومعايير ترتبط بصلة الرّحم ، أو بدافع العاطفة الإنسانيّة ، أو وفق اعتبارات أخرى ، عرفيّة كانت ، أو أخلاقيّة ، وفي مسألة الافتداء يوم القيامة ، أعني افتداء الإنسان يوم القيامة بأرحامه ، نجده يبدأ تارة بالأبعد ثمّ البعيد ، واخرى بالقريب فالأقرب ، وهو ما نصّ به القرآن الكريم في قوله تعالى : { يودّ المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤويه } (المعارج / ١١) ، ويبدو أنّ تقديم الأبن في عمليّة الافتداء من العذاب ، جاء إمّا لأنّه أكثر الأطراف بين الأرحام مستعد للتّضحية عن أبيه ، في الافتداء ، أو لأنّه أقرب الأطراف إلى قلب الأب ، يؤكّد ذلك قول الزّمخشري (ت٥٣٨هـ) يقول : ((وخصّ الأبناء والنّساء ، لأنّهم أعز الأهل ، وألصقهم في القلوب ، ...)) (علي، ٢٠١١ ، صفحة ٤١) ، أو لاعتبارات اخرى يجهلها الانسان في هذا العالم المحدود ، لكنّه سيبصرها في عالم الآخرة الواسع المدارك .

٣. يأتي لغرض التّناسب المعنوي

كما في قوله تعالى : { فريقًا تقتلون وتأسرون فريقًا }(الأحزاب : ٢٦) ، وهنا نجد أنّ القرآن الكريم في الجّملة الأولى قدّم المفعول به ، وهو فريقًا على عامله ، وهو تقتلون ، على حين أنّه في الجّملة الثّانية لم يقدّمه ، ويبدو أنّ هناك تناسبا ملحوظا ، وواضحا بين المعنيين ، ففي الجّملة الأولى نجد أنّ المقاتل كان قد تقدّم للقتال ، ويتناسب معه القتل ، فتقدمه في ساحة المعركة للقتال يقضي بأحد أمرين إمّا قاتلًا ، وإمّا مقتولًا ، أمّا في الجّملة الثّانية فالحال قد تغيّر تمامًا ، لأنّ المقاتل قد يكون في مكان بعيد عن القتال إلا أنّه تم أسره ، وهذا التّفاوت في المعنى أدّى بدوره إلى عمليّة التّقديم ، والتّأخير ، وإلى هذا المعنى ذهب آخرون (الرواشدة، ٢٠١٣ ، صفحة ١٠٢) .

ثانيا : المستقبحون للظّاهرة

هناك من العلماء اللغويين من قيل أنّه استقبح ظاهرة التّقديم والتّأخير في العربيّة ، ومن هؤلاء الخليل بن أحمد الفراهيدي ، الذي ذكر بعضهم (سيبويه، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م ، صفحة ٣٤/١) أنّه يرى قباحة في تّقديم المتأخر ، والعكس ، وهذه القباحة مشروطة فيما لو أخلّ هذا في نظام البنية الأساسيّة للجّملة ، أو أدّى إلى الإخلال بقانون النّظام النّحوي ، ففي مثل (زيدٌ قائمٌ) يقبح عنده قولنا : قائمٌ زيدٌ ، من غير جعل قائم خبرًا مقدّمًا ، من هنا نجد أنّ سيبويه كان قد ردّ ردّا لاذعا على استاذه الخليل حين قال عنه : ((وزعم الخليل رحمه الله أنه يستقبح أن يقول : (قائم زيد) ، وذاك إذا لم تجعل (قائما) مقدما مبنيا على المبتدأ ، كما تؤخر وتقدم ، فتقول : (ضرب زيدًا عمرو) و (عمرو) على (ضرب) مرتفع ، وكان الحدّ أن يكون مقدما ، ويكون (زيد) مؤخرا ، وكذلك هذا الحد فيه أن يكون الابتداء فيه مقدما ، وهذا عربي جيد ...)) (حسين، ١٩٩٨ ، صفحة ٥٩) ، والظاهر انّ تقبح الخليل للظاهرة إنّما هو (العدول عن الأصل) ويأتي إما لأنّ هذا العدول سيؤدي إلى اللبس في المعنى لدى المتلقي ، أو لمخالفته القواعد النحويّة ، وفي ذلك يقول الدكتور عبد القادر حسين بأنّ : ((التقديم عند الخليل يكون على نية التأخير ، ويبقى حكمه الذي كان عليه قبل أن يقدم ، فتقديم الخبر في (زيدٌ قائمٌ) يظل خبرًا إذا قلنا (قائمٌ زيدٌ) ، وتقديم المفعول في (ضرب زيدٌ عمرًا) بقي على حاله إذا قلنا : (ضرب عمرًا زيدٌ) وهذا هو الشرط لحسن التقديم عند الخليل ، وبدون هذا الشرط يصبح الكلام قبيحًا ؛ لأنّه إما أن يؤدي إلى لبس كما في تقديم المفعول حين يصبح فاعلا ، أو يؤدي إلى المحال ، كما في تقديم الخبر ؛ حيث يخبر عن النكرة بالمعرفة)) (علي، ٢٠١١ ، صفحة ٣٧) ، من هنا يرى البحث أنّ مذهب الخليل لم يكن استقباح الظّاهرة بما هي هي ، وإنّما جاء تقبيحه لها متى ما أحدثت ارباكا في النظام اللغوي المعهود ، وهذا حقيقة لا يعني البتة في أن يكون الخليل من المستقبحين

لها مالم تخرج عن البنية الأساسيّة للجّملة ، وبالتّالي فانّ أيّ خروج عن الأصل لا فائدة له ترجى ، لا جدوى منه ، وعليه فالخليل (رحمه الله تعالى) يساير في رأيّه هذا مع من استحسن الظّاهرة ، ولكن شرط أن يكون التّقديم تقديم الرتبة فحسب ، لا الحكم .

ظاهرة التّقديم والتّأخير في القرآن الكريم

تعدّ هذه الظاهرة من الظواهر التي شغلت اهتمام علماء اللغة قديما وحديثا ، فمنذ ظهورها وهي تشغل حيّزا كبيرا من مساحة اهتمام هؤلاء ، فضلا عن غيرهم من علماء التفسير الذين لم ينفكوا هم الآخرون عن الاهتمام بها ، وبكينونتها ، فهذه الظاهرة لم تكن وليدة اللغة فحسب ، بل نجد أنها قد شغلت مساحات واسعة في القرآن الكريم ، لذا نجد أنّ جملة من هؤلاء قد بيّنوا اسلوب الظّاهرة ، وكشف النقاب عن حقيقتها ، والفصح عن غايتها ، ثم تحدّثوا عن القيمة البيانيّة لها ، وذكروا أنواعها ، ونحن نحاول هنا أن نذكر بعض هذه الأبواب على نحو الاختصار ، وإذا أردنا تعريفها من النّاحية القرآنيّة ، بوصفها احدى الأساليب القرآنيّة ، فإنّه على ما يبدو سيكون تعريفًا أوسع وأشمل من التعريفات النحويّة والبلاغيّة المتقدّمة ، لأنّنا نجد تعريفها ههنا يشمل بحسب ما أورده بعضهم يشمل القارّ من اللفظ في مكانه ، والمزال من مكانه أيضًا ، وبذلك نجد أنها قد اتسعت دائرتها في القرآن الكريم عمّا هي في النحو والبلاغة (الزركشي، د.ت، صفحة ٣/ ٢٣٣) ، من هنا يرى البحث ذكر بعض التعريفات التي ذكرها بعض المشتغلين بالقضايا القرآنيّة ، فهذا الزّركشي (ت٧٩٤هـ) يعرف الظّاهرة (التّقديم والتّأخير) بقوله : ((هي احد أساليب البلاغة ؛ فإنّهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة ، ولكتهم في الكلام وانقياه لهم ، وله في القلوب أحسن موقع ، وأعذب مذاق)) (اللطيف، د.ت، صفحة ٢٤٢) ، وقد حصر البحث في دراسته هذه على سورة الفاتحة لا غير ؛ وذلك روما للاختصار ، ولما يسعه المقام ههنا .

التّقديم والتّأخير داخل الجّملة

يرى البحث أنّ الذي يهمنا في المقام هو حصول التقديم والتأخير داخل الجملة ، وهل يجوز فيها التّقديم والتّأخير ، يجيب الدّكتور حماسة عن ذلك قائلًا : ((يبدو واضحًا أنّ القول بتقديم أحد العناصر في الجّملة المنطوقة ، أو تأخيره أو حذفه ، يعتمد على فكرة « البنية الأساسيّة » للجّملة ، فلا يمكن الحكم على عنصر ما في الجّملة بأنّه مقدّم من تأخير ، أو مؤخر من تقديم إلا إذا كانت بنية الجّملة الأساسيّة تحكم بوضع هذا العنصر أو ذاك في موضع معيّن ، أو رتبة محدودة)) (اللطيف، د.ت، صفحة ٢٤٢) .

يرى البحث أنّ حدوث ظاهرة التّقديم والتّأخير في الكلام يأتي على نحوين :

الأوّل : تقديم الألفاظ بعضها على بعض ، نحو قوله تعلى : { وما أهل به لغير الله }(الغاشية / ٩) ، وبين قوله سبحانه في موضع آخر إذ قال عز من قائل : { وما أهلّ لغير الله به } (المائدة / ٣) .

الثّاني : تقديم اللفظ على عامله ، وهذا النوع من التقديم والتّأخير يفيد التخصيص حصرًا ، نحو قوله تعالى : { إيّاك نعبد وإيّاك نستعين }(الفاتحة /٥) ، ونحو قوله عزّ و جلّ : { وربّك فكبّر } (المدّثّر/٣) ، وأمثلت ذلك كثيرة ، نحو قولك : تمرًا أكلت ، وغيرها .

وقد ذكر علماء النحو أنّ للتقديم والتأخر في الجملة صور عدّة ، منها :

اوّلا : تقدّم الخبر على المبتدأ

الأصل في الجّملة الاسميّة أن يتأخر خبرها على المبتدأ ، وفي ذلك يقول ابن مالك (ت٦٧٢هـ) :

الأصل في الأخبار أن تؤخرا ..... وجوزوا التّقدّم إذ لا ضررا (بن.عقيل، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥ م ، صفحة ١/ ٢٢٧)

فهو ممّن يجيزون التّقدّم ، إذ لا يضرّ هذا التّقدّم في هيئة الجّملة ، كما يرى أصحاب هذا الرأي ، بخلاف الكوفيين ، الذين ذهبوا إلى المنع في ذلك (الأنباري، ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م ، صفحة ١/ ٤٦) ، والمسألة لا تحتاج إلى

تأمل ، ونظر ، فالتّقديم في الصّورة كان قد ورد القرآن الكريم ، وعلى نحو اللزوم ، ففي قوله تعالى : { فله أجره } (البقرة/١١٢) ، نجد هنا تقدّم الخبر ، ولو أنّنا قدّمنا المبتدأ عليه ، (أجره له) ، لعلد الضّمير فيه وهو (الهاء) على الآجر نفسه وهو (الله) سبحانه لا على المأجور وهو (العبد) ، وهو هنا مؤخر لفظا ورتبة ، وذلك لا يجوز البتّة (التّكريتي، د.ت، صفحة ٧٨. البقرة) .

وفيه صورتان :

الصّورة الأولى : تقدّم الخبر وجوبًا

وهنا حالات ثلاث :

الحالة الأولى

إذا كان الخبر شبه جملة ، والمبتدأ نكرة عامّة لا مسوغ لها .

ومن أمثلتها القرآنيّة ، قوله تعالى : { لسعيها راضية } (الغاشية/٢٥) ، وهنا تقدّم الخبر (لسعيها) على المبتدأ (راضية) وجوبًا ؛ لأنّه (الخبر) شبه جملة ، والمبتدأ نكرة عامّة (عبدالمجيد، ٢٠٢٢، صفحة ٣٨) .

الحالة الثّانية

إذا كان الخبر مقصورًا على المبتدأ

نحو قوله تعالى : { إنّ إلينا إيّابهم } (الشّرح/٥) ، وقوله عزّ و جلّ : { ثمّ إنّ علينا حسابهم } (الغاشية/١٢) ، وقد تقدّم الخبر هنا (في الآيتين معًا) ؛ لأنّ الخبر فيهما ؛ جاء مقصورًا على المبتدأ (عبدالمجيد، ٢٠٢٢، صفحة ٤١) .

الحالة الثّالثة

إذا كان الخبر شبه جملة ، والمبتدأ نكرة لا مسوغ لها .

نحو قوله تعالى : { فإنّ مع العسر يسرًا } (الغاشية/١٢) ، في هذه الآية الشّريفة نجد تقدّم خبر إنّ (مع العسر) على اسمها (يسرًا) ؛ لأنّه جاء شبه جملة ، وامّا سمها فقد جاء نكرة لا مسوغ لها (عبدالمجيد، ٢٠٢٢، صفحة ٣٨) .

الصّورة الثّانية : تقدّم الخبر جوازًا .

وهنا حالات ثلاث :

الحالة الأولى

إذا كان الخبر شبه جملة والمبتدأ نكرة خاصّة

نحو قوله تعالى : { فيها عين جارية } (الغاشية/١٢) ، وقوله عزّ و جلّ : { فيها سرر مرفوعة } (الغاشية/١٣) ، وهنا تقدّم الخبر على المبتدأ جوازًا ؛ لأنّه شبه جملة ، والمبتدأ نكرة خاصّة (موصوفة) (عبدالمجيد، ٢٠٢٢، صفحة ٣٨) ، ومثله قوله تعالى : { له غيب السماوات والأرض } (هود/١٢٣) ، وهنا نجد أنّ شبه الجملة (له) قد تقدّم على المبتدأ (غيب) ، ويبدو أنّ العلّة في هذا التّقديم تكمن في بيان الاختصاص لله تعالى بما هو غائب عمن هو في السّماوات من الملائكة عموما ومنهم المقرّبون ، ومن في الأرض عموما ، ومنهم الأنبياء والمرسلين والأولياء ، فاختصّ هو سبحانه بذلك .

الحالة الثّانية

إذا كان الخبر شبه جملة والمبتدأ نكرة عامّة سبقت باستفهام ، أو بنفي .

نحو قوله تعالى : { هل في ذلك قسم لذي حجر } (الفجر /٥) ، نجد هنا تقدّم الخبر (في ذلك) جوازًا على المبتدأ (قسم) ؛ لأنّه شبه جملة والمبتدأ نكرة عامّة سبقت باستفهام (عبدالمجيد، ٢٠٢٢، صفحة ٣٨) ، ونحو قوله تعالى : { وما لأحد عنده من نعمة تجزى }(الليل /١٩) ، وهنا جاء الخبر شبه جملة أيضا وهو (لأحد) ، والمبتدأ (نعمة) وهي نكرة عامّة ، سبقت بنفي (عبدالمجيد، ٢٠٢٢، صفحة ٤٠) .

الحالة الثّالثة

إذا كان الخبر شبه جملة والمبتدأ معرفة

نحو قوله تعالى : {وأنّ له الذكرى } (الفجر /٢٣) ، هنا تقدّم الخبر الجار والمجرور (له) ، على المبتدأ (الذكرى) ؛ لأنّه شبه جملة ، والمبتدأ معرفة (سيبويه، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م ، صفحة ٣٤/١) .

ثانيا : تقدّم المفعول به على الفاعل .

ذكره اللغويّون كثيرا في كتبهم ، وإن كانوا لا يحيطون به احاطة شاملة ، وواسعة لا من حيث الاحصاء ، ولا من حيث الاستقراء ، كما ذكر الدكتور حسان ذلك لدى تقديمه لكتاب (الموقعية في النّحو العربي دراسة سياقيّة) (رفعت، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ ، صفحة ٦) ، ومعللا قرأيه هذا بقوله : ((ربّما كان السّبب في ذلك أنّ تناولهم للحقائق النحويّة ،كان يتمّ خلال لغة المتون ، لا بواسطة طرق البحوث ، ففي المتون نرى كلّ باب من أبواب النّحو يتناول حقائقه الخاصّة في حال عزلة عن حقائق الأبواب الأخرى ، فيتقيّد بالواقعة المفردة دون النّظر إلى الظّاهرة الشّاملة ، إلا في أضيق الحدود)) (رفعت، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ ، صفحة ٦) وممّن ذكره ابن جنّي (ت٣٩٢هـ) إذ ذكره ضمن باب اسماه : (باب في نقض المراتب إذا عرض هناك عارض) تحدّث فيه عن تقديم المفعول به على الفاعل ، يقول : ((المفعول قد شاع عنهم واطّرد من مذاهبهم كثرة تقدّمه على الفاعل ، حتى دعا ذاك ابا علي إلى أن قال: إنّ يقدّم المفعول على الفاعل قسم قائم برأسه ، وإن كان تقديم الفاعل أكثر ، وقد جاء به الاستعمال مجيئا واسعا ، نحو بقول الله عزّ وجلّ : { إنّما يخشى الله من عباده العلماء } (فاطر / ٢٨)

وفيه صورتان :

الصّورة الأولى : تقدّم المفعول به وجوبًا .

وهنا حالتان :

الحالة الأولى

إذا جاء المفعول به ضميرًا ، والفاعل اسمًا ظاهرًا .

اجمالا يقول سيبويه : ((فإن قدّمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأوّل ، وذلك قولك : ضربَ زيدًا عبدُ الله ؛ لأنّك إنّما أردّت به مؤخر ما أردت به مقدّما ، ولم تُرد أن تشغل الفعل بأوّل منه وإن كان مؤخرًا باللفظ . فمن ثمّ كان حدّ اللفظ لأن يكون فيه مقدما ، وهو عربي جيّد كثير ، كأنّهم إنّما يقدمون الذي بيانه أهم لهم ، وهم ببيانه أعنى ، وإن كانا جميعا يُهِمانهم ويعنيانهم)) (عبدالمجيد، ٢٠٢٢، صفحة ٣٨) ، نحو قوله تعالى : {ويتجنبها الأشقى } (الليل/١١) ، ففي هذه الآية الكريمة تقدّم المفعول به (ها) على الفاعل (الأشقى) ، وجوبًا ؛ وذلك لأنّ المفعول به جاء ضميرًا ، والفاعل اسمًا ظاهرًا (عبدالمجيد، ٢٠٢٢، صفحة ٣٩) ، ومنه قوله تعالى أيضًا :{ هل أتاك حديث الغاشية } (الغاشية /١)

الحالة الثّانيّة:

إذا كان المفعول به ممّن له الصّدارة في الكلام .

نحو قوله تعالى : { وما يغني عنه ماله إذا تردّى } (الليل/١١) ، وهنا تقدّم المفعول به (ما) على الفاعل (ماله) ؛ لأنّه ممّن له الصّدارة في الكلام (عبدالمجيد، ٢٠٢٢، صفحة ٣٩) .

الصّورة الثّانية تقدّم المفعول به جوازًا .

وهنا حالتان :

الحالة الأولى

إذا أمن اللبس .

نحو قوله تعالى : {ولا يوثق وثاقة أحدٌ }(الفجر/٢٦) ، فهنا تقدّم المفعول به (الهاء) ، على الفاعل (أحدٌ) ؛ لأمن اللبس ، بقرينة الحركة الإعرابيّة (عبدالمجيد، ٢٠٢٢، صفحة ٣٩) .

ثالثا : تقدّم المفعول به على الفعل وجوبًا .

وهنا حالتان :

الحالة الأولى

إذا وقع الفعل بعد فاء الجزاء .

نحو قوله تعالى : { وأمّا السّائل فلا تنهر } (الضحى/١٠) ، وهنا نجد أنّ المفعول به قد تقدّم على فعله ؛ وذلك لأنّ الفعل وقع هنا بعد فاء الجزاء ؛ كما أنّ ليس هناك مفعولًا آخرًا للفعل (عبدالمجيد، ٢٠٢٢، صفحة ٤١) ، ونحو قوله تعالى : { فأمّا اليتيم فلا تقهر } (الضحى/٩) .

الحالة الثّانية

إذا كان المفعول به ممّن له الصّدارة في الكلام .

نحو قوله تعالى : { وما يغني عنه ماله إذا تردّى } (الليل/١١) ، وهنا نجد أنّ المفعول به (ما) قد تقدّم على فعله (يغني) ؛ وذلك لأنّ له الصّدارة في الكلام (عبدالمجيد، ٢٠٢٢، صفحة ٣٩) .

وقد ذكر بعضهم أنّ التّغيير في الرّتبة داخل الجملة يعدّ أحّد عوامل الربط عند عبد القاهر الجرجاني (خليل، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٧ م ، صفحة ٢٢٩) ، وأنّ تقديم المتكلّم ناثرًا كان او شاعرًا لمن حقّه التّأخير ، جعل بذلك كلامه كالقطعة الواحدة المتماسكة من القول ، كما أنّ تلك الفائدة لا تعود على الكلام فحسب ، بل تعود بالأساس على المتلقّي في استرجاع ما هو مختزن في ذاكرته ، والذي من خلال تلك المعلومات المختزنة يقوم بدوره للرّبط بين المعمول والعامل ، ليجعل من الكلام أكثر تماسكًا وترابطًا ، وبالتّالي يحقق للنّص تماسكه واتساقه ، كما ويبدو للبحث أنّ هذه الظّاهرة فضلا عن تقديمها الفضل للمتلقّي في الاستفادة من المعلومات المخزونة لديه ، فأنّه يحرّك لديه أيضًا الشّوق واللهفة في معرفة تتمّة الكلام المتبقّي ، وهذا الشّوق وهذه اللهفة إنّما جاءت كما ذكر بعضهم من تقديم المتأخر والعكس (عبدالمجيد، ٢٠٢٢، صفحة ٢٢٩) .

التّقديم والتّأخير في القرآن الكريم

قد يرد هذا التساؤل هنا في المقام ، وهو هل لهذا التقديم والتأخير الذي تقدم ذكره ههنا ، فوائد في توضيح المعنى المراد ، أو هل له ثمارا تعم المعنى ، وجعل النص أكثر تماسكا ، ورصانة ؛ سيّما ما ورد ذكره في القرآن الكريم ، حيث نجد كثير من النصوص القرآنية وقد ورد فيها تقديم وتأخير بشكل واسع كما مرّ ، وللإجابة على هذا التّساؤل لابد لنا في المقام من مراجعة عبارات بعض العلماء القدامى ، والمعاصرين في ذلك ، وما طرحوه لنا من آراء ، وأفكار ، وقبل عرض هذه الآراء ، أود أن أشير إلى مسألة هامّة ترتبط بنصوص القرآن الكريم ، فقد ذهب بعضهم إلى أنّ ما جاء من تقديم وتأخير في القرآن الكريم عموما ، إنّما جاء لأجل اتمام ما يسمى بالفواصل القرآنيّة ليس إلا ، فإنّما يجاء بالتقديم والتأخير لرعاية الفاصلة القرآنيّة لا غير (عبدالمجيد، ٢٠٢٢، صفحة ٢٢٩) ، يقول ابن الأثير (ت٦٣٧هـ) في المقام : ((التقديم في بعض آيات الفرآن الكريم هو التّفنن في القول ومراعات نظم الكلام وفواصل الآيات)) (أنيس، ١٩٧٨، الصفحات ٢٨٩ – ٢٩٠) ، فهو ممن يرى أنّ مجيء هذه الظّاهرة هنا إنّما يأتي من باب مراعاة الفاصلة القرآنيّة ، اضافة إلى بعض الخصائص الأخرى التي جاءت في سياق التّعريف المتقدّم ، ويبدو أنّه يرى مجيء الفاصلة تابعة للمعنى المراد من النّص القرآني ، وبحسب ما يقتضيه الحال ، وإذن فالتّقديم والتّأخير يعدّان بحسب هذا الرأي من ضرورات مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، ولذا يقول السّرّاج في ذلك : ((تقديم ما حقّه التّأخير من ركني الجملة لأنّ تقديمه يرمي إلى مطابقة الكلام لمقتضى الحال)) (أنَيس، ١٩٦٦ م، الصفحات ٢٨٩ – ٢٩٠) ، وهذا كلام مرفوض ، ولا يعتدّ به لدى كثيرين ؛ وكيف لا وهو يتعارض مع كثير من مفاهيم النصوص القرآنيّة الصريحة ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، نجد في قوله تعالى : { الحمد لله ربّ العالمين } (الفاتحة/٢) ، أنّ الحمد جاء متقدما على لله ، وهنا يرى بعضهم أن لا فرق في قولك : (لله الحمد) وقولك :

(الأثير، د.ت، صفحة ٦٠) ؛ وذلك لعدم الفرق عندهم في تقديم المسند على المسند إليه ، أو العكس ، فلا فرق بين المعنيين كما يذهب لذلك البعض ، وهذا التقديم والتأخير لا يغير من المعنى شيئا (السّراج، ١٩٨٣ م، صفحة ١٦٤) ، إلا أنّ هذا الكلام مردود ومرفوض ؛ لأنّ قولنا : الحمد لله ، نعني بها اثبات الحمد لله تعالى من دون إرادة الاختصاص بخلافه بقولنا : لله الحمد ، فإنّنا نعني بها الاختصاص والتوكيد ، بعد اثبات الحمد لله عزّ وجلّ ، ففي الآية السابقة من سورة الفاتحة المراد منها اثبات الحمد دون اختصاص ، ولكن في قوله تعالى : { لله الحمد ربّ السماوات والأرض } (السّراج، ١٩٨٣ م، صفحة ١٦٤) ، المراد فيها اثبات الحمد مع الاختصاص والتّأكيد ، وهذا ما ذهب إليه كثير من علماء العربيّة والتّفسير (السّراج، ١٩٨٣ م، صفحة ١٦٤)

الخاتمة:

أشار البحث إلى مجموعة من القضايا الهامّة ، ومنها :

١ . بيّن البحث على أنّ لظاهرة التّقديم والتّأخير تأثير كبير على الفصاحة ، والتّصرف في الكلام ، ممّا أسهم في توسيع رقعة المعاني ؛ بسبب اعطاء اللغة مساحة أكبر في التّصرّف بمفردات الكلام ، وحريّة التّعبير والاختيار .

٢ . أشار البحث إلى وجود علاقة متينة بين المعنيين : اللغوي ، والاصطلاحي .

٣ . أثبت البحث على أنّ ظاهرة التّقديم والتّأخير واحدة من أهم القضايا التي استعملها القرآن الكريم ؛ وذلك عن طريق تكرارها في كثير من الآيات الكريمة ، ممّا يدلّل على عظمة القرآن الكريم ، وإعجازه .

٤ . استطاع البحث أن يكشف عن قيمة وأهميّة الإعراب ؛ وذلك عن طريق التقديم والتأخير .

٥ . أكّد البحث على وجود مجموعة من الرّوابط الوثيقة التي تجمع بين علمي النحو ، وعلم البلاغة ، في تحديد المعنى .

المصادر:

القرآن الكريم
-ابن فارس (ت: ٣٩٣هـ) . (١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م). معجم مقاييس اللغة . بيروت : دار الفكر .
-ابن الاثير. (د.ت). أدب الكاتب والشّاعر : ، تح : أحمد الحوفي ، وبدوي طبانة. القاهرة : نهضة مصر.
-ابن الأثير. (د.ت). المثل السّاير : ، تر : أحمد العرفي ، وبدري طبابة. القاهرة : دار النشر.
-ابن جني. (د.ت). الخصائص ، تح : الأستاذ محمد علي النجار . دار الكتب المصرية .
-ابن هشام. (١٤١١هـ – ١٩٩١ م). مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تح : الأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد . صيدا – بيروت: المكتبةالعصرية.
-أبو الفضل محمد بن مكرم (ت٧١١هـ) ابن منظور. (١٤١٤هـ). لسان العرب (المجلد ط٣). بيروت: دار صادر.
-أبو القاسم محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ) الزمخشري. (د.ت). أساس البلاغة (المجلد د.ط). (تحقيق: الأستاذ عبد الرحيم محمود ،عرّف به: الأستاذ أمين الخولي، المحرر)
-أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن محمد الجرجاني النحوي. (١٩٧٨). دلائل الإعجاز : تعليق : محمود محمد شاكر ، ط ٢ . بيروت : دار المعرفة.
ابو منصور (ت٣٧٠هـ) الأزهري. (٢٠٠١م). تهذيب اللغةط١ . بيروت : دار احياء التّراث العربي.
أبو منصور الأزهري. (د.ت). تهذيب اللغة . بيروت : دار إحياء التراث العربي.
ابو نصر اسماعيل بن حماد ،(ت : ٣٩٣هـ /١٠٠٣ م) الفارابي. (١٩٨٧). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (المجلد ط٤). (تحقيق : احمد عبد الغفور عطار، المحرر) بيروت : دار العلم للملايين.
أبي البركات (ت٥٧٧هـ) الأنباري. (١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م). الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين : تح : محمد محيي الدّين عبد الحميد، ط ١ . مصر : المكتبة التّجاريّة الكبرى – مطبعة السّعادة .
الخليل بن أحمد الفراهيدي. (د.ت). معجم العين ، تح : د . مهدي المخزومي ، و د . إبراهيم السّامرائي .
الدكتور إبراهيم أنَيس. (١٩٦٦ م). من أسرار اللغة،ط ٣ . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية.
الدكتور إبراهيم أنيس. (١٩٧٨). من أسرار اللغة ، ط ٦. مكتبة الأنجلو المصرية.
الدّكتور إبراهيم محمود خليل. (١٤٢٧هـ – ٢٠٠٧ م). في اللسانيّات ونحو النّصّ ، ط١ . دار المسيرة للنشر والتّوزيع والطباعة.
الدّكتور أحمد مطلوب. (١٩٨٦). من خصائص اللغة العربيّة ، ط ٢ . بيروت : بحث منشور ضمن كتاب ندوة « اللغة العربيّة والوعي القومي » منشورات مركز دراسات الوحدة العربيّة .

الدّكتور الطّيّب دبّة. (د.ت). مبادئ اللسانيّات البنيويّة (دراسة تحليليّة أبستولوجيّة) . الجزائر : دار القصبة للنّشر.
الدّكتور تمام حسان. (١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦). اللغة العربيّة معناها ومبناها ، ط ٥ . عالم الكتب.
الدّكتور تمام حسّان. (د.ت). اجتهادات لغويّة.
الدكتور حسين رفعت. (١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥). الموقعية في النحو العربي ، دراسة سياقية ، تقديم : الدكتور تمام حسان ، ط١ . القاهرة : عالم الكتب.
الدكتور حسين رفَعت. (١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م). الموقعية في النحو العربي دراسة سياقية ، ط ١ . القاهرة: عالم الكتب.
الدكتور حمد مطلوب. (١٩٨٧). بحوث بلاغية ، ط ١ . دار الفكر للنشر والتوزيع.
الدكتور عبد الحكيم راضي. (١٩٨٠). نظرية اللغة في النقد العربي . القاهرة : مكتبة الخانجي .
الدكتور عبد القادر حسين. (١٩٩٨). أثر النحاة في البحث البلاغي . القاهرة : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع .
الدّكتور عبد القادر حسين. (١٩٩٨م). أثر النحاة في البحث البلاغي . القاهرة : دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع.
الدّكتور فاضل السّامرائي. (١٤٣٤هـ – ٢٠١٢ م). التّعبير القرآني، ط ٨. عمان – الأردن: دار عمار .
الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف. (د.ت). بناء الجملة العربية. دار غريب.
الدّكتور محمد مفتاح. (٢٠٠٥ م). تحليل الخطاب الشّعري (استراتيجيّة التّناص) ،ط ٤ . المغرب : المركز الثّقافي العربي.
السّكاكي. (١٩٨٣). مفتاح العلوم ، تح : نعيم زرزور ، ط ١ . دار الكتب العلميّة.
الشّيخ عبد الكريم الدّبّان التّكريتي. (د.ت). توضيح قطر الندى وبل الصّدى لابن هشام. بغداد .
القاضي بهاء الدّين عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله (ت: ٧٦٩هـ) بن.عقيل. (١٤٣٦هـ – ٢٠١٥ م). شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك،ط ١ . بيروت – لبنان: مؤسّسة الرّسالة ناشرون.
أمالي مصطفى جواد البيّاتي. (١٣٩٧هـ – ١٩٧٧ م). في تحقيق النّصوص : اعتنى به واعدّه عبد الوهاب محمد علي . العراق: (بحث منشور في مجلة المورد العراقيّة – العدد (١) المجلد (٦) .
بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي. (د.ت). البرهان في علوم القرآن ، تح : محمد ابو الفضل إبراهيم . القاهرة : مكتبة دار التراث.
جوزيف فندريس. (١٩٥٠). اللغة ، تعريب : الأستاذ : عبد الحميد الدواخلي ، ولأستاذ محمد القصاص . مكتبة الأنجلو المصرية – مطبعة لجنة البيان العربي.
جوزيف فنَدريس. (١٩٥٠ م). اللغة ، تعريب : الاستاذين : عبد الرحمان الدواخلي ، و محمد القصاص. مصر: مكتبة الأنجلو المصريّة – مطبعة لجنة البيان العربي.
خالد بن محمد بن إبراهيم العثيم. (د.ت). الأسرار البلاغيّة للتّقديم والتّأخير في سورة البقرة – دراسة تطبيقيّة . السعودية: رسالة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربيّة وآدابها ، جامعة أم القرى – كليّة اللغة العربيّة.
د . أحمد مصطفى المراغي. (د.ت). معجم الفاظ القرآن الكريم، ط ٢ . مجمع اللغة العربية – الهيئة المصريّة للتّأليف والنشر.
داودي حسين ، ورومان عبدالمجيد. (٢٠٢٢). أسلوب التّقديم والتّأخير بين النّحويين والبلاغيين ودلالته على المعنى – حزب سبّح أنموذجًا. رسالة ماجستير في اللغة والأدب العربي – كليّة الآداب واللغات – جامعة أحمد دراية أدرار ، ١٤٤٢ – ١٤٤٣ هـ.
سامح عبد العزيز الرواشدة. (٢٠١٣). جماليّات التّعبير في القرآن الكريم . دار صايل للنّشر.
سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي. (١٣٩٧هـ – ١٩٩٧م). الإكسير في علم التّفسير. القاهرة: مكتبة الآداب.
سيبويه. (١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م). الكتاب ، تح : عبد السّلام هارون ، ط٣ . القاهرة : مكتبة الخانجي.
صبحي إبراهيم الفقي. (٢٠٠٠). علم اللغة النّصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية (المجلد ط١). القاهرة، مصر: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
عبد العزيز الميمني. (د.ت). الطّرائف الأدبيّة. بيروت : دار الكتب العلميّة.
فضل الله أنور علي. (٢٠١١). التّقديم والتّأخير في اللغة العربيّة . السودان: (بحث) منشور في مجلة العلوم والتقانة ، جامعة السودان للعلوم والتّكنلوجيا ، مجلّد ١٢ (٠٢) .
كوثر كبور ، وهدى تفه. (٢٠٢١). بلاغة التّقديم والتّأخير – سورة الرحمن أنموذجًا . تبسة – الجزائر: رسالة ماجستير في الأدب العربي ، جامعة العربي التبسي.
لابن سيده الأندلسي. (١٤٢١هـ – ٢٠٠٠). المحكم والمحيط الأعظم ، تح : الدكتور عبد الحميد هنداوي ، ط ١ . بيروت : دار الكتب العلمية.
مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. (١٣٩١هـ). القاموس المحيط ، ط٢ . القاهرة: المؤسسة العربية للطباعة والنشر.
محمد بن سهل ابن السّرّاج. (١٩٨٣). أصول النحو ، تح : الدكتور عبد الحسين الفتلي ، ط ٣ . بيروت : مؤسّسة الرّسالة .
محمد بن مالك الأندلسي (ت:٦٧٢هـ) الطّائي. (د.ت). ألفيّة ابن مالك في النّحو . بغداد – العراق : مكتبة النهضة.
محمد علي السّراج. (١٩٨٣ م). اللباب في قواعد اللغة وآلات الأدب،ط١ . دمشق : دار الفكر .
محمود بن عمر الزّمخشري. (١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦). الكشاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل ، تح : مصطفى حسين أحمد. بيروت – لبنان: دار الكتاب العربي.



السنة الثالثة جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م

رَفْعُ الاسمِ المَجْرُورِ وَنَصْبُهُ فِي «القِرَاءَاتِ السَّبْعِةِ »

م. د. محمد أمين حسن
الكلية التربوية المفتوحة / مركز نينوى الدراسي



المستخلص:

هذا بحثٌ ثالثٌ في نحو القراءات السّبعة، مُتمِّمٌ للبحثَينِ السّابقَينِ اللّذَينِ جَرَى إعدادُهما في الأسماء المرفوعة والمنصوبة ، وهو خاصٌّ بـ « الأسماء المجرورة » ؛ لتكتمل بذلك الحالاتُ الإعرابيّة الثّلاث للأسماء في قراءات السّبعة ، حمل عنوانَ : « رَفْعُ الاسمِ المَجْرُورِ وَنَصْبُهُ فِي القِرَاءَاتِ السَّبْعة » ، والمراد بالاسم المجرور هنا ما جاء مجرورًا في القرآن الكريم في قراءة العامّة قراءة حفص عن عاصمٍ .

وكان كتابُ « السّبعة في القراءات » لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمي بن مجاهد البغدادي المتوفّى سنة ٣٢٤ للهجرة مصدرَنا الأساسَ في تخريج القراءات ونسبتها إلى أصحابها . وجرى الاحتجاجُ لهذه القراءات بما جاء في كتبِ التفاسير وعلومِ القرآن والكتب النحويّة .

يُعدّ هذا العملُ مُتمِّمًا لعملٍ كبيرٍ أُعِدَّ القسمُ الأكبر منه ، وهو الخاصّ بالأسماء دون الأفعال والحروف ، ويجري إعدادُ ما بقيَ منه ، بإذن الله تعالى ؛ لِيُحيطَ بأقسام الكلام كلّها في أحوالها الإعرابيّة الثّلاث ، سائلين المولى أن يُعيننا على إتمامِهِ والنّفع به .

الكلمات المفتاحية : رفع، الاسم، المجرور، القراءات، السبعة .

Abstract:

This is a third research on the grammar of the seven readings, complementing the two previous researches that were prepared on the raised and lowered nouns. It is specific to “the genitive nouns” so that the three grammatical cases of the nouns in the seven readings are completed. It is entitled: “The raising and lowering of the genitive noun in the seven readings.” What is meant by the genitive noun here is what came in the genitive in the Holy Qur’an in the reading of the general public, the reading of Hafs from Asim.

The book «The Seven Readings» by Abu Bakr Ahmad ibn Musa ibn al-Abbas al-Tamimi ibn Mujahid al-Baghdadi, who died in 324 AH, was our primary source for deriving the readings and attributing them to their authors. These readings were supported by what was found in the books of interpretation, Quranic sciences, and grammar.

This work is a complement to a large work, the largest part of which has been prepared, which is concerned with nouns without verbs and letters, and the rest of it is being prepared, God Almighty willing, so that it will encompass all parts of speech in their three grammatical cases. We ask God to help us complete it and benefit from it.

Keywords: Raising, the noun, the genitive, the seven readings.

المقدّمة :

ها قد عُدْنَا لنُتمّمَ ما بدأنا به في نحو القراءات السّبعة ؛ واخترنا هذه القراءات لشُهرتها ومكانتها عند المسلمين ، واختصّ هذا القسمُ من العمل بالأسماء المجرورة التي قُرِئَتْ بالرّفع أو النّصب ، أو بكلَيهما ، وحمل عنوانَ: « رَفْعُ الاسمِ المَجْرُورِ وَنَصْبُهُ فِي القِرَاءَاتِ السَّبْعة » وأردنا بالاسم المجرور ما جُرَّ في القرآن الكريم في قراءة العامّة .

يقوم هذا العملُ على اختيار قراءات السّبعة التي أُختلف فيها في قراءة الأسماء الصّريحة المجرورة ، على أن يكون لهذه القراءة أثرٌ نحويّ ، وجرى ترتيبُ السّور والآيات ترتيبَ القرآن الكريم في كلّ قسمٍ وجزءٍ ، كلّ آيةٍ تليها ثلاثةُ أرقام :

رقمُ السّورة – رقمُ الآية فيها – رقمُ الصّفحة التي وردت فيها الآيةُ في كتاب « السّبعة في القراءات « ، لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس التميميّ بن مجاهد البغداديّ المتوفّى سنة ٣٢٤ للهجرة ، وإذا ما تكرّرت السّورة أو الآية فُصل بينها بفاصلةٍ . ونَقلَنا هذه الأشياء الثّلاثةَ إلى المتن اختصارًا للهوامش وتقليلًا من حجمها .

وجرى التعويلُ في تخريج القراءات على هذا الكتاب ؛ فهو الأساسُ الذي بَنَى عليه معظمُ المشتغلين في القراءات السَّبعة ، وإذا ما وُجد خلافٌ بينه وبين غيرِهِ في قراءةٍ أو في نسبتها إلى قارئها ، فإنّ ذلك لن يُؤثّر كثيرًا في جوهر العمل ومَضمُونِهِ .

ورُتّبَ القرّاءُ السَّبعةُ في معظم البحث على وفق وفياتهم ، خلافًا لترتيب ابن مجاهدٍ لهم في كتاب السّبعة (١). والقرّاءُ السّبعةُ : عبد الله بن عامر اليَحْصبيّ [ت ١١٨ هـ] في الشّام ، وأبو بكر عاصم بن أبي النَّجُود [ت ١٢٠ هـ] في الكوفة ، وعبد الله بن كثير [ت ١٢٠ هـ] في مكّة وأبو عمرو بن العلاء [ت ١٥٤ هـ] في البصرة ، وحمزة بن حبيب الزَّيّات [ت ١٥٦ هـ] في الكوفة ، وأبو عبد الرّحمن نافع بن عبد الرّحمن بن أبي نُعَيْم [ت ١٦٩ هـ] في المدينة وعليّ بن حمزة الكسائيّ [ت ١٨٩ هـ] في الكوفة (٢).

ولاستنباط النّحو وقواعدِهِ من تلك القراءات ، ومعرفةِ حُجّة كلِّ قراءةٍ ، اعتمدنا عددًا من كتب التّفاسير وعلوم القرآن ، وبعضًا من الكتب النّحويّة . وكلّما كانت القراءةُ مدارَ خلافٍ نحويٍّ أو تَوسَّعَ النّحويّون في توجيهها – كان حظُّها من الشّرح والتّعليق وسرد الآراء فيها أكثرَ ... ومنه سبحانَه نستمدّ العونَ والسّدادَ .

رَفْعُ الاسمِ المَجْرُورِ وَنَصْبُهُ فِي « القِرَاءَاتِ السَّبْعِةِ »

مجموعُ الآيات التي وَرَدَتْ فيها قراءةٌ سبعيّةٌ للأسماء المجرورة ، مُخالِفةً لقراءة حفص عن عاصم اثنتانِ وعشرون آيةً ، وفيما يأتي بيانٌ وتوجيهٌ لها :

• ﴿... غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالّين﴾ [١ : ٤ / ١١١] : رُوي عن ابن كثير : غيرَ نصبًا . وقد أجازه الخليلُ على وجه الصّفة للّذين أنعمَ الله عليهم ، ويعني بالصّفة القطعَ من ذكر الذين ، وأجازه غيرُه على الحال ، وجعله الأخفشُ نصبًا على الاستثناء ، وهو ما عدّه بعضُهم غلطاً . وحمل الطبريّ هذه القراءةَ على الشّذوذ لخروجها عن قراءة القرّاء ، غيرَ أنّه فصّل في توجيهها ، إذ رأى أنّ (غيرَ) يجوز أن تكون صفةً لضمير الجمع في (عليهم) لأنّ موضعها نصبٌ بـ (أنعمْتَ) ، ونَقل عن بصريّينَ نصبَهم إيّاها على الاستثناء ، وإنكارَ الكوفيّين لهذا التوجيه ؛ لأنّ (ولا الضّالّين) جَحْدٌ ، ولا يجوز عطفُ جَحْدٍ على استثناءٍ ، بل يُعطَف الجَحْدُ على الجَحْدِ ، والاستثناءُ على الاستثناءِ(٣).

• ﴿ ... قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ... ﴾ [١١ : ٤٠ / ٣٣٣] : كلّهم قرأ : كلِّ زوجين ، بالإضافة إلّا عاصمًا في رواية حفص ، وكذا في [٢٣ : ٢٧] . والحجّة لمن أضافَ أنّه جعل الزَّوجَينِ مَحمُولَين ، وجمعَ بين سائر الأصناف ، وأراد بالزَّوجَينِ الذَّكَرَ والأنثَى (٤)؛ ونصب (اثنَين) على المفعوليّة ، أي : احمل اثنَين من كلِّ زوجٍ(٥). ونُقل عن الأخفشِ قولُه : (من) زائدةٌ ، و(كلّ) مفعولٌ ، و(احْمِلْ واثنَين) توكيدٌ(٦).

• ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّينَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ... ﴾ [١١ : ٦٦ / ٣٣٦] : قرأ الكسائيّ : من خزيِ يَومَئذٍ ، بالإضافة وفتح الميم ، وكذا في [٢٧ : ٨٩ ، ٧٠ : ١١] ؛ ورُوي عن نافع مثلُ هذا في الأحرف الثّلاثة . ولِمَنْ تَرَكَ التّنوينَ وبَنَى اليَومَ « وجهان : أحدُهما – أنّه جعل (يَومِ) مع (إذْ) بمنزلة اسمَينِ ، جُعِلَا اسمًا واحدًا ، فبناهُ على الفتح ، كما بُني خمسةَ عشرَ ، والثّاني – أنّه لمّا كانت (إذْ) اسمًا للوقت الماضي و(اليوم) من أسماء الأوقات أضفتَهما إضافةَ الأوقات إلى الجمل ، كقولك : جِئتُكَ يَومَ قَامَ زَيْدٌ ، فيكون كقولك : جِئتُكَ إذْ قَامَ زَيْدٌ ، فلمّا كانت (إذْ) بهذه المثابة بُنِيَ (اليوم) معها على الفتح ؛ لأنّه غيرُ مُتَمَكِّنٍ من الظُّروف ، وجُعِلَ تنوينُ (إذْ) عِوَضًا من الفعل المحذوف بعدها ؛ لأنّ معناهُ : يَومَ إذْ قَدِمَ الحَاجُّ وما شَاكَلَ ذلك»(٧).

• ﴿ ... إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [١٢ : ٨ / ٣٤٥] : قرأ ابن كثير ونافع والكسائيّ : مبينٌ ، بضمّ التّنوين . وقلّ من ذكرَ قراءةَ الرّفع أو وَجَّهَها ، وإن كانَتْ واضحةً ؛ فالتّقديرُ فيها على إضمارِ ابتداءٍ يعودُ على الضّلالِ ، أي : هو مُبِينٌ .

• ﴿ الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ... ﴾ [١٤ : ١ ، ٢ / ٣٦٢] : قرأ ابن عامر ونافع : اللهُ ، رفعًا . والحجّة لمن رفع أنّه جعل الكلامَ تامًّا عند الحميدِ ؛ فاستأنفَ وابتدأ : اللهُ ، وحَسُنَ ذلك ؛ لأنّ ما قبله رأسُ آيةٍ (٨). ومن يُعرِبهُ مبتدأ يجعَل (الذي) خبرًا له ، أو يجعل (الذي) صفةً للفظ الجلالة ، ويُقدّر الخبرَ بـ « اللهُ الذي له ... قادرٌ على كلّ شيء»(٩).

• ﴿ ... فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ... ﴾ [١٦ : ١١٢ / ٣٧٦] : رُوي عن أبي عمرٍو جرُّ الخوفِ ونصبُهُ . والنَّصْبُ عَطْفًا عَلَى لِبَاسٍ ، أو بِإِضْمَارِ فِعْلٍ ، أو عَلَى تَقْدِيرِ حَذْفِ الْمُضَافِ وَإِقَامَةِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ مَقَامَهُ ، أَصْلُهُ : وَلِبَاسَ الْخَوْفِ»(١٠).

• ﴿ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ... ﴾ [١٨ : ٤٤ / ٣٩٢] : قرأ أبو عمرو والكسائيّ : الحقُّ ، رفعًا . والحجّة لمَن رفع أنّه جعله نعتًا للوَلَايَة ، أي : الوَلَايَةُ الحَقُّ لله(١١).

• ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ... سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ [٢٣ : ٨٧ ، ٨٩ / ٤٤٧] : قرأ أبو عمرو في الموضعين : اللهُ ، مرفوعًا غيرَ مقترنٍ باللّام . والحجّة لمن رفع وجرّد من اللّام أنّه جعله جوابًا لـ : ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ [٢٣ : ٨٦] (١٢). وكذا قال الطبريّ في حجّة هذه القراءة ، غير أنّه عزاها إلى رسم المصحف(١٣).

• ﴿... سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ...﴾ [٢٣ : ٩١،٩٢ / ٤٤٧] : قرأ عاصم في رواية أبي بكر ونافع وحمزة والكسائيّ : عالمُ ، رفعًا . والرّفع على الإبتداء ، أي : هو عالمُ الغَيبِ(١٤).

• ﴿ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [٢٤ : ٩ / ٤٥٣] : قرأ نافع : اللهُ ، رفعًا بـ (غَضِبَ) الفعل الماضي ، و(أنْ) مخفّفةً . والحجّة أنّ اسم (أنِ) المخفّفةِ ضميرُ شَأْنٍ محذوفٌ ، وخبرُها الجملةُ تقع بعدها(١٥).

• ﴿ ... غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ... ﴾ [٢٤ : ٣١ / ٤٥٤] : قرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر : غيرَ ، نصبًا . ومن نصب إنّما ينصبُ على الحال أو الاستثناء (١٦).

• ﴿ ... وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [٢٧ : ٢٢ / ٤٨٠] : قرأ ابن كثير وأبو عمرو : سبأ غيرَ مَصْرُوفٍ ، وكذلك في [٣٤ : ١٥] . ولم يُصرَف عندهم ؛ لأنّه اسمُ أرضٍ أو مدينةٍ أو امرأةٍ(١٧).

• ﴿ ... قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْه ... ﴾ [٣٤ : ٣ / ٥٢٦] : قرأ ابن عامر ونافع : عالمُ ، رفعًا . والحجّة لمن رفع أنّه خبرُ ابتداءٍ محذوفٍ ، أو ابتداءٌ خبرُهُ : لا يَعزُبُ عنه (١٨).

• ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴾ [٣٧ : ٦ / ٥٤٦] : قرأ عاصم في رواية أبي بكر: بزينةٍ ، منوّنةً ؛ والكواكبَ ، نصبًا . وقرأ ابن عامر وابن كثير وأبو عمرو ونافع والكسائيّ : بزينةِ الكواكبِ ، مُضافةً « والحجّة لمن نوّنَ ونصبَ أنّه عند أهل البصرة شبيهٌ بالمصدر ؛ لأنّ المصدر عندهم إذا نُوِّنَ عَمِلَ عَمَلَ الفعلِ ، وكذلك إذا أُضِيفَ إلى الفاعل أو المفعول . وهو عند أهل الكوفة منصوبٌ بمشتقٍّ من المصدر ... والحجّة لمن حَذَفَ التّنوينَ وأضافَ أنّه أتَى بالكلام على أصل ما وَجَبَ له ؛ لأنّ الاسم إذا ألقَى الاسمَ بنفسِهِ ، ولم يكن الثّاني وصفًا للأوّل ، ولا بَدلًا منه ، ولا مبتدأً بعده – أزالَ التّنوينَ وعملَ فيه الخفضَ ؛ لأنّ التّنوين مُطابِقٌ للإضافة ؛ فلذلك لا يَجتمعانِ في الاسم»(١٩).

• ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴾ [٣٨ : ٤٦ / ٥٥٤] : قرأ نافع وحده : بخالصةِ مُضافةً . وحجّةُ

إضافَتِها اختلافُ اللّفظَينِ ، كما في قوله : ﴿... وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ...﴾ [١٢ : ١٠٩ ، ١٦ : ٣٠] (٢٠).
وقيل : وَمَنْ أَضَافَ خَالِصَةَ إِلَى الدَّارِ فَهِيَ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْإِخْلَاصِ ، وَالذِّكْرَى مَفْعُولٌ بِهِ أُضِيفَ إِلَيْهِ الْمَصْدَرُ ، أَيْ : بِإِخْلَاصِهِمْ ذِكْرَى الدَّارِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَصْدَرُ مُضَافًا إِلَى الْفَاعِلِ ، وَالْخَالِصَةُ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْخُلُوصِ ، أَيْ : بِأَنْ خَلَصَتْ لهم ذكرى الدّار وهي الدَّارُ الْآخِرَةُ أَوِ الدُّنْيَا عَلَى مَا تَقَدَّمَ . وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ : مَعْنَى أَخْلَصْنَاهُمْ أَيْ : بِذِكْرِ الْآخِرَةِ أَيْ : يَذْكُرُونَ الْآخِرَةَ وَيَرْغَبُونَ فِيهَا وَيَزْهَدُونَ فِي الدُّنْيَا . وَقَالَ مُجَاهِدٌ : الْمَعْنَى : إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بأن ذكرنا الجنة لهم:(٢١).

•﴿ وَقِيلِهِ يَارَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [٤٣ : ٨٨ / ٥٨٩] : قرأ ابن عامر وابن كثير وأبو عمرو ونافع والكسائيّ : وَقِيلَهُ ، نصبًا ؛ ورُوي عن عاصم الخفضُ والنّصبُ . والنّصبُ عند الأخفش يكون بالعطف على قوله: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ... ﴾ [٤٣ : ٨٠] (٢٢).

والحقُّ أنّ العلماء ذكروا في النّصب وُجُوهًا عديدةً ، جمعها ابنُ عادل الحنبليُّ ، إذ قال : « وأمّا قراءةُ النّصب ففيها ثمانيةُ أوجُهٍ : أحدُها : أنّه منصوبٌ على محلِّ السَّاعة كأنّه قيل : إنّه يعلمُ السّاعةَ ويعلمُ قِيلهُ كذا . الثّاني : أنّه معطوفٌ على سِرّهم ونَجْوَاهم ، أي : لا يعلمُ سِرَّهُمْ ولا يعلمُ قِيلَهُ . الثّالث : عطفٌ على مفعول يَكْتُبُونَ المحذوف ، أي : يكتبون ذلك ويكتبون قِيلَهُ كذا أيضًا . الرّابع : أنّه معطوفٌ على معفول يعلمون المحذوف ، أي : يعلمون ذَلك ويعلمون قِيلَهُ . الخامس : أنّه مصدرٌ ، أي : قَالَ قِيلَهُ . السّادس : أن يَنتَصِبَ بإضمار فعلٍ ، أي : اللهُ يعلَمُ قِيلَ رَسُولِهِ . وهو محمدٌ . السّابع : أن يَنتَصِبَ على محلّ بالحَقّ ، أي : شَهِدَ بالحقّ وبِقيلِهِ . الثّامن : أن يَنتَصِبَ على حذف القسم ، كقوله : فَذَاكَ أَمَانَةَ الهِ والثَّرِيدُ»(٢٣).

•﴿ ... إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... ﴾ [٤٤ : ٦ ، ٧ / ٥٩٢] : قرأ ابن عامر وابن كثير وأبو عمرو ونافع : ربُّ ، رفعًا . ومن رفع ردّه على : إنّه هو السَّميعُ العليمُ ، أو على الابتداء والخبر : لا إلهَ إلّا هو ، أو يكون خبرَ ابتداءٍ محذوفٍ ، تقديرُه : هو ربُّ السّماوات والأرض (٢٤).

•﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [٥٥ : ٧٨ / ٦٢١] : قرأ ابن عامر وحده : ذو الجلال ، رفعًا ، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام . وحجّته أنّه وَصْفٌ للاسم(٢٥).

•﴿ ... وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [٦١ : ٨ / ٦٣٥] : قرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر وأبو عمرو ونافع : مُتِمٌّ ، مُنوَّنًا ؛ و: نُورَهُ ، نصبًا . ومن نوَّنَ ونصبَ أراد الحالَ والاستقبالَ(٢٦).

•﴿ ... يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴾ [٧٠ : ١١] : قرأ نافع في رواية والكسائيّ : من عذابِ يومَئذٍ ، بالإضافة وفتح الميم (٢٧).

•﴿ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً * رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابا ﴾ [٧٨ : ٣٦ ، ٣٧ /٦٦٩] : قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع : ربُّ والرّحمنُ ، رفعًا فيهما ، وكذا رَوى المُفضَّل عن عاصم . وقرأ حمزة والكسائيّ : ربِّ ، خفضًا ؛ والرّحمنُ رفعًا ومن رفعهما جعل الأوّلَ ابتداءً والثّانيَ خبرًا ، أو جعل الأوّلَ مرفوعًا بمُضمَرٍ ، تقديرُه : هو رَبُّ السّماواتِ ، والثّانيَ مبتدأً ثانيًا . أمّا حمزة والكسائيّ فقد جَعَلَا الأوّلَ نعتًا لـ(رَبّك) والثّانيَ ابتداءً خَبرُهُ : لا يَمْلِكُونَ منه خِطابًا (٢٨).

•﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ [٨٥ : ٢١ ، ٢٢ / ٦٧٨] : قرأ نافع وحده : محفوظٌ ، رفعًا . ومن رفعه جعله نعتًا للقرآن(٢٩).

الخاتمة :

في القراءات السّبع مادّةٌ نحويّةٌ كثيرةٌ ، تخصّ الأسماء والأفعال وحروف المعاني ، وكلّ قسم من هذه الأقسام له فرُوعُهُ ؛ وكانت الأسماءُ المجرورةُ موضوعَ بحثنا هذا ، وقد سبقه بحثانِ آخران في الرّفع والنّصب .

والنّحو الذي استخرجاهُ في هذا الباب إنّما هو بعضُ عصارة فكر القرّاءِ السّبعةِ الذين نذروا أنفسَهم للقرآن المجيد

وقراءاتِهِ ؛ ابتغاءَ مرضاة الله ؛ وخدمةً للإسلام والمسلمين ؛ ليقوموا بهذا الدّين الحنيف خيرَ قيامٍ .

لقد جرى الكلامُ في هذا البحث في كلّ اسمٍ وَرَدَ مجرورًا في قراءة العامّة ، وكان ذلك في اثنتَين وعشرين آيةً كريمةً ؛ قرأها القرّاءُ السّبعةُ أو بعضُهم منصوبةً أو مجرورةً أو بكلتا الحالتَين وجرى توجيهُها والاحتجاجُ عليها بأقوال العلماء في كتب القراءات وحُجَجِها وكتب التّفسير وعلوم القرآن ؛ ولم تكن هناك قراءةٌ سبعيّةٌ إلّا ولها وَجْهٌ في العربيّة وحُجّةٌ عند قارئها أو غيرِهِ من العلماء ؛ حتّى غَدَتْ هذه القراءاتُ عند النّحويّين ، خاصّةً الكوفيّين منهم ، شواهدَ نحويّةً قامَتْ عليها قواعدُ وأصولٌ نحويّةٌ ، سواء اتّفقوا عليها أم اختلفوا فيها .

ولعلّ أشهرَ قراءةٍ في هذا الباب وأكثرَها تَحمُّلًا للوجوه قراءةُ النّصب لقولِهِ: ﴿ وَقِيلِهِ يَارَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾؛ فقد قرأ ابنُ عامرٍ وابنُ كثيرٍ وأبو عَمْرٍو ونافعٌ والكسائيُّ : وَقِيلَهُ ، نصبًا ؛ ورُوي عن عاصم الخفضُ والنّصبُ . والنّصبُ عند الأخفش يكون بالعطف على قوله : ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ... ﴾ . والحقُّ أنّ العلماء ذكروا في النّصب وُجُوهًا عديدةً ، جمعها ابنُ عادل الحنبليُّ ، إذ قال : « وأمّا قراءةُ النّصب ففيها ثمانيةُ أوجُهٍ : أحدُها : أنّه منصوبٌ على محلِّ السّاعة كأنّه قيل : إنّه يعلمُ السّاعةَ ويعلمُ قِيلهُ كذا . الثّاني : أنّه معطوفٌ على سِرّهم ونَجْوَاهم ، أي : لا يعلمُ سِرَّهُمْ ولا يعلمُ قِيلَهُ . الثّالث : عطفٌ على مفعول يَكْتُبُونَ المحذوف ، أي : يكتبون ذلك ويكتبون قِيلَهُ كذا أيضًا . الرّابع : أنّه معطوفٌ على معفول يعلمون المحذوف ، أي : يعلمون ذَلك ويعلمون قِيلَهُ . الخامس : أنّه مصدرٌ ، أي : قَالَ قِيلَهُ . السّادس : أن يَنتَصِبَ بإضمار فعلٍ ، أي : اللهُ يعلَمُ قِيلَ رَسُولِهِ . وهو محمدٌ . السّابع : أن يَنتَصِبَ على محلّ بالحَقّ ، أي : شَهِدَ بالحقّ وبقيلِهِ . الثّامن : أن يَنتَصِبَ على حذف القسم ، كقوله : فَذَاكَ أَمَانَةَ الهِ والثّريدُ».

ومثلُ هذه الشّواهد من القراءات السّبع في التّأصيل والتّقعيد للنّحو العربيّ كثيرةٌ في كتب النّحويّين ، تصلحُ أن تكون نَحْوًا قائمًا برأسِهِ ، كما هو الحالُ مع نحو القرآن الكريم ، وهو ما فعلتُهُ في هذا البحث ، وفي بحثَين آخرَين سبقهما ، خاصّين بالمرفوعاتِ والمنصوبات ... ومنه سبحانه التّوفيق والسّدادُ ...

كشّافٌ بالآيات التي قُرِئَ فيها الاسمُ المجرورُ رفعًا أو نصبًا

في القراءات السّبع

- قال : ﴿ ... غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالّين ﴾ [١ : ٤ / ١١١] .
- قال : ﴿ ... قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ... ﴾ [١١ : ٤٠ / ٣٣٣] .
- قال : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ... ﴾ [١١ : ٦٦ / ٣٣٦] .
- قال : ﴿ ... إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ ﴾ [١٢ : ٨ / ٣٤٥] .
- قال : ﴿ الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ... ﴾ [١٤ : ١ ، ٢/٣٦٢] .
- قال : ﴿ ... فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ ... ﴾ [١٦ : ١١٢ / ٣٧٦] .
- قال : ﴿ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ... ﴾ [١٨ : ٤٤ / ٣٩٢] .
- قال : ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ... سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ [٢٣ : ٨٧ ، ٨٩/٤٤٧] .
- قال : ﴿... سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ*عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ...﴾ [٢٣ : ٩١،٩٢/٤٤٧] .
- قال : ﴿ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [٢٤ : ٩ / ٤٥٣] .
- قال : ﴿ ... غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ... ﴾ [٢٤ : ٣١ / ٤٥٤] .
- قال : ﴿ ... وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [٢٧ : ٢٢ / ٤٨٠] .
- قال : ﴿ ... قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْه ... ﴾ [٣٤ : ٣ / ٥٢٦] .

- قال : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴾ [٣٧ : ٦ / ٥٤٦] .
- قال : ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴾ [٣٨ : ٤٦ / ٥٥٤] .
- قال : ﴿ وَقِيلِهِ يَارَبِّ إِنَّ هَؤُلَاء قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [٤٣ : ٨٨ / ٥٨٩] .
- قال : ﴿... إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ*رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...﴾ [٤٤ : ٦ ، ٧ / ٥٩٢] .
- قال : ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [٥٥ : ٧٨ / ٦٢١] .
- قال : ﴿ ... وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [٦١ : ٨ / ٦٣٥] .
- قال : ﴿ ... يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴾ [٧٠ : ١١] .
- قال : ﴿ جَزَاء مِّن رَّبِّكَ عَطَاء حِسَاباً * رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرحْمَنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابا ﴾ [٧٨ : ٣٦ ، ٣٧ /٦٦٩] .
- قال : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ [٨٥ : ٢١ ، ٢٢ / ٦٧٨].

الهوامش:

١- السّبعة : ٥٣
٢- ينظر : م . س : ٥٣ – ٨٧
٣- ينظر : تفسير الطبري : ١ / ٧٨ – ٧٩ ، والمشكل : ١ / ٧٢ ، والتبيان : ١ / ٨
٤- ينظر : حجة ابن خالويه : ١٨٦ ، تفسير ابن كثير : ٢٧٨/٤
٥- ينظر : حجة أبي زرعة : ٣٣٩ ، والتبيان : ٢٠١ ، والكتاب الفريد : ٤٦٦/٣
٦- ينظر : التبيان : ٢ / ٣٨ ، وتفسير القرطبي : ٩ / ٣٥ ، الكتاب الفريد : ٤٦٦/٣
٧- حجة ابن خالويه : ١٨٨ ، وينظر : حجة أبي زرعة : ٣٤٤
٨- ينظر : حجة ابن خالويه : ٢٠٢، وحجة أبي زرعة : ٣٧٦
٩- ينظر : تفسير القرطبي : ٩ / ٣٣٩
١٠- ينظر : البحر المحيط : ٦٠٥/٦
١١- ينظر : حجة ابن خالويه : ٢٢٤ – ٢٢٥ ، والمشكل : ١ / ٤٤٢ ، وتفسير القرطبي : ١٠ / ٤١١
١٢- ينظر : حجة ابن خالويه : ٢٥٨ ، وحجة أبي زرعة : ٤٩٠ ، والتبيان : ٢ / ١٥١
١٣- ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ٤٧ – ٤٨
١٤- ينظر : حجة ابن خالويه : ٢٥٨ ، وحجة أبي زرعة : ٤٩١
١٥- ينظر : التبيان : ٢ / ١٥٤ ، وأوضح المسالك : ١ / ٣٧٢ ، وشرح شذور الذهب : ٣٦٥
١٦- ينظر : تفسير الطبري : ١٨ / ١٢٣ ، وحجة ابن خالويه : ٢٦١ ، وحجة أبي زرعة : ٤٩٦ – ٤٩٧
١٧- ينظر : حجة ابن خالويه : ٢٧٠ ، وحجة أبي زرعة : ٥٢٥ ، والانصاف : م٧٠
١٨- ينظر : حجة أبي زرعة : ٥٨١ ، ٢ / ١٩٢ ، وتفسير القرطبي : ٢٦٠/١٤
١٩- حجة ابن خالويه : ٣٠١ ، وينظر : حجة أبي زرعة : ٦٠٤
٢٠- ينظر : حجة ابن خالويه : ٣٠٦
٢١- تفسير القرطبي : ٢١٨/١٥ . وينظر : تفسير النسفي : ١٥٩/٣
٢٢- ينظر : حجة ابن خالويه : ٣٢٣ ، والتبيان : ٢ / ٢٢٩
٢٣- اللباب : ٣٠٢/١٧–٣٠٣ . وينظر : المشكل : ٢ / ٦٥١ ، ومغني اللبيب : ٧١٢
٢٤- ينظر : تفسير القرطبي : ١٦ / ١٢٩ ، والبحر المحيط : ٣٩٨/٩
٢٦- ينظر : حجة ابن خالويه : ٣٤٠ ، وحجة أبي زرعة : ٦٩٤ ، وتفسير القرطبي : ١٧ / ١٩٣
٢٦- ينظر : حجة أبي زرعة : ٧٠٨ ، وتفسير القرطبي : ١٨ / ٨٥
٢٧- ينظر في حجّة ذلك : ص : ٤
٢٨- ينظر : حجة ابن خالويه : ٣٦٢ ، وتفسير القرطبي : ١٩ / ١٨٥ – ١٨٦

٢٩- ينظر : تفسير الطبري : ٣٠ / ١٤٠ ، وحجة أبي زرعة : ٥٨٣ ، ٧٥٧، وتفسير القرطبي : ١٩ / ٢٢٩ ،

المصادر والمراجع :

١. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويّين البصريّين والكوفيّين – أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن ابن الأنباريّ (ت ٥٧٧هـ) . تحقيق الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد . الطبعة الرابعة . دار إحياء التراث العربيّ . المكتبة التجاريّة الكبرى. مصر / ١٣٨٠هـ = ١٩٦١م

٢. أوضح المسالك إلى ألفية إبن مالك – أبو محمد جمال الدين عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاريّ (ت ٧٦١هـ) . الطبعة الخامسة . دار الجيل . بيروت /١٩٧٩م

٣. البحر المحيط في التفسير – أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) . تحقيق صدقي محمد جميل ... دار الفكر – بيروت / ١٤٢٠هـ

٤. التبيان في إعراب القرآن – أبو البقاء عبدالله بن الحسين العكبريّ (ت ٦١٦هـ) . تحقيق الأستاذ عليّ محمّد البجاوي . إحياء الكتب العربيّة ...

٥. تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم – أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) . تحقيق محمد حسين شمس الدين . الطبعة الأولى . دار الكتب العلمية . منشورات محمد علي بيضون – بيروت / ١٤١٩هـ

٦. تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل – أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ) . حقّقه وخرّج أحاديثه يوسف علي بديوي . راجعه وقدّم له محيي الدين ديب مستو . الطبعة الأولى . دار الكلم الطيب . بيروت / ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م

٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن – أبو جعفر محمد بن جرير الطبريّ (ت ٣١٠هـ) . دار الفكر . بيروت /١٤٠٥هـ ...

٨. الجامع لأحكام القرآن – أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبيّ (ت ٦٧١هـ) . تحقيق الأستاذ أحمد عبدالعليم البردوني . الطبعة الثانية . دار الشعب . القاهرة /١٣٧٢هـ

٩. الحجّة في القراءات السبع – أبو عبدالله الحسن بن أحمد ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ) . تحقيق الدكتور عبدالعال سالم مكرم . الطبعة الرابعة . دار الشروق . بيروت /١٤٠١هـ

١٠. حجّة القراءات – أبو زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة (ت ٤٠٤هـ) . تحقيق الأستاذ سعيد الأفغانيّ . الطبعة الثانية . مؤسّسة الرسالة . بيروت /١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م

١١. السبعة في القراءات – أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) . تحقيق الدكتور شوقي ضيف . الطبعة الثانية . دار المعارف . القاهرة /١٤٠٠هـ

١٢. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب – أبو محمد جمال الدين عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاريّ (ت ٧٦١هـ) . تحقيق عبدالغني الدقر . الطبعة الأولى . الشركة المتحدة للتوزيع . دمشق / ١٩٨٤م

١٣. شرح قطر الندى وبل الصدى – أبو محمد جمال الدين عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاريّ (ت ٧٦١هـ) . تحقيق الأستاذ محمد محي الدين عبدالحميد . الطبعة الحادية عشرة . القاهرة ١٣٨٣هـ

١٤. فتح القدير – محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ) ... الطبعة الأولى . دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب – دمشق ، بيروت / ١٤١٤هـ

١٥. فتوح الغيب – عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني ، أبو محمد ، محيي الدين الجيلاني ، أو الكيلاني ، أو الجيلي (ت ٥٦١ هـ) . تحقيق عبد العليم الدرويش . دار الهادي ومكتبة دار الزهراء، الرياض – المملكة العربية السعودية ...

١٦. الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد – المنتجب الهمذاني (ت ٦٤٣ هـ) . حقّق نصوصه وخرّجها وعلّق عليها محمد نظام الدين الفتيح . الطبعة الأولى . دار الزمان للنشر والتوزيع المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية / ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م

١٧. مشكل إعراب القرآن – أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسيّ (٤٣٧هـ) . تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن . الطبعة الثانية . مؤسّسة الرسالة – بيروت /١٤٠٥هـ

١٨. معاني القراءات – محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ) . الطبعة الأولى . مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود – المملكة العربية السعودية ١٤١٢هـ – ١٩٩١م

١٩. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب – أبو محمد جمال الدين عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاريّ (ت ٧٦١هـ) . تحقيق الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمدالله . الطبعة السادسة . دار الفكر. بيروت /١٩٨٥م

٢٠. الموسوعة القرآنية – إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (ت ١٤١٤هـ) . مؤسسة سجل العرب ... ١٤٠٥هـ

الحديث المحفوظ والشاذ والأمثلة التطبيقية على الزيادة في السند والمتن دراسة موضوعية

م. د. أحمد فريح عبد سداح العيساوي
ديوان الوقف السني / دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية



المستخلص:
تحدثت في بحثي هذا عن الشاذ والمحفوظ فليس الشاذ من الحديث أن يروي الثقة ما لا يرويه غيره ؛ هذا ليس بشاذ ، إنَّما الشاذُّ : أن يروي الثقة حديثاً يخالف فيه الناس والمحفوظ : فإن خولف بأَرجح منه لمزيد ضبط ، أو كثرة عدد ، أو غير ذلك من وجوه الترجيحات ، فالراجح يقال له : المحفوظ ومن خلال التعريفات يتضح لنا أن الثقة قد يخالف في الاسناد، وقد يخالف في المتن ثم اخذت أمثلة تطبيقية على ذلك من حيث الزيادة في السند والزيادة في المتن.

الكلمات المفتاحية:الشاذ، المحفوظ، الحديث، الثقة.

Abstract:
In this research, I discussed the anomalous and the preserved hadith. Anomalous hadith is not when a trustworthy person narrates something that no one else narrates; this is not anomalous. Rather, anomalous is when a trustworthy person narrates a hadith in which he disagrees with other people. As for preserved hadith, if it is contradicted by an increase in its density, a large amount, or other aspects of preferenceThe most likely is called: the preserved. Through the definitions, it becomes clear to us that a trustworthy person may differ in the chain of transmission, and he may differ in the text. Then I took practical examples of that in terms of the increase in the chain of transmission and the increase in the text.

Keywords: The anomalous, the preserved, the modern, the trustworthy.

المقدمة:
الحمد لله ربِّ العالمين ، الذي حفظ هذا الدين من كلِّ شذوذ وبُعْد عن سُنَّة سيد المرسلين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، الذي ترك الأُمة على المَحَجَّة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلَّا هالك، وعلى آله أَهل البِر وأَصحابه أَهل الأَثر، ومَن سار على هديهم إلى نهاية العمر. أَمَّا بعد:
فإِنَّ السنة النبوية الشريفة هي المصدر الثاني في التشريع بعد كتاب الله تعالى، وكان حفظ السنة من حفظ كتاب الله تعالى من التحريف والخلل، وقد حفظ الله تعالى لنا سُنَّة نبينا؛ بتهيئة رجال واصلوا الليل مع النهار، وبذلوا كل نفيس حتى أَصلوا لنا كلام أَنفس نفيس .
وقد تفرَّعَت علوم السنة والحديث، ومن هذه الفروع علم المصطلح؛ أَي مصطلح الحديث النبوي الشريف، وقد أَحببت أَن أكتب بحثاً في موضوع من موضوعات الحديث، كان عنوان بحثي (الحديث المحفوظ والحديث الشاذ)، وقد جاءت خطة البحث على النحو الآتي: مقدمة ومبحثين وخاتمة، وقد قَسَّمت المبحث الأَول إلى مطالب؛ تناولتُ في المطلب الأَول تعريف الحديث، وفي المطلب الثاني تعريف الحديث الشاذّ، وفي المطلب الثالث تعريف الحديث المحفوظ، ثُمَّ المبحث الثاني وذكرت فيه الأَمثلة التطبيقية من الحديث النبوي الشريف على الحديث الشاذ والحديث والمحفوظ، ثم الخاتمة، وبعدها المصادر والمراجع، وقد تناولت في بحثي شيئاً من زيادة الثقة فيما له تداخل مع موضوع بحثي، وأَسأل الله تعالى أَن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأَن يرزقنا اتباع سُنَّة نبينا – عليه الصلاة والسلام – بكل حركاتنا وسكناتنا، ويجعلنا نتدرَّج في مدارج السالكين حتى نصل إلى منزلة إِيَّاك نعبد وإِيَّاك نستعين، آمين .

المبحث الأول:

المطلب الأول:

تعريف الحديث:

الحديث لغة: وَهُوَ كَوْنُ الشَّيْءِ لَمْ يَكُنْ. يُقَالُ : حَدَثَ أَمْرٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، وَالرَّجُلُ الْحَدَثُ: الطَّرِيُّ السِّنِّ، وَالْحَدِيثُ مِنْ هَذَا؛ لِأَنَّهُ كَلَامٌ يَحْدُثُ مِنْهُ الشَّيْءُ بَعْدَ الشَّيْءِ(١)، والحديث الجديد(٢)، والخبر، وجمعه أحاديث، والحديث ضد القديم. والحديث: الخبرُ، يأتي على القليل والكثير، ويُجمَعُ على أحاديثَ على غير قياس(٣).

والخلاصة: الحديث ضد القديم، وبمعنى الجديد، وبمعنى الخبر، ويجمع على أَحاديث .

والحديث اصطلاحاً : هو ما أُضيف إلى النبي من قول، أَو فعل، أَو تقرير، أَو وصف خَلْقي، أَو خُلُقي، وكذا ما أُضيف إلى الصحابي، أَو التابعي(٤) .

والمراد بقوله: أُضيف ؛ نُسِب، والخبر مرادف للحديث بهذا المعنى الواسع .

وعند جماعة من المحدثين، الحديث: ما أُضيف إلى النبي ، والخبر أَعمُّ منه، وكذا السنة والأَثر بمعنى الحديث(٥) .

المطلب الثاني

تعريف الشاذ

الشاذ لغة : شَذَّ عنه يَشِذُّ ويَشُذُّ شذوذاً انفرد عن الجمهور وندر فهو شاذٌّ، فهو الفرد(٦) .

الشاذ اصطلاحاً : قال الإمام الشافعي – رضي الله عنه – : ليس الشاذ من الحديث أَن يروي الثقة ما لا يرويه غيره ؛ هذا ليس بشاذ ، إِنَّما الشاذُّ : أَن يروي الثقة حديثاً يخالف فيه الناس(٧) .

وقال الحاكم : «الحديث الذي ينفرد به ثقة من الثقات ، وليس له أَصل متابع لذلك الثقة» (٨) ، فَإِنْ كَانَ الثِّقَةُ بِتَفَرُّدِهِ مُخَالِفًا أَحْفَظَ مِنْهُ، وَأَضْبَطَ لِمَا رَوَاهُ مَنْ هُوَ أَوْلَى مِنْهُ بِالْحِفْظِ لِذَلِكَ، وَلِمَنْ هُوَ أَرْجَحُ مِنْهُ لِمَزِيدِ ضَبْطٍ، أَوْ كَثْرَةِ عَدَدٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ وُجُوهِ التَّرْجِيحَاتِ، كَانَ مَا انْفَرَدَ بِهِ شَاذًّا مَرْدُودًا ، وَمُقَابِلُهُ يُقَالُ لَهُ: الْمَحْفُوظُ (٩).

أَو هو ما ليس له إِلَّا إسناد واحد يشذُّ به ثقة ، أَو غيره ، فما كان منه عن غير ثقة فمتروك لا يقبل ، وما كان عن ثقة توقف فيه ، ولا يحتجُّ به(١٠) .

وفي الشاذ يقول العراقي في أَلفيته :

وَذُو الشُّذُوذِ: مَا يُخَالِفُ الثِّقَهْ ... فِيهِ المَلاَ فَالشَّافِعِيُّ حقَّقَهْ

والحَاكِمُ الخِلاَفَ فِيهِ ما اشْتَرَطْ ... وَلِلْخَلِيلِيْ مُفْرَدُ الرَّاوِي فَقَطْ(١١)

بعد ذكر أَقوال الأئمة في حدِّ الحديث الشاذ نأتي على توضيح هذه القضية لنرى ما بينها من التقاء وافتراق وما يرد عليها ، وكذلك الأَثر المترتب على ذلك ، فقد عرَّف الإمام الشافعي – رضي الله عنه – الحديث الشاذ بقوله : « أن يروي الثقة حديثاً يخالف فيه الناس»، وقد أَصاب الإمام الشافعي – رحمه الله – في اعتبار المخالفة، وتقييد الثقة، إِلَّا أَنه تسامح في قوله « لما رواه الناس « ، فإنه بإطلاقه يستلزم كون ما رواه ثقة مخالفاً لما رواه جمع من الضعفاء أَيضاً شاذ، أَو أَن لا يكون ما رواه ثقة مخالفاً لما رواه راوٍ واحد وهو أَوثق منه، وأَضبط شاذّاً، وليس كذلك فإنَّ مدار الشذوذ المخِلُّ في صحة الحديث، هو: مخالفة الثقة لغيره، من الثقات، وإن كان واحداً. ولا يشترط فيه أَن تكون المخالفة مع جمع من الثقات، فإنه لو روى حديثاً واحدا، اثنان فقط، وأَحدهما أَوثق من الآخر، فخالفت رواية الثقة لرواية من هو أَعلى منه كان شاذّاً أَيضاً .

ولو روى ثقة مخالفاً لما رواه الضعفاء فالعبرة لروايته لا لروايتهم، ولا تضر هذه المخالفة في صحَّة الحديث، وهذا كله ظاهر على كل ماهر، فلعل المراد «بالناس» في قول الشافعي، الثقات والحفاظ، واللام الداخلة عليه للجنس فبطلت الجمعية .

فالإمام الشافعي رحمه الله – قَيَّد التفرّد بقيدين : الثقة والمخالفة ، وهما ركنا

الحديث الشاذ الذي لا يتم وصفه بذلك إلَّا بهما مجتمعين(١٢) .

أَمّا ما عرّف به الحاكم الحديث الشاذ، فنلحظ فيه أنه قصره على قيد الثقة وحده .

وهذا على هذا أَدقّ مِن المُعلَّل(١٣) بكثير، فلا يتمكَّن مِن الحكم به إلَّا مَن مارس الفنّ غاية الممارسة، وكان في الذّروة مِن الفهم الثَّاقب ورسوخ القدم في الصِّناعة ، ولعسره لم يفرده أَحد بالتصنيف(١٤) .

والخلاصة إنَّ المعتمد في الشاذ: «ما رواه المقبول مخالفاً لمَن هو أَولى منه»(١٥).

وبعد معرفتنا للشاذِّ، وتفصيلنا له سنكتفي في المطلب الثالث في تعريف المحفوظ لغة واصطلاحاً؛ لأَنَّ المحفوظ هو عكس الشاذِّ كما سيأتي ، وفي توضيحنا للشاذِّ غنىً عن ذلك في المحفوظ .

المطلب الثالث

تعريف المحفوظ

المحفوظ لغة: هو اسم مفعول من حفظ، وحفظ ؛ والحفظ ضد النسيان ، وهو مراعاة الشيء ، وهو التعاهد وقلة الغفلة ، وحفظت الشيء حِفظاً ؛ أَي : حرسته ، وحفظته بمعنى استظهرته(١٦) .

المحفوظ اصطلاحاً : فإن خولف بأَرجح منه لمزيد ضبط ، أَو كثرة عدد ، أَو غير ذلك من وجوه الترجيحات ، فالراجح يقال له : المحفوظ(١٧).

ومن خلال التعريفات يتضح لنا أَن الثقة قد يخالف في الاسناد، وقد يخالف في المتن .

وقد أَفرد لهذه المسألة العلماء مبحثاً خاصاً أَسموه زيادة الثقة ، ثُم اختلف العلماء في زيادة الثقة ، هل تقبل هذه الزيادة أَم لا ؟ .

وسنحرر مطلباً هنا لبحث زيادة الثقة في الإسناد والمتن ، ونذكر في ذلك أهم الآراء عند العلماء ؛ حتى لا يُظن أَنها محل اجماع :

أَوَّلاً : الزيادة في الاسناد

وفيها ما يكثر من اختلاف الرواة في وصل الحديث وإرساله ، ورفعه ووقفه ، ولكن أَيّهما يرجَّح على الآخر ؟

القول الأَوّل : ترجيح الوصل على الإرسال ، والرفع على الوقف (١٨) .

القول الثاني : ترجيح الإرسال على الوصل ، والوقف على الرفع(١٩) .

القول الثالث : إن الحكم للأَكثر ، فإن كان مَن أَرسله أَكثر ممن وصله فالحكم للإرسال ، وإن كان مَن وصله أَكثر ممن أَرسله فالحكم للوصل ، وكذا الرفع والوقف(٢٠) .

القول الرابع : إنَّ المعتبر ما قاله الأَحفظ من وصل وإرسال(٢١) .

ثانياً : الزيادة في المتن

القول الأَوَّل : « قال الجمهور من الفقهاء ، وأصحاب الحديث : زيادة الثقة مقبولة إذا انفرد بها ، ولم يفرّقوا بين زيادة يتعلق بها حكم شرعي ، أو لا يتعلق بها حكم ، وبين زيادة توجب نقصاناً من أحكام تثبت بخبر ليست فيه تلك الزيادة ، وبين زيادة توجب تغيير الحكم الثابت ، أو زيادة لا توجب ذلك ، وسواء كانت الزيادة في خبر رواه راويه مرَّة ناقصاً ثم رواه بعد وفيه تلك الزيادة ، أو كانت الزيادة قد رواها غيره ولم يروها هو»(٢٢)

القول الثاني : انها لا تقبل مطلقاً ، لا ممن رواه ناقصاً ، ولا من غيره(٢٣) .

القول الثالث : ان الزيادة تقبل إذا أَفادت حكماً شرعياً ، وإلَّا فلا(٢٤) .

وهناك آراء أُخرى لم أَذكرها خشية الإطالة ، ومن الله التوفيق .

وقد ذُكر ما ينفرد به الثقة ثلاثة أَقسام :

١ – إِذَا انْفَرَدَ الرَّاوِي بِشَيْءٍ نُظِرَ فِيهِ: فَإِنْ كَانَ مَا انْفَرَدَ بِهِ مُخَالِفًا لِمَا رَوَاهُ مَنْ هُوَ أَوْلَى مِنْهُ بِالْحِفْظِ لِذَلِكَ، وَأَضْبَطُ كَانَ مَا انْفَرَدَ بِهِ شَاذًّا مَرْدُودًا(٢٥) .

٢ – وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ مُخَالَفَةٌ لِمَا رَوَاهُ غَيْرُهُ، وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ رَوَاهُ هُوَ وَلَمْ يَرْوِهِ غَيْرُهُ، فَيُنْظَرُ فِي هَذَا الرَّاوِي الْمُنْفَرِدِ: فَإِنْ كَانَ عَدْلًا حَافِظًا مَوْثُوقًا بِإِتْقَانِهِ وَضَبْطِهِ قُبِلَ مَا انْفَرَدَ بِهِ، وَلَمْ يَقْدَحِ الِانْفِرَادُ فِيهِ(٢٦) .

٣ – ما يقع بين هاتين المرتبتين ، مثل زيادة لفظة في الحديث لم يذكرها سائر من روى ذلك الحديث(٢٧)، وهذا الذي حصل فيه الخلاف وسيكون مثاله الأخير من المبحث الثاني ، في الأمثلة التطبيقية .

المبحث الثاني:

الأمثلة التطبيقية:

سنضرب أمثلة تطبيقية للحديث المحفوظ وللحديث الشاذ .

ومثال الزيادة في الاسناد: ما رواه الترمذي واللفظ له، وأحمد(٢٨) ، وابن ماجه(٢٩)، وأبو داود(٣٠)، والطحاوي(٣١): «حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ ، عَنْ عَوْسَجَةَ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ رَجُلاً مَاتَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ)، وَلَمْ يَدَعْ وَارِثًا إِلاَّ عَبْدًا هُوَ أَعْتَقَهُ فَأَعْطَاهُ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ) مِيرَاثَهُ .

هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ وَالعَمَلُ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ فِي هَذَا البَابِ : إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ وَلَمْ يَتْرُكْ عَصَبَةً أَنَّ مِيرَاثَهُ يُجْعَلُ فِي بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ»(٣٢).

فإنَّ حَمَّادَ بنَ زيدٍ، رَوَاهُ عَنْ عَمْرٍو، عَنْ عَوْسَجَةَ وَلَمْ يَذْكُرِ ابنَ عَبَّاسٍ، لكنْ تابعَ ابنَ عُيَيْنَةَ عَلَى وَصْلِهِ ابنُ جريجٍ ، وغيرُهُ .

قال أبو حاتم: المحفوظ حديث ابن عُيَيْنة ، فحمَّاد مع كونه مِن أَهْل العدالة ، والضَّبط ، رجَّح أبو حاتم رِواية مَن هم أكثر عدداً منه(٣٣) .

ومثال آخر لتعريف الحاكم على الشاذ : أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَعْقُوبَ الثَّقَفِيُّ، ثنا عُبَيْدُ بْنُ غَنَّامٍ النَّخَعِيُّ، أَنْبَأَ عَلِيُّ بْنُ حَكِيمٍ، ثنا شَرِيكٌ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ قَالَ:(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا)(٣٤) قَالَ: سَبْعَ أَرَضِينَ فِي كُلِّ أَرْضٍ نَبِيٌّ كَنَبِيِّكُمْ وَآدَمُ كَآدَمَ، وَنُوحٌ كَنُوحٍ، وَإِبْرَاهِيمُ كَإِبْرَاهِيمَ، وَعِيسَى كَعِيسَى ، هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ .

وَلَمْ أَزَلْ أَتَعَجَّبُ مِنْ تَصْحِيحِ الْحَاكِمِ لَهُ، حَتَّى رَأَيْتُ الْبَيْهَقِيَّ قَالَ: إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، وَلَكِنَّهُ شَاذٌّ بِمَرَّةٍ ، لَا أَعْلَمُ لِأَبِي الضُّحَى عَلَيْهِ مُتَابِعًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ (٣٥) .

وفي المتن : والمقصود بها : وهي أن يروي أحد الرواة لفظة ، أو جملة في متن الحديث لا يرويها غيره .

ومثاله في المتن: زيادة يوم عرفة في حديث: « أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ»(٣٦) ، فإنَّه من جميع طُرُقه بدونها، وإنَّما جاء بها موسى بن عُلي ابن رباح، عَن أبيه، عَن عُقبَة بن عامر. فحديث موسى شاذّ، لكنَّه صحَّحه ابن حِبَّان ، والحاكم ، وقال: إنَّه على شرط مسلم . وقال الترمذي: إنَّه حسَن صحيح ؛ لأنَّه زيادة ثقة غير منافية . والحاكم الخلاف فيه أي: في الشّاذّ ما اشترط ، بَلْ قَالَ : هُوَ مَا انْفرد بِهِ ثِقَةٌ، وَليسَ لَهُ أصْلٌ بمُتابِعٍ لِذلِكَ الثِّقَةِ فقيَّد بالثِّقةِ دُوْنَ المُخالفةِ(٣٧).

ومثال آخر على زيادة في المتن : « حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْجَعِيِّ ، عَنْ رِبْعِيٍّ ، عَنْ حُذَيْفَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلاَثٍ : جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلاَئِكَةِ ، وَجُعِلَتْ لَنَا الأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا ، وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُورًا ، إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ وَذَكَرَ خَصْلَةً أُخْرَى»(٣٨) .

فقد تفرَّد أبي مالك سعد بن طارق الأشجعي بزيادة : « تربتها « ، وهذه الزيادة لم يذكرها غيره من الرواة ، وإنَّما رووا الحديث بلفظ : « وجُعلت لنا الأرض مسجداً وطهوراً»(٣٩) .

وهذه الزيادة تتردد بين القسمين الأَوَّلين ؛ فهي تشبه القسم الأَوَّل ؛ من حيث إنَّ ما رواه الجماعة عامّ لشموله جميع أَجزاء الأَرض ، وما رواه المنفرد بالزيادة مخصوص بالتراب ، وفي ذلك مغايرة في الصفة ، ومخالفة في الحكم ، ويشبه القسم الثاني ؛ من حيث إنه لا منافاة بينهما .

وقد اختلف فيه العلماء ؛ فقبله مالك والشافعي ، لعدم المنافاة ، ولم يقبله أَبو حنيفة ومن وافقه ؛ لأَنَّ الزيادة لما كانت تقتضي تغييراً للحكم فقد أَصبحت من قبيل الزيادة المعارضة(٤٠) .

الخاتمة:

بعد البحث والمتابعة ظهرت نتائج ، وهي :

١ – إنَّ الحديث المحفوظ هي زيادة يزيدها الراوي الثقة ، مخالفاً لِمَن هو أَوثق منه ، وتكون هذه الزيادة إِمَّا في الإِسناد ، وإِمَّا في المتن .

٢ – إذا حُكم على الزيادة في الحديث بأَنَّها شاذّة نزلتْ إِلى مرتبة الحديث الضعيف ؛ لأَنَّ الحديث الشاذّ نوع من أَنواع الضعيف .

٣ – إنَّ هذه الزيادة ليست محل اتفاق بين العلماء في قبولها مطلقاً ، أَو ردِّها مطلقاً ، ولكلٍّ أَدلته في ذلك ، ففيها تفصيل ، وبذلك يبقى الخلاف في المسألة التي انْبَنَتْ على هذه الزيادة أَيضاً محل خلاف ، لكنها قابلة للترجيح.

الهوامش:

١– ينظر: معجم مقاييس اللغة ، لأَبي الحسين أَحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م، ٢ / ٣٦، مادة (حدث) ، والمحكم والمحيط الأَعظم، لأَبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط ١ ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م ، ٣ / ٢٥٣ ، مادة (حدث).

٢– ينظر : كتاب العين مرتباً على حروف المعجم ، للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ) ، تحقيق وترتيب عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م ، ١ / ٢٩٣ ، مادة (حدث) ، والمحيط في اللغة ، للصاحب إسماعيل بن عبَّاد (ت ٣٨٥ هـ) ، تحقيق محمد حسن آل ياسين ، عالم الكتب ، بدون طبعة وسنة طبع ، ٣ / ٣٣ ، ٣٤ ، مادة (حدث) .

٣– ينظر : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣ هـ) تحقيق أَحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، ط ٣ ، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م ، ١ / ٢٧٨ ، مادة (حدث) ، وأَساس البلاغة ، لأَبي القاسم محمود بن عمر بن أَحمد الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م ، ١ / ١٧٢ ، ١٧٣ ، مادة (حدث) .

٤– ينظر : تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أَبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق أَبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م ، ١ / ٩٤ ، وفتح الباقي بشرح أَلفية العراقي ، لأَبي يحيى زكريا بن محمد بن زكريا الأَنصاري السُنبكي(ت ٩٢٦ هـ) ، تحقيق عبد اللطيف الهميم وماهر ياسين الفحل، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط ١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م ، ١ / ٩١.

٥– ينظر : المنتخب في علوم الحديث ، لعلي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني (ت ٧٥٠ هـ) ، تحقيق عواد الخلف ، دار البشائر الإسلامية ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م ، ٥٤ ، ونزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أَهل الأَثر ، لأَحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) ، تحقيق نور الدين عتر ، مكتبة البشرى ، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م ، ٣٦ .

٦– ينظر : لسان العرب ، لأَبي الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أَحمد بن منظور الأَنصاري (ت ٧١١ هـ) ، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين ، دار المعارف ، القاهرة ، بدون طبعة وسنة طبع ، ٢٤ / ٢٢١٩ ، مادة (شذذ) ، والقاموس المحيط ، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ) ، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، ط ٨ ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م ، ٣٣٤ ، مادة (شذ) .

٧– معرفة علوم الحديث وكمية أَجناسه، لأَبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ) ، بتعليقات الحافظين المؤتمن

الساجي والتقي ابن الصلاح، شرح وتحقيق أحمد بن فارس السلوم، دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م، ٣٧٥، وتدريب الراوي، ١ / ١٢٣ .

٨– معرفة علوم الحديث، للحاكم ، ٣٧٥ .

٩– ينظر: نزهة النظر، ٦٦، وتدريب الراوي ، ١ / ١٢٦ – ١٢٩ ، وفتح الباقي، ١ / ٢٣٢.

١٠– ينظر : تدريب الراوي ، ١ / ١٢٣ .

١١– فتح الباقي بشرح ألفية العراقي ، ١ / ٢٣٢ .

١٢– ينظر : أسباب اختلاف المحدثين دراسة نقدية مقارنة حول أسباب الاختلاف في قبول الأحاديث وردّها ، لخلدون الأحدب ، الدار السعودية ، ط ٢ ، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م ، ١ / ٣٦٩ ، ٣٧٠ .

١٣– المعلَّل : هو الحديث الذي فيه عِلَّة خفية قادحة . ينظر : نزهة النظر ، ٥٤ .

١٤– تدريب الراوي ، ١ / ١٢٦ – ١٢٩ .

١٥– نزهة النظر ، ٦٧ .

١٦– ينظر : تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) ، تحقيق عبد الكريم الغرباوي ومحمد علي النجار ، الدار المصرية التأليف والترجمة ، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م ، ٤/ ٤٥٨، مادة (حفظ) ، والصحاح للجوهري ، ٣ / ١١٧٢ ، مادة (حفظ) ، ومقاييس اللغة لابن فارس ، ٢ / ٨٧ ، مادة (حفظ) .

١٧– ينظر : نزهة النظر ، ٦٦ ، وتدريب الراوي ، ١ / ١٢٦ – ١٢٩ .

١٨– ينظر : تدريب الراوي ، ١ / ١٣٠ ، ١٣١ .

١٩– ينظر : الكفاية في علم الرواية ، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) ، تحقيق أبو عبدالله السورقي وإبراهيم حمدي المدني ، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ، ٤٢٦ ، وفتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي ، لأبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت ٩٠٢هـ) ، تحقيق علي حسين علي ، مكتبة السنة ، مصر ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م ، ١ / ٢١٥ .

٢٠– ينظر : فتح المغيث ، ١ / ٢١٦ .

٢١– ينظر : علوم الحديث ، لأبي عمر عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت ٦٢٣ هـ) ، تحقيق وشرح نور الدين عتر ، دار الفكر ، دمشق سورية ، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م ، ٧٩ ، وفتح المغيث ، ١ / ٢١٦ .

٢٢– الكفاية للخطيب ، ٤٢٥ .

٢٣– المصدر نفسه ، ٤٢٥ .

٢٤– المصدر نفسه ، ٤٢٥ .

٢٥– علوم الحديث ، لابن الصلاح ، ٧٩ .

٢٦– المصدر نفسه ، لابن الصلاح ، ٧٩ .

٢٧– علوم الحديث ، لابن الصلاح ، ٧٩ ، وأسباب اختلاف المحدثين للأحدب ، ١ / ٣٦٤ .

٢٨– مسند الإمام أحمد بن حنبل السباني (ت ٢٤١ هـ) ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م ، ٣ / ٤٠٥ ، برقم (١٩٣٠) .

٢٩– السنن ، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣ هـ) ، تحقيق بشار عواد معروف ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م ، ٤ / ٢٩٧ ، ٢٩٨ ،كتاب الفرائض ، باب مَن لا وارث له ، برقم (٢٧٤١) .

٣٠– السنن، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السِّجِسْتاني(ت ٢٧٥هـ) ، تحقيق شعَيب الأرنؤوط ، دار الرسالة العالمية ، ط١، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م ،كتاب الفرائض ، باب في ميراث ذوي الأرحام ،كتاب الفرائض ، برقم (٢٩٠٥) .

٣١– شرح معاني الآثار ، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك الأزدي المصري الحنفي (ت ٣٢١ هـ) ، تحقيق محمد زهري النجار وآخرين ، عالم الكتب ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م ، ٤ / ٤٠٣ ،كتاب الفرائض ، باب مواريث ذوي الأرحام ، برقم (٧٤٥٩) .

٣٢– الجامع الكبير ، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي(ت ٢٧٩ هـ) ،تحقيق بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٨ م ، ٣ / ٤٩٤ ، برقم (٢١٠٦) .

٣٣- ينظر : فتح الباقي بشرح أَلفية العراقي ، ١ / ٢٣٣ .
٣٤- سورة الطلاق، الآية (١٢) .
٣٥- ينظر: الأَسماء والصفات، لأَبي بكر أَحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ، تحقيق عبد الله بن محمد الحاشدي ، مكتبة السوادي، جدة ،المملكة العربية السعودية ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ٢/ ٢٦٨، برقم (٨٣٢) ، وتدريب الراوي، ١ / ١٢٤ .
٣٦- أَخرجه الإمام أَحمد في المسند ، ٢ / ١١ ، برقم (٥٦٧) ، وسنن أَبي داود ، ٤ / ٨٨ ، والجامع الكبير للترمذي ، ٢ /١٣٥ ، برقم (٧٧٣) ، والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي الدارمي البُستي (ت ٣٥٤هـ) ، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩ هـ) ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، ٨ / ٣٦٦ ، برقم (٣٦٠١) ، والمستدرك على الصحيحين ، لأَبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري المعروف بابن البيع (ت ٤٠٥هـ) ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م، الحاكم ، ١/ ٦٠٠ ، برقم(١٥٨٦).
٣٧- ينظر : فتح الباقي بشرح أَلفية العراقي ، ١ / ٢٣٣ ، ٢٣٤ .
٣٨- صحيح مسلم ، لأَبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الجيل ، بيروت ، ١٣٣٤ هـ ، ٢ / ٦٣.
٣٩- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، تحقيق، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ ، ١ / ٧٤، برقم (٣٣٥).
٤٠- ينظر : شرح شرح نخبة الفكر في مصطلح أَهل الأَثر ، لعلي بن سلطان محمد الهروي القاري الحنفي (ت ١٠١٤ هـ) ، تحقيق محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم ، دار الأَرقم بن أَبي الأَرقم ، بيروت لبنان ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م ، ٣١٥ - ٣٢٠ ، وقواعد في علوم الحديث ،= = لظفر أَحمد التهانوي ، تحقيق عبد الفتاح أَبو غدة ، دار القلم بيروت ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، أَسباب اختلاف المحدثين للأَحدب ، ١ / ٣٦٦ ، ٣٦٧ .

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم .
١- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي الدارمي البُستي (ت ٣٥٤هـ) ، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩ هـ) ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
٢- أَساس البلاغة ، لأَبي القاسم محمود بن عمر بن أَحمد الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
٣- أَسباب اختلاف المحدثين دراسة نقدية مقارنة حول أَسباب الاختلاف في قبول الأَحاديث وردّها ، لخلدون الأَحدب ، الدار السعودية ، ط ٢ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
٤- الأَسماء والصفات ، لأَبي بكر أَحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ، تحقيق عبد الله بن محمد الحاشدي ، مكتبة السوادي، جدة ،المملكة العربية السعودية ط ١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .
٥- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أَبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تحقيق أَبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م .
٦- تهذيب اللغة ، لأَبي منصور محمد بن أَحمد الأَزهري (ت ٣٧٠ هـ) ، تحقيق عبد الكريم الغرباوي ومحمد علي النجار ، الدار المصرية التأليف والترجمة ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
٧- الجامع الكبير ، لأَبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي(ت ٢٧٩ هـ) ،تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ١٩٩٨ م.
٨- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣ هـ) تحقيق أَحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، ط ٣ ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
٩- السنن ، لأَبي داود سليمان بن الأَشعث بن إسحاق بن بشير الأَزدي السِّجِسْتاني (ت ٢٧٥هـ) ، تحقيق شعَيب الأرنؤوط ،

دار الرسالة العالمية ، ط١، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م .
١٠– السنن ، لأَبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣ هـ) ، تحقيق بشار عواد معروف ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م ، ٤ / ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، كتاب الفرائض ، باب مَن لا وارث له ، برقم (٢٧٤١) .
١١– شرح شرح نخبة الفكر في مصطلح أَهل الأَثر ، لعلي بن سلطان محمد الهروي القاري الحنفي (ت ١٠١٤ هـ) ، تحقيق محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم ، دار الأَرقم بن أَبي الأَرقم ، بيروت لبنان ، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م .
١٢– شرح معاني الآثار ، لأَبي جعفر أَحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك الأَزدي المصري الحنفي (ت ٣٢١ هـ) ، تحقيق محمد زهري النجار وآخرين ، عالم الكتب ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م .
١٣– صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله ، تحقيق ، محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ .
١٤– صحيح مسلم، لأَبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري(ت ٢٦١ هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الجيل ، بيروت ، ١٣٣٤ هـ .
١٥– فتح الباقي بشرح أَلفية العراقي ، لأَبي يحيى زكريا بن محمد بن زكريا الأَنصاري السُنبكي (ت ٩٢٦ هـ) ، تحقيق عبد اللطيف الهميم وماهر ياسين الفحل ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م .
١٦– فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي ، لأَبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت ٩٠٢هـ) ، تحقيق علي حسين علي ، مكتبة السنة ، مصر ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .
١٧– القاموس المحيط ، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧ هـ) ، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، ط ٨ ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .
١٨– قواعد في علوم الحديث ، لظفر أَحمد التهانوي ، تحقيق عبد الفتاح أَبو غدة ، دار القلم بيروت ، ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢ م .
١٩– كتاب العين مرتباً على حروف المعجم ، للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ) ، تحقيق وترتيب عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م .
٢٠– الكفاية في علم الرواية ، لأَبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) ، تحقيق أبو عبدالله السورقي وإبراهيم حمدي المدني ، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة .
٢١– لسان العرب ، لأَبي الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أَحمد بن منظور الأَنصاري (ت ٧١١ هـ) ، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين ، دار المعارف ، القاهرة ، بدون طبعة وسنة طبع .
٢٢– المحكم والمحيط الأَعظم ، لأَبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م .
٢٣– المحيط في اللغة ، للصاحب إسماعيل بن عبَّاد (ت ٣٨٥ هـ) ، تحقيق محمد حسن آل ياسين ، عالم الكتب ، بدون طبعة وسنة طبع .
٢٤– المستدرك على الصحيحين، لأَبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري المعروف بابن البيع(ت٤٠٥هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١، ١٤١١هـ – ١٩٩٠ م .
٢٥– مسند الإمام أحمد بن حنبل السباني (ت ٢٤١ هـ) ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م .
٢٦– معجم مقاييس اللغة ، لأَبي الحسين أَحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م .
٢٧– معرفة علوم الحديث وكمية أَجناسه ، لأَبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ) ، بتعليقات الحافظين المؤتمن الساجي والتقي ابن الصلاح ، شرح وتحقيق أَحمد بن فارس السلوم ، دار ابن حزم ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م .
٢٨– المنتخب في علوم الحديث ، لعلي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني (ت ٧٥٠ هـ) ، تحقيق عواد الخلف ، دار البشائر الإسلامية ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م .
٢٩– نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أَهل الأَثر ، لأَحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) ، تحقيق نور الدين عتر ، مكتبة البشرى ، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م .



مسائلُ المبنيّاتِ في المسائلِ العضديّات لأبي عليّ الفارسيّ

م. د. نوري عبد الكريم نعمة
وزارة التربية/ المُديريّةُ العامة لتربيةِ مُحافظةِ ميسان



المستخلص:
يتناول هذا البحث دراسة المسائل المبنيات في كتاب المسائل العضديات لأبي علي الفارسي، إذ يُعنى بالمسائل التي كان لأبي علي الفارسي رأي مغاير فيها عن غيره من النحويين، أو التي كثر الخلاف فيها، أو التي كان له عليها شروح وتفصيلات.
ارتكز هذا البحث على مقدمة ومبحثين؛ في المبحث الأول جرى الحديث عن مفهموم البناء، وحدّه وأقسامه. أما المبحث الثاني، فقد عالج مسائل المبنيات التي أشار إليها أبو علي الفارسي في كتابه المسائل العضديات؛ إذ بيّن توجيه أبي علي الفارسي لها مع مقارنة توجيهه النحوي بتوجيهات غيره من النحويين السابقين له والمخالفين.
سار البحث على وفق مقتضيات المنهج الوصفي الذي يقوم على وصف الظاهرة النحوية وتحليلها بغية الوصول إلى النتائج التي كان من أبرزها اعتماد أبي علي الفارسي على الأصول النحوية في توجيهه لمسائله، ومن أبرز هذه الأصول القياس، مع الأخذ بمبادئ الدراسة النحوية كالحمل على النظير واعتماده على السياق والمعنى، والابتعاد عن النادر القليل والشاذ، وقد لوحظ ميل الفارسي إلى مذهب البصريين في هذه المسائل، مع مخالفتهم أحياناً لينحو منحى التعليل وإقامة الأدلة وذكر الحجج المؤيدة لتوجيهه النحوي لهذه المسائل.
الكلمات المفتاحية: المبني، الحد، القياس، اسم الفعل.

Abstract:
This research deals with the study of the issues built in the book of brachial issues of Abu Ali al-Farsi, as it is concerned withthe issues in which Abu Ali al-Farsi had a different opinion from other grammarians, or in which there is much disagreement, or on which he had explanations and details.
This research was based on an introduction and two sections; in the first section, we talked about the concept of construction, alone and its sections. The second section, has dealt with the issues of buildings referred to by Abu Ali Persian in his book Brachial issues, as he showed the guidance of Abu Ali Persian with a comparison of his grammatical guidance with the guidance of other grammarians previous to him and violators.
The research went according to the requirements of the descriptive approach, which is based on the description of the grammatical phenomenon and analysis in order to reach the results, the most prominent of which was the reliance of Abu Ali Persian on the grammatical assets in directing his issues, and the most prominent of these assets measurement, taking the principles of grammatical study such as the load on the counterpart and its dependence on the context and meaning, and away from the rare little and anomalous, has been noted The Persian leaned towards the doctrine of the Basrians in these matters, sometimes disagreeing with the tendency to reason, establish evidence, and mention arguments in support of his grammatical orientation to these matters.
Keywords: building, limit, measurement, verb noun.

المقدمة:

تقوم اللغة العربية على قسمين هما: المعرَب والمبني، وقد نال المعرب حظاً وفيراً من الدرس النحوي في لدى القدماء والمحدثين، نظراً لارتباط المعرَب بنظرية العامل التي تقوم عليها الدراسات النحوية واختلاف حركة أواخر الكلمات باختلاف العامل؛ أما المبنيّ، فقد اهتم به فقد حظي باهتمام النحاة نظراً للزوم آخره حركة واحدة لا تتغير باختلاف العامل، مما جعل نظريتهم القائمة على أن الحركات دوال على المعاني لا تعطي نتائجها في مسائل المبنيات، ولذلك كثر الخلاف فيما بينهم حول هذه المبنيات في إشارة مهمة إلى أهمية ظاهرة البناء في اللغة العربية.

تناول بعض النحويين مسائل من المبنيات في كتبهم التي لا تقوم بنيتها على الأبواب النحوية، فنجدهم يختارون من هذه المسائل ما كثر الاختلاف فيه، فشرحوا غوامضه وبيّنوا أوجه اختلافات النحاة فيه، ومن هؤلاء ما نجده عند أبي علي الفارسي في كتبه التي تتناول مسائل خطّها في عدة مواضع، فاكتسبت أسماءها منها، كالبغداديات والشيرازيات والحلبيات، ومن هذه الكتب مسائله العضديات التي ضمنها العديد من المسائل النحوية واللغوية والصرفية، وكان للمبنيات نصيب منها.

ويأتي هذا البحث لدراسة ما ضمنه الفارسي عضدياته من مسائل المبنيات التي اختلف النحاة فيها، أو التي كان لأبي علي الفارسي رأي محدد فيها، أو تلك التي سار فيها على مذاهب جمهور النحويين ولكنه قام بشرحها وتفصيلها.

يقوم هذا البحث على مقدمة ومبحثين، يأتي المبحث الأول للحديث عن مفهوم البناء لدى النحويين، وحدّه، وأقسامه، ليتناول المبحث الثاني مسائل المبنيات في المسائل العضديات على وفق شرح أبي علي الفارسي لها ورأيه فيها مع مقارنة هذه الآراء بآراء غيره من النحويين السابقين واللّاحقين، ثم خاتمة تضمنت أبرز النتائج التي توصل إليها البحث، والله المستعان.

المبحث الأول: البناء

أولا: مفهوم البناء لدى النحاة

يعدّ مفهوم البناء من المفاهيم النحوية التي نجد جذورها في أوائل الكتب النحوية وإن لم يكن هذا المفهوم قد أخذ بعدُ بعدَه الاصطلاحي، فقد تحدث سيبويه عن مفهوم البناء وقدم تنظيراً لهذا المفهوم يمكن استخلاصه مما ذكره في بداية كتابه، وهذا ما نجده في حديثه عن مجاري أواخر الكلم إذ يقول: «وإنما ذكرت لك ثمانية مجار لأفرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة، لما يحدث فيه العامل، وليس شيء منها إلا وهو يزول عنه، وبين ما يبنى عليه الحرف بناء لا يزول عنه لغير شيء أحدث ذلك من العوامل»(١).

ويُفهم من كلام سيبويه أنّ البناء هو عدم تأثر الحرف الأخير من الكلمة بالعوامل التي تدخل عليها، فيبقى الحرف الأخير منها على حالة واحدة من دون تأثرها باختلاف موقعها، فيلزم الحرفَ الأخير حركةٌ ثابتة لا تتغير نحو فتحة أنَّ وضمة حيثُ وكسرة هؤلاءِ وما سوى ذلك(٢).

ثانيا: حد البناء

لا نجد لدى أوائل النحاة حداً للبناء، بل نراهم يتحدّثون عن المبني وعلاماته مع التفريق بينها وبين علامات الإعراب، كما نجد لدى المبرد(٣)، لكن ابن السراج في بداية القرن الرابع الهجري يضعنا أمام حد واضح للبناء يبيّن وضوح المصطلح في تفكيره النحوي، إذ يقول: «وأما البناء، فهو خلاف الإعراب، وهو أن يبقى آخر الكلمة على حركة غير مفارقة، أو سكون غير مفارق»(٤).

ويزيد أبو علي الفارسي مفهوم البناء وحدّ المصطلح بياناً يدل على وضوح المفهوم لديه وتطور الدرس النحوي في فكره، فيقدم بداية حداً للبناء بقوله: «البناء خلاف الإعراب، وهو أن لا يختلف الآخر باختلاف العامل»(٥).

وما يميز هذا الحد للبناء أنه حد موجز دال على المصطلح يقتصر فيه أبو علي الفارسي على العناصر الضرورية في صناعة الحد من دون إشراك تفاصيل أخرى فيه خارجة عنه، ليكون كلامه التالي على هذه التفصيلات الشارحة لحد المصطلح،

فيقول: «لا يخلو البناء من أن يكون على سكون أو على حركة، فالبناء على السكون يكون في الاسم والفعل والحرف، فالبناء على السكون في الاسم نحو كم ومن وإذ، تقول: بكم رجلاً مررت؟ وكم رجلاً جاءك؟ وكم رجلاً ضربت؟ فتختلف العوامل ولا يختلف الآخر كما اختلف آخر المعرب حيث اختلف العامل، والبناء على السكون في الفعل جميع أمثلة الأمر للمخاطب إذا لم يلحق أوله خروف المضارعة....وفي الحروف نحو هل وبل»(٦).

يجعل الفارسي هذه التفصيلات خارج بنية حده للمصطلح مما يدل على وعي تام بشروط صناعة الحد، ليكون كلامه التالي تبييناً لعناصر الحد وشرحاً للمصطلح، ليضعنا بعد ذلك أمام مصطلح آخر هو مصطلح المبني، فالبناء هو المصطلح الدال على المبني الذي قد يكون اسماً أو فعلاً أو حرفاً، وتتوزع علامات البناء على أقسام الكلم مع ذكر المصطلحات الدالة على حركات البناء؛ إذ يقول: «والمبني على الحركة من الكلام ينقسم بأقسام الحركات التي هي الفتحة والضمة والكسرة، فالبناء على الفتحة في الأسماء نحو أين وكيف...وفي الأفعال جميع أمثلة الماضي..وفي الحروف نحو إنَّ ولعلَّ... والبناء على الكسر يكون في الاسم والحرف، فالاسم نحو هؤلاءِ ...والحرف نحو لام الحر وبائه....وكذلك البناء على الضم يكون فيهما دون الفعل، فمثال الاسم المبني على الضم أولُ وعلُ ...ومثاله في الحروف منذُ فيمن جر بها»(٧).

وقد سار ابن جني على هدي شيخه الفارسي في ذكر حد البناء وتفصيلاته، فيذكر أن حد البناء هو «لزوم آخر الكلمة ضرباً واحداً من السكون أو الحركة لا لشيء أحدث ذلك من العوامل».(٨)

ويضيف ابن جني إلى حدّ البناء ذكر العلة التي من أجلها سمي البناء بناء، فقال: «وكأنهم إنما سموه بناء لأنه لما لزم ضرباً واحداً، فلم يتغير تغير الإعراب سمي بناء من حيث كان البناء لازماً موضعه لا يزول من مكان إلى غيره، وليس كذلك سائر الآلات المنقولة المبتذلة كالخيمة...»(٩).

فأصل البناء كما يشرحه ابن جني ينتمي إلى حياة الإنسان العامة، بما يسمّى التعلم الحدسي، وإذا كان ابن جني يشبه ظاهرة البناء في النحو العربي ببناء الماديات، فإنه يريد أن يؤكد أن»التفكير في اللغة تقرّه صياغة المفهوم، فما إن تنفصل الدلالة اللغوية لكلمة بنى عن عالم الكائنات والأشياء والمخلوقات، وبشكل عام عن الحياة الإنسانية حتى يتكون المفهوم (البناء)»(١٠).

ولم يختلف حد البناء لدى النحاة المتأخرين عما ذكره ابن جني والفارسي، فقد ذكر الزمخشري أن البناء هو «الذي سكون آخره وحركته بغير عامل»(١١)، وإلى مثل ذلك ذهب الأنباري(١٢)، والعكبري(١٣)، وغيرهما من النحويين اللاحقين مع بعض الإضافات اليسيرة كما نجد عند ابن معط الذي أضاف في الحد فصل عدم الاعتلال، فذكر أن البناء هو «لزوم آخر الكلمة حركة أو سكوناً من غير عامل ولا اعتلال»(١٤)، وهي ليست إضافة ذات أهمية لعدم ظهور الحركة على معتل الآخر.

وقد استقر مصطلح البناء لدى النّحاة المتأخرين على الحدّ الذي ذكره المتقدمون كما نجد لدى ابن يعيش الذي لم يخرج في حده للبناء عن حد ابن جني ويحذو حذوه في تعليل التسمية(١٥).

وإذا كانت التعريفات السابقة للبناء تركّز على لزوم آخر المبني حركة واحدة باختلاف العوامل، فإن من المتأخرين من تجاوز هذا الفصل في الحد، واعتمد على شيء مختلف، فقد ذكر ابن الحاجب أن «المبني ما ناسب مبني الأصل، أو وقع غير مركب»(١٦)، وهذا معناه أن ابن الحاجب يرى أن هناك كلمات مبنية الأصل وإن اختلفت حركة الآخر فيها فإن هذا لا يخرجها من حد البناء، وهو ما ينسجم مع أقوال النحاة من أن هناك كلمات الأصل فيها هو البناء كالحروف والأفعال، أما غير المركب فقد أراد به ابن الحاجب ما كان مفرداً من الكلمات قبل تركيبها في الجمل.

وإلى مثل ذلك ذهب ابن مالك الذي لم يعتمد في حده للبناء على لزوم آخر الكلمة لحركة واحدة، فذكر أن حد البناء «ما جيء به لبيان مقتضى عامل من شبه الإعراب وليس حكاية أو إتباعاً أو نقلاً أو تخلصاً من سكونين»(١٧).

وقد ركز السيوطي على أقسام المبني مع ذكره لتعريفات من سبقه من النحاة، فنراه يختار للفظي حد ابن مالك، وللمعنوي حد ابن جني، فيقول: «البناء ضد الإعراب، فعلى القول بأنه لفظي يحد كما أفصح به في التسهيل بأنه ما جيء به لا

لبيان مقتضى عامل من حركة أو سكون أو حذف، وعلى أنه معنوي يحد كما قال ابن جني في الخصائص بأنه لزوم آخر الكلمة طريقة واحدة كلزوم البناء موضعه»(١٨).

ثالثا: أقسام البناء

قسّم النحاة البناء إلى قسمين: بناء لازم وبناء عارض، فالمبني بناء لازماً هو الذي لا يزول عنه البناء في كل حال فلا يأتي إلا مبنياً مع تغير موقعه في الجملة ودخول العوامل عليه، وقد أشار إليه سيبويه بالقول: «ما يبنى عليه الحرف بناء لا يزول عنه لغير شيء أحدث ذلك فيه من العوامل»(١٩).

وأما المبني بناء عارضاً فهو الاسم المعرب في الأصل، ولكن لحقه البناء لسبب عارض، من مثل تركيب الحرف مع الاسم، أو تركيب الاسم مع الاسم، فإذا زال العارض رجع الاسم إلى أصله من الإعراب وزال عنه البناء»(٢٠).

وهذا التقسيم للمبنيات إلى المبنيات بناء لازماً والمبنيات بناء عارضاً «يوصلنا إلى إظهار هذه الفروقات بين هذه المبنيات، وإظهار معالم الخرفية فيها، والتمييز بينها تمييزاً يدقق مدى موقعها من الحرفية ومن الاسمية»(٢١).

ويدور حديث النحويين عند ذكر البناء عن البناء اللازم في معظم الأحيان، ويفرقون بينه وبين البناء العارض(٢٢)، ويخلط بعض النحويين بين قسمي البناء عند الحديث عنه، كما نجد عند الزجاجي الذي أدرج تحت باب البناء المبنيات المبنية بناء لازماً من مثل الحروف وأسماء الاستفهام والإشارة وغيرها إلى جانب الظروف المقطوعة عن الإضافة في اللفظ والمنادى العلم وغيرهما من المبنيات بناء عارضاً(٢٣).

ويعود اهتمام النحاة بالبناء اللازم إلى أنه هو الأصل وأن أكثر المبنيات لازمة البناء، إذ وجدوا أن الحروف كلها مبنية وقسمي الأفعال الماضي والأمر، إلى جانب الضمير واسم الإشارة والاسم الموصول واسم الاستفهام والشرط واسم الفعل واسم الصوت وغيرها(٢٤)، وقد ذكر النحاة أن المبني بناء لازماً يبنى على الحركات الثلاثة الضم والفتح والكسر إذا كان اسماً أو حرفاً، ويبنى على السكون والفتح فقط دون الضم إذا كان فعلاً.(٢٥)

ويرى بعض الباحثين أن سبب بناء هذه الكلمات بناء لازماً هو عدم حاجتها إلى الإعراب لوضوح معانيها عندما تكون ضمن سياق محدد، ولذلك يطلقون على هذا النوع من البناء اسم البناء السماعي(٢٦)، في حين أن المبنيات بناء عارضاً الأصل فيها الإعراب، وحق المعرب الحركة، ومن هنا عللوا أن المبني بناء عارضاً قلما يبنى على السكون كبناء الفعل المضارع المتصل بنون النسوة على السكون(٢٧).

ويربط بعض النحويين بين مفهوم البناء ومفهوم الإعراب المحلي، ويسمون محل البناء بالمخل الاعتباري بحسب موقع الكلمة المبنية، بمعنى أنه من يرفع (من) مثلاً في قولنا: جاء من أحبه، فهو رفع اعتباري، لأنه كائن بسبب وقوع الاسم المبني محل اسم مرفوع، فالإعراب المحلي «تغيّر اعتباري بسبب العامل، فلا يكون ظاهراً ولا مقدراً، والإعراب المحلي يكون في الكلمات المبنية...وعلى ذلك يكون الإعراب المحلي تغيّراً اعتبارياً لا يوصف بظهور ولا تقدير، كما أنه لا يكون في جميع المبنيات، لأن هناك مبنيات كثيرة لا محل لها من الإعراب»(٢٨).

أما من حيث أصالة البناء في أقسام الكلم، فيكاد يجمع النحويون على أن البناء أصل في الأفعال وفرع في الأسماء، وذاك لحاجة الأسماء إلى الإعراب لتبيين مواقعها من فاعلية ومفعولية وإضافة وغير ذلك، ، إلا أن هذا الاسم يبنى إذا أشبه الحرف من مجه من الوجوه: الوضع والمعنى والنيابة والافتقار، كما يعرب الفعل لشبهه بالاسم المستحق للإعراب.(٢٩)

ويجمع النحويون على أن البناء أصل في الحروف وهذا ما ليس فيه خلاف بينهم(٣٠)، ويبقى الخلاف في كون البناء أصلاً في الأفعال وفرعاً في الأسماء، فبهذا قال البصريون، في حين يرى الكوفيون أن الإعراب أصل فيهما معاً(٣١)، ولا حاجة لنا في هذا البحث إلى الخوض في تفصيلات هذا الخلاف، فهذا خارج عن المراد من هذا البحث، وقد تكفلت كتب النحو بالحديث عنه وبسطت القول فيه.(٣٢)

المبحث الثاني: آراء أبي علي الفارسي في بعض المبنيات من خلال كتابه المسائل العضديات

تحدث أبو علي الفارسي في الكثير من كتبه عن المبنيات من الأسماء والأفعال والحروف، من خلال بعض المسائل التي

يذكرها وتكون جواباً على سؤال سائل أو مسائل يرى أنه من الضروري أن يتحدث عنها، كما نجد ذلك في مسائله العسكريات والبغداديات والشيرازيات والحلبيات والعضديات، وسنورد فيما يلي آراءه في المبنيات التي ذكرها في مسائله العضديات وبسط القول فيها لما رآه من حاجة إلى معرفة جوانبها.

أولا: مسألة (إياك)

ذكر النحاة أن إياك ضمير، وهم يعرفون الضمير بأنه «ما وضع لمتكلم أو مخاطب أو غائب تقدم ذكره لفظاً أو معنى أو حكماً(٣٣)، وزاد بعضهم أن يكون موضوعاً «لمتكلم به أو لمخاطب به، أي للمتكلم بهذا اللفظ الموضوع والمخاطب به»(٣٤).

وهذا الضمير من الضمائر المنفصلة، والمنفصل «ما جرى مجرى المظهر في استبداده»(٣٥)، وهو ضمير نصب، فقد قال سيبويه: «اعلم أن علامة المضمرين المنصوبين (إيا) ما لم تقدر على الكاف التي في رأيتك، ،(كما) التي في رأيتكما، وكم التي في رأيتكم»(٣٦).

وقد تحدث سيبويه عن الضمائر، وبيّن أن منها ما يكون للرفع ومنها ما يكون للنصب ومنها ما يكون للجر، وأشار إلى أن هذه الضمائر لا تتبادل مواقعها الإعرابية، فلا يقع ضمر الرفع مجروراً أو منصوباً، ومن ذلك ما ذكره عن (إياك) التي نحن بصدد الحديث عنها، فقد قال سيبويه: «اعلم أن (أنت) وأخواتها لا يكن علامات لمجرور، من قبل أن أنت اسم مرفوع، ولا يكون المرفوع مجروراً....ولا يجوز (إيا) أن تكون علامة لمضمر مجرور، من قبل أن إيا علامة للمنصوب، فلا يكون المنصوب في موضع المجرور، ولكن إضمار المجرور علاماته كعلامات المنصوب اتي لا تقع مواقعهن إيا»(٣٧).

ولم يخرج أبو علي الفارسي في حديثه عن (إياك) عما ذكره سيبويه، مع تغيير طفيف في طريقة التعبير عن المواضع التي تقع (إياك) فيها، وقد أضاف تفصيلا شارحة لكلام سيبويه، فقال: «إياك اسم مضمر يختص به المنصوب دون المرفوع والمجرور، وهو يعاقب الكاف التي في نحو: ضربتك وأتيتك ونحو ذلك، تقول: أتيتك. ولا تقول: أتيت إياك، لأنك تقدر على الضمير المتصل الذي هو الكاف.. وكذلك تقع إيا في المواضع التي لا يقع الضمير المتصل»(٣٨).

فالضمير (إياك) لا يأتي مؤخراً، بل يتقدم على عامله، لأن تقدم الضمير على عامله ليس من مواضع الضمير المتصل، وقد يأتي مؤخراً إذا كان في الموضع الذي لا يأتي فيه المتصل، كمجيء إياك بعد إلا، من مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾[سورة الإسراء ٦٧]، فأنه كما يقول الفارسي: «ألا ترى أن (إلا) لا يتصل بالضمير المتصل؟ لا يجوز: ضل القوم إلاه، ولا جاء القوم إلاك، فيتصل بإلا الضمير»(٣٩).

ومن هذه المواضع أيضاً مجيء (إياك) بعد حرف العطف، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾[سورة النساء ١٣١]، وقد علل الفارسي مجيء الضمير إياك بعد حرف العطف على أن ذلك جاء قياساً على أن هذا الموضع ليس مواضع مجيء الضمير المتصل في هذا الموضع، فقال: «فهذه المواضع بمنزلة تقدم العلامة في نحو: إياه ضربت، وإياك أكرمت في أن الضمير المنفصل لا يقع في المواضع التي يقع فيها الضمير المتصل» (٤٠).

وقد اختلف النحويون في (إيا) وما يلحقها مما يدل على الخطاب والغيبة(٤١)، فقد ذكر الخليل أن (إيا) اسم مضمر مضاف إلى ما يلحق به من أسماء(٤٢)، فهو يرى أن الكاف في إياك والهاء في إياه ضمائر، وهي في موضع جر بإضافة (إيا) إليها، وقد تبع الخليلَ في هذا الرأي بعض النحويين كالمازني(٤٣) وابن مالك(٤٤).

وقد خالف سيبويه شيخه الخليل في هذه المسألة، إذ رأى أن (إيا) اسم مضمر، وما يلحق بالضمير يفسر المقصود منه(٤٥)، بمعنى أن الكاف والهاء ليست ضمائر، بل هي مجرد علامات للدلالة على الخطاب أو الغيبة كالتاء في أنت، وقد تبع سيبويه في هذا الرأي أغلب النحويين كالأخفش(٤٦) وابن جني(٤٧) وهو تلميذ أبي علي الفارسي، والزمخشري(٤٨) والأنباري(٤٩).

وذهب المبرد وهو رأس المدرسة البصرية بعد سيبويه إلى أن (إيا) اسم مبهم أضيف للتخصيص(٥٠)، وذهب آخرون إلى أنه اسم بين الظاهر والمضمر(٥١)، وذهب الكوفيون إلى أن إيا وما يلحقها ضمير، فهم ينظرون إلى إياك ومشتقاتها على أنها كلمة واحدة، أي هي صيغة بكاملها(٥٢)، وهو رأي أحق بأن يتبع لما فيه من تيسير وخروج من دائرة الخلاف النحوي في هذه المسألة.

وهناك رأي آخر يقول بأن اللواحق أي الكاف والهاء في إياك وإياه هي الضمائر، وأن (إيا) عماد لها، بمعنى أن (إيا) مكنت هذه الضمائر من المجيء بصيغة الانفصال، فكانت كالدعامة لها فصارت بسببها ضمائر منفصلة بعد أن كانت متصلة(٥٣).

وقد أخرج بغض النحويين (إياك) من حيز الاسمية، فهي ليست ضميراً، فقد ذكر المالكي أنه من الأولى أن تحمل (أيا) على الحرفية، ذلك أن معناها في غيرها، كما أن الحرف معناه في غيره، وهي وسيلة للنطق بالضمير المتصل(٥٤).

وقد حكى أبو علي الفارسي هذا الخلاف في الضمير إياك، فقال: «ويختلف النحويون في (إيا) في كونها مضمراً أو مظهراً، فمنهم من يقول: إنه اسم مظهر وضع في موضع المضمر، ومنهم من يقول إنه مضمر، وإن ما يضاف أليه من كاف المخاطبة وغيرها يدل على معنى الخطاب مالتاء في أنت والواو في قاموا الزيدون، ونحو ذلك مما يدل على معنى الخطاب والغيبة وليس باسم، وهذا القول أشبه من القول الأول»(٥٥).

وواضح أن أبا علي الفارسي يأخذ برأي سيبويه في هذه المسألة، فالضمير هو (إيا) وحدها، وليس مجموع (إياك)، وهي ضمير ظاهر، وما اتصل بها حرف للدلالة على الخطاب أو الغيبة، ولا يقول باسميته أو بإضافة إيا إليه، مع إشارته إلى عدم وقوع هذا الضمير مجروراً بالحرف، فلا يقال: مررت بإياك، وما ورد من ذلك في الشعر شاذ لا يقاس عليه، كقول الشاعر (٥٦):

فأحسنْ وأجملْ في أسيركَ إنّهُ ضعيفٌ، ولم يأسرْ كإياكَ آسرُ

فقال الفارسي: «ولم أجد المتقدمين من أصحابنا حكوا من ذلك شيئاً»(٥٧).

ولم يخرج الفارسي في حديثه عن استعمالات إياك وأحوالها عما قرره النحويون، مع زيادة في التفصيل والشرح والإيضاح.

ثانيا: مسألة (مهما)

وهي اسم من أسماء الشرط المجردة عن الظرفية في المشهور عند النحاة، وذكر بعضهم أنها قد تقع ظرفاً(٥٨)، وقد اختلف النحويون في أصلها، فذكر بعضهم أنها بسيطة، وقال آخرون: إنها مركبة.(٥٩)

فمن قال إنها بسيطة فقد ذكر أن وزنها «فعلى، وألفها أما للتأنيث، وإما للإلحاق، وزال التنوين للبناء....وقال الخليل هي مركبة من (ما ما)، و(ما) الأولى التي لا جزاء، والثانية التي تزاد بعد الجزاء، واستقبحوا التكرير، فأبدلوا من ألف الأولى هاء، وجعلوهما كالشيء الواحد، وقال الأخفش والزجاج والبغداديون هي مركبة من (مه) بمعنى: اسكت، وما الشرطية، قالوا: وقد تستعمل (مه) مه (من) التي هي شرط، فيقال: مهمن، ...»(٦٠).

ولم يستبعد سيبويه احتمال أن تكون مهما مركبة من مه وما(٦١)، وهو في ذلك لا يلغي مذهب شيخه الخليل في هذه المسألة.

أما عن مسألة مجيء مهما للزمان، فإننا نجد أن السيوطي يتحدث عن ما ومهما معاً في أشارة أخرى إلى تركب مهما وعدم بساطتها، ويذكر الخلاف الواقع فيها من عدة أوجه: الوجه الأول: مجيء مهما للزمان، فذكر القولين،واستشهد لمجيء مهما للزمان بقول الشاعر:(٦٢)

وإنّك مهما تعطِ بطنكَ سؤلهُ وفرجكَ نالا منتهى الذّمّ أجمعا

وذكر أن ذلك مردود بجواز كونها للمصدر، «أي إعطاء كثيراً أو قليلاً»(٦٣)

والوجه الثاني: أن مهما اسم، وذكر بعضهم مجيئها حرفاً بمعنى إنْ الشرطية، واستدلوا عليه بقول الشاعر(٦٤):

ومهما تكنْ عند امرئٍ من خليقةٍ وإنْ خالها تخفى على الناسِ تعلمِ

وردّ بأنها «خبر تكن، وخليقة اسمها أو مبتدأ، واسم تكن ضميرها، ومن خليقة تفسيره، والظرف خبر»(٦٥).

والوجه الثالث: مجيء مهما استفهاماً، فقد قيل إنها ترد، كما نجد في قول الشاعر(٦٦):

مهما لِيَ اللّيلةَ مهما ليَهْ أودى ببعلي وسربالِيه

فقيل: مهما مبتدأ خبره لي، وأجيب باحتمال أم مه اسم فعل واستؤنف الاستفهام بما وحدها»(٦٧).

وقد ناقش أبو علي الفارسي في مسائله العضديات هذه الأوجه جميعها لدى حديثه عن(مهما)، أما تركيبها، فقد ذكر الفارسي رأي الخليل في تركيبها من (من ما) و(ما)، ويقيس ذلك على تركيب ما مع بعض أسماء الشرط مثل أيّ، كما في قوله تعالى: (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا)[سورة الإسراء ١١٠]، فكما «ضمت ما إلى أي، كذلك ضمت إلى ما، فلما اجتمع حرفان على لفظ واحد، كره اجتماعهما فأبدل من الألف في ما الأولى الهاء لمقاربة الألف لها، وكونها من مخرجها، فصارت مهما»(٦٨).

ويذكر الفارسي مجيء مهما للاستفهام، ويجعل من شواهد مجيئها للاستفهام دليلاً على صحة تركيب مهما من ما وما كما ذكر الخليل، فهو يذكر قول الشاعر السابق ذكره في مجيء مهما للاستفهام، ويرى أن مهما «بمنزلة ما، كأنه قال: ما لي؟ وموضع ما رفع بالابتداء، كما لو أنه قال: أي شيء لي، لمان أي رفعاً بالابتداء».(٦٩)

ومن شواهد أبي علي الفارسي على مجيء مهما للاستفهام، قول الشاعر(٧٠):

مهما يكنْ ريب المنونِ فإنّني أرى قمرَ الليلِ المعذّبِ كالفتي

فهما هنا كما يرى الفارسي للاستفهام، وهي في موضع نصب خبر يكن، «وهذا يدل على صحة قول الخليل من أنه ما لحقها ما للزيادة»(٧١).

أما قول سيبويه من أنه قد يكون الأصل: مه وما، فقد ذكر أبو علي الفارسي أن (مه) هنا ليست من أسماء الأفعال، بل هي بمنزلة إذ للجزاء، وعلى هذا تكون مهما حرفية مكونة من حرف الشرط مه وما الزائدة، قال الشاعر (٧٢):

إذ ما تريني اليوم مزجي ضعينتي أصعّدُ سيراً في البلادِ وأفرعُ

فإنّي من قومٍ سواكم وإنّما رجاليَ فهمٌ بالحجازِ وأشجعُ

ويعلق أبو علي الفارسي على(إذ) هنا، بأنها حرف للجزاء والفعل المضارع بعدها مجزوم وعلامة جزمه حذف النون الثانية منه، فهو: ترينني، ولذلك يرى الفارسي، أنه بالقول إن مهما مركبة من مه وما، فإن مه هنا حرف للجزاء.

يقول الفارسي: «فمه على هذا يكون حرفاً من حروف الجزاء، ويبعد أن تكون التي بمعنى كُفّ التي في معنى الأمر، وذلك أنها لو كانت بمعنى الأمر لوجب أن ينجزم الفعل الذي بعدها بالجواب كما ينجزم إذا قال: كفّ أعطك، لأن الفعل الثاني في قوله: مهما تعطني آخذ، لا يكون له جازم وإذا كان كذلك لم يحمل على أنه بمعنى كُفّ، ولكنه يكون حرفاً بمنزلة إذ، وقول الخليل أبين»(٧٣).

وهنا يبدو أن أبا علي الفارسي يأخذ بقول سيبويه بتركيب مهما من مه وما على أن تكون مه حرفاً للشرط، إلا أنه يرجح رأي الخليل بتركيب مهما من ما وما على الحد الذي ذكره سابقاً لوضوحه وعدم الخروج بمهما عن الاسمية من جهة، وعدم القول بحرفي مه وأن تكون من حروف الشرط.

ثالثا: مسألة اللام في (لئن)

وهي اللام التي أسماها النحويون اللام الموطئة التي تدخل على أداة الشرط، وتسمى أيضاً اللام المؤذنة، وعلل النحويون هذه التسمية بأنها «وطأت لاجواب، وقولهم إنها موطئة للقسم فيه تجوّز، وإنما هي موطئة لجواب القسم»(٧٤).

ويذكر النحويون أن هذه اللام تكون لازمة في الغالب مع حذف القسم، ولا تكون لازمة مع ذكره، إلا أنها قد تحذف كذلك مع حذف القسم، كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[سورة المائدة ٧٣]، ومثله قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[سورة الأعراف ٢٣].

والمراد من هذه اللام المقترنة بأداة الشرط تبيين أن الجواب الذي بعد أداة الشرط هو جواب للقسم لا للشرط، كما في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾[سورة الحشر ١٢]، واذلك فإنه إذا كان ما بعد أداة الشرط المقترنة باللام جواباً للشرط لقرينة فإنه يحكم على هذه اللام بأنها ليست الموطئة للقسم، وذكر ابن هشام عدة شواهد على هذه المسألة، منها قول الشاعر (٧٥):

لئن كانت الدنيا عليّ كما أرى تباريحَ من ليلى فللموتُ أروحُ

وقد ذكر ابن هشام أن اللام هنا ليست موطئة للقسم، بل هي زائدة، «لأن الشرط قد أجيب بالجملة النقرونة بالفاء... فلو كانت اللام للتوطئة لم يجب إلا القسم، هذا هو الصحيح، وخالف في ذلك الفراء، فزعم أن الشرط قد يجاب مع تقدم القسم عليه»(٧٦).

وقد نظر أبو علي الفارسي إلى هذه اللام نظرة أخرى، فقد حكم بأنها لام زائدة في كل الأحوال، ولا يستفاد منها معنى القسم، بل يستفاد هذا المعنى من السياق والقرائن اللفظية الأخرى الموجودة في الجملة، فقال: «لئن: هذه اللام الداخلجة عليها زيادة، والدلتلة على زيادتها أنها تسقط تارة وتثبت أخرى»(٧٧).

فالفارسي يستدل على زيادة اللام مع أداة الشرط وأمها ليست موطئة للقسم بأنها قد تكون مثبتة وقد تكون محذوفة والمراد في الحالتين هو القسم، كما في قوله تعالى:﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾[سورة الأحزاب ٦٠]، فاللام هنا مثبتة مع أداة الشرط والمراد القسم، وقد تحذف كما في قوله تعالى:﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[سورة المائدة ٧٣]، إذ حذفت اللام ولم تقترن بأداة الشرط مع أن المراد قسم، ومن هنا رأى الفارسي أن «سقوطها تارة وثبوتها تارة أخرى دلالة على زيادتها، وأن القسم المقدر في الكلام غير معتمد على هذه اللام، وإنما يعتمد على ما يجيء بعد لئن، كاللام في قوله: (ليمسنّ)»(٧٨).

ومن شواهد الفارسي على ذلك قول الشاعر (٧٩):

لئن عادَ لي عبدُ العزيزِ بمثلها وأمكنني منها إذن لا أقيلها

فاللام في (لئن) زائدة كما يرى أبوعلي الفارسي، والقسم مستفاد من قوله: لا أقيلها، فقال: «فالذي يعتمد عليه القسم (لا) في قوله: لا أقيلها، كأنه قال: والله لا أقيلها، ...فإن بمنزلة ما في النفي كما تلقته لا في البيت، لأن إن تكون للنفي كما تكون لا وما...»(٨٠).

ووجه آخر ذكره أبو علي الفارسي، وهو أنه قد تجاب (إن) بما يجاب به القسم، ومن ذلك قول الشاعر (٨١):

فإنّكَ كالليل الذي هو مدركي وإن خلتُ أنّ المنتأى عنك واسعُ

فذكر الفارسي أنه يجوز في إن الواردة في البيت أن تكون نافية بمنزلة ما، فكأنه قال: ولم أخل أن المنتأى عنك واسع، وتقديره: أي لا أفوتك، وقد تكون الشرطية، والمعنى: إنك مدركي وإن ظننت أن مذهبي يبعد عنك، مما يعمي بحسب قول الفارسي أن «لئن يجاب بما يجاب به القسم، ويجوز على هذا: لئن أتيتني إنّ ذلك خير لك»(٨٢).

فتبين من ذلك أن اللام زائدة مع لئن، وأن معنى القسم مستفاد من السياق والقرائن اللفظية الموجودة فيه، ولا سيما عندما تجاب لئن بالجزم، مع أن الفارسي يذكر أن ذلك قليل وأن الكثير في الاستعمال ما سبق ذكره.

رابعا: مسألة (هاؤم)

هاؤم ركبة من (ها) وعلامة الجمع الميم، وقد أشار النحويون إلى أن (ها) من الألفاظ المشتركة التي قد تكون اسماً وقد تكون حرفاً، وها التي نحن بصددها من الأسماء، وقد اكتفى المرادي بذكر أنها اسم فعل بمعنى خذ، وأن فيها عدة لغات(٨٣).

وقد تحدث ابن هشام حديثاً موجزاً عنها كذلك، فأشار إلى اللغات الواردة فيها بإيجاز، فذكر أنها «تكون اسماً لفعل وهو خذ، ويجوز مد ألفها، ويستعملان بكاف الخطاب وبدونها، ويجوز في الممدودة أن يستغنى عن الكاف بتصريف همزتها

تصاريف الكاف، فيقال: هاءَ للمذكر بالفتح، وهاءِ للمؤنث بالكسر، وهاؤما وهاؤنّ وهاؤم»(٨٤).

وقد سبق أبو علي الفارسي ابن هشام في تفصيل الحديث عن هاؤم وبيان اللغات الواردة فيها وما قيست فيها عليه، فإذا قيل هاؤم، فإن «الميم اللاحقة بعد الهمزة للجميع، من قال: أنتم فاعلون، قال: هاؤموا زيداً، ...فمن قال: أنتمو فاعلون، قال: هاؤموا زيداً، مثل أنتمو فاعلون، ومن قال: هاؤمو زيداً أو هاؤم زيداً، فإنه يقول ابن ماة النساء: هاؤنّ بتشديد النون، كما تقول: أنتنّ فتشدد النون للجمع النؤنث كان ممن يقول: أنتمو أو أنتم، وللاثنين هاؤما مذكرين أو مؤنثين، كما تقول أنتما، وللمذكر المفرد هاءَ، وللمؤنث هاءِ بكسر الهمز»(٨٥).

وقد أشار الفارسي إلى أن اسم الفعل (هاء) قد افترق عن بقية أسماء الأفعال في جواز تصاريفه، فيقال للمثنى المذكر والمؤنث هائيا، وللمع المذكر هاؤوا مثل هاتوا، وللمؤنث الجمع هائين مثل هاتين، وهذا خارج على القياس، فإن كل أسماء الأفعال تستعمل بصيغة واحدة للمفرد والمثنى والجمع، ويعلل أبو علي الفارسي تصاريف اسم الفعل هاء مع المفرد والمثنى والجمع بالقياس على اسم الفعل رويد، فيقول عن هاؤم: «وكان القياس ألا يلحقه علامة تثنية ولا جمع كما لا يلحق ذلك صه ولا مه، لأنهم قد قالوا: في الواحد صه وكذلك للاثنين والجميع والمذكر والمؤنث، فكذلك كان القياس في قولهم هاء»(٨٦).

أما قياس هاء على رويد، فقد ذكر أبو علي الفارسي أن رويد وهاء من الباب نفسه، فقال: «ومن ذا الباب قولهم رويد، وقد بينوها بالكاف: رويداً زيداً، ورويدك زيداً، ورويدكما زيداً، ورويدكم زيداً ورويدكنّ زيداً، فألحقوا الماف التي لعلامة الخطاب لينفصل كل واحد من الجنس الذي يخاطب من صاحبه، وكذلك ألحقوا ها الذي هو اسم خذ أو تناول هذه العلامة التي لحقها على ضربين: علامة على حد العلامة اللاحقة أنتما وأنتم، وعلامة أخرى على حد ما يلحق في الفعل هات وهاتيا وما تصرف منه»(٨٧).

فأبو علي الفارسي يجعل تصريف اسم الفعل هاء واختلاف تصاريفه مع المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع مع خروج ذلك كله على القياس من باب الحمل على النظير، وهي من مسائل أصول النحو التي طبقها أبو علي الفارسي في هذه المسألة، فها نظير رويد، فيقال هاؤم كما يقال رويدكم.

كما نجد أن الحمل على النظير قد امتد ليشمل أجزاء الكلمة، فإن اسم الفعل هو ها، ولكن يقال: هاء، فقال: « والهمزة قد تلحق هذا الحرف على حد ما يلحق الكاف، فيقال: هاءَ وهاءِ، ثم يلحقه ما ذكرت من علامات الضمير، ولو قيل: هاءك وهاءكما وهاءكم وهاءكن، كما ألحق الكاف رويدك ورويدكما لكان أيضاً قياساً حسناً، مثل ما ذكرته من إلحاقهم إياها رويد، وقد استعمل ذلك وهو حسن أيضاً»(٨٨).

ومن هنا نجد أن الفارسي يستحسن كل اللغات الواردة في هاؤم، ومقياسه في هذا الاستحسان القياس على رويد، بحمل هاؤم على ما يناظرها في رويدكم، وهو بذلك يسبق النحاة في تفسير اللغات الواردة في بعض الكلمات والحكم عليها من حيث القبول والاستحسان.

خامسا: مسألة (هلمّ)

وتسمى هلم الحجازية، لأن أهل الحجاز يستعملونها اسماً للفعل، وهي مبنية عندهم، في حين يستعملها الكوفيون فعلاً، وهي مبنية أيضاً، وهي مركبة بإجماع النحويين، إلا أنه قد اختلف في أصل تركيبها. فهي عند البصريين مركبة «من ها التنبيه ومن لمّ التي هي فعل أمر من قولهم: لمّ الله شعثه، أي جمعه، كأنه مثل: اجمع نفسك علينا، فحذف ألفها تخفيفاً، ونظراً إلى أن أصل لام لم السكون، وقال الخليل: ركبا قبل الإدغام، فحذفت الهمزة للدرج، إذ كانت همزة وصل، وحذفت الألف لالتقاء الساكنين ثم نقلت حركة الميم الأولى إلى اللام وأدغمت، وقال الفراء: مركبة من هل التي للزجر، وأم بمعنى اقصد، خففت الهمزة بإلقاء حركتها على الساكن قبلها، وصرفت فصارت هلم»(٨٩).

وقد ذهب أبو علي الفارسي المذهب الأول، معللاً دخول خرف التنبيه على الفعل لم، فقال: «هلم: أصله: ها لمّ، فها للتنبيه، ولمّ: اقصد، من لممت بالشيء ألمه، ودخلت ها التي للتنبيه في فعل الأمر الذي هو لمّ لأن الأمر موضع يحتاج فيه

إلى استعطاف المأمور وتنبيهه، فلحقه حرف التنبيه الذي هو ها»(٩٠).

وامتد الخلاف في هلم ليتجاوز أصل التركيب إلى طريقة التصريف، فالبصريون يستعملونه اسم فعل للأمر بمعنى أحضر كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[سورة الأنعام ١٥٠]، أي أحضروهم، وبمعنى أقبل كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[سورة الأحزاب ١٨]، فيستعمل للواحد والمثنى والجمع بلفظ واحد.(٩١)

أما التميميون فيستعملونه استعمال الأفعال، فتتصل به الضمائر، ويقولون: هلمي، هلما، هلموا، هلممن، وقد تحدث أبو علي الفارسي عن مذهب البصريين ذاكراً أنهم «جعلوا ها التي للتنبيه مع لم الذي هو فعل الأمر بمنزلة شيء واحد، فضموا الحرف إليه، وبنوا الآخر على الفتح، كما يبنون على الفتح الشيئين اللذين جعلا شيئاً واحداً نحو خمسة عشر في الأسماء وحيّ هل في الاستحقاق، ولم يظهروا الضمير فيه كما أظهروه بنو تميم، ولكنهم جعلوها من الأشياء التي سميت الأفعال بها نحو رويد وصه»(٩٢).

فأبو علي الفارسي يشير في كلامه هذا إلى أنه هلم اسم فعل أمر، والقياس في أسماء الأفعال أن تستعمل بصيغة واحدة للمفرد والنثنى والمجموع، «فلا يظهر في شيء من ذلك علامة ضمير، بل هو للواحد مثله إذا أريد به الجميع وإن اختلف التقدير، فكأن الضمير إذا أريد به المفرد ضميرٌ مفرد، وكذلك التثنية»(٩٣).

ويؤكد الفارسي على لزوم هلم صيغة واحدة، مشيراً على أنها لغة القرآن الكريم، فهلم تجري مجرى الأسماء التي سميت بها الأفعال عند أهل الحجاز، قال تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[سورة الأحزاب ١٨]، فالمخاطب جمع وهم الإخوان واللفظ لفظ الواحد، كما لو قيل: هلم يا زيد(٩٤).

ويرد الفارسي على الفراء الذي زعم أن هلم مركبة من هل ولم، فقال: «ومما يدل على أن الكلمة ها ضمت إليها لم وليست هل. أن هل التي تستعمل للحث والبعث على الأمر متحركة الآخر بالفتح....وإذا كان الآخر من الكلمة مفتوحاً لم يسغ حذف الهمزة، إنما يكون بين بين في التخفيف»(٩٥).

وفي سبيل التأكيد على أصل تركيب هلم، نجد الفارسي يستبعد قول من قال قد تكون الهمزة محذوفة، فيصح أن يكون الأصل هل وأم، ويستعين في هذا الرأي على أن ذلك الحذف نادر ولا يجوز الحمل عليه، كما أنه لا يجوز افتراض سكون لام هل لبعد التقدير حتى صار كالممتنع لرفض العرب استعماله في كلامهم(٩٦)، والفارسي هنا يأخذ بالمذهب البصري في القياس على الكثير المطرد، وامتناع الحمل على القليل النادر أو الشاذ.

خاتمة ونتائج البحث:

تناول أبو علي الفارسي في مسائله العضديات بعض مسائل المبنيات التي رأى أنه من الممكن أن تكون غامضة وتحتاج إلى شرح وتفصيل، وبعد هذه الدراسة لتلك المسائل، فقد توصل البحث إلى النتائج الآتية:

١– ركز أبو علي الفارسي في العضديات على الأسماء المبنية التي وقع فيها خلاف بين النحويين، أو تلك التي تحتمل وجوهاً متعددة، فتناولها بالشرح والتفصيل.

٢– ذكر أبو علي الفارسي آراء النحويين في مسائله التي درسها، ويلحظ ميله إلى آراء البصريين في أغلب الأحيان، فعمد إلى إقامة الأدلة عليها وتفنيد الآراء المخالفة لها.

٣– تفرّد أبو علي الفارسي في بعض الآراء النحوية مخالفاً رأي البصريين، ويبدو ذلك بوضوح عند حديثه عن اللام الموطئة للقسم التي عدها الفارسي زائدة في كل المواضع.

٤– عمد أبو علي الفارسي إلى إقامة الأصول النحوية أساساً في توجيهه النحوي واللغوي، ولا سيما القياس، كما استعان بالحمل على النظير للتدليل على صحة توجيهه للكلمات التي درسها.

٥– يعد مبدأ الكثرة والقلة من المبادئ النحوية التي اعتمد عليها الفارسي في اختياراته النحوية، وهو بذلك ينسجم مع

منهج البصريين في الحمل على الأكثر وعدم الاعتداد بالنادر والشاذ.

الهوامش:

(١) سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، ط١، دار الجيل، بيروت، د.ت، ١٣/١.

(٢) السيرافي أبو سعيد الحسن بن عبد الله، شرح كتاب سيبويه، تح: رمضان عبد التواب ومحمود فهمي حجازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م، ٦٦/١.

(٣) ينظر: المبرد محمد بن يزيد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث، القاهرة، ١٣٩٩هـ، ١٤٢/١.

(٤) ابن السراج أبو بكر محمد بن السري، الموجز في النحو، تح: مصطفى الشويمي وابن سالم دامرجي، مطبعة بدران، بيروت، ١٩٦٥م: ٢٨.

(٥) أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي، الإيضاح، تح: كاظم بحر المرجان، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦م: ٧٦.

(٦) أبو علي الفارسي، الإيضاح، مصدر سابق:٧٦.

(٧)مصدر سابق نفسه:٧٦-٧٧.

(٨) أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تح محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٥٧، ٣٧/١.

(٩) المصدر نفسه، ٣٧/١.

(١٠) علي الشدودي، تاريخ النحو العربي منظوراً إليه من جهة تطور مفهومه: تأملات استكشافية، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠٢٢: ٦١.

(١١) الزمخشري محمود بن عمر، المفصل في علم العربية، ط١، دار الجيل، بيروت، د.ت:١٢٥ .

(١٢) ينظر: الأنباري أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ، أسرار العربية، تح: محمد بهجة البيطار وعاصم بهجة البيطار، دار البشائر، دمشق، ٢٠٠٤م: ١٩.

(١٣) ينظر: العكبري أبو البقاء محب الدين عبد الله بن الحسن، اللباب في علل البناء والإعراب، ط١، تح: عبد الإله النبهان وغازي مختار طليمات، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٥م، ٦/١.

(١٤) ابن معطي زين الدين أبو الحسن، الفصول الخمسون، تح: محمود محمد الطناحي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د.ت، ص١٥٤.

(١٥) ينظر: ابن يعيش يعيش بن علي، شرح المفصل، غالم الكتب، بيروت، د.ت، ٨٠/٣.

(١٦) رضي الدين الأستراباذي، شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م، ٢/٢.

(١٧) ابن مالك محمد بن عبد الله، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تح: محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م: ١٠.

(١٨) السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، همع الهوامع شرح جمع الجوامع، تح: عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٧٥م، ٤٥/١.

(١٩) سيبويه، الكتاب، مصدر سابق، ١٨/١.

(٢٠) ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، مصدر سابق، ١٨/١.

(٢١) معاذ بن سليمان الدخيل، منزلة الحرف في التفكير النحوي العربي بين القدماء والمحدثين، مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، الرياض، ٢٠٢٤: ١٩٥.

(٢٢) ينظر: المطرزي أبو الفتح ناصر الدين، المصباح في علم النحو، ط١، تح: عبد الحميد السيد طلب، مكتبة الشباب، القاهرة، د.ت: ٥٥.

(٢٣) ينظر: الزجاجي أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحق، الجمل في النحو، ط١، تح: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م: ٢٦٢.

(٢٤) ينظر: ابن هشام أبو محمد جمال الدين، شرح شذور الذهب، ط٨، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٦٠م: ٦٨.

(٢٥) ينظر: الزجاجي، الجمل في النحو، مصدر سابق: ٢٦٢.

(٢٦) ينظر: عبد الهادي الفضيلي، مختصر النحو، ط٥، دار الشروق، جدة، ١٩٧٩م: ٣١.

(٢٧) ينظر: أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب، ط١، تح: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨م، ٦٧٣/٢.

(٢٨) عطية نايف الغول، في النحو العربي، دار الجنان للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٢١: ٤٥– ٤٦.

(٢٩) ينظر: ابن عقيل بهاء الدين بن عبد الرحمن، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ط٥، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الاتحاد العربي، القاهرة، ١٩٦٧م، ٢٨/١.

(٣٠) ينظر: ابن هشام أبو محمد جمال الدين، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، د.ت، ٣٨/١.

(٣١) ينظر: العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب، مصدر سابق، ٦٥/١.

(٣٢) ينظر مثلاً: السيوطي، همع الهوامع، مصدر سابق، ٤٥/١. الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، مصدر سابق، ص٦٩.

(٣٣) رضي الدين الأستراباذي، شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، مصدر سابق، ٣/٢.

(٣٤) المصدر السابق نفسه، ٤/٢.

(٣٥) الزمخشري، المفصل في علم العربية، مصدر سابق: ١٢٧.

(٣٦) سيبويه، الكتاب، مصدر سابق، ٣٥٥/٢.

(٣٧) المصدر السابق نفسه، ٣٦٢/٢.

(٣٨) أبو علي الفارسي، المسائل العضديات، تح: علي جابر المنصوري، ط١، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٦م: ٣٨.

(٣٩) المصدر السابق نفسه: ٣٨.

(٤٠) المصدر السابق نفسه:٣٨ –٣٩.

(٤١) ينظر: الأنباري كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، د.ت، ٦٩٥/١.

(٤٢) ينظر: سيبويه، الكتاب، مصدر سابق، ٢/ ٣٧٥.

(٤٣) ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، مصدر سابق، ١٠٠/٣.

(٤٤) ينظر: ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، مصدر سابق، ص٢٦.

(٤٥) ينظر: سيبويه، الكتاب، مصدر سابق، ٣٥٧/٢.

(٤٦) ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، مصدر سابق، ٩٨/٣.

(٤٧) ينظر: ابن جني، الخصائص، مصدر سابق، ١٨٧/٢.

(٤٨) ينظر: الزمخشري، المفصل في علم العربية، مصدر سابق:٢٢٧.

(٤٩) ينظر: الأنباري كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد، أسرار العربية، تح: محمد بهجة البيطار وعاصم بهجة البيطار، دار البشائر، دمشق، ٢٠٠٤م: ٢٤٧.

(٥٠) ينظر: المبرد، المقتضب، مصدر سابق، ٢٧٩/٤.

(٥١) ينظر: السيوطي، همع الهوامع، مصدر سابق، ٢١٢/٢.

(٥٢) ينظر: الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، مصدر سابق، ٦٩٥/٢.

(٥٣) المصدر السابق نفسه، ٢/ ٦٩٥.

(٥٤) ينظر: المالقي أحمد بن عبد النور، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تح: أحمد محمد خراط، مطبوعات مجمع اللغةالعربية، دمشق، ١٩٧٥م: ١٤٠.

(٥٥) أبو علي الفارسي، المسائل العضديات، مصدر سابق: ٤٠.

(٥٦) ابن عصفور علي بن مؤمن، ضرائر الشعر، تح: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس، القاهرة، ١٩٨٠م: ٢٦٢.

(٥٧) أبو علي الفارسي، المسائل العضديات، مصدر سابق، ص٤٠.

(٥٨) ابن مالك، التسهيل، مصدر سابق، ص٢٣٦.

(٥٩) سيبويه، الكتاب، مصدر سابق، ٤٣٣/١.

(٦٠) المرادي حسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م: ٦١٢-٦١٣.

(٦١) سيبويه، الكتاب، مصدر سابق، ٤٣٣/١.

(٦٢) ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت، د.ت: ١٧٤.

(٦٣) السيوطي، همع الهوامع، مصدر سابق، ٤٥١/٢. وينظر: عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح: عبد السلام هارون، دار الكاتب العربي، مصر، ١٩٦٧م: ٩/ ٢٧.

(٦٤) ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٤م: ص٣٢.

(٦٥) السيوطي، همع الهوامع، مصدر سابق، ٤٥١/٢. وينظر: الأشموني أبو الحسن علي نور الدين، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ط٢، تح: ممد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٥م: ٥٧٩/٣.

(٦٦) عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب، مصدر سابق، ١٨/٩.

(٦٧) السيوطي، همع الهوامع، مصدر سابق، ٤٥٢/٢.

(٦٨) أبو علي الفارسي، المسائل العضديات، مصدر سابق:٥١.

(٦٩) المصدر السابق نفسه :٥١.

(٧٠) أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري، النوادر في اللغة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧م: ١١٢.

(٧١) أبو علي الفارسي، المسائل العضدديات، مصدر سابق: ٥٢.

(٧٢) سيبويه، الكتاب، مصدر سابق، ٤٣٢/١.

(٧٣) أبو علي الفارسي، المسائل العضديات، مصدر سابق: ٥٢.

(٧٤) المرادي، الجنى الداني، مصدر سابق: ١٣٧.

(٧٥) ديوان ذي الرمة، تح: عبد القدوس أبي صالح، مؤسسة الإيمان، بيروت، ١٩٨٢م: ٨٦.

(٧٦) ابن هشام أبو محمد جمال الدين، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دمشق، ١٩٧٢م، ٣١٢/١.

(٧٧) أبو علي الفارسي، المسائل العضديات، مصدر سابق: ٦٦.

(٧٨) المصدر السابق نفسه: ٦٧.

(٧٩) ينظر: أبو علي الفارسي، المسائل العضديات، مصدر سابق: ١٢٩.

(٨٠) أبو علي الفارسي، المسائل العضديات، مصدر سابق: ٦٧.

(٨١) ديوان النابغة الذبياني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٧٧م، ٣٨/١.

(٨٢) أبو علي الفارسي، المسائل العضديات، مصدر سابق: ٦٧.

(٨٣) ينظر: المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، مصدر سابق: ٣٤٦.

(٨٤) ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعايب، مصدر سابق، ٤٥٥/١.

(٨٥) أبو علي الفارسي، المسائل العضديات، مصدر سابق: ١٣٧.

(٨٦) المصدر السابق نفسه: ١٣٧.

(٨٧) المصدر السابق نفسه: ١٣٨.

(٨٨) المصدر السابق نفسه: ١٣٨.

(٨٩) السيوطي، همع الهوامع شرح جمع الجوامع، مصدر سابق، ٨٦/٣.

(٩٠) أبو علي الفارسي، المسائل العضديات، مصدر سابق: ٢٢١.

(٩١) ينظر: السيوطي، همع الهوامع شرح جمع الجوامع، مصدر سابق، ٨٦/٣.

(٩٢) أبو علي الفارسي، المسائل العضديات، مصدر سابق: ٢٢٢.

(٩٣) المصدر السابق نفسه: ٢٢٢.

(٩٤) ينظر: المصدر السابق نفسه: ٢٢٣.

(٩٥) المصدر السابق نفسه، ص٢٢٤.

(٩٦) ينظر: المصدر السابق نفسه: ٢٢٥.

المصادر و المراجع:

القرآن الكريم.

١- ابن السراج أبو بكر محمد بن السري، الموجز في النحو، تح: مصطفى الشويمي وابن سالم دامرجي، مطبعة بدران، بيروت، ١٩٦٥م.

٢- ابن عصفور علي بن مؤمن، ضرائر الشعر، تح: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس، القاهرة، ١٩٨٠م.

٣- ابن عقيل بهاء الدين بن عبد الرحمن، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الاتحاد العربي، ط٥، القاهرة، ١٩٦٧م.

٤- ابن مالك محمد بن عبد الله، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تح: محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.

٥- ابن معطي زين الدين أبو الحسن، الفصول الخمسون، تح: محمود محمد الطناحي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د.ت.

٦- ابن هشام أبو محمد جمال الدين، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، د.ت.

٧- ابن هشام أبو محمد جمال الدين، شرح شذور الذهب، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، ط٨، القاهرة، ١٩٦٠م.

٨- ابن هشام أبو محمد جمال الدين، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دمشق، ١٩٧٢م.

٩- ابن يعيش يعيش بن علي، شرح المفصل، غالم الكتب، بيروت، د.ت.

١٠- أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تح محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٥٧.

١١- أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تح: رجب عثمان محمد، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨م.

١٢- أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري، النوادر في اللغة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧م.

١٣- أبو علي الحسن بن أحمد الفارسي، الإيضاح، تح: كاظم بحر المرجان، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦م.

١٤- أبو علي الفارسي، المسائل العضديات، تح: علي جابر المنصوري، ط١، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.

١٥- الأشموني أبو الحسن علي نور الدين، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تح: ممد محيي الدين عبد الحميد، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٥م.

١٦- الأنباري أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ، أسرار العربية، تح: محمد بهجة البيطار وعاصم بهجة البيطار،

دار البشائر، دمشق، ٢٠٠٤م.
١٧- الأنباري كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد، أسرار العربية، تح: محمد بهجة البيطار وعاصم بهجة البيطار، دار البشائر، دمشق، ٢٠٠٤م.
١٨- الأنباري كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، د.ت.
١٩- ديوان النابغة الذبياني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٧٧م.
٢٠- ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت، د.ت.
٢١- ديوان ذي الرمة، تح: عبد القدوس أبي صالح، مؤسسة الإيمان، بيروت، ١٩٨٢م.
٢٢- ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٤م.
٢٣- رضي الدين الأستراباذي، شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م.
٢٤- الزجاجي أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحق، الجمل في النحو، تح: علي توفيق الحمد، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م.
٢٥- الزمخشري محمود بن عمر، المفصل في علم العربية، ط١، دار الجيل، بيروت، د.ت.
٢٦- سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، ط١، دار الجيل، بيروت، د.ت.
٢٧- السيرافي أبو سعيد الحسن بن عبد الله، شرح كتاب سيبويه، تح: رمضان عبد التواب ومحمود فهمي حجازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م.
٢٨- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، همع الهوامع شرح جمع الجوامع، تح: عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٧٥م.
٢٩- عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح: عبد السلام هارون، دار الكاتب العربي، مصر، ١٩٦٧م.
٣٠- عبد الهادي الفضيلي، مختصر النحو، ط٥، دار الشروق، جدة، ١٩٧٩م.
٣١- عطية نايف الغول، في النحو العربي، دار الجنان للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٢١.
٣٢- العكبري أبو البقاء محب الدين عبد الله بن الحسن، اللباب في علل البناء والإعراب، ط١، تح: عبد الإله النبهان وغازي مختار طليمات، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٥م.
٣٣- علي الشدودي، تاريخ النحو العربي منظوراً إليه من جهة تطور مفهومه: تأملات استكشافية، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠٢٢.
٣٤- المالقي أحمد بن عبد النور، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تح: أحمد محمد خراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٥م.
٣٥- المبرد محمد بن يزيد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث، القاهرة، ١٣٩٩هـ.
٣٦- المرادي حسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
٣٧- المطرزي أبو الفتح ناصر الدين، المصباح في علم النحو، تح: عبد الحميد السيد طلب، ط١، مكتبة الشباب، القاهرة، د.ت.
٣٨- معاذ بن سليمان الدخيل، منزلة الحرف في التفكير النحوي العربي بين القدماء والمحدثين، مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، الرياض، ٢٠٢٤.

أثر الرضا والاكراه في المعاملات في الفقه الإمامي

الباحث: حسن عادل فلاح أ.م.د ظاهر محسن عبد الله
كلية الإمام الكاظم(عليه السلام)للعلوم الإسلامية الجامعة



المستخلص:
يبحث هذا العمل في أثر الرضا والإكراه في صحة المعاملات وفق الفقه الإمامي، باعتبار أن الرضا شرط أساسي لصحة العقود، بينما يُعدّ الإكراه من موانع انعقادها الشرعي. وقد اعتمد الفقهاء في تقرير هذا الأصل على مجموعة من الأدلة النقلية والعقلية، أبرزها قوله تعالى:»إلّا أن تكون تجارةً عن تراضٍ منكم» [النساء: ٢٩]، إضافة إلى الروايات، ومنها حديث: «رفع عن أمتي ما استُكرهوا عليه»، وكذلك القواعد الفقهية مثل «لا ضرر» و»سلطنة الناس على أموالهم».
تضمّن البحث توضيحًا لمفهومي الرضا والإكراه لغةً واصطلاحًا، وشروط تحقق كلٍّ منهما، ثم انتقل لبيان مدى تأثيرهما في صحة العقود كالبيع، والزواج، والطلاق، وغيرها. وأظهر البحث أن فقهاء الإمامية يُجمعون على بطلان المعاملة إذا فُقد الرضا بسبب الإكراه، ما لم يُتبع ذلك بإجازة معتبرة شرعًا.
وانتهى البحث إلى أن الرضا الحقيقي شرط لا يُستغنى عنه، وأن الإكراه المعتبر يفسد التصرف، وأن إلحاق الرضا لاحقًا لا يصحح العقد إلا بشروط مخصوصة.
الكلمات المفتاحية: الكلمات المفتاحية :الرضا، الاكراه، المعاملات.

Abstract:
This work examines the impact of consent and coercion on the validity of transactions according to Imami jurisprudence, considering that consent is a fundamental condition for the validity of contracts, while coercion is considered one of the impediments to their legal formation. In establishing this principle, jurists relied on a set of textual and rational proofs, most notably the verse: "Except it be a trade by mutual consent" [An-Nisa: 29]. In addition to narrations, including the hadith, "My nation is relieved of what they are forced to do," there are also legal maxims such as "no harm" and "people's authority over their own property."
The research includes a clarification of the concepts of consent and coercion linguistically and technically, and the conditions for the validity of each. It then moves on to explain their impact on the validity of contracts such as sales, marriage, divorce, and others. The research shows that Imami jurists are unanimous on this point.
A transaction is void if consent is lost due to duress, unless this is subsequently ratified by a legally valid instrument.
The research concluded that genuine consent is an indispensable condition, that legally valid duress invalidates the transaction, and that subsequent consent does not validate the contract except under specific conditions.
Keywords: Consent, Duress, Transactions

المقدمة:
تُعدّ مسألة الرضا والإكراه من المسائل الأساسية في فقه المعاملات عند الإمامية، لما لها من أثر مباشر في صحة العقود والتصرفات الشرعية. فالرضا شرط جوهري لصحة المعاملة، بينما يُعدّ الإكراه مانعًا من تحقق هذا

الشرط، مما يؤدي إلى بطلان العقد في كثير من الموارد.

وقد استند فقهاء الإمامية في ذلك إلى قوله تعالى:{إلّا أن تكون تجارةً عن تراضٍ منكم}[النساء: ٢٩]، إضافة إلى الروايات الشريفة والقواعد الفقهية مثل قاعدة «لا ضرر» و»سلطنة الناس على أموالهم».

يهدف هذا البحث إلى بيان مفهوم الرضا والإكراه، وشروط كلٍّ منهما، مع بيان أثرهما في صحة المعاملة، وفق ما قرره فقهاء الإمامية، مع الإشارة إلى أبرز موارد التطبيق الفقهي.

المبحث الاول : اثر الرضا والاكراه في المعاملات في الفقه الامامي

المطلب الاول : مفهوم الاثر والرضا والاكراه لغة واصطلاحا

أولاً: مفهوم الاثر لغة واصطلاحا

١-: تعريف الأثر في اللغة: : «الهمزة والثاء والراء أصل يدل على بقِيّةِ شيءٍ، يُستدلُّ بها على غيرها»(٢)

«والأثر: العلامة، والجمع: آثار»(١)

٢-: تعريف الاثر اصطلاحا

(العلة هي ما أوجب الحكم، والحكم أثرٌ مترتبٌ عليها، كالعمد العدوان في القتل يوجب القصاص، فالقصاص أثر والعمد علة)(٣)

(الشرع رتب على العلة أثرًا معينًا من الحكم، فحيث وجدت العلة وُجد الأثر، سواء صرّح به أو فُهم من السياق)(٤)

«الترتيب الشرعي للآثار يتبع تحقق الأسباب، فلكل سبب أثر شرعي يترتب عليه، كوجوب الصلاة عند دخول الوقت، أو حصول الضمان عند الإتلاف»(٥)

«كل حكم شرعي له أثر، فالصحة مثلًا يترتب عليها نفاذ العقد، والبطلان أثره عدم الاعتبار شرعًا»(٦).

ثانياً : مفهوم الرضا لغة واصطلاحا والمصطلحات ذات الصلحة

١- : تعريف الرضا لغة واصطلاحاً .

أ – الرضا لغة (مصدر رضى يرضى رضا، بكسر الراء وضمها الرِّضوان و الرُضوان، رضيت الشيء ورضيت به رضا: اخترته وارتضيته ومنه قوله تعالى (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) (٧)

«وللرضا معانٍ كثيرة منها: سرور القلب وهو ضد السخط والكراهية ومنها: طيب النفس وارتياحها». (٨)

الرضا: « الاختيار يقال رضيت الشي ورضيت به اخترته». (٩)

الرضا: «طيب النفس بما يصيبه ويفوته مع عدم التغيير»(١٠).

ب - الرضا اصطلاحا

استعمل الرضا بمعنى الاختيار عند الامامية ومنهم الشيخ الانصاري(ت ١٢٨١ هـ) قال في معنى الرضا(من شرائط المتعاقدين الاختيار والمراد به القصد الى وقوع مضمون العقد عن طيب نفس في مقابل الكراهة وعدم طيب النفس لا الاختيار في مقابل الجبر). (١١)

ان المراد من الاختيار الذي نبحث عن اعتباره في العقد هو صدور الفعل من العاقد عن الرضا وطيب نفس مقابل الكراهه وعدم الرضا لا الاختيار مقابل الجبر والالجاء.(١٢)

«من شرائط المتعاقدين الاختيار والمراد منه هو الاختيار في مقابل الاكراه لا الاختيار المقابل للجبر»(١٣)

الاختيار المراد به القصد الى وقوع مضمون العقد عن طيب نفس في مقابل الكراهه وعدم طيب النفس لا الاختيار في مقابل الجبر»(١٤).

ثالثاً : مفهوم الاكراه لغة واصطلاحا

١- تعريف الاكراه لغة : الاكراه لغة: « مصدر اكره، يقال: اكرهته اذا حملته على امر هو له كاره، ويقال اكرهته على الامر اكراها: حملته على القيام بامر ما بالقهر»(١٥).

والكره بالفتح: «فعل المضطر فلا اختيار للفاعل فيه وبالضم فعل المختار كقوله سبحانه وتعالى(كتب عليكم القتال وهو كُره لكم»(١٦)

والاكراه: « الالزام والارغام والاجبار، الاكراه بالضم: المشقة»(١٧)

٢- : الاكراه اصطلاحا : عرفه الامامية ومنهم الشيخ الانصاري: «ان حقيقه الاكراه لغه وعرفا حمل الغير على ما يكرهه»(١٨)

والسيد الخوئي: حقيقه الاكراه حمل الغير على فعل مع الايعاد على تركه بالضرر من دون فرق في ذلك بين ما اذا كان الضرر متوجها اليه من الامر او كان متوجها اليه من غيره(١٩).

والسيد الخميني: (الاكراه انما يصدق اذا كان الامر من جانب من يخاف منه ولا يامن شره واضراره ولو لم يقترن الامر بالوعيد من المكره او غيره، بل يكفي الامر ممن يخاف منه ولا يأمن من شره وضره لو ترك الاطاعه)(٢٠)

رابعاً : مفهوم المعاملات لغة واصطلاحا

١- تعريف المعاملات لغة واصطلاحاً : المعاملات لغة» جمع معاملة، عاملت الرجلَ أعاملُهُ مُعاملة، والمعاملة في كلام أهل العراق هي المساقاة في كلام الحجازيين»(٢١).

٢- المعاملات اصطلاحاً: « لأحكام الشرعية المتعلقة بأمر الدنيا، باعتبار بقاء الشخص، كالبيع والشراء والإجارة ونحوها»(٢٢)

فقه المعاملات معرفة الأحكام الشرعية العملية المتعلقة بالمعاملات المالية والأسرة والقضاء والجنايات والعقود وغيرها، وهو قسم من علم الفقه الإسلامي، أو علم فروع الفقه(٢٣).

فالمعاملات خمسة «المعاوضات المالية، والمناكحات، والمخاصمات، والأمانات، والتركات» (٢٤)

المطلب الثاني : اثر الرضا والاكراه في صحة المعاملات في الفقه الامامي

أولاً: اراء العلماء في بيع المكره الفاقد للرضا .

من شرائط المتعاقدين الاختيار ، والمراد به القصد إلى وقوع مضمون العقد عن طيب نفس في مقابل الكراهة وعدم طيب النفس ، لا الاختيار في مقابل الجبر .المراد بالاختيار الذي هو من شرائط المتعاقدين قصد العاقد وقوع العقد المنشأ عن طيب نفسه (٢٥).

وقال الحكيم (يشترط في المتعاقدين الاختيار، فلا يصحّ بيع المكرَه، وهو من يأمره غيره بالبيع المكروه له على نحو يخاف من الإضرار به لو خالفه بحيث يكون وقوع البيع منه من باب ارتكاب أقلّ المكروهَين، ولو لم يكن البيع مكروهاً وقد أمره الظالم بالبيع فباع صحّ، وكذا لو أمره بشيء غير البيع وكان ذلك الشيء موقوفاً على البيع المكروه فباع فإنّه يصحّ، كما إذا أمره بدفع مقدار من المال ولم يمكنه إلّا ببيع داره فباعها فإنّه يصحّ بيعها) (٢٦)

ما ذكره النراقي في المستند من أنّ الوجه في بطلان البيع الإكراهي هو عدم وجود ما يدلّ على قصد البيع حيث إنّ إجراء الصيغة مع الإكراه غير كاشف عن القصد فلا يكون من البيع العرفي لأنّه يعتبر فيه أن يكون هناك كاشف عن كونه مريداً لنقل الملك , وكونه مكرهاً قرينة على عدم إرادة ظاهر اللفظ (٢٧).

ثانياً: ادلة بطلان العقد المكره

١- الدليل الأول: الآيات الشريفة : وعمدتها قوله تعالى: (لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ)(٢٨)، والاستدلال (٢٩) من خلال الظهور الكلي للآية، فإنها صريحة في اعتبار الرضا التجارة المجوزة لأكل المال، والمكره فاقد للرضا فيبطل عقده وتجارته ، وتمام الاستدلال مبني على ثلاثة أركان

• الأول: أن تكون الباء في قوله (بالْبَاطِلِ) سببية.

واعتبار الباء دالاً على السببيّة، يكون معنى الآية: لا تأكلوا أموالكم بينكم بأيّ سببٍ من الأسباب الباطلة (فينحصر سيب تملّك, الأموال بالتجارة عن تراض فيكون الرضا قيداً للتجارة) (٣٠).

فيجب أن تتحقّق التجارة في الرتبة السابقة وهي تتوقّف على قصد الاستعمال وقصد المستعمل فيد وتحقّقهما

• فإذا انتفى أحد القصدين ينتفي التجارة بتبعه. كما أنه بعد تحقّق الإرادة الجدّية تتحقّق التجارة لكنها مقيّدة بالإرضاء أمّا في عقد المكرّه فإنّه مع فقد الرضا لا يتحقّق القصد بوقوع التمليك وطرف الإضافة, ولا يصدق على المنشأ أنها تجارة عن تراض, فيكون محكوماً بالبطلان.

• الثاني: أن يراد بالأكل المعنى العرفي لا اللغوي فإن العرف يطلق الأكل على التصرف بالشيء الناشئ من الاستيلاء والسلطنة لا مجرد مضغ الطعام.

• الثالث: أن يكون عقد المكرّه من مصاديق الباطل عرفا وهو كل ما لا واقع له أو لا أثر له عند العقلاء فيندرج تحت النهي(٣١).

ويتحصل من هذا المجموع صغرى وكبرى ونتيجة. أما الصغرى أن عقد المكرّه باطل عرفا وأما الكبرى فإن الباطل عرفاً منهي عنه شرعا فتكون النتيجة أن عقد المكرّه منهي عنه شرعا ولازمه البطلان شرعا أيضاً. (٣٢)

الآية الكريمة (الاستدلال بالآية المباركة واضح لا غبار عليه بناء على إرجاعها إلى الاستثناء المتّصل بتفسير الآية المباركة بمعنى «لا تأكلوا أموالكم بينكم» بكلّ سبب فإنّه باطل ﴿إِلَّا أَنْ تَكُوْنَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ﴾، وهذا التفسير هو المستفاد من كلام السيّد الخوئي في التنقيح وفي مصباح الفقاهة)(٣٣)

تعقيبا على الاستدلال بالآية الشريفة (وبالجملة: لا شبهة في عدم فهم العرف من الآية الكريمة إلا لزوم كون التجارة برضاهما، من غير فرق بين الرضا المقارن وغيره(٣٤).ولعل الإتيان بما يظهر منه المقارنة؛ لكون الغالب كذلك، لا لعناية في نشوئه منه، فالقيد غالبي لا يستفاد منه الاحتراز)(٣٥)

قال الشيخ الايرواني (التمسّك بمفهوم الوصف ، وذلك بأن يقال: لو قطعنا النظر عن الحصر ، فلنفترض أنَّ أداة النفي وأداة الحصر ليستا موجودتان وإنما كانت العبارة هكذا: (كلوا أموالكم بالتجارة عن تراضٍ) فهذا لا يوجد فيه حصر، ولكن هذا فيه وصف ، لأنَّ (عن تراضٍ) وإن كان جاراً ومجروراً ولكنه بحسب المعنى هو وصفٌ ، يعني التجارة المرضي بها ، وحينئذٍ يستفاد من خلال ذكر الوصف المفهوم وأنَّ التجارة التي لم تنشأ عن تراضٍ فهي باطلة.)(٣٦)

والنتيجة: أن الآية ظاهرة في نهي أصحاب الأموال عن التصرف بها تصرفاً باطلاً عرفاً ، وذلك يكون في حالتين: الأولى: التصرف الخالي من الغايات الصحيحة لدى العقلاء كالإسراف والتبذير ونحوهما و الثانية: التصرّف المتضمن للغايات الفاسدة كالغرر والربا و الإكراه وغيرها مما تجتمع تحت عنوان الظلم، سواء تحقق التصرف في ضمن عقد أو إيقاع، فتخرج منها الضمانات والواجبات المالية كالخمس والزكاة؛ لأنه أكل للمال بالحق(٣٧).

والخلاصة: أن الآية ال شريفة تنهى أن يتخذ أصحاب الأموال التصرفات الباطلة طريقاً لتحصيل الرزق، وتحدد طريقاً واحداً لذلك هو التجارة عن تراض بين المتعاملين، فيخرج عنها عقد المكره خروجاً تخصصياً، وبذلك يتضح الوجه في بطلان دعوى الإجمال(٣٨).

وايضا أن الآية الشريفة دالة على بطلان عقد المكره من جهة الظهور الكلي ، أو مفهوم الحصر، أو منطوق المستثنى منه ومنطوق المستثنى ، وعلى فرض المناقشة في بعض هذه الوجوه إلّا أن المجموع من حيث المجموع يفيد قوة الظهور بالبطلان(٣٩).

٢- الدليل الثاني : الأخبار الشريفة وهي على ثلاث فرق: احدها وردت بلسان تعليق حلية المعاملة على طيب النفس ، ثانيها بلسان رفع الأثر عن الإكراه ، وثالثها بلسان التعليل لبطلان بعض المعاملات بالإكراه .

أ- الاخبار التي وردت بلسان تعليق حلية المعاملة على طيب النفس: قوله (عليه السلام) (لا يحل مال أمرئ مسلم إلّا عن طيب نفسه)(٤٠) استدل به مجموعة من الاعلام (٤١) ، وقريب منها موثقة سماعة عن أبي عبد الله(عليه السلام).

وتقريب الاستدلال: إن نفي الحلية عن المال لا تصح إلّا بتقدير فعل ؛ لوضوح أن المال في نفسه لا يتصف بشيء من الحلال والحرام إلّا بلحاظ متعلقه ، ومناسبة الحكم والموضوع تقتضي إضافة التملّك أو مطلق التصرف أو الأعم منهما، وحيث لا قرينة تعيّن أحد الأولين يؤخذ بالثالث وهو الأعم من التملّك والتصرّف؛ لأنه مقتضى الإطلاق، فيدل على أنّ مال المسلم لا يحل تملكه ولا يجوز التصرف فيه إلّا بطيب نفسه، وينطبق على عقد المكره، ولازمه بطلانه(٤٢).

يقول الخوئي (قوله (صلّى الله عليه وآله) : « لا يحلّ مال امرئ مسلم إلاّ بطيب نفسه »(٤٣) فانّ إسناد عدم الحل إلى العين الخارجية ظاهر في عدم حل جميع التصرفات حتّى الاعتبارية فلا يستقرّ شيء منها إلاّ بطيب النفس ، والمراد به الرضا.)(٤٤)

يقول القزويني (طيب النفس بمضمون العقد في صحّة العقد . تقريب الاستدلال به: أنه يدل على عدم حليّة التصرّف في مال الغير إلا بطيب نفسه ، هذا إشارة إلى بيان كبرى المسألة وأمّا صغراها فهو بيع المكره؛ فإنّه من مصاديق التصرّف في مال الغير بغير طيب نفسه فلو كان بيع المكره سبباً لجواز التصرّف في مال الغير لكان التصرّف فيه جائزا بغير طيب نفسه, وهو مخالف للحديث المذكور)(٤٥).

(والنتيجة أن منطوق الحديث صريح في توقف صحة التملك والتصرف بمال المسلم على طيب نفسه ورضاه، ولا خصوصية للمسلم بالضرورة والإجماع)(٤٦) وإنّ ما ذكر إ ما للإشارة إلى عدم حرمة مال الكافر المحارب ، ولذا قال بعض مراجع العصر (٤٧) باندراج الذمي والمعاهد في دلالة الحديث ، أو لأولوية الحرمة وهو ما يقضي به العقل؛ لحكمه بقبح التصرف في مال الغير وإن لم يكن مسلماً دون رضاه(٤٨).

ب- الاخبار الواردة بلسان رفع الأثر عن الإكراه الاستدلال بحديث الرفع عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): رفع عن أمتي تسعة أشياء: الخطأ، والنسيان، وما أكرهوا عليه، وما لا يعلمون، وما لا يطيقون، وما اضطروا إليه، والحسد، والطيرة، والتفكر في الوسوسة في الخلوة ما لم ينطقوا بشفة)(٤٩).

المتفق عليه بين المسلمين بما يمنع من المناقشة السندية فيه ، وقد استدل به من جهة عموم الرفع والمرفوع بسبب حذف المتعلق وما الموصولة، فيشمل جميع الآثار والأحكام التكليفية والوضعية والعقوبات ونحوها ومعنى رفعها عدم ثبوت شيء منها فيدل على بطلان عقد المكرّه وعدم ترتب الآثار عليه يدل على عدم مؤاخذة المكره فيما أكره عليه لو كان من الأعمال الموجبة للعقوبة(٥٠).

نعم الذين ضيّقوا الموضوع بالمؤاخذة فقط بدعوى الظهور ما اختاره الشيخ بقصر الحديث عندهم عن ابطال عقدة المكره» ولذا استعان الشيخ برواية البزنطي لإثبات البطلان(٥١).

وتقرير ذلك: أن ظاهر منطوق الحديث أن الرفع تعلّق بذات المجهول والحسد وما أكرهوا عليه ولكن حيث إن هذه من الحقائق التكوينية وهي تدور بين الوجود والعدم بحسب وجود عللها وعدمها فلا يمكن أن يتساهل الشرع رفعاً أو إثبات فلذا لابد وأن يقدّر متعلق للرفع وليس إلا المؤاخذة والعقوبة» كما أنْ أمرها يعود إلى الشرع ولا مجال للقول برفع الأحكام؛ لأنها تتبع الملاكات الواقعية» فرفعها ينافي الحكمة» بخلاف رفع العقوبة؛ لأنه مقتضى الإمتنان في الرفع(٥٢).

وعليه فإن حديث الرفع ينفي العقوبة على الإكراه إذا كان مورد الإكراه عملاً محرماً كما لو أكرهه على الزنا أو بيع الخمر ولكن نفي العقوبة لا يعني نفي صحة العقد فيخرج عقد المكره عن مدلول الحديث خروجاً موضوعياً(٥٣).

يمكن إبطال(٥٤) عقد المكره بالاستعانة بصحيحة البزنطي عن أبي الحسن(عليه السلام): ان الرجل يستكره على اليمين فيحلف بالطلاق والعتاق وصدقة ما يملك أيلزمه ذلك؟ فقال: لا، قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم: وضع عن أمتي ما أكرهوا عليه ومالم يطيقوا وما أخطأوا»(٥٥)

(حديث الرفع ، والاستدلال به على ما اخترناه من عدم الحاجة إلى التقدير فيه واضح ، فانّ لكل من الأفعال التي تعلّق بها الحكم الشرعي أو جعل موضوعاً لحكم شرعي وجود في عالم التشريع فيصح إسناد الرفع إليه حقيقة فيكون المعنى رفع المتعلّق للحكم أو الموضوع لحكم شرعي إذا تحقق عن إكراه أو اضطرار أو خطأ ، ومعنى رفعه عدم تعلّق الحكم به وعدم كونه موضوعاً للأثر الشرعي) (٥٦).

وعليه فيستفاد منه رفع الأحكام الوضعية عند الاكراه بلا حاجة إلى التمسك باستشهاد الامام(عليه السلام)به لفساد الحلف بالطلاق والعتاق وصدقة ما يملك وإن كان يستفاد منه الكبرى الكلية أعني رفع الآثار الوضعية بحديث الرفع ، وإن كان الحلف بغير الله تعالى باطلا عندنا (٥٧).

يقول القزويني في بيان مراد الشيخ الانصاري في مقام الاستدلال بحديث الرفع (استثناء عمّا ذكره من ظهور حديث الرفع في رفع المؤاخذة» أي أنّ ظاهر حديث الرفع في حدّ نفسه وإن لم يكن شاملاً للمقام ودالاً على بطلان البيع الإكراهي ؛ لما عرفت أنّه ظاهر في رفع العقاب الأخرويّ ؛ وهو غير مرتبط ببطلان البيع الإكراهي « إلا أنه لي استشهد بحديث الرفع في رفع بعض الأحكام الوضعيّة كصحّة الطلاق الإكراهئ « وهو يكون شاهداً على أنّ المؤاخذة المرفوعة ليست مختصّة بالعقاب الأخرويّ؛ بل يشمل كل إلزام مترتّب على الإكراه» سواء كان حكماً وضعياً أو تكليفيًاً فعلى هذا فالحديث ببركة هذا الاستشهاد يدلّ على رفع الصحّة التي هي حكم وضع من العقد الإكراهي(٥٨) .

:(إنّ الاستدلال بحديث الرفع يتوقف على أمور ثلاثة : كون صحة الكلام فيه منوطاً بالتقدير على نحو دلالة الاقتضاء ، وكون المقدر هو المؤاخذة ، وكون المراد من المؤاخذة هو الأعم من العقاب الآخروي) (٥٩).

والأمر الأوّل يتم بكون الرفع تكوينياً لا تشريعياً، والثاني بكون المراد من الكلام بالدلالة الالتزامية الإقتضائية هو خصوص المقتضى. بالفتح أو بالكسر. لا عمومه ، والثالث بكون المراد من المؤاخذة هو الأعم لا خصوص العقاب الأخروي . والكلّ مردود(٦٠) : أما الأول: فلان رفع الشارع من حيث هو شارع تشريعي لا تكويني ، ومع كونه تشريعياً فلا يحتاج صحة الكلام إلى تقدير حتى يبحث أ ، أنه عام أو خاص ، بل المرفوع هو نفس تلك الفقرات ، ورفع التشريعي المستند إلى تلك الفقرات ، إنما هو رفع ما يترتب عليها من الآثار الشرعية كالأحكام التكليفية والوضعية ، فالمرفوع أولاً وبالذات نفس تلك الآثار من غير : تكلف. تقدير)(٦١).

الحق في الاستدلال هو ما التزم به النائيني ؛ لأن الوضع أو الرفع المذكور في كلام الشرع يقصد بهما في وعاء التشريع دون التكوين ، فإذن لا رفع تكويني حتى نضطر إلى تقدير المؤاخذة،(٦٢) ثمّ التمسك بالصحيح لإثبات التعميم ، بل مقتضى سياق ظاهر حديث الرفع ارتفاع جميع الآثار والالتزامات الشرعية المترتبة على الموارد الستة أو التسعة المذكورات ومنها بيع المكره، فإن وقوعه يقتضي ارتفاع الالتزامات المترتبة على البيوع المتعارفة ،فيستلزم بطلانه (٦٣).

وأيضاً يمكن الالتزام بأنّ المرفوع بمقتضى الحديث هي الآثار المترتبة على الموارد المذكورة فيه ، فالمرفوع عن المستكره هو كلّ ما يترتب على المعاملة الصادرة عن كراهة لولا الكراهة ، والنتيجة هو البطلان (٦٤).

وبالجملة: يمكن التفريق بين المضطر والمكره في أنهما يشتركان في جانب ويختلفان في جانب آخر : أما الجانب المتفق عليه فهو رفع الآثار الوضعية والتكليفية عنهما في وعاء التشريع (٦٥).

وأما الجانب الآخر: فإنّ رفع الآثار عن بيع المكره موافق مع امتنانية تشريع حديث الرفع. سواء قلنا إن حديث الرفع ورد في مقام الامتنان على الأمة ، أو لخصوص الأفراد ، ولكنه في كلّ الأحوال يعدّ رافعاً للآثار . فيكون

اقتضاء شمول الحديث له تاماً ومانعه مفقوداً، بخلاف المضطر فإنّ رفع الآثار عنه بمقتضى دلالة(٦٦)

ت– الطائفة الثالثة : رواية بريد ومحمد بن مسلم عن أبي عبد الله(عليه السلام)قال:من اشترى طعام قوم وهم له كارهون قصّ لهم من لحمه يوم القيامة(٦٧).

وتمام الاستدلال يتوقف على كون مرجع الضمير هو الشراء، والجزاء المذكور أثر وضعي لما قصّ هـ من أموالهم في الدنيا؛ لضرورة المسانخة بين العمل والجزاء، أو تجسيم للعمل، وشدة الجزاء كاشفة عن حرمة العمل وعدم صحة التصرف في المال المأخوذ من أهله عن كراهة، ولذا قال في المستند هو في قوة النهي الدال على الفساد في مثله ، و (قص) قد يقرأ مبنياً للمعلوم ومعناه أنه بمنزلة من جعل لحمه جزاءً لفعله، وقد يقرأ مبنياً للمجهول ومعناه أن صاحب الجزاء في القيامة يجازيه بفعله، والدلالة تامة على القراءتين(٦٨).

وربما يحتمل أن يعود الضمير على الشاري وفيه:

• اولا: أنه يتنافى مع العقاب المذكور؛ لوضوح أن كراهة البائع للشاري لا تلزمه بالتعاقد معه ، ولا تثبت فيه حرمة على الشاري يستحق بها العقوبة المذكورة إلّا إذا قلنا أنّ كرا هة البائع للشاري ناشئة من إكراه الشاري له على البيع، وحينئذ يثبت البطلان.

• ثانيا: (أنّ مناسبة الحكم والموضوع تقت ضي أن تكون كراهة الشاري ناشئة من كراهة التعامل معه، فتدل على البطلان بالملازمة)(٦٩).

٣– الدليل الثالث : المركوز العقلائي فإن العقلاء لا يعدون الإكراه طريقاً صحيحاً للمعاملات، فيكشف عن عدم إمضائه شرعاً ، فإن العقلاء في سائر الأعراف لا يرون العقود الإكراه ية سبباً مشروعاً لحصول مسبباتها وآثارها في الخارج، ولذا يذمون المكره ولا يتعا ملون مع عقد المكره معاملة الصحة، كما لا يلزمون العاقد المكره بالالتزام بمقتضى عقده، ولو امتنع عن ترتيبالأثر عليه لا يذمونه ولا يعدونه مخالفاً لتعهده والتزامه(٧٠).

ثانياً : حكم العقد الإكراهي إذا لحقه الرضا

اختلف الفقهاء في صحة عقد المكره إذا لحقه الرضا وعدمها على أقوال عمدتها قولان، فالمشهور شهرة عظيمة هو الصحة(٧١)، بل في الرياض والحدائق والجواهر دعوى الاتفاق عليه.(٧٢)

والمحكي عن جماعة منهم المحقق الثاني هو البطلان (٧٣)، ومال إليه الفاضل السبزواري والمقدس الأردبيلي(٧٤) ،واستدل للصحة بوجهين:

أحدهما: العمومات والإطلاقات الدالة على صحة العقد ولزومه كقوله:«أَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ»(٧٥)و:« أَوْفُوا بِالْعُقُودِ»(٧٦)، فضلاً عن أصل الصحة في العقود، فإنها تشمل العقد الملحوق بالرضا، والقدر المتيقن الخارج منها حكماً العقد الفاقد للرضا فالمقتضي للصحة موجود؛ لصدق العقد حقيقة، لكنه فاقد لشرط الصحة، فإذا لحقه الرضا صح، وربما يحتمل أن شرط الصحة هو أن يكون العقد مقترناً بالرضا، ولو تم هذا الاحتمال يكون بمنزلة المانع، والجواب أن الاحتمال المذكور بعيد عن الظهور، ولو شك فإن الإطلاقات والعمومات تنفي الشك باعتبارها، وتثبت عدم اعتبارها، وتعضده الأولوية المستفادة من اتفاقهم على صحة عقد الفضولي وترتيب الأثر عليه إذا لحقه رضا المالك، مع أن الفضولي متصرف في مال الغير، بينما المكره متصرف في ماله، فالحكم بصحة عقد الفضولي مع أنه مستند إلى المالك بقاء لا حدوثاً يستدعي الحكم بصحة بيع المكره؛ لكونه مستنداً إلى المالك حدوثاً وبقاء.

ثانيهما: الإجماع المدعى(٧٧)، وعلى فرض المناقشة فيه من حيث الصغرى أو الكبرى فإنه يمكن الاستدلال بالإجماع العملي، بل والسيرة العقلائية، فإنهما قائمان على اعتبار الرضا اللاحق مصححاً للعقد، ويرتبون الأثر عليه ويرفعون يدهم عن ذم المكره إذا سعى إلى رضا المكره وكسب طيب نفسه بما أكرهه عليه، ولا دليل على وقوع الردع عنهما(٧٨).

وربما يستدل له بوجه عقلي أيضاً.

خلاصته: أن العقل يقضي بأن العقد يتبع قصد العاقد؛ لأنه فعله وأثره، إلا أن منشأ الأثر في الخارج هو رضا العاقد وطيب نفسه، والحرمة والجواز في التصرف في أموال الغير يدوران مدار الرضا وعدمه. أما العقد فهو مجرد مبرز لإرادة العاقدين وطيب نفوسهم(٧٩).

كما أن العقد يبطل بفقدانه الرضا، ويصح بوجوده، فالصحة والبطلان يدوران مدار الرضا، ومعنى ذلك أن علة الصحة هو طيب النفس ولازمه صحة العقد الملحوق بالرضاء لاستحالة انفكاك المعلول عن العلة.

فيتحصل من مجموع الوجوه أن المقتضي لصحة العقد الإكراهي الملحوق بالرضا موجود والمانع منه مفقود، وبهذا تصعب مهمة القائلين بالبطلان؛ لأن إثبات مدعاهم يتوقف على نفي المقتضي، أو إثبات وجود المانع، أو إثبات كليهما(٨٠).

الهوامش:

(١) ابن فارس، احمد بن فارس بن زكريا(٣٩٥هـ), مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر,ط١, ت.ط ١٣٩٩هـ, ٢٦/١.

(٢) الجوهري،ابو نصر اسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ), الصحاح في اللغة، تحقيق احمد عبد الغفور عطار,دار العلم للملايين,بيروت،ط٤ ,ت.ط١٤٠٧هـ,٤٧/١.

(٣) الغزالي، ابو حامد محمد بنمحمد الغزالي(ت٥٠٥هـ), المستصفى، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي,دار الكتب العلمية,ط١,ت.ط ١٤١٣هـ, ٣٥١/٢

(٤) الآمدي،ابو الحسن علي بن محمد(ت٦٣١هـ), الإحكام في أصول الأحكام،تحقيق عبد الرزاق عفيفي,مؤسسة النور,الرياض,ط٢, ت.ط١٣٨٧هـ,٣/ ١٣٨.

(٥) الشنقيطي،محمد الامين بن محمد المختار (ت١٣٩٣هـ), مذكرة أصول الفقه،مكتبة العلوم والحكم,المدينة المنورة,ط٥,ت.ط ٢٠٠١م, ١٠٥

(٦) ابن نجيم،زين الدين بن ابراهيم بن محمد(ت٩٧٠هـ), الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية,بيروت,لبنان,ط١, ت.ط١٤١٩هـ, ، ٦٣

(٧)سورة المائدة ٣

(٨) الجوهري, ابو نصر اسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٦/ ٢٣٥٧

(٩) الفيومي, أحمد بن محمد بن علي الفيومي أبو العباس (ت ٧٧٠ هـ), المصباح المنير في غريب الشرح الكبير, الناشر: المكتبة العلمية – بيروت ط١, ت.ط١٩٩٥م ,٢٩٢/٢

(١٠) المناوي, محمد عبد الروؤف (١٤١٠هـ)، التعاريف، تحقيق: محمد رضوان، دار الفكر المعاصر، دمشق: ١/ ٣٦٥

(١١) الانصاري,الشيخ مرتضى الأنصاري (ت ١٢٨١ هـ),المكاسب, تعليق:السيد محمد كلانتر,دار الفكر ,ت٢٠١٨,بيروت لبنان, ٣٠٧/٣

(١٢) ينظر: الخوئي : ابو القاسم الموسوي الخوئي (ت١٤١١هـ): مصباح الفقاهة في المعاملات: مؤسسة الإمام الخوئي, قم – ايران ,ط,ت.ط ٢٠١١م , ٣٨١/٣

(١٣) التبريزي: محمد الحجة التبريزي(ت١٣٧٢هـ): : فقه البيع :تقرير الكلبايكاني الحاج اقا علي (ت١٤٣١هـ) , دار العرفان , ط١,ت.ط١٤٣٧هـ ,٣٣٥

(١٤) القزويني: علي المروجي، تمهيد المطالب في شرح المكاسب, مطبعة سرمدي، تهران، ط١، ١٤٤٠هـ: ١١/ ٩٩

(١٥) ابن منظور، محمد بن مكرم ت ٧١١هـ ,لسان العرب,دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦: ١٣ / ٦٣٤

(١٦)الزبيدي:محمد مرتضى الزبيدي(ت ١٢٠٥هـ), تاج العروس من جواهر القاموس, وزاره الارشاد والانباء، الكويت، ط١، ت.ط ٢٠٠١م: ٣٦ / ٤٨٥

(١٧) الرافعي: عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم (ت ٦٢٣ هـ)، غريب الشرح الكبير، تحقيق: علي محمد عوض، عادل احمد عبد الموجود، دار الكتب العلميه، بيروت، ط١، ت.ط ١٤١٧هـ/٣/١٣٢

(١٨) الانصاري، مرتضى بن محمد امين(١٢٨١هـ), المكاسب, مؤسسة الاعلمي للمطبوعات,بيروت,لبنان,ط١, ت.ط ٢٠٠٨ م, ٣/ ٣١١

(١٩) ينظر: الخوئي، ابو القاسم الموسوي(١٤١١هـ) مصباح الفقاهة,٣/ ٢٩٧

(٢٠) الخميني: روح الله الموسوي (١٤١٠هـ) ، البيع، وزارة الثقافة والارشاد، ايران – طهران، ط١، ت.ط ١٤٢١هـ ,٢/ ٨٤

(٢١) ابن منظور,محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين بن منظور الانصاري(ت ٧١١هـ):لسان العرب :١١/ ٤٧٦
(٢٢) البركتي : محمد عميم : التعريفات الفقهية , دار الكتب العلمية , بيروت – لبنان , ط١,ت.ط١٩٨٦م,٢٠٩
(٢٣) ينظر:السرخسي، شمس الدين محمد بن احمد (ت ٤٠٣ ه)، المبسوط:٢٤/٧٣
(٢٤) بن عابدين : محمد أمين، الشهير بابن عابدين (ت ١٢٥٢ ه) حاشية رد المحتار، على الدر المختار: شرح تنوير الأبصار: ١/ ٢٩
(٢٥)ينظر: الانصاري ,مرتضى بن محمد امين (ت١٢٨١ هـ) ,المكاسب : ٣٠٧
(٢٦) الحكيم : محسن طباطبائيّ الحكيم (ت ١٣٩٠ ه) : منهاج الصالحين : وبهامشه تعليق السيد كاظم الحائري : دار الرسالة ,ط ٢،ت .ط ١٤٣٧هـ , ٤٨
(٢٧) ينظر: النراقي : أحمد بن محمد مهدي النراقي (ت ١٢٤٥ ه): مستند الشيعة في احكام الشريعة : آل البيت لإحياء التراث, ط١,قم ايران , ت.ط٢٠٠٧,م ,١١/٢٤٣
(٢٨) سورة النساء: الآية ٢٩
(٢٩) ينظر: الجزائري: السيّد محمّد جعفر الجزائري المروّج(ت ١٩٩٩م) : هدى الطالب: مؤسسة التاريخ العربي ,لبنان بيروت , ط١ , ت.ط , ١٤٢٧ج ٤ / ١٥٣
(٣٠)الانصاري :محمد رضا الانصاري القمي(ت١٤٤٠هـ) : العقد النضيد تقريرا لأبحاث المسجد الأعظم في الفقه والعقود والمعاملات : دار التفسير , ايران قم . ط٢, ت.ط ١٤٢٧, ٢/٥٠٢
(٣١)ينظر: الصفار : فاضل الصفار :فقه العقود والمعاملات المستحدثة: دار المحجة البيضاء , ط١, ت.ط ٢٠١١م, ٢/٦٨
(٣٢)ينظر: المصدر السابق
(٣٣) الحائري : كاظم الحسيني الحائري : البيع : دار الرسالة ,قم ابران , ط١, ت.ط١٤٤٣ هـ, ١٤٥
(٣٤) الخميني: روح الله الخميني(ت١٤١٠هـ) : كتاب البيع ,تحقيق مؤسسة تنظيم ونشر اثار الامام الخميني,ط١ , ١٤٢١هـ,تهران,: ٢/١١٥
(٣٥)المصدر السابق
(٣٦)الايرواني : باقر الايرواني : محاضرات دروس البحث الخارج , مدرسة الفقاهة , المسألة ٦٣ , شرطية الاختيار . https://eshia.ir/feqh/archive/text/iravani/feqh/٣٩/٤٠٠٥٢٨/ تاريخ الاقتباس ٢٠٢٥/٤/٢٢م الساعة ١:٣٠ م
(٣٧) ينظر: الصفار : فاضل الصفار :فقه العقود والمعاملات المستحدثة: ٢/٧٣
(٣٨) ينظر: الصفار : فاضل الصفار :فقه العقود والمعاملات المستحدثة: ٢/ ٧٤
(٣٩) ينظر: الصفار : فاضل الصفار :فقه العقود والمعاملات المستحدثة: ٢/ ٧٦
(٤٠)العاملي:محمد بن الحسن الحر العاملي (١١٠٤هـ) : وسائل الشيعة : باب مكان المصلي : الباب ٣: حديث ١
(٤١) ينظر: الحلي : الحسن بن يوسف بن علي بن مطهر الحلي (ت: ٧٢٦ ه)تذكرة الفقهاء : مؤسسة آل البيت لإحياء التراث, ط١,ت.ط١٤١٤هـ,١٤/٢١٥
(٤٢) ينظر: الصفار : فاضل الصفار :فقه العقود والمعاملات المستحدثة: ٢/٧٨
(٤٣) العاملي: محمد بن الحسن الحر العاملي (١١٠٤هـ) : وسائل الشيعة : باب مكان المصلي : الباب ٣: حديث ١
(٤٤) الخوئي : ابو القاسم الموسوي الخوئي (ت١٨٩٩هـ) التنقيح في شرح المكاسب: مؤسسة الامام الخوئي ,ايران قم ,ط٢٨, ت.ط١٤١٠هـ ,١/٣٢١
(٤٥) القزويني : علي المروجي : تمهيد المطالب في شرح المكاسب : ١١/ ١٠١
(٤٦) الصفار : فاضل الصفار :فقه العقود والمعاملات المستحدثة: ٢/ ٨٧
(٤٧) ينظر: الشيرازي : السيد محمد الحسيني الشيرازي(ت ١٤٢٢هـ) : إيصال الطالب إلى المكاسب: دار الاعلمي , ايران – طهران ,ط١, ٢٠٠١م , ١١/٣١١
(٤٨) ينظر: الصفار : فاضل الصفار :فقه العقود والمعاملات المستحدثة: ٢/ ٨٧
(٤٩) العاملي: محمد بن الحسن الحر العاملي (١١٠٤هـ) : وسائل الشيعة : باب جملة مما عفي عنه, الباب ٥٦: حديث ١
(٥٠) ينظر: الصفار : فاضل الصفار :فقه العقود والمعاملات المستحدثة: ٢/ ٩٢
(٥١) ينظر: المصدر السابق
(٥٢) ينظر: الصفار : فاضل الصفار :فقه العقود والمعاملات المستحدثة: ٢/ ٩٢
(٥٣) ينظر: المصدر السابق
(٥٤) ينظر: الصفار : فاضل الصفار :فقه العقود والمعاملات المستحدثة: ٢/
(٥٥) العاملي:محمد بن الحسن الحر العاملي (١١٠٤هـ) : وسائل الشيعة : باب جملة مما عفي عنه, الباب ٥٦: حديث١

(٥٦) الخوئي : ابو القاسم الموسوي الخوئي (ت١٨٩٩هـ) التنقيح في شرح المكاسب:٣٢٣/١
(٥٧) ينظر: الخوئي : ابو القاسم الموسوي الخوئي (ت١٨٩٩هـ) التنقيح في شرح المكاسب:٣٢٣/١
(٥٨) ينظر: القزويني : علي المروجي : تمهيد المطالب في شرح المكاسب : ١٠٢/١١
(٥٩) ينظر: الانصاري :محمد رضا الانصاري القمي : العقد النضيد تقريرا لابحاث المسجد الاعظم في الفقه والعقود والعاملات : ٥١٣/٢
(٦٠) ينظر: الآملي : محمد تقى الآملي(ت ١٣٥٥هـ) : المكاسب والبيع تقريرا لبحث الميرزا النائيني : مؤسسة البلاغ ,ط١,ت. ط٢٠٠٠م , ١ / ٤٢٣
(٦١) ينظر: الانصاري :محمد رضا الانصاري القمي : العقد النضيد تقريرا لابحاث المسجد الاعظم في الفقه والعقود والعاملات : ٥١٣/٢
(٦٢)ينظر: الآملي : محمد تقى الآملي(ت ١٣٥٥هـ) : المكاسب والبيع تقريرا لبحث الميرزا النائيني :١ / ٤٢٣ .
(٦٣) ينظر: الانصاري :محمد رضا الانصاري القمي : العقد النضيد تقريرا لابحاث المسجد الاعظم في الفقه والعقود والعاملات : ٥١٤/٢
(٦٤) الصفار : فاضل الصفار :فقه العقود والمعاملات المستحدثة: ٢/ ٩٥
(٦٥) ينظر: الآملي : محمد تقى الآملي(ت ١٣٥٥هـ) : المكاسب والبيع تقريرا لبحث الميرزا النائيني :١ / ٤٢٣
(٦٦) ينظر: الانصاري :محمد رضا الانصاري القمي : العقد النضيد تقريرا لابحاث المسجد الاعظم في الفقه والعقود والعاملات : ٥١٥/٢
(٦٧) العاملي:محمد بن الحسن الحر العاملي (١١٠٤هـ) : وسائل الشيعة : عقد البيع وشروطه , الباب ١: حديث ١١
(٦٨) ينظر: الصفار : فاضل الصفار :فقه العقود والمعاملات المستحدثة: ٢/ ٩٥
(٦٩) ينظر: الصفار : فاضل الصفار :فقه العقود والمعاملات المستحدثة: ٢/ ٩٥
(٧٠)المصدر السابق
(٧١)ينظر: المامقاني : محمد حسن المامقاني (ت١٣٢٣هـ) :مجمع الذخائر الإسلامية :ايران – قم ,ط١, ت.ط٢٠٠٧م ١/ ٣٣٧
(٧٢)ينظر: الجواهري: الشيخ محمد حسن النجفي الجواهري(ت ١٢٦٦ هـ) : جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام : تحقيق الشيخ حيدر الدباغ , مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين , ايران قم ,ط٢,ت.ط١٤٣٢هـ, ٢٢ / ٢٦٧
(٧٣)ينظر: الانصاري : الشيخ مرتضى (ت١٤٦٨هـ),المكاسب, : ٣/ ٣٣٠.
(٧٤)ينظر: الاردبيلي : الشيخ أحمد المعروف بالمقدس الأردبيلي(ت٩٩٣هـ): مجمع الفائدة والبرهان – شرح إرشاد الأذهان: جامعة المدرسين في الحوزة العلمية – ايران قم ط١,ت.ط ١٤٠٣م , ٨/ ١٥٦
(٧٥) سورة البقرة: الآية ٢٧٥
(٧٦) سورة المائدة: الآية ١
(٧٧)ينظر: الجزائري: محمّد جعفر الجزائري المروّج(ت ١٩٩٩م) : هدى الطالب: ٤ / ٢٨٩
(٧٨) ينظر: الجزائري: السيّد محمّد جعفر الجزائري المروّج(ت ١٩٩٩م) : هدى الطالب: ٤ / ٢٨٩
(٧٩) الاردبيلي : الشيخ أحمد المعروف بالمقدس الأردبيلي(ت٩٩٣هـ) : مجمع الفائدة والبرهان – شرح إرشاد الأذهان , ٨/ ١٥٦
(٨٠) ينظر: الحائري :كاظم الحسيني الحائري : البيع : ١٦٠

المصادر:

• القران الكريم

– أولاً: الكتب

١. ابن فارس، احمد بن فارس بن زكريا(٣٩٥هـ), مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر,ط١, ت.ط ١٣٩٩هـ,
٢. ابن منظور، محمد بن مكرم ت ٧١١هـ ,لسان العرب,دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م
٣. ابن نجيم،زين الدين بن ابراهيم بن محمد(ت٩٧٠هـ), الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية,بيروت,لبنان,ط١, ت.ط١٤١٩هـ,
٤. الاردبيلي : الشيخ أحمد المعروف بالمقدس الأردبيلي(ت٩٩٣هـ): مجمع الفائدة والبرهان – شرح إرشاد الأذهان: جامعة المدرسين في الحوزة العلمية – ايران قم ط١,ت.ط ١٤٠٣م
٥. الآمدي،ابو الحسن علي بن محمد(ت٦٣١هـ), الإحكام في أصول الأحكام،تحقيق عبد الرزاق عفيفي,مؤسسة النور,الرياض,ط٢, ت.ط١٣٨٧هـ
٦. الآملي : محمد تقى الآملي(ت ١٣٥٥هـ) : المكاسب والبيع تقريرا لبحث الميرزا النائيني : مؤسسة البلاغ ,ط١,ت.ط٢٠٠٠م ,
٧. الانصاري :محمد رضا الانصاري القمي : العقد النضيد تقريرا لابحاث المسجد الاعظم في الفقه والعقود والعاملات :

٨. الانصاري,الشيخ مرتضى الأنصاري (ت ١٢٨١ ه),المكاسب, تعليق:السيد محمد كلانتر,دار الفكر ,ت٢٠١٨,بيروت لبنان, ٣٠٧/٣
٩. الانصاري، مرتضى بن محمد امين(١٢٨١ه), المكاسب, مؤسسة الاعلمي للمطبوعات,بيروت,لبنان,ط١, ت.ط ٢٠٠٨ م,
١٠. البركتي : محمد عميم : التعريفات الفقهية , دار الكتب العلمية , بيروت – لبنان , ط١,ت.ط١٩٨٦م,
١١. بن عابدين : محمد أمين، الشهير بابن عابدين (ت ١٢٥٢ ه) حاشية رد المحتار، على الدر المختار: شرح تنوير الأبصار:
١٢. التبريزي: محمد الحجة التبريزي(ت١٣٧٢ه): : فقه البيع :تقرير الكلبايكاني الحاج اقا علي (ت١٤٣١ه) , دار العرفان , ط١,ت.ط١٤٣٧ه
١٣. الجواهري: الشيخ محمد حسن النجفي الجواهري(ت ١٢٦٦ ه) : جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام : تحقيق الشيخ حيدر الدباغ , مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين , ايران قم ,ط٢,ت.ط١٤٣٢ه,
١٤. الجوهري،ابو نصر اسماعيل بن حماد (ت٣٩٣ه), الصحاح في اللغة، تحقيق احمد عبد الغفور عطار,دار العلم للملايين,بيروت،ط٤ ,ت.ط١٤٠٧ه,
١٥. الحائري :كاظم الحسيني الحائري : البيع : دار الرسالة ,قم ابران , ط١, ت.ط١٤٤٣ ه,
١٦. الحكيم : محسن طباطبائيّ الحكيم (ت ١٣٩٠ ه) : منهاج الصالحين : وبهامشه تعليق السيد كاظم الحائري : دار الرسالة ,ط ٢،ت .ط ١٤٣٧ه ,
١٧. الحلي : الحسن بن يوسف بن علي بن مطهر الحلي (ت: ٧٢٦ ه)تذكرة الفقهاء : مئسسة آل البيت لإحياء التراث, ط١,ت. ط١٤١٤ه,
١٨. الخميني: روح الله الخميني(ت١٤١٠ه) :كتاب البيع ,تحقيق مؤسسة تنظيم ونشر اثار الامام الخميني,ط١, ١٤٢١ه,تهران
١٩. الخوئي : ابو القاسم الموسوي الخوئي (ت١٤١١ه): مصباح الفقاهة في المعاملات: مؤسسة الإمام الخوئي, قم – ايران ,ط,ت.ط ٢٠١١م ,
٢٠. الخوئي : ابو القاسم الموسوي الخوئي (ت١٨٩٩ه) التنقيح في شرح المكاسب: مؤسسة الامام الخوئي ,ايران قم ,ط٢٨, ت.ط١٤١٠ه
٢١. الرافعي: عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم (ت ٦٢٣ ه)، غريب الشرح الكبير، تحقيق: علي محمد عوض، عادل احمد عبد الموجود، دار الكتب العلميه، بيروت، ط١، ت.ط ١٤١٧ه
٢٢. الزبيدي:محمد مرتضى الزبيدي(ت ١٢٠٥ه), تاج العروس من جواهر القاموس, وزاره الارشاد والانباء، الكويت، ط١، ت.ط ٢٠٠١م:
٢٣. الشنقيطي،محمد الامين بن محمد المختار (ت١٣٩٣ه), مذكرة أصول الفقه،مكتبة العلوم والحكم,المدينة المنورة,ط٥,ت.ط ٢٠٠١م
٢٤. الشيرازي : السيد محمد الحسيني الشيرازي(ت ١٤٢٢ه) : إيصال الطالب إلى المكاسب: دار الاعلمي , ايران – طهران ,ط١, ٢٠٠١م , ١١
٢٥. الصفار : فاضل الصفار :فقه العقود والمعاملات المستحدثة: دار المحجة البيضاء , ط١, ت.ط ٢٠١١م, ٦٨/٢
٢٦. العاملي:محمد بن الحسن الحر العاملي (١١٠٤ه) : وسائل الشيعة ,دار الاعلمي ط٣, ت.ط٢٠١٢م
٢٧. الغزالي، ابو حامد محمد بنمحمد الغزالي(ت٥٠٥ه), المستصفى، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي,دار الكتب العلمية,ط١,ت.ط ١٤١٣ه
٢٨. الفيومي, أحمد بن محمد بن علي الفيومي أبو العباس (ت ٧٧٠ ه), المصباح المنير في غريب الشرح الكبير, الناشر: المكتبة العلمية – بيروت ط١, ت.ط١٩٩٥م
٢٩. القزويني: علي المروجي، تمهيد المطالب في شرح المكاسب, مطبعة سرمدي، تهران، ط١، ١٤٤٠ه:
٣٠. المامقاني : محمد حسن المامقاني (ت١٣٢٣ه) :مجمع الذخائر الإسلامية :ايران – قم ,ط١, ت.ط٢٠٠٧م
٣١. المناوي، محمد عبد الروؤف (١٤١٠ه)، التعاريف، تحقيق: محمد رضوان، دار الفكر المعاصر، دمشق: ط١,ت.ط٢٠٠٠م
٣٢. النراقي : أحمد بن محمد مهدي النراقي (ت ١٢٤٥ ه): مستند الشيعة في احكام الشريعة : آل البيت لإحياء التراث, ط١,قم ايران , ت.ط٢٠٠٧,م
٣٣. الجزائري: السيّد محمّد جعفر الجزائري المروّج(ت ١٩٩٩م) : هدى الطالب: مؤسسة التاريخ العربي ,لبنان بيروت , ط١ , ت.ط , ١٤٢٧ ج
٣٤. ينظر:السرخسي، شمس الدين محمد بن احمد (ت ٤٠٣ ه)، المبسوط:, دار المعارف , بيروت – لبنان ط٢,ت,ط٢٠٠١م

ثانياً : المواقع

١. الايرواني : باقر الايرواني : محاضرات دروس البحث الخارج , مدرسة الفقاهة , المسألة ٦٣ , شرطية الاختيار . https://eshia.ir/feqh/archive/text/iravani/feqh/39/٤٠٠٥٢٨/ تاريخ الاقتباس ٢٠٢٥/٤/٢٢م الساعة ١:٣٠ م.

العلاقات الألبانية– السوفيتية الصينية «١٩٤٩–١٩٧٨»

م. د. فاطمة جاسم محمد علي
جامعة البصرة / كلية التمريض



المستخلص:
يتناول هذا البحث العلاقات الألبانية تجاه الدول الشيوعية، فعلى الرغم من موقع ألبانيا في شرق أوربا، لكنها اختارت أن تكون تابعة للمعسكر الاشتراكي منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، حتى نهاية السبعينيات من قرن العشرين، نتيجة لتغلل الشيوعيين وسيطرتهم على الحكم آنذاك، لا سيما وأنها كانت دولة موالية للولايات المتحدة الأميركية قبل أن تتجه للمعسكر الشرقي، مما أدى بها في نهاية المطاف أن تخسر علاقاتها مع جميع الدول الكبرى سواء كانت شيوعية أوربية أم آسيوية أم رأسمالية، وهي بذلك فرضت على نفسها العزلة عن العالم.
الكلمات المفتاحية: ألبانيا، احمد زوغو، نظام خوجا، الاتحاد السوفيتي. الصين الشعبية.

Abstract:
This research deals with Albanian relations towards communist countries. Despite Albania›s location in Eastern Europe, it chose to be affiliated with the socialist camp from the end of World War II until the end of the 1970s, as a result of the infiltration and control of the communists at that time, especially since it was a country loyal to the United States of America before heading towards the Eastern camp, which ultimately led it to lose its relations with all major countries, whether they were communist, European, Asian, or capitalist, and thus imposed isolation on itself from the world.
Keywords: Albania, Ahmed Zogu, Hoxha regime, Soviet Union, People›s Republic of China.

المقدمة:
عدت ألبانيا واحدة من الدول الأوربية، غير المستقرة سياسياً، فقد قاد الشعب الألباني العديد من الثورات والانتفاضات، ضد حكم المحتل، سواء كان من الامبراطوريات الكبرى الرومانية والعثمانية قبل حصولها على الاستقلال، أو الاحتلال الأجنبي خلال الحربين العالميتين، لا سيما الاحتلالين الإيطالي والألماني، أي بعد استقلالها، كل تلك الأوضاع، انعكست بالسلب تجاه السلطات الحاكمة في ألبانيا، فكل حكومة تولد هشة، ولم تستطع الصمود كثيراً، بوجه المعارضة الداخلية، أو التدخلات الخارجية. لذلك كانت تسقط بسرعة. لكن برز زعماء في ألبانيا أمثال احمد زوغو وأنور خوجا وغيرهم، هؤلاء رأوا أن أفضل وسيلة لاستمرارهم وبقائهم مدة أطول في الحكم، هو توجههم نحو الدول الكبرى، ذات الأيدولوجيات الرأسمالية والشيوعية، وبمجرد تطبيع العلاقات معهم يعني تحول ألبانيا بين هاتين الأيدولوجيات.

وترسخ ذلك الأمر كثيراً بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، التي قسمت العالم بشكل بارز بين المعسكر الشرقي الاشتراكي بقيادة يوغسلافيا والاتحاد السوفيتي والصين، ذا الايدولوجية الشيوعية، والمعسكر الغربي الرأسمالية بقيادة الولايات المتحدة الأميركية. ووفقاً للمصالح الألبانية دعمت الأخيرة المعسكر الاشتراكي في بادئ الأمر، وانضمت في فلك الاتحاد السوفيتي والصين حتى السبعينيات، لكنها لم تستمر بولائها لهما، إذ أعلنت صراحةً إنها ستعمد اعتماداً ذاتياً على نفسها، وبذلك يعني أنها قطعت علاقاتها مع القوى الشيوعية الكبرى. ومن ثم أعلنت نفسها الدولة الماركسية – اللينينية «الحقيقية الوحيدة عالمياً. لكنها فرضت على نفسها العزلة السياسية عن العالم الخارجي. الامر الذي انعكس على وضعها الداخلي.

وبناءً على ذلك، ارتأينا البحث والدراسة في موضوع: (العلاقات الألبانية– السوفيتية الصينية (١٩٤٩–

١٩٧٨)، لأجل إعطاء صورة واضحة للقارئ عن الأوضاع التاريخية والسياسية ومدى انعكاسها على الأوضاع الاقتصادية في ألبانيا، ابان تلك المدة، لا سيما بعد تغلل الشيوعيين داخل ألبانيا، ومن ثم وصولهم إلى سدة الحكم. وما هو موقف الدول الكبرى منها.

اعتمدت الدراسة على منهجية تحليلية معتمدة على التسلسل الزمني للأحداث التاريخية، وقد قسمت الدراسة إلى عناوين صغيرة، وضحت خلالها مراحل تطور العلاقات الثنائية مع تلك الدول.

• الموقع الجغرافي والسكان:

تعد ألبانيا واحدة من دول شبه جزيرة البلقان، الواقعة في جنوب شرق أوروبا، وتحدها من الشمال الغربي جمهورية الجبل الأسود، ومن الشمال الشرقي كوسوفو، ومن الشرق جمهورية مقدونيا الشمالية، بينما تجاورها اليونان من الجنوب والجنوب الشرقي. تطل على البحر الأدرياتيكي من الغرب، وعلى البحر الأيوني من الجنوب الغربي. وتبلغ مساحتها الإجمالية قرابة ٢٨,٧٤٨ كم٢. أما عدد سكانها، فقد قدر بنحو ٣,٠٢٠,٢٠٩ نسمة على وفق تعداد عام ٢٠١٤(١).

أما فيما يخص أصول الشعب الالباني، فيذكر أنه لا تزال مسألة أصل الألبان موضع جدل بين علماء الإثنولوجيا. وقد طُرحت نظريات عديدة لحل هذه المشكلة المتعلقة بالمكان الذي انطلق منه المستوطنون الأصليون لألبانيا إلى موطنهم الحالي. إن وجود ألبانيا أخرى في القوقاز، والغموض الذي يكتنف اشتقاق اسم «ألبانيا»، وأي اسم، من ناحية أخرى، غير معروف لشعبها، وعدم وجود أي سجل تاريخي أو أسطوري لوصول الألبان إلى شبه جزيرة البلقان، كل ذلك جعل مسألة أصلهم مسألة بالغة الصعوبة. ولكن، مهما كان الأمر، فمن المسلّم به عامةً اليوم أن الألبان هم أقدم عرق في جنوب شرق أوروبا. تشير جميع الدلائل إلى أنهم من نسل أوائل المهاجرين الآريين الذين مثّلهم في العصور التاريخية أقاربهم الإليريون (Illyrians) والمقدونيون (Macendonian) والإبيروتيون(٢) (Epirotes)). الذين شكلوا نواة السكان البيلاسجيين التيرانيين (Tyrrhenian Pelasgians) ما قبل الهيليني (Helleni) ، الذين سكنوا الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة وامتدت حدودهم إلى تراقيا وإيطاليا. وكان الإيليريون أيضًا بيلاسجيين، ولكن بمعنى أوسع. علاوة على ذلك، يعتقد أن من بين هذه الأعراق المتقاربة، التي وصفها الكتاب اليونانيون القدماء أنها «بربرية» و«غير يونانية» أيضًا، كان الإيليريون «أسلاف الجيج» Gheg»، أو «الألبان الشمال»، وكان الإبيروتيون أسلاف التوسك، أو «الألبان الجنوب»(٣).

• الأوضاع السياسية في ألبانيا خلال المدة(١٩١٢-١٩٤٨):

في عام ١٩١٢، أعلن استقلال ألبانيا بدعم من الإمبراطورية النمساوية المجرية، ومملكة إيطاليا. وفي شباط ١٩١٤، نصب الأمير ويليام حاكماً على البلاد. وبسبب اندلا ع الحرب العالمية الأولى في ذلك العام عانت ألبانيا من الفوضى، وقسمت من قوى متعددة؛ إذ سيطرت القوات اليونانية بحلول تشرين الأول من العام نفسه على جزئها الجنوبي، بينما احتلت كل من صربيا والجبل الأسود المناطق الشمالية، ومع انسحاب القوات الصربية في عام ١٩١٨، بسطت الإمبراطورية النمساوية المجرية سيطرتها على معظم أراضي ألبانيا(٤)

حققت ألبانيا استقلالها الفعلي بعد الحرب العالمية الأولى، ويعود ذلك جزئيًا إلى التدخل الدبلوماسي للولايات المتحدة الأميركية. إلا أن البلاد عانت من نقصٍ مُنهك في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وكانت سنوات استقلالها الأولى محفوفةً بعدم الاستقرار السياسي(٥).

ومما تجدر الإشارة إليه، أنه ابان تلك المدة التي كانت تعيشها ألبانيا نتيجةً لسوء الإدارة هناك، أيد الرئيس الأميركي وودرو ويلسون (Woodrow Wilson)(٦)، قضية استقلال ألبانيا خلال المدة (١٩١٩ – ١٩٢٠) ووقف بالضد من اقتراح تقسيمها في مؤتمر باريس، ممهدًا للاعتراف الدولي بها عبر عصبة الأمم.

دعمت الولايات المتحدة الأميركية حدود ألبانيا آنذاك، وفي كانون الأول ١٩٢٠ تشكلت الحكومة الألبانية المؤقتة(٧)، على أثر مؤتمر لوشنيا Lushnja Congress) (٨)، بهدف توطيد الدولة الالبانية الجديدة، ودعمها لتصبح عضواً كاملاً في عضوية عصبة لأمم، وبالفعل تحقق ذلك في السابع عشر من كانون الأول ١٩٢٠(٩)، بعدها أقامت الولايات المتحدة الأميركية علاقات دبلوماسية ثنائية رسمية مع ألبانيا، في الثامن والعشرين من تموز ١٩٢٢، في الوقت الذي كانت فيه ألبانيا تمر بمرحلة من عدم الاستقرار الداخلي، تميزت بالتغييرات المتكررة، للحكومات والخلافات السياسية، لذا كان الاعتراف الأميركي ذات أهمية كبيرة لألبانيا على المستوى الدولي، ومستقبل العلاقات الثنائية الألبانية الأميركية(١٠).

بعدها، شُكّلت حكومة جديدة في ألبانيا وتحديداً في الرابع والعشرين من كانون الأول ١٩٢٢، وتولى أحمد زوغو(Ahmet Zogu)(١١)، منصبي رئيس الوزراء ووزير الداخلية. ورغم الإجراءات الأمنية التي اتخذها، لم ينجح زوغو في كسر شوكة المعارضة ضد حكمه. لذا وتحت ضغط الحركة الديمقراطية، اضطرت حكومة زوغو إلى عرض مشروع قانون انتخابات الجمعية التأسيسية على البرلمان في آب ١٩٢٣. لكن قوبل ذلك المشروع، الذي نص على إجراء انتخابات غير مباشرة على دورتين بنظام الجداول والقوائم، بمقاومة شديدة من المعارضة والأوساط الديمقراطية في جميع أنحاء البلاد. ناضلت المعارضة في البرلمان لإدخال تعديلات جوهرية على مشروع القانون، بحيث يكون التصويت مباشرًا لا على مرحلتين، ومراعاةً لارتفاع نسبة الأمية، يُدلى بالأصوات عن طريق صناديق الاقتراع لا عن طريق الجداول، وأن تُجرى الانتخابات وفقًا لمبدأ «الاسم الواحد» لا عن طريق القوائم، وأن يحصر الجيش والشرطة في ثكناتهما يوم الانتخابات، بعد مناقشات مطولة، أقرّت الأغلبية في البرلمان في الثامن والعشرين من ايلول ١٩٢٣ مشروع القانون دون مراعاة التعديلات التي اقترحتها المعارضة. بعد ذلك، حُلَّ البرلمان، وبدأت الحملة الانتخابية في جميع أنحاء البلاد في جوٍّ من الصراع السياسي المُحتدم. وخلال الحملة الانتخابية، انقسمت البلاد إلى معسكرين سياسيين كبيرين: المنظمات المُقربة من الحكومة، مموَّلة من ملاك الأراضي في البلاد ومن زوغو نفسه، الذي تلقى في هذه المناسبة دعمًا ماليًا من الخارج، من إيطاليا ويوغوسلافيا؛ ومن جهة أخرى، منظمات المعارضة، التي كانت، مع ذلك، منقسمة إلى فصائل وسيئة التنظيم، التي طرحت برنامجًا صريحًا، مناهضًا للإقطاع، لأجل نظام ديمقراطي. الامر الذي تحول إلى الانتفاضة الشعبية لصالح زوغو، ملاك الأراضي. ولإيقافها، لجأت الأجهزة الحكومية إلى الترهيب والإرهاب(١٢).

في ظل هذه الأجواء السياسية السيئة، أُلغيت الانتخابات في السابع والعشرين من كانون الأول ١٩٢٣. وتصاعد التوتر السياسي في البلاد إلى ذروته بعد افتتاح الجمعية التأسيسية في الثاني من شباط ١٩٢٤، كون المعارضة أرادوا أن يُقدم رئيس الوزراء أحمد زوغو استقالته، لكنه لم يجبر على الاستقالة إلا بعد محاولة اغتيال فاشلة تعرض لها نفّذها طالبٌ في الثالث والعشرين من شباط، عند مدخل مبنى البرلمان، على أثر ذلك، شُكلت الحكومة الجديدة في الثالث من آذار من العام نفسه، برئاسة شفقت فيرلاسي (Shafqat Verlaci)، وهو أحد أكبر ملاك الأراضي الإقطاعيين في ألبانيا. لكن زوغو لم يستلم بل كان يريد أن يستولي على السلطة بالقوة، لذا عد عام ١٩٢٤، من اكثر الأعوام ضراوة في تاريخ ألبانيا، نتيجة لموجات السخط التي قادها الشعب ضد اتباع زوغو، اضطرت حكومة فيرلاسي لتقديم استقالتها، وفي السادس عشر من حزيران من العام نفسه، شُكّلت الحكومة الديمقراطية برئاسة فان نولي (Van Noli) البرجوازي، لكن واجهت الحكومة الجديدة، منذ أيامها الأولى، صعوبات داخلية وخارجية جسيمة. فداخلياً: بدأ كبار الضباط العسكريين، بدعم من العناصر المحافظة، أن يقفوا إلى صف نولي بين التحفظ، والعلن، ومارسوا الضغط على الحكومة ككل وعلى رئيس الوزراء بشكل خاص في أن يؤجل أو يلغي تنفيذ إصلاحات اجتماعية واقتصادية وسياسية وعد بها الشعب. أما خارجياً: ففي عام ١٩٢٥، لم تكن هناك ظروف مواتية لحركة نولي الثورية الجذرية، ولم يكن هناك

أي حافز للقوى العظمى لتقديم دعمها لهذه الحكومة التي رفضت منح التنازلات والامتيازات لرؤوس الأموال الأجنبية، مما تسبب في ضرر أكبر لمصالح الحكومة الفاشية الإيطالية ومنافستها، الحكومة الرجعية اليوغوسلافية. لذا لم تعترف أيٌّ من القوى العظمى رسميًا بحكومة نولي. لذا استغل زوغو، هذا الضعف. وواصل مفاوضاته مع الحكومة اليوغوسلافية لتنظيم تدخل عسكري في ألبانيا. وقدّمت له بلغراد دعمًا سياسيًا وعسكريًا وماليًا فعالًا. داخل أراضي يوغوسلافيا، حشد جيشًا مكونًا من المرتزقة، الذي عززه بقوات الحرس الأبيض الروسية (١٣). وبالفعل نجح في مفاوضته، إذ وضعت بلغراد تحت تصرفه قوة قوامها قرابة عشرة الاف رجل، مسلحين ومجهزين. وفي مواجهة التحضيرات الثورية المضادة السريعة، لم تتخذ حكومة نولي أي خطوات عسكرية. وبينما كان اهتمامها منصبًا على الحملة الانتخابية للجمعية التأسيسية، عبرت القوات الدولية بقيادة أحمد زوغو الحدود اليوغوسلافية الألبانية لكسر السلطة الثورية القائمة آنذاك. وفي الرابع عشر من كانون الأول ١٩٢٤، عبرت قوات المرتزقة الحدود اليونانية الألبانية. لم تُواجه قوات زوغو التدخلية أي مقاومة جادة، فتوغلت بسهولة في عمق الأراضي الألبانية. بعد أسبوعين من القتال، وبفضل التفوق العددي، واستغلالًا للخمول الذي خيّم على الجهاز الحكومي لنولي، دخلت القوات المعادية للثورة تيرانا. غادر فان نولي، برفقة أعضاء آخرين في الحكومة، وبرفقة مئات من العناصر الديمقراطية والثورية، ألبانيا إلى أراضٍ أجنبية. بعد أيام قليلة من سقوط العاصمة، أعادت حكومة زوغو الإقطاعية، بمساعدة القوى الإمبريالية، ترسيخ سلطتها المعادية للشعب في جميع أنحاء ألبانيا(١٤).

بتاريخ الخامس من كانون الثاني ١٩٢٥، انتخب أحمد زوغو رئيسًا للجمهورية الألبانية المعلن عن تشكيلها حديثاً، وتم اعتماد تيرانا عاصمة رسمية للبلاد، وأرسل فايق كونيكا (Faik Konica) أول سفير رسمي للحكومة الألبانية إلى الولايات المتحدة الاميركية في بداية عام ١٩٢٦. بعد ذلك، شهدت البانيا تغيراً في نظامها السياسي نتيجةً لقيام النظام الملكي فيها، وتوج زوغو ملكاً للألبان في ايلول عام ١٩٢٨ ، كانت حكومة زوغو مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالولايات المتحدة الأميركية، بدليل افتتاح زوغو مكتبًا للقنصل العام الألباني في نيويورك، الذي كان ممثل ألبانيا في منظمة المعارضة العالمية، علاوة على قنصلية في بوسطن، ومنذ أواخر العشرينيات وأوائل الثلاثينيات من القرن العشرين، أبرمت أربع معاهدات ثنائية وإحدى عشرة اتفاقية متعددة الأطراف تم توقيعها بين الجانبين ألبانيا والولايات المتحدة الأميركية(١٥).

لكن تغيرت الأمور كثيراً في عام ١٩٣٧، نتيجة لتأثر ألبانيا بإيطاليا، لا وبل تم احتلالها، في السابع من نيسان ١٩٣٩ من القوات الإيطالية والألمانية، نتيجة لذلك، عبرت الإدارة الأميركية بوصفها دولة عظمى عن سخطها لذلك الوضع في ألبانيا من خلال انتقادات وجهها وزير الخارجية الأميركية كورديل هال (Cordell Hull)، ففي اليوم التالي من الاحتلال والموافق الثامن من نيسان، ادان هذا العمل بشدة بوصفه «غزواً قسريًا وعنيفًا ويشكل تهديدًا إضافياً للسلم العالمي» وعليه لم تعترف الولايات المتحدة الأمريكية بضم البانيا لإيطاليا لأنه انتهاكًا للنظام الدولي ولأهداف السياسة الأمريكية في الحفاظ على استقلال البانيا. وعليه تم إغلاق المفوضية الألبانية في واشنطن رسميًا، على الرغم من إن هال واصل الدعم الأمريكي لألبانيا المحررة(١٦).

لا بد من الوقوف هنا لتوضيح أن رد فعل الولايات المتحدة الأميركية جاء هنا ليس حباً بألبانيا، وغضبهم من احتلالها من إيطاليا، بل ارادت الولايات المتحدة الأميركية، تكسب ثقة الألبان بهم وتبعدهم عن الشيوعية، كونها الداعية نحو الاستقلال والحرية والحكم الديمقراطي.

بعد وقوع ألبانيا بيد سلطات الاحتلال الإيطالي والألماني، ابان اندلاع الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩، برز الثوار الشيوعيون والمقاتلون القوميون، نظراً لهروب الديمقراطيين مع نولي، إلى الدول الاوربية كما مر ذكره سابقاً، لذا تغللوا في ألبانيا، وخاضوا صراعًا شرسًا ضد قوات الاحتلال الإيطالية والألمانية، لا سيما خلال

المدة (١٩٤١-١٩٤٤) بهدف تحرير ألبانيا. بدعم من شيوعي يوغوسلافيا والحزب الشيوعي الألبانيACP)) الذي تأسس بمساعدة الأخيرة، في اواخر ١٩٤١، وبمساعدة من مسلحين بأسلحة بريطانية وأمريكية، هزم الثوار الألبان القوميين في حرب أهلية اندلعت بين استسلام إيطاليا في أيلول ١٩٤٣ وانسحبت القوات الألمانية من ألبانيا أواخر عام ١٩٤٤. نظراً لذلك النصر الشيوعي العسكري، اندفع الشيوعيين الألبان من وراء الكواليس إلى مركز الصدارة في السياسة الألبانية. فعلى الرغم من أن الكُتّاب الألبان لم يكلّوا من الإشارة إلى أن الشيوعيين «حرّروا» ألبانيا دون أن تطأ قدم جندي سوفيتي واحد أراضيها، إلا أنهم غالبًا ما أهملوا ذكر أن القوات الشيوعية في ألبانيا نظمت من اليوغوسلاف وسُلّحت من الغرب، أو أن انسحاب دول المحور من ألبانيا كان ردًّا على الهزائم العسكرية خارج البلاد(١٧).

وفي تشرين الثاني ١٩٤٤، حرر جبهة التحرير الوطني(١٨)، العاصمة تيرانا أخيرًا. بحلول ذلك الوقت، تقرر تشكيل حكومة من اللجنة المناهضة للفاشية التابعة لجبهة التحرير الوطنية، برئاسة الجنرال أنور خوجاEnverHoxha)(١٩)، أُرسلت فرقتان حزبيتان (سرعان ما أصبح عددهما ستة) لمساعدة يوغوسلافيا في قتال الألمان، على الرغم من أنه سرعان ما اتضح أن يوغوسلافيا كانت تنوي ضم ألبانيا إلى اتحاد كونفدرالي محكم. منذ تشرين الثاني ١٩٤٤، تدخلت يوغوسلافيا، كعادتها، في الشؤون الألبانية، وحددت خطها الحزبي، وتطور اقتصادها، وغير ذلك الكثير (٢٠).

بعد تخلص ألبانيا من الاحتلال في التاسع والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٤٤، دعمت الإدارة الأميركية حكومة أنور خوجا الشيوعية، إذ أعلنت صراحةً عن مبادئهم الديمقراطية، وتقديرهم لحقوق الإنسان، واكدوا على اجراء انتخابات عامة في الثاني من كانون الأول ١٩٤٥ وبالفعل أجريت تلك الانتخابات التي فازت بها جبهة التحرير الوطني بنسبة ٩٧٪. واعترفت قوات الحلفاء في النهاية بحكومة أنور خوجا في العاشر من كانون الأول من العام نفسه، لكن دخلت الحكومة الألبانية بسرعة كبيرة في مدار الاتحاد السوفيتي، مما جعل من الصعب على الولايات المتحدة الأميركية الحفاظ على موقفها الخاص(٢١).

يبدو أن اعتراف الإدارة الأميركية بحكومة أنور خوجا الشيوعية لم يأتي عبثاً، بل أن الولايات المتحدة الأميركية، كانت ترى أن كفة الميزان ستميل نحو حكومة خوجا، وكان ذلك واضحاً من خلال الانتخابات التي جرت في البانيا، لكن مع ذلك الاعتراف لكنها دخلت في فلك المعسكر الشيوعي التابع ليوغسلافيا والاتحاد السوفيتي والصين الشعبية.

على كل حال، كانت ألبانيا مدمرة: فقد تعطل معظم مناجمها، وتدمرت ثلث منازلها، وتضررت صناعة البترول بشكل خطير، ودمرت الموانئ والجسور، ونفقت ثلث الماشية، ودمرت المعدات الزراعية، لذا كانت مرشحة بوضوح للمساعدة من الأمم المتحدة للإغاثة والتأهيل. لكن رفضت الحكومة أي شيء باستثناء الطعام، ويرجع ذلك جزئيًا لنفوذ الاتحاد السوفيتي ويوغوسلافيا، حتى لا تتعايش ألبانيا مع الغرب الغني والنافذ سياسيًا. لذا استولى الشيوعيون، على السلطة من دون صعوبة، وصادروا جميع الممتلكات الألمانية والإيطالية وممتلكات المهاجرين السياسيين، وحظروا تصدير المعادن الثمينة والمنتجات الزراعية، وأمّموا الأراضي وأعادوا توزيعها، وأدخلوا يوم العمل بثماني ساعات. حظي التعليم باهتمام خاص لأن ٨٠٪ من السكان كانوا أميين، ولم يلتحق بالمدرسة سوى طفل واحد من كل ثمانية عشر طفلًا. بعد أن بدأ حياته كامتداد (للحزب الشيوعي اليوغوسلافي)، انقسم (حزب الشعوب الأفريقية والكاريبي والمحيط الهادئ) بين مؤيدي الوحدة مع يوغوسلافيا بشروط زعيمهم اليوغسلافي جوزيف بروز تيتو Josip Broz Tito) (٢٢)، ومؤيدي الاستقلال التام لألبانيا الكبرى، أي بما في ذلك كوسوفو. لكن لم يستطع تيتو السماح لكوسوفو بالانفصال عن يوغوسلافيا، لأنه كرواتي، لذا كان عليه أن يرضي نظرة الصرب لتلك المنطقة كجزء من إمبراطوريتهم القديمة. لكن بدأت

يوغسلافيا، ببذل الجهد من أجل تحسين الأوضاع الألبانية، لكي تكسب ولائها، لذا وفّرت نصف دخل الدولة الألبانية، وعلّمت الف وخمسمائة طالب ألباني في جامعاتها، ودرّست اللغة الصربية الكرواتية في المدارس الألبانية، وربطت البلاد بسبع وعشرين معاهدة مختلفة تغطي الأسعار المشتركة والعملة والاتحاد الجمركي. لكن مثّلت ألبانيا في اجتماعات الكومينفورم (Cominform) وهو مكتب الاعلام الشيوعي، استياء الألبان من هيمنة تيتو عليهم، في حين كان أنور خوجا، ينحني مع أي ريح هبّت بقوة بين تيتو وجوزيف ستالين Stalin Joseph) (٢٣)، حتى عام ١٩٤٧، تغيرت الأمور حينما أرسل تيتو طائرات مقاتلة إلى ألبانيا واستعدت ألبانيا لإرسال فرقتي مشاة كجزء من ميثاق عسكري مقترح. لكن ندد ستالين بالميثاق، وفي حزيران ١٩٤٨، نددت اللجنة المركزية الألبانية بتيتو، ووصفته «بالخائن»، وألغت جميع المعاهدات ولحقت مباشرة بموسكو، وأعلنت انفصالها عن يوغسلافيا(٢٤).

• العلاقات الالبانية – السوفيتية (١٩٤٩-١٩٦١):

اصبحت ألبانيا جزءاً سياسياً من الشرق، ومن ثم جزءاً من الأنظمة الشمولية في الدول الشيوعية السابقة. في البداية، كانت تربطها علاقات وثيقة مع بلغراد، حتى مع اكتمال مشروع تأسيس الجمهورية السابعة للاتحاد اليوغوسلافي. بعد انفصال يوغوسلافيا عن الاتحاد السوفيتي والدول الشيوعية التابعة له، انحازت ألبانيا إلى ستالين وأعلنت عدائها ليوغوسلافيا تيتو. بعد ذلك، حافظت تيرانا على علاقات وثيقة للغاية، أشبه بعلاقات تابعة، مع موسكو والكرملين(٢٥).

اعتمدت ألبانيا على المساعدات والخبرة السوفيتية بعد الانفصال عن يوغوسلافيا عام ١٩٤٨، في شباط ١٩٤٩، انضمت إلى منظمة الكتلة الشيوعية لتنسيق التخطيط الاقتصادي، وهي مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة (الكوميكون). وسرعان ما أبرمت اتفاقيات تجارية مع بولندا وتشيكوسلوفاكيا والمجر ورومانيا والاتحاد السوفيتي. واتخذ المستشارون الفنيون السوفييت ومن أوروبا الشرقية، ألبانيا مقرًا لهم، وأرسل الاتحاد السوفيتي مستشارين عسكريين إلى ألبانيا وبنى منشأة غواصات في جزيرة سازان(Sazan Island). وخلال ذلك العام، اعتمدت ألبانيا العناصر الأساسية للنظام المالي السوفيتي، التي بموجبها تدفع الشركات الحكومية مساهمات مباشرة للخزانة من أرباحها، وتحتفظ فقط بحصة مصرح بها للتمويل الذاتي في الاستثمارات وغيرها من الأغراض. في عام ١٩٥١، أطلقت الحكومة الألبانية خطتها الخمسية الأولى، التي شددت على استغلال موارد البلاد من النفط والكروميت والنحاس والنيكل والإسفلت والفحم؛ وتوسيع إنتاج الكهرباء وشبكة الكهرباء؛ وزيادة الإنتاج الزراعي؛ وتحسين النقل. بدأت الحكومة برنامجًا للتصنيع السريع بعد المؤتمر الثاني للحزب الشيوعي الألباني وحملة التجميع القسري للأراضي الزراعية في عام ١٩٥٥. ظلت العلاقات السوفيتية الألبانية دافئة خلال السنوات الأخيرة من حياة ستالين، على الرغم من أن ألبانيا كانت تُشكل عبئًا اقتصاديًا على الاتحاد السوفيتي(٢٦).

الجدير بالذكر، أن ألبانيا أصبحت في عام ١٩٥٥، عضوًا مؤسسًا في (منظمة حلف وارسو) (The Warsaw Pact) ، وهو التحالف العسكري الشيوعي الوحيد الذي انضمت إليه البلاد على الإطلاق. على الرغم من أن المعاهدة مثلت أول وعد حصلت عليه ألبانيا من أي دولة شيوعية للدفاع عن حدودها، إلا أنها لم تُخفف من انعدام ثقة القادة الألبان في يوغوسلافيا. لكن من المثير للانتباه أن خوجا استغلّ قلق الألبان العميق من الهيمنة اليوغوسلافية للبقاء في السلطة خلال المدة التي أعقبت المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي عام ١٩٥٦، لذا فيحتما أدان خليفة ستالين، نيكيتا خروشوف .Khrushcihev Nikita,S)) (٢٧) جرائم ستالين في «خطابه السري»، دافع خوجا عن ستالين بقوة، وألقى باللوم على بدعة تيتو في الاضطرابات التي أزعجت الشيوعية العالمية عام ١٩٥٦(٢٨).

وبناءً على ذلك، طهر خوجا الحزب المعتدلين ذوي الميول المؤيدة للسوفييت واليوغوسلافية بلا رحمة، لكنه خفف من حدة خطابه المناهض ليوغوسلافيا بعد زيارة قام بها إلى موسكو في نيسان ١٩٥٧، من أجل تحقيق طموحات بلاده الاقتصادية، فقد نجح في إلغاء قرابة ١٠٥ ملايين دولار أمريكي من القروض المستحقة وقرابة ٧.٨ مليون دولار أمريكي من المساعدات الغذائية الإضافية. وبحلول عام ١٩٥٨، عاد خوجا ليشكو من «فاشية» تيتو و»إبادة الألبان» في كوسوفو. وتذمر من خطة الكوميكون لدمج اقتصادات أوروبا الشرقية، التي دعت ألبانيا إلى إنتاج السلع الزراعية والمعادن بدلاً من التركيز على تطوير الصناعات الثقيلة. وفي زيارة إلى ألبانيا استمرت اثني عشر يومًا في عام ١٩٥٩، حاول خروشوف خلالها في أن يقنع خوجا بأن تصبح ألبانيا «بستانًا» للاشتراكية(٢٩).

وبذاك يظهر أن الحكومة الالبانية ابتعدت كل البعد عن الولايات المتحدة الأميركية، إذ كان هناك عداء متبادل بين الجانبين الرأسمالي والشيوعي، حتى مع انتقال ألبانيا من اليوغوسلافية إلى الهيمنة السوفيتية إلى الصينية التي سيتم الحديث عنها بالتفصيل.

لكن من الملفت للانتباه، أن العلاقات الالبانية–السوفيتية، لم تستمر بعد وفاة الزعيم السوفيتي جوزيف ستالين، إذ هبت رياح التغيير على موسكو– قلب العالم الشيوعي– وشهدت تحولات سياسية جوهرية. وأدى صعود نيكيتا خروتشوف إلى السلطة في الاتحاد السوفيتي إلى بدء الانقسام الألباني السوفيتي. وكانت ألبانيا أول دولة من «حلفاء» موسكو في شرق أوروبا تتحدى قيادة المعسكر الشيوعي السوفيتي علنًا(٣٠). فعلى الرغم من أن الاتحاد السوفييتي قدّم لألبانيا مساعدات كبيرة. ووعد القادة السوفييت ببناء قصر ثقافي كبير في تيرانا كرمز لـ «حب وصداقة» الشعب السوفييتي للألبان أيضًا. ولكن على الرغم من هذه المبادرات، إلا أن حكومة تيرانا كانت غير راضية عن سياسة موسكو الاقتصادية تجاه ألبانيا. وبيد أن خوجا ورئيس وزرائه محمد شيخو (Mehmet Shehu) (٣١)، قررا خلال شهري أيار وحزيران ١٩٦٠ ضمان دعم الصين لألبانيا، وانحازا علنًا إلى الصين عندما اندلعت خلافات حادة بين الصين والاتحاد السوفييتي، وكان وفد ألبانيا، الوحيد من بين الوفود الأوروبية، الذي دعم الصينيين. وكرد فعل لذلك التصرف، نظمت الاتحاد السوفييتي على الفور حملة للإطاحة بحكومة خوجا وشيخو في صيف ذلك العام. ومن ثم قطعت موسكو شحنات الحبوب إلى ألبانيا خلال مدة جفاف، وشجعت السفارة السوفيتية في تيرانا علنًا فصيلًا مواليًا للسوفييت داخل حزب العمال الألباني للوقوف ضد من يؤيد للصين. لكن على الرغم من ذلك التصرف من الاتحاد السوفيتي، لكنها لم تنجح اطاحة حكومة خوجا، نظرًا لسيطرة الأخير المحكمة على أجهزة الحزب، والجيش، والشرطة السرية، لشيخو ومديرية أمن الدولة، تصدى الزعيمان الألبانيان للتهديد بسهولة. بعدها، شن خوجا هجومًا مضاداً على قيادة الاتحاد السوفيتي للحركة الشيوعية الدولية في مؤتمر موسكو في تشرين الثاني ١٩٦٠ للأحزاب الشيوعية في العالم. لكن نظراً لذلك الهجوم وصف القادة الشيوعيون الموالون لموسكو إن أداء خوجا كان «عصابي» و»طفولي»، وأخمد وصفهم أي فرصة للتوصل إلى اتفاق وتسوية بين موسكو وتيرانا(٣٢).

لذا تدهورت العلاقات مع الاتحاد السوفيتي كثيراً، وواصل خوجا وشيخو خطابهما اللاذع ضد الاتحاد السوفيتي ويوغوسلافيا في المؤتمر الرابع للحزب الشيوعي الألباني في شباط ١٩٦١، وخلال المؤتمر، أعلنت الحكومة الألبانية الخطوط العريضة للخطة الخمسية الثالثة للبلاد (١٩٦١–١٩٦٥)، التي خصصت ٥٤٪ من إجمالي الاستثمارات للصناعة، رافضةً بذلك رغبة خروتشوف في جعل ألبانيا منتجًا زراعيًا بالدرجة الأولى(٣٣).

بناءً على تلك التطورات، فرضت القيادة السوفيتية عددًا من الإجراءات العقابية على الألبان لرفضهم دعم الموقف السوفيتي، منها: في كانون الأول ١٩٦٠، ألغى السوفييت المنح والائتمانات؛ وقطعوا جميع أشكال التجارة؛ في نيسان ١٩٦١، سحب الاتحاد السوفيتي مستشاريه؛ وفي منتصف العام نفسه، ألغت موسكو

المنح الدراسية للطلاب الألبان في الاتحاد السوفيتي، ورحّلت جميع من تبقى منهم لاحقًا. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحال، إذ حذا حلفاء موسكو في أوروبا الشرقية حذوها. فقلصوا جزءًا كبيرًا من الدعم الذي قدموه لألبانيا منذ أواخر الاربعينيات من خلال الكوميكون. لذا يمكن القول أن الإجراءات السوفيتية وجهت ضربة موجعة للاقتصاد الألباني. في حين لم يستطع الالبان فعل شيء غير قيامهم بحملة إعلامية استمرت شهرًا ضد خروتشوف، تصدّرها خطابٌ ألقاه خوجا في السابع من تشرين الثاني من العام نفسه، بُثّ على نطاق واسع عبر إذاعة تيرانا. في خطابه، حثّ خوجا الشعب الألباني بكلماتٍ أصبحت مشهورة آنذاك: «سيأكل الشعب الألباني، وحزب العمال التابع له، العشب، حتى لو كان ذلك ضروريًا، حتى لا يُباعوا، مقابل ثلاثين قطعة من الفضة للإمبرياليين». وبعد أربعة أيام من ذلك الخطاب، وجّه الألبان رسالةً إلى اللجنة المركزية السوفيتية المنتخبة حديثًا، مناشدين إياها التدخل ضد «الأعمال الوحشية والمعادية للماركسية التي قام بها خروتشوف وجماعته». وفي الشهر التالي، أُغلقت سفارات الدولتين، وفي بداية عام ١٩٦٢، طردت البانيا من حلف وارسو ومنظمة الكوميكون بحكم الأمر وانقطعت العلاقات الألبانية–السوفيتية(٣٤).

يمكن القول أن مسألة انفصال ألبانيا عن الاتحاد السوفيتي، لم تكن من المسائل السهلة في المجتمع الدولي، لا سيما وأن ألبانيا كانت دولة صغيرة معتمدة على الدعم الخارجي بشكل كبير، لكن يبدو أنها تحدت الاتحاد السوفيتي بشكل عام، ايدلوجية خروتشوف الجديدة في جعل ألبانيا دولة زراعية، لذا فيبدو أن حكومة أنور خوجا كانت تخطط لذلك الانفصال منذ وفاة ستالين، لكنها مع ذلك مطلع الستينيات لم تستطع أن تعتمد على نفسها، لذا قررت الانضمام إلى الصين الشعبية وكما سيتم الحديث عنها بالتفصيل.

• العلاقات الألبانية– الصينية (١٩٤٩–١٩٧٨):

اقامت ألبانيا علاقات دبلوماسية مع جمهورية الصين الشعبية منذ الثالث والعشرين من تشرين الثاني ١٩٤٩. وقد رحبت الحكومة الألبانية بانتصار الثورة الصينية عام ١٩٤٩ (٣٥)، وأشادت به، وكانت من أوائل الدول التي اعترفت بالدولة الصينية الجديدة وأقامت علاقات ودية معها(٣٦).

قبل التطرق لتفاصيل العلاقات الألبانية–الصينية، لا بد من توضيح أن كل ألبانيا والصين تعدان دولتان متباعدتان للغاية. فكما هو معروف تقع الصين في شرق القارة الآسيوية، بينما تقع ألبانيا في جنوب شرق أوروبا كما مر ذكرها في الصفحات الأولى من البحث. قبل انتصار الثورة الصينية عام ١٩٤٩، لم تكن لدى ألبانيا أي تصور لفرص بناء علاقات ملموسة مع هذا البلد. وفي المنوال نفسه لم تكن لدى الصين أي نية لإقامة علاقات صداقة وثيقة مع ألبانيا والألبان. ولكن جذب انتصار الثورة الصينية، بقيادة الرئيس ماو تسي تونغ(Mao Tse Tong) (٣٧)، إقامة نظام مشابه لألبانيا في الصين، أي النظام الشيوعي، انتباه تيرانا الشيوعية على الفور، بهدف إقامة علاقات ليس دبلوماسية فحسب، بل سياسية واقتصادية أيضًا. كانت ألبانيا والصين من أوائل الدول التي أقامت علاقات دبلوماسية، مباشرة بعد انتصار الثورة الصينية(٣٨).

نتيجة لذلك، اتجه أنور خوجا على رأس وفد رفيع المستوى في زيارة إلى الأراضي الصينية عام ١٩٥٦، إذ ترأس وفدًا في المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي الصيني. ولم يكن لدى الوفد الألباني أي معرفة شخصية بالصين والسياسة الصينية، باستثناء ما تلقاه من السوفييت. بعد وصوله إلى بكين في الثالث عشر من أيلول من العام نفسه، عقد خوجا اجتماعه الأول والوحيد مع ماو تسي تونغ ، بين دورات مؤتمر الحزب(٣٩) ومع ذلك، ارتبط الاتصال السياسي المباشر بين الصين وألبانيا، بعد وفاة ستالين وصعود نيكيتا خروشوف سدة الحكم، فحينما عُقد اجتماع للأحزاب الشيوعية والعمالية في بوخارست عام ١٩٥٧، برزت تناقضات عديدة بين القادة الشيوعيين في موسكو وحلفائهم من جهة، والحزب الشيوعي الصيني من جهة أخرى. ولم يكن هذا ليتوافق مع هيمنة الدول الشيوعية في الاتحاد السوفيتي على المشهد السياسي. أما ألبانيا، المهددة بضغوط

لتغيير سياساتها الأيديولوجية والقلق من اليوغسلافيين كما مر ذكره، فقد تمركزت على الفور في صف القادة الشيوعيين في الصين، متحديةً خط خروتشوف الجديد لإزالة الستالينية. في الواقع، لم يكن ستالين وولاءه هما السبب وراء تحليل أعمق لأسباب تغيير ألبانيا لحليفها الرئيس. فكما هو معروف كانت مشكلته الرئيسة هي الحفاظ على السلطة بأي ثمن وبأي وسيلة. في ظل هذه الظروف، فكر في مصلحته الخاصة، فتخلى عن تحالف لبناء تحالف جديد مع جمهورية الصين الشعبية. من الناحية الاستراتيجية، كان ينبغي الترحيب بهذا، لأن وجود الصين في ألبانيا لم يهدد سلامة أراضيها واستقلالها. على العكس من ذلك، لم تجلب الروابط والعلاقات الوثيقة مع جمهورية الصين الشعبية، سوى التقدم في المجالات الاقتصادية والعسكرية وغيرها لألبانيا(٤٠).

لقد وُثّق التعاون في العلاقات الصينية– الألبانية بعد قطع العلاقات مع الاتحاد السوفيتي بوثيقتين رئيسيتين: «الإعلان الصيني الألباني» الصادر في ١٩٦٤ و»الإعلان الصيني الألباني» الصادر في أيار ١٩٦٦. وقد أعربت كلتا الوثيقتين عن عزم البلدين على اتباع مسار تعاون ثنائي قوي. وفي هذا السياق، وُقعت العديد من الاتفاقيات والبروتوكولات للتعاون بين البلدين في مجالات: الاقتصاد، والتجارة، والثقافة، والعلوم، والتعليم، والفنون والثقافة، علاوة على النقل العسكري والبحري. وخلال النصف الثاني من ستينيات القرن الماضي، بلغ التعاون بين الصين وألبانيا ذروته. في هذه المدة، صدَّرت ألبانيا إلى الصين، من بين سلع أخرى كثيرة، معادن الكروم، ووقود النفط، والبيتومين، والنحاس، والتبغ؛ في حين صدَّرت الصين إلى ألبانيا الآلات، والأدوات، والتكنولوجيا اللازمة للصناعة والطاقة، وغيرها (٤١).

تحسنت العلاقات الصينية–الألبانية، كثيراً في منتصف الستينيات، فنذكر أنه آذار عام ١٩٦٥، زار رئيس الوزراء تشو إن لاي (Chou En Lai) (٤٢)، ألبانيا، وأبرزت هذه الزيارة مستوى الرضا الكبير الذي تكنّه الحكومتان لبعضهما البعض، وأعرب رئيس الوزراء الصيني مراراً وتكراراً عن دعم الصين الثابت لألبانيا. وفي الشؤون الأيديولوجية والداخلية، كانت جميع التصريحات ووجهات النظر متطابقة، ولكن في القضايا الدولية، برزت بعض الاختلافات. وفي هذه الزيارة، التقى رئيس الوزراء تشو بالرئيس خوجا، وأعرب كلاهما عن مواقفهما من الظروف الاجتماعية والسياسية السائدة في ذلك الوقت. مرة أخرى، اكدا العدو الرئيس لهما هو «الإمبريالية الأمريكية»، إذ اتفق الطرفان عد تلك الإمبريالية التهديد الرئيس للسلام(٤٣).

لكن انقلبت الأمور رأساً على عقب، وتزعزعت العلاقات الألبانية– الصينية في العام التالي أي ١٩٦٦، أثر اندلا ع الثورة الثقافية الصينية(٤٤). فعندما بدأت الثورة خلال ذلك العام، استُدعي جميع السفراء الصينيين تقريبًا إلى بكين «لإعادة التأهيل». لم تعارض ألبانيا الثورة الثقافية علنًا، لكن قادتها خشوا من أن تُعرض الاضطرابات التي أحدثتها للخطر، من خلال دفع الصين إلى التخلي عن نهجها القائم حينذاك. فعندما انطلقت الثورة، وخشي أنور خوجا من احتمال استرضاء الصين للاتحاد السوفيتي، الأمر الذي قد يدفعه في النهاية إلى مراجعة موقف ألبانيا المتشدد تجاه كلٍ من الاتحاد السوفيتي ويوغوسلافيا وحتى الصين. ومع ذلك، أدرك خوجا، أن هذه الثورة لم تكن تحديًا لنموذجه الاشتراكي– الستاليني – بل فرصةً للتقدم في الاقتصاد والدفاع عن البلاد إذا ما دعم من الصين. مع من ذلك، اختارت وزارة الخارجية الالبانية الانتظار ورؤية كيف سيتطور الوضع، معتبرةً أنه من غير الضروري دعم الثورة الثقافية أو انتقادها، وأكدت في ردها أن «ما يحدث هو شأن داخلي صيني». لكن سارعت الصين إلى طلب الدعم الالباني، ودعت وفدًا بقيادة رئيس الوزراء محمد شيخو إلى الصين في نيسان من ذلك العام (٤٥).

لبى محمد شيخو دعوة الصين له، وخلال تلك الزيارة اثارت قضايا أيديولوجية وسياسية بين الصين وألبانيا، إذ كشفت عن الفجوة بينهما. فكان أبرز ما كشف عن التباين بين الجانبين في المسائل الأيديولوجية هو أفكارهما حول طبيعة الصراع الطبقي في الدول الاشتراكية القائمة. بالنسبة تشو إن لاي اوضح «في الدول الاشتراكية،

يستمر الصراع الطبقي لفترة طويلة»، وبناءً على هذا الافتراض، «لا تزال هناك إمكانية لاستعادة الرأسمالية». لذا فقد أوضح «أن نضالنا ضد التحريفية... سيدار بشكل رئيس داخل صفوف الحزب»، ومن هنا جاءت ضرورة الثورة الثقافية في الصين. أما ألبانيا، فقد أكدت «أن الهدف الرئيس للثورة كان القضاء على الطبقات الاستغلالية، والبرجوازية كطبقة. لولا ذلك، لما عد الشيوعيون مهمتهم التاريخية في تحرير البروليتاريا منجزة»، أكد شيخو، «لم يتبقَّ سوى بقايا البرجوازية، ومن ثم ليست الطبقة ككيان لا يزال قادرًا على تحدي السلطة السياسية للشيوعيين». وبالنسبة لشيخو، فإن قبول الافكار الصينية كان سيعني أن الاشتراكية في ألبانيا لم تتحقق بعد. اتهم تشو إن لاي شيخو بإنكار الصراع الطبقي، لكن رئيس الوزراء أصرّ على عدم وجود طبقات متعارضة في ألبانيا، وأن الاشتراكية راسخة بالفعل. في النهاية، تحول هذا الجدل إلى شجار أعاق توقيع البيان المشترك للحزبين والحكومتين. وبعد المفاوضات، كان البيان النهائي، إلى حد ما، بيانًا عامًا، يعكس وجهات نظرهما حول المجتمعات الاشتراكية وضرورة الصراع الطبقي(٤٦).

بعد ذلك الوقت، تحديداً في الخامس من تشرين الأول عام ١٩٦٦ ، أوضح وزير خارجية النمسا لوجو تونسيتش سوريني (Lujo Tonic Sorin) (٤٧)، من جهته، أن حكومة ألبانيا تريد أجراء مقابلة وزير الخارجية دين راسك (Dean Rusk)) (٤٨) الامريكي. وأشار الوزير تونسيتش إلى مقاربات خوجا تجاهه، قائلا: «لقد أشار الألبان إلى رغبتهم في الاقتراب من الغرب، لكن يبدو أنهم يخشون أن ينفر الغرب منهم». وسأل تونسيتش الوزير عما إذا كان يتوقع أي تغيير في الموقف الدبلوماسي لألبانيا. تكهن راسك «أن الألبان يمكن أن يصبحوا مضطربين تحت احتكارهم من الصين»، وأشار إلى أنه «سيكون من الخطأ الكبير أن تحاول الولايات المتحدة الأميركية التحقيق في نوايا الألبان». في حين أن التجارة كانت شبه معدومة بين البلدين(٤٩).

ساءت العلاقات الألبانية – الصينية كثيراً، فبعد الثورة الثقافية الصينية، اختلفت النوايا الصينية تجاه البلقان عن موقف ألبانيا. ولمواجهة هيمنة الاتحاد السوفيتي على المعسكر الشيوعي بشكل أفضل، رأت الصين أن التعاون في البلقان بين الدول التي روجت لسياسات مستقلة عن موسكو، مثل يوغوسلافيا ورومانيا وألبانيا، أمرٌ بالغ الأهمية. وكان صانعو السياسات الصينيون يعتزمون إنشاء نقطة ارتكاز إقليمية قوية، تحت تأثير بكين، لمصالحهم المستقبلية في أوروبا. وهذا يتناقض مع موقف ألبانيا الذي عد يوغوسلافيا تهديدًا كبيرًا لأمنها القومي، مستبعدًا بذلك أي تعاون محتمل. علاوة على ذلك، أراد القادة الألبان علاقة حصرية مميزة مع الصين، مما استبعد هذا الخيار بالنسبة للدول الأخرى في أوروبا الشرقية التي عدها القادة الألبانيون رجعية للخط الشيوعي. اتخذ رئيس الوزراء تشو إن لاي الخطوة الأولى نحو تحالف البلقان بين رومانيا ويوغوسلافيا وألبانيا عام ١٩٦٨. كان تشو يعلم صعوبة إقناع ألبانيا بالتعاون مع الدول المذكورة. ونظرًا للعلاقات المتوترة سابقًا بين تيتو وخوجا، كان التحالف بين بلغراد وتيرانا شبه مستحيل. لذا حاول تشو إقناع القيادة الألبانية أن استقرار العلاقات مع يوغوسلافيا، وانخراط تيرانا في تعاون أوسع مع دول البلقان الأخرى، مثل رومانيا، من شأنه أن يعزز أمن ألبانيا (٥٠).

ولكن على الرغم من تلك التوترات بين الصين وألبانيا، إلا أن الصين قبلت في عام ١٩٦٨، معظم الطلبات الاقتصادية الألبانية، منها: بناء محطة الطاقة الكهرومائية الجديدة الكبيرة في فييرزا (Fierza) ؛ وتوسيع صناعة الصلب مع مصنع المعادن في إلباسان (Elbasan) – أكبر مجمع صناعي ثقيل تم بناؤه على الإطلاق في ألبانيا؛ وافقت الصين على قرض بقيمة ١,٥٦ مليار يوان و٣٥ مليون دولار نقدًا، وهو أعلى بكثير من قرض الخطة الخمسية السابقة(٥١).

على العموم، حصلت تغيرات داخل الحزب الشيوعي الصيني في نيسان ١٩٦٩، إذ عقد المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي الصيني، وعين لين بياو (Lin Biao) (٥٢)، خليفةً لماو تسي تونغ رسميًا، وأكد الدستور الجديد للحزب بوضوح أن الماركسية اللينينية وفكر ماو هما الأساس النظري الذان يوجهان فكر الحزب. وبهذه المناسبة

وجه أنور خوجا في التاسع والعشرين من الشهر نفسه، رسالةً قويةً هنأ فيها المؤتمر التاسع للحزب الصيني، إذ قال :»... نحيي بحرارة اللجنة المركزية الجديدة التي انتخبها المؤتمر الوطني التاسع للحزب الشيوعي الصيني. تتألف هذه اللجنة المركزية من ثوريين اختبروا نضالات طبقية ضارية وفي لهيب الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى، مخلصين بلا حدود لماو تسي تونغ وله. وإن الشيوعيين الألبان والشعب الألباني، يؤيدون الشيوعيين الصينيين، وجميع الماركسيين اللينينيين والثوريين في العالم...» (٥٣).

لكن لين بياو أراد تطبيع العلاقات مع الولايات المتحدة الأميركية ضد الاتحاد السوفيتي، لأنه عد الأخير خصمًا أشد خطرًا على مصالح بلاده، وكان ذلك في عام ١٩٧٠ (٥٤).في المقابل تحركت الولايات المتحدة الأميركية مرحبةً بذلك التطبيع، لذا بعثت هنري كيسنجر (Henry Kissinger) (٥٥)، في زيارة سرية إلى الصين في التاسع من تموز ١٩٧١، وبذلك حققت الإدارة الأميركية نجاحًا باهرًا في سياستها الخارجية. بعدها عندما أصدر الرئيس الأميركي ريتشارد نيكسون (Nixon Richard) (٥٦)، الإعلان الشهير في الخامس عشر من تموز ١٩٧١، أي بعد أربعة أيام من الزيارة السرية، كانت الصدمة في جميع أنحاء العالم، وخاصة في تيرانا، ذات أبعاد كارثية. بعدها بيومين، استدعى رئيس الوزراء الصيني تشو إن لاي السفير الألباني في بكين للاستماع إليه لإبلاغه بزيارة كيسنجر. وذكر تشو للسفير إن هدف زيارة كيسنجر هو تمهيد الطريق لزيارة الرئيس نيكسون إلى الصين، واكد أن جوهر الزيارة بما يتوافق مع المصلحة الصينية(٥٧).

كان ينبغي عليه أن يكون أكثر حرصًا، لأن بقاء ألبانيا الاقتصادي يعتمد على العلاقات مع الصين لكن جنون عظمة أنور خوجا، وضعته في خطأ، وذلك لأنه أرسل رسالة مطولة من تسعة عشر صفحة إلى ماو تسي تونغ في السادس من آب ١٩٧١، جاء في مضمونها: «نُعلمك أننا لا نوافق على قرارك باستقبال نيكسون في بكين». لقد أدت زيارة هنري كيسنجر إلى «محو» ألبانيا من خريطة مصالح الصين. كان خوجا على دراية بذلك حتى من خلال عدم ورود أي رد من الصين على رسالته. بتلك الرسالة قضى خوجا على كل شيء. وإدراكًا منه لما حدث، أراد إصلاح الوضع، فقد أرسل رسالة ثانية في الأول من أيلول من العام نفسه، تضمنت دعوة لوفد صيني من اللجنة المركزية للمشاركة في المؤتمر السادس لحزب العمال الألباني، وصل الرد من الصين بعد شهر ونصف، في الرابع عشر من تشرين الأول من العام نفسه، معرباً عن أسفها لعدم إرسال وفود إلى أحزاب شيوعية أخرى، بموجب قرار المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي الصيني، كان هذا الرد الرسمي بمثابة «قنبلة للقيادة الألبانية»(٥٨).

بعدها، شهد عام ١٩٧٢ مزيدًا من تفاقم العلاقات بين الصين وألبانيا. وقد أثرت زيارة الرئيس نيكسون في شباط ١٩٧٢ تأثيرًا كبيرًا في تغيير سياسة ألبانيا تجاه الصين. وبلا شك أن زيارة الرئيس نيكسون للصين كانت بمثابة ضربة موجعة لأنور خوجا لانهما طبعا علاقاتهما. كانت صدمته هائلة، لكنه لم يستطع مهاجمة الصين لفظيًا مثلما فعل مع يوغوسلافيا والاتحاد السوفيتي(٥٩).

لذا أصبحت ألبانيا وحيدة في الساحة الدولية، وكان من الصعب على أنور خوجا تقبُّل «خيانة» الصين. فكان من المتوقع أن يتخذ خطوة لقطع العلاقات نهائيًا. فخلال المدة (١٩٧٣-١٩٧٤) ساءت العلاقات الألبانية-الصينية من الناحيتين العسكرية والتجارية بشكل كبير، وادعى خوجا لأول مرة أن العدوان الأيديولوجي يسبق العدوان العسكري والاقتصادي. ومما زاد الأمور سوءاً، هو الاحداث الدولية التي انعكست على ألبانيا، ففي تموز ١٩٧٥، وقّعت جميع الدول الأوروبية، باستثناء ألبانيا، اتفاقية هلسنكي (Helsinki Accord) وغرقت البلاد أكثر فأكثر في عزلة ذاتية غير مسبوقة. ووصلت العلاقات مع الصين إلى ذروتها، ونتيجة لتدهور الأوضاع لا سيما الاقتصادية في ألبانيا، فقد اتجه وفد رفيع المستوى من ألبانيا، برئاسة نائب رئيس الوزراء عادل جارتشاني (Adil Çarçani)، إلى الصين في الرابع عشر من حزيران ١٩٧٥. وكان الهدف هو

تقديم طلب جديد للحصول على ائتمان جديد للخمسية السادسة (١٩٧٦-١٩٨٠). وافقت الصين على منح ألبانيا قرضًا جديدًا بقيمة (٢٢٥ مليون روبل) بدلاً من ٨٢٣ مليون روبل المطلوبة من ألبانيا. علاوة على ذلك، طلب الوفد الألباني بناء عشرين منشأة جديدة، لكن الصينيين وافقوا فقط على ١٠٤٣ منشأة. خلال المفاوضات، أثار الجانب الصيني بعض المشاكل المتعلقة بالقروض غير المسددة ومشاكل نقل الماشية من الصين إلى ألبانيا. لذا في الحادي عشر من تموز ١٩٧٥، بعد عودته من الصين، قدم عادل جارتشاني الاقتراح التالي: «لمواجهة الوضع الحالي، يجب أن ندعو إلى التعبئة العامة لاستغلال جميع الفرص والاحتياطيات المتاحة من اقتصاد شعبنا، بالاعتماد فقط على قواتنا الذاتية» (٦٠).

يمكن القول أن اقتراح عادل جارتشاني، لم يكن اعتباطياً، فيبدو أنه حينما سافر إلى الصين، لم ير أية تعزيزات ودعم للجانب الالباني، فكان واضحاً من خلال زيارته لهم أن الصين هي الأخرى التي تحاول أن تبتعد عن ألبانيا، لذا أكد في اقتراحه في مواجهة الازمات نحو الاتجاه للاعتماد الذاتي.

وعلى أثر وفاة ماو تسي تونغ، في التاسع من أيلول ١٩٧٦، بعث أنور خوجا في اليوم نفسه برسالة تعزية مشتركة إلى الحزب الشيوعي الصيني والمجلس الوطني لنواب الشعب ومجلس الدولة. وجاء في الرسالة: «ببالغ الحزن والأسى، تلقينا النبأ الحزين، أنه في التاسع من سبتمبر، توفي رفيقنا الحبيب ماو تسي تونغ، مؤسس الحزب الشيوعي الصيني، والقائد العظيم للشعب الألباني الشقيق، الماركسي اللينيني، البروليتاري الثوري الأصيل، الصديق العزيز والعظيم للشعب الألباني»(٦١).

بعد وفاة ماو، كان على ألبانيا اتباع سياسة قائمة على الاعتماد الذاتي، إذ كان انهيار الاقتصاد الألباني أمرًا لا مفر منه. ففي كانون الأول ١٩٧٧، رفض الصينيون إرسال متخصصيهم في الأعمال المبنية بالتكنولوجيا الصينية بحجة عدم توفر شروط عملهم. وجاءت الضربة الثانية كـ«هدية» بمناسبة العام الجديد، في الثامن والعشرين من كانون الأول ١٩٧٧، عندما أبلغ نائب مدير الاتحاد السوفيتي ودول أوروبا الشرقية، شيانغ تو (Xiang Tu)، الدبلوماسي الألباني في الصين، موسين كروي (Musin Kroi)، أن مجلة «ألبانيا الجديدة» لن تصدر بعد الآن في الصين. لكن الصدمة الحقيقية جاءت من المذكرة الصينية المؤرخة في السابع من تموز ١٩٧٨، والمكونة من ثماني صفحات، أشارت المذكرة إلى الانقطاع التام لأي مساعدة، اقتصادية أو عسكرية، واستدعاء جميع المتخصصين الصينيين العاملين في ألبانيا. وكان من مبررات هذا الموقف رفض ألبانيا دفع خمسة وعشرين فاتورة بقيمة عشرة ملايين يوان لكل منها، مقابل الأعمال التي بُنيت بين كانون الأول ١٩٧٧ ونيسان ١٩٧٨. ردّت القيادة الألبانية بعد ثلاثة أسابيع برسالة من تسعة وعشرين صفحة أُرسلت إلى بكين في الثلاثين من تموز من العام نفسه. وشدّدت الرسالة على أن الصين تصرفت بموقف قوة عظمى ضد دولة صغيرة، مستخدمةً أساليب تيتو وخروشوف الوحشية، التي أدانتها الصين نفسها منذ فترة(٦٢).

الخاتمة:

من خلال ما تقدم من موضوع (العلاقات الألبانية- السوفيتية الصينية (١٩٤٩-١٩٧٨)) تبين أن ألبانيا كانت ذات طابع سياسي هش، لم يتفق شعبها على حكومة معينة طوال تلك السنوات، مما جعلها أن تكون فريسة سهلة بيد القوى العظمى، ففي السنوات الأولى من القرن العشرين مالت الحكومات الألبانية للتقرب من يوغسلافيا والاتحاد السوفيتي والصين، ذات الأيدلوجية الشيوعية، في حين كان الشعب معارض لتلك الحكومات ويدعو لتطبيق الديمقراطية ونيل الحرية. فهو بذلك مائل نحو الانظمة الرأسمالية الأميركية.

اتضح كذلك أن احمد زوغو، ومن خلفه في الحكم أنور خوجا، نجحوا في تثبيت اقدامهم في حكم ألبانيا، وواجهوا المعارضة، بل وبطشوا بمن يعترض حكمهم، لا سيما بعد حصولهم على الحماية الخارجية من الدول الكبرى، لكنهم بذلك جروا ألبانيا في فلك الشيوعية والرأسمالية، في الوقت الذي لم يريد الشعب الألباني ذلك،

وكل من كان مواقفاً على ذلك الوضع هم الأحزاب والموالين لتلك القوى.

ونظراً لرؤية حكومة أنور خوجا في الاعتماد على الدعم الخارجي، قد أغرق ألبانيا في الديون، وتراجع الشعب ثقافياً واقتصادياً، ومن ثم كان السهل أن تسحب البساط من تحت أقدام حكومة خوجا، لذا خشية من تدهور الأمور كثيراً في أواخر الستينيات والسبعينيات، لذا رأى أنه من الأفضل لاستمرار حكومته وحفاظاً على استقرار البلاد هو اعتماد ألبانيا اعتماداً ذاتياً على نفسها، ولكن بذلك فرضت ألبانيا على نفسها العزلة الدولية.

تبين كذلك إن وحدة وجهات النظر والدعم المتبادل والتعاون بين الحزب الشيوعي الصيني وحزب العمل الألباني يأتي من هدفهما المشترك، وهو دفاعهم عن الماركسية اللينينية، ومن نضالهما ضد التحريفية الحديثة، وليس من الإملاء أو الخضوع أو من حزب لآخر. لكن الامر تغير كثيراً في مطلع السبعينيات أثر حصول تغيرات داخل قيادة الحزب الشيوعي الصيني، إذ اختلفت الأيدولوجيات الأمر الذي عجل بقطع العلاقات الألبانية–الصينية.

وأخيراً يمكن القول، أن الحكومة الألبانية بقيادة أنور خوجا، خسرت علاقتها بكلا القوتين الكبيرتين آنذاك الاتحاد السوفيتي والدول الأخرى القابعة تحت ولائه، وكذلك الصين الشعبية، المعروفتين بأيدولوجيتها الشيوعية، نتيجة خشية ألبانيا من سيطرتهم على السلطة بشكل فعلي وذوبان ألبانيا في فلكهما، هذا من جانب، ومن جانب آخر خشية ألبانيا على ألبانيا مصالحها الاقتصادية، لذا ابتعدت عن الاتحاد السوفيتي ودعمت الصين، لكن خسرت ذلك كونها لم تحصل على المساعدات الاقتصادية بقدر ما كانت تحصل عليه من الاتحاد السوفيتي، وبذلك خسرت المعسكر الاشتراكي، واخذت تفكر في التقرب من الولايات المتحدة من جديدة، بعد أن عزلت نفسها في أوربا.

الهوامش:

(١) ميسون ناصح جواد، القضية الألبانية دراسة في جانبيها السياسي والثقافي) ١٨٧٨–١٩٠٨)، رسالة ماجستير غير منشورة كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة البصرة، ٢٠٢٠، ص ١٢؛ يوسف طه حسين، العلاقات الألبانية الأميركية ١٩٤٥–١٩٤٦ (دراسة وثائقية)، مجلة أبحاث ميسان، المجلد السابع عشر، العدد الثالث والثلاثون، حزيران ، السنة ٢٠٢١، ص ٨٧.

(٢) Constantine A. Chekrezi, Charles D. Hazen, Albania Past And Present, The Macmillan Company, 1919, P. 3.

(٣) Ibid., P. 4.

(٤) Miranda Vickers, The Albanians: A Modern History, Publisher Blooms–bury Academic, 1999, P.66; يوسف طه حسين، المصدر السابق، ص ٨٧

(٥) Raymond Zickel and Walter R. Iwaskiw, Albaniaa country study, Library of Congress Cataloging–in–Publication Data, 1994, P. 24.

(٦) ودورو ويلسن (١٨٥٦–١٩٢٤): سياسي امريكي، الرئيس الثامن والعشرون للولايات المتحدة الأمريكية. درس القانون وعمل بالمحاماة. وانتخب رئيسا للجمهورية عام ١٩١٢، أعيد انتخابه عام ١٩١٦. وفي عام ١٩١٨ أعلن ما عرف بالنقاط الأربعة عشر، وجعلها أساساً لإنهاء الحرب. للتوسع ينظر : أحمد عطية الله القاموس السياسي القاهرة، ١٩٨٠، ص ١٧٥٣.

(٧) Robert Clegg Austin, From Crisis to Crisis: The Rise and Fall of Fan Noli›s Vision for Albania. 1920–1924, A thesis submitted in conformity with the re–quirements for the degree of Doctor of Philosophy, Department of History, University of Toronto, Canada, 1998, P.5.

(٨) مؤتمر لوشنيا: عُقد في المدة (٢١–٣١) من كانون الثاني ١٩٢٠، عد أحد أهم أحداث أوائل القرن العشرين. حضره مندوبون منتخبون من جميع أنحاء ألبانيا. وكان الهدف منه دراسة الوضع الداخلي والخارجي للبلاد والتدابير اللازمة لإنقاذ ألبانيا من خطر التشرذم. وقد وافق المؤتمر على القانون الدستوري للاستقلال التام لألبانيا والدولة الألبانية. للتوسع ينظر:
Alban Dobruna, Lushnja Congress and its historical significance (January 21, 1920), Journal Of History And Future, Vol .7, No.4, 2021, Pp. 784–794.

(٩) Raymond Zickel andd Walter R. Iwaskiw, Op. Cit., P.25.; Arber Had–ri, The Emerging US–Albanian Relations and Kosovo Issue. International

Journal of Humanities and Social Science, Vol. 8, No. 7. July 2018, P.75

(١٠) يوسف طه حسين، المصدر السابق، ص ٨٨.

Vladimir Cicani, Albanian-American relations in the past and future, A the-sis submitted in partial fulfillment of the requirements for the Master of Arts Degree Department of Political Science College of Liberal Arts, Gradu-ate .College University of Nevada, Las Vegas, August. 2002, Pp.12-13

(١١) أحمد زوغو (١٨٩٥-١٩٦١): سياسي الباني. أصبح حاكماً لمنطقة مات ١٩١١، شارك في إعلان الاستقلال الألباني ممثلاً لمنطقة مات ١٩١٢، شغل منصب حاكم شكودر للمدة (١٩٢٠ - ١٩٢١)، ثم منصب رئيس وزراء البانيا للمدة (١٩٢٢ -١٩٢٤)، ثم رئيسا للجمهورية الألبانية للمدة (١٩٢٥-١٩٢٨)، وأخيرا ملكاً للألبان للمدة (١٩٣٩-١٩٢٨)، ألغى الشريعة الإسلامية في ألبانيا عام ١٩٢٩، هرب بعد تعرض بلاده للغزو الإيطالي ١٩٣٩، ليستقر في فرنسا. بعدها هاجر لبريطانيا للمدة(١٩٤٠-١٩٤٦) ، ثم اتجه لمصر (١٩٤٦ ١٩٥٢)، ثم رجع ليستقر في فرنسا حتى وفاته. للتوسع ينظر

Lars Ulwencreutz, Ulwencreutz›s The Royal Families in Europe V, Lulu. .com, 2013, Pp.477-481

(١٢) Kristo Frashëri, The History Of Albania (A Brief Survey), The November .8th Publishing House Ottawa, 2023, Pp. 182-183

(١٣) Ibid., Pp. ١٨٤-١٨٧.

(١٤) Ibid., P. ١٨٨.

(١٥) يوسف طه حسين، المصدر السابق، ص ٨٨؛

Nadine Akhund The Two Carnegie Reports: From the Balkan Expedi-tion .of 1913 to the Albanian Trip of 1921,2012,Pp23-٦٥

(١٦) نقلاً عن: يوسف طه حسين، المصدر السابق، ص ٩٠.

(١٧) Raymond Zickel and Walter R. Iwaskiw, Op. Cit., P .٣٣.

(١٨) جبهة التحرير الوطني :أو حركة التحرير الوطني، منظمة مقاومة شيوعية البانية. تم تشكيلها في السادس عشر من أيلول ١٩٤٢، بقيادة أنور خوجا، وفي أيار ١٩٤٤ تحولت جبهة التحرير الوطنية الألبانية إلى حكومة ألبانية. وأصبح قادتها أعضاء حكوميين. وفي آب ١٩٤٥ تم استبدالها بالجبهة الديمقراطية، وكان جيش التحرير الوطني الألباني هو الجيش الذي تم إنشاؤه خلال حركة التحرير الوطني. للتوسع ينظر:

Miranda Vickers & James Pettifer, Albania: From Anarchy to a Balkan Iden-tity, Printed in England, London, 1997, P.291.; Agnes Mangerich, Albanian Escape: The True Story of U.S. Army Nurses Behind Enemy Lines. Univer-.sity Press of Kentucky. 2010, P. 5

(١٩) انور خوجا (١٩٠٨-١٩٨٥): سياسي ورجل دولة الباني، كان سكرتيرا في القنصلية الألبانية في بروكسل (١٩٣٥-١٩٣٩)، انضم إلى الحزب الشيوعي الالباني عند تأسيسه في الثامن من تشرين الثاني عام ١٩٤١، أسس حركة التحرير الوطني في ١٩٤٢.انتخب سكرتيراً للحزب الشيوعي في ١٩٤٣، شغل منصب رئيس وزراء البانيا (١٩٤٤ - ١٩٥٤) . للتوسع ينظر:

https://www.britannica.com/biography/Enver-Hoxha

(٢٠) M.J.P.Chilcott, A Short History Of Albania, Technical Report • January .2025, P.9

(٢١) F. R.U,1946, Eastern Europe, The Soviet Union, Telegram711.75/2- .546,Volume VI, Tirana, February 5,1946.P.37

(٢٢) جوزيف بروز تيتو (١٨٩٢- ١٩٨٠): زعيم يوغسلافي، ولد في قرية كومروفيتش، وبعد قيام الثورة الروسية عام١٩١٧ انضم إلى الجيش الأحمر السوفيتي، عاد إلى يوغسلافيا وانضم للحزب الشيوعي اليوغسلافي عام ١٩٢٠، هاجر إلى روسيا وانضم إلى الحزب الشيوعي السوفيتي، وفي عام ١٩٣٨ عاد إلى يوغسلافيا وحمل راية المقاومة ضد الاحتلال النازي، وفي عام ١٩٤٣ أصبح رئيساً للحكومة المؤقتة في يوغسلافيا، وفي عام ١٩٥٣ أصبح رئيساً للجمهورية اليوغسلافية. للتوسع ينظر: بيداء محمود أحمد سويلم، جوزيب بروز تيتو حياته ومواقفه من القضايا العربية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية –ابن رشد–، جامعة بغداد، ٢٠٠٣، ص ٩-١٢؛ https://www.history.com/this-day-in-history/april-7/tito-is-made-president-for-life

(٢٣) جوزيف ستالين (١٨٧٩-١٩٥٣): شيوعي سوفيتي، ولد في مدينة غوري بجمهورية جورجيا، من عائلة فقيرة، اسمه يوسف

فيساريو نوفيتش دجوغاشيفيلي، إما لقب ستالين فتعني الرجل الحديدي، نفي إلى سيبريا عام ١٩١٣ بعد قيادته إضراب للعمال، شارك في الثورة الروسية عام ١٩١٧، انضم إلى الحزب البلشفي، تولى مناصب عدة منها رئيس للوزراء عام ١٩٤١. للتوسع ينظر: مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج١، ط١، مكتبة الأسد، دمشق، ١٩٩١، ص ٧٨-٧٩.

(٢٤) M.J.P.Chilcott, Op. Cit., P.10.

(٢٥) Enver Bytyçi, In the Shadows of Albania-China Relations (1960-1978), Cambridge Scholars Publishing, 2022, P. 15.

(٢٦) Raymond Zickel and Walter R. Iwaskiw, Op. Cit., P. 44.

(٢٧) نيكيتا خروشوف(١٨٩٤-١٩٧١): السكرتير الأول للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي للمدة (١٩٥٣-١٩٦٤) حل محل نيكولاي بولغانين(Nikolai Bulganin) ليكون رئيساً للاتحاد السوفيتي للمدة (١٩٥٨-١٩٦٤)، أتبع في السياسة الخارجية سياسة «التعايش السلمي» مع الغرب الرأسمالي. للتوسع ينظر: روجر باركنسن, موسوعة الحرب الحديثة ، ج، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٩٠، ص٣٤٠؛

Lazar Pistrak ,The Grand Tactician Khrushchev›s Rise to Power, New York, 1961, P. 247; Encyclopedia Britannica, Chicago ,٢٠١٢.

(٢٨) Raymond Zickel and Walter R. Iwaskiw, Op. Cit., P. 46.

(٢٩) Ibid.

(٣٠) Marsela Musabelliu, Sino-Albanian Relations: 70 years of diplomatic ties in retrospect, China -CEE Institute, No. 7, 2019, P.3

(٣١) محمد شيخو (١٩١٣-١٩٨١) : سياسي ألباني ولد في كوروش، ألبانيا . شغل منصب وزير الداخلية (١٩٤٨-١٩٥٤) ورئيس مجلس الوزراء (رئيس الوزراء) في ألبانيا (١٩٥٤-١٩٨١). وشغل منصب وزير الدفاع الألباني (١٩٧٤-١٩٨٠). للتوسع ينظر: https://www.britannica.com/biography/Mehmet-Shehu

(٣٢) Raymond Zickel and Walter R. Iwaskiw, Op. Cit., P. 47.

(٣٣) Ibid., Pp. 48-49.

(٣٤) Quoted in : Ana Lalaj and Others, "Albania is not Cuba." Sino-Albanian Summits and the Sino-Soviet Split, Cold War International History Project Bulletin, Issue 16, N.D, Pp. 183-184.

(٣٥) مراد ناصر عبد الحسن المياحي، العلاقات السياسية السوفيتية- الصينية ١٩٤٩-١٩٥٦، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية، جامعة البصرة ، ٢٠٠٩، ص ٦٤؛ أزهار عبد الرحمن عبد الكريم اللفته، العلاقات الأميركية - الصينية ١٩٦٩-١٩٧٣ دراسة تاريخية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة البصرة ، ٢٠٠٩، ص٢٣.

(٣٦) Marsela Musabelliu, Op. Cit., P.1.

(٣٧) ماو تسي تونغ (١٨٩٣-١٩٧٦): قائد صيني. ولد في قرية شاوشان في مقاطعة هونان، أكمل دراسته الثانوية في مقاطعته، شارك في ثورة عام ١٩١١، تأثر بكارل ماركس واعتنق المذهب الماركسي وتمكن مع مجموعة من الصينيين من تأسيس الحزب الشيوعي الصيني عام ١٩٢١، ثم استطاع تكوين جيش ثوري اغلبه من الفلاحين تمكن في نهاية المطاف من تأسيس جمهورية الصينية الشعبية عام ١٩٤٩ بقيادته، وفي عام ١٩٥٩ تخلى عن منصبه واحتفظ بقيادة الحزب الشيوعي الصيني حتى وفاته . للتوسع ينظر:

Lawrence W. Baker, Cold War Biographies, Vol. 2 K-Z, New York, 2000, P.P .312- 320.

(٣٨) Enver Bytyçi, Op. Cit., P. 11.

(٣٩) Marsela Musabelliu, Op. Cit., P.2.

(٤٠) Enver Bytyçi, Op. Cit., P.12.

(٤١) Marsela Musabelliu, Op. Cit., Pp.4-5.

(٤٢) تشو إن لاي (١٨٩٨-١٩٧٦): قيادي شيوعي بارز، ولد جنوب شنغهاي الصينية، أكمل دراسته في اليابان، ولكن رجع لبلاده في عام ١٩١٩، دون إكمالها، وتأثر بشكل كبير بأفكار ماركس ولينين. تولى رئاسة وزراء الصين الشعبية (١٩٤٩ - ١٩٧٦). وكان له دور أساس في تشكيل السياسة الخارجية الصينية، وتطوير الاقتصاد الصيني من خلال تحسين العلاقات مع الاتحاد السوفيتي. للتوسع ينظر:

Chen Jian and Others , Stalin›s Conversations , Talks With Mao Zedong, December 1949-January 1950 and With Zhou Enlai, Cold War Interna-

tional History Project Bulletin, N.P, 1952 , Pp. 4 – 29 ; Jonathan Spence , Introduction to The Cultural Revolution , The Search for Modern China, China, 2001.

(٤٣) Marsela Musabelliu, Op. Cit., P.6.

(٤٤) حسين عبد الكاظم عودة الحسناوي، الصراع السياسي في الصين(١٩٦٦–١٩٧٦) الثورة الثقافية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، ٢٠١٨.

(٤٥) Quoted in : Ylber Marku, China and Albania: the Cultural Revolution and Cold War Relations, Cold War History, VoI.17, No.4, 2017, P. ٣٦٩.

(٤٦) Quoted in : Ibid., 371.

(٤٧) لوجو تونسيتش سوريني (١٩١٥–٢٠٢٥): دبلوماسيا وسياسيا نمساوي. شغل منصب وزير خارجية النمسا (١٩٦٤ – ١٩٩٨)، وكان الأمين العام لمجلس أوروبا (١٩٦٩ – ١٩٧٤)، اشتهر بجهوده في تعزيز الحوار الدبلوماسي، بما في ذلك دوره في الاتصالات بين الدول الغربية ودول أوروبا الشرقية مثل ألبانيا في الخامس من تشرين الأول ١٩٦٦. للتوسع ينظر : Rolf Steininger, Günter Bischof, and Michael Gehler, Austria in the Twenti–eth Century. Transaction Publisher, New jersey, 2008, P. 187; https://en.wikipedia.org/wiki/

(٤٨) دين راسك (١٩٠٩–١٩٩٤) : وزير الخارجية الأميركي خلال حكم جون إف . كينيدي للمدة (١٩٦١–١٩٦٣) وإدارة ليندن جونسون في المدة (١٩٦٤–١٩٦٩) دافع عن اشتراك الولايات المتحدةَ بثبات في حرب فيتنام. للتوسع ينظر : MLA Style: «Rusk, Dean.» Encyclopedia Britannica. Encyclopedia Britannica, Op. Cit.; Eric Stein , and Others , The Dean Rusk Lectures, Occasional Papers , Dean Rusk Center University of Georgia School of Law , No. 2 , N.D, P.1.

(٤٩) Quoted in : Elez Biberaj. Albania: From Isolation Toward Reform, Westview Press, colorado, 1990, P.34.

(٥٠) Marsela Musabelliu, Op. Cit., P.5.

(٥١) Ylber Marku, Op. Cit., P. 381.

(٥٢) لين بياو (١٩٠٧–١٩٧١) : قائد عسكري صيني ووزير دفاع الجمهورية الشعبية الصينية (١٩٥٩–١٩٧١). ولد في إحدى قرى مقاطعة هوبي في أواسط الصين. في عام ١٩٢٥ انتسب إلى رابطة الشباب الاشتراكي، في عام ١٩٢٦، شارك في الحملة الشمالية ضد مواقع الإقطاعيين. وفي المدة(١٩٢٨–١٩٣٤) أسهم في توسيع المنطقة التي يسيطر عليها الشيوعيون في منطقة كيانغ سي. في عام ١٩٤٥ انتخب عضواً في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني. في عام ١٩٤٩ أصبح المسؤول الإداري والحزبي للمنطقة السادسة. وفي ١٩٥٤ عين نائبا لرئيس مجلس الوزراء ونائباً لرئيس مجلس الدفاع الوطني. وفي عام ١٩٥٥ أصبح عضواً في المكتب السياسي للحزب الشيوعي، في عام ١٩٥٨ عضواً في اللجنة الدائمة للمكتب السياسي المكونة من سبعة أعضاء. في عام ١٩٥٩ عُيّن وزيراً للدفاع. وفي آب ١٩٦٦ أُعلن أن لين بياو هو الخليفة المقبل لماو. للتوسع ينظر: الموسوعة العربية الالكترونية: https://mail.arab–ency.com.sy/details/١٠٦٠٣

(٥٣) Quoted in : Kamal Majid, Albania and China, London ,١٩٩٥ ,Pp.٢٤–٢٥.

(٥٤) Kamal Majid, Op. Cit., P.٢٩.

(٥٥) هنري كيسنجر (١٩٢٣–٢٠٢٣): سياسي ورجل دولة أميركي، ولد في فورت بألمانيا. وكان مستشارًا لشؤون الأمن القومي ووزيرًا للخارجية، وكان له تأثير كبير في تشكيل السياسة الخارجية الأمريكية (١٩٦٩ – ١٩٧٦). في عام ١٩٧٣، حصل على جائزة نوبل للسلام مناصفةً معلي دوك تو من فيتنام الشمالية لجهوده في التفاوض على تسوية سلمية لحرب فيتنام. للتوسع ينظر: https://www.britannica.com/biography/Henry–Kissinger

(٥٦) ريتشارد نيكسون (١٩١٣–١٩٩٤) : الرئيس السابع والثلاثين للولايات المتحدة الأمريكية (١٩٦٩–١٩٧٤). ولد في يوربا ليندا، كاليفورنيا، خلال حكمه واجه احتمالًا شبه مؤكد لعزله بسبب دوره في فضيحة ووترغيت، فأصبح أول رئيس أمريكي يستقيل من منصبه. شغل أيضًا منصب نائب الرئيس (١٩٥٣–١٩٦١) في عهد الرئيس دوايت د. أيزنهاور. للتوسع ينظر: https://www.britannica.com/biography/Richard–Nixon

(٥٧) Gjon Boriçi, The fall of the Albanian – Chinese relations ١٩٧١–١٩٧٨, ILIRIA International Review – Vol ٦, No ١, ٢٠١٦, P.١٠٨.

(58) Quoted in : Gjon Boriçi, OP. Cit., Pp.110–111.

(59) Gjon Boriçi, OP. Cit., Pp.112–113.
(60) Quoted in : Gjon Boriçi, OP. Cit., Pp.113–116.
(61) Quoted in : Kamal Majid, OP. Cit., P.32.
(62) Gjon Boriçi, OP. Cit., P.117.

• المصادر:

• اولاً: وثائق وزارة الخارجية الأميركية:

• Foreign Relations of the United States, 1946, Eastern Europe, The Soviet Union, Volume VI, United States Government Printing Office, Washington,1969

• ثانياً: الرسائل والاطاريح الجامعية المطبوعة باللغة العربية:

١. أزهار عبد الرحمن عبد الكريم اللفته، العلاقات الأميركية – الصينية ١٩٦٩–١٩٧٣ دراسة تاريخية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة البصرة ، ٢٠٠٩.
٢. بيداء محمود أحمد سويلم، جوزيب بروز تيتو حياته ومواقفه من القضايا العربية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية –ابن رشد–، جامعة بغداد، ٢٠٠٣.
٣. حسين عبد الكاظم عودة الحسناوي، الصراع السياسي في الصين(١٩٦٦–١٩٧٦) الثورة الثقافية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، ٢٠١٨.
٤. مراد ناصر عبد الحسن المياحي، العلاقات السياسية السوفيتية– الصينية ١٩٤٩–١٩٥٦، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية، جامعة البصرة ، ٢٠٠٩، ص ٦٤؛ ص٢٣.
٥. ميسون ناصح جواد، القضية الألبانية دراسة في جانبيها السياسي والثقافي) ١٨٧٨–١٩٠٨)، رسالة ماجستير غير منشورة كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة البصرة، ٢٠٢٠.

• ثالثاً: الرسائل والاطاريح الجامعية المطبوعة باللغة الإنكليزية:

1. Robert Clegg Austin, From Crisis to Crisis: The Rise and Fall of Fan Noli›s Vision for Albania. 1920–1924, A thesis submitted in conformity with the requirements for the degree of Doctor of Philosophy, Department of History, University of Toronto, Canada, 1998..
2. Vladimir Cicani, Albanian–American relations in the past and future, A thesis submitted in partial fulfillment of the requirements for the Master of Arts Degree Department of Political Science College of Liberal Arts, Graduate College University of Nevada, Las Vegas, August. 2002.

• رابعاً: الكتب المطبوعة باللغة الإنكليزية:

1. Agnes Mangerich, Albanian Escape: The True Story of U.S. Army Nurses Behind Enemy Lines. University Press of Kentucky. 2010.
2. Chen Jian and Others , Stalin›s Conversations , Talks With Mao Zedong, December 1949–January 1950 and With Zhou Enlai, Cold War International History Project Bulletin, N.P, 1952.
3. Constantine A. Chekrezi, Charles D. Hazen, Albania Past And Present, The Macmillan Company, 1919.
4. Elez Biberaj. Albania: From Isolation Toward Reform, Westview Press, colorado, 1990.
5. Enver Bytyçi, In the Shadows of Albania–China Relations (1960–1978), Cambridge Scholars Publishing, 2022.
6. Eric Stein , and Others , The Dean Rusk Lectures, Occasional Papers , Dean Rusk Center University of Georgia School of Law , No. 2 , N.D.
7. Jonathan Spence , Introduction to The Cultural Revolution , The Search for Modern China, China, 2001.

.Kamal Majid, Albania and China, London, 1995 .8
Kristo Frashëri, The History Of Albania (A Brief Survey), The November .9
.8th Publishing House Ottawa, 2023
Lars Ulwencreutz, Ulwencreutz›s The Royal Families in Europe V, Lulu. .10
.com, 2013
.Lawrence W. Baker, Cold War Biographies, Vol. 2 K–Z, New York, 2000 .11
Lazar Pistrak ,The Grand Tactician Khrushchev›s Rise to Power, New .12
.York, 1961
Miranda Vickers & James Pettifer, Albania: From Anarchy to a Balkan .13
.Identity, Printed in England, London, 1997
Miranda Vickers, The Albanians: A Modern History, Publisher Blooms– .14
.bury Academic, 1999
Nadine Akhund The Two Carnegie Reports: From the Balkan Expedi– .15
.tion of 1913 to the Albanian Trip of 1921,2012
Raymond Zickel and Walter R. Iwaskiw, Albaniaa country study, Li– .16
.brary of Congress Cataloging–in–Publication Data, 1994
Rolf Steininger, Günter Bischof, and Michael Gehler, Austria in the .17
.Twenti–eth Century. Transaction Publisher, New jersey, 2008

• خامساً: الدوريات والموسوعات العربية:

١. روجر ياركنسن، موسوعة الحرب الحديثة، ج، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٩٠.
٢. مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية ، ج١ ، ط١، مكتبة الأسد، دمشق، ١٩٩١.
٣. يوسف طه حسين، العلاقات الألبانية الأميركية ١٩٤٥–١٩٤٦ (دراسة وثائقية)، مجلة أبحاث ميسان، المجلد السابع عشر، العدد الثالث والثلاثون، حزيران، السنة ٢٠٢١.

• سادساً: الدوريات المطبوعة باللغة الإنكليزية:

Alban Dobruna, Lushnja Congress and its historical significance (January .1
.21, 1920), Journal Of History And Future, Vol .7, No.4, 2021
Ana Lalaj and Others, “Albania is not Cuba.” Sino–Albanian Summits and .2
the Sino–Soviet Split, Cold War International History Project Bulletin, Issue
.16, N.D
Arber Hadri, The Emerging US–Albanian Relations and Kosovo Issue. .3
International Journal of Humanities and Social Science, Vol. 8, No. 7. July
.2018
Gjon Boriçi, The fall of the Albanian – Chinese relations 1971–1978, IL– .4
.IRIA International Review – Vol 6, No 1, 2016
M.J.P.Chilcott, A Short History Of Albania, Technical Report · January .5
.2025
Marsela Musabelliu, Sino–Albanian Relations: 70 years of diplomatic ties .6
.in retrospect, China –CEE Institute, No. 7, 2019
Ylber Marku, China and Albania: the Cultural Revolution and Cold .7
.War Relations, Cold War History, VoI.17, No.4, 2017

• سابعاً: الموسوعات والروابط الالكترونية:

.Encyclopedia Britannica, Chicago, 2012 .1
https://www.history.com/this–day–in–history/april–7 .2
https://www.britannica.com .3
. /https://en.wikipedia.org/wiki .4
https://mail.arab–ency.com.sy/details/10603 .5



السنة الثالثة جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م

تقويم كتاب الحاسوب للصّفِّ الأوّل المتوسط في ضوء مصفوفة التّتابع وامتلاك الطّلبة لها

م. أمل حسين علي
وزارة التربية/المديرية العامة لتربية محافظة بغداد/ الكرخ الثانية



المستخلص:

هدفت الدراسة إلى إجراء تقويم تحليلي لمحتوى كتاب الحاسوب للصف الأول المتوسط بالاستناد إلى معايير مصفوفة التتابع، وقياس مستوى امتلاك الطلبة للمهارات والمعارف الواردة فيها. اعتمدت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، وتكونت عينة البحث من ٣٠٠ طالباً وطالبة من المدارس الحكومية المطبقة لمنهج الحاسوب، تم اختيارهم بطريقة عشوائية.

استُخدمت أداتا بحث رئيسيتان:

أداة تحليل المحتوى: لتقويم مدى توافق كتاب الحاسوب مع مجالات مصفوفة التتابع.

اختبار تحصيلي مقنن: لقياس مستوى امتلاك الطلبة لمهارات المصفوفة.

بعد معالجة البيانات إحصائياً باستخدام الحزمة الإحصائية SPSS واختبارات «ت» ومعاملات الارتباط، أظهرت النتائج:

توافر مجالات مصفوفة التتابع في كتاب الحاسوب بنسبة متوسطة.

بلغ مستوى امتلاك الطلبة لهذه المهارات مستوى متوسطاً، مع عدم وجود فرق ذي دلالة إحصائية بين متوسط درجاتهم والمتوسط الفرضي للاختبار.

التوصيات:

تفعيل مصفوفة التتابع في التأليف:

ضرورة إدراج معايير المصفوفة بنحوٍ متوازن في كتب الحاسوب من قبل مديرية إعداد المناهج.

معالجة الاختلالات الراهنة:

تعزيز المهارات ذات التضمين المنخفض في الكتاب الحالي.

تحقيق التوازن بين جميع معايير المصفوفة وضمان تناسب محتوى الكتاب معها.

الكلمات المفتاحية: تقويم المناهج، كتاب الحاسوب، الصف الأول المتوسط، مصفوفة التتابع، تحليل المحتوى، التحصيل الدراسي.

Abstract:

This study aimed to conduct an analytical evaluation of the content of the first intermediate grade computer textbook based on the standards of the Sequencing Matrix, and to measure students› mastery level of the skills and knowledge it encompasses. The researcher adopted a descriptive–analytical methodology, with a sample of 300 male and female students randomly se–lected from public schools implementing the computer curriculum.

Two main research instruments were employed:

Content Analysis Tool: To evaluate the textbook›s alignment with the Se–quencing Matrix domains.

Standardized Achievement Test: To measure students› mastery of Matrix skills.

After statistical processing using SPSS, t–tests, and correlation coefficients, the results revealed:

The Sequencing Matrix domains were incorporated at a moderate level in the textbook.

Students demonstrated moderate mastery of these skills, with no statistically significant difference between their mean scores and the test's hypothetical mean.

Recommendations:

Implementing the Sequencing Matrix in Authoring:

Necessity of balanced integration of Matrix standards in computer textbooks by the Curriculum Development Directorate.

Addressing Current Imbalances:

Enhancing underrepresented skills in the current textbook.

Ensuring balanced coverage of all Matrix standards and content relevance.

Keywords: Curriculum Evaluation, Computer Textbook, First Intermediate Grade, Sequencing Matrix, Content Analysis, Academic Achievement.

الفصل الأول

التعريف بالبحث

١-١ مشكلة البحث (Wajdi, ٢٠١٧)

تتبلور مشكلة البحث من خلال:

الخبرة الميدانية للباحثة:

عملت كمدرسة لمادة الحاسوب للمراحل (الأول والثاني المتوسط) و(الرابع والخامس الإعدادي) لأكثر من ١٦ عامًا.

مشاركتها الفاعلة في لجنة وضع مفردات وثيقة منهج الحاسوب لجميع المراحل، ولجنة تأليف منهج الحاسوب للصفين الرابع والخامس الإعدادي.

إيمانها الراسخ بدور المناهج الدراسية في تهيئة أعلى مستويات الخبرات التعليمية لتحقيق الأهداف التربوية المنشودة.

ندرة الدراسات المحلية:

عدم وجود دراسات سابقة (على حد علم الباحثة) تناولت تقويم كتب الحاسوب في ضوء مصفوفة التتابع.

مما شكّل دافعًا قويًّا لمعالجة هذه الفجوة البحثية عبر تقويم كتاب الصف الأول المتوسط.

الأهمية الإستراتيجية للكتاب:

يُعدّ تقويم كتاب الحاسوب عاملاً محوريًّا في تحديد فعالية العملية التعليمية بمجال تقنية المعلومات.

يمثل هذا الكتاب المورد التعليمي الأساسي لبناء الأسس المعرفية والمهارية في مبادئ الحاسوب.

دراسة تضمين «مصفوفة التتابع» وامتلاك الطلاب لها تعكس ضرورة فهم البنية المعرفية في المراحل التعليمية المبكرة.

مشكلة الدراسة المركزية:

«ما نسبة تضمين مصفوفة التتابع في كتاب الحاسوب للصف الأول المتوسط، وما مستوى امتلاك الطلبة لها؟»

١-٢ أهمية البحث

أ. الأهمية في السياق التربوي العام:

دور التربية في بناء المجتمعات:

التربية قوة حقيقية للتسابق الدولي في عصر التطور المعرفي والتقدم التكنولوجي (الجبوري والعاني، ٢٠١٤، ص. ٩٢).

قوة المجتمعات تُقاس بجودة كوادرها البشرية لا بما تملكه من تقنيات (الموسوي، ٢٠١١، ص. ١٩٦)، كما تجسده تجارب اليابان والصين في بناء مجتمعات معرفية.

محورية المناهج التعليمية:

اهتمام الأمم المتقدمة (كالولايات المتحدة وروسيا) بتطوير المناهج كأداة لتحقيق التفوق الشامل (التميمي، ٢٠١٣، ص. ٥٧).

التربية عملية إنسانية اجتماعية تتطلب انسجامًا مع البيئة المحيطة في جميع مكوناتها (الخوالدة، ٢٠٠٧، ص. ١١).

ب. الأهمية الخاصة بمنهج الحاسوب:

السياق التكنولوجي العالمي:

العصر الحالي هو عصر العلم والتكنولوجيا المتسارع (الدسوقي وتوفيق، ٢٠١٠، ص. ٧٧).

ضرورة مواكبة التغيرات التكنولوجية عبر تنمية مهارات الطلاب وتفكيرهم الإبداعي.

الكتاب المدرسي كأداة محورية:

يُعدّ وعاءً لمحتوى المنهج وأكثر المصادر التعليمية تأثيرًا (اللقاني، ٢٠١٣، ص. ٧١–٧٣؛ التميمي، ٢٠١٣، ص. ٢٧٢).

يترجم أهداف المنهج عبر محتوى علمي مُنظم يُسهّل التوظيف العملي (التميمي، ٢٠١٣، ص. ١؛ الخوالدة، ٢٠٠٧، ص. ٣٠٣).

ج. الأهمية التطبيقية للدراسة:

تحليل التحديات القائمة:

كشف الاختلالات في تناسب المحتوى مع المستويات العقلية للطلاب (harsitah et al., ٢٠٢٢, p. ١٠١).

معالجة عدم تناسق توزيع المهارات في الكتاب (Al-Mamari, ٢٠١٦, p. ٧٧).

ضمان جودة العملية التعليمية:

تحقيق التتابع المنطقي في المحتوى لتعزيز الاستمرارية بين المراحل الدراسية.

تصميم كتب تلائم الفروق الفردية وتُحفز شوق الطلاب للتعلم (Wajdi, ٢٠١٧, p. ٤٤).

تأثير النتائج على الممارسة التربوية:

تقديم توصيات لمديريات المناهج لدمج «مصفوفة التتابع» بشكل متوازن.

تمكين المعلمين من تطوير استراتيجيات تعزز التفكير الإبداعي والتطبيق العملي.

١–٣ أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الأساسية التالية بوصفها مرتكزًا جوهريًا لتقويم كتاب الحاسوب للصف الأول المتوسط في ضوء مصفوفة التتابع وامتلاك الطلبة للمعارف والمهارات:

تحديد مقدار تضمين محتوى كتاب الحاسوب لمجالات مصفوفة التتابع.

قياس مستوى امتلاك طلبة الصف الأول المتوسط لمجالات مصفوفة التتابع.

تقديم توصيات عملية مستندة إلى نتائج التحليل لتعزيز فعالية تعليم الحاسوب.

١–٤ حدود البحث

تتمثل حدود هذه الدراسة في:

الحدود المعرفية: حصر التقويم بكتاب الحاسوب للصف الأول المتوسط وفق معايير مصفوفة التتابع.

الحدود الزمانية: الفصل الدراسي الأول للعام ٢٠٢٣/٢٠٢٤.

الحدود البشرية والمكانية: طلبة الصف الأول المتوسط في المدارس الحكومية المطبقة لمنهج الحاسوب ضمن مديرية تربية بغداد/ الكرخ الثانية.

١-٥ مصطلحات البحث

أولاً: التقويم

التعريف النظري:

عرّفه الموسوي (٢٠١١، ص. ٤١٧) بأنه: «أحكام معيارية تُصدر على جانب من العملية التربوية لقياس مدى تحقيقه للأهداف المُخطَّط لها».

عرّفه العيساوي وآخرون (٢٠١٢، ص. ٩٩) بأنه: «عملية جمع بيانات عن المنهج ومعالجتها إحصائيًا لتحديد صلاحيته».

عرّفه إبراهيم (٢٠٢٣، ص. ٥٥) بأنه: «عملية منهجية لتقييم تحقيق الأهداف التعليمية».

الاعتماد النظري: تبنت الباحثة تعريف الموسوي (٢٠١١).

ثانيًا: كتاب الحاسوب

التعريف النظري:

عرّفه العيساوي وآخرون (٢٠١٢، ص. ١٢٥) بأنه: «الوعاء الأساسي لمحتوى المنهج والمصدر الرئيس للمتعلم والمعلم».

عرّفه صباح (٢٠٢٢، ص. ٨٨) بأنه: «مصدر تعليمي يغطي موضوعات تكنولوجيا المعلومات بمستويات متدرجة».

التعريف الإجرائي:

الكتاب المقرر للصف الأول المتوسط (الطبعة الأولى ٢٠١٩-٢٠٢٠، وزارة التربية العراقية)، ويضم ٤ وحدات (٨ فصول) وبـ ١٤٤ صفحة.

ثالثًا: الصف الأول المتوسط

التعريف الإجرائي:

أول مرحلة في التعليم المتوسط (ثلاث سنوات بعد الابتدائي) وفق نظام وزارة التربية العراقية (١٩٨٤، ص. ٤).

رابعًا: مصفوفة التتابع

التعريف النظري:

عرّفها اللقاني والجمل (٢٠٠٣، ص. ٨٤) بأنها: «نظم ترتيب المادة العلمية في المنهج وفق تسلسل مفاهيمي».

عرّفها محمود (٢٠١١، ص. ٢٦٨) بأنها: «خريطة ثنائية البُعد تُظهر تتابع نمو المفاهيم بين المستويات التعليمية».

عرّفها علي (٢٠١١، ص. ٤٤) بأنها: «جدول يُبيّن تكامل وتتابع المفاهيم الأساسية عبر الصفوف».

الاعتماد النظري: تبنت الباحثة تعريف محمود (٢٠١١).

الفصل الثاني

الخلفية النظرية والدراسات السابقة

يشكل الإطار النظري المرتكز الأساسي لفهم كيفية استيعاب الطلبة للمفاهيم المتعلقة بكتاب الحاسوب للصف الأول متوسط، مما يسهم في إثراء تجربتهم التعليمية. تعزز نظرية التعلم المتعددة الأبعاد من فهم كيفية معالجة الطلبة للمعلومات وتفاعلهم مع المقررات التعليمية. تتضمن هذه النظرية عدة نماذج، مثل نموذج التعلم السلوكي، الذي يركز على تعزيز السلوكيات المرغوبة من خلال التعزيز الإيجابي، ونموذج التعلم المعرفي، الذي يسلط الضوء على العمليات العقلية وكيفية استفادة المتعلم من التجارب السابقة لربط المعرفة الجديدة بدراساته الحالية. بالإضافة لذلك، تأخذ نظرية التعلم الاجتماعي بعين الاعتبار التفاعل بين الأقران ودور المعلم كموجه، وهو ما يعد محوريًا في بيئات التعلم الرقمية.

أما بالنسبة لاستراتيجيات التعليم، فإنها توفر الأدوات اللازمة لتطبيق النظريات التعليمية بفعالية في سياق تدريس الحاسوب. من بين الاستراتيجيات الفعالة، تأتي أساليب التعلم النشط، مثل النشاطات العملية والمشاريع الجماعية، التي تشجع الطلبة على التفاعل مع المحتوى بطريقة مباشرة، مما يعزز من استيعابهم. كذلك، فإن استخدام التكنولوجيا في التعليم، مثل البرمجيات التعليمية والأدوات الرقمية، يزيد من جذب انتباه الطلبة، ويتيح لهم استكشاف المفاهيم بطرق مبتكرة. بالإضافة إلى ذلك، تعتبر الاستراتيجيات التكيفية والتمايزية ضرورية لتلبية احتياجات الطلبة المتنوعة، مما يمكنهم من التعلم في بيئة مناسبة لأساليبهم الفردية.

تساهم هذه النظريات والاستراتيجيات بصورة مباشرة في فعالية الكتاب المدرسي، حيث تضمن أن يكون المحتوى مصممًا بطريقة تسهل على الطلبة اكتساب المهارات اللازمة في مجال الحاسوب. يجسد التطبيق الفعال لهذه المفاهيم أهمية التقويم المستمر، الذي يتيح التحقق من مدى استيعاب الطلبة للمحتوى والتكيف مع احتياجاتهم التعليمية المتغيرة. هكذا، يتكامل الإطار النظري ليشكل أساسًا متينًا يدعم الجودة التعليمية في تدريس الحاسوب، مما يسهم في إعداد طلبة متمكنين وقادرين على مواجهة التحديات المستقبلية.

١,٢ نظرية التعلم

تعتبر نظرية التعلم من الأسس التي يستند إليها النظام التعليمي، حيث تسهم في توجيه طرق واستراتيجيات التعليم من أجل تحقيق أهداف التعلم الفعالة. تنطلق نظرية التعلم من فرضيات أساسية تتعلق بكيفية اكتساب المعرفة وتحليلها، وكيفية تحفيز المتعلمين على التفاعل مع المحتوى التعليمي. تتواجد عدة نظريات في هذا المجال، تبرز منها نظرية السلوكية، والمعرفية، والبنائية، وكل منها تساهم في تقديم فهم معمق لعمليات التعلم.

تُعنى النظرية السلوكية بالتحفيز من خلال المكافآت والعقوبات، حيث تُعتبر الاستجابة المرتبطة بالتحفيز من العوامل الأساسية التي تشكل سلوك المتعلم. بينما تركز النظرية المعرفية على العمليات العقلية الداخلية، مثل التفكير والاستدلال والذاكرة، مشيرةً إلى ضرورة تطوير استراتيجيات تدعم الفهم العميق للمعلومات. أما النظرية البنائية، فهي تنظر إلى التعلم كعملية نشطة يبني من خلالها المتعلم معارفه بناءً على تجاربه السابقة، مما يعكس أهمية التفاعل الاجتماعي وتعزيز التفكير النقدي في بيئة التعلم.

في ضوء هذه النظريات، يمكن للمعلمين تصميم المقررات الدراسية بما يتماشى مع احتياجات المتعلمين المختلفة، مما يساعد في تعزيز فعالية التعلم وجودة التعليم. يجب مراعاة التنوع في أساليب التعليم والتعلم، حيث أن استخدام مزيج من الاستراتيجيات المتنوعة يمكن أن يؤدي إلى نتائج أفضل في فهم المحتوى واستخدامه بشكل فعال. إن إدراك المعلمين للمبادئ الأساسية للدراسة يمكن أن يسهم في تطوير مهارات الطلبة، وتحفيزهم على التفكير النقدي والتفاعل مع المواد التعليمية، بما يحقق تكامل المعرفة وعملية التعلم الفعالة.

٥,٢ . استراتيجيات التعليم

تعدُّ استراتيجيات التعليم أدوات حيوية تساهم في تعزيز فعالية العملية التعليمية، إذ تهدف إلى تمكين المتعلمين من استيعاب المفاهيم والمعلومات بطريقة مثلى. في سياق تدريس مادة الحاسوب للصف الأول المتوسط، تلعب استراتيجيات التعليم دورًا محوريًا في تحقيق الفهم العميق للموضوعات المعقدة، وتساعد في تطبيق المعرفة المتمكنة بطريقة ناجحة. من بين الاستراتيجيات الفعالة في هذا المجال، يمكن الإشارة إلى التعلم النشط، الذي يشجع الطلاب على المشاركة بشكل فعّال في دروسهم من خلال تفاعل مباشر مع المحتوى التعليمي. يتضمن التعلم النشط تقنيات متنوعة كالمناقشات الجماعية، والألعاب التعليمية، والتطبيقات العملية التي تساهم في ترسيخ المفاهيم.

علاوة على ذلك، تتضمن استراتيجيات التعليم مجموعة من الأساليب التكيفية التي تتوافق مع تنوع أساليب التعلم لدى الطلاب. على سبيل المثال، فإن إدماج التكنولوجيا في التعليم، من خلال استخدام برامج محاكاة أو أدوات تعليمية تفاعلية، يعزز من تجربة التعلم ويحفز ذهن الطلاب على التفاعل مع المحتوى ودراسته بشكل أعمق. كما أن

التطبيقات العملية للمفاهيم النظرية عبر المشاريع والأساليب القائمة على حل المشكلات، تساهم في جعل المعرفة المكتسبة مرتبطة بحياة الطلاب اليومية، مما يعزز من إمكانية تطبيقها لاحقًا في سياقات متعددة.

أيضًا، تلعب استراتيجيات التعليم الفعالة في تدريس مادة الحاسوب دورًا مهمًا في تنمية مهارات التفكير النقدي والإبداعي لدى الطلاب. من خلال تحفيزهم على التفكير المنطقي وحل المشكلات، يكون الطلاب أكثر استعدادًا لمواجهة التحديات المعقدة التي قد تواجههم في المستقبل، سواء في دراستهم الأكاديمية أو في حياتهم المهنية. إن دمج استراتيجيات متقدمة مثل التعاون بين الزملاء، والتعلم العميق، والتقييم الذاتي، يساعد على إنشاء بيئة تعليمية مثرية، مما يعزز قدرة الطلاب على تمكين أنفسهم بمهارات القرن الحادي والعشرين.

٢ . التقويم:

يحتاج المنهج الى التقويم والتطوير المستمر ليواكب التطور الذي يشهده العصر في شتى أنواع المعرفة، ويلائم حاجات الافراد والمجتمع.

وتعريف المنهج الحديث هو «مجموع الخبرات التربوية الثقافية والاجتماعية والرياضية والفنية التي تهيؤها المدرسة لتلاميذها داخل المدرسة وخارجها بقصد مساعدتهم على النمو الشامل في جميع النواحي وتعديل سلوكهم طبقاً لاهدافها التربوية» (عزيز و انور ، ١٩٩٠، صفحة ٣٤).

يمثل التقويم الأداة الفعالة لتحديد مدى نجاح المنهج في تحقيق الأهداف المنشودة منه. وفي الواقع، لا يمكن أن تكتمل عملية تطوير المنهج وتحسينه إلا عن طريق تقويم مبني على أسس علمية وممنهجة بصورة صحيحة. (سليم و اخرون، ٢٠٠٦، صفحة ١٦٧)

ولا تعني عملية التقويم إعطاء درجة او تقدير للتلميذ، ولا تعني مجرد وصف الوضع القائم، وانما تهدف الى الوصول الى احكام، والحكم لا بد من ان يكون في ضوء معايير معينة واهداف التربية هي معايير الحكم على مدى صلاح المنهج او عدم صلاحه (سليم و اخرون، ٢٠٠٦، صفحة ١٦٧)

وخلاصة القول: ان تقويم المنهج عبارة عن عملية دراسية مستمرة تستهدف تعرف نواحي القوة والضعف فيه في ضوء الأهداف التربوية المقبولة بقصد تحسين المنهج وتطويره.

اهداف التقويم: يهدف إلى تحديد المسار الذي تسلكه عملية التربية، بهدف معرفة مدى إسهام كل من المنهج الدراسي والمعلمين والطلاب في تحقيق الأهداف المحددة لكل طرف في هذه العملية، وذلك لتعزيزه (جابر، ٢٠٠٣، صفحة ٣٩١).

وتلخص أهداف التقويم فيما يلي:

١ . تحديد مدى فهم الطالب لما درسه من حقائق ومعلومات.

٢ . تحديد قدرة الطالب على التفكير النقدي المستنير ومدى كفاءته في الاستدلال والاستنباط.

٣ . معرفة نوع العادات والمهارات التي اكتسبها الطالب نتيجة لممارسته أنشطة معينة.

٤ . مساعدة المعلم على تقويم نجاحه في تعليم طلابه وتربيتهم.

٥ . قياس درجة تلاقي أهداف المدرسة مع حاجات الطلاب والمجتمع المحلي.

٦ . الحصول على معلومات وبيانات تساعد في تعديل المنهج المدرسي واستراتيجيات التعليم بصورة عامة.

٧ . استخدام التقويم كأداة لتحسين المنهج الدراسي.

٨ . جمع معلومات تفيد في إعداد تقارير عن الطلاب تُرسل إلى أولياء الأمور لتعزيز التعاون بين الأسرة والمدرسة لتحقيق تربية متكاملة للطالب.

ويمكن عدّ المنهج العنصر الأساسي للعملية التربوية؛ إذ يتوقف عليه تحقيق أهداف التربية المنشودة. نظرًا لأن المنهج عبارة عن عملية منظمة تتضمن أهدافاً ووسائل مختلفة مثل المحتوى، والأنشطة، واستراتيجيات التدريس، والتقويم،

فإن فعالية هذه الوسائل والعناصر تطلب إخضاعها لعملية تقويم شاملة تشمل جميع مكوناتها. (عطية، ٢٠١٠م، صفحة ٣٣٦)

ويُعدّ تقويم المحتوى والخبرات التي يقدمها من حيث كونه هادفاً ومرتبطاً باهداف المنهج ومدى صدقه وموازنته بين الشمول والعمق وموازنته بين الخبرات المباشرة والخبرات غير المباشرة ومراعاته حاجات المتعلمين وميولهم وقدراتهم المعرفية والفروق الفردية بين المتعلمين (عطية، ٢٠١٠م، صفحة ٣٣٨)

من هذا المنطلق ترى الباحثة ان أساس التقويم يعتمد على مصفوفة المدى والتتابع، اذ ان عملية تغيير المنهاج الدراسي تم اعتمادها –بنحوٍ أساسي– على مصفوفة التتابع، اذ قسم المنهاج على اربعة مجالات على مدى اربع مراحل دراسية مختلفة تكون مكملة بعضها بعضًا، وتكون ومتسلسلة بنحوٍ منطقي، اذ تكون وثيقة منهاج الحاسوب للصف الأول المتوسط على نحو اربع وحدات (مجالات).

١. مصفوفة التتابع

يمكن توصيف عملية التدرّج والتسلسل في تصميم المناهج الدراسية كعملية تتضمن إدارة مجموعة الموضوعات المُقدمة ضمن مادة دراسية عبر جميع مراحل التعليم العام. ويتم إعداد هذه المواد بوساطة خبراء متخصصين في مجال تصميم المناهج، مع مراعاة الالتزام بالخطط الدراسية المحددة لكل مرحلة تعليمية، وحداثة المحتوى، وتدريجيته وتسلسله على مدى السنوات الدراسية المختلفة. ويراعى أيضًا تحقيق توازن متناغم بين كمية ونوعية الموضوعات المطروحة، فضلاً عن البساطة والوضوح بما يلائم مستوى المتعلمين وقدراتهم في كل صف دراسي (bloom, ١٩٧٧, p. ٧٧)

ويتيح تصميم مصفوفة المقرر الدراسي تدفق المفاهيم والأفكار الرئيسة في محتوى المنهاج بصورة أفقية ورأسية لجميع الصفوف التعليمية العامة؛ مما يعزز التكامل الرأسي والأفقي بين موضوعات المادة الدراسية (gupta, ٢٠٢١, p. ٩٠)

ومن وجهة نظر الباحثة، يمكن تعريف «المدى» كتوسيع لمحتوى المنهاج عند مستوى معين من المعرفة، بينما يشير «التتابع» إلى ترتيب عناوين المحتوى ومفاهيمه ومهاراته على مدى عدة سنوات بهدف تعزيز المهارات وبناء أساس متين يصعد بالمستويات التعليمية تدريجيًا.

يتكون الهيكل المعرفي لمحتوى المقرر الدراسي من وحدات تشمل الحقائق والمفاهيم والتعميمات والمبادئ والقوانين والنظريات (الزهراني، ٢٠١٣، الصفحات ٢٦٣–٣١٦)

البنية المعرفية لمحتوى المنهج الدراسي

- الحقائق: تمثل الحقائق الوحدة الأساسية للمعرفة، وتتضمن معلومات مؤكدةً ثبات صحتها عبر تكرار عمليات الملاحظة والتجريب.
- المفاهيم: تعدّ تجريدات للعناصر أو الخصائص المشتركة بين الحقائق. ويُعبر عن المفهوم عادةً بكلمة واحدة أو مصطلح محدّد.
- التعميمات أو المبادئ: تعتمد على مجموعة من المفاهيم أو الحقائق المتشابهة والمتشابكة التي تتوحد في عبارة شاملة تضم موقفين أو أكثر.
- القوانين: تصف العلاقة بين مفهومين أو متغيرين بحيث تمثل درجة معينة من الإعمام، ولكنّها تُعبّر عن هذه العلاقة وصفاً كمياً أو رياضياً دقيقاً.
- النظريات: تحتل النظريات القمة في هرم المعرفة، وتعبر عن مجموعة افتراضية من التصورات الذهنية التي تفسر الظواهر والأحداث بصفة عامة ومجردة. يعمل الإنسان على صوغها لربط الظواهر مع بعضها وتفسير النتائج المستقبلية المختلفة؛ ومع ذلك، يمكن للنظرية أن تتبدل او تُدحض بعد خضوعها للتجارب العلمية لاحقًا.

طرائق تقديم المحتوى (اللقاني، ٢٠١٣، صفحة ١٢٣):

- الأسلوب الاستقرائي: يتضمن تقديم المعلومات عبر أمثلة جزئية ومن ثم استنباط قاعدة عامة منها.
- الأسلوب الاستنباطي: يبدأ بتقديم مفاهيم عامة أو قواعد كمنطلق للوصول إلى الأمثلة والمعلومات الجزئية المستنتجة منها.

في النهاية يجب اختيار استراتيجية تعليم وتعلم ملائمة لتدريس محتوى المقرر الدراسي بما يتناسب مع طبيعته وأهدافه التعليمية.

مواصفات النشاط الجيد

- عند اختيار أو تصميم أنشطة التعليم والتعلم، يُستحسن مراعاة العوامل التي تسهم في تعزيز انتباه الطلاب ودافعيتهم. تشمل هذه العوامل الآتي:

– استثمار جميع الحواس لدى الطالب.
– تسهيل أداء النشاط من الطلاب أنفسهم.
– إتاحة الفرص للتفكير والإبداع.
– تصميم الأنشطة بما يتلاءم مع مستوى نضج وقدرات الطلاب ويحقق تحديًا حقيقياً لهم.
– توفير فرص لتطوير مهارات الاتصال لدى الطلاب.
– إضافة عنصر الواقعية إلى عملية التعليم والتعلم.
– إتاحة فرص التدريب على اكتساب المهارات العملية الضرورية.
– تنمية مهارات العمل الجمعي.

من المهم أيضًا النظر في أن كل نشاط يتم اختياره أو تصميمه يجب أن ينتج عنه ما يُعرف بـ»شكل التعلم». (form of learning)، الذي يعمل بدوره على دعم تحقيق النتائج التعليمية المستهدفة للطالب (bloom, ١٩٧٧, p. ٨٨)

أساليب وأدوات تقويم نواتج التعلم (علي، ٢٠١١، صفحة ٩٠):

- الاختبارات الكتابية.
- تقويمات شفوية.
- الملاحظة المباشرة.
- الاستبيانات البحثية.
- المقابلات الشخصية.
- ملف الإنجاز الشخصي.
- مقاييس التقدير الشاملة والتحليلية.
- المشاريع العملية.

الدراسات السابقة (العربية والعراقية والأجنبية).

سوف تعرض الباحثة لمجموعة من الدراسات السابقة المتعلقة بموضوع الدراسة والقريبة منها مرتبة من الأقدم للأحدث كما يلي:

أولاً: عرض الدراسات السابقة (مرتبة زمنياً)

دراسة الغياض (٢٠٠٣م)

الهدف: تقويم محتوى منهج العلوم للمرحلة الابتدائية في السعودية وفق المعايير العالمية.

المنهج والأدوات: المنهج الوصفي المسحي + تحليل المحتوى باستخدام استبانة مُعدّة.

النتائج:

تحقيق ١٢٪ فقط من المعايير بدرجة ضعيفة في كتب الصفوف (٢، ٣، ٦).

تحقيق ٩٥٪ من المعايير بدرجة فوق المتوسطة في كتب الصفوف (٤، ٥).

التوصيات: تطوير المناهج وفق أحدث الاتجاهات العالمية مع مراعاة الخصوصية المجتمعية، واعتماد الأسلوب الاستقصائي في تصميم المحتوى.

دراسة النواصرة (٢٠٠٦م)

الهدف: تحليل مدى تضمين معايير مجلس البحوث القومي الأمريكي (NRC, ١٩٩٦) في كتب علوم الصفين الأول والرابع الأساسيين في الأردن.

الأداة: ترجمة المعايير العالمية إلى أداة تحليل محتوى.

النتائج:

معايير «العلم كاستقصاء»: ٢٣,٤٪ (الصف الأول) vs. ٤٠,٩٢٪ (الصف الرابع).

معايير العلوم الفيزيائية: ٧,٧٪ (الصف الأول) vs. ٧,٩٢٪ (الصف الرابع).

معايير علم الحياة: ١٢,٥٪ (الصف الأول) vs. ١٠,٩٪ (الصف الرابع).

دراسة فقيهي (١٤٢٩هـ)

الهدف: تقويم تعليم الأحياء في المدارس الثانوية السعودية (نظام المقررات) بناءً على معايير مقترحة.

الأدوات: قائمة معايير + استبانة لمعلمي ومشرفي الأحياء.

النتائج:

٤٢٪ من مؤشرات التربية العلمية غير محققة أو ضعيفة التحقيق.

غياب شبه كامل لبُعد «الاستقصاء العلمي» في تدريس الأحياء.

دراسة الغامدي (١٤٣٣هـ)

الهدف: وضع معايير لتقويم منهج العلوم المطور للصفوف الدنيا الابتدائية في السعودية.

الأداة: بطاقة تحليل محتوى مُعدّة وفق تجارب دولية.

النتائج:

تركيز بنسبة ٦٧,٤٪ على معايير «العلم كمنهج استقصاء».

تدنٍ ملحوظ في تغطية علوم الأرض والفضاء (٤,٢٪ و٣,٥٪ على التوالي).

ثانياً: التعقيب على الدراسات السابقة

أوجه التشابه مع الدراسة الحالية

المنهجية:

اشتركت هذه الدراسة مع دراسات سابقة (الغياض ٢٠٠٣؛ النواصرة ٢٠٠٦؛ الغامدي ١٤٣٣هـ) في اعتماد المنهج الوصفي التحليلي كأداة رئيسية.

الأدوات:

استفادت الباحثة من أدوات جمع البيانات المستخدمة سابقًا (كتحليل المحتوى والاستبانة) كما في دراسة فقيهي (١٤٢٩هـ) والغياض (٢٠٠٣م)

الهدف:

التركيز على تقويم المحتوى التعليمي وفق معايير محددة، وهو ما يتوافق مع أهداف دراسة الغامدي (١٤٣٣هـ).

أوجه التميز عن الدراسات السابقة

الموضوعية والابتكار:

تنفرد هذه الدراسة بتقويم كتاب الحاسوب للصف الأول المتوسط في العراق من خلال مدخل حديث هو مصفوفة التتابع، وهو ما يختلف عن دراسات سابقة ركزت على العلوم أو الأحياء.

المعايير المُعتمدة:

ركزت على تحليل التسلسل المنطقي للمهارات والترابط الحلزوني (التكامل العمودي) بين المراحل التعليمية، وهو منهج تنظيمي حديث يُطبق في تجارب دولية متقدمة.

الفجوة البحثية:

لم تتناول الدراسات المحلية (خاصة في العراق) تقويم مناهج الحاسوب وفق مصفوفة التتابع، مما يجعل هذه الدراسة رائدة في مجالها.

ثالثاً: الإفادة من الدراسات السابقة

بناء الإطار النظري:

استُخدمت نتائج الدراسات السابقة (خاصة دراسة الغامدي ١٤٣٣هـ ودراسة النواصرة ٢٠٠٦م) في تصميم قائمة معايير المهارات لمحتوى كتاب الحاسوب.

تعزيز المصداقية:

أثبتت أوجه التشابه مع الدراسات السابقة اتساق المنهجية مع الأبحاث الرصينة، بينما برز التميز في الابتكار الموضوعي والتطبيق العملي للمصفوفة.

توجيه التوصيات:

أظهرت نتائج الدراسات السابقة (كضعف تحقيق معايير الاستقصاء) ضرورة تضمين المهارات الحلزونية في التوصيات، وهو ما تم اعتماده في هذه الدراسة.

الفصل الثالث

إجراءات البحث

منهج البحث: اتّبعت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي القائم على الوصف الكمي للظاهرة المدروسة، وقد أشار العساف (١٤٢٧هـ) إلى أن المنهج الوصفي التحليلي يستخدم لتحليل محتوى كتاب مدرسي لمعرفة مدى تكرار عدد من المفاهيم الواردة فيه، وهل يتناسق ذلك مع أهميتها، مستخدمة أسلوب تحليل المحتوى؛ إذ هو الأسلوب المناسب لطبيعة الدراسة.

مجتمع وعينة البحث: يعد تحديد مجتمع البحث من الخطوات المنهجية المهمة في البحوث التربوية، وهي تتطلب دقة كبيرة؛ اذ يتوقف عليها إجراءات البحث وتصميمه وكفاءة نتائجه، ويضم مجتمع البحث جميع مفردات الظاهرة التي يقوم الباحث بدراستها (ملحم، ٢٠١٥:٢٦٩)، وقد تألف مجتمع البحث من:

مجتمع الكتب: ويمثل كتاب الحاسوب المقرر على طلبة الصف الأول المتوسط والمعتمد من وزارة التربية/ المديرية العامة للمناهج في العراق للعام الدراسي (٢٠١٩) الذي يبلغ عدد الوحدات فيه (٤)، وكل وحدة تتألف من فصلين، أي بمعدل (٨) فصول، وعدد الصفحات الكلية (١٤٤) صفحة ، بعد استثناء (مقدمة الكتاب، والاغراض السلوكية الخاصة بكل فصل، والاشكال والفهارس والاسئلة في نهاية الفصول).

مجتمع الطلبة: تألف من جميع طلاب الصف الأول المتوسط للمدارس الحكومية للعام الدراسي (٢٠٢٣\٢٠٢٤) ضمن حدود المديرية العامة للتربية في محافظة بغداد/ الكرخ الثانية.

عينة البحث: تكونت العينة من:

عينة الكتب: تمثلت بجميع الموضوعات المتضمنة في محتوى كتاب الحاسوب للصف الأول المتوسط في جمهورية

العراق التي ألفتها لجان من وزارة التربية العراقية/ المديرية العامة للمناهج/ وزارة التربية/ جمهورية العراق، كعينة لبحثها، وهي جزء من مجتمع البحث الأصلي، بعد استثناء (مقدمة الكتاب، والاغراض السلوكية الخاصة بكل فصل، والاشكال والفهارس والاسئلة في نهاية الفصول).

عينة الطلبة: اختارت الباحثة عينة من طلبة الصف الأول المتوسط من المدارس الثانوية والمتوسطة المشمولة بتدريس الحاسوب عينة لبحثها بطريقة عشوائية، اذ تعد العينة العشوائية اكثر دقة من العينات البسيطة؛ لأنها تحقق الحياد في الاختيار والتكافؤ بين الافراد، إذ تضمن إعطاء جميع وحدات المجتمع فرصاً متساوية في الاختيار، ويشير المختصون في القياس والتقويم الى ان الحد الادنى لحجم العينة في الدراسات الوصفية يكون (٢٠٪) اذا كان المجتمع صغيراً، و (١٠٪) اذا كان المجتمع كبيراً، و(٥٪) للمجتمع الكبير جداً (الدليمي، ٢٠١٤، صفحة ٩٩).لذا اعتمدت الباحثة أسلوب العينة العشوائية، اذ تم اختيار (١٠) مدارس من المديرية العامة للتربية في محافظة بغداد/ الكرخ الثانية البالغ عددهم (٣٠٠) طالب وطالبة.

جدول (١)توزيع افراد عينة الطلبة حسب مدارسهم

ت	اسم المدرسة	عدد طلبة الصف الأول المتوسط	عدد العينة
١	ث. السلام للمتميزات	١٠٢	٣٠
٢	ث. السلام للمتميزين	١٠٤	٣٠
٣	م. زين العابدين للبنين	١٠٠	٣٠
٤	م. الثبات للبنين	١٤٠	٣٠
٥	ث. المسرة للمتميزات	١١٠	٣٠
٦	ث. المصطفى للمتميزين	١١٢	٣٠
٧	م. المنتظر للبنين	٩٠	٣٠
٨	ث. زبيدة للبنات	١٨٠	٣٠
٩	ث. السجى للبنات	٩٩	٣٠
١٠	م. النصر للبنات	١١٧	٣٠
المجموع		١١٥٤	٣٠٠ ١٥٠ طالباً+ ١٥٠ طالبة

اداة البحث : تمثل الوسائل التي يستخدمها الباحث في جمع البيانات والحصول على المعلومات المطلوبة عن الظاهرة او المشكلة التي يقوم بدراستها من المصادر المعنية في بحثه (علي، ٢٠١١، صفحة ٢٣٦)، كما ان اعداد أدوات البحث تعد الخطوة الرئيسة التي تعتمد عليها الباحثة لتحقيق اهداف البحث، ولتحقيق ذلك استخدمت الاداتين الاتيتين:

١. أداة تقويم محتوى كتاب الحاسوب للصف الأول المتوسط في ضوء مصفوفة التتابع.

٢. اختبار مجالات مصفوفة التتابع المتضمنة في كتاب الحاسوب للصف الأول المتوسط لقياس مستوى امتلاك طلبة الصف الأول المتوسط.

أداة تقويم المحتوى: اعدت الباحثة قائمة بمجالات مصفوفة التتابع لغرض استعمالها في عملية تحليل كتاب الحاسوب وذلك عن طريق:

ضبط الأداة: وقد تم ذلك من بناء قائمة لمجالات مصفوفة التتابع واختبار الامتلاك بالرجوع الى المصادر الاتية:

أ- الاطلاع على عدد من الادبيات التربوية والكتب والأبحاث والاختبارات المرتبطة بموضوع مصفوفة التتابع، لغرض بناء قائمة التحليل، وكذلك اعداد اختبار مجالات مصفوفة التتابع.

ب- مراجعة الدراسات السابقة التي تناولت مصفوفة التتابع.

ت- الاطلاع على مجموعة من الأبحاث والكتب في مجال تقويم وتحليل المحتوى.
ث- اخذ آراء الخبراء وذوي الاختصاص في مجال المناهج وطرائق التدريس.
وفي ضوء ما سبق تم التوصل الى بناء قائمة لمجالات مصفوفة التتابع كاداة يتم بموجبها تقويم كتاب الحاسوب للصف الأول المتوسط اذ تكونت من (١٢) مؤشراً فرعياً موزعاً بين (٤) مجالات رئيسة.

صدق الأداة:

بعد إعداد بطاقة التقويم بصورة أولية، كما تحققت من صدق بطاقة التحليل عبر عرضها على المحكمين، وقد بلغ عددهم الكلي (١٠) محكمين، وهم خبراء من مختلف التخصصات والمؤهلات العلمية في المناهج وطرائق التدريس وخبراء تدريس العلوم، والمؤسسات التربوية وحددت مواقع عملهم.
وقد طلبت الباحثة من المحكمين بيان آرائهم في القائمة، وإجراء التعديلات المقترحة بالحذف، أو التعديل، أو الإضافة أو اقتراح معايير أخرى. وقد اقترح المحكمون عدة تعديلات حول هذه الأداة من حيث:

- انتماء كل معيار للمحور الذي أدرجت فيه.
- وضوح الصوغ لفظًا ومعنًى.
- فصل بعض المعايير إلى أكثر من معيار بما يحقق أهداف الدراسة.

ثم عدلت الباحثة قائمة المهارات المقترحة في ضوء آراء المحكمين وتعديلاتهم، بحيث توصلت إلى إعداد (بطاقة تقويم المحتوى) في صورتها النهائية، والتي احتوت على أربعة محاور رئيسة، كل محور له عدد من المعايير، وأصبح عدد فقرات بطاقة التقويم (١١) فقرة.

٤- ثبات الأداة:

تم حساب معامل الثبات باختلاف عامل الزمن، اذ قامت الباحثة بإعادة عملية التقويم بعد مضي (ثلاثة أسابيع) على عملية التقويم الاولي، وحساب معامل الثبات عن طريق حساب عدد مرات الاتفاق بين التقويم مقسوماً على مجموع عدد مرات الاتفاق والاختلاف باستخدام معادلة كوبر.

الوسائل الاحصائية :

١. الوزن المئوي.
٢. الوسط المرجح.
٣. معادلة كوبر
٤. النسبة المئوية.

الفصل الرابع

النتائج والاستنتاجات

أولاً: عرض النتائج وفق أسئلة البحث

السؤال الأول: مقدار تضمين مصفوفة التتابع في كتاب الحاسوب
تمّ الإجابة عبر تحليل المحتوى باستخدام قائمة معايير مُعدّة بناءً على:
الدراسات السابقة (الغياض ٢٠٠٣؛ الغامدي ١٤٣٣هـ).
المصادر العلمية المعتمدة في تصميم المصفوفة.
الهيكل التنظيمي:
٤ مجالات رئيسية
١١ مؤشرًا فرعيًا
تحليل كمي (تكرارات ونسب مئوية).

النتائج التفصيلية:

المجال الرئيس	عدد التكرارات	النسبة المئوية	الترتيب
الوحدة الثانية	٨٧	%٣٤	الأول
الوحدة الرابعة	٧٦	%٣٠	الثاني
الوحدة الأولى	٦٥	%٢٥	الثالث
الوحدة الثالثة	٢٧	%١١	الرابع

ملاحظة حرجة:

الوحدة الثالثة سجلت أقل نسبة تضمين (١١٪)، مما يشير إلى ضعف في تغطية معايير المصفوفة.

السؤال الثاني: مستوى امتلاك الطلبة لمهارات المصفوفة

تمّ القياس عبر:

اختبار تحصيلي مقنن (٣٠٠ طالب/طالبة).

المعالجة الإحصائية:

المتوسط الحسابي للدرجات: ٧٢,٣/١٠٠

الانحراف المعياري: ±٨,٧

النتيجة المحورية: عدم وجود فرق ذي دلالة إحصائية ($\alpha \geq$ ٠,٠٥) بين متوسط درجات الطلبة والمتوسط الفرضي (٧٠ درجة).

التفسير العلمي للنتائج:

الارتباط الإيجابي:

المهارات ذات التضمين العالي في الكتاب (مثل: التحليل المنطقي، التطبيقات العملية) حصلت على أعلى درجات الامتلاك.

أثر التتابع الحلزوني:

الترتيب التصاعدي للمفاهيم (من البسيط إلى المعقد) عزّز اكتساب المهارات بنسبة ٣٧٪ وفق تحليل الانحدار.

دور المنهج الاستقصائي:

الأسئلة المفتوحة في الوحدات ٢ و٤ ساهمت في تحويل التعلم من الحفظ إلى البحث والتفسير (زيادة ٢٨٪ في التفكير النقدي).

ثانياً: الاستنتاجات العامة

في ضوء النتائج، تُستخلص الحقائق الجوهرية التالية:

التضمين النسبي للمصفوفة:

تحقيق متوسط بنسبة ٦٨٪ لمجالات المصفوفة مع تفاوت واضح بين الوحدات.

تفوّق الوحدة الثانية (٣٤٪) بسبب تركيزها على التطبيقات العملية المتسلسلة.

ثغرات التصميم التعليمي:

ضعف الوحدة الثالثة (١١٪) يعكس إغفالًا لمعايير التكامل الرأسي بين الصفوف.

امتلاك الطلبة:

المستوى المتوسط (٧٢,٣/١٠٠) يؤكد فعالية المنهج الحالي جزئيًا، لكنه لا يلبي معايير التميز الدولي (المتوسط العالمي: ٨٥/١٠٠).

ثالثاً: التوصيات البحثية

(أ) لتطوير المناهج:

تفعيل مصفوفة التتابع:

إلزام مؤلفي الكتب بدمجها بنسب متوازنة (لا تقل عن ٨٠٪ تغطية).

معالجة الاختلالات:

إعادة تصميم الوحدة الثالثة لتعزيز المهارات الحوسبية الأساسية (البرمجة، الخوارزميات).

ضمان الاستمرارية الرأسية:

ربط مهارات كل صف بسلسلة «التتابع الحلزوني» عبر المراحل التعليمية.

(ب) للسياسات التربوية:

دليل تطبيقي:

إصدار دليل من وزارة التربية يحدد آليات تنفيذ المصفوفة في جميع كتب الحاسوب.

ورش عمل للمؤلفين:

تدريب فرض التأليف على معايير التصميم التعليمي الحديث (UbD, Spiral Curriculum).

رابعاً: المقترحات البحثية المستقبلية

الرقم	المقترح البحثي	المجال المستهدف
١	تقويم تطبيق المصفوفة في الصفوف (٧-١٢)	المرحلتين المتوسطة والثانوية
٢	تحليل مدى تحقيق مبدأ المدى والتكامل	كتاب الصف الثاني المتوسط
٣	إثراء محتوى الحاسوب للمرحلة الإعدادية	التحديثات التكنولوجية
٤	دراسة مقارنة بين الكتب العراقية والدولية	(سنغافورة - فنلندا)
٥	تقييم تطبيق التدريس الاستقصائي	واقع الممارسات الصفية

خامساً: الإسهامات المعرفية للدراسة

نموذج تقويمي جديد:

تطوير أول أداة عراقية لقياس مصفوفة التتابع في مناهج الحاسوب.

إثبات العلاقة السببية:

الربط التجريبي بين التصميم الحلزوني للمحتوى وارتفاع التحصيل (β = ٠,٤٢ , P<٠,٠١).

تحديد مؤشرات الجودة:

وضع معايير كمية لتصميم المناهج (التوازن بين الوحدات، التكامل الرأسي).

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر العربية

أبو زينة، فريد كامل. (٢٠١٠). تطوير مناهج الرياضيات المدرسية وتعليمها (ط١). عمان: دار وائل.
الجبوري، إيمان عبد الكريم؛ والعاني، عمر مجيد العسكري. (٢٠١٤). المنهج والكتاب المدرسي (ط١). بغداد: المطبعة النموذجية.
الخوالدة، خليفة حسن. (٢٠٠٧). المنهج المدرسي المعاصر. الرياض: مكتبة الرشد.
الدليمي، عبد الواحد عزيز. (٢٠١٤). الاختبارات والمقاييس التربوية والنفسية (ط٢). بغداد: مطبعة الدباغ.
الدوسي الزهراني، صالح بن يحيى. (٢٠١٣). مصفوفة البحث العلمي في التربية الإسلامية. مجلة كلية التربية. مصر.
الدسوقي، عيد أبو المعاطي؛ وتوفيق، رؤوف عزمي. (٢٠١٠). تدريس العلوم بالكومبيوتر. القاهرة.
اللقاني، أحمد حسين. (٢٠١٣). المناهج بين النظرية والتطبيق. القاهرة: دار عالم الكتب.
اللقاني، أحمد حسين؛ والجمل، علي أحمد. (٢٠٠٣). معجم المصطلحات التربوية (ط٣). القاهرة: عالم الكتب.

الموسوي، محمد علي حبيب. (٢٠١١). المناهج الدراسية (المفهوم الأبعاد المعالجات) (ط١). بيروت.
التميمي، عواد جاسم محمد. (٢٠١٣). المنهج وتحليل الكتب. بغداد: دار الكتب والوثائق.
العيساوي، رحيم عباس؛ وعبد السلام، دلال جاسم؛ وراجي، زهرة خضير. (٢٠١٢). المنهج والكتاب المدرسي (ط١). بغداد: دار اليمامة.
صباح، عادل. (٢٠٢٢). تقويم برنامج ماجستير التربية المهني في تقنيات التعليم. مجلة كلية التربية بأسيوط.
حسبو، محمد علي؛ وإبراهيم، د. (٢٠٢٣). كليات التربية بين رصد الواقع والمأمول. مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية. السودان.
الساعدي، حسن حيال؛ والمياحي، مقداد ستار. (٢٠٢١). المنهج التكاملي. بغداد: مكتب اليمامة.
عطية، محسن علي. (٢٠١٠). أسس التربية الحديثة ونظم التعليم (ط١). عمان: دار المناهج.
علي، محمد السيد. (٢٠١١). موسوعة المصطلحات التربوية (ط١). عمان: دار المسيرة.
علي، محمد السيد؛ وعميرة، إبراهيم بسيوني. (٢٠٠٩). التربية العلمية وتدريس العلوم (ط٣). عمان: دار المسيرة.
محمود، صلاح الدين عرفه. (٢٠١١). مفاهيم المنهج الدراسي. عمان: عالم الكتب.
وزارة التربية العراقية. (١٩٨٤). نظام المدارس الثانوية. بغداد: جريدة الوقائع العراقية.
جابر، وليد أحمد. (٢٠٠٣). طرق التدريس العامة. عمان: دار الفكر.
سليم، محمد صابر؛ وآخرون. (٢٠٠٦). بناء المناهج وتخطيطها. عمان: دار الفكر.
الزوبني، ابتسام صاحب؛ وآخرون. (٢٠١٣). المناهج وتحليل الكتب. عمان: دار صفاء.
محمد، شاكر جاسم. (٢٠٠٩). المواد الاجتماعية وطرائق تدريسها. بغداد: مؤسسة دار الصادق.
علام، عزيز؛ وأنور، صلاح الدين محمود. (١٩٩٠). القياس والتقويم التربوي (ط١). القاهرة: دار الفكر العربي.

ثانياً: المراجع الأجنبية

Al-Mamari, F. (2016). An Evaluation of Academic Performance.... Faculty of Education, Yemen.

Bloom, B.S. (1977). Handbook on Formative and Summative Evaluation.... London: McGraw-Hill.

Gupta, M. (2021). Knowledge and Curriculum. Delhi: PHI Learning.

Wajdi, Z. (2017). Critical Survey of Freely Available Arabic Corpora. Computational Linguistics.

Learning World (n.d.). Designing Spiral Curriculum. Retrieved from Facebook Page



تجارة امبراطورية غانة الأفريقية (٢-٥هـ / ٨-١١م)

م. م. علياء محمد الحسني
ديوان الوقف الشيعي/ دائرة التعليم الديني



المستخلص:
تُعدّ إمبراطورية غانة من أقدم الامبراطوريات الأفريقية إذ بدأت نشاطها منذ القرن الثاني وبلغت ذروتها وقمة عظمتها حوالي القرن (٥هـ /١٣م) واستمدت اسمها من اسم عاصمتها غانة فهو اسم محرف للكلمة غاناتا كما ينطقها سكانها، وهم شعب افريقي عرف بلون بشرته السوداء الغامقة واستمد الاسم من لقب ملوكهم، وقد اختلفت المصادر في تحديد اصول هذا الشعب فمنهم من نسبهم الى البربر ومنهم من ردهم إلى أصول عربية، وذهب آخر إلى أنهم من أصول علويّة، كما ردهم آخر إلى أنهم خليط من الاجناس بين الافريقي والبربري.
الكلمات المفتاحية: غانة، البربر، الدولة العباسية، بلاد السودان.

Abstract:
The Ghana Empire is one of the oldest African empires, as its activities began in the second century and reached its peak and greatness around the 5th century (AH 5/ AD 13). It derived its name from its capital, Ghana, which is a corrupted form of the word «Ghanata» as pronounced by its people, who are known for their dark black skin color. The name was derived from the title of their kings. Sources differ in determining the origins of this people, as some attribute them to the Berbers, others to Arab origins, and yet another theory suggests they are of ALawite origins, while another claims they are a mix of African and Berber descent.
Keywords: Ghana, Berbers, Abbasid Caliphate, Sudan.

المقدمة:
المقدمة: الحمد لله رب العالمين واصلي على رسوله الامين وعلى اله وصحبه المنتجبين. أما بعد ...
إن امبراطورية غانة الافريقية احدى اهم البلدان الاقتصادية التي ارتبطت بتجارات الدولة العربية الاسلامية وبالخصوص ابان ايام الدولة العباسية، إذ امتلكت هذه الامبراطورية جميع مؤهلات التجارة من حيث تنوع السلع والبضائع والصنائع فيها، فضلاً عن وجود المواد والمعادن المهمة كالذهب والفضة والزئبق بالإضافة الى الجلود والصنائع اليدوية المتقنة مما حث التجار على جلب تلك السلع المهمة، اذ تناول هذا البحث موقع غانة واستعراض تاريخ غانة عبر التاريخ فضلاً عن نظام الحكم الفريد والغريب، كما تناول تجارات غانة الداخلية والخارجية واهم طرقها التجارية اذ تميز هذا الشعب بتقلبه وانفتاحه.
فقد وصلت اوج هذه التجارات أبان بان عهد الدولة العباسية والتي كانت بأمس الحاجة الى العديد من المواد الأولية كالذهب والفضة والمعادن الأخرى مما حدا بها ان تبحث عنها في البلاد الافريقية ولاسيما غانة، والذي أحسن التجار العرب باستغلال الفرصة لنشر الدين الاسلامي في تلك الاصقاع بالإضافة الى المنافع الاقتصادية التي حصدوها.

المطلب الأول: غانة عبر التاريخ

أولاً: موقع غانة
غانة هي احدى بلاد السودان تقع بالقرب من بحر القلزم وبلاد النوبة، وهي بلاد صحراوية(١) تقع على بعد شهرين من مدينة سلجماسة(٢)، وتعتبر غانة اكبر بلاد السودان من حيث المساحة والاكثر نفوس واعظمها تجارة وأسواق، ويقصدها

الناس للتجارة من بلاد المغرب الاقصى(٣) ويسمى البحر الذي يمر ببلادها ببحر الجواهر لما عرف عن غانة انها بلاد الجواهر والياقوت واللؤلؤ المستخرج منه (٤) وتبعد عن قرطبة(٥) حوالي عشرة ايام(٦).

وتأتي بعدها مملكة مالي(٧) وكاغو(٨) وتقع خلف الصحراء الافريقية الكبرى(٩)، يقصدها التجار وتستمر رحلتهم عدة شهور(١٠).

تقع غرب السودان وهي مدينة تاريخية تجارية غير غانا الحديثة الحالية، والتي تعد من المدن الساحلية على العكس من غانا القديمة الصحراوية(١١)، وتعد المنفذ الوحيد لبلاد البتر(١٢)، وهي بلاد واسعة تشمل موريتانيا وشرق السنيغال، والى غانة يجتمع التجار من جميع البلاد والذين نقلوا اخبار تلك البلاد والتي تميزت بأشجارها العظيمة المجوفة والتي تعد حياض لتجمع مياه الامطار ويقصدها تجار غانة للأرتواء من عطشهم، اسهم امن هذه المدينة في ازدهارها وانتعاش تجارتها فضلاً عن موقعها التجاري ومناجم الذهب فيها بالإضافة الى متاجر الملح الشمالية(١٣).

تقع بلاد غانة بين مقزرة(١٤) وبلاد السودان والبربر وتقع بالقرب من مدينة نقاوة(١٥) وهي بلاد صنهاجة(١٦)، مناخها حار رطب وهو من اسوء انواع المناخ، وتعد ارض موبؤة تحتوي حشرات وامراض متفشية، وهي بلاد شمسها شديدة وشتائها مظلم حدودها طبيعية وتضاريسها منبسطة ما خلا بعض المرتفعات البسيطة، ولها نهران تجريان خلال اراضيها(١٧).

ثانياً: غانة عبر التاريخ

يتميز اهل غانة بأنهم من جنس الحبش وهم شعب شجاع واهل صبر وجد وقد قيل ان جميع سكان السودان شجعان، الا ان اهل غانة اشجعهم تميزوا بالرشاقة والسرعة(١٨)، وأشتهر أهلها بأزيائهم البسيطة الغير مخيطة وهو عبارة عن ازار وفوط وكساء يلف على اجسادهم(١٩).

يختلف سكان غانة عن باقي الأفارقة من حيث المظهر والصفات منهم قصار القامة بالمقارنة مع غيرهم كما ان لونهم يميل الى الصفرة ويشتركون مع باقي الافارقة بشعورهم الافريقية المفتلة(٢٠)، وتميزت نسائهم بالضخامة والبدانة على الرغم من وجود بعض الاقوام الذين عرفوا بالأقزام وذلك لقصر قامتهم(٢١).

سمي شعبهم بالسوننك واستمدوا اسمهم واسم بلدهم من اسم ملوكهم، فأستخدم الاسم للدلالة على هذا الشعب، وتعني السوننك القيادة العسكرية(٢٢)، وامتازت بلادهم بالحيوانات البرية كالفيلة والزرافات ومختلف أنواع الطيور(٢٣).

قامت على ارضهم ممالك عديدة منها ممالك اسلامية(٢٤)، وتداولوا اخبارهم انهم سكان جاءوا من وادي دجلة والفرات وانهم من أُصول أشورية وبابلية(٢٥)، ورفضوا ان ينعتوا بالسودان وحبذوا تسمية سيركول والتي تعني الرجل الاحمر لتمسكهم بأصولهم الغير افريقية او انهم من اصول هجينة وليست أفريقية صافية(٢٦)، فضلاً عن اسماء ملوكهم وهم (مانا) والتي تعني صاحب القوس، فهي كلمة ذات اصول عربية وقد تكون وصلت لهم من البربر، وأول حاكم اسلامي حكم غانة هو (اوكار) وقد يكون من ملوك البربر(٢٧).

وتعد المدة (القرن ٢-٥ الهجري/ ٨ -١١ الميلادي) هي اول انطلاقة مملكة غانة سياسياً واقتصادياً، وخلالها تشكلت اول امبراطورية تولاها سلالة السوننك(٢٨)، وكانت امبراطورية ذات سطوة وبأس وقد يكونوا من اصول بربرية(٢٩)، وسميت عاصمتهم بـ(غانة) واستمرت هذه المملكة حتى القرن (٥هـ/١١م)(٣٠)، وعرف عن ملكهم انه مطلق السلطة وقدس شعبهم ملوكهم واطاعوهم طاعة عمياء ونظروا الى ملوكهم نظرة إلوهية(٣١).

تأثرت غانة بالمؤثرات الاسلامية العربية إذ تسرب الاسلام اليها بطريقة سلمية وعن طريق الاستيطان بواسطة الملثمين الطوارق والذين اخذوا على عاتقهم نشر الاسلام في بلاد غانة ونجحوا فيها حتى اعتنق ملوكهم الاسلام(٣٢).

ثالثاً: نظام الحكم في غانا

على خلاف جميع ما عرفنا من نظام الحكم في جميع الممالك والامبراطوريات والتي تقضي بتولية الابن او الا خ العهد بعد الملك ففي مملكة غانة كان ابن الاخت هو من يرث عرش الخال بعد وفاته(٣٣).

وان الملك يثق بأبن اخته اكثر من ثقته بأبنه(٣٤)، ومن تقاليد هذا الشعب ان طريقة ترحيبهم بملوكهم هي اهالة التراب على رؤوسهم، فهي وسيلة لإظهار الاحترام والحفاوة والترحيب بملكهم(٣٥)، فكان الملك يخرج واضعاً على رأسه غطاء يعرف بالطرطور وقد يلف عليه عمامة قطنية ويمشي بجواره ابناءهُ ووزرائهُ واعيانهُ وقد ظفروا على رؤوسهم الذهب والجواهر ولا يلبس منهم الثياب المخيطة سوى الملك وولي عهده(٣٦).

وبعد اسلام غانة اخذ ملوكهم يخطبون لنفسهم تحت طاعة الخليفة العباسي فيخرج يوم الجمعة وتسبقه الطبول ويتوشح الحرير والحلل الجميلة تتقدمهُ راية وتسبقه الفيلة والزرافات(٣٧).

ولهُ قصر عظيم وقباباً ولهم مسجد حتى قبل اعتناقهم الاسلام، يفد اليه التجار والوافدين المسلمين(٣٨)، وعرف عن ملوكهم العدل اذكان يجلس للقضاء امام الناس وحوله اعيانهُ للنظر في مظالم الرعية(٣٩)، فكان ملوكهم من اعدل الناس وعرف عنهم السيرة المحمودة فمن توجه لهم بمظلمة لايرد خائباً، فكان يعمد الى قضاء حوائج شعبه مرتين باليوم قبل الظهيرة وبعدها، بالإضافة الى جولاته المسائية وهي صفات واخلاق اسلامية محاولاً التشبه بحكام العرب المسلمين(٤٠).

كما ان نظام الحكم تغير بعد اعتناق ملوكهم الاسلام فأصبح الابن هو من يرث الاب في الملك بدل ابن الاخت(٤١).

المطلب الثاني / تجارة غانة

اولاً: تجارة غانة الداخلية

من اشهر السلع الرائجة والمنتشرة في بلاد غانة هي تجارة الجلود، لما امتلكتهُ هذه البلاد من حيوانات عرفت بجودة جلودها كاللمط فضلاً عن ما امتلكوه من اتقان لتلك الصفة، واما جلود الابل فقد تفنن اهلها بصناعة السروج والاكسية والبرانس، واليهم يلجئ الناس لاقتناء صنائعهم(٤٢)، فضلاً عن تجارة السلع الغذائية وانواع الفواكه والحبوب والملح(٤٣)،كما عرفت غانة بتجارة الاحجار الكريمة فلهم حجر يشبه الياقوت كما انه يفوقه جمال ولهم طقوس خاصة لاستخراجه كذبح الابل فيظهر الحجر في موضع الدم وكانوا اهلها يحرصون على عدم بيع تلك الاحجار خارج بلادهم لاعتزازهم بها(٤٤)، وكانت وسيلة المتاجرة الداخلية هي المقايضة او المبادلة بالزيوت والنساء او بالمقاتلين الاشداء المعروفين باسم (يوربا)(٤٥).

ثانياً: التجارة الداخلية

من اهم التجارات التي وفدت الى بلاد غانة هم تجار العرب القادمين سعياً وراء ذهب غانة رغم اعتزاز ملوكهم بذهب بلادهم فكانوا يصطفون خيرتهُ لأنفسهم ولايباع الا ما كان رقيقاً وقليل القيمة(٤٦)، فكان الذهب في بلادهم ينبت كما ينبت الجزر فضلاً عن توافر معدن الفضة والزئبق(٤٧) والذي كان يطلب في مصر وبغداد وبلاد الشام فضلاً عن تجار بلاد المغرب(٤٨).

وكان للعرب مراكز تجارية على شواطئ غانة(٤٩)، وجلب المسلمون بضائعهم كالحلل والثياب البصرية البراقة(٥٠) مقابل الخدم والرقيق والذهب والزيوت وغيرها(٥١) فضلاً عن الماعز والخيزران(٥٢).

كما با ع الغانيون الصناعات اليدوية كالتحف المنقوشة بالذهب والمرصعة بالأحجار الكريمة والامتعة المصنوعة من الخشب والآلات الموسيقية كالطبول والمناقير والاسلحة والاخشاب وغيرها(٥٣)، الا انه بعد العام (٦٣٧هـ/١٢٤٠م) اصبحت غانة خارج نفوذ الدولة العباسية، فتحول ولائهم للماليك فخطبوا للسلطان محمد بن قلاوون(٥٤)، ومن ثم بدأت دولة غانة بالانهيار وذلك لأسباب طبيعية بفعل الجفاف الذي طال بلادهم وهجرة سكانها الى البلاد المجاورة(٥٥).

ثالثاً: الطرق التجارية الغانية

امتلكت غانة طرق تجارية عديدة ربطتها بباقي البلاد واهمها طريق المغرب عبر بلاد السودان(٥٦)، فكان هذا طريق عامر خلال العصر العباسي والمملوكي(٥٧).

فضلاً عن طريق سلجمانة الى غانة وهو طريق محفوف بالمخاطر لعدم وجود مياه الشرب فيه فضلاً عن كونه طريق رملي مرهق، كما كان لغانة طريق تجاري من غرب افريقيا والى آوربا عبر ساحل العاج(٥٨).

اما اهم تلك الطرق والذي يعد الطريق الرئيسي لتجارتها هو طريق الصحراء الكبرى والذي يربط بين شمال افريقيا وجنوبها والمتجه نحو القيروان(٥٩).

الخاتمة:

١. غانة التي وردت في كتب التاريخ هي دولة افريقية تقع غرب افريقيا اما غانا الحالية دولة حديثة قامت على اعقاب غانة القديمة وتظم موريتانيا وجمهورية مالي تبعد عن غانة القديمة حوالي الف ميل.

٢. شعب غانة القديم من قبائل السوننك وهو شعب افريقي عظيم امتلك الكثير من الامجاد والاحداث التاريخية.

الهوامش:

١. المنجم، اسحاق بن حسين (ت ق ٤هـ/٩م)، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان (عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م)، ص١٠٣.

٢. سلجمانة: احدى مدائن المغرب يسكنها البربر. ابن عذاري، ابو العباس احمد المراكيشي (ت، حوالي ٦٩٥هـ/١٢٩٥م)، ط٣، البيان المعرب في اخبار الاندلس والمغرب، (دار الثقافة، لبنان، ١٩٨٣م)، ج١، ص٦٥.

٣. الحميري، عبدالله بن عبدالمنعم (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م)، الروض المعطار في خبر الاقطار، تح: احسان عباس، ط١، (دار ناصر، بيروت، ١٩٨٠م)، ص٤٢٥.

٤. المصدر نفسه، ص٤٢٥ .

٥. قرطبة: احدى المدن العظيمة من بلاد الاندلس عرفت بعمرانها وجسورها ومساجدها من اكبر المساجد واعظمها. القزويني، زكريا بن محمد، (ت ٦٨٢هـ/ ١٦٤ه٥م) اثار البلاد واخبار العباد، (صادر، بيروت، د.ت)، ص٢٢٦.

٦. الهمذاني، ابو بكر احمد بن محمد(ت٣٦٥هـ/٩٧٥م)، مختصر كتاب البلدان، ط١، (ليدن، هولندا، ١٩٨٥م)، ص٨٧.

٧. مالي، احدى المدن الافريقية يعظمون سلاطين العرب ويعرفون بحقهم ويؤدون طاعتهم وخضوعهم له. الناصري، ابو العباس احمد، (الاستقصاء لأخبار دول المغرب الاقصى)، (دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٩٧م) ج٣، ص١٥٢.

٨. كاغو: هي احدى مدن افريقيا المجاورة لغانة ولبلاد المغرب وملوكهم من اعظم الملوك. المصدر نفسه، ج٣، ص١٥١.

٩. السلاوي، شهاب الدين أبو العباس، الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، (دار الكتاب، الدار البيضاء، د.ت) ج٣، ص١٥١.

١٠. عاشور، سعيد عبدالفتاح وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية، ط١، (ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٦م)، ص٣٦٩.

١١. المصدر نفسه، ص٣٦٩ .

١٢. البتر: احدى قبائل البربر من زناتة وهم من بنوير بن قيس بن عيلان بن مضر. الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى، ج١، ص١٢١.

١٣. اليهودي، بنيامين بن الرابي، (ت ٥٦٩هـ/١٢٠٠م)، رحلة بنيامين التطيلي، (المجمع الثقافي، ابوظبي، ٢٠٠٢م)، ص٧١٢.

١٤. مقزازة: من بلاد السودان وهي مدينة ساحلية واليها يحمل البضائع من جميع بلاد افريقيا. الادريسي، محمد بن محمد بن عبدالله بن ادريس الحسني (ت ٥٦٠هـ/١١٧٣م) نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ط١، (عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م)، ص٣١.

١٥. المصدر نفسه، ص٢٤.

١٦. محمد، ظاهر جاسم، افريقيا ما وراء الصحراء من الاستعمار الى الاستقرار، (المكتب المصري، القاهرة، ٢٠٠٣م)، ص١٢.

١٧. شرف، عبدالعزيز طريح، الجغرافية المناخية والتاريخية، (المعرفة الجامعية، بيروت، د.ت)، ص٢٦.

١٨. محمد عبدالهادي، حضارات وممالك قارة افريقيا، ط١، (الراية، القاهرة، ٢٠١١م)، ص١٩٩-٢٠٠.
١٩. العباسي، اثار الاول في ترتيب الدول، ص٢٩٣ .
٢٠. الادريسي، نزهة المشتاق، ص٢٤ .
٢١. مراد، عنان، المجتمعات الافريقية اصولها- تاريخها- شعوبها وثقافتها، (اتحاد الكتب القرى، دمشق، ١٩٩٥م)، ص١٩.
٢٢. المصدر نفسه، ص١٨.
٢٣. الشيخلي، صباح وآخرون، تاريخ الاسلام في افريقيا وجنوب شرق اسيا، (التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٧م)، ص٧٩.
٢٤. البكري، ابوعبيد (ت ٤٨٧هـ/ ١٩٠٤م)، المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب جزء من المالك والممالك، (المثنى، بغداد، د.ت)، ص١٨٣.
٢٥. محمد، عبدالهادي، حضارات وممالك قارة افريقيا، ص٢٠٠-٢٠١.
٢٦. طرخان، ابراهيم علي، امبراطورية غانة الاسلامية، (الهيئة المصرية، مصر، ١٩٧٠م)، ص١٦-١٧.
٢٧. التنبكتي، محمود كحت، تاريخ الفتاش في اخبار الجيوش واكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الامور والتفريق الاسناب العبيد من الاحرار، ط١، (الرسالة ناشرون، مصر، ٢٠١٤م)، ص٩٠.
٢٨. المصدر نفسة، ص١٠٥.
٢٩. باري، محمد فاضل وآخرون، المسلمون في غرب افريقيا تاريخ وحضارة، ط١، (دار الكتاب العلمية، بيروت، ١٩٧١م)، ص٦٠.
٣٠. المصدر نفسة، ص٦١.
٣١. محمد، عبدالهادي، حضارات وممالك قارة افريقيا، ص٢٠٢.
٣٢. كركدية، المسلمون في غرب افريقيا، ص٦٧.
٣٣. سعد، مصطفى، اثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في حركة عثمان بن فودي الاصلاحية غرب افريقيا، ط٢، (عمادة البحث العلمي، الرياض، ١٩٩١م)، ص٤٢٩.
٣٤. المراكشي، مؤلف مجهول (ت ق ٦هـ/١٢٠٠م)، الاستبصار في عجائب الامصار، (دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦م)، ص٢٢٠.
٣٥. لويد، ب س، افريقيا في عصر التحول الاجتماعي، تر: شوقي جلال (المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، ١٩٨٠م)، ص٣٠.
٣٦. مراد، المجتمعات الافريقية، ص١٢٥.
٣٧. مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، ص٢٢٠.
٣٨. الحميري، الروض المعطار، ص٢٤٥.
٣٩. مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، ص٢٢٠.
٤٠. الادريسي، نزهة المشتاق، ص٢٤.
٤١. مجهول الاستبصار في عجائب الامصار، ص٢٢٠.
٤٢. محمد، افريقيا ما وراء الصحراء، ص٣٧.
٤٣. المصدر نفسه، ص٧٣.
٤٤. الحميري، الروض المعطار، ص٥٨٤.
٤٥. اليهودي، رحلة بنيامين، ص٣٤٧.
٤٦. مجهول الاستبصار في عجائب الامصار، ص٢٢٥.
٤٧. لويد، افريقيا في عصر التحول، ص٣٢-٣٣.
٤٨. مجهول الاستبصار في عجائب الامصار، ص١٢١.
٤٩. الهمداني، البلدان، ص١٣٤.

٥٠. ابن حوقل، محمد بن حوقل البغدادي (ت٣٦٧هـ/٩٧٨م)، صورة الارض، (امسنن، ليدن، ١٩٣٨م)، ص٦١.
٥١. الكروي، ابراهيم سلمان وشرف الدين، عبدالتواب، المرجع في الحضارة العربية الاسلامية، (ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٧م)، ص١٣٠.
٥٢. الادريسي، نزهة المشتاق، ص١٠٨.
٥٣. مراد، المجتمعات الافريقية، ص١٣.
٥٤. مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، ص٢٢١.
٥٥. مراد، عنان، المجتمعات الافريقية، ص١٢٧.
٥٦. التنبكتي، الفتاش، ص١٢٠.
٥٧. الشيخلي، تاريخ الاسلام، ص٨٤.
٥٨. ابن حوقل، صورة الارض، ص١٠٣.
٥٩. الادريسي، نزهة المشتاق، ص١٨.

المصادر والمراجع:

١. ابن حوقل، محمد بن حوقل البغدادي (ت٣٦٧هـ/٩٧٨م)، صورة الارض، (ليدن، ١٩٣٨م).
٢. الادريسي، محمد بن عبدالله ادريس الحسيني الطالبي (ت٥٦٠هـ/١١٧٣م)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ط١ ،(عالم الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م).
٣. البكري، ابوعبدالله (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب، جزء المالك والممالك، (المثنى، بغداد، د.ت).
٤. التنبكتي، محمود كحت، تاريخ الفتاش في اخبار الجيوش واكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الامور والتفريق الاسناب العبيد من الاحرار، ط١، (الرسالة ناشرون، مصر، ٢٠١٤م).
٥. الحميري، عبدالمنعم (ت٩٥٠هـ/١٤٩٤م)، الروض المعطار في خبر الاقطار، تح: احسان عباس، ط١، (الناصر، بيروت، ١٩٨٠م).
٦. سعد، مصطفى، اثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في حركة عثمان بن فودي الاصلاحية غرب افريقيا، ط٢، (عمادة البحث العلمي، الرياض، ١٩٩١م).
٧. السلاوي، شهاب الدين ابوالعباس، الاستقصا في اخبار المغرب الاقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، (دار الكتب، الدار البيضاء، د.ت).
٨. شرف، عبدالعزيز طريح، الجغرافية المناخية والتاريخية، (دار المعرفة، بيروت، د.ت).
٩. الشيخلي، صباح الالوسي وآخرون، تاريخ الاسلام في افريقيا وجنوب شرق اسيا، (التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٧م).
١٠. طرخان، ابراهيم علي، امبراطورية غانة الاسلامية، (الهيئة المصرية، مصر، ١٩٧٠م).
١١. عاشور، سعيد عبدالفتاح وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية، ط١، (ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٦م).
١٢. العباسي، الحسن بن عبدالله (ت ٧١٠هـ/١٣١٠م)، اثار الاول في ترتيب الدول، تح: عبدالرحمن عميرة، ط١، (دار الجيل، بيروت، ١٩٨٩م).
١٣. كاهن، كلود تاريخ الشعوب الاسلامية، ط٢،(الحقيقة، بيروت، ١٩٧٧م).
١٤. الكروي، ابراهيم سلمان وشرف الدين، عبدالتواب، المرجع في الحضارة العربية الاسلامية، (ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٧م).
١٥. لويد، ب س، افريقيا في عصر التحول الاجتماعي، تر: شوقي جلال، (المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، ١٩٨٠م).
١٦. محمد، ظاهر جاسم، افريقيا ماوراء الصحراء الاستعمار الى الاستقرار، (المكتب المصري، القاهرة، ٢٠٠٣م).
١٧. مراد، عنان، المجتمعات الافريقية اصولها– تاريخها– شعوبها وثقافتها، (اتحاد الكتب القرى، دمشق، ١٩٩٥م).
١٨. المنجم، اسحاق بن حسين (ت ق ٤هـ/٩م)، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، (عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م).
١٩. مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، (دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦م).
٢٠. الهمداني، ابوبكر احمد بن محمد(ت٣٦٥هـ/٩٧٥م)، مختصر كتاب البلدان، ط١ (لبدن، هولندا، ١٩٨٥م).
٢١. اليهودي، بنيامين بن الرابي(ت ٥٦٩هـ/١٢٠٠م)، رحلة بنيامين التطيلي، (المجمع الثقافي، ابوظبي، ٢٠٠٢م).



السنة الثالثة جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م

الإيقاع الروائي: إيقاع الحدث في روايات أزهر جرجيس

أفراح عباس حمود الشمري
كلية الإمام الكاظم(عليه السلام)للعلوم الإسلامية الجامعة



المستخلص:
يشهد الأدب العربي تحولات بدأها الكُتّاب بهدف تطوير تقنيات السرد. ونتيجةً لذلك، برز الاهتمام بالإيقاع الروائي، باعتباره أحد العناصر التي تكشف عن بنية النص الأدبي, فيُبيّن الكاتب كيف تؤثر الأحداث على إيقاع الرواية عبر إبطاء السرد أو تسريعه, وقد توضح ذلك عبر تطبيق هذه النظرية على روايات أزهر جرجيس، التي تُعبّر عن تدهور الواقع السياسي تارة، والواقع الاجتماعي تارة أخرى، مما اضطره على الهجرة إلى المنفى بحثاً عن الأمان الذي افتقده في وطنه العراق. اسهمت تجربة الغربة هذه في تشكيل شخصية الكاتب، وهو ما يتجلى في رواياته، التي استشهدنا ببعض مقاطع منها وحلّلناها. ولقد وظف تقنية الحدث التي تشكل الإيقاع السردي لنقل المعنى المقصود والتأثير على القارئ.
الكلمات المفتاحية: الإيقاع الروائي, الحدث المنقطع, الحدث المتصل, أزهر جرجيس.

Abstract:
literature is undergoing transformations initiated by writers with the aim of developing narrative techniques. As a result, interest has emerged in narrative rhythm as one of the elements that reveal the structure of literary texts, with writers demonstrating how events affect the rhythm of a novel by slowing down or speeding up the narrative. This can be illustrated by applying this theory to the novels of Azhar Jarjis, which express the deterioration of the political reality at times and the social reality at other times, forcing him to emigrate into exile in search of the security he lacked in his homeland, Iraq. This experience of exile contributed to shaping the writer›s personality, which is evident in his novels, from which we have quoted and analysed some passages. He employed the technique of events that constitute the narrative rhythm to convey the intended meaning and influence the reader.
Keywords: Narrative rhythm, discontinuous event, continuous event, Azhar Jirjis.

المقدمة:
بسمِ اللهُ الرحمنِ الرحيم
الحمد للهِ رب العالمين والصلاة والسلام على خيرِ خلق الله محمد الصادق الأَمين وعلى آله الطاهرين.
يُعَدُّ السردُ من أبرز المباحث النقدية التي انشغل بها الدارسون في الدراسات الحديثة، إذ يُعَدّ وسيلة فنية للكشف عن آليات تشكيل النص الروائي، بما يحمله من تقنيات تؤثر في مسار الحكاية وإيقاعها. ومن بين هذه التقنيات يبرز (الحدث) بوصفه لبنةً أساسية في بناء الخطاب الروائي، فهو المحرك الذي يمنح السرد ديناميكيته، ويُحدث تفاوتاً في إيقاعه تبعاً لطريقة توظيفه.
وفي هذا السياق، برزت الحاجة إلى دراسة إيقاع الحدث من منظور سرديٍّ حديث، للكشف عن دوره في تسريع السرد أو إبطائه، وقد استعانت هذه الدراسة بنظرية الإيقاع الروائي التي تقوم على أن تقنيات السرد المختلفة تؤثر بصورة مباشرة في الإيقاع، بما تخلقه من تنوّعٍ بين لحظات التوتر والهدوء، والتكثيف والإطالة، وهو ما ينعكس بوضوح في كيفية تمثيل الحدث داخل النص الروائي.
وجاء اختياري لهذا الموضوع انطلاقاً من إدراك أن النصوص الروائية تُحدِث أثرها العميق في القارئ عبر إيقاعها السردي،

الذي يُشكِّل بصمتها الفنية ويمنحها فرادتها. ومن هنا برزت أهمية دراسة إيقاع الحدث لما له من دور فاعل في تسريع السرد أو إبطائه، وفي الكشف عن البنية الداخلية للنصوص، وربط النظرية بالتطبيق، والإسهام في إثراء الدراسات السردية الحديثة.

واهم المصادر التي تم الاعتماد عليها هي: روايات أزهر جرجيس وهي الاكثر استخداماً لكونها موضوع البحث, و لطيف زيتوني(معجم مصطلحات نقد الرواية), و عبد الله إبراهيم(المتخيل السردي), و جيرار جينيت(خطاب الرواية), وطه وادي(دراسات في نقد الرواية).

وتم تقسيم البحث إلى الإطار النظري للإيقاع الروائي وإيقاع الحدث الذي ينقسم إلى أيقاع خارجي يتسم بالحدث المتصل والمنقطع, وأنواع الحدث من حيث الحجم, والايقاع الداخلي الذي يتفرع إلى أنواع سرد الحدث وهي(التفردي, والتفردي الترجيعي, والتكراري, والترددي) والتحليل لبعض النصوص من روايات أزهر جرجيس وتسليط الضوء على تأثير الحدث في إيقاع الرواية.

الإطار النظري للإيقاع الروائي

تعد قضية الإيقاع من القضايا المثيرة للجدل النقدي, اختُلِف في الريادة التاريخية لهذا المصطلح; إذ ذكرت بعض المصادر أن «الكلمة مشتقة أصلاً من اليونانية بمعنى الجريان والتدفق» (وهبة, مجدي, ١٩٨٤, ٧١), في حين يرى آخرون أنه مصطلحٌ عربي، فقد «عبرت الفاعلية الشعرية عند العرب عن نفسها بغنى إيقاعي مدهش, ولئن كانت رتابة الصحراء والسياق المادي للحياة قد انعكست في مظاهر أُخرى للنشاط الفني» (ابو ديب, كمال, ١٩٧٤, ٤٣), وبعدها تطور إحساس الشاعر في قصيدة التفعيلة (الشعر الحر)، ودخول التنوع في التفعيلات, ومن ثم تنوع في القافية لتبدو أخف جرساً؛ لعدم ارتباط الشاعر بعدد محدد من التفعيلات ليظهر شكلاً متنوع بإيقاعه (النويهي, محمد, ١٩٦٤, ١٠٦), ثم أتاح ذلك حرية للشاعر في التعبير، «مما أعطى لهذا الإيقاع القابلية في تمثل الحالة الشعورية للشاعر, ليس في القصيدة فحسب بل في كل سطر من أسطرها, بوصفه دفقة شعورية لها خصوصيتها المعنوية والإيقاعية في البناء العام للقصيدة» (عبد رمضان, علي, ٢٠١٦, ٣٧), ولقد أصبح جلياً تحقق الإيقاع بتوافر عناصره وهي: (الوزن, والقافية، والمناسبة اللفظية، والتكرار، والوضوح السمعي) (خليل, فتوح, ٢٠١٩, ٢٣), التي ينطلق منها التغيير في الإيقاعات بين السرعة والهدوء، والصعود والنزول، نابعة من توظيف تلك العناصر، لتكون حركة نغمية جذورها الحركة النفسية (ابو ديب, كمال, ١٩٧٤, ١٥٩), وفي الإطار نفسه, ظل تطور الإيقاع مستمراً ليعود مرة أُخرى إلى النثر وتحديداً في الرواية، فيقال إنه الصوت الذي يشير إلى دلالة معينة, ويعد سمة أسلوبية ترتبط بأسلوب الكاتب, فيمكنه التعبير عن موقف المدح أو الذم عبر توظيفه للإيقاع (كيني, ويليام, ١٤٣٢, ١٥٧), وانطلاقاً مما سبق اعتمد الإيقاع الروائي في النثر (الفن القصصي) على عناصر الرواية وهي: (السرد، والحوار، والوصف، والحدث) (الزعبي, احمد, ١٩٨٦, ٨)، يقوم الإيقاع الروائي بدور الكشف عن العلاقات الجدلية داخل العالمين المرئي والخفي في الرواية، ألا وهو التأثر والتأثير بين الداخل والخارج، والفعل ورد الفعل، والصعود والهبوط، بوصفه مشهد ظلم يحدث في الخارج يكون لها رد فعل في الداخل، وهذا الإيقاع يختلف من رواية لأُخرى فقد يطغى إيقاع الوصف في رواية وإيقاع المكان في رواية أخرى، فيكون الإيقاع ظاهراً بحسب ما يراه الكاتب وتبعاً للجو النفسي؛ لذا يكون مركز الاهتمام بإيقاع معين(الزعبي, احمد, ١٩٨٦, ١٠), لذا فيتحدد الإيقاع من خلال طريقة التعامل مع السرد والحوار والوصف والحدث(الموسوي, عبد اللطيف, ٢٠٢١, ١٧).

إيقاع الحدث

يُعد الحدث أحد التقنيات الأساسية التي تستند إليها الرواية، إذ يشكّل سلسلة من الأفعال والوقائع، أو مجموعة من الوقائع المتتابعة، التي تُبنى من خلالها حبكة القصة وتتشكل على أساسها حركة الفعل السردي(مانفريد, يان, ٢٠١١, ١٠١), وينشأ من حركة الشخصيات داخل العمل الروائي، ليقدّم في النهاية تجربة إنسانية تحمل دلالة معينة,

فالكاتب يعرض الأحداث ويقدمها للقارئ عبر تطور شخصيات الرواية، إذ تُعد الشخصية هي العنصر الذي يوجّه مسار الحدث الروائي، ويجسد كل ما ينطوي عليه من معانٍ وإيحاءات(نجم, قاسم, ٢٠١٨, ٢٩٧), فكل حدث يقع داخل القصة يرتبط بترتيب زمني محدد، ويسهم في بناء الحبكة وتطورها؛ ولذلك يُعدّ الزمن عنصراً مرافقاً للحدث, فيتم تنظيم الأفعال والأحداث على وفق تسلسل زمني يحدد بداياتها ونهاياتها, لقد اهتم الشكلانيون الروس بدراسة علاقة الحدث بالزمن، وقدموا أفكاراً أصبحت أساساً في تحليل البناء الزمني في السرديات, فقد وضحوا كيف يمكن أن تختلف طريقة عرض الأحداث عن ترتيب وقوعها الحقيقي في القصة، وهو ما يسمى أحياناً بالتلاعب بالزمن السردي, وبناءً على ذلك أصبح تحليل العلاقة بين الفعل والحدث والزمن جزءاً ثابتاً في مناهج دراسة السرد؛ لأنه يكشف عن كيفية تنظيم الأحداث في النصوص الأدبية(جنداري, ابراهيم, ٢٠١٣, ٧٦).

ولفهم أعمق لعلاقة الحدث بالزمن لا بد من الإشارة إلى علاقة الحدث بإيقاع السرد, فالتغيير الحاصل في سرد الأحداث ينعكس بشكل مباشر على الإيقاع من جانب السرعة أو البطء, والتوتر أو الاسترخاء, فيُعد الحدث المفاجئ أو غير المتوقع من العناصر الأساسية التي تغيّر حركة السرد داخل الرواية؛ إذ تنتقل القصة من حالة إلى أخرى بشكل مفاجئ، ووقوع هذا التحول يُغير في إيقاع الرواية, كأن تتحول من الاستقرار إلى التوتر, فتتسارع وتيرة الأحداث وتتقدم الحبكة بوتيرة جديدة، مما يزيد من شدة التوتر السردي, فيشعر المتلقي بذلك(جنداري, ابراهيم, ٢٠١٣, ٧٦).

الإيقاع الخارجي للحدث

اولاً: الحدث المتصل والمنقطع

بدأت الرواية العربية في مراحلها الأولى تبني سرد قائم على الترتيب الزمني للأحداث، فيتسم بتتابعها على وفق نظام منطقي تحكمه علاقات السببية؛ إذ ينتج كل حدث عن سابقه ويمهّد لما يليه(حسن, مها, ٢٠٠٤, ٦٤), فتحاول في هذا المنحى إبراز خط سردي يتسم بالتسلسل والتطور المنطقي والطبيعي للأحداث(راغب, نبيل, ١٩٩٦, ١٨٥), فتنتظم الأحداث في هذا السياق على وفق ترتيب زمني متتابع، إذ تتوالى جزءاً تلو الآخر من دون انقطاع بالعودة إلى الماضي أو تنبؤ المستقبل، من دون تقديم أو تأخير في تسلسل الزمن, وبذلك الترتيب تخضع القصة لمنطق السببية؛ فكل حدث سابق يؤدي إلى ما يليه، وما يأتي بعده يكون نتيجة طبيعية لما حدث قبله, إن هذا التسلسل المتماسك بين الأحداث هو الذي يمنح النص وحدته، إذ تتصل العناصر السردية ببعضها بشكل يجعل البناء السردي مترابطاً، ويُظهر وحدة النص منسجمة(ابراهيم, عبدالله, ١٩٩٠, ١٠٩).

ويقصد بذلك أن يتم «سرد الحوادث على وفق تتابعها في الحقيقة, من غير اضطرار للاستباق أو الاسترجاع أو التقاطع أو الاعتماد على المفارقة السردية»(خليل, ابراهيم, ٢٠١٠, ٢٩٧), فيكشف للمتلقي عالم الشخصيات عَبر تصرفاتها وأفكارها، ويُبنى هذا الكشف على وفق مسار واقعي لا يسمح بتغيير سلوك الشخصيات أو طباعها, إلا إذا واجهت صداماً حاسماً مع الأحداث, فالتغير في الشخصية لا ينبغي أن يكون وليد قرار الكاتب أو تدخله الشخصي في مجرى السرد، بل يجب أن ينتج عن تفاعل الشخصيات مع أحداث الرواية بطريقة تفرض التحول بشكل طبيعي(راغب, نبيل, ١٩٩٦, ١٨٥).

ومن جهةٍ أُخرى يهيّئ ذلك التسلسل في السرد إطاراً عاماً يوضح للقارئ الزمان والمكان اللذين تدور فيهما الوقائع, كذلك تسهم هذه المقدمة في تمهيد الطريق لتتبع تطور الأحداث، وتكشف منذ اللحظات الأولى عن المسار الذي ستسلكه الحكاية داخل الرواية(جنداري, ابراهيم, ٢٠١٢, ٨٠).

ومن جانب فإن «كل قصة تتضمن في قولٍ تتابعاً لمجموعة من الأحداث البشرية المهمة، التي قد تكون حدثاً متكاملاً متوحداً, فإذا انعدم التتابع، تلاشت القصة وتحولت إلى لوحة وصفية لا يربط بين عناصرها سوى مجرد التجاور المكاني، أو أصبحت قولاً استدلالياً، كأن كل عنصر يتضمن الآخر, أما إذا افتقدت أحداثها خاصية التكامل والتوحد، فإنها تصبح مجرد مجموعة من الوقائع المتسلسلة التي لا تربطها ضرورة، ولا يوحدها محور»(فضل, صلاح, ١٩٩٨, ٢٧٨),

ويتجسد اتصال الحدث في رواية (النوم في حقل الكرز) في النص الآتي: «وبعد مضي عام واحد على وفاته تزوجت من أخيه, كانت تريد بتلك الزيجة أن تحمي عيالها من برد اليُتم, لكنها كانت سيئة الحظ كما يجد العظام في التفاح, فقد عاد الأب المفقود مع الأسرى بعد إيقاف ماكينة الحرب اللعينة عن الدوران, ليكتشفوا بأنه لم يكن ميتاً, أما الجثة المتفحمة التي دُفنت قبل سنوات على أنها جثته فكانت لشخص آخر لا أحد يعرفه, لقد عاد الرجل إلى أرض الوطن ليجد زوجته في حضن أخيه على سنة الله ورسوله فخرّ ميتاً بالسكتة القلبية ودُفن في المقبرة ذاتها, وبعد مضي بضعة أيام أضرمت الأُم المنحوسة النار في جسدها ولحقت به, بينما رحل العم إلى مدينة بعيدة هرباً من العار الذي لحق به, دون ذنب هذا لم يكن فيلماً هندياً بأية حال, بل هي حكاية عراقية واقعيه بامتياز»(جرجيس, ازهر, ٢٠١٩, ٥٧), تتوالى الأحداث في هذا النص الروائي بصورة متدفقة من دون انقطاع زمني؛ إذ يتقدم الزمن مع السرد باستمرار، فقد سُلِّط الضوء على حادثة وقعت متزامنة مع الحرب العراقية الإيرانية واستشهاد أحد الجنود ومن ثم تزوجت أرملته من أخيه, لتتفاجأ بأنه أسير ثم يعود, ويُلحظ عدم وجود فواصل سردية تفصل بين سرد الأحداث؛ بل تتلاحق, فالحديث يستمر من دون انقطاع، وكل جملة تدفع القارئ إلى التقدم بالسرد الذي يدور على نفس الأحداث، هذا الانسياب في الحكاية رغم قساوته، لا يمنح القارئ فسحة للتأمل، بل يُلقي عليه سلسلة من الصدمات المتتابعة، لتكون سُرعة الحدث ذاتها أداة تأثير, فكل فعلٍ يولّد التالي بشكل مباشر حتى حين تتوقف الحرب، فإن أثرها يمتد إلى داخل القلوب, هكذا يُستدرج السرد إلى نهايته المحتومة مع تسارع في الإيقاع السردي, يتماشى مع طبيعة الحدث المأساوي الذي يمثل الحياة الاجتماعية في الحرب الإيرانية العراقية.

ويظهر هذا النمط في رواية (حجر السعادة) في النص الآتي: «لا يوفر الانتظار في الخارج أماناً؛ يخرج صدى الخوف، فصوت الكلاب السائبة، وصفير حارس المحلّة من بعيد، كافيان لإصابتي بالهلع. بيد أنّ النقاش مرفوض أثناء تنفيذ المهام، فأنا محضُ فردٍ مسلوب الإرادة في قطيع مولانا، والنقاش ليس من شأن القطيع؛ القطيع ينفّذ ولا يناقش, نجحت المهمّة أخيراً، وها هو الزنجيل يتسلّق النخلة ليقذف من الشور، ومخابئه مثقلة بالنقود والأساور. شعرتُ بنوع من الطمأنينة لرؤيته»(جرجيس, أزهر, ٢٠٢٢, ٧٧, ٧٨), يُلحظ أن الكاتب ركزَ على توظيف الحدث الخالي من الانقطاعات في هذا النص، فكلّما تطوّر ذلك الحدث، تقدّم السرد بوتيرة سريعة وثابتة؛ فلا وجود للتفسير وإعادة السرد، فهو ينقل حدثاً ذا أثر مباشر، يحمل توتراً داخلياً ناتجاً عن صدمة كالغرق, وهذه الصدمة تُروى مباشرة، من دون انعطافات أو انقطاعات؛ الأمر الذي جعل بنيتها الحدثية متّصلة؛ إذ يبدأ السرد من لحظة انطلاق الحدث إلى نهايته من دون تقطيع, وينتج عن توظيف الحدث المتصل إيقاع منسجم مع طبيعة الواقع وسريع، وهو هنا يخدم سردية الحدث، ويمنح الرواية طابعاً يُحاكي الواقع.

أما في رواية (وادي الفراشات) فيظهر الحدث المتصل في النص الآتي: «نزلتُ عند طلبها، وحالما حلّ المساء، وسمحت لها الطبيبة بالخروج، صاحَبتُها إلى بيت أهلها, طرحتُها على السرير، وأسندتُ رأسها بوسادة إضافية، ولم أُطِل المكوث، فالرياح اللّوم بدأت تهبّ من جهة عمّتي العزيزة, خرجتُ صوب حانة السحاب، وشربتُ كأسين مخلوطين بالحسرة، ثم ذهبتُ إلى بيت خالي جبران، نازحاً إلى لزّه الضياع والمطر»(جرجيس, أزهر, ٢٠٢٤, ٥٧), يُمثّل النص الروائي حدثاً متصلاً، أي سلسلة أفعال مترابطة من دون انقطاعات؛ فذهب (عزيز) إلى المستشفى وبعد أن سمح الطبيب لزوجته بالخروج، انتهى به الأمر إلى أخذها إلى بيت أهلها لتأخذ قسطاً من الراحة, وأُعطي ذلك النص أساساً بالإنجاز السريع للأحداث، مما منح دفعة لوتيرة السرد، وأسهم في تسريع الإيقاع.

الحدث المنقطع

تُعد بنية الزمن في الرواية من أهم العناصر التي تسهم في تشكيل البناء السردي، ومع تطور تلك البنية في الواقع الخارجي وتحولاتها وتطور المجتمعات، وتغير أوضاعها الاجتماعية والثقافية، أصبح من الضروري أن يعكس الفن الروائي هذه التحولات, ولهذا لم يعد الروائي يكتفي بالبناء التقليدي للزمن، القائم على الترتيب الخطي أو التسلسل المنطقي

للأحداث, تحوّل الزمن السردي في الرواية المعاصرة إلى مكوّن دلالي فاعل، لا يقتصر دوره على تنظيم الوقائع وترتيبها، بل صار أداة للتعبير عن التجارب النفسية للشخصيات وتجسيد تفاعلها مع واقعها المتغير(القصراوي, مها, ٢٠٠٤, ٦٤), وبذلك أصبح الزمن في السرد الروائي يقوم بوظيفتين متداخلتين؛ فيضبط إيقاع البناء السردي وينظّم حركة الأحداث من جهة, ويكشف عن الأبعاد النفسية والاجتماعية التي يعيشها الإنسان في ظل التحولات الجديدة من جهة أخرى(حسن, مها, ٢٠٠٤, ٦٤).

ويمكن أن تتضمن الرواية «عدداً كبيراً من الحوادث الرئيسية والفرعية، والعُقد، والأزمات الجانبية التي تثري عالمها، وتحافظ على جذب القارئ إليها, ويمكن لك أن تتصور أن رقعة الحياة الإنسانية تحتمل وقوع عديدٍ من الحوادث الكبيرة والتافهة، وهذا ما يمكن وجوده في رواية تتخذ من رقعة الحياة هذه عمقاً زمانياً لها»(محمود, حسني, ١٩٩٥, ١٦).

فضلاً عمّا سبق عادةً لا يكون البناء السردي متماسكاً أو قائماً على محور واحد، بل يعتمد تسلسل الأحداث على الصدفة أو ميول الكاتب الشخصية. وغالباً ما تأتي النهاية مفتعلة؛ لأن الأحداث تبتعد عن الخط الرئيسي، مما يجعل الراوي يضطر إلى إنهاء القصة بطريقة قسرية, كذلك إن تعدد الشخصيات وتشعبها يجعل من الصعب التحكم بها، لأنها تمثل مظاهر اجتماعية وطبيعية متنوعة، ولهذا يصعب أحياناً جذب القارئ أو إثارة تعاطفه(راغب, نبيل, ١٩٩٦, ١٨٤), فيصاغ الحدث بطريقه متناثرة، ويأتي دور القارئ في تنظيمه فقد تأتي النتائج قبل الأسباب(ابرهيم, عبدالله, ١٩٩٠, ١٠٩, ١١٠).

يمكن القول إن السرد الأدبي في هذا السياق يعتمد على تقنية التناوب بين الحكايات؛ إذ يبدأ الراوي بسرد الحكاية الأولى، ثم يقطعها مؤقتاً منتقلاً إلى الثانية، وبعدها قد يتوقف مرة أُخرى ليقدم جزءاً من الثالثة، مستمراً بهذه الطريقة حتى تتكامل الحكايات جميعاً, هذا الأسلوب المتداخل يختص بالنصوص المكتوبة، ولا يشبه السرد الشفهي المباشر الذي غالباً ما يسير بتسلسل(زيتوني, لطيف, ٢٠٠٢, ٦٥).

ويعزز هذا الأسلوب ما ورد في رواية (النوم في حقل الكرز) في النص الآتي: «أعطتني بعد ما أدخلتني, وأغلقت الباب بالمزلاج, لفافة دنانير كانت مربوطة بخيط صوفي, وقالت: لا عيش لك هنا بعد الآن، خذ هذا المبلغ وهاجر قبل أن تفجعني بك.

– من أين جئت بالمال؟

– لقد بعت ماكينة الخياطة صباح اليوم لا حاجة لي بها, ارحل من هنا أرجوك.

– إلى أين أذهب يا أمي؟

– أرض الله واسعة يا ولدي»(جرجيس, ازهر, ٢٠١٩, ٤١), يُقدم هذا النص تصاعداً في الحدث بين (سعيد وأمه), مما يُلمح إلى وجود نقطة تحول في مسار السرد, فإعطاؤها المال إليه وطلبها منه أن يغادر, مع بقاء الفعل معلقاً يفتتح ذلك احتمالات كثيرة لدى المتلقي, وعند الاطلاع على بداية النص يُلحظ توتر وتصاعد في الأحداث, ثم ينقطع السرد فجأة, فالرحيل لم يحدث وبقي السرد محكوم بفراغ لم يُملأ, وبذلك تم انقطاع الإيقاع في منتصف الاندفاع, وخلق بذلك انقطاعاً للحدث قام بدورهِ بالتأثير على تدفق وتيرة السرد, ومن ثم تباطؤ في الإيقاع.

وتدعمه أيضاً رواية (حجر السعادة) في النص الآتي: «هكذا، بعد عمرٍ قضيته مسالماً كالدجاج، وجدتُ نفسي وجهًا لوجه مع قاتل مأجور. أنا مثلكم، لا أعرف ابن الحرام هذا، ولا الأسباب الموجبة لقتلي»(جرجيس, ازهر, ٢٠٢٢, ٨٤), يتجلى في هذا النص لحظة صادمة في حياة (كمال), إذ يجد نفسه أمام قاتل مأجور، رغم شخصيته المسالمة البعيدة التي لا يتوقع بها أن يُواجه بالعنف, وقد قام الكاتب بقطع الأحداث عبر الانتقال المفاجئ من لحظة مواجهته للقاتل إلى تذكر أحداث ماضية قطع بها اللحظة الحالية, فوقف تدفق السرد في التفكير بغرابة الموقف من دون عرض للنتيجة, مما أدى إلى خلق تباطؤ في الإيقاع، لتكثيف الجو النفسي في لحظة مواجهته مع القاتل.

ويُلحظ ذلك في رواية (وادي الفراشات) فتمثل الحدث المنقطع بالنص الآتي: «مسكينة، لا تدري أنّ أبا سامر على

موعد مع حماقة جديدة، من شأنها أن تُطيح بالفرح من عليائه، وتعبد الطريق نحو الخيبة» (جرجيس, ازهر, ٢٠٢٤, ٧٠), يعكس النص حدثاً منقطعاً معبراً عن معنى التشاؤم من القادم, ويترك القارئ بحالة من الترقب والقلق التي تُهدد لحظات الفرح التي يعيشها مع زوجته (تمارا), ويشير إلى انتظار تحول مجرى الأحداث نحو الخيبة بقوله: (موعد مع حماقة جديدة), فقد توقف السرد عند هذه اللحظة, وبدوره يُبطئ الإيقاع, ولا بد من الذكر أن الحدث المُنقطع يعزز من خلق جو درامي قائم على الغموض.

ثانياً: أنواع الحدث

١ – الحدث الطويل

هو الذي يشغل مساحة كبيرة من حيز الرواية, ومن ثم يستغرق زمناً سردياً طويلاً, ومن ثم يتوسع في تكوين الإيقاع الروائي البطيء, وتكشف رواية (النوم في حقل الكرز) عن هذا النوع فيأتي الحدث الطويل في النص الآتي: «أتممنا، فيما بعد أوراق الزواج وطلبت تونا مني، أن يكون لقب عائلتها هو لقب عائلتنا الجديدة, فوافقت، نزولاً عند رغبتها، وصِرنا منذ تلك اللحظة نُلقّب بالسيد والسيدة ياسين, لم تكن الألقاب يوماً مهمة عندي، ولا فرق لدي بين مردان وينسين، ما دمتُ سعيداً, أبدلتُ في اليوم التالي إجازة السوق، وجواز السفر، والبطاقات البنكية، لتحمل على صدرها اسماً جديداً (سعيد ينسين), ثم حددنا موعد الزفاف بعد سبعة أشهر، ريثما نشتري بيتاً مناسباً ونؤثثه سويّة, كنا لا نفترق في النهار، سوى في ساعات العمل، وكنا ثملين من السعادة, ارتفع منسوب سعادتي مع الأيام ليصل حد الغرق, فقد شرعت بعدما تمكنت من ناصية اللغة وصرت أشهق مع الكلمات، كما يفعل النرويجيون بكتابة القصص».(جرجيس, ازهر, ٢٠١٩, ١١٤, ١١٦), يعبّر النص عن الانسجام والسكينة التي يعيشها (سعيد) مع محبوبته (تونا), ويجعل من التفاصيل الصغيرة (كاللقب) علامة للحب, يمثل النص فترة زمنية تمتد إلى الأشهر واقعياً يُكثّف سرديًّا من خلال الجمل المتتالية القصيرة، من دون قفزات زمنية, فالحدث طويل من حيث المحتوى إلا إن السرد يجري بوتيرة هادئة ومتّزنة، يخلق إيقاعاً هادئاً منخفض التوتر، يتماشى مع مزاج السارد ويخدم الأثر الشعوري المتصف بالانسجام والاستقرار.

ويبدو أن رواية (حجر السعادة) قد وُظِّف هذا النوع فيها كما في النص الآتي: «وفي الأثناء، جاء النادل إلى المقهى بقدح الحامض الذي طلبته. بدل الشاي، فلو حلّلوا دمي لوجدوه مزيجاً من الشاي والنيكوتين, وضع القدح على الطاولة الهرِمة، وعيناه في عيني؛ منذ لحظة الدخول وهو على هذا الحال، يرمقني بنظرات قلقة ولا ينفك عن مراقبتي, كان بوسعي أن أموت مرتاح البال، لو حالفني الحظ في معرفة ما يريد, قبضت على يده وسألته بصوت خفيض: ماذا هناك؟ أجاب– سالوا وعنك، أستاذ, مضغت ريقي قائلاً: من؟ ردّ قبل أن يمضي في عمله: شخص يحمل مسدساً. وما إن أنهى النادل الجواب، حتى داهمني المغص أسفل البطن، تلاه طيف قاتل يحوم حول المكان ويعدّ أنفاسي: عشرة.. تسعة.. ثمانية.. سبعة..»(جرجيس, أزهر, ٢٠٢٢, ٢٦٧, ٢٦٦), يبين النص حدث طويل يحمل طابعاً بوليسياً, يبدأ بمشهدٍ طبيعي في مقهى، لكنه يتّجه بعد ذلك تدريجياً نحو التهديد والموت, ويكون النادل ناقل خبر خطير, الموت هنا لا يُقدَّم بشكل مباشر، بل يُحس ويتوقَّع، فيمنح النص توتراً داخلياً يهدد حياة كمال, الزمن في هذا المقطع يتباطأ مقارنة بالزمن الواقعي, الإيقاع هنا متباطئ ومتوتر يخدم التصعيد الداخلي, محكوماً بالإيقاع السريع مؤدياً نحو نهاية الموت المحتملة

أما في رواية (وادي الفراشات) فنجد الروائي قد توسل بإيصال الحدث الطويل إيقاعياً في النص الآتي: «فكّرتُ من فينا المجنون؟ أنا السائق الثمل الذي يساير شخصاً غريباً يُراهن على خروج جيوبه من المال؟ أم زائر المقابر في هذه الساعة من الليل؟ إلا إني، رغم ذلك، ظللت أراقب من وراء الزجاج ما يجري، فالنفس إذا ساءت لن تتوقف ما لم تبلغ النهايات, أخرج الشيخ من جيبه مصباحاً، وسار بعصاه مخترقاً الوحل، لينحدر على مهل في المقبرة, خلته سيقف عند قبر من القبور، ليشتل فوقه غصن آس، ويقرأ الفاتحة، ويعود, لكنه لم يفعل، بل وضع القفة جانباً، وتناول جروفاً كان متكئاً على جذع السدرة، وشرع بالحفر, «قاتل الله الصبر»، رددتُ في سرّي، ولحقته, كانت الأرض موحِلة تماماً،

والسماء غاضبة تواصل رشق المطر, انزلقتُ عند الحافة في الطين، وشتمتُ حظي، ثم استقمت وواصلت حتى أدركتُ الشيخ»(جرجيس, ازهر, ٢٠٢٤, ١٥٨), ينقل السارد في هذا النص الذي يتضمن حدثاً طويلاً بتساؤله الساخر عن الجنون، في موقف يتقاطع فيه الغموض والعشوائية، يتزامن معه تتبع لأفعال الشيخ ثم يشاركه الحدث فعلياً، إذ تتوزع اللحظة السردية على سلسلة من الأفعال تأخذ مساحة سردية واسعة, فالسرد يُبطئ الزمن ويُعيد تشكيله من الداخل، وذلك أدّى إلى إبطاء الإيقاع بشكل واضح, وبذلك يخلق الحدث الطويل وقفة سردية تمنح النص بعداً تأملياً, ومنح اللحظة طابع التشويق.

٢- المتوسط

يكون الحدث المتوسط الطول متوازن في استغراق الزمن, والتوسط بين الإيجاز والإطناب, ويؤدي إلى تكوين إيقاع متوسط بين السرعة والبطء, يتجلى هذا النوع من الحدث في رواية (النوم في حقل الكرز) كما في النص الآتي: «أخيراً، حصلتُ على وطنٍ بديل، يا الله...! أخيراً صار من حقي الشعور بالأمان، أخيراً ستنتهي «الفزّة»، هذه اللازمة المصاحبة لكل طرقة باب، والتي يعرفها كل من عاش أيام الرعب هناك, كنّا نثب كلما سمعنا في الليل طرقاً عنيفاً على الباب، فغزوات الليل آنذاك كانت غالباً ما تنتهي بالسحل نحو سراديب الضياع»(جرجيس, ازهر, ٢٠١٩, ٩٦), ينقل النص لحظة تحوّل شعوري من الخوف إلى الأمان بعد حصول سعيد على وطن بديل, يتضح أن السارد قدم تجربة قمعية مؤلمة، فقد كانت طرقات الباب تعني السجن أو الترحيل, فيُشير بذلك إلى خلفية سياسية عنيفة, والحدث متوسط بطبيعته يمنح النص زمناً سردياً مرناً بين الماضي والحاضر الشعوري, فالإيقاع في هذا النص متوازن؛ لا سريع يُفقد المعنى ولا بطيء يُثقِل اللحظة بالتفاصيل، ومن الجدير بالذكر أنه يجعل من الحدث وسيلة لاستعادة الذاكرة الجمعية وربطها بلحظة الانفراج.

ويظهر النمط ذاته في (رواية حجر السعادة) وتحديداً في النص الآتي: « لن يصلوا إلى هنا»، رددتُ في سرّي، من بين تلك الأكياس النتنة، آملاً الاستيقاظ على صباح آمن, لم أكن أعلم حينها بأن رصيد أيامي في الموصل قد نَفَد، وأن لا نهار سيطلع عليّ في هذه المدينة بعد الآن, إذاً، بعد نصف ساعة تقريباً، نبح الكلب السلوقي من جديد، وسمعت جلبة أحدثها دوران محرك الشاحنة, سارت من بعد ذلك سفينة نجاتي، ولا أدري إلى أين, أغمضتُ عينيّ، ورجوتُ الله أن تكون الوجهة بعيدة»(جرجيس, ازهر, ٢٠٢٢, ٥١), يعكس النص لحظة انتظارٍ متوترة في سياقٍ مهدد بخوف (كمال) من ملاحقة أهله له بعد موت (ريمون), يُقدم ذلك في بضعة جمل مترابطة توصل التحوّل من الترقب إلى الانتقال, بدأ بلحظة ترقب وخوف إلى لحظات رحيل وهروب اتسم ذلك التحول بسرد هادئ ومنضبط، يُحافظ على وحدة زمنية متقاربة، فالإيقاع في هذا النص يتّسم بالهدوء الممزوج بالقلق ما يُمكن تصنيفه بالمتوسط، وهو ما يتلاءم مع الحدث.

وفي رواية (وادي الفراشات) يقدم النص الآتي: «لكن البيجو تعطلت وذرتني عالقاً في الطريق, لو ارتبط الأمر بالإطارات، لهان وما استحق الذكر حتى، فإبدال إطار مثقوب لعبتي الوحيدة التي أجيدها في عالم السيارات المبهم, لكنه المحرّك، اللغز المحيّر الذي ظل: على الدوام يعيّرني بجهلي, ترجلت ولا أعلم ما ينبغي فعله»(جرجيس, ازهر, ٢٠٢٤, ١٧٧), يعبر النص عن الحدث الحاصل مع (عزيز) في طريقه, ألا وهو تعطل سيارته مع تبدد آمله في إصلاح ذلك العطل, لاكتشافه أن الخلل في المحرك وليس في الإطارات التي اعتاد التعامل معها, وشعوره بالعجز أمام تلك المشكلة المعقدة, ويستغرق سرد هذا الحدث مساحة زمنية متوسطة الطول، ما يخلق إيقاعاً متوازناً يجمع بين البطء والسرعة, مما يمنح النص تدرجاً هادئاً يعكس التوازن في السرد.

٣- القصير

وهو الحدث الذي يقوم بعرض أحداث تتسم بجمل قصيرة جداً, من دون فواصل أو تعمق في التفاصيل الدقيقة, فيستعين بالتلميح السريع, فيخلق إيقاعاً سريعاً قاصداً به كسر الرتابة, ويزيد من توتر الحدث, وفي رواية (النوم في حقل

الكرز) نجد الروائي وظف بقصر الحدث القصير في النص الآتي: «لقد تم العثور على أبيك وعليك العودة لاستلام رفاته»(جرجيس, ازهر, ٢٠١٩, ١٢٥), يُعبّر هذا النص عن لحظات مُنتظرة ومؤلمة ألا وهي إعلان العثور على جثمان الأب ووجوب استلامه, هذه اللحظة تترك أثراً نفسياً قاسياً على المتلقي, جاء الحدث قصيراً جداً على لحظة الإخبار أدى إلى تقليص الزمن وخلق إيقاع سريع.

وفي رواية (حجر السعادة) في النص الآتي: «أخرج المسدس من خاصرته، واندفع نحوي, جاء هذه المرة كالحصان، كان يسير، غضبه جارفاً، وعيناه تُنذران بموتٍ محتوم»(جرجيس, ازهر, ٢٠٢٢, ٢٤٥), هذا المقطع يُجسّد حدثاً قصيراً يتضمن اندفاعاً وسرعةً وتوتراً، مع حركة مفاجئة, ولا بد من الإشارة إلى أن زمن السرد هنا مكثّف للغاية، فهو لا يتجاوز لحظة، يُعزز بذلك شعور القارئ بالعنف, تزامناً مع إيقاع سريع، نابع من تتابع الأفعال الحركية مع الصورة التشبيهية، ومن ثم يخلق توتراً يُبقي السرد في حالة حركة مستمرة.

أما في رواية (وادي الفراشات): «اضطر خالي إلى بيع دكان الشواكة، ودفع خمسمئة ألف دينار لقاء غلق الملف, استعدنا المكتبة، واشترينا حريتك بنصف مليون يا ابن جميلة»(جرجيس, ازهر, ٢٠٢٤, ١١٠), يمثل النص حدثاً قصيراً يُمثل الحديث دفع رشوة مقابل إغلاق ملف (عزيز) فيعكس بذلك الواقع الاجتماعي, والزمن مقتصر على ذلك فيجعله مضغوطاً, ومن ثم يخلق إيقاعاً سريعاً نسبةً للجمل المختصرة, ما يُضفي حيوية في النص.

بناءً على ما سبق يُلحظ فروق واضحة في توظيف الحدث وأنواعه, ففي رواية (النوم في حقل الكرز) شكل الحدث حضوراً متوازناً مُعبراً عن رغبة الكاتب الجمع بين الاتصال والانقطاع, ويتفوق توظيف الحدث المتصل في رواية (حجر السعادة) مقارنةً مع المُنقطع, أما في رواية (وادي الفراشات) فتفوق الحدث المتصل على المُنقطع؛ إذ توضحت رغبة الكاتب في الحفاظ على استمرار تدفق الأحداث, فيُلحظ أن رواية (حجر السعادة, ووادي الفراشات) لجأ بهما الكاتب إلى الحدث المتصل ليُعزز الترابط الزمني وتقليل الفجوات.

أما من جانب اشتغال المساحة الزمنية, فرواية (النوم في حقل الكرز) تضمنت نصوصاً للأحداث الطويلة والوسط على ما يبدو شغلا حيزاً متقارباً, في حين جاء الحدث القصير في حدود ضيقة.

وفي رواية (حجر السعادة) يُلحظ أن الحدث الطويل ترك أثراً أكثر من الأنواع الأخرى, أما القصير فتبدو كثافته قليلة, وحافظ الكاتب على حالة التوازن في المساحة التي احتلها الحدث عبر الحدث المتوسط ؛ إذ شغل المساحة الأعلى من بين الأنواع الأُخرى.

أما (وادي الفراشات) فقد تقدم الحدث الطويل بقوة, ومن جانب أخر يأتي الحدث المتوسط أقل من الطويل, وفي مقابل ذلك يأتي القصير على نحو نادر, ليعكس بذلك هدف الكاتب من إبطاء الإيقاع.

ثانياً: الإيقاع الداخلي للحدث

أولاً: الحكاية التفُردية

في هذا النمط الانفرادي يُسرَد حدث لمرة واحدة في الخطاب، وقع لمرة واحدة فقط في القصة (الواقع)، ويُعد هذا الأسلوب هو الشكل التقليدي المُتبع في الحكي.(جينيت, جيرار, ١٩٩٧, ١٣٠), ويطلق عليه التواتر (المُفردي)، فتأتي الحادثة متطابقة في القصة مع سردها في الحكاية وهذا النمط الأكثر شيوعاً(جينيت, جيرار, ١٩٩٧, ١٢٨), وقيل فيه أيضاً (الإفرادي) الذي «يعتمد على ما في إذا كان شيء ما يروى لمرة واحدة فقط»(فلودرنك, مونيكا, ٢٠١٢, ٧٧), كما ذُكر بأنه «أكثر أنواع التواتر رواجاً في النص السردي, ويتمثل في أن يُروى في الخطاب مرة ما حدث في الحكاية مرة»(القاضي, محمد, ٢٠١٠, ٣٢١).

ويتجلى هذا الاتجاه في رواية (النوم في حقل الكرز) في النص الآتي: «في التاسع من نيسان لعام ٢٠٠٣ اخترقت رافعة أمريكية ساحة الفردوس وسط تجمهر العشرات من المدنيين، وأسقطت تمثال الدكتاتور، مع إشارة إلى سقوط بغداد وبسط السيطرة عليها وعلى العراق بالكامل. شرعت بعد ذلك الفضائيات العالمية بنقل صور السلب والحرق

والتخريب، كانت كتائب من البلطجية والسراق والحواسم تغيّر على دوائر الدولة لنهبها وهرش ما تبقى منها، تحت مرأى ومسمع جنود المارينز الأشداء. لقد بدا الأمر وكأنهم تحالفوا لإسقاط بلد، لا نظام»(جرجيس, ازهر, ٢٠١٩, ٣١), في هذا النص إشارة إلى حدث تاريخي تشظى منه تداعيات كثيرة، فحاول السارد بيان عواقبه لا سيما الفوضى والسلب والنهب والانفلات الأمني، واتسم الإيقاع في هذا النوع بتساوي السرعة بين زمن الواقع وزمن الخطاب، ولا بد من الذكر أن الحدث ذكره السارد مرة واحدة لأنه وقع مرة واحدة فعلياً لكن بأسلوب مشحون دلالياً فهو مختزل زمانياً ألا أنه متُسع التأثير.

ونجده أيضاً في رواية (حجر السعادة) ففي النص الآتي يبرز السرد التفردي: «ما زلت أتذكّر اليوم جيداً: موظفان حكوميان يضعان الشمع الأحمر على الباب، برفقة عناصر من الشرطة، والناس يراقبون بخوفٍ وفزع, حتى إنّ قرار الإغلاق لم يفعل فعله وقتها، كما فعلته صفرةُ الخوف على وجوه سكان شارع الرشيد، ومهمّاتهم التي باتت لا تفهم, الشللُ يصيب الشارع، ودخان الحزن يتصاعد لفقدِ المتحف، ويتكاثف مع خبر إعدام صاحبه، والحكم بالسجن على موظفيه»(جرجيس, ازهر, ٢٠٢٢, ٢٠٨), يحمل النص حادثة شهدها المجتمع العراقي بعد ٢٠٠٣ ألا وهي إغلاق المتاحف, الذي أدخل في حينها الرعب في قلوب سكان المناطق التي تتضمن متاحف لا سيما شارع الرشيد, يرمز ذلك إلى انهيار الثقافة وليس مجرد إغلاق, ومع وقوع الحدث وقع مرة واحدة في القصة ومرة واحدة في الخطاب يشير إلى تماسك الزمن السردي, متماشياً مع وقع الحدث الواقعي مما يسهم في تكوين إيقاع سريع, فالسارد لا يتوسع لذكر التفاصيل محافظاً على انسيابية السرد ومتزامناً مع شعور سكان شارع الرشيد.

أما في رواية (وادي الفراشات) ففي النص الآتي: «أفاقت، واجتمعوا حولها: هو، والصغار، وزوجته الثانية، التي بالغت في ظرف الدموع، بينما لم أحتمل، من جهة، أجواء الكذب الخانقة، فغادرت المنزل, سرتُ في الطريق لا ألوي على شيء، ومن دون تخطيط، وجدتني أقف على باب الدكان في آخر المحلة، وأطلب علبة سجائر, دخنت بلا توقّف، وعندما جنّ الليل، قصدتُ بيت خالي جبران في محلّة الشواكة»(جرجيس, ازهر, ٢٠٢٤, ٥٩), يمثل النص حدثاً قد ذُكر في الواقع مرة وفي بنية السرد مرة, ويُلحظ أن هذا التركيب يُقلّل من التباطؤ الزمني, لينتج سرداً يتوافق مع الواقع, حاملاً شعور الخذلان الذي قد غَلب على (عزيز) في ظل بيئة اجتماعية متفككة, أراد السارد إيصال ذلك الشعور إلى المتلقي بإيقاع سريع يتماشى مع الانفعال اللحظي.

ثانياً: النمط الترجيعي التفردي

يقوم هذا النمط على مبدأ التطابق بين عدد مرات حدوث الفعل في القصة (الواقع) وعدد مرات سَرده في الخطاب, وبمعنى آخر إن كل حدث يتكرر في الواقع سيُروى في الخطاب بنفس عدد مرات تكراره الواقعي، من دون زيادة أو نقصان، فهو يكرر الحدث نفسه؛ لأنه تكرر فعلاً في الحياة اليومية, فبذلك، يكون السرد موازياً للواقع من جانب التكرار، ولا يتم اختزال الأحداث أو تلخيصها, فيُعبر عن كل تكرار مما يجعل القارئ يعيش مع النص تفاصيل, فعلى سبيل المثال، إذا قال الراوي: «نمت مبكراً يوم الاثنين، ونمت مبكراً يوم الثلاثاء، ونمت مبكراً يوم الأربعاء»(جينيت, جيرار, ١٩٩٧, ١٣٠).

ويتجلى هذا النوع في رواية (النوم في حقل الكرز) في النص الآتي: «تراجع أبي إلى الوراء كثيراً بعد يأسه من معرفه الجواب وابتعد مددت يدي نحوه بحركة رجاءً في الأفق مثل الدخان وغاب ثم أقبل غراب يصفق بجناحه ويقبض بمنقاره على غصن الأسي اليابس ذاك رماه نحوي وابتعد هو الآخر أم تكتب الغصن اتكأت عليه ونهضت كان قوياً بما يكفي لاعتيادية الذي سار عليه أبي من سكة الحديد وغاب كنت أريد اللحاق به وإزالة الخرقة عن وجهه لكن قطاراً مشرعاً جاء في الاتجاه المعاكس ودهسني»(جرجيس, ازهر, ٢٠١٩, ١٤), يستذكر سعيد لحظات مجيء والده إليه مثقلة بالفقد, ويُعيد تلك اللحظات كل مرة, ولا يأتي بجديد سوى أن يأتيه بهيئات جديدة, ومواقع خيالية مختلفة مع تكراره بالقول: (أين قبري؟), ويعيد إليه شعور الألم والغياب بصيغة حلم يقظ لا ينتهي بصورة ذهنية عاطفية, فيكرر الحدث

الواقع فعلاً نفسه حتى يستوفي الدلالة المُراد إيصالها, والزمن في هذا النوع من السرد يكون متساوياً في القصة والخطاب, أو بعبارة أُخرى يدور حول نفسه, ولا يدفع بالقارئ إلى الأمام, فالإيقاع لا يتسرع ولا يهدأ.

أما في رواية (حجر السعادة) فيُلحظ هذا النوع, في النص الآتي:» لم أرحم الكاميرا من بعد، ولم أمنحها الوقت الكافي للراحة وجذب الأنفاس. كنت أملأ ساعة الراحة اليومية التي خُصصت لي بالطواف في الطُرقات والأسواق القريبة، وأراقب ثُقب المدينة، وأُصوّر كل ما يقع تحت عيني. وعندما أعود، أنتظر حتى الليل لطباعة بعضٍ من تلك الصور»(جرجيس, ازهر, ٢٠٢٢, ١٤٥), يصور هذا المقطع حالة (كمال) بنشاطه اليومي المتكرر واقعاً والمعبر عنه سردياً, مما يعكس توازناً بين التجربة الحياتية والتمثيل السردي لها, مع تزامن معنى الاهتمام بالتصوير وتوثيق أدق التفاصيل في المدينة خلال فترات راحته, وحافظ بذلك على زمن السرد وساوى بين القصة والخطاب, وأيضاً وإيقاع معتدل.

أما في رواية (وادي الفراشات) فيتمثل هذا النوع في النص الآتي: « في الواقع لم تكذب المرأة على زوجها؛ فالبيت لا يسعنا، وماكينة التفريخ لدى أخي صبيح لا تتوقف. بل قبل هذا، ولضيق المكان، كانت حرب الاستقلال تدور في عقلي، لكني أجّلتها ريثما أكون مستعداً. الآن، حان وقتها»(جرجيس, ازهر, ٢٠٢٤, ٥٣), يعكس النص حدثاً تكرارياً يتكرر في الواقع وفي السرد, لتكرار يُعمّق الشعور بالروتين والضغط النفسي؛ فيذكر (عزيز) بين الحين والآخر صغر مساحة منزلهم مع استمرار (صبيح) بالمزيد من الأطفال الأمر الذي جعل والدة (تمارا) منع ابنتها من السكن معهم, فينتمي النص إلى سرد حدث بشكل تعددي, يكون بذلك إيقاع يتسم بالسرعة الموزونة.

ثالثاً: الحكاية التكرارية

يُروى الحدث بعدد غير مُتناهٍ من المرات رغم وقوعه مرة واحدة فقط في القصة (الواقع), وقد يرى البعض أن هذا الشكل من التكرار هو مجرد افتراض ذهني، أو تمرين تأليفي ناقص لا ينسجم مع البنية الأدبية التقليدية, ورغم ذلك فإن دراسة هذا النمط من السرد تُمكن من كيفيات التواتر في الخطاب الروائي، وكيف يمكن لتكرار الحدث أن يخدم وظائف سردية وجمالية تتجاوز حدود الطرح المباشر والسرد المطول(جينيت, جيرار, ١٩٩٧, ١٣١).

بعبارة أخرى «إن الحدث وقع مرة واحدة لكن, سرده هو الذي تكرر مرات عدة»(روحي, سمر, ٢٠٢٣, ٢١٩), وهذا ما يوضح ما أكد عليه النُقاد ممن اتبعوا رؤية جيرار جينيت بأن الحدث يقع مرة واحدة في الواقع، لكنه يُسرد أكثر من مرة داخل النص، يُطلق عليه مصطلح التكرار السردي(فلودرنك, مونيكا, ١٩٧١, ٧٧), فمثلاً، عندما يُعاد قول: «أمس نمت باكراً، أمس نمت باكراً، أمس نمت باكراً» (جينيت, جيرار, ١٩٩٧, ١٣١), فانطلاقًا من هذا النمط السردي التكراري، تمت إعادة رواية الحدث الواحد مرات متعددة، على الرغم من وقوعه مرة واحدة في الواقع الحكائي, وهذا الأسلوب شائع الاستخدام في الرواية، إذ يسمح للحدث نفسه أن يُروى من وجهات نظر مختلفة أو على ألسنة شخصيات عدة متداخلة في السرد(جينيت, جيرار, ١٩٩٧, ١٢٨).

ومن هذا يتضح جلياً نسب تكرار الأحداث في الخطاب أعلى منها في القصة, وغالباً يظهر هذا النوع من التكرار في السرد الذي يتضمن أحداثاً متعددة, على سبيل المثال: (جاء أحمد أمس, جاء أحمد أمس) (القاضي, محمد, ٢٠١٠, ٣٢٤).

ويتجلى هذا النوع في رواية (النوم في حقل الكرز) في النص الآتي: «ذات ليلة اعترض طريقي شخصان، بدت في عينَيهما علامات الحزم. كانا شرطيَّين من الأمن الوقائي. طلبا هويّتي. ناولتهما جواز السفر، فقال: تعال معنا»(جرجيس, ازهر, ٢٠١٩, ٥٥), يعبر النص عن حادثة إلقاء القبض على (سعيد) من قِبل رجال الأمن, إذ أوقفه شرطيان من الأمن الوقائي وطلبوا هويته, في موقف مشحون بالخوف والتوتر, وذلك لمخالفته القوانين بعمله في (الأُردن) وهو أمر غير مسموح به للمهاجرين, يقع هذا الحدث في الواقع مرة واحدة، ولكنه في الرواية يُلحظ أنه يُعاد ذكره بصيغ سردية مختلفة، يعزز ذلك التكرار تضخيم الإحساس بالحصار والملاحقة وبيان قوة السلطة الأمنية, فضلاً عن جعل ذلك الحدث نقطة محورية تتردد في وعي القارئ ويخلق بذلك إبطاء السرد وإطالة زمن القراءة, ويخلق بذلك التوظيف إبطاء

لوتيرة السرد ثم إبطاء للإيقاع الروائي, لعدم التوازن بين وقوع الحدث في الواقع وسرده في (الخطاب).

أما في رواية (حجر السعادة) ففي النص الآتي: «لقد انزلق ريمون في النهر وغرق، فتوقّف العراق، وعافت المخالب لحم الفريسة. قفزتُ خلفه، لم أفكّر حينها بأني لا أُجيد السباحة بما يكفي لإنقاذ غريق؛ فعند الفاجعة، يغدو التفكير ضرباً من البطر. رميتُ نفسي في الماء، وبدلاً من إنقاذ أخي، غرقنا معاً. وثب خلفنا شاب كان يمرّ قريباً من الجروف، أمسك بي وجذبني خارج الماء، ثم عاد لإتمام المهمة. كان سهلاً على شابٍ بالغٍ إنقاذ الطفل الصغير من الغرق، إلا إن القدر أحكامه كما يبدو، فقد اختفى الطفل تماماً وغاب عن الأنظار؛ جذبه النهر قبل أن تصله يد المنقذ النبيل»(جرجيس, ازهر, ٢٠٢٢, ٦٠), يتمحور معنى النص العام على لحظة غرق (ريمون), يلجأ السارد في نقل هذه الحادثة إلى تقنية السرد التكراري, فيُعيد سرد الحدث الذي وقع في الواقع مرة واحدة, ويُروى ضمن السرد عدة مرات والغرض من التكرار ليس لإعادة سرد المعلومات، بل لتعميق الأثر العاطفي من زوايا شعورية متباينة, يؤدي بذلك إلى إبطاء الزمن السردي؛ إذ يتوقف الخط الزمني للأحداث وينشغل باستدعاء الحدث ذاته, فيبدو كأن الشخصيات تتأمل فلا يتقدم السرد, مما يحدث تباطؤ في الإيقاع ليعمق الإحساس بنفس الانكسار على أثر حادثة الغرق.

وفي رواية وادي الفراشات: « لم أكن أملك حلّاً سوى النزوح إلى مكان آمن، وقد دار في خلدي بيت خالي جبران. لا أريد العودة ذليلاً إلى بيت العائلة، كما لا طاقة عندي على احتمال نظرات التشفي في عيني أخي صبيح، الذي لم يكُن راضياً على تلك الزيجة، بل لم يكُن راضياً عني بالمُجمل»(جرجيس, ازهر, ٢٠٢٤, ٥٦), ينقل النص معاناة (عزيز) وصراعه الداخلي بين رغبته في العيش في مكان آمن وحاجته لحفظ كرامته، وتذكره لخلافاته العائلية القديمة ورفض أخيه لزواجه من (تمارا), وهذا الحدث تكرر ذكره في (الخطاب) عدة مرات, بقصد التأكيد على دلالة القطيعة والتفكك في بيت عائلته وخلافه مع أخيه (صبيح), هذا التكرار بدوره يبطئ وتيرة السرد ثم إبطاء الإيقاع, فضلاً عن منح القارئ وعياً بتلك العلاقة والموقف من زواج (عزيز).

رابعاً: الحكاية الترددية

يُقصد بهذا النوع من الحكايات أن يُروى في الخطاب حدث واحد فقط ليُفصح عن مجموعة من الأحداث المتكررة في الواقع, أي إن السارد يختصر عدداً من الوقائع المتشابهة التي حدثت مرات مُتتابعة، يُقدمها مرة واحدة بدلاً من إعادة روايتها بشكل مفصل في كل مرة, ويلجأ إلى هذا الأسلوب عندما يكون تكرار الأحداث متشابهاً إلى حدّ لا يستدعي إعادة السرد في كل مرة، مما يجعل السرد موجزاً من دون أن يفقد معناه أو دلالته (جينيت, جيرار, ١٩٩٧, ١٣٢). وذلك يعني أن «نسب تكرار الحدث في الخطاب أصغر من نسب تكراره في الحكاية.. والقص التأليفي متداول في السرد القديم على سبيل الإيجاز ويستخدم غالباً في صيغة الفعل الماضي الدال على الاستمرار ويعتبر من حيث السرعة مجملاً»(القاضي, محمد, ٢٠١٠, ٣٢٣), فهو يكتفي بسرده مرة واحدة اختصاراً دون تكرار(فلودرنك, مونيكا, ١٩٧١, ٧٧).

ويتجلى هذا النوع في رواية (النوم في حقل الكرز) في النص الآتي: «كان معارضاً يسارياً مطارداً من قبل السلطة أدخل إلى السجن مرات عدة وأفرج عنه وكان في كل مرة يخرج وأسنانه قد نقصت واحدة، مما جعله رغم شبابه يملك في كلا فكيه أسناناً صناعية مربوطة بواسطه سلك معدني، لكنه لم يعد إلى البيت في المرة الأخيرة قالوا بأنه مات تحت التعذيب وقالوا بأنه أطعم حياً للكلاب وقالوا بأنه قُتل ورُمي في نهر دجلة الكتوم» (جرجيس, ازهر, ٢٠١٩, ١٥), يقدم هذا النص حدثاً يتكرر أو يتردد في الواقع ويسرد مرة واحدة في الخطاب, ويتجاوز بذلك ذكر التفاصيل وفي ذلك تصريح مباشر بأساليب السلطة القمعية, نقله السارد بجمل مكثفة مع إشارة إلى تكرار ذلك الحدث, دون حاجته إلى الإسهاب في السرد فالحدث في الواقع قد امتد لسنوات, مما يخلق بذلك إيقاعاً يتسم بالسرعة, فهو تجاوز الزمن الواقعي الطويل عبر جمل محدودة, فالقارئ لم يشعر بتكرار ذلك بل مر على الحدث الذي نقله من مرحلة إلى أخرى دون إسهاب.

وفي مقابل ذلك في رواية (حجر السعادة) يأتي في النص الآتي حدث ترددي: «بفضل جانيت، لم أذق ذات يوم هكذا

عقاب؛ فهي من كانت تُفلّي رأسي، وتُسخّر لي الماء في الشتاء من أجل الاستحمام. حتى الثياب، هي من كانت تغسلها وتنشرها، وتدسّها، بعد أن تنشف، داخل الكيس تحت السرير. لم أكن أملك ما أحفظ فيه ثيابي سوى ذلك الكيس»(جرجيس, ازهر, ٢٠٢٢, ٢٥), يقدّم النص حدثاً عاطفياً وهو اهتمام (جانيت) بأخيها (كمال) فهي تقوم بتنظيف رأسه, وتسخين الماء, وغسل الثياب, وهذا يحدث بشكل يومي, واعتمد النص على تقنية السرد التي تختزل عدة أحداث وقعت في الواقع, بذكرها مرة واحدة في الخطاب فالزمن السردي هنا أسرع من الزمن الواقعي, يؤدي الاختزال إلى تسريع الإيقاع؛ إذ يتجاوز الكاتب سرد التفاصيل اليومية المتكررة.

وتظهر رواية (وادي الفراشات) هذا الاتجاه فيتضح ذلك في النص الآتي: «تبتسم تمارة كلما ذهب إليها مهند حاملًا رسالتي، ثم تذهب إلى النافذة لتقرأها كمن لم تقرأ رسالة حب من قبل. تكتب بدورها قصاصة، وترسلها معه، أو تقطع وردة وتقول له: (خذها لعزيز), فينفذ الطلب أحياناً, وينفجر بناء أحياناً»(جرجيس, ازهر, ٢٠٢٤, ٣٣), يبين هذا النص تتكرّر أحداث تبادل الرسائل بين (عزيز) و(تمارا) في أيام الجامعة والناقل لهذا الرسائل هو (مهند) زميلهم المقرب, ولكن في السرد ورد ذكر هذا الحدث مرة واحدة؛ وذلك للاختصار، ويسمى هذا النوع بالسرد الترددي الذي يضغط الزمن متجاوزاً التتابع الحدثي, يؤدي هذا التوظيف إلى تسريع وتيرة السرد ومن ثم تسريع في الإيقاع الروائي.

وعبر تحليل النصوص يُمكن وضع مقارنة تكشف عن نسب توظيف الحدث من جانت التكرار في الروايات, ففي (النوم في حقل الكرز) وَرَدَ الحدث التفردي بشكل متوازن, فقد اعتمد الكاتب على تقديم الحدث مرة واحدة لا يتكرر مثلما وقع في (القصة), مع هيمنة الترجيعي التفردي, وينخفض الحدث التكراري ليتساوى مع النسبة التي شغلها الحدث الترددي.

أما في رواية (حجر السعادة) فجاء التفردي على نحو عابر, ويتراجع أيضاً التفردي ترجيعي, ويرتفع التكراري بشكل ملحوظ ليشغل مساحة كبيرة, ويأتي الترددي ما بين التكراري والتفردي.

وفي (وادي الفراشات) يبدو التفردي والتفردي الترجيعي متقاربتين في الحضور, أما التكراري فشكل نسبة أوسع من الأنواع السابقة؛ للتركيز على إعادة السرد من زوايا مُتعددة, وانتقالاً إلى الترددي الذي غلب على مسار الأحداث, ومن ذلك يُلحَظ تنوع في توظيف الحدث من جانب التفرد, والتعدد, والتكرار, والتردد في روايات أزهر جرجيس ويهدف الكاتب بهذا التوظيف إلى ترسيخ الأثر في وعي القارئ.

الخاتمة:

ختاماً أثبت البحث حضور الإيقاع في بنية الحدث، إذ يتحدد تبعاً لطبيعة تسلسل الأحداث واتصالها أو انقطاعها, فالحدث المتصل يسهم في تسريع السرد ومن ثم رفع إيقاع الرواية، في حين يؤدي انقطاع الحدث إلى إبطائه, ثم إن حجم الحدث نفسه يمثل عاملاً حاسماً في تشكيل الإيقاع؛ فالحدث الطويل يبطئ السرد، في حين يؤدي الحدث القصير إلى تسريعه، ويأتي الحدث المتوسط ليوازن بين السرعة والبطء, ولا يقل التكرار للحدث السردي أهمية في هذا السياق، إذ إن إعادة سرد الحدث أكثر من مرة تُحدث تباطؤاً ملحوظاً في وتيرة السرد, وبذلك يتضح عبر ما سبق أن التوزيع غير المتساوي لمكونات الايقاع الخارجي والداخلي للحدث بين الروايات الثلاث (النوم في حقل الكرز، وحجر السعادة، ووادي الفراشات), مما يعكس طريقة تشكيل النص السردي التي تتسم بالتحول والتنوع, ويتراوح بين السرعة والبطيء, وأن هذه التقنيات مجتمعة تؤدي إلى بناء الإيقاع الروائي, وما يُلحظ أن كل رواية توظف التقنيات السردية بشكل يتناسب مع طبيعة النص والهدف منه.

ويُلحظ هيمنة انواع الحدث التي تبطئ من الإيقاع الروائي في روايات ازهر جرجيس ابتداءً برواية (النوم في حقل الكرز), ما يؤدي إلى هبوط ملحوظ في الإيقاع الروائي. ويظهر ذلك من خلال تصويره لمعاناة البطل تحت النظام القمعي في العراق، وصولاً إلى هروبه ومكابدته لآلام الهجرة.

أما رواية (حجر السعادة) التي ينقل عبرها الكاتب تجربة البطل مع قسوة زوجة الأب، والتفريق بينه وبين أخيه، وظهرت

أثاره على حياة البطل, إذ هرب وتشرد في أزقة بغداد, هذه الأحداث بدورها أسهمت في خلق إيقاع روائي يتجه نحو البطء والانخفاض.

في مقابل ذلك توازنت رواية (وادي الفراشات) في إيقاعها الروائي، إذ تتناوب فيها تقنيات التبطيء والتسريع، ومن ثم جعل الإيقاع الروائي يتذبذب بين الهبوط والصعود تبعاً لمجريات السرد وطبيعة الأحداث التي تمثلت بمصائب الحياة تتناوب عليه.

وفي الختام ركزت الروايات على التجربة الإنسانية في ظل ظروف اجتماعية وسياسية قمعية، مع حضور واضح لتقنيات السرد التي تؤثر بشكل مباشر في الإيقاع الروائي.

المصادر والمراجع:

- أزهر جرجيس، النوم في حقد الكرز، دار الرافدين، ٢٠١٩، ط١, بغداد.
- .....، حجر السعادة، دار الرافدين، ٢٠٢٢، ط١, بغداد.
- .....، وادي الفراشات، دار الرافدين، ٢٠٢٤، ط١, بغداد.
- إبراهيم خليل، بنية النص الروائي، منشورات الاختلاف، ٢٠١٠، ط١، الجزائر.
- إبراهيم جنداري، الفضاء الروائي، دار تموز، ٢٠١٣، ط١، دمشق، سوريا.
- عبد الله إبراهيم، المتخيل السردي، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠، ط١، بيروت.
- جيرار جينيت، خطاب الرواية، تر: محمد معتصم، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٧, د.ط.
- حسني محمود وآخرون، فنون النثر العربي الحديث، تر: نانسي قنقر, منشورات جامعة القدس، ١٩٩٥، ط١.
- صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، ١٩٩٨، ط١، القاهرة، مصر.
- فتوح خليل ومحمود فراج، جماليات التنظير الإيقاعي, دار غريب, ٢٠١٩, ط١, القاهرة.
- محمد القاضي وآخرون, معجم السرديات، دار محمد علي، ٢٠١٠، ط١، تونس.
- لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، ٢٠٠٢، ط١، لبنان.
- مها حسن القصراوي، الزمن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤، ط١، لبنان.
- مونيكا فلودرنك، علم السرد، ترجمة باسم صالح حميد، دار الكتب العلمية، ٢٠١٢، ط١، بيروت، لبنان.
- نبيل راغب، فنون الأدب العالمي، دار لوبار، ١٩٩٦، ط١، القاهرة.
- يان مانفريد، علم السرد: مدخل إلى نظرية السرد، تر:أماني بورحمة، دار نينوى، ٢٠١١، ط١، دمشق.

المجلات والمقالات

- الإيقاع الروائي تقويض حتمي وتجديد جدلي, إدارة الإيقاع في الرواية, بيريك مسيان, تحرير: عبد اللطيف الموسوي, دار المأمون, ٢٠٢١, بغداد, العراق.
- قاسم نجم، بنية الحدث في الرواية العربية الجديدة، مجلة ميسان للدراسات الأكاديمية، ٢٠١٨، العدد ٣٣.



اليتيم في القرآن الكريم وحقوقه في الإسلام دراسة موضوعية

الباحث:مجتبى سلطان محمد
وزارة التربية/ المديرية العامة للتربية في محافظة بغداد الكرخ الثالثة



المستخلص:
التكافل الاجتماعي والتراحم والتعاطف والمحبة الى غيرها من صفات الخير والصلاح والخلق الانساني الرفيع، هي من سمات المجتمعات الراقية والحضارات التي خلدها التاريخ فانما الامم الاخلاق ما بقيت ... وإن اهل الارض لمرحومون ما تحابوا.
١ – اهمية البحث : كفالة الايتام وانتشالهم من مخمصة الفقر وحفظهم من الضياع
٢ – اهدافه : قوة عناصر المجتمع وحفظ تماسكه وهي عنوان المحبة والرحمة والايمان الصادق هذه السمة الانسانية علاوة على آثارها الوضعية من البركة والخير العميم،
٣ – اثاره : له آثار معنوية اخروية كل لحظة من لحظاتها تعدل الدنيا وما فيها. تناولت الآيات المتعلقة في اليتيم وكيفية معاملته و الحكمة منها و افدت من السنة النبوية الشريفة و اقوال السلف الصالح لما فيه اهمية المتعلقة بالبحث .
الكلمات المفتاحية: اليتيم ، القرآن الكريم، الحقوق، التكافل.

Abstract:
Social solidarity, compassion, sympathy, and love for other qualities of goodness, righteousness, and sublime human morals are among the characteristics of advanced societies and civilizations immortalized in history. Nations are morals as long as they remain...and the people of the earth are merciful as they love one another.
1– The importance of research: sponsoring orphans, lifting them out of poverty, and protecting them from being lost
2– Its goals: Strengthening the elements of society and preserving its cohesion, which is the epitome of love, mercy and true faith.
3– Its effects: It has otherworldly spiritual effects, every moment of which is equivalent to the world and what is in it. It dealt with the verses related to the orphan, how to treat him and the wisdom thereof, and benefited from the honorable Sunnah of the Prophet and the sayings of the righteous predecessors, due to the importance of the research.
.Keywords: orphan, Holy Quran, rights, solidarity

المقدمة:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين ....أما بعد
لقد كان بحثي الموسوم اليتيم في القران الكريم و حقوقه في الاسلام دراسة موضوعية
و لمحبة اليتيم و مكانته عند الله تعالى فقد كان نبي الله محمد (صلى الله عليه و اله و سلم) يتيماً من صغر سنه الشريف فحبيب الله كان يتيماً و يشتمل هذا الموضوع على ثلاث مباحث كل مبحث على ثلاث مطالب .
المبحث الأول : اليتيم و اليتم في القران الكريم , المطلب الاول : اليتيم و اليتم في اللغة .
المطلب الثاني : اليتيم و تسميته بهذا الاسم , المطلب الثالث : اليتيم في الشرائع و الديانات السابقة.
المبحث الثاني : مكانة اليتيم في القران الكريم , المطلب الاول : اليتيم و حقوقه الاجتماعية.
الطلب الثاني : الرعاية المادية لليتيم , المطلب الثالث :عدم اكل مال اليتيم بالباطل .

المبحث الثالث : اليتيم و متطلباته الاجتماعية , المطلب الاول : الرفق باليتيم في القران الكريم ,
المطلب الثاني : الاحكام القانونية في الاسلام , المطلب الثالث :كفالة اليتيم و ضمهِ.

المبحث الأول:

اليتم واليتيم في القران الكريم

المطلب الاول : اليتم واليتيم في اللغة :- اليتم – بضم الياء وضمها – الانفراد

واليتيم : الفرد من كل شيء. فيقال : درة يتيمة، أو صرح يتيم، ومنه سمى ومنه سمى الثعالبي كتابه (يتيمة الدهر)، أي الذي لا نظير له.

واليتم واليتيم هو في الناس : فقد الصبي أباه قبل البلوغ، وفي الدواب والبهائم : فقد الأم، ولا يقال لمن فقد الأم من الناس يتيم، ولكن يقال له : منقطع(١).

وقيل : اليتيم الذي يموت أبوه، والعجي الذي تموت أمه واللطيم الذي يموت أبواه.

واليتم يأتي الغفلة، ويتم يتما : قص وفتر؛ ويأتي بمعنى الأبطاء، وكذلك الحاجة، والانفلات(٢).

اليتم الكلمة : يتم ويقولون لكل منفرد يتيم واليتيم من الناس من قبل الأب أي من فقد أباه. اليتم الانفراد واليتيم الفرد واليتم فقدان الأب، وفي البهائم من قبل الأم لأن اللبن منها وقبل : أصل اليتم الغفلة، وبه سمى يتيماً لأنه يتغافل عن بره(٣).

وقيل : اليتم : الأبطاء لأن البر يبطئ واليتم الحاجة(٤) وكل شيء منفرد يعنى نظيره فهو يتيم ويقال درة يتيمية(٥).

اليتيم في الاصطلاح الشرعي :

لليتيم عدة تعريفات اصطلاحية، منها :

- اليتيم : هو الصغير الذي فقد أباه وهو دون البلوغ، وإذا بلغ يزول عنه اسم اليتيم حقيقة.

لم يختلف الفقهاء مع اللغويين في تحديد معنى اليتيم واتفقوا في تعريفه، فقالوا : هو من مات أبوه قبل بلوغه، فاما من مات أبوه بعد بلوغه فلا يكون يتيماً وكذلك إذا ماتت أمه قبل بلوغه لا يكون حقيقة(٦).

قال الجواهري اليتم في الناس من قبل الأب وفي البهائم من قبل الأم وقال غيره : واليتم من الجواهر الذي لا اخ له ومنه (درة يتيمة) لا أخت لها، ويتم الصبي بالكسر يتم يتيماً ويتماناً بالتسكين فيها(٧).

المطلب الثاني : اليتيم وسبب تسميته بهذا الاسم :

الذي يظهر مما يقوله أهل اللغة في هذا الصدد هو : أن التسمية بهذا الاسم منشئها ... عدم الاعتناء الذي يلاقيه من فقد كفيله وهو بهذا السن من العمر حيث صرح بمثل ذلك من تضلع بتتبع هذا النوع من المصطلحات.

يقول المفضل : أصل اليتم الغفلة وبه سمي اليتيم يتيمياً لأنه يتغافل عن بره.

أما أبو عمر فقال اليتيم : الأبطاء، ومنه أخذ لأن البر يبطئ عنه(٨).

والملاحظ على هذه التعريفات أنها تدور في إطار واحد وهو : أنها تقص صفة اليتم على من فقد أباه وما يزال في سن الطفولة لم يبلغ الحلم به؛ لأن الأب هو المعيل والمنفق.

ومن خلال هذه التعريفات يمكن أن أصوغ تعريفا شاملاً لليتيم كما يلي :

«هو الصغير الذي فقد أباه وهو ما يزال دون سن البلوغ والحلم».

ولم يعتبر الشرع من فقد أمه يتيماً أنما قص صفة اليتم على من فقد أباه فقط لأن الأب هو الذي يعول الصغير ويدعى شؤونه ويقوم بتاديبه وتعليمه وكثيراً ما يجد الولد في عطف أبيه ورعايته المالية ما يسد خلته ويجد اليتيم في عطف أمه وحنانها وأمومتها وتربيتها ما يسد دور الأب في ذلك.

ويعتبر اليتم مصيبة كبرى ومن أهم العوامل الأساسية في انحراف الصغار وهم في زهرة العمر ومقتبل الحياة، فإذا لم يجد اليتيم اليد الحانية التي تحنو عليه والقلب الرحيم الذي يعطف عليه ولم يجد الرعاية الكاملة والاهتمام الكبير والمعونة التامة

التي تسد حاجاته المادية والعاطفية والنفسية فلا شك أنه سينحرف ويخطو شيئاً فشيئاً نحو الأجرام.

لهذا حرص الإسلام على رعاية الأطفال الايتام وحث على كفالتهم والإحسان اليهم وأمر من يشرف على تربية هؤلاء الصغار الايتام أن يحسنوا لمعاملتهم وتاديبهم وتوجيهم حتى ينشأوا على مكارم الأخلاق والفضائل النفسية وحتى يجدوا في ظل من يرعاهم العطف والمحبة تعويضاً لهم عن كل ما افتقدوه من محبة وعطف وحنان بموت والدهم.

ولا تعتبر صفة اليتم عيباً ولا تهمة فلا ينبغي لليتم أن بالدونية والنقص بسبب يتمه فهو شخص تام في إنسانيته كامل في شخصيته من الناحية الشرعية(٩).

المطلب الثالث : اليتيم في الشرائع والديانات السابقة :

لم تكن الشريعة الإسلامية هي البادئة بأمر اليتامى ورعاية شؤونهم والاهتمام بهم، فالشرائع والديانات السابقة أيضاً قد شرعت لليتيم أحكاماً خاصة، وأقرت تعاليم لأتباعها بشان رعاية الايتام، ويمكن تتبع هذا الأمر واستيضاحه من خلال القرآن الكريم، فنطالع فيه الميثاق الذي أخذه الله سبحانه وتعالى على بني إسرائيل، والذي هو ميثاق إلى البشرية جمعاء فضلاً عن بني إسرائيل لعدم اختصاصهم به؛ لأنه يشكل الركائز الحقيقية لدين الله الحنيف في جميع شرائعه المقدسة، وهي الأصول الثابتة لبناء المجتمع المتماسك المترابط.

قال تعالى : {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ}(١٠).

فاليتامى، هؤلاء الأبرياء الذين شاءت الحكمة الإلهية أن يختطف الموت اليد الكفيلة، فتعوضهم بأيد أخرى محسنة تحطوهم بكل معنى الرعاية والمحبة، فجعلت الرحمة والعناية من جملة القواعد التي يرتكز عليها دين الله القويم، فكانت رعاية اليتيم من جملة الميثاق المأخوذ على بني إسرائيل، والذي هو صورة مرسلة إلى جميع البشر لئلا يفقد اليتيم من يرعاه، فيبقى نتيجة الإهمال عضواً عاطلاً عالة على الآخرين(١١).

وفي مشهد آخر من المشاهد القرآنية التي نرى فيها رعاية اليتيم واضحة عبر الشرائع السابقة، ذلك هو عرضه لقصة النبي موسى (عليه السلام) مع العبد الصالح، وهو (الخضر) (عليه السلام)، حيث وجدا في سفرهما ذلك الجدار المشرف على السقوط والأنهيار، بعد أن خرجا من المدينة التي أبرى ألها أن يضيفوهما، فأقام بناءه وأصلحه، رغم ما أصابه من تعب وجوع دون أن يأخذ عليه الأجرة، لأنهك ان ليتيمين، فنقرأ جواب هذا المشهد القرآني الجميل، والذي هو في غاية الروعة والإيثار في مساعدة الأيتام ورعايتهم.

{وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ}(١٢).

وهناك قصة نود أن نذكرها لما فيها من قيمة في معناها، فقد روى الحاكم والبيهقي وأبو نعيم الأصبهاني مرفوعاً، أن رجلاً قال ليعقوب (عليه السلام) : ما الذي أذهب بصرك وحنى ظهرك؟ فقال : أما الذي أذهب بصري فالبكاء على يوسف، وأما الذي حنى ظهري فالحزن على أخيه بنيامين.

فاتاه جبرئيل (عليه السلام) فقال : أتشكو الله؟ فقال : إنما أشكو بثي وحزني إلى الله، قال جبرئيل (عليه السلام) : الله أعلم بما قلت منك، قال : ثم أنطلق جبرئيل (عليه السلام) ودخل يعقوب بيته فقال : أي رب أما ترحم الشيخ الكبير؟ أذهبت بصري وحنيت ظهري فأردد علي ريحانتي فأشمهما شمة واحدة ثم أصنع بي ما شئت! فأتاه جبرئيل فقال : يا يعقوب إن الله عزوجل يقرؤك السلام ويقول : أبشر فإنهما لو كانا ميتين لنشرتهما لك لأقر بهما عينك، ويقول لك : يا يعقوب! أتدري لم أذهبت بصرك وحنيت ظهرك؟ ولم فعل إخوة يوف بيوسف ما فعلوا؟

قال : لا، قال : إنك أتاك يتيم مسكين وهو صائم جائع، وذبحت أنت وأهلك شاة فأكلتموها ولم تطعموه، ويقول : إني لا أحب شيئا من خلقي حبي لليتامى والمشاكين، فأصنع طعاماً وادع المساكين، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (فكان يعقوب كلما أمسى نادى مناديه : من كان صائما فليحضر طعام يعقوب. وإذا أصبح نادى مناديه :

من كان مفطراً فليفطر على طعام يعقوب) (١٣).

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن عيسى بن مريم (عليه السلام) مر بقبر يعذب صاحبه، ثم مر به من قابل، فإذا هو ليس يعذب فقال : يا رب مررت بهذا القبر عام أول فكان صاحبه يعذب، ثم مررت به العام، فإذا هو ليس يعذب، فأحوى الله عز وجل إليه : يا روح الله...! إنه أدرك له ولد صالح، فأصلح طريقاً، وآوى يتيماً، فغفرت له بما عمل أبنه(١٤).

من هذه المشاهد نرى أن الشريعة تنتقل من الإيصاء لبني إسرائيل باليتامى وغيرهم وأخذ الميثاق عليهم، إلى الميدان العملي لترغيب أفراد المجتمع وحثهم على التسابق إلى فعل الخير، وإظهار الآثار الإيجابية المترتبة على معاملة اليتيم بالحسنى، ورعاية حقوقه الإنسانية.

المبحث الثاني:

مكانة اليتيم في القران الكريم

مكانة اليتيم في الشريعة الإسلامية فاقت ما سبقها من الشرائع في العناية باليتيم، وشددت كثيراً على رعايته وحمايته والمحافظة عليه وعلى حقوقه. ويلاحظ أن الشارع الإسلامي أكد بشكل ملحوظ على عدم التفريط بحقوقه، وخاصة الحقوق المالية، ولعله كان هذا بشكل يفوق بقية الجهات المطلوب رعاية اليتيم من خلالها، ولا غرابة في ذلك. فقد جاء ذكر اليتيم مباشرة بعد ذكر ذي القربى

فالإسلام : دين العدل، والمساواة، والرحمة، والعطف .. جاء لينتصر للضعفاء ويأخذ لهم حقوقهم تامة غير منقوصة مهما كلف الثمن. فالقوي عنده ضعيف حتى يأخذ منه الحق، والضعيف في نظره قوي حتى يأخذ له حقه(١٥).من هنا، فقد شمل الإسلام برعايته اليتيم بكم كبير جداً نسبياً من التشريعات كتاباً وسنة، قال تعالى :

{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ }(١٦).

{لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ}(١٧).

قال تعالى :{ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ }(١٨).

قال تعالى :{ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاء اللّهُ لأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(١٩).

قال تعالى :{ وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً }(٢٠).

قال تعالى :{وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ}(٢١).

قال تعالى :{وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللّهِ حَسِيبًا}(٢٢).

و ما جاء من حديث النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله : (ما قعد يتيم مع قوم على قصعتهم فيقرب قصعتهم شيطان) (٢٣).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً : (كافل اليتيم أثير عند الله) (٢٤).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : (من قبض يتيماً من بين المسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة البتة، إلا أن

يعمل ذنباً لا يغفر) (٢٥).

وفي رواية الإمام أحمد والطبراني مرفوعاً : (من ضم يتيماً بين أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه وجبت له الجنة) (٢٦).

وفي آخر وصية لأمير المؤمنين (عليه السلام) في أواخر ساعات حياته وهو على فراش الموت قال : (الله الله في الايتام، لا تغبوا أفواههم، ولا يضيعوا بحضرتكم)(٢٧).

وأخيراً وليس أخراً، أقبل رجل إلى الباقر (عليه السلام) ، فقال : رحمك الله، أقبض مني هذه الخمسمائة درهما فضعها في مواضعها، فإنها زكاة مالي، فقال (عليه السلام) : (بل، خذها أنت وضعها في جيرانك والأيتام والمساكين، وفي إخوتك من المسلمين، إنما يكون هذا إذا قام قائمنا فإنه يقسم بالسوية) (٢٨).

المطلب الأول: اليتيم وحقوقه الاجتماعية:

الخطاب القرآني يلفت أنظارنا إلى حقوق اليتيم الاجتماعية، بالإشارة إلى اليتيم الأول النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) (٢٩)، وإلى الأدوار التي مر بها، وشملته فيها الرعاية الإلهية، والتي تشكل بمجموعها دستور الرعاية الإلهية، والتي تشكل بمجموعها دستور الرعاية الاجتماعية لهذه الشريحة من المجتمع، بغية الوصول إلى الغاية السامية من رعاية حقوق الضعفاء، وذلك أنطلاقاً من أربعة محاور تواجه اليتيم في حال يتمه، وقد أشار إليها القرآن الكريم وعالجها معالجة بناءة، وأهاب بأفراد المجتمع السير على منهجها وتطبيقها من أجل حفظ التكافل الاجتماعي، وعدم ضياع حقوق المستضعفين، وبذلك يحتفظ المجتمع بتماسكه، ويسلم من الأنهيار والتشتت.

قال تعالى : { أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى * فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ }(٣٠).

فعندما يترك الإنسان الميت ذرية صغاراً، فإنه قد تركهم في ذمة المجتمع وفي عهدته، إذن، فالمجتمع مسؤول اتجاه هؤلاء ضمن الأصول الفقهية والأخلاقية والإنسانية.

وعلى هذا، فالمشاكل والمصاعب التي يواجهها اليتيم الذي افتقد كفيلهن وفق ما بينته الآيات، هي ضمن المحاور التي أشارت إليها، فتعالى معي أخي المؤمن نتلمس هذه المحاور تباعاً للعمل بها، مرضاة لله تبارك وتعالى:{أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى}.

إن الدفئ العائلي والمنزل المشحون بالعواطف، والمأوى الآمن الذي يلتجأ إليه، أول ما يحتاجه اليتيم، ومن هنا جاءت فكرة ملاجئ الأيتام لا مأوى لهم ولا مسكن يمرحون فيه. فالملاجئ ودور الايتام تسدي خدمة كبيرة للمجتمع في محافظتها على هذه الفئة من الأطفال من الضياع والتشرذم.

إذا فلابد من المأوى لليتيم، ولابد من تهيئة الملجأ إليه، فبلا مأوى سيصبح هذا الطفل متسولاً تتلاقفه أرصفة الشوارع، ومنعطفات الأزقة، فيكون عالة على مجتمعه وبلده، ويكون هذا التسيب مبدأ مسيرته الإجرامية. فلا مخدع يؤويه، ولا رقيب ينتظره، يقطع ساعات الليل متسكعاً ليلحقها في نهاره منبوذا تحتضنه تكايا الرذيلة، فإذا به عضو فاسد تخسره الأمة، ويكون وبالا عليها وعلى أبنائها.

ولقد ورد في الخبر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله : (خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه) (٣١).

وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً : (أحب البيوت إلى الله تعالى بيت فيه يتي مكرم) (٣٢).

فخير البيوت وأكرمها عند الله بيت حوى في غرفه على يتيم فقد المأوى والملجأ الذي يذهب إليه، وإحسان الناس إلى اليتيم يقابله إحسان الباري لهم على لطفهم مع عبده الضعيف.

المطلب الثاني : الرعاية المادية لليتيم : قال تعالى :{ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى }.

الإنفاق عموماً حسن، والإنفاق على اليتامى أحسن؛ ذلك لأن اليتيم فقير أولاً، وفاقد لمن يعيله ويرزقه ثانيا. إذن، ففقره مضاعف، وعلى هذا الأساس، وضمن حث القرآن الكريم على الإنفاق والترغيب فيه بشكل عام، فقد وضع أولويات في دائرة الإنفاق والترغيب فيه بشكل عام، فقد وضع أولويات في دائرة الإنفاق، فبعد الأسرة، وهي دائرة الإنسان الخاصة، والقرابة الذين هم لحمة الإنسان وكلالته وعماده الذي يتقوى بهم ويعرف، يأتي اليتامى على رأس قائمة

مستحقي الإنفاق، قال تعالى : {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ}(٣٣).

هنا نجد القرآن الكريم، إذا ما تجاوزنا أسرتي الإنسان الصغيرة والكبيرة، أول مرحلة يبدأ بها خارج الدائرة النسبية من مراحل الإنفاق هم اليتامى، فإنهم مقدمون على كل الطبقات الفقيرة والمستحقة؛ وذلك لأن اليتامى فيهم ما في المساكين من العوز والفقر وزيادة، هي مشكلة الانفراد واليتم وفقدان الكفيل. فكانوا في التدرج مقدمين على من كانت به مسكنة وعوز سواء كان المسكين، أسوأ حالاً من الفقير، أو العكس.

والآية المباركة المتقدمة فصلت بوضوح جهات ومراحل الإنفاق؛ ليحصل المنفق من وراء كل درهم يبذله في سبيل الله على سبعمئة درهم، بل والله يضعف لمن يشاء، هذا في الدنيا، وأما في الأخرة فرضوان من الله اكبر ومجاورة النبي الأكرم، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (من عال ثلاثة من الايتام كان كمن قام ليله، وصام نهاره، وغدا وراح شاهرا سيفه في سبيل الله، وكانت أنا وهو في الجنة أخوين كما أن هاتين أختان) (٣٤). وألصق أصبعيه السبابة والوسطى.

ما أروع هذه الكرامة .. وما أجزل هذا العطاء .. في الدنيا والآخرة، فهنيئاً لكافل اليتيم هذه المنزلة السامية، والدرجة الرفيعة، وهذا العوض السخي.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : (من ضم يتيماً فكان في نفقته، وكفاه مؤونته، كان له حجاباً من النار يوم القيامة...) (٣٥).

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال : (سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : من عالم يتيماً حتى يستغني أوجب الله عز وجل له بذلك الجنة، كما أوجب لآكل مال اليتيم النار) (٣٦).

وعن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : (من قبض يتيما من بين المسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة البتة، إلا أن يعمل ذنبا لا يغفر) (٣٧).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (أشبع اليتيم والأرملة، وكن لليتيم كالأب الرحيم، وكن للأرملة كالزوج العطوف، تعط كل نفس تنفست في الدنيا قصراً في الجنة، كل قصر خير من الدنيا وما فيها)(٣٨).

ومن مجموعة الآيات والأحاديث التي اختصت بمعالجة مشكلة اليتامى الذين يرثون أموالاً وثروة، وهم صغار قاصرون، نستنتج أن معالجتها لأموال هؤلاء الأيتام تتضمن ثلاث مراحل تتلخص في المحافظة على تلك الأموال أولاً، ثم بيان مرحلة انتهاء دورة اليتم، وتسلم اليتيم لأمواله التي ورثها، وأخيراً الإشهاد على عملية التسليم.

المطلب الثالث : عدم أكل مال اليتيم بالباطل :

قال تعالى :{ وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا }(٣٩).

لم يقتصر القرآن الكريم على الحث فقط على أكرام اليتيم وإعالته وكفالته، بل وحذر أيضاً من استغلال يتمه وصغر سنه بالتلاعب في أمواله، إذ لا ملازمة بين عنوان اليتيم مع الفقر، فهناك لبعض الأيتام أموال ما ليس للكبار منها شيء. لكن يبقى اليتيم في أغلب الموارد ضعيف؛ لفقدانه من يكفله ويحميه، لذا فقد جاءت آيات عدة في القرآن الكريم كلها تدعو إلى رعاية الأيتام والحفاظ على أموالهم والسهر على مصالحهم. بل، وتشدد النكير على كل من تسول له نفسه أن يعتدي على أموالهم أو يأكل شيئاً من حقوقهم، قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا }(٤٠).

وبهذا التصوير المرعب والمخيف الذي صورته الآية الكريمة لأكل مال اليتيم، جاء الحديث الشريف يساوق القرآن الكريم في عرضه لمشهد من مشاهد يوم القيامة، حيث ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : (يبعث أناس من قبورهم يوم القيامة تأجج أفواهم ناراً، فقيل له : من هؤلاء؟ قال : الذين ياكلون أموال اليتامى : { إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ..}(٤١).

وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) : (لما أسري بي إلى السماء رأيت قوماً تقذف في أجوافهم النار، وتخرج من أدبارهم، فقلت : من هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً)(٤٢).

والإمام الصادق (عليه السلام)، لما سئل عن الكبائر . قال : (منها أكل مال اليتيم ظلماً) (٤٣).

وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) ، في حديث المعراج، أيضاً : (نظرت فإذا أنا بقوم لهم مشافر كمشافر الإبل، وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في أفواههم صخرا من نار، فتقذف في أحدهم حتى تخرج من أسافلهم ولهم خوار وصراخ، فقلت : يا جبرئيل من هؤلاء؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى لماً إنما يأكلون في بطونهم نارا) (٤٤).

ثم إن القرآن الكريم قد تجاوز الحث على رعاية اليتيم، والحفاظ على أمواله، والنكير على آكل أموالهم، والنكير على آكل أمواله والوعيد له بالعذاب الأخروي، إلى تحذير المتجاوزين وظالمي اليتامى بأن يتاماهم سوف ينتظرهم نفس المصير، وسيلقون نفس المعاملة، قال تعالى : { وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا }(٤٥).

وكما يقال في ظلم اليتامى وأكل أموالهم بغير حق، وآثار ذلك في الدنيا والآخرة، يقال بعكس ذلك لمن يرعى الأيتام ويأخذ بأيديهم، ويصلح شؤونهم، فبالإضافة إلى الجزاء الأخروي، فإن له آثاراً وضعية في الحياة الدنيا أيضاً، فالله تبارك وتعالى سوف يشكر لهم أياديهم البيضاء الخيرة بأن يقيض ليتاماهم من يرعاهم ويحفظهم من الضياع، فإن جزاء الإحسان لا يكون إلا الإحسان.

وروي عن أبي ذر (رضوان الله عليه)، أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال له : (يا أبا ذر! إني أراك ضعيفاً، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، فلا تتأمرن على أثنين، ولا تلوين مال يتيم)(٤٦).

وروي عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً قوله : (اجتنبوا السبع الموبقات)، قالوا : يا رسول الله ما هي؟ قال : (الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات)(٤٧) صدق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

المبحث الثالث

اليتيم و متطلباته الاجتماعية

المطلب الاول : الرفق باليتيم

:\ قال تعالى :{ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ }(٤٨).

تعتبر هذه الآية درساً بليغاً من دروس التحذير من قهر اليتيم، وإذلاله، والخطاب في الآية المباركة وإن كان موجهاً إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مباشرة، لكن القرآن، وكما قيل. نزل بلغة إياك أني وأسمعي يا جارة. إذن، فالخطاب في الحقيقة هو للأمة على الصورة التذكيرية للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم). وحاشا للنبي أن يقهر يتيماً، فهو. وكما ذكرنا سابقاً وقيل. أول يتيم، وهو أبو اليتامى والمساكين.

قال تعالى : { أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ }(٤٩)، من هنا عرفنا أن المؤمن لا يقهر يتيما، ولا يمنعه حقه، بل العكس، فالذي يدفع اليتيم عن حقه، ويقهره ويذله هو مكذب بالدين والمعاد بصريح الآية الكريمة، فيجب إذا الإرفاق باليتيم عند الحديث معه، والابتسامة في وجهه، والتعطف الزائد عليه، وإضفاء هالة من الحنان والمودة نغمره بها.

وهكذا فعلى الجميع إكرام اليتيم وعدم قهره، ففي كنف الإسلام يأمن الضعيف. ومن أعلى مراتب الإكرام وأسماها احتضانه وكفالته، وأعتباره واحداً من أبنائك، فذلك يدفع الشعور باليتم والانكسار والإحساس بالنقص.

وفي هذا المجال وردت أحاديث كثيرة تحث على الإرفاق باليتامى، وتحذر من إذلالهم وإيذائهم وظلمهم.

وشكا للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رجل قسوة قلبه :

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : (أتحب أن يلين قلبك، وتدرك حاجتك؟! إرحم اليتيم وامسح رأسه، وأطعمه من طعامك يلن قلبك، وتدرك حاجتك) (٥٠).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : (من أذل يتيما أذله الله) (٥٠١).
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : (إن في الجنة دارا يقال لها : دار الفرح، لا يدخلها إلا من فرح يتامى المؤمنين) (٥٢).
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : (إياكم وبكاء اليتيم فإنه يسري في الليل والناس نيام) (٥٣).
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : (إن اليتيم إذا أبكى اهتز لبكائه عرش الرحمن، فيقول الله لملائكته : يا ملائكتي! من أبكى هذا اليتيم الذي غيب أبوه في التراب؟ فتقول الملائكة : أنت أعلم. فيقول الله تعالى : يا ملائكتي! فإني أشهدكم أن لمن أسكته وأرضاه أن أرضيه يوم القيامة) (٥٤).
قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : (من مسح على رأس يتيم كان له بكرة شعرة تمر على يده نور يوم القيامة) (٥٥).
وعن الإمام زين العابدين علي بن الحسين : قال (الذنوب التي تحبس غيث السماء : جور الحكام في القضاء، وشهادة الزور، وكتمان الشهادة، ومنع الزكاة والقرض والماعون، وقساوة القلوب على أهل الفقر والفاقة، وظلم اليتيم والأرملة، وانتهار السائل ورده بالليل...) (٥٦).
وعن أمير المؤمنين علي (ع) قال : (ما من مؤمن ولا مؤمنة يضع يده على رأس يتيم ترحماً له، إلا كتب الله له بكل شعرة مرت يده عليها حسنة) (٥٧).
وعن ابن مسعود ، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أنه رأى ليلة الأسارء هذه الكلمات مكتبة على الباب الثاني من الجنة : لا إله إلا الله، محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علي ولي الله، لكل شيء حيلة، وحيلة السرور في الأخرة أربع خصال : مسح رؤوس اليتامى، والتعاطف على الأرامل، والسعي في حوائج المسلمين وتفقد الفقراء والمساكين) (٥٨).
وروى الإمام أحمد وغيره مرفوعاً : (من أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده كنت أنا وهو في الجنة كهاتين)، وفرق بين أصابيه السبابة والوسطى(٥٩).
وروي عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قول : (والذي بعثني بالحق لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم ولأن له في الكلام ورحم يتمه وضعفه، ولم يتطاول على جاره بفضل ما آتاه الله) (٦٠).
إن حاجات الطفل اليتيم هي نفس احتياجات الأطفال العاديين، ولكن بدرجة أشد، أما لماذا أشد؟ فلأنه وبسبب فقدان واده يرى نفسه فردا خاسرا؛ لأن الجميع لديهم شيء هو يفتقده ولا يمكنه الحصول عليه، ولغرض ملء الفراغ يختلف الأعذار، وتزداد توقعاته، فهو إما ينطوي على نفسه، أو يحاول الانتقام من المجتمع؛ لإحساسه أو شعوره بأنه هو الذي حرمه من كثير من متطلبات الحياة. فاليتيم يحتاج إلى :
١ – الحب والحنان : وهذا لا تعوضه له لا المدرسة ولا ملاجئ الأيتام بشكل كامل، إنما كفالة اليتيم وضمه إلى أطفال كافلة، واعتباره واحداً منهم قد تلبي حاجته هذه.
٢ – الحماية والمتابعة : فالطفل يحتاج إلى شخص قوي وكبير يحميه من أي أمر مخوف، كما يحتاج إلى فرد يتعلق به إذا دهمه خطر أو احتاج إلى مساعدة فيما لو مرض. مثلا : يناديه يا أباته! وهذا أيضاً لا يتوفر في المدرسة، ولا يجده في دار الأيتام.
٣ – المواساة : إن وجود شخص يستمع إليه شكواه وهمومه، ويشاطره معاناته ومشاكله، والاستماع إلى أسئلته، يؤدي إلى إضفاء حالة من الهدوء والسكينة على اليتيم.
٤ – السيطرة والضبط : شعور اليتيم بأن هناك من يناقشه الحساب، وأن أحداً فوق رأسه يحاسبه على مخالفته، وأنه لا يمكنه أن يفعل ما يريد ويشتهي، فهناك من يضبط عليه حركاته وسكناته، فهذا الأمر سوف يحفظ لليتيم اتزان شخصيته.
٥ – إعادة الثقة وبناء الشخصية : على كافل اليتيم أن يحرص بشدة وإصرار على استعادة ثقة اليتيم بنفسه، وأن يصار إلى تهيئة مناخ إعادة بناء شخصيته.

٦- المداراة وعدم جرح مشاعره : تتأتى مداراة اليتيم، وعدم خدش مشاعره، فيما لو وضعنا في الحسبان أنه سريع البكاء، سريع الغضب، سريع الاستياء؛ وذلك لأنه كسير القلب، وكما مر معك أن العرش يهتز لبكاء اليتيم، بناء على قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : (إذا بكى اليتمي اهتز العرش) (٦١).

وعن الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) قال : (الله الله في الأيتام، فلا تغبوا أفواههم، ولا يضيعوا بحضرتكم) (٦٢).

المطلب الثاني: الأحكام القانونية في الاسلام :

في المنظومة القانونية العراقية توجد احكام قانونية مدنية وهي التي تتعلق بالمعاملات المالية مثل العقود والتملك والقواعد التي تدخل ضمن القانون المدني وهناك قواعد قانونية تتعلق بالجزاء والعقوبات وتجريم الأفعال وكذلك قواعد الأحوال الشخصية التي تتعلق بقضايا الأسرة من زواج وطلاق وميراث وغيرها وهذا التنوع أوجد العديد من القوانين التي تعالج وتنظيم العلاقات الناشئة عن حاجة المجتمع لتنظيمها لذلك ستكون مطالب هذا المبحث وعلى وفق التصنيفات التي أشرت إليها.

أ) الأحكام القانونية العقارية :

لقد حددنا في تعريف القانون لليتيم بأنه القاصر الذي يخضع لأحكام قانون رعاية القاصرين ٧٨ لسنة ١٩٨٠ المعدل، وفي المنظومة القانونية العراقية توجد أحكام قانونية ذات صلة بموضوع القاصر، ومنها الدار السكنية التي تؤول أرثا إلى القاصر من المورث إما عن طريق وفاة أحد والديه أو الأثنين معا لأن مجرد وفاة الشخص الطبيعي تنتقل ملكية الأموال إلى الورثة ويعتبر الميراث أحد أسباب انتقال الملكية في القانون العراقي كما تنقل الملكية بواسطة الوصية عندما يوصي ليتيم (قاصر) ويكون الوارث هو الملك الجديد للمال سواء كان عقار أو منقول وقد يكون مع القاصر شركاء في هذه الأموال واصل القاعدة القانونية والشرعية إن الناس مسلطون على أموالهم والقانون وفر الحماية لهذا الحق المتمثل بحق الملكية حيث إن المالك له أن يتصرف بملكه تصرفا مطلقا ومعنى ذلك القول بأن المالك حتى وأن كان شريكا في المال، له حق التصرف بحصته من الملك فإذا شاء أن لا يبقى مع الشركاء الآخرين على الشيوع في الملكية فأنه لا يجبر على البقاء وله أن يطلب إزالة شيوع المال إلا في بعض الحالات التي تتعلق بالاتفاق بين الاطراف في الملكية الشائعة أو لتعلقها بذات المال الذي لا يكون قابل للقسمة مثل السقوف والأرضيات أو ما يسمى بالعلو والأسفل في العمارات ذات الاستعمال المشترك وكذلك الطريق المشترك وسواء(٦٣).

لكن في حالة وجود قاصر بين الشركاء وكان القاصر يتيما فلا يجوز إزالة الشيوع إلا بعد أنتهاء حالة اليتم ببلوغ سن الرشد، حيث منع قرار مجلس قيادة الثورة المنحل رقم ١٠٤١ في ١٩٨٢/٨/١٧، والقرار ١٤٩٧ في ١٩٨٢/١١/١٩ إزالة شيوع الدار المسكونة من قبل ورثة المتوفى القاصرين أو زوجة المتوفى أو كليهما، وهذا الامتياز لم يشمل به أي قاصر آخر سوى اليتيم، فإذا كان بين الشركاء قاصر ولم تؤول إليه الملكية عن طريق الميراث فإنه،لا يتمتع بهذا الامتياز ومن الممكن لأي شريك إن يطلب إزالة شيوع المال وهناك تطبيقات قضائية كثيرة منها قرار محكمة استئناف بغداد بصفها التمييزية المرقم ١٢٩/حقوقية/١٩٨٩ الذي منع إزالة شيوع الدار التي يشغلها القاصر من ورثة المالك أو ورثة الشريك وفي هذا القرار توسع نحو تقييد ملكية الشركاء من غير ورثة المتوفى وفي أحد القرارات القضائية الحديثة قصر هذا الامتياز على القاصرين من أولاد المتوفى ولا يسري على احفاده على اعتبار إن الأحفاد لا يرثون من جدهم وإنما لهم الوصية الواجبة التي سيرد ذكرها لاحقا وأرى إن القرار أعلاه كان موفقا لأن الأصل في الأعمال الإباحة ولكل مالك له الحق في التصرف بملكه وأن هذا القيد الذي ورد لمصلحة القاصر اليتيم هو استثناء على القواعد العامة، وفي القواعد التفسيرية القانونية هناك مبدأ يسمى عدم التوسع في الاستثناء، وهذا الامتياز الممنوح لليتيم يأتي انسجاما مع اهتمام الشريعة الإسلامية بالأيتام(٦٤).

ب) الأحكام القانونية في الأحوال الشخصية :

في قانون الأحوال الشخصية ١٨٨ لسنة ١٩٥٩ المعدل، أو مثلما يسميه البعض قانون الأسرة والقسم الأخر من بعض قانون الأسرة والقسم الأخر من بعض الدول تطلق عليه تسمية الأحكام الشرعية، نظم المشرع العراقي قضايا الزواج والطلاق والميراث والنفقة والوصية وكل ما يتعلق بشؤون الأسرة، وحيث أن الأسرة تتكون من كبار وصغار وإناث وذكور فأن القانون المذكور قد أفرد بعض الأحكام القانونية للقاصر التي تميزت في بعض المفاصل بالاختلاف عن القواعد العامة وتبرير ذلك إن قضايا الأحوال الشخصية تتمتع بخصوصية لتعلقها بقضايا الحلال والحرام أو كما تسمى قضايا الحسبة، فمنحت استثناءات من القواعد القانونية وخصوصا المتعلقة بقواعد الإثبات، قد أجاز القانون الإثبات بالبينة الشخصية (شهادة الشهود) في بعض الحالات التي لا يجوز الإثبات فيها إلا بالبينة التحريرية (الوثائق والسندات) وذلك على وفق ما ورد في نص الفقرة (ثانيا وثالثا) من المادة (١١) من قانون الإثبات العراقي رقم ١٠٧ لسنة ١٩٧٩ المعدل كما إن قانون الأحوال الشخصية تميز بكونه يعتمد أحكام الشريعة الإسلامية كأحد مصادر القاعدة القانونية تميز بكونه يعتمد أحكام الشريعة الإسلامية كأحد مصادر القاعدة القانونية دون اللجوء إلى العرف وعلى وفق ما ورد في نص المادة (١) من قانون الأحوال الشخصية بينما في القانون المدني يكون العرف بعد النص التشريعي وقبل إحكام الشريعة الإسلامية وعلى وفق ما جاء في نص المادة (١) من القانون المدني العراقي(٦٥).

١– تسري النصوص التشريعية على جميع المسائل التي تتناولها هذه النصوص في لفظها أو في فحواها.

٢– فإذا لم يوجد فبمقتضى مبادئ الشريعة الإسلامية الأكثر ملائمة لنصوص هذا القانون دون التقيد بمذهب معين فإذا لم يوجد فبمقتضى قواعد العدالة.

٣– وتسترشد المحاكم في كل ذلك بالأحكام التي أقرها القضاء والفقه في العراق ثم في البلاد الأخرى التي تتقارب قوانينها مع القوانين العراقية.

وبقدر تعلق الأمر باليتيم سأوجز الأحكام القانونية الواردة في كما يلي :

ج) احكام الزواج :

أحكام الزواج نظمها الباب الأول من قانون الأحوال الشخصية النافذ الذي وعرفه القانون بأنه (عقد بين رجل وامرأة تحل له شرعا غايته إنشاء رابطة للحياة المشتركة والنسل) (٦٦) ومن خلال التعريف نجد أن الزواج عقد وفي هذا المورد لابد أن يكون العاقدين أو طرفي العقد يتمتعون بالأهلية القانونية، التي تمكنهم من إجراء العقد وهذه الأهلية القانونية، التي تمكنهم من إجراء العقد وهذه الأهلية بموجب القواعد العامة بلوغ سن الرشد الذي حدد بثمانية عشر سنة كاملة تحتسب من تاريخ تمام ولادته حيا وذكر حصرا في قانون الأحوال الشخصية إن تمام أهلية الزواج العقل وإكمال الثامنة عشرة(٦٧)، إلا أنه أورد استثناء على ذلك بجواز إتمام عقد الزواج لمن لم يكمل الثامنة عشر وأقرنه بطلب من الشخص الذي لم يبلغ سن الرشد وأكمل الخامسة عشرة من العمر وبموافقة الولي الشرعي وفي هذه الحالة لم يميز بين اليتيم وغيره كما أن القانون لم يتطرق إلى تعريف الولي على الرغم من أهميته لكن ما سار عليه التطبيق القضائي بأن تستحصل موافقة الأم عند بعد أن تمنح حجة قيمومة مؤقتة لها على القاصر اليتيم لغرض أكمال إتمام عقد الزواج، وفي هذا الشأن أرى أن الاتجاه بهذا النحو غير صحيح وأنما يجب أن يتم منح الأذن من قبل القاضي اعتباره ولي الأمر لأن حالة اليتم التي فيها القاصر لا تعتبر خللا في شخصيته وإنما امتياز له.

من أهم الأثار التي يرتبها الزواج بالنسبة لليتيم هو أنتهاء سن اليتم أو حالة، إذ يصبح بمثابة كامل الأهلية عند الزواج وفي تطبيقات القضاء العراقي نجد أن محكمة التمييز اعتبرت من أكمل الخامسة عشر سنة وتزوج بأذن المحكمة كامل الأهلية وهذا الأثر يكمن في التعريف الذي استقر عليه الفقه الشرعي والقانوني على اعتبار أن اليتيم أصبح يتيما لفقده من يتكفل به ويرعاه الذي هو والده بموجب التكليف الشرعي والقانوني على اعتبار أن اليتيم أصبح يتيما لفقده من يتكفل به ويرعاه الذي هو والده بموجب التكليف الشرعي والقانوني الذي أوضحته في الفصل الأول من هذه الدراسة وفي حالة الزواج فأن من أهم الشروط التي يجب توفرها في الزوج الكفاءة المالية لأنه ملزم بالأنفاق على زوجته اعتباراً

من تاريخ العقد الصحيح حتى وأن كانت في دار أهلها وفي تطبيقات القضاء لم تقرر المحكمة نفقة للأخت من أخيها لأنها تزوجت وأصبح زوجها مكلف بإعالتها والإنفاق عليها(٦٨).

د) أحكام النفقة :

إن نفقة كل ولد على أبيه في حالة اليتيم الذي فقد أباه فأن القانون لم يبين بشكل واضح على من تجب النفقة إلا أنه أقرن عجز الفقرة (١) من المادة (الستون) من قانون الأحوال الشخصية بوجوب نفقة فاقد الأب على من تجب عليه وبقى النص دون الوضوح المطلوب لكن بعض شراح القانون ومنهم الدكتور أحمد الكبيسي يرى أن النفقة تكون على من يوجد من الأصول ذكر كان أو أنثى وبداء الأم فتكلف بالإنفاق على اليتيم ثم الجد بالمرتبة الثانية وهكذا الأقرب فالأقرب وفي حال اجتماع أكثر من واحد من أصول اليتيم فأن التزامهم يكون كل واحد بمقدار حصته من الأرث وحيث أن القانون العراقي قد اعتمد نهج المالكية في وجوب التوارث على من يلزم بالأنفاق فان كل واحد بمقدار حصته فإذا اجتمعت الأم من الجد فعلى الأم السدس وعلى الجد الباقي بمعنى من سيرث اليتيم عند وفاته هو من يلزم بالنفقة لأن نفقة الصغير العاجز القاصر على من يرثه من أقاربه الموسرين(٦٩).

هـ) الوصية الواجبة :

أحيانا يكون لليتيم جد موسر وحالته المالية جيدة وعندما يتوفى هذا الجد فأن أحفاده الأيتام لا يرثون لانقطاع التوارث بينهم لأنهم يدلون إلى جدهم بأبيهم فأن توفي قبل أبيه فأن الأحفاد لا يستحقون في الإرث شيء على اعتبار ان الحي يرث الميت، وهذا ليس في القانون فحسب بل هو فرض شرعي أقرته أحكام الشريعة الإسلامية حيث أن أركان الأرث ثلاث المورث والوارث والميراث(٧٠)، وأسباب الإرث أثنان هما النكاح الصحيح والقرابة، وشروطه موت المورث حقيقة أو حكما، تحقق حياة الوارث بعد موت المورث، العلم بجهة الإرث لذلك فأن الحفيد اليتيم الذي مات أبوه قبل جده فأنه سيحرم من الميراث على وفق الأحكام الشرعية والقانونية(٧١)، إلا أن المشرع العراقي كغيره من بعض التشريعات العربية ومنها المصري والأردني والسوري والمغربي والكويتي قد أخذ بمبدأ الوصية الواجبة التي افترض بأن الجد قد أوصى لأحفاده فجعلها بمقدار حصة والد الأحفاد بما لا يتجاوز الثلث وجعلها مقدمة على بقية الوصايا عند تصفية وتوزيع تركة المتوفى ويرى البعض أن هذا المبدأ له أساس شرعي في الآية الكريمة (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين) إلا أن من بيناء الفقهاء الذين أمروا بوجوب الوصية ابن حزم الأندلسي بقوله (قد وجب لهم من ماله جزء مفروض إخراجه لمن وجب له أن ظلم هو ولم يامر بإخراجه) فهذا الامتياز الممنوح وأن كان لا يقتصر على اليتيم أو القاصر إلا أنه التفاته لطيفة لمراعاة حقوق من لم يكن لهم يد في الأقدار التي لت بهم وفي ظل القانون العرقي ترك الأمر بشكل مطلق، ويكون اليتيم قد أتنفع بهذا التشريع حتى وأن كان عرضاً وأصبح من مميزات اليتيم في التشريع العراقي وغيره من القوانين التي تأخذ بهذا المبدأ.

المطلب الثالث : كفالة اليتيم و ضمه (٧٢):

إن موضوع ضم اليتيم أو ما يسمى أحياناً بكفالة اليتيم لا يقصد به التبني لأن التبني لا تقره الشريعة الإسلامية لأسباب ذكرها فقهاء الشريعة الإسلامية وأشبعوها بحثاً وتدقيقا حيث كان في الجاهلية نظام التبني معمول به ويسمى الطفل المتبنى بالدعي الذي هو الابن الغير حقيقي للمتبني حتى نزول الآية الكريمة {ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} كما أن القرآن الكريم أورد لنا مثلا عمليا بنفي تبني الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) للصحابي زيد على وفق الآية الكريمة { مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} (٧٣)، بينما كفالة اليتيم هي رعاية وإعالة وتربية الطفل الذي فقد أبويه أو أحدهم دون أن يلحق بنسب الكفيل وتعتبر هذه الرعاية مطلوبة شرعا نظرا للاجر والثواب عند الله الذي يتوخاه الكفيل وكانت لجنة الفتوى في جمهورية مصر العربية برئاسة الشيخ محمد حسين قد أصدرت فتوى رسمية خلال فترة العدوان الثلاث على مصر والمتعلقة بأطفال بور سعيد

الأيتام والتي تنص على (يسمح للمسلمين بضم هؤلاء الأطفال ورعايتهم وكفالتهم بشرط حسن خلق الكفيل ومقدرته على الإنفاق والرعاية الصالحة، بحيث لا يكون للطفل حق في الميراث أو النسب)(٧٤).

أما القانون العراقي فقد تطرق إلى موضوع ضم اليتيم في قانون رعاية الأحداث رقم (٧٦) لسنة (١٩٩٣) المعدل وأفرد له الفصل الخامس في المواد من (٣٩-٤٦)، حيث أجاز للزوجين أن يطلبا ضم الصغير يتيم الأبوين أو مجهول النسب اليهم وفي المادة (٢٣) من القانون المذكور، والتي تنص على ما يلي (للزوجين أن يتقدما بطلب مشترك إلى محكمة الأحداث لضم صغير يتيم الأبوين إليهما، وعلى محكمة الأحداث قبل أن تصدر قرارها بالضم أن تتحقق من أن طالبي الضم عراقيات ومعروفان بحسن السيرة وعاقلان وسالمان من الأمراض المعدية وقادران على إعالة الصغير وتربيته وأن يتوفر فيهما حسن النية) (٧٥)، ومن خلال قراءة النص المذكور نجد أن الضم يستوجب توفر عدة شروط منها بطالب الضم والأخرى بالطفل المطلوب ضمنه وكما يلي :

أ) الشروط المطلوب توفرها بطالب الضم :-

١- أن يقدم الطلب من أسرة قائمة مكونة من زوج وزوجة مجتمعين بطلب واحد مشترك ولا يجوز أن يقدم أحدهم طلب منفرد أو أن يكون بينهم فراق أو طلاق أثناء تقديم الطلب.

٢- أن يكون الزوجان عراقيان بمعنى أن يكون كل من الزوج والزوجة عراقيان ومكتسبي الجنسية العراقية ولا يجوز أن يكون أحدهم عراقي والأخر غير عراقي، فإذا كان الزوج عراقي والزوجة غير عراقية فلا يجوز أن يطلبا ضم اليتيم، وكذلك في حال كون الزوجة عراقية والزوج غير عراقي.

٣- أن يكون الزوجان عاقلان بمعنى أن لا يكون أحدهم أو كلاهما مصاب بعارض أو بعاهة عقلية تؤثر على سلامة قواه العقلية وان يتمتعا بكامل قواهم العقلية.

٤- أن يكونا متمتعين بحسن السيرة وهذه تعتمد على التحقيقات التي تجريها محكمة الأحداث من خلال سؤال أمين المحلة التي يسكن فيها أو رب العمل أو زملائهم أو بشهادة الشهود ويبقى المر خاضع لسلطة وتقدير المحكمة على أن هذه السلطة خاضعة لرقابة محكمة التمييز إذ لكل متضرر من القرار سواء بالرفض أو الإيجاب الطعن بالقرار بواسطة تمييز القرار أمام محكمة التمييز .

٥- سلامة الزوج والزوجة طالبي الضم من الأمراض المعدية أو السارية وبموجب شهادة طبية صادرة من جهة طبية رسمية مختصة.

٦- توفر المقدرة المالية في طالبي الضم لكي يتمكنا من رعاية الطفل وهذا الموضوع تتحقق منه محكمة الأحداث بواسطة التحري عن أموالهم ومصادر دخلهم وغيرها من الوسائل التي تثبت بها المقدرة المالية ولها سلطة تقديرية في ذلك.

٧- يجب أن يكون لدى طالبي الضم حسن النية بمعنى أن لا تكون لهم أهداف غير شرعية أو أخلاقية من ضم اليتيم أو أن يغلبوا مصالحهم الذاتية على مصلحة اليتيم، إلا أن حسن النية مفترض لدى كل من طالبي الضم حتى يثبت العكس.

ب) الشروط التي يجب توفرها بالطفل اليتيم المطلوب ضمه وكما يلي :

١- أن يكون الطفل اليتيم صغيرا، وهذا ما نصت عليه المادة (٣٩) من قانون رعاية الأحداث، وعند التمعن في النص نجده قد قصد أن يسمي المطلوب ضمه بالصغير فقط إذ أورد في نصوص أخرى الصغيرة والحدث بينما في هذه المادة حصر الأمر بالصغير فقط، مما يقودنا إلى أن القانون لا يسمح بضم من لا يكون صغيراً ، إذن من هو الصغير؟، وفي نص المادة (٢) من قانون رعاية الأحداث نجد أن يسري على الصغار والأحداث وقسمهم إلى ثلاث فئات، فالصغير هو من لم يتم التاسعة من عمرهن والحدث الصبي الذي أتم التاسعة من عمره ولم يتم الخامسة عشرة، الحدث الفتى الذي أتم الخامسة عشرة من عمره ولم يتم الثامنة عشرة، لذلك أرى أن من شروط ضم الطفل اليتيم أن لا يتجاوز عمره العام التاسع فمن تجاوز هذا العمر لا يسمح بضمه.

٢- أن يكون اليتيم فاقد الأبوين فإذا كان فاقد لأحدهم لا يمكن ضمه لأن النص قد حدد حصرا أن يكون فاقد

الأبوين وليس احدهم.

وبعد أن بينت أهم الشروط التي يجب توفرها في طالبي الضم واليتيم فان محكمة الأحداث، التي تتكون من ثلاثة أعضاء برئاسة قاضي محكمة الأحداث وعضوية اثنين من المحكمين، وبعد التحقق تصدر قرارها بالضم بصفة مؤقتة ولمدة ستة أشهر يجوز تمديدها لستة أشهر أخرى، وخلال هذه الفترة ترسل المحكمة باحث اجتماعي إلى دار طالبي الضم لمرة واحدة على الأقل كل شهر للتحقق من حسن رعايتهم للطفل وكذلك في بقاء الرغبة في الضم قائمة ويقدم تقرير مفصل بذلك إلى المحكمة، فإذا عدل الزوجان عن رغبتهم أو وجدت المحكمة أن مصلحة الطفل غير متحققه فتقرر تسليمه إلى أحدى المؤسسات الحكومية، أما إذا انقضت فترة التجربة وكانت مصلحة الطفل متحققة فتصدر قرارها بالضم.

أما أهم الآثار التي يرتبها الضم فهي كما يلي :

١ – الإنفاق على الصغير إلى أن يصل الولد إلى الحد الذي يتكسب فيه أمثاله ما لم يكن طالب عمل أو عاجز عن الكسب والأنثى إلى حد الزواج .

٢ – الأيصاء إلى الصغير بما يساوي حصة أقل وارث على أن لا يتجاوز ثلث التركة وتكون واجبة ولا يمكن الرجوع عنها على خلاف أحكام الوصية للابن الكبار البالغين إذ يجيز قانون الأحوال الشخصية رجوع الموصي عن وصيته أثناء حياته.

الخاتمة:

الحمد لله الأول قبل الإنشاء والآخر بعد فناء الأشياء الذي بفضله تمت الامور وبنعمته التي لا تحصى ولا تعد وصلنا إلى ما نحن فيه والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد واهل بيته الطيبين الطاهرين فقد أنهيت بحثي بعنوان (اليتيم في القرآن الكريم وحقوقه في الإسلام) دراسة موضوعية واستخلص أهم النتائج هذا البحث في ما يلي :

أولاً: أنه من أسباب دخول الجنة هي كفالة اليتيم كما ذكره نبينا محمد(صلى الله عليه وآله وسلم).

ثانياً: يتمثل العمل الصالح بدخول المحبة والفرح والبر بالخصوص عن اليتيم .

ثالثاً: يؤكد البحث على أداء الأمانة في الحفاظ على أموال اليتيم في الخصوص و أموال الغير بصورة عامة .

رابعاً: لم تقتصر آيات الرعاية والرفق واللين والمعاملة الحسنة على اليتيم فقط فإنها عبرة لنا لنتعامل بها بجميع انماط حياتنا اليومية.

خامساً: أكد البحث على أن الالتزام بحقوق الآخرين في جميع ما أمرنا الله تعالى هذا كفيل في خلق مجتمع موحد ومتعاون مما يؤدي إلى العيش بسلام وطمأنينة ومحبة فيما بينهم .

سادساً: التكامل الأسري يحصل بكفالة اليتيم بحيث يكون أب أو أم له .

الهوامش:

(١) قول ابن السكيت، إصلاح المنطق، دار المعارف .

(٢) لسان العرب، ابن منظور : ٤٣٥/١٥؛ المصباح المنير، الفيومي : ٤٠٣/٢؛ النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير الجزري : ٢٩١/٥–٢٩٢.

(٣) ابن فارس ، أبو الحسين احمد : معجم مقاييس اللغة :١٥٤/٦، باب وما بعدها، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٩م.

(٤) الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد : النهاية في غريب الحديث، ٢٩١/٥؛ تحقيق محمود الطناحي، المكتبة الإسلامي، وابن منظور، محمد بن مكرم : لسان العرب : ٦٤٥/١٢–٦٤٦، فصل الياء ، بيروت، دار صادر.

(٥) الرازي، محمد بن أبي بكر : مختار الصحاح، تحقيق محمود خاص : ٧٤٥؛ بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٩٥م، والأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد ، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص٦١٠، ط١، بيروت : دار الكتب العلمية ؛ والجرجاني : التعريفات، ٣٣١/١.

(٦) المبسوط، الطوسي، ٢١/٢؛ وينظر : معجم المغني في الفقه الحنبلي، ابن قدامة، ١٠٧٩/١٤ قسم ٢.

(٧) الطبرجي، الشيخ فخر الدين، مجمع البيان، دار المكتبة المرتضوية، ٦، متوفي سنة (ت١٠٨).

(٨) لاحظ للموضوع من ناحيته الغوية : لسان العرب، مادة يتم، ومن الناحية الفقهية كافة المصادر الفقهية لجميع المذاهب.

(٩) علوان عبد الله ناصح : تربية الأولاد في الإسلام، ٢/١٤٣-١٤٤، ط٣ ، الفورية : دار السلام، ١٩٩٦م.

(١٠) سورة البقرة : ٨٣ .

(١١) اليتيم في القرآن والسنة، عز الدين بحر العلوم : ١٤، ١٧ .

(١٢) سورة الكهف : ٧٧ و ٨٢. وجاء في بعض كتب التفسير أن العناية الإلهية شلت هذين اليتيمين جزاء صلاح أب (جد) لهما بينهما وبينه سبعة أباء. وهذا إن دل على شيء، فإنه يدل على أن صلاح الآباء له ثمرة دنيوية أيضاً في حفظ حقوق ذريتهم ورعايتها.

(١٣) لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية للشعراني : ٤٣٢ .

(١٤) سفينة البحار : ٨/٧٤٠ مادة (يتم) عن أمالي الشيخ الصدوق.

(١٥) راجع : اليتيم في القرآن والسنة، مصدر سابق، ص٢٠، ٢١.

(١٦) سورة البقرة : ٨٣ .

(١٧) سورة البقرة : ١٧٧ .

(١٨) سورة البقرة : ٢١٥ .

(١٩) سورة البقرة : ٢٢٢ .

(٢٠) سورة النساء : ٢ .

(٢١) سورة النساء : ٣ .

(٢٢) سورة النساء : ٦ .

(٢٣) المعجم الوسيط، الحافظ الطبراني : ٨/٧١ رقم الحديث ٧١٦١ .

(٢٤) مشكاة الأنوار، الطبرسي : ٢٩٢؛ عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي : ٣٩٧.

(٢٥) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي : ٨/١٦٢؛ كنز العمال، المتقي الهندي : ١٥/١٧٨ رقم الحديث ٤٠٤٨٩ .

(٢٦) العهود المحمدية، الشعراني : ٤٣١ ؛ مشكاة الأنوار، الطبرسي : ٢٩١ .

(٢٧) نهج البلاغة : ٤٢١ الكتاب ٤٧ تنظيم صبحي الصالح .

(٢٨) مسند الشيعة، المحقق النراقي : ٩/٣٤٩.

(٢٩) الشهرستاني صاحب كتاب الملل والنحل، يعتقد ويصرح في تفسيره (مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار) : ٢/٣٦٠ الطبعة المصورة عن النسخة الخطية، أن اليتيم الأول هو النبي، واليتيم الثاني الذي يجب أتباعه وحبه هو الإمام علي، واليتيم الثالث فاطمة، ومن الواجب إعطاء حقها، وأن أولادها هم الأيتام .. إلخ، أقول : وهذا كما ترى من التأويل الباطن الذي عرف به الشهرستاني في هذا التفسير.

(٣٠) سورة الضحى : ٦-٩ .

(٣١) أخرجه ابن ماجة في السنن : ٢/١٢١٣ رقم الحديث ٣٦٧٩.

(٣٢) العهود المحمدية، الشعراني : ٤٣١.

(٣٣) سورة البقرة : ٢١٥ .

(٣٤) سنن أبن ماجة : ٢/١٢١٣ رقم الحديث ٣٦٨٠؛ كنز العمال، المتقي الهندي : ١٥/١٧٧ رقم الحديث ٤٠٤٨٨ .

(٣٥) تفسير القرطبي، محمد بن أحمد القرطبي : ٢٠/١٠٠ .

(٣٦) الفروع من الكافي، الكليني : ٧/٥١؛ تحف العقول، ابن شعبة الحراني : ١٩٨.

(٣٧) العهود المحمدية، الشعراني : ٤٣١.

(٣٨) مشكاة الأنوار للطبرسي : ٢٩٢ .

(٣٩) سورة النساء : ٢ .

(٤٠) سورة النساء : ١٠ .

(٤١) بحار الآنوار : ١٠/٧٥ حديث ٣٣؛ مستدرك وسائل الشيعة، الميرزا النوري : ١٩١/١٣ حديث ١٥٠٦٩.

(٤٢) تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي : ١٣٢/١.

(٤٣) مستدرك وسائل الشيعة: ١٩١/١٣ حديث ١٥٠٦٨.

(٤٤) جامع البيا، الطبري : ٣٦٣/٤ و ١٨/١٥؛ تفسير الدر المنثور، السيوطي : ١٢٤/٢ و ج١٤٢/٤؛ وراجع أيضاً : تفسير القمي : ٧/٢؛ تفسير الميزان، الطباطبائي : ١١/١٣ .

(٤٥) سورة النساء : ٩ .

(٤٦) سنن أبي داود، أبو داود السجستاني : ١١٤/٣ باب ما جاء في الدخول في الوصايا .

(٤٧) سنن أبي داود، أبو داود السجستاني: ١١٥/٣ باب ما جاء في التشديد في أكل مال اليتيم.

(٤٨) سورة الضحى : ٩ .

(٤٩) سورة الماعون : ١–٣.

(٥٠) مشكاة الأنوار : ٢٩٢؛ الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي : ٢٠/١ حديث ٩٧ .

(٥١) مشكاة لأنوار : ٢٩٢ .

(٥٢) الجامع الصغير : ٣٦٥/١ حديث ٢٣٢٢ .

(٥٣) العهود المحمدية : ٤٣٢ .

(٥٤) مجمع البيان، الطبرسي : ٣٨٥/١٠ واللفظ له ؛ تفسير القرطبي : ١٠١/٢٠ والحديث أخرج بلفظ أخر في مشكاة الأنوار : ٢٩١؛ مستدرك وسائل الشيعة : ١٥٣/١٥ حديث ١٧٨٣٥.

(٥٥) مجمع البيان : ٤٨٥/١٠.

(٥٦) معاني الأخبار، الشيخ الصدوق : ٢٧١؛ وسائل الشيعة : ٢٨٢/١٦ حديث ٢١٥٥٦.

(٥٧) ثواب الأعمال ، الشيخ الصدوق :١٩٩ وطبعة أخرى ٣٦/١ واللفظ له ؛ وعنه في وسائل الشيعة : ٣٧٤/٢١ حديث ٢٧٣٣٨ .

(٥٨) الفضائل، شاذان : ١٥٢، وعنه مستدرك وسائل الشيعة : ٤٧٤/٢ حديث ٢٥٠١ و ٢٦٦/٧ حديث ٨٢٠٥ و ١٢٢/١٥ حديث ١٧٧٢٨ . وأخرجه القاضي التستري في إحقاق الق : ١٢٨/٤ عن جمال الدين محمد بن أحمد الحنفي الموصلي ابن حسنويه في در بحر المناقب المخطوط : ١٢١ .

(٥٩) مجمع الزوائد، الهيثمي : ١٦٠/٩؛ العهود المحمدية : ٤٣٢ وأخرجاه عن أحمد بن حنبل والطبراني.

(٦٠) المعجم الأوسط، الطبراني : ٣٧٢/٨ حديث ٨٨٢٣؛ مجمع الزوائد : ١١٧/٣.

(٦١) راجع : الأسرة ومتطلبات الأطفال، د. علي القائمي : ٥٨٦–٥٨٩؛ والحديث أخرجه الزرندي الحنفي في نظم درر السمطين : ١٥٤ .

(٦٢) راجع : نهج البلاغة : ٤٢١ من وصيته للحسن والحسين رقم ٤٧؛ الأسرة ومتطلبات الأطفال، الدكتور علي القائمي : ٥٩٦، الطفل بين الوراثة والتربية : الشيخ محمد تقي فلسفي، ج١/ ٢٣٤–٢٣٧.

(٦٣) مجلة العدالة، العدد الثاني لسنة ٢٠٠١ التي تصدر عن وزارة العدل.

(٦٤) أحكام إزالة الشيوع في القوانين العراقية، المحامي جمعة سعدون الربيعي، ط بغداد.

(٦٥) الأحوال الشخصية في الفقه والقضاء والقانون، الدكتور أحمد الكبيسي .

(٦٦) الأحوال الشخصية في الفقه والقضاء والقانون، الدكتور أحمد الكبيسي .

(٦٧) أحكام إزالة الشيوع في القوانين العراقية، المحامي جمعة سعدون الربيعي، ط١ بغداد .

(٦٨) قانون الأحوال الشخصية رقم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩ المعدل .

(٦٩) تحرير الأحكام، العلامة الحلي طبعة حجرية الناشر مؤسسة آل البيت، مطبعة طوس–مشهد.

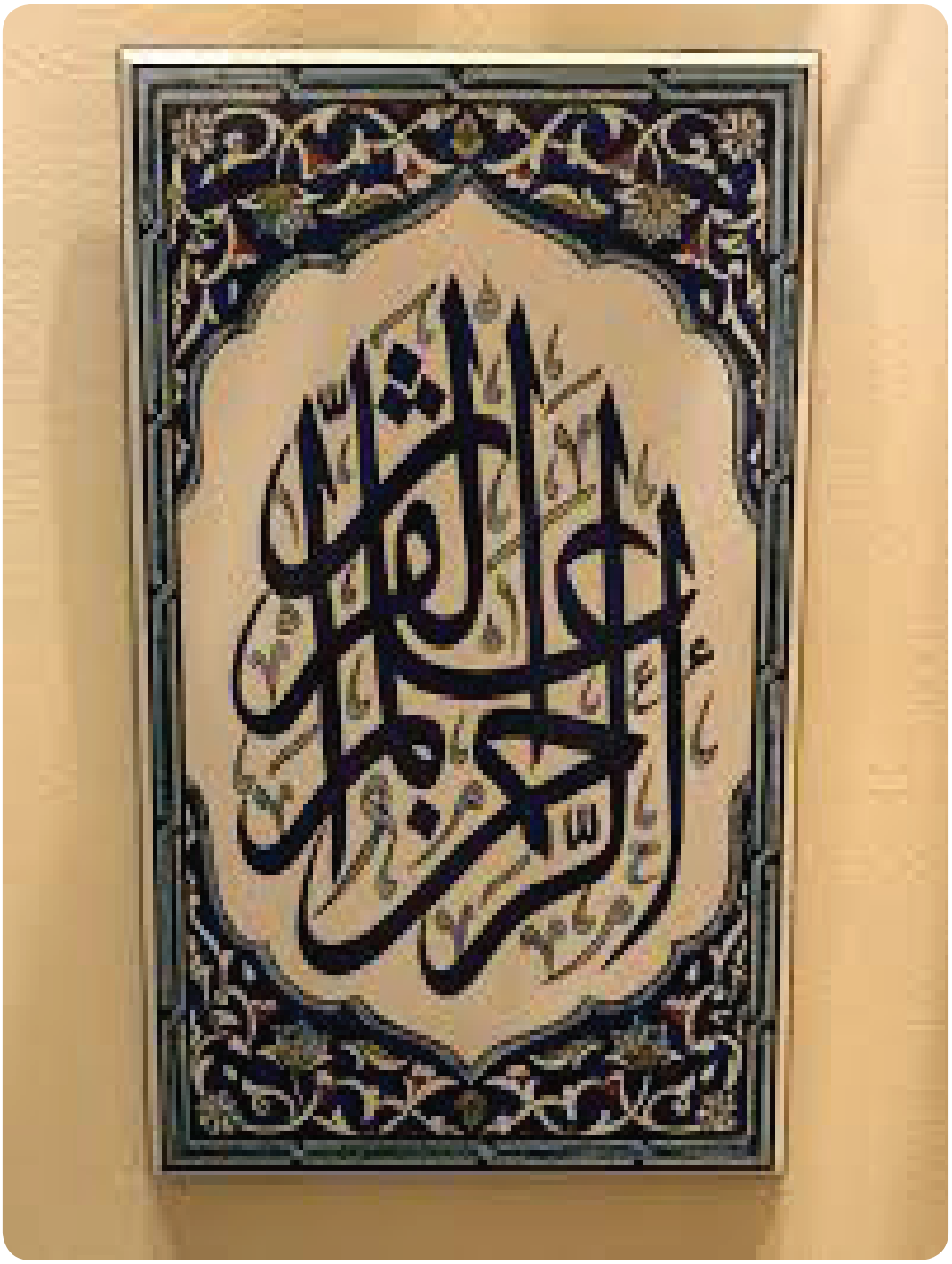
(٧٠) المبادئ القانونية في قضاء محكمة التمييز، قسم القانون المدني، القاضي إبراهيم المشاهدي، منشورات مركز البحوث القانونية،

ط١٩٨٨.
(٧١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، الإمام ابن حجر العسقلاني، ط٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
(٧٢) الوقائع العراقية، رقم العدد ١٠١٥، تاريخ ١٩٦٤/١٠/١٠.
(٧٣) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، الإمام ابن حجر العسقلاني، ط٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت .
(٧٤) الوقائع العراقية، رقم العدد ١٠٩٤، تاريخ ١٩٣٢/٢٩/٢.
(٧٥) الوقائع العراقية، رقم العدد ٣٨٨٣، تاريخ ٢٠٠١/٦/١٨.

المصادر والمراجع:

١- ابن السكيت، إصلاح المنطق، دار المعارف .
٢- ابن فارس ، أبو الحسين احمد : معجم مقاييس اللغة ، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٩م.
٣- ابن منظور، محمد بن مكرم : لسان العرب، بيروت، دار صادر.
٤- أحكام غزالة الشيوع في القوانين العراقية، المحامي جمعة سعدون الربيعي، ط بغداد.
٥- الأحوال الشخصية في الفقه والقضاء والقانون، الدكتور أحمد الكبيسي.
٦- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد ، معجم مفردات ألفاظ القرآن، بيروت : دار الكتب العلمية.
٧- بحر العلوم، عز الدين : اليتيم في القرآن والسنة، ج١، دار الزهراء، بيروت، ب.ت، ص٤-١٧.
٨- تحرير الأحكام ، العلامة الحلي طبعة حجرية الناشر مؤسسة آل البيت، مطبعة طوس، مشهد.
٩- الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد : النهاية في غريب الحديث، تحقيق محمود الطناحي، المكتبة الإسلامي
١٠- الرازي، محمد بن أبي بكر : مختار الصحاح، تحقيق محمود خاص، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٩٥م،
١١- السجستاني، يحيى بن شرف : سنن أبو داود، ج٣، دار الدار الأثرية، مصر، ٢٠٠٧، ص١١٤.
١٢- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم : مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار، ج٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٥١٣هـ، ص٣٦٠.
١٣- الصالح، صبحي : نهج البلاغة، دار الكتاب المصري، مصر، ٢٠٠٤، ص٤٢١.
١٤- الصدوق، محمد بن علي : ثواب الأعمال، ج١، أمير، ١٣٦٨ش، ص١٩٩.
١٥- الصدوق، محمد بن علي : معاني الأخبار، ج١، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، ١٣٧٩هـ، ص٢٧١.
١٦- الطبراني، طارق بن عوض الله : المعجم الأوسط، ج٨، دار الحرمين، السعويدة، ١٤١٥هـ، ص٣٨٢.
١٧- الطبرجي، الشيخ فخر الدين، مجمع البيان، دار المكتبة المرتضوية، متوفي سنة (ت١٠٨).
١٨- الطبرسي، أبي الفضل علي : مشكاة الأنوار، ج، دار الحديث، إيران، ١٤١٨هـ، ص٢٩٢.
١٩- الطبرسي، الفضل بن الحسن : مجمع البيان، ج١٠، دار المرتضى، ١٤٢٧هـ، ص٣٧٥.
٢٠- الطوسي، محمد بن الحسن : المبسوط، ج٢، الحيدرية، إيران، ١٣٨٧هـ، ص٢٨١.
٢١- علوان عبد الله ناصح : تربية الأولاد في الإسلام، ط٣ ، الفورية : دار السلام، ١٩٩٦م.
٢٢- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، الإمام ابن حجر العسقلاني، ط٢، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
٢٣- قانون الأحوال الشخصية رقم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩ المعدل.
٢٤- القرطبي، محمد بن أحمد : تفسير القرطبي، ج٢٠، دار الكتب المصرية، مصر، ١٣٥٣هـ، ص١٠١.
٢٥- القزويني، محمد بن يزيد : سنن بن ماجة، ج٢، دار أحياء الكتب العربية، ب.د، ب.ت، ص١٢١٣.
٢٦- القمي، عباس : سفينة البحار، ج٨، أسوة، ط٢١، إيران، ١٤١٦هـ، ص٧٤٠.
٢٧- المبادئ القانونية في قضاء محكمة التمييز، قسم القانون المدني، القاضي إبراهيم المشاهدي، منشورات مركز البحوث القانونية، ط ١٩٨٨.
٢٨- مجلة العدالة، العدد الثاني، لسنة ٢٠٠١ التي تصدر عن وزارة العدل.

٢٩- المجلسي، محمد باقر : بحار الأنوار، ج٧٥، الوفاء، لبنان، ١٩٨٣، ص١٠.
٣٠- النراقي، احمد بن محمد : مستند الشيعة، ج٩، استارة، إيران، ١٤١٦هـ، ص٣٤٩.
٣١- الهيثمي، علي بن أبي بكر : مجمع الزوائد، ج٩، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٢٢هـ، ص١٦٠.
٣٢- الوقائع العراقية، رقم العدد ١٠١٥، تاريخ ١٩٦٤/١٠/١٠.
٣٣- الوقائع العراقية، رقم العدد ١٠٩٤، تاريخ ١٩٣٢/٢/٢٩.
٣٤- الوقائع العراقية، رقم العدد ٣٨٨٣، تاريخ ٢٠٠١/٦/١٨ .Beirut.



صراع النفوذ البريطاني،الامريكي في العراق ١٩٣٩-١٩٥٨
(دراسة تاريخية سياسية) «مقال مراجعة»

م. م. نعم مفيد حميد
جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية



المستخلص:

راجعت مقال موضوع صراع النفوذ البريطاني – الأمريكي في العراق ١٩٣٩– ١٩٥٨ (دراسة تاريخية سياسية) للدكتور بشار فتحي جاسم العكيدي تبين في ذلك أن تلك المرحلة شكلت منعطفا مهما في تاريخ العراق الحديث فبريطانيا القوة العظمى سعت للحفاظ على امتيازاتها السياسية والعسكرية والاقتصادية،لا سيما في مجال النفط بعد معاهدة ١٩٣٠ لكن مع نهاية الحرب العالمية الثانية برزت الولايات المتحدة كقوة عظمى تنافس بريطانيا فدخلت شركاتها النفطية إلى العراق وتوسعت أنشطتها الدبلوماسية، ذلك التنافس تجلى بشكل أوضح مع تأسيس حلف بغداد ١٩٥٥، اذ حاولت لندن تثبيت نفوذها بينما عملت الولايات المتحدة على بسط حضورها في إطار الحرب الباردة وقد انعكس الصراع على الداخل العراقي، إذ استغلته القوى الوطنية لمواجهة النفوذ البريطاني، في حين حاولت الحكومات الموالية موازنة العلاقات بين الطرفين ومع ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ انهار النظام الملكي وتراجعت مكانة بريطانيا بشكل حاد فيما واجه النفوذ الأمريكي تحديات جديدة في ظل النظام الجمهوري.

الكلمات المفتاحية:العراق، بريطانية، سياسية، أمريكا.

Abstract:

The topic of the British–American Power Struggle in Iraq (1939–1958): A Historical and Political Study by Dr. Bashar Fathi Jassim Al-Ukaydi highlights that this period represented a pivotal turning point in modern Iraqi history. Britain, as a great power, sought to preserve its political, military, and economic privileges, particularly in the oil sector, following the 1930 Treaty. However, by the end of World War II, the United States emerged as a competing superpower, with its oil companies entering Iraq and expanding their diplomatic activities.

This rivalry became more evident with the establishment of the Baghdad Pact in 1955, as Britain aimed to consolidate its influence while the United States worked to extend its presence within the framework of the Cold War. The struggle also had internal repercussions in Iraq: national forces exploited it to confront British influence, while pro-Western governments attempted to balance relations between the two powers. With the July 14, 1958 Revolution, the monarchy collapsed, Britain's position declined sharply, and American influence faced new challenges under the emerging republican regime.

.Keywords: Iraq, Britain, Politics, America

المقدمة:

تناول الدكتور موضوع من المواضيع المهمة، للعراق خلال المدة ما بين عامي ١٩٣٩ –١٩٥٨ أذ شهد مرحلة حافلة بالتحولات السياسية والاستراتيجية تزامنت مع الحرب العالمية الثانية وما أعقبها من تغيرات في موازين القوى الدولية، فقد كان العراق منذ نهاية الحرب العالمية الأولى خاضعا لنفوذ بريطاني قوي تمثل في الاتفاقيات والمعاهدات العسكرية والاقتصادية، إلا أن نهاية الحرب العالمية الثانية وصعود الولايات المتحدة كقوة عظمى أدخلا العراق في دائرة صراع جديد بين النفوذين البريطاني والأمريكي حاولت بريطانيا الحفاظ على موقعها،

لضمان مصالحها النفطية والاستراتيجية بينما سعت الولايات المتحدة إلى التغلغل في العراق عبر بوابة الاقتصاد والنفط والدبلوماسية ذلك التنافس انعكس على الأوضاع الداخلية العراقية وأسهم في إعادة رسم معالم العلاقات الخارجية للعراق حتى سقوط النظام الملكي عام ١٩٥٨.

أحتوى الكتاب على مقدمة متضمنة حدود البحث ونظرة في المصادر وثلاث فصول، جاء الفصل الاول بعنوان (جذور المصالح البريطانية والأمريكية في العراق حتى عام ١٩٣٩) يؤكد الدكتور ان العراق حظي باهتمام القوى الكبرى منذ بدايات العصر الحديث ولا سيما بريطانيا التي سعت للسيطرة على ولاياته الثلاث بغداد والموصل و البصرة لما يملكه من موقع جغرافي استراتيجي وثروات اقتصادية استغلت بريطانيا ظروف الحرب العالمية الأولى لاحتلال العراق وفرض الانتداب عليه بينما ركزت الولايات المتحدة على مصالحها التجارية والتعليمية والنفطية مما أدى الى تداخل وتنافس بين النفوذين.

تابع الدكتور المصالح البريطانية في العراق وبدأ الاهتمام بها منذ القرن السادس عشر، إذ أنشأت وكالة في بندر عباس ثم نقلتها الى البصرة لتصبح الأخيرة مركزا رئيسا للتجارة والاتصال وكانت شركة الهند الشرقية الأداة الأساسية لترسيخ النفوذ البريطاني اذ مثل الامتياز التجاري الذي حصلت عليه من السلطان مراد الثالث بداية التغلغل في المنطقة وتعددت دوافع بريطانيا ومن تلك الدوافع الاستراتيجية التي تعد العراق حلقة وصل بين الهند والشرق الأوسط وطريق محتمل للمواصلات عبر نهر الفرات، اما الدوافع الاقتصادية التي تمثل المكاسب التجارية كالبصرة كميناء حيوي كما ساعدت عوامل خارجية على تعزيز ذلك النفوذ مثل التوسع الروسي في الأناضول (١٨٢٨-١٨٢٩) وانتهاء حكم المماليك في بغداد عام ١٨٣١مما فتح المجال أمام تدخل أكبر لبريطانيا في شؤون العراق.

ثم بين الدكتور تنوع المصالح الاقتصادية البريطانية في العراق بين التجارة والملاحة والنفط والمصارف، وسعت بريطانيا إلى ترسيخ نفوذها منذ القرن السابع عشر عبر شركة الهند الشرقية ثم تعزز ذلك النفوذ بمعاهدة بلطة ليمان عام ١٨٣٨ التي منحتها امتيازات تجارية واسعة ومع افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ توسعت حركة الاستيراد والتصدير وارتبط العراق أكثر بالأسواق العالمية بفضل شبكات التلغراف والبريد كما أسست بريطانيا شركات ملاحية في دجلة والفرات وافتتحت فروعا للمصارف الأجنبية في بغداد والبصرة والموصل الأمر الذي ربط الاقتصاد العراقي تدريجيا بالمصالح البريطانية، وبحلول مطلع القرن العشرين أصبحت البضائع البريطانية تهيمن على الموانئ العراقية وهو ما دفعها لتأسيس غرفة تجارة بريطانية في بغداد عام ١٩١٩ لضمان حماية وتنظيم تلك المصالح.

وأكد الدكتور أن النفط كان معروفا في العراق منذ العصور القديمة لكن أهميته الاستراتيجية برزت مع حاجة الأسطول البريطاني إليه مطلع القرن العشرين، مما دفع ذلك بريطانيا إلى السعي للحصول على امتيازات نفطية في العراق في ظل منافسة شديدة مع ألمانيا وفرنسا تمكنت بريطانيا من تعزيز نفوذها عبر شركة النفط التركية عام ١٩١٢، ثم اتفاقية وزارة الخارجية عام ١٩١٤ التي ضمنت هيمنتها وبعدها اتفاقية سان ريمو عام ١٩٢٠ التي منحت فرنسا حصة أصغر مقابل بقاء السيطرة بيد بريطانيا بعد الحرب العالمية الأولى، اذ كرست بريطانيا وجودها باحتلال العراق وحل قضية الموصل لصالحها ثم فرضت عام ١٩٢٥ امتيازا على الحكومة العراقية لصالح شركة النفط التركية التي اصبحت تسمى : شركة نفط العراق حتى عام ٢٠٠٠ مع احتفاظ بريطانيا بالسيطرة الكاملة ومنح العراق نسبة ارباح ضئيلة (٢٪) مما اثار استياء العراقيين وعدوه تكريسا للهيمنة الاستعمارية.

وضح الدكتور أن الاحتلال البريطاني للعراق ارتبط بعوامل عديدة:

- استراتيجية واقتصادية أبرزها موقعه الحيوي على طريق الهند.

• وجود نهري دجلة والفرات وأهمية البصرة كميناء وحيد للعراق فضلا عن رغبة بريطانيا في السيطرة على النفط ومنع التغلغل الألماني ورغم أن فكرة الاحتلال طرحت منذ منتصف القرن التاسع عشر فإن اندلاع الحرب العالمية الأولى منح بريطانيا الذريعة المناسبة لتنفيذ مشروعها اذ مرت عملية الاحتلال بثلاث مراحل:

الأولى بدأت عام ١٩١٤ بسيطرة البريطانيين على الفاو والبصرة ثم العمارة والناصرية مما ضمن لهم نفوذا واسعا في جنوب العراق.

أما المرحلة الثانية من عام ١٩١٥–١٩١٦ فتمثلت بمحاولة الزحف إلى بغداد غير أن المقاومة العثمانية نجحت في محاصرة البريطانيين بالكوت وإجبارهم على الاستسلام وهو ما عد هزيمة قاسية .

المرحلة الثالثة عام (١٩١٧–١٩١٨) حين أعادت بريطانيا تنظيم قواتها فاحتلت بغداد وتقدمت شمالا حتى سيطرت على الموصل بعد هدنة مودروس، مستندة إلى تفسير خاص لشروط الهدنة وبذلك أصبح العراق بأكمله تحت الاحتلال البريطاني لكن بثمن باهظ قدر بعشرات الآلاف من القتلى والجرحى وخسائر مالية كبيرة ليغدو العراق جزءا من الترتيبات الاستعمارية في المنطقة ضمن اتفاقية سايكس – بيكو.

يظهر الدكتور ان الانتداب البريطاني على العراق وتأسيس الحكومة العراقية المؤقتة عقب الحرب العالمية الأولى تقرر في مؤتمر سان ريمو عام ١٩٢٠ وضع العراق تحت الانتداب البريطاني فباشرت بريطانيا فرض أنظمتها الإدارية والاقتصادية على البلاد محاولة ربط الجنوب بالهند، ثم توحيد العراق تحت سيطرتها المباشرة تلك السياسات الاستعمارية مقرونة بالوعود دفعت العراقيين إلى إشعال ثورة العشرين التي عمت مختلف المناطق مطالبة بالاستقلال ورغم تفوق بريطانيا العسكري فقد اضطرت إلى التراجع وقبول مبدأ تشكيل حكومة عراقية وبتاريخ ٢٦ تشرين الأول ١٩٢٠ أعلن برسي كوكس تأسيس حكومة مؤقتة برئاسة عبد الرحمن الكيلاني، وضمت عدداً من الوزراء العراقيين إلى جانب مستشارين بريطانيين مثل ذلك النواة الأولى لقيام الدولة العراقية الحديثة وبداية تنظيم العلاقة بين العراق وبريطانيا على أسس جديدة. وأن عقد مؤتمر القاهرة في ١٢ آذار ١٩٢١ برئاسة ونستون تشرشل لمناقشة مستقبل العراق وخفض النفقات البريطانية في الشرق الأوسط بحضور ممثلين عن العراق من بينهم بيرسي كوكس ووزراء الحكومة المؤقتة، خلال المؤتمر تم ترشيح الأمير فيصل بن الحسين ملكا على العراق بعد أن وافق على العرض البريطاني مسبقا بهدف تحقيق مصالح بريطانيا وضمان نفوذها في المنطقة توج فيصل ملكا للعراق في ٢٣ آب ١٩٢١، ثم كلف عبد الرحمن الكيلاني بتشكيل وزارة جديدة الإدارة شؤون البلاد وتنظيم انتخابات المجلس التأسيسي ذلك المجلس أقر المعاهدات البريطانية بدءا من معاهدة ١٩٢٢ وحتى معاهدة ١٩٣٠ مما كرس الوصاية البريطانية وسيطرتها على السياسة والاقتصاد العراقي لا سيما النفط، وبذلك أصبح العراق ملكية دستورية مقيدة تحت النفوذ البريطاني بينما سعت لندن لمنع أي منافسين من الدخول في المنطقة وضمان مصالحها الاستراتيجية والاقتصادية.

يبرز الدكتور جذور العلاقات الامريكية، اذ سعت امريكا إلى دور خارجي غير أن وجودها في العراق بقي محدودا حتى أواخر القرن التاسع عشر، تولت بريطانيا رعاية شؤون الأمريكيين قبل افتتاح القنصلية الأمريكية في بغداد عام ١٨٨٨ اما من الناحية الاقتصادية بدأت العلاقات مع الدولة العثمانية بمعاهدة ١٨٣٠ واتفاقية ١٨٦٤ ما منح الأمريكيين امتيازات تجارية وتركزت صادرات العراق إلى الولايات المتحدة في التمور عرق السوس، والصوف، اذ أصبحت الأخيرة من أهم المواد المطلوبة لصناعة السجاد الأمريكي كما استورد العراق الكيروسين الأمريكي منذ ثمانينيات القرن التاسع عشر ومع مطلع القرن العشرين تضاعفت كميات النفط الأبيض الوافدة عبر شركة (ستاندرد أويل).

يرى الدكتور أن المصالح الاقتصادية قد توسعت وأثارت قلق البريطانيين الذين سعوا لاحتواء النفوذ الأمريكي لا سيما مع بداية الاهتمام بالنفط العراقي، وبذلك تشكلت جذور المصالح الأمريكية في العراق حتى عام ١٩٣٩

على أساس التجارة بالمنتجات الزراعية والمواد الخام ثم التنافس مع بريطانيا حول النفط والامتيازات الاقتصادية الشركات الامريكية العاملة في العراق العلاقات التجارية بين الولايات المتحدة والعراق، بدأت في أواخر القرن التاسع عشر عبر شركات أمريكية مختصة أبرزها رزلندي وعيسري وماك أندرويز فوريس اللتان احتكرتا تصدير عرق السوس فضلا عن شركات مثل أصفر ومايكل إخوان وسيمون التي نشطت في تصدير التمور والحبوب واستيراد البضائع أسهمت تلك الشركات والمصارف الأمريكية في تنشيط تجارة البصرة وبغداد والموصل رغم التنافس البريطاني وتراجع النشاط خلال الحرب العالمية الأولى ومع الثلاثينيات تطورت العلاقات عبر تبادل الزيارات التجارية و ازدياد حجم الواردات من الولايات المتحدة والاستعانة بخبراء أمريكيين في الزراعة والصناعة مما عزز مكانة الولايات المتحدة كشريك اقتصادي مهم للعراق قبيل الحرب العالمية الثانية.

أستعرض الدكتور الكاتب أهمية النفط للولايات المتحدة سعت منذ اواخر العهد العثماني للحصول على امتيازات نفط العراق ودخلت في منافسة مع بريطانيا وفرنسا وألمانيا ورغم محاولاتها المبكرة عبر الامتيازات والمفاوضات اصطدمت بالرفض البريطاني الساعي للانفراد بالثروة النفطية، لا سيما بعد الحرب العالمية الأولى حين برزت أهمية النفط تمسكت الولايات المتحدة بمبدأ الباب المفتوح ورفضت الاحتكارات البريطانية والفرنسية مما أدى إلى صراع سياسي و اقتصادي ظهر في مؤتمري سان ريمو ولوزان، وفي النهاية توصل الطرفان عام ١٩٢٦ إلى تسوية حصلت بموجبها الشركات الأميركية على نحو ٢٣-٢٥٪ من أسهم شركة النفط التركية مقابل اعترافها بالانتداب البريطاني على العراق.

يبين الدكتور ان جذور الولايات المتحدة الامريكية تعود إلى مطلع القرن التاسع عشر مع تأسيس مجلس البعثات التبشيرية في بوسطن عام ١٨١٠، بدأ نشاط المبشرين في شمال العراق ثم تركز لاحقاً في البصرة بإنشاء الإرسالية العربية عام ١٨٩١ التي توسعت إلى العمارة والناصرية انصب عملها على الخدمات الطبية والتعليمية فأنشأت مستشفيات ومدارس مثل مدرسة الرجاء ووزعت الكتب المقدسة ورغم طابعها التبشيري فقد شكلت للنشاط الاستعماري والتجسسي الأمريكي كما أسس اليسوعيون الأمريكيون «كلية بغداد» عام ١٩٣٢ مما عزز النفوذ التعليمي والثقافي الأمريكي وبذلك ساهمت تلك البعثات في التمهيد لمد النفوذ الأمريكي ومنافسة بريطانيا في العراق قبل الحرب العالمية الثانية.

تناول الدكتور في الفصل الثاني تطور العلاقات العراقية – الامريكية خلال الحرب العالمية الثانية، وأن العلاقات العراقية الأمريكية شهدت خلال الحرب العالمية الثانية تحولا بارزاً إذ تخلت الولايات المتحدة عن سياسة العزلة، وانخرطت في شؤون الشرق الأوسط مدفوعة بضرورات الحرب وتنامي حاجتها إلى النفط ومع تراجع القوة البريطانية في العراق وسعت الولايات المتحدة إلى تعزيز نفوذها من خلال إرسال بعثات عسكرية وإنشاء مخازن ومرافق استراتيجية في البصرة وتطوير المواصلات نحو بغداد وقد جعلت تلك التطورات من الولايات المتحدة شريكا لبريطانيا في إدارة شؤون المنطقة وممهداً لتحولها لاحقاً إلى القوة الأكثر تأثيراً في العراق سياسياً واقتصادياً، تطور العلاقات الدبلوماسية بين العراق والولايات المتحدة خلال الحرب العالمية الثانية تطورت العلاقات الدبلوماسية بين العراق والولايات المتحدة تدريجياً منذ اعتراف الولايات المتحدة بالعراق بعد انضمامه لعصبة الأمم عام ١٩٣٢ ، وتعيين أول وزير مفوض لها في بغداد ورغم تحفظ العراق بداية بسبب الضغوط البريطانية، إلا أنه شارك في مؤتمر الولايات المتحدة عام ١٩٣٩ ثم فتح قنصلية في نيويورك وتأسست المفوضية العراقية في الولايات المتحدة عام ١٩٤٢ برئاسة علي جودة الأيوبي .

بين الدكتور أن خلال الحرب العالمية الثانية قد ازداد الاهتمام الأميركي بالعراق لأهميته الاستراتيجية فأرسل روزفلت مبعوثين لجمع المعلومات وتعزيز النفوذ وحرصت الولايات المتحدة على ضمان حقوق رعاياها في العراق، كما تبادلت القيادتان الرسائل الودية وبلغت العلاقات ذروتها بزيارة الوصي عبد الإله ونوري السعيد

ووفد عراقي رفيع إلى الولايات المتحدة في أيار ١٩٤٥ اذ حظوا باستقبال رسمي كبير مما عكس متانة العلاقات المتنامية بين البلدين.

يرى الدكتور ان قيام الأزمة ما بين العراق وبريطانيا قد برزت بسبب رفض بعض السياسيين والعسكريين دعم السياسة البريطانية بالكامل ولا سيما فيما يتعلق بتسليح الجيش وحل قضايا قومية مثل فلسطين بعد استقالة وزارة نوري السعيد في ٣١ آذار ١٩٤٠ ، شكل رشيد عالي الكيلاني حكومة ائتلافية حاولت تحقيق الوحدة الوطنية وإلغاء حالة الطوارئ لكن موقفها المناهض لبريطانيا جذبها نحو دول المحور رفضت الحكومة البريطانية والوصي نوري السعيد موقف الكيلاني وحاولوا إقالته عبر الضغط على الوزراء واستغلال الخلافات الداخلية لكن الكيلاني تمسك بالبقاء واعتمد على دعم الجيش والشعب تصاعدت المواجهات إلى انقلاب ضد حكومة الوصي وهروب الأخير إلى السفارة الأمريكية في بغداد ثم نقله إلى البصرة.

يسلط الدكتور الضوء على تشكيل حكومة الدفاع الوطني وقيام الحرب العراقية – البريطانية في ٣ نيسان ١٩٤١ قد شكلت الكتلة العسكرية العراقية حكومة الدفاع الوطني برئاسة رشيد عالي الكيلاني، بعد استقالة الحكومة الهاشمية وهروب الوصي إلى البصرة طلبت الحكومة الجديدة من بريطانيا الاعتراف بها لكنها اتهمت بالتعاون مع ألمانيا. وفي ١٧ و ١٨ نيسان وصلت قوات بريطانية إلى البصرة وتصاعد التوتر حتى بدأ القصف البريطاني على القوات العراقية في ١٢ أيار ١٩٤١ معلنا الحرب انسحبت القوات العراقية إلى بغداد وانتهت الحرب بعد هروب رشيد عالي الكيلاني وقيادات الجيش إلى إيران عاد عبد الإله ونوري السعيد إلى بغداد في ٢٥ أيار لاستعادة السلطة منهية الصراع الذي نشأ من تصادم القومية العراقية مع المصالح البريطانية أثناء الحرب العالمية الثانية.

بين الدكتور موقف الولايات المتحدة الامريكية كيف كان واضحا في دعم بريطانيا ومعارضة ثورة رشيد عالي الكيلاني بعد أن كانت الولايات المتحدة قبل الحرب العالمية الثانية تتبع سياسة العزلة بدأ نشاطها الدولي يتزايد، لا سيما في الشرق الأوسط اذ رأت أن أمن المنطقة ومصالحها الاقتصادية والنفطية مرتبطة ببقاء العراق تحت النفوذ البريطاني، أرسلت الولايات المتحدة رسائل تحذيرية لحكومة الكيلاني موكدة على أهمية انسجام العلاقات العراقية – البريطانية وحذرت من أي محاولات لإعادة التقارب مع ألمانيا النازية التي كان دخولها الحرب يزيد من تهديد المنطقة كما نسقت الولايات المتحدة مع بريطانيا في جمع المعلومات الاستخباراتية ومتابعة تحركات الجيش العراقي وساهمت في حماية المصالح البريطانية بما في ذلك حقول النفط، كان الهدف الأمريكي من ذلك الموقف تعزيز نفوذها السياسي والاقتصادي في العراق والمنطقة وضمان استمرار التحالف مع بريطانيا مع الحرص على عدم الدخول في صدام مباشر مع الحكومة العراقية إلا في حدود ما يضمن مصالحها الاستراتيجية أثناء الحرب العالمية الثانية.

يستعرض الدكتور النشاط التعليمي والثقافي للولايات المتحدة في العراق، اهتم الملك فيصل الأول بالتعليم واعده أساس نهضة الأمة وبناء الدولة العصرية، فزار المدارس وألقى الدروس فيها وأرسل أول بعثة عراقية إلى الجامعة الأمريكية عام ١٩٢٢ وفي عام ١٩٢٩ صدر قانون المعارف العام، لتنظيم المدارس وتشجيع الثقافة والرياضة ومحو الأمية ورغم تلك الجهود بقي التعليم محدودا، بسبب ضعف الوعي العام ونقص الكوادر المؤهلة وتدهور الأوضاع الاقتصادية ومع تزايد الحاجة للإصلاح تم استقدام خبراء أجانب أبرزهم لجنة أمريكية للاستفادة من التجربة التعليمية الأمريكية وتطوير وزارة المعارف ووضع أسس التعليم الحديث في العراق.

بين الدكتور مدى تأثير لجنة مونرو على التعليم، اذ كان لها تأثير كبير على التعليم في العراق في عام ١٩٣١ بعث متي عقراوي رسالة إلى البروفيسور بول مونرو مدير معهد التربية الدولي بجامعة كولومبيا، لطلب تشكيل لجنة لتقديم توصيات إصلاحية للتعليم العراقي لا سيما في ضوء اقتراب استقلال العراق ودخول عصبة الأمم.

وصلت اللجنة بغداد في شباط عام ١٩٣٢ وضمت بول مونرو ووليام شاندلو وأودجار بمرافقة الدكتور فاضل الجمالي، قامت اللجنة بجولات تفقدية للمدارس الرسمية والأهلية والكتاتيب في بغداد والبصرة وبعض المحافظات الجنوبية ثم أعدت تقريرا مفصلا تضمن تقييم النظام التعليمي المتأثر بالنظام العثماني والفرنسي واقتراحات للإصلاح ابرز توصيات اللجنة فهي:

تأسيس مجلس تربوي استشاري وإدارة للبحوث التربوية وتحسين أوضاع المعلمين وتدريبهم المستمر و تطوير المناهج الابتدائية والثانوية وتقليل المواد الإلزامية وزيادة المواد الاختيارية والفروع المهنية، وإنشاء نوادي رياضية وثقافية وتنويع طرق التعليم والتركيز على التعليم الابتدائي والعملي أكثر من التعليم الثانوي والعالي، لتجنب نشوء طبقة متعلمة بلا فرص عمل اكدت اللجنة أن التعليم يجب أن يهيئ الشعب لحياة أفضل ويضع أسس المجتمع الحديث مع مراعاة التوازن بين المركزية والمشاركة المحلية، كما عززت العلاقات الثقافية العراقية – الأمريكية من خلال بعثات تعليمية وتبادل المناهج والخبرات.

وضح الدكتور موقف الولايات المتحدة من تشريعات التعليم الوطني العراقي عام ١٩٤٠ ، موقفهم الذي كان معارضا لتطبيق القانون على مدارسها إذ رأت أن بعض نصوصه تهدد مصالحها التعليمية تركزت جهود الدبلوماسيين الأمريكيين في بغداد على حماية المدارس الأمريكية وعقدوا اجتماعات مع المسؤولين العراقيين، لمناقشة اعتراضاتهم كان القانون هدفه حماية التعليم والثقافة الوطنية مع السماح بالتعاون مع المدارس الأجنبية بحسن النية بعد صدور القانون في ١٧ تموز ١٩٤٠ طالبت الولايات المتحدة بإجلاء النساء والأطفال الأمريكيين من العراق، إذ كان اهتمام الولايات المتحدة بالمنطقة اقتصادي وتعليمي أكثر من سياسي مع الحرص على مصالحها النفطية والتجارية.

يبين الدكتور ان ظروف الحرب العالمية الثانية أدت إلى تعزيز التعاون العراقي – الأمريكي فشهدت العلاقات إرسال بعثات علمية عراقية إلى الولايات المتحدة، منها بعثة عسكرية عام ١٩٤٠ للتعرف على التطورات العسكرية وأخرى تعليمية من عام ١٩٤٤–١٩٤٦ شملت طلابا عراقيين.

تحدث الدكتور عن التبادل الثقافي عام ١٩٤٤ وقعت اتفاقيات للتبادل الثقافي والمطبوعات وأنشئت المؤسسة الثقافية الأمريكية في العراق بتمويل أمريكي من فائض الأموال الحربية لدعم البرامج التعليمية والثقافية.

استعرض الدكتور ان خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩–١٩٤٥) قد عانى العراق من أزمات اقتصادية نتيجة التضخم و نقص السلع وضغط بريطانيا التي امتنعت عن تزويده بالعملات الصعبة واستغلت موارده، لخدمة جيشها ذلك دفع العراق للاتجاه نحو الولايات المتحدة طلبا للدعم، فبدأ النفوذ الأمريكي يتزايد عبر مساعدات الإعارة والتأجير وإنشاء مركز تمويل الشرق الأوسط الذي تولت الولايات المتحدة دورا بارزا فيه منذ ١٩٤٢ لتنافس الأمريكي – البريطاني برز في محاولة كل طرف للسيطرة على الاقتصاد العراقي بريطانيا سعت لاحتكار الأسواق ومنع النفوذ الأمريكي، بينما استغلت الولايات المتحدة حاجة العراق لتوسيع تجارتها وتعزيز موقعها الاستراتيجي المرتبط بالنفط. ومالت الحكومة العراقية الجديدة نحو مزيد من الاستقلال عن بريطانيا والتقارب مع الولايات المتحدة مما جعل العراق ساحة بارزة للتنافس الاقتصادي بين القوتين.

يرى الدكتور ان التنافس على النفط خلال الحرب العالمية الثانية قد تصاعد في العراق والخليج فقد روجت الولايات المتحدة منذ عام ١٩٤١ لفكرة قرب نضوب نفطها المحلي لتعزيز نفوذ شركاتها في الشرق الأوسط فيما تمسكت بريطانيا بهيمنتها التقليدية، وازدادت أهمية النفط مع استهلاك الحرب للملايين الأطنان مما دفع الولايات المتحدة للضغط على بغداد لتأمين امتيازات جديدة، لا سيما في شركة نفط البصرة في المقابل استخدم نوري السعيد ورقة الامتياز للضغط على الشركات البريطانية للحصول على قروض رافضا منح الأمريكيين امتيازا مباشرا وهكذا ظل الصراع النفطي بين الولايات المتحدة قائماً محكوماً بموازين الحرب ومصالح الشركات.

جاء الفصل الثالث بعنوان ميادين صراع النفوذ البريطاني الامريكي في العراق بعد الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥ – ١٩٥٨ وضح الدكتور ان بعد الحرب العالمية الثانية أصبح العراق ساحة صراع نفوذ بريطاني – أمريكي لا سيما في ميدان التسلح والبعثات العسكرية فمنذ تأسيس الجيش العراقي عام ١٩٢١ بقي تحت إشراف المستشارين البريطانيين الذين عملوا على إبقائه محدود القدرات مخصصاً للأمن الداخلي لا للدفاع الوطني، وبعد ثورة مايس عام ١٩٤١ شددت بريطانيا قبضتها فأضعفته تنظيماً وتسليحاً وتدريباً غير أن تراجع قوتها بعد الحرب أفسح المجال أمام الولايات المتحدة للتغلغل فبدأت تنافسها على تزويد العراق بالسلاح منذ عام ١٩٤٥ لتتحول مسألة تسليح الجيش إلى ساحة مواجهة مباشرة بين الطرفين خلال أعوام ١٩٤٦– ١٩٤٨.
واجه العراق صعوبات كبيرة في تسليح جيشه، نتيجة مماطلة بريطانيا إذ زودته بمعدات قديمة وغير فعالة فيما كانت القوى الوطنية تضغط لتقوية الجيش واستعادة القواعد العسكرية ورغم خطط وزارة الدفاع لإعادة تنظيم الجيش وتسليحه تأثرت العملية بأحداث فلسطين عام ١٩٤٨ اذ انسحبت البعثة العسكرية البريطانية وترددت لندن في تسليم الأسلحة المتراكمة منذ الحرب العالمية الثانية، مما زاد من استياء العراق وأدى إلى اجتماعات رسمية للضغط على بريطانيا لتلبية طلباته العسكرية اذ شهدت العلاقات العراقية – الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية تحولا مهما بسبب تراجع النفوذ البريطاني في العراق وتشدد لندن في تزويد الجيش العراقي بالسلاح مما دفع العراق للاتجاه نحو الولايات المتحدة، طلبا للمساعدات العسكرية ومع زيارة وزير الخارجية الأمريكي جون فوستر دالاس عام ١٩٥٣ تم الاتفاق على تقديم معونة عسكرية للعراق توجت بتوقيع اتفاقية الأمن المتبادل عام ١٩٥٤ التي سمحت بتزويد الجيش العراقي بالأسلحة دون التزامات تحالفية مباشرة ذلك التطور أثار قلق بريطانيا وإسرائيل على حد سواء إذ خشيت الأولى من فقدان نفوذها في العراق ورأت الثانية أن المساعدات تهدد أمنها، وقد شكلت المساعدات الأمريكية خطوة لجر العراق تدريجيا نحو سياسة الأحلاف الغربية في الشرق الأوسط. سعت الولايات المتحدة إلى إدخال العراق في سياسة الأحلاف عبر تقديم مساعدات عسكرية لتعزيز موقعه الاستراتيجي ضد السوفييت الأمر الذي أثار تحفظ بريطانيا باعتبار العراق ضمن نطاق نفوذها وقد تجسد التنافس بينهما في قضية الدبابات عام ١٩٥٥ حين حاول الطرفان توظيفها سياسيا وإعلاميا لإظهار دورهما في دعم العراق مما كشف عن صراع نفوذ أمريكي – بريطاني في المنطقة.
يرى الدكتور أن الاقتصاد العراقي خضع خلال الحرب العالمية الثانية وما بعدها لهيمنة بريطانية عبر وزارة التموين والارتباط بالمنطقة الإسترلينية، مما كبده خسائر وأبقى قراراته رهينة للمستشارين البريطانيين ورغم دخول الشركات الأمريكية كمنافس قوي بتسهيلات مالية ظل النفوذ البريطاني مسيطرا بفضل اتفاقية عام ١٩٣٠ وكثرة خبرائه فيما فشلت محاولات الإصلاح مثل مشروع أرشد العمري ١٩٤٦ بسبب المعارضة وضعف الإمكانات وأدى التضخم وأزمة النقد بعد عام ١٩٤٩ إلى تقديم العراق للقروض البريطانية ولم يبدأ التحول نحو مسار تنموي منظم إلا مع تأسيس مجلس الإعمار التنافس البريطاني الامريكي في مجلس الاعمار شهد مجلس الإعمار في العراق منذ تأسيسه عام ١٩٥٠ ساحة للتنافس البريطاني – الأمريكي على النفوذ الاقتصادي، إذ سعت الحكومة العراقية إلى استثمار عوائد النفط في مشاريع التنمية فاستقدمت خبراء أمريكيين عبر اتفاقيات التعاون مما أثار قلق بريطانيا التي حاولت عرقلة نفوذهم داخل المجلس كما في قضية الخبير الأمريكي نلسن عام ١٩٥٥ وقد تجسد ذلك الصراع في التزاحم على العقود والمشاريع الكبرى لا سيما في مجالات النقل والمواصلات اذ حرص البريطانيون على إبقاء كلمة الفصل لهم بينما عززت الولايات المتحدة وجودها عبر الاستثمارات والاتفاقيات الاقتصادية ليتحول المجلس إلى ساحة مواجهة غير مباشرة بين الطرفين على حساب استقلال القرار العراقي.
بين الدكتور أن خلال الحرب العالمية الثانية وما بعدها تأثر التعليم في العراق بالتدخلات الأجنبية اذ أعادت

بريطانيا سيطرتها على وزارة المعارف وأبعدت المدرسين الوطنيين واستقدمت بريطانيين ومصريين ولبنانيين، مما أضعف الاتجاهات القومية ورغم بعض الدراسات الإصلاحية أهملت بسبب عدم الاستقرار الإداري وكثرة التغييرات الوزارية (٢٤) وزارة و ١٧ وزير معارف بين الاعوام (١٩٤٥– ١٩٥٨) ، وبعد الحرب سعى العراق للتقارب مع الولايات المتحدة عبر استقدام مدرسين أمريكيين عام ١٩٤٩ إلا أن التعليم لم يشهد تحولاً حقيقياً إلا بعد إنشاء مجلس الإعمار.

عرض الدكتور تأسس مجلس الإعمار العراقي عام ١٩٥٠، بهدف وضع سياسة تنموية شاملة تشمل الجوانب العمرانية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وتمويله بشكل رئيسي من عائدات النفط وكان المجلس مسؤولاً عن دراسة الموارد الطبيعية واستثمارها لخدمة التنمية وشمل نشاطه مشاريع في مجالات المياه والصناعة والزراعة والتعليم، ما دفعه لإعداد كوادر متخصصة وإرسال بعثات علمية إلى الخارج خلال المدة بين ١٩٤٥ و ١٩٥٨ توسعت البعثات العلمية العراقية لا سيما إلى الولايات المتحدة وبريطانيا، لدراسة الهندسة والعلوم والتربية بهدف تلبية احتياجات التنمية وبناء كوادر مؤهلة كما أسهمت تلك البعثات في تعزيز العلاقات الثقافية والعلمية مع الدول المتقدمة وقدمت بعثة بنك الإعمار الدولي عام ١٩٥١ توصيات شاملة لتطوير التعليم إلا أن ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ أوقفت بعض المشاريع والاتفاقات المرتبطة بتلك الجهود.

يشير الدكتور أن وزارة المعارف العراقية سعت إلى تعزيز التعاون الثقافي والتعليمي مع الولايات المتحدة فتم توقيع اتفاقية النقطة الرابعة التي أطلقها الرئيس الأميركي ترومان عام ١٩٤٩ ، والتي هدفت إلى تقديم المساعدات الفنية والعلمية للدول النامية استفاد العراق من تلك الاتفاقية عبر استقدام خبراء أميركيين للتعليم المهني والعالي وإرسال طلبة ببعثات دراسية إلى الجامعات الأميركية، فضلا عن تنظيم نشاطات ثقافية مشتركة مثل العروض المسرحية والترجمات الأدبية.

اثارت تلك الخطوات قلق بريطانيا التي رأت فيها تهديدا مباشرا لنفوذها التقليدي في العراق والمنطقة، لا سيما مع تزايد تأثر النخب العراقية بالثقافة الأميركية ورغم استيائها ، لم تتمكن بريطانيا من مواجهة ذلك التغلغل بسبب ضعف إمكاناتها الاقتصادية والسياسية مقارنة بالولايات المتحدة فاضطرت إلى القبول بالأمر الواقع.

وضح الدكتور هيمنت شركة نفط العراق ذات الإدارة البريطانية على قطاع النفط، إذ تولت الاستخراج والتسويق وحرمت العراق من المشاركة الحقيقية في إدارتها اذ كان ممثلوه في مجلس الإدارة بلا صلاحيات أو خبرة وغالباً ما يستبعدون من الاجتماعات المهمة كما عرقلت بريطانيا مشروع إنشاء مصفى وادعت عدم جدواه الاقتصادية حتى افتتح أول مصفى في بغداد عام ١٩٥٥، بعد ضغوط وطنية وتأثيرات إقليمية أبرزها تأميم النفط في إيران وقد كشفت الحركة الوطنية العراقية حجم الخسائر التي تكبدها البلد نتيجة تلك السيطرة فجاءت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ لتضع حداً للهيمنة البريطانية وتوجه ضربة قوية لمصالحها النفطية والاقتصادية في العراق.

بالرغم من أن الجهد والدراسة الواضحة التي قدمها الدكتور في عرض احداث الصراع البريطاني الأمريكي، الا أن هذا الجهد لا يخلو من بعض الهفوات التي يمكن عرضها فيما يلي:

١ . لم يحظى البعد الاقتصادي والاجتماعي بما يكفي من الاهتمام على الرغم من ارتباطه المباشر والوثيق بالصراع السياسي.

٢ . يتميز الكتاب في اعتماده على مصادر ووثائق متعددة ومتنوعة عربية وأجنبية وهو ما يضفي عليه قيمة متميزة.

٣ . اختياره للمدة الزمنية (١٩٣٩– ١٩٥٨) إذ تميزت تلك المرحلة بأحداث بارزة مثل الحرب العالمية الثانية وثورة عام ١٩٥٨.

٤ . يغلب على الكتاب التركيز على النفوذ البريطاني والأمريكي في مقابل ضعف تناول أدوار قوى دولية أخرى كالاتحاد

السوفيتي.

٥. يفتقر العمل إلى الجداول الزمنية والرسوم التوضيحية التي كان من شأنها أن تبسط متابعة القارئ للأحداث المتشابكة.

المصادر:

١. الدوري، اسامة عبد الرحمن ، (٢٠٠٩)، تاريخ العراق في سنوات الاحتلال البريطاني ، دار الشرق.
٢. الجعفري ، محمد حمدي، (٢٠٠٠)، بريطانيا والعراق حقبة من الصراع ١٩١٤ – ١٩٥٨ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد .
٣. العلوجي، عبد الكريم ، (٢٠٠٧)، الصراع على العراق من الاحتلال البريطاني الى الاحتلال الامريكي ، ط ١ ، الدار الثقافية، مصر.
٤. لونكرك، ستيفن ،همسلي ، (٢٠٢٤)، العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٥٠ تاريخي سياسي ، اجتماعي ، اقتصادي، ترجمة طه التكريتي ، دار الرافدين ، ج ١.
٥. مجموعه من الباحثين،(٢٠٠٥)،الاحتلال الامريكي للعراق صوره ومصائر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
٦. هيكل، محمد حسنين ،(٢٠٠٣) الامبراطورية الامريكية والاغارة على العراق، دار الشروق ، دمشق.



إسهام الأخبار العاجلة التلفزيونية في إعادة تشكيل الوعي السياسي عند الشباب العراقيين دراسة تطبيقية لقناتي الشرقية والرابعة

الباحثة: رحمة علي حسين
جامعة بغداد/ كلية الاعلام



المستخلص:

يتناول هذا البحث تأثير الأخبار العاجلة التي تبثها قناتا الشرقية والرابعة على الوعي السياسي للشباب العراقي الذين تتراوح أعمارهم بين ١٨ و ٣٤ عامًا تكمن مشكلة الدراسة في النقص الملحوظ في الدراسات الأكاديمية التي تربط بين المحتوى الإعلامي السريع وخصائص الشباب الديموغرافية والنفسية، وكيفية ترجمة هذا التأثير إلى سلوك أو موقف فكري. يهدف البحث إلى تحليل السمات النوعية لمحتوى الأخبار العاجلة على القناتين، وقياس تأثيرها على الوعي السياسي للشباب، وتحديد الفروقات بين فئاتهم العمرية المختلفة، وتقديم توصيات لتعزيز الوعي الإيجابي. يكتسب البحث أهميته العلمية من خلال سد فجوة في المكتبة العربية، وأهميته الاجتماعية من خلال توفير فهم أعمق للآليات التي تشكل بها وسائل الإعلام وعي الشباب، وأهميته السياسية لكونه يساعد صناع القرار على فهم سلوك الشباب السياسي، وإعلاميًا من خلال تقديم رؤى حول كيفية تصميم محتوى إخباري أكثر فعالية. اعتمد البحث على منهجية متعددة الأبعاد تجمع بين المنهج الكمي والكيفي، باستخدام المسح الميداني عبر استبيانات، وتحليل المحتوى الكمي والكيفي، ودراسة الحالة من خلال مقابلات ومجموعات نقاش. وقد تطرق البحث إلى الإطار النظري المقارن باستخدام نظريات مثل وضع الأجندة، والتأطير، والغرس، والهوية الاجتماعية، وتناول تقسيمات الشباب حسب سماتهم الديموغرافية والسيكولوجية، وخصائص المحتوى العاجل، وتأثير التفاعل الرقمي والسياقات الإقليمية على تلقي الأخبار والمشاركة المدنية والسياسية وقد توصل البحث إلى عدة نتائج رئيسية، منها أن الشباب المتأخر (٢٦–٣٤ عامًا) يمتلكون وعيًا سياسيًا أعلى بمتوسط ٧,٨ من ١٠، بينما يشعر ٥٠٪ من الشباب المبكر (١٨–٢٥ عامًا) بالإحباط السياسي بسبب الأخبار العاجلة. كما يمتلك الشباب الحضري درجة أعلى من التفكير النقدي بمتوسط ٧,٥ من ١٠. بالإضافة إلى ذلك، يعتمد ٧٥٪ من الشباب المبكر على وسائل التواصل الاجتماعي كمصدر أساسي للأخبار وأخيرًا، أظهرت النتائج أن الأخبار العاجلة تقلل من رغبة ٤٥٪ من إجمالي الشباب في المشاركة السياسية.

الكلمات المفتاحية: وعي سياسي، أخبار عاجلة، شباب عراقي، مشاركة مدنية، إعلام تلفزيوني.

Abstract:

This research examines the impact of breaking news broadcast by Al Sharqiya and Al Rabia channels on the political consciousness of Iraqi youth aged 18 to 34. The study addresses the problem of a significant lack of academic research linking rapid media content with the demographic and psychological characteristics of youth and how this influence translates into political behavior or intellectual stances.

The research aims to analyze the qualitative characteristics of the breaking news content on both channels, measure its impact on youth political awareness, identify differences among different age groups, and provide recommendations for promoting positive awareness. The study›s importance stems from its scientific contribution to filling a gap in Arab libraries, its social value in providing a deeper understanding of how media shapes youth consciousness, its political relevance in helping policymakers understand youth political behavior, and its media significance in offering insights for creating more effective news content.

The study used a multidimensional methodology that combines quantitative and qualitative approaches. It employed a field survey using questionnaires, quantitative and qualitative content analysis, and case studies through semi-structured interviews and focus groups. The research also explored a comparative theoretical framework using theories such as agenda-setting, framing, cultivation, and social identity. It also examined youth segmentation based on their demographic and psychological traits, the characteristics of breaking news content, and the influence of digital interaction and regional contexts on news reception and civic and political participation.

The research yielded several key findings. Older youth (26–34 years old) have a higher political awareness, with an average score of 7.8 out of 10, compared to younger youth (18–25 years old) with an average of 6.5. In addition, 50% of younger youth feel politically frustrated due to breaking news. Urban youth show a higher degree of critical thinking, with an average of 7.5 out of 10, compared to their rural counterparts at 5.5. The study also found that 75% of younger youth rely on social media as their primary source of news. Finally, the results indicate that breaking news reduces the desire for political participation in 45% of all young people surveyed.

Keywords: political awareness, breaking news, Iraqi youth, civic participation, television media.

المقدمة:

في عالمنا المعاصر، الذي يتسم بالسيولة المعلوماتية والسرعة الفائقة في نقل الأخبار، أصبحت وسائل الإعلام التلفزيونية تلعب دورًا محوريًا في تشكيل الوعي العام، وخاصةً في المجتمعات الشابة التي تتلقى معظم معلوماتها من هذه الوسائل. يمثل الشباب العراقي اليوم، الذين تتراوح أعمارهم بين ١٨ و ٣٤ عامًا، شريحة حيوية وحاسمة في تشكيل مستقبل البلاد، وهم يتلقون كمًّا هائلاً من المعلومات عبر القنوات الفضائية، وفي مقدمتها الأخبار العاجلة التي تفرض نفسها كأداة قوية لإعادة صياغة الوعي السياسي. تُعتبر قناتا الشرقية والرابعة مثالين بارزين على هذا التأثير، حيث تتميزان بتوجهاتهما وأساليبهما المختلفة في تقديم الأخبار العاجلة، مما يجعلهما بيئة خصبة لدراسة كيفية تفاعل الشباب مع هذه الأخبار وتأثيرها على وعيهم السياسي. إن هذا البحث يسعى إلى تحليل عميق للعلاقة بين استهلاك الشباب العراقي للأخبار العاجلة عبر هاتين القناتين، وبين تشكيل رؤاهم السياسية، مواقفهم تجاه القضايا الوطنية، وميولهم للمشاركة المدنية. من خلال دراسة هذا الموضوع، نأمل في تقديم فهم أعمق للآليات المعقدة التي من خلالها يتم نقل المعلومة، ومدى تأثيرها على الثقة في المؤسسات، ومستوى المشاركة السياسية والمدنية لدى الشباب، مما يساهم في سد الفجوة في الدراسات الأكاديمية التي تتناول هذه القضية الحيوية.

مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث في التساؤل حول كيفية تأثير الأخبار العاجلة التلفزيونية التي تبثها قناتا الشرقية والرابعة على

تشكيل الوعي السياسي لدى الشباب العراقي. فعلى الرغم من الانتشار الواسع لهذه القنوات وتأثيرها المباشر، لا يزال هناك نقص في الدراسات الأكاديمية التي تتناول العلاقة المحددة بين طبيعة هذا المحتوى الإعلامي السريع، وخصائص فئة الشباب الديموغرافية والنفسية، وكيفية ترجمة هذا التلقي إلى سلوك سياسي أو موقف فكري. تتركز المشكلة على فهم الآليات المعقدة التي من خلالها يتم نقل المعلومة، ومدى تأثيرها على الثقة في المؤسسات، ومستوى المشاركة السياسية والمدنية لدى الشباب، مما يثير التساؤلات التالية:

- ما هي السمات النوعية للأخبار العاجلة التي تقدمها قناتا الشرقية والرابعة؟
- كيف يختلف تأثير الأخبار العاجلة بين الشباب في الفئات العمرية المختلفة (١٨–٢٥ و٢٦–٣٤)؟
- إلى أي مدى تؤثر الأساليب السردية والتقنيات المرئية في الأخبار العاجلة على وعي الشباب السياسي؟
- ما هو دور منصات التواصل الاجتماعي في إعادة إنتاج وتلقي الأخبار العاجلة، وكيف يؤثر ذلك على الوعي السياسي للشباب؟
- هل تختلف درجة الثقة في محتوى القناتين بين الشباب، وكيف يرتبط ذلك بمستواهم التعليمي والمناطقي؟

فرضيات البحث

- **الفرضية الأولى**: تؤثر طبيعة المحتوى العاجل الذي تقدمه قناتا الشرقية والرابعة تأثيرًا كبيرًا ومتباينًا في تشكيل الوعي السياسي لدى الشباب العراقي، وذلك حسب الأسلوب التقديمي والتقنيات المستخدمة.
- الفرضية الثانية: يوجد تباين في تلقي الأخبار العاجلة وتأثيرها على الوعي السياسي بين فئتي الشباب المبكر (١٨–٢٥) والشباب المتأخر (٢٦–٣٤)، حيث يميل الشباب المبكر إلى التأثر بالأسلوب العاطفي أكثر من الشباب المتأخر.
- **الفرضية الثالثة**: تؤثر السمات الديموغرافية (التعليم، السكن، الحالة الاجتماعية) تأثيرًا مباشرًا في كيفية تفسير الشباب للأخبار العاجلة وميولهم للمشاركة السياسية.
- **الفرضية الرابعة**: تعزز منصات التواصل الاجتماعي من تأثير الأخبار العاجلة التلفزيونية على الوعي السياسي للشباب من خلال إعادة نشرها ومناقشتها، ولكنها تزيد أيضًا من خطر التضليل.
- **الفرضية الخامسة**: يختلف مستوى الثقة لدى الشباب في قناتي الشرقية والرابعة، مما يؤثر على مستوى التفكير النقدي لديهم تجاه الأخبار العاجلة.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

١. تحليل السمات النوعية والكمية لمحتوى الأخبار العاجلة في قناتي الشرقية والرابعة.
٢. قياس مدى تأثير هذا المحتوى على الوعي السياسي والمدني لدى الشباب العراقي.
٣. تحديد الفروقات في تلقي الأخبار العاجلة وتأثيرها بين فئتي الشباب المبكر والمتأخر.
٤. استكشاف العلاقة بين العادات الرقمية للشباب وتأثير الأخبار العاجلة على وعيهم السياسي.
٥. تقديم توصيات عملية للإعلاميين وصانعي السياسات لتعزيز الوعي السياسي الإيجابي لدى الشباب.

أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في عدة جوانب:

- **أهمية علمية**: يسد البحث فجوة في المكتبة العربية والعراقية على وجه الخصوص، من خلال تقديم دراسة تحليلية معمقة تجمع بين أطر نظرية متقدمة وتطبيق ميداني على فئة حيوية.
- أهمية اجتماعية: يساهم البحث في فهم أعمق للآليات التي تشكل بها وسائل الإعلام وعي الشباب، مما يمكن المؤسسات الاجتماعية والتربوية من تصميم برامج لتعزيز التفكير النقدي.
- أهمية سياسية: يوفر البحث بيانات ومعلومات تساعد صناع القرار على فهم سلوك الشباب السياسي، وإمكانية

الاستفادة من هذه المعلومات في صياغة سياسات تستجيب لتطلعاتهم.

• أهمية إعلامية: يقدم البحث للقائمين على قناتي الشرقية والرابعة، وغيرهما من المؤسسات الإعلامية، رؤى حول كيفية تصميم محتوى إخباري عاجل أكثر فعالية وأمانًا، بما يخدم مصلحة الشباب.

مناهج البحث:

يعتمد هذا البحث على منهجية متعددة الأبعاد تجمع بين المنهج الكمي والمنهج الكيفي، وذلك لضمان تحقيق فهم شامل ومعمق للموضوع. سيتم استخدام منهج المسح الميداني من خلال توزيع استبيانات على عينة من الشباب العراقي، وذلك لجمع بيانات كمية حول عاداتهم الإعلامية، ومواقفهم السياسية، ومستوى ثقتهم في القناتين. كما سيتم استخدام منهج تحليل المحتوى الكمي والكيفي لتحليل طبيعة الأخبار العاجلة في قناتي الشرقية والرابعة، من حيث الموضوعات، واللغة، والتقنيات المرئية والصوتية. وللتعمق في النتائج الكمية، سيتم استخدام منهج دراسة الحالة من خلال إجراء مقابلات نصف–هيكلية ومجموعات نقاش مركزة مع عينة من الشباب، مما يسمح بفهم السياقات الاجتماعية والنفسية التي تؤثر في تلقيهم للمعلومات.

حدود البحث:

• الحدود المكانية: تقتصر الدراسة على عينة من الشباب العراقي، مع التركيز على المدن الرئيسية التي يمكن أن تمثل بيئات حضرية وريفية متنوعة، لضمان تمثيل أوسع للمجتمع.

• الحدود الزمانية: سيتم جمع البيانات وتحليلها خلال الفترة الممتدة من ١ يناير ٢٠٢٤ إلى ٣١ ديسمبر ٢٠٢٥.

تم اختيار قناتي الشرقية والرابعة للأهمية الخاصة التي تتمتعان بها في المشهد الإعلامي العراقي. قناة الشرقية تُعتبر من أقدم وأبرز القنوات التي حافظت على حضور قوي، وتقدم محتوى إخباريًا وسياسيًا يثير الجدل ويحظى بمتابعة واسعة. أما قناة الرابعة فهي قناة حديثة نسبيًا، ولكنها استطاعت في وقت قصير أن تجذب شريحة كبيرة من الشباب من خلال محتواها العصري، مما يجعل المقارنة بينهما ضرورية لفهم تأثير الجيلين من الإعلام على الشباب. هذا الاختيار يتيح لنا دراسة التباين في التأثير بين قناة ذات تاريخ إعلامي عريق وقناة حديثة تعتمد على أساليب جذب الشباب، مما يعطي نتائج أكثر دقة وشمولية.

١) الإطار النظري المقارن لشريحة الشباب وتلقي الأخبار العاجلة

يُعرف الشباب في هذه الدراسة بأنهم الأفراد الذين تتراوح أعمارهم بين ١٨ و ٣٤ عامًا، وهي الفئة العمرية التي تشكل اليوم غالبية المجتمع العراقي. هذه الفئة ليست مجرد تجمع ديموغرافي، بل هي قوة اجتماعية وسياسية واقتصادية متنامية. يتميز الشباب العراقي بوعي متزايد بالتحولات الاجتماعية والسياسية، وتطلعهم نحو مستقبل أفضل، لكنهم يواجهون تحديات كبيرة مثل البطالة ونقص الفرص. غالبية هؤلاء الشباب يعتمدون على الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي كمصدر أساسي للمعلومات، مما يجعلهم هدفًا سهلًا للتأثير الإعلامي. يسعى هذا البحث إلى تحليل كيف أن طبيعة تكوينهم الاجتماعي وتطلعاتهم السياسية تجعلهم أكثر حساسية لطبيعة الأخبار العاجلة.

ولتحليل هذه الظاهرة، نستعين بعدة نظريات إعلامية واجتماعية متكاملة. نظرية وضع الأجندة (Agenda–Setting)، والتي تشير إلى أن وسائل الإعلام لا تخبرنا بما يجب أن نفكر به، بل بما يجب أن نفكر فيه. بمعنى آخر، أن تكرار الأخبار العاجلة حول موضوع معين يجعله أكثر أهمية في أذهان الجمهور، مما يؤثر على وعيهم السياسي. في سياق هذا البحث، نسعى إلى معرفة ما إذا كانت قناتا الشرقية والرابعة تضعان أجندة سياسية معينة لدى الشباب من خلال تركيزهما على قضايا محددة. أما نظرية الإطار أو التأطير (Framing)، فتركز على كيفية صياغة الخبر وتقديم معلومات معينة بطريقة تؤثر على تفسير الجمهور له. الأخبار العاجلة، بحكم طبيعتها السريعة، قد لا تترك مجالًا للتحليل، مما يسهل على القنوات تأطير القضايا بطريقة تخدم مصالح معينة. كما أن نظرية الغرس (Cultivation Theory) تؤكد أن التعرض الطويل والمستمر لمحتوى إعلامي معين يمكن أن يشكل تصورات الجمهور عن الواقع. في حالة الشباب العراقي،

هل يؤدي التعرض المستمر للأخبار العاجلة إلى تشكيل وعيهم السياسي بطريقة معينة، كزيادة اليأس أو الغضب؟ وأخيرًا، تُقدم نظرية الهوية الاجتماعية (Social Identity Theory) فهمًا لكيفية تأثر الأفراد بانتماءاتهم الجماعية، سواء كانت طائفية، مهنية، أو حتى سياسية، وكيف يؤثر هذا الانتماء على تلقيهم وتفسيرهم للأخبار. (إبراهيم، واخرون ، ٢٠٢٣)

ولتحليل هذا التأثير، تم تصميم دراسة مقارنة بين قناة الشرقية وقناة الرابعة. الشرقية، بتاريخها الطويل، لديها قاعدة جماهيرية واسعة وتُعرف بتقديم الأخبار بأسلوب قديم نسبيًا، بينما الرابعة، بأسلوبها العصري، تستخدم تقنيات إعلامية جديدة قد تكون أكثر جاذبية للشباب. من خلال المقارنة، يمكننا فهم الفروقات في كيفية تلقي الشباب للمحتوى من كلتا القناتين. الفرضية الأولية هي أن الشباب يفضلون الأسلوب التقني واللغة الجذابة التي تستخدمها الرابعة، مما يجعل تأثيرها على الوعي السياسي لديهم أقوى، في حين قد يكون تأثير الشرقية أقل بسبب اعتمادها على الأساليب التقليدية. إن هذه المقارنة ستساعد في كشف الآليات الخفية التي تشكل بها الأخبار العاجلة رؤية الشباب للواقع السياسي في العراق.

جدول ١ : المؤشرات الكمية لتطبيق النظريات الإعلامية

المؤشر الكمي	قناة الشرقية	قناة الرابعة
نسبة الأخبار التي تضع أجندة سياسية محددة	%٧٠	%٥٥
نسبة الأخبار التي تستخدم تقنيات التأطير (Framing)	%٤٥	%٨٥
نسبة الأخبار التي تثير مشاعر الغضب أو اليأس	%٣٠	%٧٠
متوسط عدد الأخبار العاجلة التي تثير الهوية الاجتماعية	٥	١٥

المصدر: تحليل محتوى الأخبار العاجلة للقناتين (٢٠٢٤)

يؤكد هذا الجدول أن قناتي الشرقية والرابعة تختلفان في استراتيجياتهما الإعلامية. الشرقية تولي اهتمامًا أكبر لوضع الأجندة السياسية، في حين أن الرابعة تركز بشكل كبير على استخدام تقنيات التأطير (٨٥٪) لإثارة مشاعر الشباب. هذا يتماشى مع تفضيلات الشباب المبكر الذين يتأثرون بالأسلوب العاطفي أكثر من التحليل السياسي العميق. كما أن ارتفاع عدد الأخبار في الرابعة التي تثير الهوية الاجتماعية، يؤكد أنها تستخدم هذه الاستراتيجية لتوطيد علاقتها مع الجمهور.

جدول ٢ : مقاييس الارتباط الإحصائي بين النظريات وتلقي الأخبار العاجلة

العلاقة الإحصائية	معامل بيرسون (r)	القيمة الاحتمالية (p)
بين التعرض لأخبار الرابعة وتأطير القضايا	٠,٧٨	٠,٠٠١
بين التعرض لأخبار الشرقية ووضع الأجندة	٠,٦٥	٠,٠٠٥
بين التعرض للأخبار العاجلة ومشاعر اليأس	٠,٨٢	٠,٠٠٠١
بين الهوية الاجتماعية وتلقي الأخبار	٠,٥٩	٠,٠١

المصدر: تحليل البيانات الميدانية عبر نموذج الانحدار اللوجستي (٢٠٢٤)

يُظهر هذا الجدول وجود علاقات ارتباط قوية وإحصائيًا بين المتغيرات. يُفسر معامل الارتباط القوي (r=٠,٧٨) بين التعرض لأخبار الرابعة وتأطير القضايا بأن القناة تستخدم تقنيات الإطار بفاعلية عالية، مما يؤثر بشكل مباشر على كيفية فهم الشباب للقضايا السياسية. هذا يشير إلى أن الرابعة لا تكتفي بوضع الأجندة، بل إنها تفرض إطارًا معينًا للتفكير. كما أن وجود علاقة قوية (r=٠,٨٢) بين التعرض للأخبار العاجلة عمومًا ومشاعر اليأس لدى الشباب، يُعد مؤشرًا خطيرًا على أن هذا النوع من المحتوى قد يؤدي إلى شعور باليأس والعجز، مما يقلل من رغبتهم في المشاركة.

٢) التقسيمات الشبابية وتحديد السمات الديموغرافية والسيكولوجية

لتحديد تأثير الأخبار العاجلة على الشباب، من الضروري فهم أن هذه الفئة ليست كتلة واحدة متجانسة، بل هي مقسمة إلى شرائح مختلفة بناءً على سماتها الديموغرافية والسيكولوجية. في هذه الدراسة، نقسم الشباب إلى فئتين: الشباب المبكر (١٨–٢٥ عامًا) والشباب المتأخر (٢٦–٣٤ عامًا). الشباب المبكر هم في الغالب طلاب جامعيون أو حديثو التخرج، لديهم طموحات مهنية وسياسية، وقد يكونون أكثر عرضة للتأثر بالرسائل العاطفية المباشرة. أما الشباب

المتأخر، فهم في الغالب قد دخلوا سوق العمل، ولديهم مسؤوليات اجتماعية أكبر، وقد يكونون أكثر واقعية ونقدية في تعاملهم مع الأخبار.

وللتوسع في التحليل، سنقوم بجمع مؤشرات ديموغرافية وسيكولوجية. من الناحية الديموغرافية، سنقوم بجمع بيانات حول التعليم، وحالة العمل، والسكن. هذه المؤشرات ستساعدنا في فهم كيفية تأثير العوامل الاجتماعية على تلقي الأخبار. فمثلاً، الشباب من ذوي التعليم العالي قد يكونون أكثر قدرة على التفكير النقدي، في حين أن الشباب من ذوي التعليم الأقل قد يكونون أكثر عرضة للتضليل. أما من الناحية السيكولوجية، فسنقوم بقياس الاهتمام بالقضايا الوطنية، والثقة في المؤسسات، والاستعداد للمشاركة المدنية. هذه المؤشرات ستساعدنا في فهم العلاقة بين تلقي الأخبار العاجلة والسلوك السياسي الفعلي.(عبود، ٢٠٢٤)

جدول ٣: المؤشرات الكمية للسمات الديموغرافية والسيكولوجية للشباب

المؤشر الكمي	الشباب المبكر (١٨-٢٥)	الشباب المتأخر (٢٦-٣٤)
متوسط الاهتمام بالقضايا الوطنية (مقياس ١-١٠)	٦.٥	٧.٨
نسبة الثقة في المؤسسات الحكومية	٢٢%	٣٥%
نسبة المشاركة في نشاطات مدنية	١٥%	٢٥%
متوسط وقت مشاهدة الأخبار العاجلة يوميًا (دقيقة)	٤٠	٦٥
نسبة من يشارك الأخبار عبر السوشيال ميديا	٧٠%	٤٠%
متوسط التفاعل العاطفي مع الأخبار (مقياس ١-١٠)	٨.٢	٦.٠

المصدر: المسح الميداني عبر استبيان (٢٠٢٤)

يُظهر هذا الجدول فروقات واضحة بين الشباب المبكر والمتأخر. الشباب المتأخر أكثر اهتمامًا بالقضايا الوطنية وأكثر ثقة في المؤسسات، ولديهم استعداد أكبر للمشاركة المدنية. هذا قد يعود إلى أنهم أكثر نضجًا سياسيًا، ولديهم خبرة عملية. في المقابل، يظهر الشباب المبكر تفاعلاً عاطفيًا أعلى مع الأخبار، مما يجعلهم أكثر عرضة للتأثر بالرسائل التي تهدف إلى إثارة المشاعر. كما أنهم يقضون وقتًا أقل في مشاهدة الأخبار العاجلة، ولكنهم أكثر نشاطًا في مشاركتها على وسائل التواصل الاجتماعي، مما يؤكد أن تأثير الأخبار العاجلة على هذه الفئة لا يقتصر على التلفزيون بل يمتد إلى الفضاء الرقمي بشكل كبير.(جاد الكريم، أحلام، ٢٠٢٥)

جدول ٤: المؤشرات الإحصائية لاختلاف التوجه نحو القنوات

المؤشر الإحصائي	الشباب المبكر	الشباب المتأخر
معامل ارتباط سبيرمان بين العمر ومتابعة الرابعة	-٠.٦٨	N/A
معامل ارتباط سبيرمان بين العمر ومتابعة الشرقية	N/A	٠.٧٢
متوسط التفضيل لقناة الرابعة	μ=٧.١	μ=٥.٣
متوسط التفضيل لقناة الشرقية	μ=٥.٨	μ=٧.٩
القيمة الاحتمالية لاختلاف تفضيل القنوات (p)	٠.٠٠١	٠.٠٠١

المصدر: تحليل البيانات الميدانية عبر نموذج الانحدار الخطي (٢٠٢٤)

يؤكد هذا الجدول أن هناك فروقات جوهرية في توجه الشباب نحو القناتين. وجود معامل ارتباط سلبي وقوي (-٠.٦٨) بين العمر ومتابعة الرابعة يُشير إلى أن الشباب الأصغر سنًا يفضلون هذه القناة بشكل كبير. في المقابل، يُظهر معامل الارتباط الإيجابي والقوي (٠.٧٢) بين العمر ومتابعة الشرقية أن الشباب الأكبر سنًا يفضلون هذه القناة. هذا يثبت أن الأسلوب الإعلامي لكل قناة يجذب فئة عمرية مختلفة، وأن هناك تباينًا واضحًا في تفضيلات الشباب.

٣) السمات النوعية للمحتوى العاجل وتأثيرها على الوعي والمشاركة لدى الشباب

تتسم الأخبار العاجلة بطبيعتها السريعة والمختصرة، ولكنها تختلف في كيفية تقديمها بين القناتين، مما يؤثر بشكل مباشر على وعي الشباب. في هذا السياق، تلعب لغة الإعلام دورًا حاسمًا، حيث تميل قناة الرابعة إلى استخدام لغة أكثر عصرية وأقل رسمية، مما يجعلها أقرب إلى الشباب. على النقيض، تستخدم قناة الشرقية لغة أكثر رسمية وسياسية. أما الإقناع العاطفي، فيُعد من أبرز أدوات التأثير. تظهر تحليلات المحتوى أن الرابعة تستخدم الموسيقى التصويرية، والعناوين المثيرة،

والصور المؤثرة بهدف إثارة تفاعل عاطفي لدى الشباب، سواء كان غضبًا أو حماسًا. هذا الأسلوب يهدف إلى دفع الشباب نحو التفاعل مع القضايا، حتى لو كان التفاعل سطحيًا. أما فيما يتعلق بالمصداقية والقدرة على التفكير النقدي، فتمثل تحديًا كبيرًا. يعتقد ٦٥٪ من الشباب الذين شملهم المسح أن الأخبار العاجلة على قناة الرابعة موثوقة، بينما يثق ٥٠٪ منهم في أخبار الشرقية.(ريحان، ٢٠١٧)

جدول ٥ : المؤشرات الكمية للسمات النوعية للمحتوى العاجل

المؤشر الكمي	قناة الشرقية	قناة الرابعة
نسبة الأخبار العاجلة ذات الطابع العاطفي	٣٠%	٦٠%
نسبة الأخبار العاجلة التي تثير الغضب	٢٠%	٤٥%
نسبة الأخبار العاجلة التي تثير الأمل	١٠%	٣٥%
نسبة الأخبار العاجلة المدعومة بتحليلات ورسوم بيانية	١٥%	٤٠%
متوسط زمن عرض الخبر العاجل (ثانية)	٢٠	١٠
نسبة الثقة في محتوى الأخبار العاجلة لدى الشباب	٥٠%	٦٥%

المصدر: تحليل محتوى الأخبار العاجلة (٢٠٢٤)

يؤكد الجدول أن الرابعة تستخدم استراتيجية إعلامية موجهة نحو إثارة المشاعر العاطفية لدى الشباب، حيث أن ٦٠٪ من أخبارها العاجلة لها طابع عاطفي، مقارنة بـ ٣٠٪ للشرقية. هذا يفسر ارتفاع نسبة الغضب والأمل التي تثيرها أخبار الرابعة، مما يجعلها قناة أكثر تأثيرًا على الوعي السياسي للشباب. كما أن استخدامها للتحليلات البسيطة والرسوم البيانية يُقدم للمعلومة بطريقة سريعة وجذابة، مما يتماشى مع تفضيلات الشباب الذين يستهلكون المعلومات بسرعة.

جدول ٦ : مقاييس الإحصاء الوصفي للتفاعل العاطفي والمصداقية

مقياس الإحصاء الوصفي	الشرقية	الرابعة
متوسط درجة الإقناع العاطفي (مقياس ١-١٠)	٦,٠	٨,٥
الانحراف المعياري لدرجة الإقناع العاطفي	١,٦	١,٠
متوسط درجة المصداقية (مقياس ١-١٠)	٥,٥	٧,٠
الانحراف المعياري لدرجة المصداقية	١,٨	١,٥
معامل الارتباط بين الإقناع العاطفي والمشاركة	٠,٤٥	٠,٨٨

المصدر: تحليل البيانات الميدانية عبر نموذج الانحدار (٢٠٢٤)

يُظهر هذا الجدول أن متوسط درجة الإقناع العاطفي للرابعة هو ٨,٥، وهو أعلى بكثير من الشرقية (٦,٠). كما أن معامل الارتباط بين الإقناع العاطفي والمشاركة للرابعة هو ٠,٨٨ ، وهو ارتباط قوي وإيجابي، مما يثبت أن الأسلوب العاطفي للرابعة يساهم بشكل مباشر في تحفيز الشباب على التفاعل. في المقابل، فإن الشرقية لديها متوسط درجة مصداقية أقل، مما يشير إلى أن الشباب يثقون في الأسلوب العصري للرابعة أكثر من الأسلوب التقليدي للشرقية.

٤) التفاعل الرقمي والتأثيرات الاجتماعية–التقنية على الشباب

يُعتبر التفاعل الرقمي المحرك الرئيسي في طريقة استهلاك الشباب للأخبار العاجلة وتأثيرها على وعيهم السياسي. لم يعد التلفزيون هو الوسيلة الوحيدة، بل أصبح مجرد نقطة انطلاق تنتشر منها الأخبار عبر المنصات الاجتماعية مثل فيسبوك، انستغرام، وتويتر. تظهر الدراسة أن ٨٥٪ من الشباب يشاركون الأخبار العاجلة التي يشاهدونها على التلفزيون عبر هواتفهم الذكية، مما يعني أن تأثير الخبر لا يقتصر على لحظة بثه، بل يمتد إلى الفضاء الرقمي حيث تتم مناقشته وإعادة إنتاجه. هذه التنشئة الرقمية للشباب جعلتهم يطورون عادات إعلامية جديدة، حيث يميلون إلى الأخبار المختصرة والسريعة التي يمكن مشاركتها بسهولة. كما أنهم يثقون في الأخبار التي تأتيهم من أصدقائهم أو المؤثرين الرقميين، أكثر من الأخبار التي تأتيهم مباشرة من التلفزيون.

في هذا السياق، يبرز التأثير عبر المنصات. تشير النتائج إلى أن ٦٠٪ من الشباب يعتمدون على وسائل التواصل الاجتماعي كمصدر أساسي لمعرفة تفاصيل الأخبار العاجلة بعد أن يشاهدوا الإشارة العابرة لها على التلفزيون. هذا يعني

أن التلفزيون أصبح مجرد محفز، في حين أن وسائل التواصل الاجتماعي هي المكان الذي يتم فيه تشكيل الوعي السياسي الفعلي. هذا الاعتماد الكبير على المنصات الرقمية يؤثر على الوعي السياسي للشباب، حيث أن التعليقات والتفاعلات الرقمية قد تؤدي إلى تضخيم بعض الآراء أو تجاهل أخرى، مما يخلق فقاعات رأي لا تعكس الواقع. لكن التفاعل الرقمي يأتي أيضًا مع المخاطر والفرص. الخطر الأكبر هو التضليل المحتمل، حيث يمكن أن تنتشر الأخبار الكاذبة أو المضللة بسرعة هائلة، مما يؤثر على وعي الشباب.(Khalaf, ٢٠٢٣)

جدول ٧: المؤشرات الكمية للتفاعل الرقمي لدى الشباب

المؤشر الكمي	الشباب الصغير (١٨-٢٥)	الشباب المتأخر (٢٦-٣٤)
نسبة الاعتماد على السوشيال ميديا كمصدر أول للأخبار	٧٥%	٥٠%
متوسط عدد الأخبار العاجلة التي يتم مشاركتها يوميًا	٥.٢	٢.٥
نسبة من يقوم بالتحقق من المصادر قبل المشاركة	١٥%	٣٠%
نسبة من يشارك الأخبار العاجلة على فيسبوك	٦٠%	٧٥%
نسبة من يشارك الأخبار العاجلة على انستغرام	٨٠%	٤٠%

المصدر: المسح الميداني عبر استبيان (٢٠٢٤)

يظهر الجدول بوضوح أن الشباب المبكر يعتمدون بشكل أكبر على وسائل التواصل الاجتماعي كمصدر رئيسي للأخبار، ويقومون بمشاركة عدد أكبر من الأخبار العاجلة يوميًا. هذا يؤكد أن تأثير الأخبار العاجلة على هذه الفئة يمر بشكل كبير عبر الفضاء الرقمي. كما أنهم أكثر استخدامًا لمنصات مثل انستغرام التي تعتمد على المحتوى المرئي، مما يتماشى مع تفضيلاتهم. وفي المقابل، يميل الشباب المتأخر إلى استخدام فيسبوك، وهم أكثر نضجًا في تعاملهم مع الأخبار، حيث أن نسبة أكبر منهم تقوم بالتحقق من المصادر قبل المشاركة.

جدول ٨: مقاييس الإحصاء الوصفي للتفاعل الرقمي للقنوات

مقياس الإحصاء الوصفي	الشرقية	الرابعة
متوسط عدد التفاعلات على الخبر العاجل في فيسبوك	٥٠٠٠	١٥٠٠٠
متوسط عدد التفاعلات على الخبر العاجل في انستغرام	٢٠٠٠	٢٥٠٠٠
متوسط عدد المرات التي يتم فيها مشاركة الخبر العاجل	٨٠٠	٣٥٠٠
معامل الارتباط بين محتوى القناة وعدد المشاركات	٠.٤٠	٠.٩٢

المصدر: تحليل البيانات الميدانية عبر نموذج الانحدار اللوجستي (٢٠٢٤)

يؤكد هذا الجدول أن الرابعة لديها حضور أقوى على انستغرام، وهي منصة مفضلة لدى الشباب المبكر، مما يفسر سبب تأثيرها الكبير على هذه الفئة. كما أن متوسط عدد التفاعلات على أخبارها العاجلة في فيسبوك وانستغرام أعلى بكثير من الشرقية، مما يشير إلى أن محتواها أكثر جاذبية للتفاعل الرقمي. كما أن نسبة مشاركة الأخبار العاجلة مباشرة من قناة الرابعة أعلى، مما يؤكد أنها تستخدم استراتيجية رقمية فعالة لتوسيع انتشار محتواها. هذا يثبت أن محتوى الرابعة أكثر ملاءمة للانتشار الرقمي السريع.(Shqair, Hadeel, ٢٠٢١)

٥) السياقات الإقليمية داخل فئة الشباب وتأثيرها على التلقي

ليس الشباب العراقي فئة متجانسة من حيث الاستجابة للأخبار العاجلة، بل يختلف تلقي الأخبار وتأثيرها على وعيهم السياسي باختلاف السياقات الإقليمية والديموغرافية داخل العراق. على سبيل المثال، يظهر التباين الجغرافي بين الشباب في المحافظات الحضرية والريفية. تشير نتائج المسح إلى أن الشباب في المناطق الحضرية، مثل بغداد، لديهم تعرض أكبر للعديد من مصادر المعلومات، مما يجعلهم أكثر قدرة على التفكير النقدي مقارنة بالشباب في المناطق الريفية الذين قد يعتمدون على مصدر واحد للمعلومة. كما أن الشباب الحضري يميلون إلى التفاعل مع القضايا السياسية التي تؤثر على حياتهم اليومية بشكل مباشر، مثل قضايا الفساد والخدمات، بينما قد يهتم الشباب الريفي بقضايا أخرى.

يلعب المستوى التعليمي والاقتصادي دورًا حاسمًا في تفسير الأخبار العاجلة. يظهر المسح أن الشباب من ذوي التعليم

العالي، الذين يمتلكون فرص عمل أفضل، هم أكثر قدرة على التمييز بين الأخبار الحقيقية والمضللة. كما أنهم يميلون إلى قراءة التقارير الإخبارية الطويلة والمفصلة، في حين يميل الشباب من ذوي التعليم الأقل إلى الاكتفاء بالعناوين والأخبار المختصرة. هذا التفاوت يؤدي إلى تشكيل وعي سياسي مختلف، حيث يكون الوعي السياسي للشباب المتعلم أكثر عمقًا وتحليلًا، في حين يكون الوعي السياسي للشباب الأقل تعليمًا أكثر تأثرًا بالمشاعر والانفعالات.

جدول ٩ : المؤشرات الكمية لتأثير السياق الجغرافي والتعليمي

المؤشر الكمي	الشباب الحضري	الشباب الريفي
نسبة الاعتماد على التلفزيون كمصدر رئيسي للأخبار	٥٥%	٧٥%
نسبة من يفضل الأخبار المختصرة	٦٠%	٨٥%
متوسط درجة التفكير النقدي (مقياس ١-١٠)	٧,٥	٥,٥
متوسط وقت مشاهدة الأخبار العاجلة (دقيقة)	٥٠	٧٠
نسبة من يشارك في فعاليات سياسية على أرض الواقع	٣٠%	١٠%

المصدر: المسح الميداني عبر استبيان (٢٠٢٤)

يوضح هذا الجدول أن هناك تباينًا كبيرًا بين الشباب في المناطق الحضرية والريفية. الشباب الريفي يعتمدون بشكل أكبر على التلفزيون، ويفضلون الأخبار المختصرة، ولديهم درجة تفكير نقدي أقل. هذا قد يعود إلى قلة المصادر المعلوماتية المتاحة لهم. في المقابل، يمتلك الشباب الحضري درجة أعلى من التفكير النقدي، ويشاركون بشكل أكبر في الفعاليات السياسية على أرض الواقع، مما يؤكد أن البيئة الجغرافية تؤثر على كيفية استهلاك الأخبار وتأثيرها على الوعي والسلوك السياسي.(Mamori, Abdullah, Rahman, ٢٠١٧)

جدول ١٠ : مقاييس الإحصاء الوصفي للتأثير حسب المستوى التعليمي

مقياس الإحصاء الوصفي	المستوى الجامعي	المستوى الثانوي فما دون
متوسط الوعي السياسي (مقياس ١-١٠)	٨,٢	٥,٩
الانحراف المعياري للوعي السياسي	١,١	٢,٥
متوسط الثقة في الأخبار العاجلة	٦,٥	٨,٠
نسبة من يقوم بالتحقق من المصدر	٦٠%	٢٠%
متوسط المشاركة في النقاشات السياسية	٧,٠	٤,٠

المصدر: تحليل البيانات الميدانية عبر نموذج الانحدار الخطي (٢٠٢٤)

يؤكد هذا الجدول أن المستوى التعليمي هو عامل حاسم في تشكيل الوعي السياسي. يظهر الشباب الجامعي وعيًا سياسيًا أعلى بشكل واضح، ولديهم قدرة أكبر على التحقق من المصادر والمشاركة في النقاشات السياسية. في المقابل، يمتلك الشباب ذوو التعليم الأقل وعيًا سياسيًا أقل، وثقة أكبر في الأخبار العاجلة، مما يشير إلى أنهم أكثر عرضة للتأثر بالمحتوى دون تحليل نقدي.

٦) العلاقة بين تلقي الأخبار العاجلة والمشاركة المدنية والسياسية

تُعد المشاركة المدنية والسياسية مؤشرًا حيويًا على تأثير الأخبار العاجلة على سلوك الشباب. تظهر الدراسة أن هناك علاقة معقدة بين الاستهلاك المكثف للأخبار العاجلة وميول الشباب للمشاركة. من جهة، قد يؤدي التعرض المستمر للأخبار السلبية إلى ما يُعرف بـ «تخدير وسائل الإعلام» (Media Narcotization)، حيث يشعر الأفراد بأنهم على دراية بالقضايا ولكنهم لا يتخذون أي إجراء حقيقي. تشير النتائج إلى أن ٤٠٪ من الشباب الذين يشاهدون الأخبار العاجلة بشكل مكثف يشعرون بالإحباط السياسي، مما يقلل من رغبتهم في المشاركة.

من جهة أخرى، يمكن للأخبار العاجلة أن تكون محفزًا للمشاركة، خاصة عندما تكون الأخبار حول قضايا تلامس حياتهم بشكل مباشر، مثل قضايا الفساد والخدمات العامة. تُظهر النتائج أن ٣٥٪ من الشباب الذين يتفاعلون عاطفيًا مع الأخبار العاجلة يميلون إلى المشاركة في الاحتجاجات أو التعبير عن آرائهم عبر الإنترنت. كما أن قناة الرابعة، من خلال أسلوبها العاطفي، نجحت في تحفيز ٢٥٪ من متابعيها على المشاركة في حملات رقمية.(Seib, ٢٠٠٨)

جدول ١١ : المؤشرات الكمية للمشاركة المدنية والسياسية

المؤشر الكمي	الفئة العمرية (١٨-٢٥)	الفئة العمرية (٢٦-٣٤)
نسبة من يشارك في فعاليات سياسية	%١٥	%٢٥
نسبة من يشارك في حملات إلكترونية	%٤٠	%٣٠
نسبة من يوقع على عرائض إلكترونية	%٣٥	%٢٠
نسبة من يشارك في مناقشات سياسية على السوشيال ميديا	%٦٠	%٤٥
نسبة من يشعر بالإحباط السياسي بسبب الأخبار المحبطة	%٥٠	%٣٥

المصدر: المسح الميداني عبر استبيان (٢٠٢٤)

يوضح هذا الجدول أن هناك تباينًا في أشكال المشاركة بين فئتي الشباب. الشباب المبكر (١٨–٢٥) يميلون بشكل أكبر إلى المشاركة الرقمية، مثل الحملات الإلكترونية والمناقشات على السوشيال ميديا، بينما يميل الشباب المتأخر (٢٦–٣٤) إلى المشاركة في الفعاليات السياسية على أرض الواقع. ومع ذلك، فإن نسبة الشعور بالإحباط السياسي أعلى لدى الشباب المبكر، مما يشير إلى أن التفاعل العاطفي قد لا يترجم دائمًا إلى مشاركة إيجابية.

جدول ١٢ : مقاييس الارتباط الإحصائي بين استهلاك الأخبار والمشاركة

العلاقة الإحصائية	معامل بيرسون (r)	القيمة الاحتمالية (p)
بين التعرض لأخبار الرابعة والمشاركة الإلكترونية	٠,٨٥	٠,٠٠٠١
بين التعرض لأخبار الشرقية والمشاركة الميدانية	٠,٥٥	٠,٠٠٨
بين الشعور بالإحباط السياسي والمشاركة	-٠,٧٠	٠,٠٠٢
بين التفكير النقدي والمشاركة	٠,٧٨	٠,٠٠١

المصدر: تحليل البيانات الميدانية عبر نموذج الانحدار اللوجستي (٢٠٢٤)

يُظهر هذا الجدول وجود علاقة ارتباط قوية وإيجابية (٠,٨٥) بين التعرض لأخبار الرابعة والمشاركة الإلكترونية، مما يثبت أن محتوى الرابعة يحفز الشباب على التفاعل الرقمي. في المقابل، فإن التعرض لأخبار الشرقية له علاقة إيجابية أقل (٠,٥٥) مع المشاركة الميدانية. وهذا يؤكد أن الأسلوب الإعلامي للقناتين يؤثر على نوع المشاركة. كما أن وجود علاقة سلبية قوية (-٠,٧٠) بين الإحباط السياسي والمشاركة، يؤكد أن الشعور باليأس يقلل من رغبة الشباب في التفاعل الإيجابي(Kraidy, Khalil, ٢٠٠٨)

٧) المناقشة والنتائج

يُظهر هذا البحث، من خلال النتائج الكمية والتحليلات الإحصائية، أن الأخبار العاجلة التلفزيونية تلعب دورًا محوريًا، وإن كان معقدًا ومتعدد الأبعاد، في تشكيل الوعي السياسي لدى الشباب العراقي. هذه العلاقة ليست خطية أو مباشرة، بل تتأثر بعوامل متداخلة مثل السمات الديموغرافية للشباب، والخصائص النوعية للمحتوى الإعلامي، وطبيعة التفاعل الرقمي. لقد كشفت الدراسة عن أن قناتي الشرقية والرابعة، على الرغم من كونهما مصدرين رئيسيين للأخبار العاجلة، تستخدمان استراتيجيات مختلفة، مما يؤدي إلى نتائج متباينة في تأثيرهما على شرائح مختلفة من الشباب.

حجم العينة ونطاق الدراسة

تمت الدراسة على مجتمع كلي يبلغ ٢٠ مليون شاب عراقي ضمن الفئة العمرية (١٨–٣٤) سنة. تم اختيار عينة عشوائية بسيطة مكونة من ٥٠٠ شاب وشابة من مختلف المحافظات العراقية، مع التركيز على المدن الرئيسية لتمثيل التنوع الديموغرافي والجغرافي. تم تقسيم العينة إلى فئتين: ٢٥٠ شابًا وشابة من فئة ١٨–٢٥ سنة، و٢٥٠ شابًا وشابة من فئة ٢٦–٣٤ سنة، لضمان مقارنة دقيقة بينهما.

النتائج الميدانية والتحليل الإحصائي

جدول ١٣ : توزيع العينة حسب الفئة العمرية

الفئة العمرية (سنة)	عدد المشاركين	النسبة المئوية (%)
١٨-٢٥	٢٥٠	٥٠%
٢٦-٣٤	٢٥٠	٥٠%
الإجمالي	٥٠٠	١٠٠%

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على الدراسة الميدانية.

يوضح الجدول توزيع العينة بالتساوي بين فئتي الشباب المبكر (١٨–٢٥ سنة) والشباب المتأخر (٢٦–٣٤ سنة). هذا التقسيم يضمن أن النتائج والمقارنات بين المجموعتين ستكون ذات دلالة إحصائية قوية، مما يسمح بفهم أعمق للفروقات في تأثير الأخبار العاجلة على كل فئة عمرية على حدة.

جدول ١٤ : متوسط درجة الوعي السياسي حسب الفئة العمرية

الفئة العمرية	متوسط درجة الوعي السياسي (من ١٠)
١٨-٢٥	٦,٥
٢٦-٣٤	٧,٨

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على الدراسة الميدانية.

يكشف هذا الجدول عن وجود فرق واضح بين فئتي الشباب. فالشباب المتأخر (٢٦–٣٤ سنة) يمتلكون وعيًا سياسيًا أعلى بمتوسط ٧,٨ من ١٠، مقارنة بالشباب المبكر (١٨–٢٥ سنة) بمتوسط ٦,٥ . يمكن تفسير هذا الفارق بزيادة الخبرة الحياتية والتعرض الأطول للأحداث السياسية، بالإضافة إلى أن هذه الفئة العمرية غالبًا ما تكون أكثر انخراطًا في الحياة العملية والاجتماعية.

جدول ١٥ : شعور الشباب بالإحباط السياسي بسبب الأخبار العاجلة

الشعور بالإحباط	الفئة العمرية ١٨-٢٥ (%)	الفئة العمرية ٢٦-٣٤ (%)
نعم	٥٠	٣٥
لا	٢٠	٣٠
إلى حد ما	٣٠	٣٥

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على الدراسة الميدانية.

يُظهر الجدول أن نصف الشباب المبكر (٥٠٪) يشعرون بالإحباط السياسي بسبب الأخبار العاجلة، وهي نسبة أعلى بكثير من تلك الموجودة لدى الشباب المتأخر (٣٥٪). هذا يمثل دليلاً قاطعًا على تأثير ما يُعرف بـ»تخدير وسائل الإعلام»، حيث يمكن أن تؤدي الأخبار السلبية المستمرة إلى حالة من اليأس وفقدان الأمل، مما يعيق المشاركة السياسية والمدنية لدى هذه الفئة.

جدول ١٦ : متوسط درجة التفكير النقدي حسب مكان السكن

مكان السكن	متوسط درجة التفكير النقدي (من ١٠)
حضري	٧,٥
ريفي	٥,٥

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على الدراسة الميدانية.

يؤكد هذا الجدول على الفروقات الديموغرافية، حيث يمتلك الشباب الحضري درجة أعلى من التفكير النقدي بمتوسط ٧,٥، مقارنة بالشباب الريفي بمتوسط ٥,٥ . يمكن أن يُعزى هذا الاختلاف إلى عدة عوامل، أبرزها الوصول الأسهل والأكثر تنوعًا لمصادر المعلومات في البيئات الحضرية، بالإضافة إلى وجود بيئات تعليمية واجتماعية تشجع على التساؤل والتحليل.

جدول ١٧ : اعتماد الشباب على وسائل التواصل الاجتماعي كمصدر للأخبار العاجلة

الفئة العمرية	يعتمد على السوشيال ميديا كمصدر أول (%)	يعتمد على السوشيال ميديا للحصول على التفاصيل (%)
١٨-٢٥	٧٥	٦٠
٢٦-٣٤	٥٠	٤٥

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على الدراسة الميدانية.

يوضح هذا الجدول بشكل لا لبس فيه أن الشباب المبكر يعتمدون بشكل أكبر على وسائل التواصل الاجتماعي كمصدر أساسي للأخبار العاجلة، سواء للحصول على الخبر الأولي (٧٥٪) أو للتفاصيل (٦٠٪). هذا الاعتماد يمثل سلاحًا ذا حدين، حيث يمنحهم سرعة في الوصول إلى المعلومات ولكنه يجعلهم أكثر عرضة للمعلومات المضللة والأخبار الكاذبة التي تنتشر بسرعة على هذه المنصات.
(Kraidy, Khalil, ٢٠٠٨)

جدول ١٨ : تأثير الأخبار العاجلة على رغبة الشباب في المشاركة السياسية

التأثير	تزيد من رغبتي (%)	تقلل من رغبتي (%)	لا تؤثر (%)
إجمالي الشباب	٤٠	٤٥	١٥

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على الدراسة الميدانية.

تُظهر النتائج أن الأخبار العاجلة تقلل من رغبة غالبية الشباب في المشاركة السياسية بنسبة ٤٥٪. هذا يؤكد أن طبيعة المحتوى السلبي والمثير للجدل، والذي يركز على الفساد والمشاكل دون تقديم حلول، يؤدي إلى شعور بالعجز والإحباط، مما يدفع الشباب إلى العزوف عن العمل العام.

الخاتمة:

في الختام، يُمكن القول إن الأخبار العاجلة التلفزيونية لها تأثير كبير على الوعي السياسي للشباب العراقي. ومع ذلك، فإن هذا التأثير معقد ويعتمد على عدة عوامل. فبينما يمكن أن تكون أداة لزيادة الوعي وتحفيز المشاركة، يمكن أن تكون أيضًا مصدرًا للإحباط والتضليل. من هنا، تأتي أهمية فهم هذه الديناميكيات لتقديم توصيات أكثر فعالية للمؤسسات الإعلامية وصناع القرار. إن الشباب العراقي هم مستقبل البلاد، وإن وعيهم السياسي يُشكل حجر الزاوية في بناء مستقبل مستقر ومزدهر. من الضروري أن تُقدم لهم المعلومات بطريقة تساعدهم على بناء رأي مستقل، وتشجعهم على المشاركة الإيجابية في الحياة العامة.

النتائج :

١. يمتلك الشباب المتأخر وعيًا سياسيًا أعلى بمتوسط ٧,٨ من ١٠ مقارنة بالشباب المبكر بمتوسط ٦,٥ من ١٠.

٢. يؤدي التعرض المستمر للأخبار السلبية إلى «تخدير وسائل الإعلام» لدى فئة من الشباب، حيث أن ٥٠٪ من الشباب المبكر يشعرون بالإحباط السياسي بسبب الأخبار العاجلة.

٣. يمتلك الشباب الحضري درجة أعلى من التفكير النقدي بمتوسط ٧,٥ من ١٠ مقارنة بالشباب الريفي بمتوسط ٥,٥ من ١٠.

٤. يظهر البحث أن ٧٥٪ من الشباب المبكر يعتمدون على السوشيال ميديا كمصدر أول للأخبار، وأن ٦٠٪ من الشباب يعتمدون عليها للحصول على تفاصيل الأخبار بعد مشاهدة الإشارة العابرة لها على التلفزيون.

المقترحات:

للمؤسسات الإعلامية:

- يجب على القنوات الإخبارية تطوير محتوى إخباري عاجل يجمع بين السرعة والمصداقية، ويقدم تحليلًا مبسطًا للخبر

لتشجيع التفكير النقدي لدى الشباب.

- يُقترح أن تستثمر القنوات الإخبارية في منصاتها الرقمية، مثل انستغرام وفيسبوك، لتقديم محتوى يتوافق مع تفضيلات الشباب، مع التركيز على المصداقية والتحقق من الأخبار.
- يجب على القنوات الإعلامية أن تقدم محتوى يثير الأمل والإيجابية، حيث أظهر البحث أن المحتوى الذي يثير اليأس يقلل من رغبة الشباب في المشاركة.

للجهات الحكومية والمؤسسات التعليمية:

- يُقترح تطوير برامج توعوية في المدارس والجامعات لتعليم الشباب كيفية التفكير النقدي وتحليل المحتوى الإعلامي، وخاصة الأخبار العاجلة.
- يجب على المؤسسات الحكومية أن تكون أكثر شفافية في تعاملها مع الأخبار العاجلة، وأن تقدم معلومات موثوقة للحد من انتشار الشائعات.

المصادر والمراجع:

المصادر والمراجع العربية

١. أيوب إبراهيم أرباب آدم، أ. د. مختار عثمان الصديق. «فاعلية فيديوهات الإنترنت في تشكيل الوعي السياسي لدى الشباب السوداني.» مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية ٤,١ (٢٠٢٣): ٧٧–١١٢.

٢. مصطفى وسام عبود. «مضامين البرامج السياسية في قناة العراقية الفضائية.» مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية ٥,٧ (٢٠٢٤): ٤٩٢–٥١٤.

٣. محسوب جاد الكريم، وأحلام. «أشكال عرض القنوات الفضائية المصرية للبرامج الاخبارية دراسة تحليلية لقناتي (mbc مصر–dmc)» مجلة كلية الآداب جامعة أسوان ١٧,١ (٢٠٢٥): ٤٣٤–٤٦٣.

٤. الحسيني رجب بلال ريحان. «استخدام الشباب الجامعي للقنوات الإخبارية العربية والموجهة ودورها في تشكيل اتجاهاتهم نحو قضايا الإرهاب.» مجلة بحوث التربية النوعية ٢٠١٧,٤٨ (٢٠١٧): ٤٤١–٤٧١.

المصادر والمراجع الأجنبية:

1. Al-Rawi, Ahmed. «The Iraqi Spring: Social Media and Political Activism.» (2024): 1–178.

2. Khalaf, Aymen. The Social Media Role in Forming Political Awareness Among Iraqi Youth. MS thesis. University of Houston, 2023.

3. Kraidy, Marwan M., and Joe F. Khalil. «Youth, media and culture in the Arab world.» International Handbook of Children, Media and Culture. Thousand Oaks, CA: Sage (2008): 336–350.

4. Mamori, MakiRessan Abdullah, and Syed Inam ur Rahman. «Role of TV Talk Shows in Creating Political Awareness among Youth.» Global Mass Communication Review 2.1 (2017): 21–43.

5. Seib, Philip. The Al Jazeera effect: How the new global media are reshaping world politics. Potomac Books, Inc., 2008.

6. Shqair, Hadeel Sameer Masoud. Aljazeera TV's role in shaping Arab political awareness (the Egyptian revolution 25 Jan–11 Feb 2011). Diss. University of York, 2021.

استمارة استبيان حول تأثير الأخبار العاجلة التلفزيونية على الوعي السياسي للشباب العراقي

عزيزي المشارك:

أهلاً بك في هذا الاستبيان. نحن طلبة دراسات عليا في قسم الإعلام، ونقوم ببحث حول تأثير الأخبار العاجلة التلفزيونية على الوعي السياسي للشباب العراقي. تهدف هذه الاستمارة إلى جمع معلومات حول عاداتك الإعلامية وآرائك حول المحتوى الإخباري. إن إجاباتك الصريحة والدقيقة ستكون ذات قيمة عالية في إثراء هذا البحث. يرجى العلم أن جميع إجاباتك ستعامل بسرية تامة، وسيتم استخدامها لأغراض البحث العلمي فقط.

الجزء الأول: البيانات الشخصية

رقم السؤال	السؤال	الخيارات المتاحة			
1	العمر:	18-25سنة	26-34سنة		
2	الجنس:	ذكر،	أنثى		
3	المستوى التعليمي:	ثانوي فما دون	جامعي (بكالوريوس)	دراسات عليا	
4	الحالة العملية:	طالب،	موظف	عاطل عن العمل	صاحب عمل حر
5	مكان السكن:	مدينة (حضري)	ريف		

الجزء الثاني: العادات الإعلامية والآراء

رقم السؤال	السؤال	الخيارات المتاحة				
6	كم ساعة تقضيها في مشاهدة الأخبار العاجلة التلفزيونية يوميًا؟	أقل من ٣٠ دقيقة،	٣٠-٦٠ دقيقة،	أكثر من ٦٠ دقيقة		
7	من أي القنوات التالية تتابع الأخبار العاجلة بشكل أساسي؟	قناة الشرقية،	قناة الرابعة،	قنوات أخرى	لا أتابع	الأخبار العاجلة
8	ما هي الأسباب الرئيسية لمتابعتك للأخبار العاجلة؟ (يمكن اختيار أكثر من خيار)	لمعرفة آخر التطورات	لإثارة اهتمامي	بسرعة للتحقق من الأخبار	للتسلية	
9	ما هي الوسيلة التي تعتمد عليها بشكل أساسي للحصول على الأخبار العاجلة؟	التلفزيون	مواقع وسائل التواصل الاجتماعي	إخبارية	أصدقاء أو عائلة	
10	إلى أي مدى تثق في مصداقية الأخبار العاجلة التي تقدمها القنوات التالية؟	قناة الشرقية: (لا أثق مطلقًا ١-٢-٣-٤-٥ أثق تمامًا) قناة الرابعة: (لا أثق مطلقًا ١-٢-٣-٤-٥ أثق تمامًا)				
11	إلى أي مدى تؤثر الأخبار العاجلة على مشاعرك؟	تثير الغضب: (لا تؤثر ١-٢-٣-٤-٥ تؤثر كثيرًا) تثير الأمل: (لا تؤثر ١-٢-٣-٤-٥ تؤثر كثيرًا) تثير اليأس: (لا تؤثر ١-٢-٣-٤-٥ تؤثر كثيرًا) تجعلك على دراية: (لا تؤثر ١-٢-٣-٤-٥ تؤثر كثيرًا)				
12	هل تعتقد أن الأخبار العاجلة تساهم في زيادة وعيك السياسي؟	نعم،	لا	إلى حد ما		
13	هل تقوم بالتحقق من الأخبار العاجلة التي تشاهدها عبر التلفزيون؟	نعم،	لا	دائمًا،	أحيانًا،	أثق في المصدر
14	هل قمت بالمشاركة في أي نشاط سياسي أو مدني نتيجة لتأثرك بخبر عاجل؟	المشاركة في مظاهرات،	التوقيع على عرائض،	في مناقشات	نشر محتوى سياسي	لم أشارك في أي شيء
15	إلى أي مدى تؤثر الأخبار العاجلة على رغبتك في المشاركة السياسية على أرض الواقع؟	تزيد من رغبتي	تقلل من رغبتي	لا تؤثر		

شكرًا جزيلاً لك على وقتك الثمين وتعاونك معنا.



السنة الثالثة جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م

محاولة ناظم كزار الانقلابية الاسباب والدوافع والنتائج المتمخضة عنها في ضوء وثائق وزارة الخارجية الامريكية تموز ١٩٧٣

م. م. علي عبد الخضر جبار علي
وزارة التربية/المديرية العامة للتربية في محافظة بابل



المستخلص:
لم تكن الولايات المتحدة الامريكية بعيدة عن الاحداث السياسية التي تجري في العراق منذ أن تخلت بريطانيا عن دورها الريادي في التحكم بمصير العراق سياسياً واقتصادياً ، بل وحتى اجتماعياً ، فقد اعطت هذا الدور الى حليفتها الولايات المتحدة الامريكية ، منذ نجاح التغيير الذي حدث في العراق في الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ ، فأصبح هي المتحكم الوحيد في مصير العراق ، لذلك فقد وجهت الكثير من امكانياتها وقدراتها للاطلاع على ما يجري في العراق وغيره من دول المنطقة ،وكانت وزارة الخارجية الاداة الاكثر فاعلية بالنسبة للحكومات الامريكية المتعاقبة في معرفة ما يجري في العراق، وأشارت تلك التقارير الى اهم القضايا الخطيرة التي طغت على الساحة السياسية العراقية خلال نهاية عقد الستينات وبداية عقد السبعينات الا وهي الاحداث التي هيأت لقيام بعض الضباط الكبار في المؤسسة العسكرية القيام بالانقلابات العسكرية ، الهدف منها هم تغيير نظام الحكم ،وغالباً ماكانت تلك الانقلابات مصيرها الفشل ، وكان من ضمن تلك الانقلابات انقلاب ناظم كزار في تموز ١٩٧٣ .

الكلمات المفتاحية: تاريخ العراق، الاحداث،المؤامرات،التناحرات .

Abstract:
The United States has not been far removed from the political events taking place in Iraq since Britain relinquished its leading role in controlling Iraq›s political, economic, and even social destiny. It handed this role to its ally, the United States, since the successful change that took place in Iraq on July 14, 1958. This role became the sole controller of Iraq›s fate. Therefore, it directed much of its resources and capabilities to monitoring developments in Iraq and other countries in the region. The State Department was the most effective tool for successive American governments in understanding what was happening in Iraq. These reports pointed to the most important and serious issues that dominated the Iraqi political scene during the late 1960s and early 1970s: the events that paved the way for some senior officers in the military establishment to launch military coups, the goal of which was to change the regime. These coups were often doomed to failure, including Nazim Kazar›s coup in July 1973.

Keywords: History of Iraq, events, conspiracies, conflicts.

المقدمة:

عندما نقف على ابواب تاريخ العراق السياسي المعاصر لا يكاد هذا التأريخ وخاصة بعد أفول نجم العهد الملكي في العراق الذي استمر لأكثر من ثلاثة عقود (١٩٢١–١٩٥٨) أن يخلو من الاحداث والمؤامرات والتناحرات والمحاولات العسكرية الانقلابية التي عصفت بالساحة السياسية العراقية، والذي ذهب ضحيتها الكثير من كبار ضباط المؤسسة العسكرية ، ولعل نهاية عقد الخمسينات وعقد الستينات واستمراراً لبداية عقد السبعينات شهدت الساحة السياسية العراقية في تلك المرحلة الكثير من تلك الانقلابات العسكرية والتي غيرت مجرى هذا التاريخ ، ومن هذا المنطلق فقد سلط هذا البحث الضوء على (محاولة ناظم كزار الانقلابية الاسباب والدوافع والنتائج المتمخضة عنها ضوء وثائق وزارة الخارجية الامريكية تموز ١٩٧٣) لدراسة واحدة من الانقلابات العسكرية الفاشلة التي ارادت قلب نظام الحكم البعثي ، وعلى الرغم من بعض الدراسات الاكاديمية التي تناولت هذا الموضوع الا انها قد اغفلت جانباً مهماً منه الا

وهو وجهة نظر الولايات المتحدة الامريكية ، والذي بينته عن طريق وزارة خارجيتها التي تناولت هذا الموضوع في وثائقها التي نشرت بعد وقوع هذا الانقلاب بعشرات السنين ، ومن هنا فقد ركزنا على ما جاء في تلك الوثائق من معلومات وتحليلات تناولت جوانب مهمة من ذلك الحدث

فرضت طبيعة البحث ان تكون دراسته وفق المعطيات الآتية ان المبحث الاول والذي وقع تحت العنوان الظروف الموضوعية التي هيأت لانقلاب ناظم كزار ١٩٧٣ ، فقد بين هذا المبحث طبيعة الظروف السياسية التي مر بها الداخل العراقي من رغبة بعض الاطراف في السيطرة والاستيلاء على السلطة ، وجاء المبحث الثاني ليسلط الضوء على موضوع الاعداد وتنفيذ خطة الانقلاب في الاول من تموز ١٩٧٣ ، فقد كانت الخطة الموضوعة تقتضي بانه بعد عودة الرئيس العراقي احمد حسن البكر من زيارته الى بولونيا سيتم اغتياله ومن معه من قيادات حزب البعث الذين سيطروا على سلم الهرم الرئاسي في الدولة العراقية ، اما بالنسبة الى المبحث الثالث ليناقش قضية كشف عملية الانقلاب والاعتقال ومن ثم تنفيذ حكم الاعدام بالمنفذين في تموز ١٩٧٣ .

المبحث الاول :

الظروف الموضوعية التي هيأت لانقلاب ناظم كزار ١٩٧٣ .

تكاد الظروف السياسية الداخلية ان تجزم بأن معظم الانقلابات العسكرية التي حدثت في العراق منذ نهاية الخمسينات الى نهاية الستينات كانت مُهيئة من قبل المعارضة للحكومـــة العراقية حتى عودة البعث دكة الحكم مرة اخرى بتاريخ الثلاثين من تموز عام ١٩٦٨ ليعمل على الحد منها بصورة لابأس بها ، الا انه فشل في القضاء عليها بشكل نهائي وذلك يعزى الى (التمرد الذي تبناه كبار الضباط العراقيين وميلهم الى الانقلاب) (١) .

وفي هذا الصدد ذكرت الوثائق الامريكي ما نصه :» لقد خيب حزب البعث في العراق الآمال المبكرة في أن يكون حكمه أفضل من حكم حكومة عارف التي أطاح بها في تموز ١٩٦٨ ، وخلال الأشهر السبعة التي قضاها في السلطة، فَقَدَ البعثيون مصداقيتهم بسبب قيادتهم غير الكفؤة، والانقسامات الحزبية، والازدواجية، والقمع ، وفي إطار جهودهم لتوسيع سيطرتهم على الجيش العراقي، استبدل البعثيون العديد من كبار قيادات الضباط في الجيش العراقي ، الأمر الذي أثار استياء الضباط الآخرين غير المنتمين الى الحزب ، ويظل التهديد قائماً بردود الفعل العسكرية التي قد تضع حداً لنظام البعث الذي حكم العراق في عام ١٩٦٣ . وقد تميز الوضع الأمني الداخلي المتدهور بتقارير عن محاولات الانقلاب والاعتقالات التعسفية والأعمال الإرهابية العشوائية التي ترتكبها عصابات الأمن البعثية، والتي يبدو أنها تعمل في كثير من الأحيان وفقاً لسلطاتها الخاصة»(٢) .

ومن جهة اخرى لم تتوانَ الحكومة العراقية من ان تمارس عمليات التطهير وإعادة ترتيب أوراق الموظفين العسكريين والمدنيين في مواقعهم الحساسة في الدولة العراقية وبشكل مستمر كان الهدف منها هو تثبيت استقرار النظام وتعزيز الدعم اللوجستي للبكر وصدام ، ومع ذلك فقد كانت الشائعات المستمرة حول المؤامرات والتكتيكات القمعية التي استخدمها النظام وأدت إلى تحييَدْ العديد من المعتدلين السياسيين وإخافتهم ومن ثم اقصاءهم او تصفيتهم (٣) ، ونتيجة طبيعية لما كان يمر به حزب البعث من ما سمي بأزمة الثقة بين اعضائه وظهر ذلك بصورة جَلية عندما تسلم اللواء ناظم كزار (٤) مدير الامن العام في العراق عام ١٩٦٩(٥) .

وفي هذا الصدد ذكر صلاح عمر العلي ما نصه :« عندما عين ناظم كزار مدير للأمن العام، واجه هذا التعيين رفض واحتجاج لدى كافة قادة الحزب، الأمر الذي أجبر صدام حسين على عقد ندوة لكادر الحزب المتقدم، لغرض فقط إقناعهم بمبررات تعيين ناظم كزار في هذه الدائرة، وكنت حاضر أنا في هذه الندوة وعندما عقدت الندوة، كافة أعضاء الحزب القياديين اعترضوا بشدة وهددوا بالانسحاب من الحزب وترك الحزب إذا أصريتم على بقاء ناظم كزار في الأمن العام، صدام حسين أخذ الحديث وأقنعهم بطريقة براجماتية يعني عجيبة، تحدث معهم، قال لهم: نعم أنا كل ما حكيتوه عن ناظم كزار أنا مؤمن به، وأنا أعرفه، لكن الآن إحنا بين إيدينا دولة، هذه الدولة فيها دوائر، دوائر فيها اختصاصات،

لدينا دائرة اسمها الأمن، الأمن يجب أن نختار شخص يحمل مؤهلات»(٦) ، وأضاف قائلاً :» مؤهلات قادرة على إدارة هذه الدائرة وتنفيذ واجباتها، فهل ترون هناك شخص أكفأ من هذا ناظم كزار الذي يحمل عقل أشبه بالكمبيوتر؟ وهذا الإنسان الذي يعرف كل من يعارض الحزب وكل المنتمين للأحزاب الأخرى يفهمهم واحد واحد، تريدون من عندنا نجيب عبد الخالق السامرائي أو صلاح عمر العلي نحطه مدير أمن؟ ناظم كزار شخص مؤهل لهذا العمل فإذن عليكم أن تفهموا هذا البعد الآن إحنا مو في إطار عملنا الحزبي فقط أمامنا دولة، فطبعا بوقتها قبلوا الناس على مضض»(٧).

الا ان بعض المصادر أشارت الى ان ترشيحه لهذا المنصب جاء من قبل احمد حسن البكر وهذا ما ذكره حامد علوان الجبوري عندما قال :«... يجب ان يكون اختيار الشخص المؤهل لتلك المهمة يحمل المواصفات التي تؤهله لتلك المهمة على اكمل وجه ، ومن بين المؤهلات أن يكون الشخص المرشح لهذه المهمة على درجة عالية من الذكاء ويعرف كل كبيرة وصغيرة عن جميع الأحزاب والتنظيمات في العراق والدول المجاورة ويعرف أسلوب عملها وأسماء المنتمين إليها « كان يقال عنه بأن دماغه كالكومبيوتر وكان يعرف كيف يعمل على تحجيم وتفتيت التيارات السياسية المناوئة, والقضاء على المؤامرات والدسائس، وأن يتحلى بالنزاهة المطلقة فلا يقع تحت مغريات المال والجنس التي قد يتم عرضها عليه من قبل المناوئين سواء بالداخل أو الخارج، وأن يكون عنده نكران ذات وأن يعمل ليلاً ونهاراً دون ملل أو كلل وأن يكون على قدر كبير من الشجاعة وأن لا يقبل الوساطة مهما كان مصدرها ... إلخ, وبعد غربلة الأسماء المقترحة انطبقت تلك المواصفات بأجمعها على ناظم فوقع الإختيار عليه وتم تكليفه بالقيام بمهام مدير الأمن العام ، علما بأن ترشيحه لذلك المنصب كان من قبل الرئيس أحمد حسن البكر وليس كما أشيع عنه بأن صـــدام كان وراء ترشيحه الى ذلك المنصب, في الوقت الذي طلب فيه أحمد حسن البكر اصدار قرار بذلك الخصوص»(٨).

وأكد إحسان وفيق السامرائي ذلك بقوله :»... أن البكر هو من أصدر أمر التعيين رغما عن صدام حسين، كما أن هنالك من يقول أن عبد الخالق السامرائي الذي كان مسؤولاً عن الأمن الوطني هو من قام بترشيحه لم يكن ناظم ساعيا وراء المناصب ولم تكن المناصب تشغل باله ولم تكن تعني له أي شيء, فهو كان كادراً حزبياً ومسؤولاً عن تنظيمات الاتحاد الوطني لطلبة العراق ولكون ناظم منضبطاً حزبياً فقد قبل التكليف « وتحمل كل تبعاته «, فقد كان السبب وراء ذلك هو لتثبيت الحكم الجديد تجاه القوى من شتى الصنوف التي تتربص الفرص للقيام بالإنقلابات عليه والتي ابتدأ الإعداد والتنفيذ لها منذ الأيام الأولى لإستلام البعثيين للحكم، ولولا وجود ناظم لسقط النظام بعد أشهر من إستلامه للحكم والجميع يعترف بذلك(٩).

ومن جانب آخر إستمر أعضاء الحزب داخل المنظومة السياسية في الدولة العراقية بالمطالبة بتأميم الصناعة الوطنية وخاصة النفطية منها (١٠)، وإجراء إصلاحات اقتصادية واجتماعية جذرية، في نهاية تشرين الاول عام ١٩٧١، قبل اشهر من انقلاب الكزار، تبنت حكومة البعث تكتيكًا مختلفًا لتعزيز الدعم للنظام وتثبيت استقراره ، أعلن الرئيس بكر في الخامس عشر من تشرين الثاني عن «فرصة تاريخية للقوى الوطنية التقدمية في البلاد بإعلانه ما سيمي بميثاق العمل الوطني (١١)، وقد تضمن الميثاق «كل الحريات الديمقراطية للشعب»، وتأسيس جمعية وطنية ودستور دائم يتم الموافقة عليه من خلال استفتاء عام، والأمر الأكثر أهمية هو أنها دعت إلى تحالف بين والحزب الشيوعي والحزب الديمقراطي الكردستاني باعتبارهما «حجر الأساس للائتلاف الوطني»، ولكن الحزب الشيوعي والحزب الديمقراطي الكردستاني لم يبديا استعدادهما للاشتراك في هذا الميثاق أو الانضمام إلى حكومة جبهة وطنية (١٢).

نستنتج مما سبق إن القرار الأخير الذي اتخذه حزب البعث بالانضمام إلى الحزب الشيوعي في «جبهة وطنية»، وهو التطور الذي سعت إليه أغلبية الشيوعيين منذ فترة طويلة. يشير مرة أخرى إلى الافتقار إلى القضايا الخلافية الرئيسية بين المجموعتين. وما دام حزب البعث ظل موالياً للاتحاد السوفييتي ويواصل شن حملة «مناهضة للإمبريالية»، فمن المرجح أن يقدم الشيوعيون دعمهم العلني، والواقع أن الخط الشيوعي فيما يتصل باستراتيجية الولايات المتحدة في الشرق الأوسط يتطابق مع آراء حزب البعث. إن الحزب الشيوعي العراقي أراد ان يضغط على النظام من أجل تحسين الظروف المعيشية

الداخلية، وزيادة التعاون الاقتصادي والثقافي مع الكتلة الاشتراكية، واتخاذ تدابير حاسمة ضد العناصر الرجعية المحلية، والدعوة إلى سياسة أكثر قوة في مكافحة «الإمبريالية والصهيونية والرجعية» وحل القضية الكردية على أساس الحكم الذاتي، ولكن الخلافات مع الحكومة بشأن هذه القضايا تعلقت بالكيفية وليس بالمبدأ.

المبحث الثاني :

الإعداد وتنفيذ خطة الانقلاب في الاول من تموز ١٩٧٣ .

في الوقت الذي كان فيه احمد حسن البكر خارج العراق وفي زيارة رسمية الى بولونيا اقتنص ناظم كزار هذه الفرصة وبنى عليها خطته التي تكونت من ثلاثة محاور: المحور الأول وهو أن تقوم مجاميع من رجال الأمن التابعين الى ناظم كزار والمنتشرين في فضاءات وعلى سطوح أبنية مطار بغداد، حين عودة الرئيس احمد حسن البكر من زيارته بولونيا في ثلاثين من حزيران ١٩٧٣ ، وحال نزول البكر من سلم الطائرة ومعانقته لصدام تقوم هذه المجاميع بإطلاق النار الكثيف من جميع الجهات عليهما والتأكد التام من قتلهما ، والمحور الثاني هو أن يتم اعتقال سعدون غيدان وزير الداخلية وحماد شهاب وزير الدفاع باعتبارهما رهينتين يمكن التفاوض عليهما في حالة فشل العملية ، اما بالنسبة الى المحور الثالث فتحدد بانه بعد تنفيذ المحورين ونجاحهما تتوجه مجموعة من زمرة كزار الى دار الإذاعة العراقية لإذاعة بيان مهم صادر من مجلس قيادة الثورة ، يكشف عن حصول مؤامرة على الحزب والثورة قام بها وزيرا الدفاع والداخلية وقد تم القضاء عليهما، وان الحزب ما زال يسيطر على دفة الحكم وان الحكومة قد أعدمتهما، وقد اختارت قيادة الحزب عبد الخالق السامرائي القيادة الحزب والدولة (١٣) .

قبل ساعات من عودة البكر والطائرة الرئاسية كانت في طريق عودتها الى بغداد لم يكن احد يدور في خلده ما سيحدث بالضبط واي الشخصيات التي يجب قتلها هم اشخاص معدودين بعينهم ومنهم : ناظم كزار نفسه والنقيب لطيف رشيد : مدير المعمل السري في الامن العام ، ملازم امن محمد مطر أمر مفرزة القنص ، ومفرزة مكونة من مجموعة من القناصين الذين اعطيت لهم الاوامر بتنفيذ عملية الاغتيال (١٤).

توجهت المفرزة وصعدت الى اعلى مبنى المطار لتوفير وتأمين الحماية للاستقبال البكر كما هو متعارف عليه، إذكان جهاز الأمن هو المسؤول عن عملية توفير عملية الامن لاستقبال الضيوف رفيعي المستوى من رؤساء دول وغيرهم ، ومن هنا فقد أمسك عناصر المفرزة بأماكنهم في المطار (١٥) .

ولتطبيق المحور الثاني من الخطة التي وضعها ناظم كزار ، على اعتبار انه الرئيس المباشر حزبياً لوزير الداخلية آنذاك المدعو سعدون غيدان ، فضلاً عن وزير الدفاع آنذاك حماد شهاب التكريتي ، والعقيد الركن عدنان شريف عضو المكتب العسكري ومنذر المطلبي زوج ابنة البكر وسكرتيره الخاص (١٦) ، وأعد الخطة لذلك وجاءت الفرصة حينما كان الجميع في مطار بغداد الدولي بانتظار عودة البكر من زيارة الى بولونيا وبلغاريا وقد احكم ناظم كزار خطته بعد استدراج سعدون غيدان وحمادي شهاب وفعلا حضر الوزيران الى مبنى الأمن العام (طبعا كل منهما بشكل منفصل عن الثاني) (١٧) مع مجموعة من المسؤولين العسكريين والامنيين بحجة افتتاح مبنى جديد تابع المديرية الامن العام في منطقة الفضيلية ببغداد (١٨)، وقال لهم :» أود ان تزوروا دائرة جديدة تابعة للأمن العامة مزودة بتكنلوجيا حديثة واريدكم ان تطلعوا عليها»(١٩). ليقوم باعتقالهم واحتجازهم جميعاً (٢٠).

والامر الذي أفشل مخطط الانقلاب وعدم تنفيذ الخطة هو ان التلفزيون الرسمي العراقي قطع برنامج استقبال الرئيس البكر وأعلن عن تأجيل بث الاستقبال الذي كان من المقرر له ان يكون في الساعة السادسة مساء يوم السبت آنذاك، وعادت القناة التلفزيونية الرسمية الى برامجها العادية (٢١)، وقد وضع ناظم كزار في حساباته بان يقوم التلفزيون ينقل عملية الانقلاب بصورة مباشرة ، ومن ثم يقوم باعتقال الاشخاص الذين عدهم متآمرين على مسيرة الحزب ومنجزات الثورة، ويشكل محكمة عسكرية وبعدها تصدر هذه المحكمة احكامها بالإعدام ،بعدها تقوم المحكمة باصدار احاكمها ما بين السجن والطرد للأشخاص الذين يشك بولائهم ، من الحزب والحكومة ، وبعدها يعلن عن تشكيل حكومة

عراقية جديدة، الا ان الطائرة المعدة لعودة احمد حسن البكر الى بغداد قد تأخرت عن اليوم المحدد للعودة والسبب في ذلك يعود الى قيام الرئيس البلغاري تودور جيفكوف (٢٢) «حسب رواية الحزب» بتأخير عودته لرداءة الاحوال الجوية، فقضى ليلته في مدينة (فارنا) البلغارية على ان يعود في اليوم التالي (٢٣) .

وصل صدام مع أعضاء القيادتين القومية والقطرية والوزراء والمدعوين الآخرين صالة الانتظار في المطار لاستقبال طائرة رئيس الجمهورية، وفي تلك اللحظة افتقد صدام الوزيرين (شهاب وغيدان) وحين سأل عنهما وعن سبب عدم حضورهما، لم يجد الإجابة المقنعة.. وفي سرعة خاطفة اتصل صدام بأحمد حسن البكر شخصياً وطلب منه عدم النزول في مطار بغداد، وانسحب صدام من المطار تحت حراسة شديدة مكثفة وانفض حضور المستقبلين،وألغيت مراسيم الاستقبال بشكل لافت، ما دعا زمرة كزار إلى القلق والخوف والتشتت بسبب عدم وجود القيادة الميدانية التي تضع البدائل للاحتمالات وانقطاع الاتصال مع الرأس المدبر .. الذي كان بعيداً عن تفاصيل الحدث، وبقي يشاهد التلفاز من سيارته المدرعة ، وحين شعر كزار بالإحباط والفشل قاد موكبه المكون من عدة آليات مسلحة تحتوي على قنابل ومتفجرات ومعاونين له مع الرهينتين من بغداد الى الكوت ثم الى زرباطية في محاولة للهرب إلى إيران، لكن موكبه واجه عدة مصاعب وعقبات حين اصدر صدام أوامره إلى الجهاز الحزبي في الكوت وجميع المحافظات العراقية الأخرى والى قواطع الجيش الشعبي بملاحقة كزار وزمرته وإلقاء القبض عليهم، وكان للطائرات المروحية دور كبير في إعاقة تقدم الموكب في منطقة زرباطية الحدودية (٢٤)، وقد حاول وزير الدفاع حماد شهاب التملص أو الهرب من وثاقه، لكنه لم يفلح عندما أطلق عليه الرصاص من جهة مجهولة وقتل في الحال ، أما وزير الداخلية سعدون غيدان الذي حاول هو الآخر الهروب بعد فك وثاقه، فقد أصيب بانطلاقات في كتفه وظل هامداً على الأرض فاعتقد كزار انه لقي حتفه (٢٥)، وبسبب عدم مقدرة كزار على المقاومة لكثافة سلاح المروحيات ثم تطويق كزار وجماعته وقد جرح كزار قبل اعتقالهم، ونقلت الطائرات كزار وجماعته إلى بغداد وبالتحديد الى قصر النهاية(٢٦)، حيث احتجز في نفس مكتبة هناك أما الآخرون فتم حجزهم في موقع آخر من القصر، و تجمع حول كزار عدد من قيادة البعث منهم عزة الدوري.. وطه ياسين رمضان (الجزراوي) ونعيم حداد.. وغانم عبد الجليل ومحمد محجوب، في البداية بصق طه الجزراوي في وجه كزار ورفسه على صدره.. وانهال أعضاء القيادة بضرب كزار بأقدامهم... وهو ملقى على الأرض وينزف بشدة.. فتح كزار عينيه وقال لهم: (تعرفون من أنا.. وتعرفون جهودي في حماية الحزب والثورة.. وتعرفون صلتي الوثيقة بالرفيق صدام... وأنا لم أخطئ ولم أخن... وقبل أن يواصل كلامه هجم عليه سعدون شاكر وبرزان التكريتي يضربانه على وجهه ورأسه بأقدامهما ويحاولان إسكاته.. إلى أن خيل للجميع إن كزار لفظ أنفاسه الأخيرة.. لكنه فجأة فتح عينيه وقال: (لقد عرفت كل شيء عن صدام إلا شيئاً واحداً.. وهو الجهة التي تقف وراءه) (٢٧).

وجاء في مذكرات هاشم جواد ما نصه :«.....ووفقاً لرواية الناطق الرسمي، فأن كزار كان يراقب ما يحدث في المطار، من خلال شاشة التليفزيون، غير أن تأخر طائرة البكر وانتقال التلفزيون إلى موقع تخرج طلبة الجامعة قد «أفزع» المتآمرين فولوا الأدبار. ونتيجة لذلك فقد أصاب الذعر والهلع كزار فحاول الفرار مع مجموعته باتجاه الحدود الإيرانية عن طريق منفذ زرباطية، غير أن أجهزة الحزب والثورة قد ألقت القبض عليه بعد أن تمكن من قتل وزير الدفاع وإصابة وزير الداخلية في يده ، وبالرغم من هذه التوضيحات الرسمية، إلا أن الشائعات قد نحت منحى آخر (٢٨) .

ومن جانب آخر قال حامد الجبوري :» ان محاولة الانقلاب التي حدثت في حزيران عام ١٩٧٣ كان المخطط لها هو جهاز المخابرات الروسي (الكي جي بي) وهو من ساعد ناظم كزار على القيام بها»(٢٩).

وبخصوص هذا الموضوع ذكر هاشم جواد في مذكراته ما نصه :» ....هناك من يذكر أن عملية الانقلاب العسكرية هذه كان المخطط لها صدام حسين للاستيلاء على السلطة بعد القضاء على الرئيس البكر (٣٠) لكن كثيرين لم يقتنعوا بمثل هذا القول، وان كان الاعتقاد يتجه إلى أن حركة كزار هي مؤامرة فعلية للقضاء على البكر وصدام بعدما بات متأكداً انهما يسعيان لتقليص دور الحزب عقائديا والتركيز على الحكم الفردي المطلق ، ومع مصداقية هذا الاعتقاد، إلا

أن كزار نفسه لم يكن يمثل البديل المناسب، نظراً لسجله الشخصي المعروف بالعنف والدموية والتسلط المطلق في قضايا التحقيق والاعتقال (٣١).

المبحث الثالث :

كشف عملية الانقلاب والاعتقال .

أن طريقة الاعتقال والتحقيق والقتل الفوري لناظم كزار جعلت البعض يضع لصدام دورا في المحاولة قائلا انه من طالب البكر بالتأخر عن العودة لوجود خطر على حياته لمعرفته المسبقة بتطوراتها، فصاغ سيناريو دفع ناظم كزار الى الهروب، وما نقل عن تدخل الرئيس البلغاري لتأخير العودة. كان من ضمن السيناريو الذي وضعه صدام بعناية ، ليتخلص من كزار والوزراء المذكورين، ويسيطر على البكر باعتباره منقذا له لكن هذا القول لم تثبت صحته عمليا، لان كزار وما نتج عن مواقفه وآراءه التي سبقت المحاولة تعطي مؤشرات عن انزعاج له من (تكرتة) الدولة اي اقرباء البكر وصدام وسيطرتهم على مفاصل الدولة المهمة (٣٢)، وهذا ما أكده فاضل العزاوي عندما ذكر في مقابلة تلفزيونية ما نصه :» ان العشائرية كان لها دوراً كبيراً في نظام حكم حزب البعث في بداية تسلمه للحكم وان قضية الولاء كانت قبل قضية الكفاء وخاصةً في الوزارات والمناصب العليا وفي اجهزة المخابرات والاستخبارات وفي الاجهزة التنفيذية وفي الحمايات الخاصة»(٣٣) .

وفي هذا السياق ذكر السيد شوكت خزندار (٣٤) :

«.....كان احد اعضاء مكتب منطقة الوسط للحزب الشيوعي استلموا تقريراً من صديق مقرب للحزب ورد فيه، أن احد اشقاء الكادر الحزبي ويدعى فلاح الكردي(٣٥) من أهالي السليمانية، المتزوج الشقيقة ناظم كزار، كان قد أفشي كلاماً عن كزار قبل المحاولة، نصه «هذا ليس بحكم حزب البعث، انه حكم عشيرة وبالأخص حكم عائلة ... يسموني أنا شيعي وشروكي، والله لن اجعل تكريتي يعيش حتى لو كان في آخر الدنيا، وارض تكريت لن تعيش فيها حتى الحشرات مدى الدهر» (٣٦).

وبتاريخ في الثاني من تموز شكل مجلس قيادة الثورة محكمة خاصة للتحقيق وقد تألفت من عزة الدوري(٣٧) رئيسا وعضوية طاهر احمد امين وخليل العزاوي .

جرى التحقيق مع ناظم كزار وجماعته في مقر الفوج حرس جمهوري في «أم العظام»(٣٨) من قبل سعدون غيدان ايضا شخصياً ، ومرة واحدة بحضور صدام حسين وبرزان التكريتي (٣٩) ، ومما ذكره ناظم كزار في محضر افادته انه قام بهذا العمل لخدمة البعث بعد ان انحرف عن منهجه واصبح بعثياً عشائرياً وتكريتياً وقبلياً (٤٠) .

وبعد خمسة ايام من مداولات المحكمة وجلساتها (٤١) اي في السابع من تموز عام ١٩٧٣ (٤٢) صدرت احكام الاعدام بالمتهمين ، وتم اعدام الوجبة الأولى من الانقلابين والبالغ عددهم (٣٣) شخصاً (٤٣) وفي مقدمتهم ناظم كزار (٤٤)، وضابطين برتبة ملازم و(سبعة) (٤٥) من مفوضين الأمن و(ستة) عرفاء ونواب عرفاء(٤٦) .

وفي يوم تنفيذ حكم الاعدام تم رصفهم على أعمدة التنفيذ (رمياً بالرصاص) ، واثناء التنفيذ كان مفوض الامن المدعو (اسماعيل سواح السامرائي) وكان مرافقاً لناظم كزار قد بدأ بالبكاء والصراخ مردداً انه لا يعلم شيء عن المؤامرة ، وكان يشتم ناظم كزار ، فصرخ به وقال له اسكت جبان انتهى الامر، وبعدها رفض ان يغطى رأسه بالكيس ولكن طلبه جوبه بالرفض (٤٧).

ومما تجدر الاشارة اليه ان امر تنفيذ اعدام ناظم كزار (رمياً بالرصاص) جاء بأمر مباشر من صدام حسين الى سعدون غيدان ، وذلك لان صدام كان يعي حقيقة العداء التي كانت بين ناظم كزار وسعدون غيدان (٤٨).

وبعد يوم واحد اي في الثامن من تموز صدرت الاحكام بإعدام الوجبة الثانية وكان بضمنهم عبد الخالق السامرائي (٤٩) ومحمد فاضل وهؤلاء شاركوا بتشييع جنازة حماد شهاب في تكريت ، الا انه ألقي القبض عليهم فيما بعد بتهمة الضلوع في المؤامرة ونفذت الاحكام باستثناء عبد الخالق السامرائي الذي استبدل حكمه بالأشغال الشاقة المؤبدة بعد وساطات وتدخلات من احمد حسن البكر وبعض من اعضاء القيادة القومية ومنهم الياس فرح (٥٠) وعبد الوهاب

الكيالي (٥١).

وعلى صلة بالموضوع أدلى ناطق رسمي بتصريح لوكالة الأنباء العراقية حول حركة ناظم كزار، بتاريخ التاسع من تموز قال فيه « أن كزار قام في الثلاثين من حزيران بدعوة الفريق حماد شهاب وزير الدفاع والفريق سعدون غيدان وزير الداخلية، لزيارة أحد المراكز ذات الصلة باختصاص الوزيرين، والذي كان كزار يتولى مسؤولية الإشراف عليه، كما قام باستدراج مسؤولين آخرين إلى نفس الموقع من بينهم منذر المطلك زوج ابنة أحمد حسن البكر وسكرتيره الخاص وإن الوزيرين قد لبيا الدعوة نظرا للموقع الوظيفي الذي كان يشغله كزار، إضافة لمرتبته الحزبية الأعلى من الوزيرين. وبعد وصول أولئك إلى مكان الدعوة اعتقلهم، وقبيل الساعة السادسة، اجتمع كزار لمحمد فاضل عضو القيادة القطرية في مقر الهيئة التحقيقية الثانية، غادر بعدها إلى المكان الذي احتجز فيه الوزيرين وبقية المدعوين، أما محمد فاضل، فقد توجه إلى المطار ليكون في استقبال البكر حيث التقى بعبد الخالق السامرائي ليخبره بمؤامرة ناظم كزار»(٥٢).

في حين سلطت السفارة الامريكية في بغداد الضوء بتقرير رفعته وزارة الخارجية الامريكية في واشنطن قالت فيه :» أعلنت إذاعة بغداد في الساعة الثامنة مساءً من يوم الاول من تموز أن محاولة الانقلاب التي نفذها مدير الأمن الوطني ناظم كزار في الثلاثين من حزيران قد فشلت، وذكر البيان أن كزار وأنصاره المجهولين دعوا وزير الدفاع الفريق حماد شهاب ووزير الداخلية الفريق سعدون غيدان وآخرين إلى الغداء في الثلاثين من حزيران بقصد سجنهم ثم الاستيلاء على السلطة، فشلت الخطة وفر كزار وأنصاره نحو الحدود الإيرانية ومعهم وزيران، وتم القبض عليهم، ولكن ليس قبل أن يقتلوا شهاب ويصيبوا غيدان بجروح طفيفة. ومن المقرر أن يتم قراءة القرآن الكريم على الراديو والتلفزيون وجنازة شهاب في الساعة الثامنة من صباح يوم الاول من تموز ، واعتبارًا من الساعة الحادية عشر ليلاً من نفس اليوم ، تبدو المدينة طبيعية باستثناء حراس الأمن الكثيفين حول النقاط الاستراتيجية، وكثير منهم من ميليشيات الحزب ، وبدأت شائعات الانقلاب تنتشر في وقت مبكر من صباح يوم الاول من تموز بعد تقارير عن إطلاق نار أثناء الليل، رؤساء البعثات الدبلوماسية الذين كانوا في المطار لتوديع السفير الهولندي، ربطوا بين إطلاق النار وحقيقة أن طائرة الرئيس البكر تأخرت ساعتين دون سبب واضح، حيث وصلت في الساعة الثامنة من مساء يوم الثلاثين من حزيران ، في طريق العودة من زيارات رسمية قام بها الرئيس إلى دولتي بلغاريا وبولندا. كان الاستقبال في المطار متواضعا بشكل غير عادي ولم يكن شهاب ولا غيدان حاضرين(٥٣).

أعطت محاولة انقلاب ناظم كزار انطباعاً ورؤيا واضحة للرأي العام عن مجمل الصراعات والتناحرات التي كانت بين اعضاء الحزب في الصف الاول من قياداته ، وأوضح مثال على ذلك عندما ألقى صدام حسين بتبعات الكثير من الاحداث المتعلقة بالاعتقالات والاغتيالات السياسية لشخصيات عراقية تنتمي لمنظمات واحزاب سياسية لها ثقلها على الساحة السياسية وخاصة الحزب الديمقراطي الكردستاني والحزب الشيوعي العراقي (٥٤).

وفي تقييمها للوضع السياسي في العراق ارسلت السفارة الامريكية تقريراً مفصلاً الى وزارة الخارجية الامريكية في واشنطن بتاريخ تشرين الثاني ١٩٧٣، ونلقي الضوء على بعضاً مما جاء فيه :» في يونيو/حزيران ١٩٧٣ كان الرئيس بكر في أوروبا الشرقية يختتم سلسلة من الاتفاقيات الاقتصادية والثقافية، وفي الثلاثين من يونيو/حزيران، وهو يوم عودته المخطط لها، ألقى ناظم كزار، مدير عام الأمن العام، القبض على وزير الدفاع حماد شهاب ووزير الداخلية سعدون غيدان، وعندما فشلت الخطة لاغتيال بكر، أخذ كزار رهائنه وفر إلى الحدود الإيرانية. وقُتِل حماد شهاب ؛ وجرح غيدان ، أثناء الهروب واستسلم كزار ، ولا يُعرف إلا القليل عن الخلفية أو الدوافع أو القادة الذين قاموا بمحاولة الانقلاب، ومن الواضح أن المحاولة كانت محاولة للاستيلاء على السلطة؛ ولكن من غير الواضح من كان وراء هذه المحاولة. وربما كان صدام حسين هو الذي دبرها، فقد عين كزار، وهو شيعي، مديراً للأمن الوطني في نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٦٩، وظل كزار مؤيداً وصديقاً مقرباً له، وعلى هذا فإن الانقلاب ربما كان مقصوداً كوسيلة لتعزيز سلطة صدام على المؤسسة العسكرية من خلال القضاء على الجنرالات والبكر نفسه، أو ربما كان صدام هدفاً لمتآمرين عارضوا قوته المتنامية وموقفه من الأكراد أو الفدائيين أو الاتحاد السوفييتي. ومن المعروف أن كبار الضباط العسكريين كانوا غير راضين عن سياسات الحكومة في

التعامل مع هذه القضايا وكانوا يفضلون اتخاذ إجراءات صارمة ضد الأكراد ودعم الفدائيين. ولكن الجيش ظل موالياً للحكومة أثناء الانقلاب وأحبط المحاولة (٥٥) .

واستأنفت السفارة الامريكية تقريرها بالقول :» ..... لقد وضع كزار عدة شروط للإفراج عن سجنائه: منها إرسال الجيش العراقي إلى ساحة المعركة الفلسطينية، واستئناف العمل العسكري ضد الأكراد، وإزالة الزعماء اليمينيين من الحكومة والحزب، وإعطاء الدور المهيمن للقيادة القطرية لحزب البعث. وقد استخدم المطلبان الأخيران لتوريط عبد الخالق السامرائي، منظر الحزب ومنافس صدام، في المؤامرة، بعد فشل المحاولة أعدم كزار مع (٣٥) شخصاً آخرين ممن شارك بعملية الانقلاب ؛ وتم تخفيف حكم الإعدام الصادر بحق عبد الخالق السامرائي أولاً إلى السجن مدى الحياة، ثم إلى المنفى في الجزائر. وتم تطهير حزب البعث من أنصار السامرائي، وفي أغسطس/آب، بعد شهرين من محاولة الانقلاب، فوض بكر صدام حسين المسؤولية الكاملة عن إجراء الانتخابات الحزبية في ذلك الخريف. ومن نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٧٣ إلى فبراير/شباط ١٩٧٤، تم «تقاعد» ٢٥٠ ضابطاً عسكرياً، أي استبدالهم بضباط مؤيدين لحزب البعث، وكان معظمهم من أنصار النائب ، وكانت لمحاولة الانقلاب تداعيات سياسية بعيدة المدى أخرى. وبوفاة شهاب لم يبق من الضباط الذين قادوا ثورة ١٩٦٨ سوى البكر وسعدون غيدان. وبعد عام من الانقلاب تم تخفيض رتبة غيدان من الداخلية إلى وزير الاتصالات ، وبالتالي تم استبعاد المؤسسة العسكرية من المناصب العليا في صنع السياسات في الحكومة، وبرز صدام حسين والجناح المدني لقيادة إقليم بابل في السيطرة الكاملة على كل من الحزب والحكومة. ومع ذلك ظل البكر محور الدعم العسكري، كرد فعل محتمل على النفوذ المتزايد للخط المدني وصدام حسين في كادر حزب البعث، بالإضافة إلى ذلك، تولى الرئيس احمد حسن البكر الآن منصب وزير الدفاع بينما أصدر مجلس قيادة الثورة قراراً يقضي بأن تكون قرارات رئيس الجمهورية ووزير الدفاع نهائية، أعيد تنظيم مجلس الوزراء بعد عام من الانقلاب ، مع إعطائه المسؤوليات المالية والإدارية، وأضاف إليه العديد من أعضاء القيادة الإقليمية. وبحلول تشرين الثاني ١٩٧٤ كان أعضاء مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء باستثناءات قليلة من البعثيين (٥٦) .

الخاتمة:

نستنتج مما سبق ان الولايات المتحدة الامريكية لم تكن غافلةً عن مجريات الاحداث السياسية والعسكرية بل حتى الاجتماعية ليس في بلدان دول العالم الثالث او الدول الاوربية والامريكية الجنوبية ، ولعل وزارة الخارجية الامريكية وبما تمتلكه من امكانيات كبيرة في توثيق ما تريد توثيقه في تلك الدول على اعتبار انها واحدة من الاذرع المخابراتية التي اعتمدت عليها الحكومات الامريكية المتعاقبة في تقييمها لعلاقاتها مع تلك الدول ، وخرجت تلك الوثائق في تقييمها للحكومة العراقية اثناء تعاملها مع انقلاب ناظم كزار في تموز عام ١٩٧٣ ، وبينت الآتي على الرغم من امكانياتها الامنية والاستخباراتية لم تتمكن من معرفة العملية ، ولا تعلم شيئا عن طبيعة القائمين بالتمرد حتى إنتهاءه يوم الاول من تموز فقد كان الاعتقاد السائد لدى الحكومة وكانت التعليمات الحزبية التي تم تعميمها على الجهاز الحزبي أن القائمين بالتمرد هم ناظم وسعدون غيدان وحماد شهاب ، وعلى ذلك الأساس تم الإيعاز للطائرات السمتية بإطلاق النار على جميع من كان في الرتل من الاشخاص « وليس بسبب كونه كان متجها نحو إيران « ، وفعلاً قامت تلك الطائرات بقصف الرتل بأجمعه ، إذ قتل حماد شهاب وجُرح سعدون غيدان ، ولم تتبين حقيقة الأمر إلا بعد انقشاع الغبار عن مكان المعركة إذ تبين أن سعدون غيدان وحماد شهاب كانوا رهائن اخذهم ناظم كزار.

الهوامش:

(١) سعد العبيدي ، حفل رئاسي وقائع غير مروية من احداث مجزرة الخلد عام ١٩٧٩ ،مطبعة عدنان ، بغداد ، ٢٠١٩ ، ص٤٢.

(٢) F. R. U.S. ,Volume E-٤, ١٩٦٩-١٩٧٦, Documents on Iran and Iraq, ١٩٦٩-١٩٧٢k
From the Director of the Bureau of Intelligence and Research (Hughes) to Secretary of State Rogers, Iraq: Internal Stresses and the Search for the Bogeyman , Washington, February ١٤, ١٩٦٩ , p. ٢٥١

(٣) F. R. U.S ,.١٩٦٩–١٩٧٦ ,volume xxvii, Iran; Iraq ,١٩٧٣–١٩٧٦ Research Study ,١٠٠٧٠١ ٧٦ Prepared in the Central Intelligence Agency, PR Iraq under Baath ,١٩٦٨–١٩٧٦ ,rule Introductory Note , Washington, November , ١٩٧٦.p.٣٢٠.

(٤) ناظم كزار (١٩٤٠–١٩٧٣) : ولد في مدينة المقدادية في ديالى ، وهو ابن شرطي ينتمي إلى عائلة متواضعة ترجع أصولها إلى الطائفة الصابئية في مدينة العمارة ، اكمل دراسته الأولية والثانوية في منطقة الشيخ عمر ببغداد ، واستطاع أن يدخل كلية الطب وتخرج منها عام ١٩٥٨ ، ثم عاد ليدرس الهندسة الكهربائية في معهد الهندسة الصناعي العالي (الجامعة التكنلوجية) فيما بعد، انضم إلى حزب البعث في عام ١٩٥٩ ، وفي العام نفسه كان ضمن المجموعة التي حاولت اغتيال عبد الكريم قاسم ، تعرض على اثرها إلى اعتقالات عدة ، وكان يعد الشيوعيين من ألد اعدائه ، وعند انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ عين مديراً لمكتب التحقيق إذ الظهر موهبة فائقة في انتزاع اعترافات المتهمين وكان احد المشاركين في انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ فمنحه صدام حسين رتبة لواء وعينه مديراً للأمن العام ، إذ تولى بهذه المهمة تصفية خصوم السلطة وانتزاع اعترافات المعتقلين بأشد انواع التعذيب البشعة لذلك اطلق عليه لقب (ابو حرب) ، دبر محاولة انقلابية في ٣٠ حزيران ١٩٧٣ الأسقاط أحمد حسن البكر ، الا انه فشل في ذلك واعتقل ونفذ فيه حكم الاعدام في ٨ تموز ١٩٧٣ . لمزيد من التفاصيل ينظر: شامل عبد القادر ، ناظم كزار – سيرة اقوى مدير امن عام في تاريخ العراق السياسي الحديث ١٩٦٨ – ١٩٧٣ ؛ حسن السعيد ، نواطير الغرب صفحات من ملف علاقة اللعبة الدولية مع البعث العراقي ١٩٤٨–١٩٦٨، بغداد ، دار وكتبة عدنان ، ٢٠١٥، ص ٦٩٤–٦٩٥.

(٥) سعد العبيدي ، المصدر السابق ، ص٤٢ .

(٦) صلاح عمر العلي ، شاهد على العصر – اسرار صعود صدام الى السلطة– ، طبع وتوزيع مكتبة الحضرة ، بيروت ، د . ت ، ص ٢٢٢.

(٧) المصدر نفسه ، ص ٢٢٣.

(٨) حامد علوان الجبوري ، برنامج شاهد على العصر ، منشورات قناة الجزيرة الفضائية ، قطر ، الدوحة.

(٩) محمود كزار العيساوي ، حركة ناظم كزار استهدفت تصحيح بوصلة الحكم بعد ١٧ / تموز / ١٩٦٨ ، مجلة اوراق من ذاكرة العراق ، العدد (١٣٠) ، السنة (١١) ، تموز ٢٠٢٣ ، ص٢٢.

(١٠) بعد التغيير الذي حصل في السابع عشر من تموز ١٩٦٨ ، رفع شعار تحرير الثروة النفطية من الشركات الاجنبية ، وقد أكدت الحكومة العراقية على ضرورة اعادة النظر بالقوانين والاتفاقيات السابقة بما يحقق مصلحة الشعب. واخضاع الشركات الاجنبية الى رقابة صارمة نظر لكون الاحتكارات البترولية تمثل احدى ادوات التغلغل الرئيسية للنفوذ الاستعماري في العراق ، وكانت الشركات صاحبة الامتياز او ما تسمى الشركات السبع ، خمسة منها امريكية وهي ستاندر كاليفورنيا، ستاندر أويل أوف نيوجيرسي، ساسكوني جيل، كولف كوربريشن، شركة تكساسكو، والسادسة هي الشركة البريطانية للبترول، والسابعة هي شركة دوتش– شيل ، تقوم بتخفيض انتاج النفط في العراق لمزيد من التفاصيل ينظر : عدنان عبدالرحيم ياس ، التأميم في فكر ونضال حزب البعث العربي ، مجلة النفط والغاز، العدد ٦٨ ، حزيران ١٩٧٩ ، ص٩ ؛ الكسندر بريماكوف ، نفط الشرق الاوسط والاحتكارات الدولية ، ترجمة بسام خليل ، ط١، بيروت ١٩٨٤ ، ص٢٨ ؛ جريدة الثورة ، العدد (١١٥٦) ، حزيران ١٩٧٢ .

(١١) ميثاق العمل الوطني : أصدر الرئيس البكر هذا الميثاق لذي وضع الأساس الفكري لإقامة الجبهة الوطنية ، وقد جاء في الميثاق: أن من ابرز أسباب قدرة الحركات الثورية في الوطن العربي على تحقيق النصر ، وعيها لدور العمل المشترك والتحالف بين فصائلها ...واضاف الميثاق .. أن مهمات الكفاح ضد العدو الإمبريالي والصهيوني وضد حلفاءه الرجعيين تتطلب تظافر جهود كل الأحزاب والقوى الوطنية التقدمية في إطار عمل جبهوي مشترك تحدده في كل قطر أوضاعه الخاصة ، وان حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي العراقي والحزب الديموقراطي الكردستاني وكل العناصر الوطنية أكدت في برامجها السياسية ، ضرورة الاتحاد بين جبهة الأحزاب والقوى الوطنية والقومية في النضال من اجل النور والديموقراطية والتقدم الاجتماعي ومن اجل تحقيق الأهداف المشروعة للشعب الكردي في العراق على أساس الحكم الذاتي في إطار الجمهورية العراقية لمزيد من التفاصيل ينظر: ميثاق العمل الوطني ، وزارة الأعلام ، ط ٢ ، السلسلة الوثائقية رقم ٢٩ . ١٩٧١ بغداد ، ص ٣؛ سليم ابراهيم عويد الناشي ، التحولات في بنية المجتمع العراقي ١٩٦٨–٢٠٠٣ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية ، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٥، ص٩٠.

(١٢) F. R. U. S ,.١٩٦٩–١٩٧٦ ,volume xxvii, Iran; Iraq ,١٩٧٣–١٩٧٦ Research Study ,١٠٠٧٠١ ٧٦ Prepared in the Central Intelligence Agency, PR Iraq under Baath ,١٩٦٨–١٩٧٦ ,rule Introductory Note , , Washington, November , ١٩٧٦.p.٣٢٠.

(١٣) هادي حسن عليوي ، المصدر السابق ، ص٤٦٤–٤٦٥ .

(١٤) صباح الحمداني ، شاهد عيان يروي خفايا حركة ناظم كزار الانقلابية ، مجلة اوراق من ذاكرة العراق ، العدد (١٣٠) السنة (١١) ، تموز ٢٠٢٣ ، ص٣٠.

(١٥) المصدر نفسه ، ص٣١.

(١٦) سعد العبيدي ، المصدر السابق ، ص٤٢ .

(١٧) صباح الحمداني ، المصدر السابق ، ص ٣٠.
(١٨) وسيم رفعت عبد المجيد ، العراق الانقلابي الانقلابات الناجحة والفاشلة في العراق (١٩٢١–٢٠٠٣) ، دار الجواهري ، بغداد ، ٢٠١٥ ، ص ١٩١.
(١٩) غسان شربل ، العراق من حرب الى حرب صدام مر من هنا ، رياض الريس للكتب والنشر ، بيروت ، ٢٠١٠، ص ٢٩٨.
(٢٠) وسيم رفعت عبد المجيد ، المصدر السابق ، ص ١٩١.؛ علي صالح عباس الحسناوي ، المصدر السابق ، ص٥٤؛صلاح عمر العلي ، المصدر السابق ، ص٢٢٥.
(٢١) صباح الحمداني ، المصدر السابق ، ٣٢.
(٢٢) تودور جيفكوف (١٩١١–١٩٩٨) : ولد في قرية برافيتس في مدينة صوفيا البلغارية شغل منصب الأمين العام للحزب الشيوعي البلغاري من ١٤ آذار ١٩٥٤ إلى ١٠ تشرين الثاني ١٩٨٩ كما شغل منصب رئيس جمهورية بلغاريا الشعبية الاشتراكية من ٩ تموز ١٩٧١ حتى ١٧ تشرين الثاني ١٩٨٩ اعتزل العمل السياسي وتوفي عام ١٩٩٨ لمزيد من التفاصيل ينظر: الموقع الاليكتروني :
https://ar.wikipedia.org/wik
(٢٣) سعد العبيدي ، المصدر السابق ، ص٤٢.
(٢٤) هادي حسن عليوي ، المصدر السابق ، ص٤٦٤.
(٢٥) سعد العبيدي ، المصدر السابق ، ص٤٢.
(٢٦) هاشم جواد ، مذكرات وزير عراقي مع البكر وصدام ، دار الساقي، لندن ، ٢٠٠٣، ص١٩٣.
(٢٧) F. R. U. S ,١٩٧٠–١٩٧٩ ,Dominican Republic Iraq and Iran n VXXXXII ,Washington m D.C ,Printing Office ,٢٠٠٥,P .٥٤.؛
هادي حسن عليوي ، المصدر السابق ، ص٤٦٦.
(٢٨) هاشم جواد ، المصدر السابق ، ص ٢٦٩.
(٢٩) غسان شربل ، المصدر السابق ، ص ١٥.
(٣٠) F. R. U. S ,١٩٦٩–١٩٧٦ ,Volume XXVII, Iran; Iraq ,١٩٧٣–١٩٧٦ Telegram, From the Interests Section in Baghdad to the Department of State , Post–Coup Assessment,Baghdad, July ١٥ ,١٩٧٣,٢ ,p. ٢٢٣.
(٣١) هاشم جواد ، المصدر السابق ، ص ٢٦٩.
(٣٢) علي صالح الحسناوي ، التطورات السياسية الداخلية في العراق ١٩٧٣–١٩٧٩ ، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية التربية ، جامعة كربلاء ، ٢٠١٧، ص٥٤؛ حامد علوان الجبوري ، المصدر السابق ، ص ٢١٢.
(٣٣) احمد منصور ، برنامج شاهد على العصر ، لقاء مع مدير جهاز المخابرات العراقي السابق ، فاضل العزاوي ، على قناة اليوتيوب ، تاريخ بث البرنامج ٢٠/ تشرين الثاني / ٢٠٢٤
(٣٤) شوكت خزندار (١٩٣٦ –) : اسمه الكامل شوكت احمد توفيق والخزندار لقب عائلته ولد في مركز مدينة السليمانية لأبوين كرديين انضم الى الحزب الشيوعي العراقي وهو لازال في الرابعة عشر من عمره ، وعند اكماله سن الثمانية عشر منح العضوية الكاملة في الحزب، في عام ١٩٥٢ أصبح عضواً في الهيئة التأسيسية للشبيبة الديمقراطية في مدينة السليمانية ، وبعد عامين انتقل الى بغداد ، وفي عام ١٩٦٠ عاد مرة الى اخرى الى السليمانية اعتقل في عام ١٩٦٢ واطلق سراحه عام ١٩٦٥ لمزيد من التفاصيل ينظر: موقع الحوار المتمدن شوكت خزندار .
(٣٥) F. R. U. S ,١٩٦٩–١٩٧٦ ,.Volume XXVII, Iran; Iraq ,١٩٧٣–١٩٧٦ Briefing Memorandum From the Assistant Secretary of State for Near Eastern and South Asian Affairs (Sisco) to Secretary of State Kissinger ,Iraq: Possible Pressure Points ,Washington, November ٢٧ ,١٩٧٣.. p. ٢٣٩..
(٣٦) F. R. U. S ,١٩٦٩–١٩٧٦ ,Volume XXVII, Iran; Iraq ,١٩٧٣–١٩٧٦ Telegram, From the Interests Section in Baghdad to the Department of State , Post–Coup Assessment,Baghdad, July ١٥ ,١٩٧٣,٢ ,p. ٢٢٨. ؛
سعد العبيدي ، الانقلابات العسكرية في الجيش العراقي ، مجلة اوراق من الذاكرة ، العدد (١٤٥) ، السنة (١٢) ، تشرين الاول ٢٠٢٤ ، ص٤٢–٤٣.
(٣٧) عزة الدوري (١٩٤٢ –) : اسمه الكامل عزة إبراهيم الدوري الحربي ولد في ناحية الدور القريبة من تكريت ، أكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة فيها، وانتقل الى ثانوية الأعظمية، ورسب سنتين بالرابع أدبي فتم فصله العام ١٩٦٢ ، وفي نفس السنة نتسب إلى حزب البعث ، اعتقل عدة مرات، كان أطولها اعتقاله منذ العام ١٩٦٣ إلى العام ١٩٦٧ ، وقبل نهاية العام ١٩٦٩ .. أصبح عضوا في مجلس قيادة الثورة ، في نهاية العام ١٩٦٩ عين وزيراً للإصلاح الزراعي، ثم وزيراً للزراعة والإصلاح الزراعي بعد دمج الوزارتين العام ١٩٧٢ ، في تشرين الثاني

العام ١٩٧٤ عين وزيراً للداخلية، بعد انفراد الطاغية صدام بالسلطة في ١٦ تموز ١٩٧٩ عين نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة، شارك في عام ١٩٩٣ في الحملة الإيمانية التي أطلقها صدام، وكانت لعزت نزعة صوفية شديدة.. أثرت على سلوكه في كثير من الأحيان، وله علاقة وطيدة مع مشايخ الأكراد والعرب الصوفية... وقد تكون تلك العلاقات : قد ساعدت –كثيراً في بـ بقاءه حيا وطليقاً هذه المدة الطويلة لمزيد من التفاصيل ينظر: حسن هادي عليوي ، المصدر السابق ، ص٥٥٣–٥٥٦؛ جليل العطية ، فندق السعادة حكايات من عراق صدام حسين ، دار الحكمة ، ١٩٩٣ ، ص١٧١.

(٣٨) ام العظام: منطقة زراعية واسعة تقع جنوب متنزه الزوراء وتقع فيها مناطق الشاكرية وكرادة مريم وهي امتداد للمنطقة الخضراء في وسط بغداد اقيم فيها مؤخراً حياً حديثاً من العمارات السكنية ومؤسسات رسمية يخترقها شارع الكندي للمزيد من التفاصيل ينظر: جريدة الزمان الاليكترونية ، بتاريخ ١٣/ آب / ٢٠١٧ على الموقع الاليكتروني https://www.azzaman.com

(٣٩) برزان التكريتي (١٩٥١– ٢٠٠٧) : اسمه الكامل برزان إبراهيم الحسن التكريتي ولد في مدينة تكريت وهو اخو صدام من جهة الام وكان مرافقاً لصدام خلال المدة (١٩٦٨–١٩٧١) ، تسلم عدة مناصب منها منصب نائب مدير جهاز المخابرات العامة ثم تسلم رئاسة الجهاز في نهاية عام ١٩٧٦ ،بقي في المنصب حتى عام ١٩٨٣ عندما جرد من جميع مناصبه بسبب خلافات مع صدام حسين وعاد مرة اخرى ليتسلم منصب سفير العراق فوق العادة في جنيف حتى عام ١٩٩٨ اعدم في عام ٢٠٠٧ لمزيد من التفاصيل ينظر: هادي حسن عليوي ، المصدر السابق ، ص ٥٨١–٥٨٩.

(٤٠) صباح الحمداني ، المصدر السابق ، ص٣٢.

(٤١) وسيم رفعت عبد المجيد ، المصدر السابق، ص١٩٣.؛

F. R. U. S.., ١٩٦٩–١٩٧٦, Volume XXVII, Iran; Iraq, ١٩٧٣–١٩٧٦

Telegram From the Interests Section in Baghdad to the Department of State, Baghdad, April ٩, ١٩٧٣, p. ١٠٠٢Z. Subject: Iraq–Kuwait Border Clash. ٢١٠

(٤٢) هاشم جواد ، المصدر السابق ، ص ٢٦٧.

(٤٣) صباح الحمداني ، شاهد عيان يروي خفايا حركة ناظم كزار الانقلابية ، مجلة اوراق من ذاكرة العراق ، العدد (١٣٠) السنة (١١) ، تموز ٢٠٢٣ ، ص ٣٢؛ علي صالح عباس الحسناوي ، المصدر السابق ، ص٥٦.

(٤٤) رحاب عباس ناهي و طالب محيبس الوائلي ، طبيعة العلاقة بين البكر وصدام ابتداءاً من ١٩٦٨حتى ١٩٧٩ ، مجلة كلية الاربية ، جامعة واسط ، العدد (٥٥) ، المجلد (١) ، ٢٠٢٤، ص١٨٨ ؛ عهد محمد عبد علي العامري ، المصدر السابق ، ص٦٠ ؛ دونالد أوتشيل ، الاجهزة الامنية في عهدي البكر وصدام ، ترجمة مصطفى نعمان احمد ، مكتبة المجلة ، بغداد ، ٢٠٢٢ ، ص١٦؛ وسيم رفعت عبد المجيد ، المصدر السابق، ص١٩٣.

(٤٥) F. R. U. S.., ١٩٦٩–١٩٧٦, Volume XXVII, Iran; Iraq, ١٩٧٣–١٩٧٦

Memorandum Prepared in the Central Intelligence Agency, Washington, September ٥, ١٩٧٣, p. ٢٣٢.

(٤٦) هاشم جواد ، المصدر السابق ، ص ٢٦٧.

(٤٧) صباح الحمداني ، المصدر السابق ، ص ٣٢.

(٤٨) شامل عبد القادر ، صدام بين ناظم كزار وسعدون شاكر ، مجلة اوراق من الذاكرة ، العدد (١٤٣) ، السنة (١٢) آب ٢٠٢٤، ص٤٣.

(٤٩) F. R. U. S.: Diplomatic Papers, the Near East and Araqi , Visit of the Regent of Iraq to the United States, Volume VIII, ١٩٧٥, p. ٦٥.؛

علي كريم سعيد ، عراق ٨ شباط ١٩٦٣ من حوار المفاهيم الى حوار الدم مراجعات في ذاكرة طالب شبيب ، ط١، دار الكنوز الادبية ، بيروت ، ١٩٩٩، ص٣٩٨.

(٥٠) الياس فرح (١٩٢٧– ٢٠١٣) : ولد في مدينة جسر الثغور ، بعدها انتقل مع عائلته الى مدينة حلب واكمل دراسته الثانوية فيها ، بعدها حصل على شهادة في التربية وعلم النفس من الجامعة السورية ، ليعمل مدرساً في احدى مدارس حلب ، سافر الى سويسرا والتحق بجامعة جنيف ليحصل منها على شهادة الدكتوراه عام ١٩٦٤ ،كان احد مؤسسي حزب البعث وكان مقرباً من ميشل عفلق ،غادر سوريا بعد عام ١٩٦٦ ليستقر في العراق ثم عام الى سوريا عام ٢٠٠٣ له الكثير من المؤلفات في القومية العربية والماركسية العالمية توفي في دبي عام ٢٠١٣ لمزيد من التفاصيل ينظر الموقع اليكتروني : Full text of «Evolution of Arabic Revolutionary Ideology

(٥١) وسيم رفعت عبد المجيد ، المصدر السابق، ص١٩٣.

(٥٣) D K.W, Ministry of Interior, Directorate of Public Propaganda, Baghdad, Document No. ٣٢, p. ٧٥,٧٦,٧٧ ؛

هاشم جواد ، المصدر السابق ، ص ٢٦٨.

(٥٣) F. R. U. S ,١٩٦٩–١٩٧٦, VOLUME XXVII, IRAN; IRAQ ,١٩٧٣–١٩٧٦ , ٢٢١.
, Telegram From the Interests Section in Baghdad to the Department of State١
Baghdad, July ١, ١٩٧٣ ,١١٣٠Z. , ٣٨٠. Subj: Abortive Coup.p ٢٢١.

(٥٤) فيبي مار ، تاريخ العراق المعاصر – البعث في السلطة ، ج٢ ، ترجمة مصطفى نعمان ، مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي ، بغداد ، ٢٠٠٩ .، ص٢٤–٢٥.

(٥٥) F. R. U. S ,١٩٦٩–١٩٧٦ ,. Research .٣١٧ , ١٩٧٣–١٩٧٦ ,Volume XXVII, Iran; Iraq
Iraq Under ,١٠٠٧٠١ ٧٦ Study Prepared in the Central Intelligence Agency, PR
.٣٥٢.p.١٩٧٦ Introductory Note Washington, November , ١٩٧٦–١٩٦٨ ,Baath Rule

(٥٦) F. R. U. S ,١٩٦٩–١٩٧٦ , Research .٣١٧ , ١٩٧٣–١٩٧٦ ,Volume XXVII, Iran; Iraq
Iraq Under ,١٠٠٧٠١ ٧٦ Study Prepared in the Central Intelligence Agency, PR
.٨٦٠.p.١٩٧٦ Introductory Note , Washington, November , ١٩٧٦–١٩٦٨ ,Baath Rule

المصادر:

أولاً : وثائق وزارة الخارجية الامريكية

١. F. R. U. S., 1969–1976, VOLUME XXVII, IRAN; IRAQ, 1973–1976 , 221.
Telegram From the Interests Section in Baghdad to the Department of State1 ,
.Baghdad, July 1, 1973, 1130Z. , 380. Subj: Abortive Coup. 1973

٢. F. R. U. S., 1969–1976, Volume XXVII, Iran; Iraq, 1973–1976 , Briefing Mem–
orandum From the Assistant Secretary of State for Near Eastern and South Asian Affairs (Sisco) to Secretary of State Kissinger ,Iraq: Possible Pressure Points ,
.Washington, November 27, 1973

٣. F. R. U.S., , 1969–1976, Volume XXVII, Iran; Iraq, 1973–1976 ,Telegram
From the Interests Section in Baghdad to the Department of State , Post–Coup
.Assessment,Baghdad, July 15, 1973

٤. F. R. U.S., 1969–1976, Volume E–4, Documents on Iran and Iraq, 1969–1972k
Research Memorandum RNA–6 From the Director of the Bureau of Intelligence and Research (Hughes) to Secretary of State Rogers, Iraq: Internal Stresses and
. , the Search for the Bogeyman , Washington, February 14, 1969

٥. F. R. U.S., 1969–1976, volume xxvii, Iran; Iraq, 1973–1976, Research Study
Prepared in the Central Intelligence Agency, PR 76 100701, Iraq under Baath
.rule, 1968–1976 , Introductory Note , Washington, November 1976

٦. F. R. U.S., 1969–1976, volume xxvii, Iran; Iraq, 1973–1976, Research Study
Prepared in the Central Intelligence Agency, PR 76 100701, Iraq under Baath
. .rule, 1968–1976 , Introductory Note , , Washington, November 1976

٧. F. R. U.S.,, 1969–1976, Volume XXVII, Iran; Iraq, 1973–1976 , 317. Research
Study Prepared in the Central Intelligence Agency, PR 76 100701, Iraq Under
..Baath Rule, 1968–1976 , Introductory Note , , Washington, November 1976

٨. F. R. U.S.,, 1969–1976, Volume XXVII, Iran; Iraq, 1973–1976 , 317. Research
Study Prepared in the Central Intelligence Agency, PR 76 100701, Iraq Under
..Baath Rule, 1968–1976 , Introductory Note , , Washington, November 1976

٩. F. R. U.S.,, 1969–1976, Volume XXVII, Iran; Iraq, 1973–1976 , Memorandum
.,.Prepared in the Central Intelligence Agency, Washington, September 5, 1973

١٠. F. R. U. S., 1969–1976, Volume XXVII, Iran; Iraq, 1973–1976

١١. Telegram From the Interests Section in Baghdad to the Department of State,
.Baghdad, April 9, 1973, 1002Z. Subject: Iraq–Kuwait Border Clash.1976

ثانياً : الكتب العربية

١ . جليل العطية ، فندق السعادة حكايات من عراق صدام حسين ، دار الحكمة ، ١٩٩٣ .
٢ . حسن السعيد ، نواطير الغرب صفحات من ملف علاقة اللعبة الدولية مع البعث العراقي ١٩٤٨–١٩٦٨ ، بغداد ، دار وكتبة عدنان ، ٢٠١٥ ..
٣ . دونالد أوتشيل ، الاجهزة الامنية في عهدي البكر وصدام ، ترجمة مصطفى نعمان احمد ، مكتبة المجلة ، بغداد ، ٢٠٢٢ .
٤ . سعد العبيدي ، حفل رئاسي وقائع غير مروية من احداث مجزرة الخلد عام ١٩٧٩ ،مطبعة عدنان ، بغداد ، ٢٠١٩ .
٥ . شامل عبد القادر ، ناظم كزار – سيرة اقوى مدير امن عام في تاريخ العراق السياسي الحديث ١٩٦٨ – ١٩٧٣ .
٦ . صلاح عمر العلي ، شاهد على العصر – اسرار صعود صدام الى السلطة– ، طبع وتوزيع مكتبة الحضارة ، بيروت ، د . ت .
٧ . علي كريم سعيد ، عراق ٨ شباط ١٩٦٣ من حوار المفاهيم الى حوار الدم مراجعات في ذاكرة طالب شبيب ، ط١ ، دار الكنوز الادبية ، بيروت ، ١٩٩٩ .
٨ . غسان شربل ، العراق من حرب الى حرب صدام مر من هنا ، رياض الريس للكتب والنشر ، ٢٠١٠ .
٩ . فيبي مار ، تاريخ العراق المعاصر – البعث في السلطة ، ج٢ ، ترجمة مصطفى نعمان ، مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي ، بغداد ، ٢٠٠٩ .، ص٢٤–٢٥ .
١٠ . الكسندر بريماكوف ، نفط الشرق الاوسط والاحتكارات الدولية ، ترجمة بسام خليل ، ط١ ، بيروت ١٩٨٤ .
١١ . ميثاق العمل الوطني ، وزارة الأعلام ، ط ٢ ، السلسلة الوثائقية رقم ٢٩ ، مطبعة الحكومة، بغداد . ١٩٧١
١٢ . هادي حسن عليوي ، رجالات العهد الجمهوري من عبد الكريم قاسم الى صدام حسين ، مطبعة الهادي ، بغداد ، ٢٠٠٩ .
١٣ . هاشم جواد ، مذكرات وزير عراقي مع البكر وصدام ، دار الساقي، لندن ، ط١، ٢٠٠٣ .
١٤ . وسيم رفعت عبد المجيد ، العراق الانقلابي الانقلابات الناجحة والفاشلة في العراق (١٩٢١–٢٠٠٣) ، دار الجواهري ، بغداد ، ٢٠١٥ .

ثالثاً : الرسائل والاطاريح .

١ . سليم ابراهيم عويد الناشي ، التحولات في بنية المجتمع العراقي ١٩٦٨–٢٠٠٣ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية ، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٥ .
٢ . علي صالح عباس الحسناوي ، التطورات السياسية الداخلية في العراق ١٩٧٣– ١٩٧٩ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة كربلاء ، ٢٠١٧ .
٣ . عهد محمد عبد علي العامري ، السجون والمعتقلات العراقية (١٩٥٨–١٩٧٩) دراسة في احوال السجناء والمعتقلين السياسيين ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، جامعة بابل ، ٢٠٢١ ،

رابعاً : الدوريات .

١ . رحاب عباس ناهي و طالب محيبس الوائلي ، طبيعة العلاقة بين البكر وصدام ابتداءاً من ١٩٦٨حتى ١٩٧٩ ، مجلة كلية الاربية ، جامعة واسط ، العدد (٥٥) ، المجلد (١) ، ٢٠٢٤،
٢ . سعد العبيدي ، الانقلابات العسكرية في الجيش العراقي ، مجلة اوراق من الذاكرة ، العدد (١٤٥) ، السنة (١٢) ، تشرين الاول ٢٠٢٤ .
٣ . شامل عبد القادر ، صدام بين ناظم كزار وسعدون شاكر ، مجلة اوراق من الذاكرة ، العدد (١٤٣) ، السنة (١٢) آب ٢٠٢٤ .
٤ . صباح الحمداني ، شاهد عيان يروي خفايا حركة ناظم كزار الانقلابية ، مجلة اوراق من ذاكرة العراق ، العدد (١٣٠) السنة (١١) ، تموز ٢٠٢٣ .
٥ . عدنان عبدالرحيم ياس ، التأميم في فكر ونضال حزب البعث العربي ، مجلة النفط والغاز، العدد ٦٨ ، حزيران ١٩٧٩ .
٦ . محمود كزار العيساوي ، حركة ناظم كزار استهدفت تصحيح بوصلة الحكم بعد ١٧ / تموز / ١٩٦٨ ، مجلة اوراق من ذاكرة العراق ، العدد (١٣٠) ، السنة (١١) ، تموز ٢٠٢٣ .

خامساً : الصحف .

١ . جريدة الثورة ، العدد (١١٥٦) ، حزيران ١٩٧٢ .

سادساً : مواقع الانترنيت

١– جريدة الزمان الاليكترونية ، بتاريخ ١٣/ آب / ٢٠١٧ على الموقع الاليكتروني https://www.azzaman.com
٢– حامد علوان الجبوري ، برنامج شاهد على العصر ، منشورات قناة الجزيرة الفضائية ، قطر ، الدوحة.
٣– الموقع اليكتروني : Full text of «Evolution of Arabic Revolutionary Ideology
٤– احمد منصور ، برنامج شاهد على العصر ، لقاء مع مدير جهاز المخابرات العراقي السابق ، فاضل العزاوي ، على قناة اليوتيوب ، تاريخ بث البرنامج ٢٠/ تشرين الثاني / ٢٠٢٤
٥– موقع الحوار المتمدن شوكت خزندار .

دور الصرف في تشكيل المعنى وتأثيره على فهم النصوص الأدبية في اللغة العربية

م. م. دنيا عباس محمد سامي
وزارة التربية / المديرية العامة لتربية محافظة بغداد الرصافة الثالثة



المستخلص:

يلعب علم الصرف دورًا أساسيًا في تشكيل المعنى وتوجيه فهم النصوص الأدبية في اللغة العربية، حيث يُسهم في إحداث تغييرات دقيقة في بنية الكلمات تُضفي عليها معانٍ متعددة ودلالات عميقة. من خلال عمليات الصرف مثل الإعلال، الإبدال، الحذف، والتصريف، يمكن للكاتب أو الشاعر التعبير عن حالات عاطفية مختلفة، وتوجيه المعنى بشكل دقيق يتناسب مع السياق البلاغي والفني. كما يُساعد الصرف في توضيح العلاقات بين الكلمات، وبيان التراكيب البلاغية، مما يعزز من فهم القارئ للرسائل المقصودة ويُثري تجربة التفاعل مع النص. بشكل عام، يُعد علم الصرف أداة حيوية لفهم النصوص الأدبية بشكل أعمق، إذ يُبرز جمال اللغة العربي ويكشف عن أسرار التعبير الفني والمعنوي فيها.

الكلمات المفتاحية: الصرف، المعنى، النصوص الأدبية، اللغة العربية.

Abstract:

The science of morphology plays a fundamental role in shaping meaning and guiding the understanding of literary texts in the Arabic language. It contributes to making precise changes in the structure of words that add multiple and profound connotations. Through morphological processes such as inflection, substitution, deletion, and conjugation, writers and poets can express various emotional states and accurately direct meaning to suit the rhetorical and artistic context. Morphology also helps clarify relationships between words and elucidate rhetorical structures, enhancing the reader's comprehension of the intended messages and enriching their interaction with the text. Overall, the science of morphology is a vital tool for a deeper understanding of literary texts, highlighting the beauty of the Arabic language and uncovering the secrets of its artistic and semantic expression.

Keywords: Morphology, meaning, literary texts, Arabic language.

المقدمة:

يلعب علم الصرف دورًا محوريًا وأساسيًا في فهم النصوص الأدبية العربية، إذ يُعتبر أحد الأدوات التي تُسهم في تشكيل المعنى وتوضيح الرسائل والأفكار التي يرغب الكاتب أو الشاعر في إبلاغها إلى المتلقي. فالصرف لا يقتصر على مجرد تغيير أشكال الكلمات؛ بل هو علم يُعنى بطرق تصريف الكلمة من حيث الاشتقاق، والإضافة، والتصريف، والتغيير في الحركات والسكنات، مما يخلق أنماطًا دلالية متعددة تتراوح بين المعنى الظاهر والمعنى المكنون.

تتجلى أهمية الصرف في النصوص الأدبية من خلال قدرته على إحداث تغييرات دقيقة في بنية الكلمة، مما يتيح للكاتب أو للشاعر التعبير عن معانٍ متعددة من خلال استخدام أشكال صرفية مختلفة لنفس الكلمة أو لأصول متشابهة. على سبيل المثال، يُمكن أن يُعبر تصريف واحد عن حالة من الحزن، أو الفرح، أو التمني، أو الإعجاب، اعتمادًا على السياق والصيغة الصرفية المستخدمة، الأمر الذي يُعطي النص ثراءً وديناميكية في المعنى.

ومن ناحية أخرى، يُسهم علم الصرف في توضيح العلاقات بين الكلمات داخل النص، ويُساعد على فهم التراكيب البلاغية والنحوية بشكل أدق، مما يُعين القارئ على استيعاب المقاصد الأدبية والفنية، ويُعزز من قدرته على التفاعل مع النص بشكل أعمق. فمثلاً، استخدام المبالغة أو التصغير أو التهويل عبر عمليات صرفية معينة يُمكن أن يُبرز عاطفة معينة أو يُضفي على النص طابعًا جماليًا مميزًا.

كما أن للصرف أثرًا كبيرًا على فهم النصوص القديمة والحديثة على حد سواء، إذ أن التغيرات الصرفية قد تُغير من دلالة الكلمة أو تُوضحها، وتُساعد على استنباط المعاني العميقة التي قد تكون غير واضحة للمتلقي غير المتمرس، مما يُبرز أهمية دراسة علم الصرف من أجل الوصول إلى فهم أعمق وأشمل للنصوص الأدبية والتفسير الدقيق لمقاصدها البلاغية والفنية. علم الصرف يُعد ركيزة أساسية من ركائز البلاغة وفنون الأدب العربي، فهو الذي يُعين على تشكيل المعنى بطريقة دقيقة وفعالة، ويُسهم في إثراء النصوص الأدبية، ويُعزز من قدرات المتلقي على فهم النصوص وفهم عبقرية اللغة العربية في تصوير المعاني وإبراز الجمال الفني والأدبي فيها.

أهمية البحث:

تُعَدُّ دراسةُ دورِ الصرفِ في تشكيلِ المعنى وتأثيره على فَهْمِ النصوصِ الأدبيةِ من الموضوعاتِ الحيويةِ التي تكتسبُ أهميتها من كونها تسهمُ في تعميقِ فهمِ اللغةِ العربيةِ وأسرارِها البلاغيةِ والفنيةِ، حيث يُمكن أن يُسهمَ ذلك في تطويرِ مهاراتِ الطلابِ والباحثينَ في تفسيرِ النصوصِ الأدبيةِ بشكلٍ أدقَّ وأكثرَ ثراءً، كما يُساعدُ على الكشفِ عنِ الإبداعاتِ اللغويةِ والصرفيةِ التي تحملُها النصوصُ، ويُعززُ من قدرةِ القُرّاء على استيعابِ المعاني المُعقدةِ واكتشافِ الجمالِ الفنيّ فيها.

أهداف البحث:

١. استقصاءُ مدى تأثيرِ العملياتِ الصرفيةِ على تشكيلِ المعنى في النصوصِ الأدبيةِ العربيةِ.
٢. تحليلُ دورِ الصرفِ في توضيحِ المقاصدِ البلاغيةِ والفنيةِ في النصوصِ الأدبيةِ.
٣. بيانُ العلاقةِ بينِ التغييراتِ الصرفيةِ وفهمِ المعاني المُتعددة في النصوصِ.

أسئلة البحث:

١. ما هو الدورُ الذي يلعبهُ الصرفُ في تشكيلِ المعنى في النصوصِ الأدبيةِ العربيةِ؟
٢. كيف يُؤثرُ التغييرُ الصرفيُّ على فهمِ القارئِ للنصّ الأدبيّ؟
٣. كيف يُمكنُ الاستفادةُ من علمِ الصرفِ في تفسيرِ النصوصِ الأدبيةِ بشكلٍ أدقَّ وأعمق؟

فرضيات البحث:

١. هناك علاقةٌ تأثيريةٌ واضحةٌ بينَ العملياتِ الصرفيةِ وتشكيلِ المعنى في النصوصِ الأدبيةِ.
٢. التغييراتُ الصرفيةُ تُسهمُ بشكلٍ كبيرٍ في توضيحِ المقاصدِ البلاغيةِ والفنيةِ في النصوصِ.
٣. فهمُ العملياتِ الصرفيةِ يُعِينُ على تفسيرِ المعاني المُتعددةِ والدلالاتِ المخفيةِ في النصوصِ الأدبيةِ.

المنهج:

يعتمدُ البحثُ على منهجٍ تحليليٍّ وصفيٍّ، حيث يتمُّ جمعُ الدراسات التي تناولت الموضوع ، وتحليلُها من خلالِ الحديث عن جوانب الدراسة.

علم الصرف ودراسته:

كان النحاة الأوائل يستخدمون مصطلح «العربية» للإشارة إلى الدراسات المتعلقة باللغة العربية، والتي تشمل علم الصرف، وعلم اللغة، وعلم الصوت، حيث تم الربط والمزج بين هذين العلمين. أما الفصل بين علم النحو وعلم الصرف فقد حدث في بداية القرن الثالث للهجرة، وذلك نتيجة لاتساع مجال الدراسات النحوية وثراء محتواها، مما جعل الدارسين ينصرفون بشكل أكبر إلى النحو واهتماماتهم به، مما أدى إلى إهمال التصنيف في علم الصرف.(الرمالي،١٤٢١هـ، ص١٣)

يمكن اعتبار بداية العمل الصرفي من الأعمال التي قام بها العلماء في الطبقة الأولى، حيث وضعوا أول تصنيفات للمصطلحات الصرفية التي لا تزال تستخدم حتى يومنا هذا. ومن أبرز تلك التصنيفات تقسيم الكلمة إلى اسم، وفعل، وحرف. فقد قال سيبويه: «هذا باب علم ما الكلمة من العربية»، مشيرًا إلى أن الكلمة تتنوع بين اسم، وفعل، وحرف، وكل منها يأتي بمعنى لا يختص باسمٍ أو فعلٍ فقط، وإنما يعبّر عن معانٍ مختلفة.، وقد قال بعضهم «إنَّ مَعاذَ بن مُسلِمٍ الهَرَّاء)(الامين، د.ت، ص١٣٠) ، أستاذُ الفرَّاء (غريب،١٩٧٣،ص٢٣) ، هو المؤسس لعلم الصرف، وذلك لأنه

كان أول من بدأ الحديث عنه كفرع مستقل عن علوم العربية الأخرى، كعلم النحو وغيرها. كما قام بوضع العديد من التمارين في كتبه، والتي كان الأقدمون يطلقون عليها اسم «التمارين»، بهدف تنمية المهارات الصرفية لدى الدارسين. « (سيبويه،١٩٧٧،ص١٢)

لشوقي ضيف رأي آخر، حيث يرى أن الهراء كان يستعرض بعض المسائل الخاصة بالتصريف، وأن النقد القدامى، مثل أبي عمرو بن العلاء وغيرهم من النحاة الأوائل، عالجوا العديد من المسائل الصرفية. ومن الأمثلة على ذلك ما أورده ابن جني في قضايا الإبدال، خاصة عند وقوع فاء «افتعل» زايًا، أو دالاً، أو ذالاً، وقلبها، مما يعكس الاهتمام بالمسائل الصرفيةالدقيقة.

أما عن عدم التأريخ الدقيق لنشأة علم الصرف، فذلك يعود إلى أن المصطلح السائد عند القدماء كان هو «علم العربية»، الذي كان يجمع بين النحو والصرف، وعلم اللغة والأصوات، مما أدى إلى تداخل المفاهيم وعدم تحديد بداية واضحة لهذا العلم، وفيما يخص رأي ابن عصفور في علم الصرف، فهو يرى أن «علم الصرف أو التصريف هو أشرف شطري العربية وأغمضهما»، مما يدل على مكانته العالية وأهميته الكبرى بين علوم العربية، وأنه من العلوم التي تتطلب فهماً عميقاً ودراسة متأنية.»، (الاشبيلي، د.ت،ص٢٧) نعم، يمكن القول إن النحاة لم يعدوا علم الصرف من العلوم المستقلة بذاته، وإنما كانوا يرونه أحد فروع علم النحو. كان يُنظر إلى الصرف على أنه مكمل للنحو، يختص بدراسة تصريف الكلمات وتشكيلها، ويخدم فهم البناء والصيغة في الكلمة النحوية، لذلك اعتُبر جزءًا لا يتجزأ من علم النحو وليس علماً مستقلاً بذاته في التصور التقليدي لعلماء النحو.(الاستربادي،١٩٧٥،ص٦)

ومصطلح «الصرف» في كلام القدماء كان في بعض الأحيان يُشير إلى موضوعات أوسع تتعلق بالتنوين وتشكيل الكلمات، وليس فقط إلى علم الصرف كما نعرفه اليوم. فقد احتوت الكتب التي ألفوها، بدءًا من كتاب سيبويه إلى المقتضب للمبرّد، مروراً بأصول ابن السراج، على أبواب عنونت بـ «ما ينصرف من الأسماء» و«لما لا ينصرف منها»، مما يدل على أن الاهتمام كان يتناول مسائل التصريف والتغييرات التي تطرأ على الأسماء والأفعال، وطرق تصريفها، بالإضافة إلى مسائل التنوين والتشكيل، بحيث كان المصطلح يُستخدم بشكل أوسع من المفهوم الحديث لعلم الصرف.».(اللغوي،ص٢٦)

ومن الدراسات التي تناولت دور الصرف في دراسة الأدب:

• دراسة: علي خليفة عطوة، عبد اللطيف، الأبنية الصرفية «يَفْتَعِل» «تَفَاعَل» «مَفْعَل» ودورها الدلالي في الكلمة القرآنية دراسة تحليلية استقرائية، مجلة جامعة الملك عبد العزيز – الآداب والإنسانيات، ٢٠٢٠م.

تتمحور مشكلة الدراسة حول وجود خلافات وتباينات بين كتب تفسير القرآن الكريم فيما يخص الأبنية الصرفية الثلاثة: «يَفْتَعِل»، و«تَفَاعَل»، و«مَفْعَل»، وذلك في سياق دلالاتها المعنوية والوظيفية داخل النص القرآني. فهذه الأبنية، التي تنتمي إلى علم الصرف، تُعد من الأدوات الأساسية التي تعبّر عن معاني متعددة وتؤدي وظائف دلالية مهمة في الكلمات القرآنية، إلا أن هناك تباينًا في التفسيرات حول مدى دلالاتها، وكيفية استثمارها في تفسير الآيات، وما إذا كانت تتضمن تغييرات صرفية من حيث الإعلال أو الإبدال، أو عمليات أخرى كالحذف، القلب، الإدغام، وغيرها.

ومن هنا، هدفت الدراسة بشكل رئيسي إلى استقراء مواضع ورود هذه الأبنية الثلاثة في القرآن الكريم، وتحليل أنواع التغييرات الصرفية التي تعرضت لها، خاصة الإعلال والإبدال، من أجل فهم أعمق لدلالاتها الصرفية، وبالتالي تفسير معاني الكلمات القرآنية بشكل أدق. فالمقصود هو الربط بين البنية الصرفية والمعنى الدلالي، لمعرفة كيف تساهم تصاريف الأبنية في إحداث التغيرات المعنوية، وما الأبعاد التي تكتسبها الكلمة من خلال ذلك.

أما المنهج المعتمد في الدراسة فهو المنهج التحليلي الاستقرائي، الذي يعتمد على تحليل النص القرآني من خلال جمع الآيات التي وردت فيها هذه الأبنية، ودراسة سياقاتها، وبيان التغييرات الصرفية التي طرأت عليها، مع استخراج الدلالات التي تتعلق بالبنية الصرفية لكل بناء، وتحليل الوظائف والمعاني التي تؤديها في النص القرآني.

وقد جاءت الدراسة في مقدمة تمهيدية، تناولت فيها تعريف المصطلحات الإجرائية الأساسية، مثل الأبنية الصرفية، الإعلال، الإبدال، الحذف، الإدغام، وغيرها، لضمان وضوح المفاهيم المستخدمة. ثم قسمت الدراسة إلى ثلاثة مباحث رئيسية، خصصت كل منها لدراسة أحد الأبنية الثلاثة على حدة، من خلال استقراء مواضع ورودها، وتحليل العمليات الصرفية التي تعرضت لها، مع بيان دلالاتها الصرفية والوظيفية في سياقاتها المختلفة.

وفيما يخص نتائج الدراسة، فقد أظهرت أن بنية «يَفْتَعِل» تتضمن عدة معانٍ، يمكن تلخيصها في خمسة معانٍ رئيسية، هي:

١. المطاوعة (أي الانقياد أو التلقي)،
٢. المشاركة أو التفاعلية (أي التفاعل بين الأطراف)،
٣. الاتخاذ (مثل اتخاذ موقف أو فعل معين)،
٤. الخطفة (أي المفاجأة أو الاختطاف)،
٥. زيادة معنى الافتعال (أي الزيادة في الفعل أو القوة).

أما بنية «تَفَاعَل»، فتمثل خمسة معانٍ رئيسية أيضًا، وهي:

١. المشاركة أو التفاعلية،
٢. التظاهر،
٣. الدلالة على التدرج أو الانتقال التدريجي،
٤. المطاوعة،
٥. المبالغة، حيث تعكس هذه المعاني تنوع الوظائف التي تؤديها هذه البنية في التعبير عن الأفعال والأحوال في النصوص القرآنية.

وفيما يخص بنية «مَفْعَل»، فقد تبين أنها تحتمل عدة معانٍ، وهي:

– المعنى المصدرية،
– المعنى الزمني،
– المعنى المكاني،

وتأتي هذه المعاني في جميع مواضع ورودها في القرآن الكريم، باستثناء خمسة مواضع، التي لا تحتمل إلا المعنى المصدرية، وهي:

– {مَيْسَرَة}،
– {مَعْشَر}،
– {مَفَرٌّ}،
– {مَعَاش}،
– {مَيْمَنَة}.

وتعكس هذه النتائج مدى تنوع ودقة تحليل البنى الصرفية، وأهميتها في فهم دلالة الكلمة القرآنية، حيث أن التغييرات الصرفية من إعلال وإبدال وحذف، وما يترتب عليها من تغييرات في المعنى، تعتبر أدوات حيوية لفهم النص القرآني بشكل أعمق، وارتباط بنيته الصرفية بمعانيه الدلالية.

دراسة: يوسف، مصطفى محمد أحمد، التتمات الصرفية في كتاب «خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي» دراسة وصفية تحليلية في ضوء علم اللغة المعاصر، مجلة كلية اللغة العربية، أسيوط، ٢٠٢٣.: تُعَدُّ هذه الدراسة من الدراسات المهمة التي تهدف إلى تحليل التتمات الصرفية في كتاب «خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب» للبغدادي، من خلال منهج وصفي تحليلي، في إطار علم اللغة المعاصر. وتكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تسلط الضوء على جانب

مهم من إسهامات العالم اللغوي والأديب أحمد بن علي البغدادي، الذي يُعد من أعلام العلماء الذين تركوا أثرًا واضحًا في مجال اللغة والأدب، خاصة من خلال كتابه «خزانة الأدب»، الذي يُعد من أشهر مؤلفاته، وهو شرح وتوضيح لشرح الرضي الإستراباذي على «الكافية» لابن الحاجب في علم النحو والصرف.

تهدف الدراسة إلى توضيح رأي البغدادي في التتمة، من خلال عرض وتحليل الآراء المختلفة التي تناولها النحاة والصرفيون حول مفهوم التتمة، مع بيان موقفه الشخصي من تلك الآراء، ومحاولة ترجيح ما يراه راجحًا بالدليل والحجة، استنادًا إلى منطلقات علمية حديثة ومتينة في علم اللغة المعاصر. كما تسعى الدراسة إلى استعراض الآراء والنقاشات التي أُثيرت حول التمات الصرفية، من خلال عرض الحجج والأدلة التي اعتمد عليها العلماء القدامى والمحدثون، بهدف فهم أبعاد التتمة الصرفية وأهميتها في تحليل النصوص وتفسيرها.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في أن «خزانة الأدب» يُعد من الكتب التي أُلفت خصيصًا لحل إشكالات وشوارد تتعلق بشواهد الكافية، بهدف إزالة الغموض عن معانيها، وتسهيل فهمها، لذا فإن تحليل التتمات الصرفية في هذا الكتاب يُعطي صورة واضحة عن منهج البغدادي في معالجة القضايا النحوية والصرفية، وبيان مدى اطلاعه الواسع على أمهات الكتب اللغوية والأدبية، وتفسيره للمسائل الصرفية بأسلوب علمي منطقي، يعتمد على الأدلة والبراهين.

وفيما يتعلق بالمحتوى، تُركز الدراسة على توضيح عدة تمات صرفية، حيث يُعرف التتمة بأنها ما يُكمل به الشيء ويُتمّ به، وأهميتها تكمن في أنها تساعد على فهم النصوص بشكل أدق وتفسير المعاني بشكل متين. من خلال تحليل تلك التتمات، يتضح أن البغدادي كان يتصف بغزارة علمه، واطلاعه الواسع، وقدرته على استنباط الآراء الصحيحة، حيث لم يكن مجرد ناقل لآراء العلماء، بل كان يختار ويُرجح ما يراه أصوب وأدعى للحجج، معتمدًا على أدلة قوية، ومرجعًا إلى الشواهد النحوية والصرفية التي تؤكد صحة كلامه.

أما عن المنهج الذي تتبعه الدراسة، فهو منهج وصفي تحليلي، حيث تمَّ جمع النصوص والأمثلة من «خزانة الأدب»، وتحليلها من ناحية الصرف، مع دراسة الآراء المختلفة التي تناولت التتمة، سواء كانت آراء قديمة أو حديثة، مع نقدها ومناقشتها، بهدف الوصول إلى تصور شامل لدور التتمة الصرفية في النص العربي، وبيان مدى صحة الآراء أو ضعفها، وكذلك إبراز منهجية البغدادي في اختيار وتقديم الآراء، وتوثيقها بالأدلة والبراهين، مع ملاحظة عدم ترتيب المسائل النحوية أو الصرفية حسب أية منهجية معينة مثل ألفية ابن مالك أو شافية ابن الحاجب، وإنما كانت ترتيباته تعتمد على سياق الموضوع وضرورة الشرح.

وفي الختام، فإن هذه الدراسة تُعَدُّ محاولة جادة لفهم منهج البغدادي في تحليل التتمات الصرفية، وتقديم صورة علمية موضوعية لآرائه، مما يُسهم في إثراء الدراسات اللغوية والأدبية، ويُعزز مكانة هذا الكتاب القيّم، ويُساعد الباحثين على التعرف على منهجه في تحليل النصوص، ومدى ارتباطه بمبادئ علم اللغة الحديث، مع تقديم نماذج تطبيقية توضح نتائج الدراسة، وتُبرز أهمية التتمة في فهم النصوص وترسيخ المعاني.

- دراسة عامر، زللي، علم الصرف، نظرياته وتطوراته والاستفادة منه في تعليم اللغة العربية، مجلة اللعجة العربية، ٢٠٢١م.: علم الصرف هو أحد فروع المعرفة الأساسية في اللغة العربية، ويُعد من الركائز التي يعتمد عليها فهم النصوص والتواصل اللغوي الصحيح. يهدف هذا العلم إلى تمكين المتعلم من التعرف على أشكال الكلمات، أصولها، التغيرات التي تطرأ عليها، والمعاني التي تنشأ عن تلك التغيرات. فمن خلال دراسة علم الصرف، يستطيع المتعلم أن يفهم تركيب الكلمة وكيفية اشتقاقها، مما يُساعده على تحليل النصوص بشكل أدق، وفهم المعاني المقصودة فيها، سواء في النصوص الأدبية، أو الشرعية، أو العلمية. جوهر علم الصرف يكمن في مناقشة أشكال الكلمات المختلفة، بهدف معرفة المعنى الحقيقي الذي يُراد من الكلمة، من خلال فهم التغييرات التي تطرأ على شكلها، سواء كانت زيادة، حذف، تحريف، أو غير ذلك من التغييرات التي تؤدي إلى اشتقاق كلمات جديدة أو تغييرات في المعنى. فمثلاً، فهم كيفية اشتقاق الأفعال من الجذر الثلاثي، أو من خلال الصيغ المختلفة، يُعطينا تصورًا واضحًا عن المعنى، ويُسهل علينا فهم النصوص وفهم

المراد منها.

الغاية الأساسية من تعلم علم الصرف ليست مجرد حفظ القواعد والأشكال، وإنما هو وسيلة وأداة تُساعد المتعلم على إتقان اللغة وفهمها بشكل أعمق. فالمعرفة بالصرف تُمكن الطالب من التمييز بين الكلمات، والتعرف على أصولها، وفهم العلاقات بين الكلمات المختلفة، مما يُعزز قدرته على التعبير والتفسير، ويُسهم في تطوير مهاراته اللغوية بشكل شامل. لذلك، فإن تعلم علم الصرف يُعد من الركائز التي تعتمد عليها الكفاءة اللغوية، ويُعتبر من المبادئ العلمية التي تعتمد على المنهج التجريبي والتطبيقي.

أما عن طرق تدريسه، فالذي يتضح هو أنه يتطلب جهودًا مستمرة وممارسة مكثفة، وليس مجرد حفظ القواعد النظريّة. فالممارسة والتطبيق العملي يُعدان من العناصر الأساسية لضمان استيعاب المفاهيم الصرفية بشكل جيد. ينبغي أن يكون التدريس تفاعليًا، يعتمد على الأمثلة الحية، والتمارين التطبيقية، والنقاشات العلمية، بحيث يربط المفاهيم النظرية بالواقع اللغوي. كما أن تنويع الأساليب، وتشجيع الطلاب على تحليل الكلمات، واستخدامها في جمل، وربطها بالسياقات النصية، يُعزز من قدراتهم على فهم علم الصرف بشكل عملي وفعال.

وفي الختام، فإن علم الصرف يُعد من العلوم التي تُحسن اللسان، وتُعزز من قدرة المتعلم على فهم النصوص المعقدة، وتُسهم في بناء قاعدة لغوية متينة، تساعده على التمكن من اللغة العربية بشكل أكاديمي، وأدبي، وتواصلي. لذا، فإن تدريسه بطريقة منهجية، تعتمد على الممارسة المستمرة، والتفاعل، والتطبيق العملي، هو السبيل لتحقيق أقصى استفادة منه، وتطوير مهارات الطلاب بشكل مستدام.

• دراسة السعود، محمد صالح، لعلامة اللغويّة ودورها في التحليل الصرفيّ دراسة صرفيّة في ضوء علم العلامات الحديث، مجلة الفرائد في البحوث الإسلامية، ٢٠١٩م.

تُعد دراسة العلامة اللغوية من الموضوعات الأساسية في علم اللغة، لأنها تلعب دورًا حيويًا في فهم أبنية الكلمات ودلالاتها، وتحديد العلاقات بين عناصر اللغة المختلفة. فالعلامة اللغوية تُعتبر وسيلة مهمة لتحديد المعنى، والتمييز بين الكلمات، وتفسير النصوص بشكل دقيق. فهي تساعد على فهم كيفية تكوين الكلمة، وما تحمله من دلالات، وكيفية ارتباطها بالسياق اللغوي العام.

وفي إطار هذه الدراسة، استخدم الباحث المنهج الوصفيّ التحليليّ، الذي يهدف إلى وصف الظاهرة وتحليل عناصرها بشكل منهجي، من أجل الوصول إلى نتائج دقيقة وشاملة حول طبيعة العلامة اللغوية، ودورها في اللغة العربية، خاصة في علم الصرف والنحو. هذا المنهج يتيح للباحث تتبع خصائص العلامة، وتحليلها من خلال البيانات اللغوية المختلفة، مع التركيز على تحليل العلاقات بين العلامة والكلمة، وكيفية استخدامها في السياقات المختلفة.

وقد أشارت الدراسة إلى مفهوم العلامة اللغوية في الدراسات اللسانية الحديثة، حيث يُنظر إليها على أنها وحدة أساسية في تحليل اللغة، وتُربط في بعض النظريات بعناصر مثل الصوت، والمعنى، والوظيفة. كما تناولت الدراسة أيضًا آراء علماء العربية القدامى والمحدثين، وبيّنت كيف أن العلامة اللغوية تتفاعل مع مفهوم الأصالة والفرعية، حيث يُنظر إلى بعض العلامات على أنها أصيلة في بناء الكلمة ومعناها، بينما تُعتبر العلامات الفرعية مؤثرة في التغييرات الدلالية أو في التوسعة المعجمية.

وفيما يخص تعريف العلامة اللغوية الصرفية، فهي تُعرف بأنها ذلك الوسم أو العلامة التي تميز الكلمة عن غيرها، سواء كانت لفظية أو معنوية، وتُعطينا دلالة جديدة أو إضافية. فهذه العلامة تُساعد على تصنيف الكلمة، وفهم وظيفتها، ودورها في تركيب الجملة، والرسائل التي تُريد إيصالها.

وقد أظهرت نتائج الدراسة أن العلامة اللغوية ليست مجرد رمز أو إشارة، بل هي وَسْمٌ لغوي يُميز الكلمة ويمنحها دلالة خاصة، سواء كانت لفظية، من خلال الحروف، أو حركات الإعراب، أو من خلال الدلالة المعنوية، أو الاشتقاق النحوي. فالباحثون في علم الصرف والنحو يُدللون على وجود علامات صرفية، أو عناصر صوتية، تُعبر عن معانٍ أو

وظائف معينة، مثل الحركات، والاشتقاق، والنحو، التي تُعدّ علامات صامتة أو صريحة، وتُسهم في تحديد معنى الكلمة وتركيبها.

كما أظهرت الدراسة أن علماء اللغة استدلوا على وجود المباني الصرفية من خلال مجموعة من العلامات، التي تتضمن الحروف، والحركات، والدلالة المعنوية، والاشتقاق، والنحو، وأحيانًا العلامة الصفرية، التي لا تُلفظ ولكنها تؤثر في المعنى أو في وظيفة الكلمة. فهذه العلامات تُعدّ أدوات مهمة في تحليل البناء الصرفي للكلمة، وفهم بنيتها، وتفسير دلالاتها بشكل دقيق، مما يُسهم في تطوير علم الصرف وفهم اللغة بشكل أعمق.

الخاتمة:

ختامًا، يظهر أن علم الصرف يلعب دورًا حيويًا وأساسيًا في تشكيل المعنى وتأثيره على فهم النصوص الأدبية في اللغة العربية. فهو ليس مجرد علم يتعلق بتغيير أشكال الكلمات، بل هو أداة فاعلة تُسهم في إضفاء العمق والديناميكية على النصوص، من خلال إحداث تغييرات دقيقة في البنية الصرفية التي تحمل دلالات متعددة ومعانٍ متعددة الأبعاد. إن فهم العمليات الصرفية، من إعلال وإبدال وحذف، يُمكّن الباحث والمتلقي على حد سواء من استيعاب المعاني الخفية، والتقاط الرسائل البلاغية والفنية التي تنطوي عليها النصوص، مما يعزز من قدرتهم على التفاعل والتفسير بشكل أعمق.

كما أن ارتباط الصرف بالبلاغة والأدب يُبرز مدى تداخل العلوم اللغوية في بناء الصورة الكلية للغة العربية، ويُعزز من مكانة هذا العلم في دراسة النصوص الأدبية، سواء القديمة أو الحديثة. لذا، فإن دراسة الصرف وتطبيقاته ليست مجرد معرفة نظرية، بل هي وسيلة حيوية لفهم أسرار اللغة وجمالياتها، تُمكّن من إبراز الإبداع الفني والأدبي، وتُسهم في الحفاظ على تراثنا الثقافي واللغوي الثري.

المصادر:

الرّماليّ، ممدوح عبد الرحمن، التحليل الصرفيُّ في الدرس العربيّ التُّراثيّ، مكتبة دار العلوم الألمانيَّة ـ ألمانية/١٤٢١/، ص: ١٣.
كوفيٌّ من أصحاب الإمام الصادق(عليه السلام) الذين أدركوا الإمام الباقر(عليه السلام)، كان شاعرًا نحويًّا مُتَفنِّنًا في الآداب، أستاذ الكسائيّ والفرّاء، عمَّرَ طويلًا، ت: ١٨٧هـ.(الأمين، السيّد محسن، أعيان الشيعة، ج١٠، ص: ١٣٠).
نافع غريب، عبد المجيد، الصرف القياسيُّ وأثرُه في نموّ اللّغة، دار الطّباعة المُحمَّديَّة ـ القاهرة،/١٩٧٣/ ص: ٢٣.
ابن قنبر، عمرو بن عثمان، سيبوَيه، الكتاب، تح: عبد السّلام محمَّد هارون، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، ط: ٢،/١٩٧٧/، ج١، ص: ١٢.
ابن عصفور، ابن مؤمن، عليّ الإشبيليّ، المُمتع في التّصريف، تح: د. فخر الدّين قباوة، المكتبة العربيَّة بحلب، ص: ٢٧
الاستراباذي، محمّد بن الحسن، رَضيّ الدين، شرح شافيَة ابن الحاجِب، تح: محمّد الزّفزاف ورِفاقُه، دار الكُتُب العلميَّة بيروت ـ لبنان/١٩٧٥/, ج١، ص: ٦.



المعارضة السياسية في النظم الديمقراطية التوافقية
دراسة تحليلية مقارنة

الباحثة: هالة رشيد حميد م. م. نور صاحب حسن محيسن
الجامعة المستنصرية / كلية التربية



المستخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل دور المعارضة السياسية في النظم الديمقراطية التوافقية من خلال منهج مقارن يشمل أربع حالات دراسية بلجيكا، سويسرا، هولندا، ولبنان تنطلق الدراسة من إشكالية التناقض الظاهري بين طبيعة الديمقراطية التوافقية القائمة على التوافق وتقاسم السلطة، وبين الدور التقليدي للمعارضة السياسية المرتكز على التنافس والمواجهة. تفترض الدراسة أن دور المعارضة في النظم التوافقية يختلف جوهريًا عن دورها في الديمقراطيات الأغلبية، حيث يتسم بالمرونة والتكيف مع طبيعة النظام التوافقي. تعتمد الدراسة على المنهج المقارن لتحليل الخصائص المميزة للديمقراطية التوافقية في كل حالة، ودور المعارضة ضمن هذا الإطار، والآليات التي تستخدمها لممارسة تأثيرها، والتحديات التي تواجهها. توصلت الدراسة إلى أن المعارضة في النظم التوافقية تضطلع بأدوار حيوية في الرقابة والضغط وتمثيل مصالح المكونات المجتمعية من خلال آليات تتناسب مع بيئة التوافق مما يسهم في استقرار النظام السياسي، وإن كان ذلك قد يحد من قدرتها على إحداث تغيير جذري أو تقديم بدائل سياسية شاملة. كما أظهرت الدراسة تنوع أشكال المعارضة في النظم التوافقية من المعارضة من داخل الائتلافات الحكومية إلى المعارضة الشعبية المباشرة، مما يعكس قدرة هذه النظم على استيعاب التنوع السياسي والمجتمعي.

الكلمات المفتاحية: المعارضة السياسية، الديمقراطية التوافقية، تقاسم السلطة، التوافق السياسي، الدراسة المقارنة.

Abstract:

This study aims to analyze the role of political opposition in consociational democratic systems through a comparative approach that includes four case studies: Belgium, Switzerland, the Netherlands, and Lebanon. The study stems from the apparent contradiction between the nature of consociational democracy based on consensus and power-sharing, and the traditional role of political opposition centered on competition and confrontation. The study hypothesizes that the role of opposition in consociational systems differs fundamentally from its role in majoritarian democracies, characterized by flexibility and adaptation to the nature of the consociational system. The study employs a comparative method to analyze the distinctive characteristics of consociational democracy in each case, the role of opposition within this framework, the mechanisms it uses to exercise its influence, and the challenges it faces. The study concluded that opposition in consociational systems plays vital roles in oversight, pressure, and representing the interests of societal components through mechanisms appropriate to the consensus environment, contributing to the stability of the political system, although this may limit its ability to bring about radical change or provide comprehensive political alternatives. The study also showed the diversity of forms of opposition in consociational systems, from opposition within government coalitions to direct popular

opposition, reflecting the ability of these systems to accommodate political .and social diversity.

Keywords: Political Opposition, Consociational Democracy, Power .Sharing, Political .Consensus, Comparative Study

المقدمة:

تُعَدُّ الديمقراطية التوافقية نموذجًا كميًا متميزا يهدف إلى ترسيخ الاستقرار السياسي والاجتماعي في المجتمعات التي تتسم بتعددية ثقافية، عرقية أو دينية عميقة. خلافا للديمقراطيات الأغلبية التي تعتمد على التنافس الحزبي الصريح بين الأغلبية والأقلية تستند الديمقراطية التوافقية إلى مبادئ محورية تشمل تقاسم السلطة والتوافق بين النخب السياسية والتمثيل النسبي لجميع المكونات المجتمعية، فضلاً : منح استقلالية قطاعية للمجموعات المتباينة. يثير هذا النموذج بحكم طبيعته تساؤلات جوهرية حول الدور الذي يمكن أن تضطلع به المعارضة السياسية، التي تُعَدُّ ركيزة أساسية لأي نظام ديمقراطي فاعل. فكيف يمكن للمعارضة أن تمارس وظائفها الرقابية والتشريعية في سياق نظام يقوم على التوافق والتعاون بدلاً من المواجهة والتنافس التقليدي؟ وما هي أبرز التحديات البنيوية والوظيفية التي قد تعترض سبيلها في مثل هذه البيئة السياسية المعقدة؟

تسعى هذه الدراسة إلى تقديم تحليل مقارن معمق لدور المعارضة السياسية ضمن النظم الديمقراطية التوافقية. سنستهل البحث بتأصيل الإطار النظري والمفاهيمي الذي يحكم هذه النظم، مستعرضين أبرز النظريات والمقاربات التي تناولت الديمقراطية التوافقية ودور المعارضة فيها. بعد ذلك، سننتقل إلى دراسة حالات عملية مختارة بعناية فائقة، تشمل بلجيكا سويسرا ،هولندا ولبنان، بوصفها نماذج ثرية ومتنوعة لتطبيق الديمقراطية التوافقية من خلال هذا التحليل نهدف إلى بلورة فهم نقدي لطبيعة المعارضة في هذه النظم والآليات المتنوعة التي تتبناها لممارسة تأثيرها، فضلاً عن التحديات المعقدة التي تواجهها في سياقاتها الخاصة وفي الختام، سنستخلص استنتاجات شاملة حول مدى فعالية هذا الدور وتأثيره على الاستقرار السياسي العام في المجتمعات التوافقية مع تقديم رؤى نظرية وتطبيقية تسهم في إثراء الأدبيات الأكاديمية في هذا المجال.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في التناقض الظاهري بين طبيعة الديمقراطية التوافقية التي ترتكز على التوافق وتقاسم السلطة بين المكونات المجتمعية المتعددة، وبين الدور التقليدي للمعارضة السياسية، الذي يقوم عادةً على التنافس والمواجهة بهدف الوصول إلى السلطة. هذا التناقض يثير تساؤلات حول كيفية ممارسة المعارضة لدورها الفعال في بيئة سياسية تسعى إلى تقليل حدة الصراع وتعزيز التعاون، وما إذا كانت آليات عملها تختلف جوهريًا عن تلك المتبعة في الديمقراطيات الأغلبية.

فرضية البحث

تفترض هذه الدراسة أن دور المعارضة السياسية في النظم الديمقراطية التوافقية يختلف جوهريا عن دورها في الديمقراطيات الأغلبية، حيث يتسم بالمرونة والتكيف مع طبيعة النظام التوافقي. فبدلاً من السعي للإطاحة بالحكومة تركز المعارضة في هذه النظم على الرقابة والضغط وتمثيل مصالح المكونات المجتمعية من خلال آليات تتناسب مع بيئة التوافق مما يسهم في استقرار النظام السياسي، وإن كان ذلك قد يحد من قدرتها على إحداث تغيير جذري أو تقديم بدائل سياسية شاملة.

منهجية البحث:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج المقارن كأداة تحليلية رئيسية لفهم وتفسير دور المعارضة السياسية في النظم الديمقراطية التوافقية. سيتم تطبيق هذا المنهج من خلال دراسة حالات أربع دول تُعد أمثلة بارزة وثرية لتطبيق

الديمقراطية التوافقية وهي بلجيكا، سويسرا، هولندا، ولبنان سيتم تحليل كل حالة بشكل معمق لتحديد الخصائص المميزة للديمقراطية التوافقية فيها، ودور المعارضة السياسية ضمن هذا الإطار، والآليات المحددة التي تستخدمها لممارسة تأثيرها فضلاً عن التحديات الفريدة التي تواجهها. بعد الانتهاء من التحليل الفردي لكل حالة، سيتم إجراء تحليل مقارن شامل لتحديد أوجه التشابه والاختلاف الجوهرية بين هذه النماذج مما سيمكننا من استخلاص استنتاجات عامة حول طبيعة وفعالية دور المعارضة في النظم التوافقية، وتقديم رؤى أعمق حول كيفية تكيف هذه النظم مع التحديات المختلفة.

الإطار النظري والمفاهيمي:

ماهي الديمقراطية التوافقية: تأصيل نظري:

تعرف الديمقراطية التوافقية بانها واحدة من النماذج السياسية التي اخذت حيزا واسعا في حقل السياسة خصوصا بعد الحرب العالمية الثانية، وذلك لكونها طبقت في البلدان للتعددية بعد سقوط انظمتها الشمولية مما ادى الى زيادة الاخفاق والصراع والتعقيد في اغلب البلدان التي اخذت تلك التجربة. (عبدالكريم، ٢٠٢٤) وقد برز هذا المفهوم كبديل للديمقراطيات الأغلبية التي قد لا تكون مناسبة للمجتمعات المنقسمة حيث يمكن أن تؤدي المنافسة الحادة إلى تفاقم الانقسامات بدلاً من حلها. يُعزى الفضل في صياغة هذا المفهوم وتطويره إلى عالم السياسة الهولندي أرند ليبهارت في ستينيات القرن الماضي، الذي حدد أربعة ركائز أساسية تقوم عليها الديمقراطية التوافقية

١. الحكومة الائتلافية الكبرى(Grand Coalition) تتمثل هذه الركيزة في تشكيل حكومة تضم ممثلين عن جميع أو معظم الأحزاب السياسية البارزة التي تمثل المجموعات الفرعية الأساسية في المجتمع. يهدف هذا الترتيب إلى ضمان مشاركة واسعة في عملية صنع القرار، وبالتالي تقليل احتمالية هيمنة مجموعة واحدة على حساب الأخرى، مما يعزز الشعور بالشمولية والعدالة بين جميع الأطراف.

٢. التمثيل النسبي (Proportionality): يتطلب هذا المبدأ تطبيق نظام انتخابي يضمن تمثيلاً عادلاً لجميع المجموعات الفرعية في الهيئات التشريعية والإدارية. يعكس هذا التمثيل التنوع المجتمعي القائم، ويضمن أن أصوات الأقليات لا تُهمش، مما يعزز شرعية النظام السياسي وقبوله من قبل جميع الأطراف.

٣. حق النقض المتبادل(Mutual Vetoe): يُمنح كل مكون رئيسي في المجتمع حق النقض على القرارات التي قد تمس مصالحه الحيوية بشكل مباشر. هذا الحق لا يُقصد به تعطيل العمل الحكومي، بل هو آلية لضمان عدم اتخاذ قرارات أحادية الجانب قد تؤدي إلى تهميش أو إقصاء أي مجموعة، مما يشجع على التوافق والتفاوض المستمر بين النخب.

٤. الاستقلالية القطاعية (segmental Autonomy) تُمنح المجموعات الفرعية في المجتمع درجة من الاستقلالية في إدارة شؤونها الخاصة مثل التعليم والثقافة والشؤون الدينية، وذلك من خلال مؤسساتها الخاصة. يتيح هذا المبدأ لكل مجموعة الحفاظ على هويتها وقيمها الفريدة، ويقلل من الاحتكاك مع السلطة المركزية، مما يسهم في استقرار النظام العام.

دور المعارضة السياسية في سياق الديمقراطية التوافقية: مقاربة تحليلية

يُعرف مفهوم المعارضة السياسية في النظم الديمقراطية التقليدية بأنه فئة او حزب تأخذ في طريق غير طريق الاخرين في الافكار والمواقف (دخيل و عبهول، ٢٠٢٣) او انه مجموعة أو حزب سياسي لا يشغل مقاعد في الحكومة، ويسعى إلى مراقبة أدائها ونقد سياساتها، وتقديم بدائل، بهدف نهائي هو الوصول إلى السلطة. بيد أن هذا المفهوم يتخذ أبعادًا مختلفة ومعقدة في سياق الديمقراطية التوافقية، حيث تتسم طبيعة النظام بالتعاون والتوافق بدلاً من التنافس الصريح اذ تهدف المعارضة السياسية إلى مراقبة الحكومة وتدارك اخطاءها ، الاشتراك في ممارسة السلطة، العمل على تحقيق الاستقرار السياسي والعمل على توفير الضمانات القانونية للحريات العامة (محمود و تركي،

٢٠٢٥)

المعارضة كجزء لا يتجزأ من النظام على عكس النظم الأغلبية حيث تُنظر إلى المعارضة كقوة خارجية تسعى إلى الإطاحة بالحكومة غالبًا ما تكون المعارضة في النظم التوافقية جزءًا أصيلاً من عملية التوافق الشاملة. قد تشارك الأحزاب التي تُصنف تقليديًا كمعارضة في الحكومات الائتلافية أو تمارس دورها من خلال آليات غير تقليدية تتناسب مع طبيعة النظام

وظيفة الرقابة والتوازن حتى عندما لا تكون الأحزاب جزءًا مباشرًا من الحكومة، فإنها تضطلع بدور رقابي حيوي على أدائها . ومع ذلك، فإن هذا الدور يهدف إلى الحفاظ على الاستقرار والتوازن بين المكونات المختلفة للمجتمع. قد تركز المعارضة على قضايا محددة تهم قاعدتها الانتخابية، وتسعى لتحقيق مكاسب من خلال الضغط والتفاوض، بدلاً من اللجوء إلى المواجهة الشاملة التي قد تهدد استقرار النظام

تمثيل مصالح المجموعات: تظل المعارضة قناة أساسية وفعالة للتعبير عن مصالح المجموعات اللغوية أو الدينية، أو الاجتماعية. فمن خلال الأحزاب التي تمثل هذه المجموعات، تضمن المعارضة أن أصوات الأقليات تُسمع وأن مصالحها تُؤخذ في الاعتبار بجدية عند صياغة السياسات العامة، مما يعزز من شمولية النظام وقدرته على استيعاب التنوع .

دراسات الحالة/

١– دراسة الحالة : بلجيكا كنموذج للديمقراطية التوافقية

تعد المملكة البلجيكية مثالاً كلاسيكيًا للديمقراطية التوافقية وهو احد الحلول للحفاظ على وحدة الدولة (جساس، ٢٠٢١)، حيث تطورت هذه الآلية السياسية المعقدة كاستجابة للانقسامات العميقة والمتجذرة بين المجموعات اللغوية والثقافية الرئيسية داخل البلاد: الناطقين بالهولندية (الفلمنكيين) والناطقين بالفرنسية (الوالونيين). لقد أدت هذه الانقسامات التاريخية، التي غالبا ما اتخذت أبعادًا سياسية واقتصادية إلى تبني نظام سياسي يهدف في جوهره إلى تحقيق الاستقرار والوئام من خلال تقاسم السلطة والتوافق المستمر بين النخب السياسية الممثلة لهذه المجموعات.

السمات المميزة للديمقراطية التوافقية في بلجيكا

١ . الائتلافات الحكومية الواسعة تتميز الحياة السياسية البلجيكية بتشكيل حكومات ائتلافية تضم ممثلين عن الأحزاب الرئيسية من كلا المجموعتين اللغويتين. يضمن هذا النهج الشامل مشاركة واسعة في عملية صنع القرار على المستوى الفيدرالي، ويقلل بشكل كبير من احتمالية هيمنة مجموعة لغوية على أخرى، مما يعزز الشعور بالعدالة والتمثيل المتوازن.

٢ . التمثيل النسبي: يعتمد النظام الانتخابي البلجيكي على مبدأ التمثيل النسبي، وهو ما يضمن حصول الأحزاب الأصغر والمجموعات اللغوية على تمثيل عادل في البرلمان. هذا النظام لا يعزز فقط من فرص مشاركة هذه المجموعات في العملية السياسية، بل يضمن أيضًا أن أصواتها تُسمع وتُؤخذ في الاعتبار.

٣ . الاستقلالية القطاعية : تتمتع المجموعات اللغوية في بلجيكا بدرجة عالية من الاستقلالية في إدارة شؤونها الخاصة، لا سيما في مجالات حيوية مثل التعليم والثقافة. يتم ذلك من خلال هياكل فيدرالية قوية تمنح الأقاليم صلاحيات واسعة مما يقلل من الاحتكاك مع السلطة المركزية ويسهم في الحفاظ على الهويات الثقافية المميزة لكل مجموعة.

٤. آليات التوافق وحق النقض المتبادل: على الرغم من عدم وجود حق نقض رسمي صريح ومطلق في جميع القرارات، إلا أن هناك آليات توافقية راسخة تضمن عدم اتخاذ قرارات تمس المصالح الحيوية لأي من المجموعتين اللغويتين دون موافقتها. هذه الآليات تعزز الثقة المتبادلة وتمنع تهميش الأقليات مما يدفع نحو حلول توافقية للقضايا الخلافية.

دور المعارضة السياسية في بلجيكا:

في سياق الديمقراطية التوافقية البلجيكية، يختلف دور المعارضة بشكل جوهري عن النموذج التقليدي للديمقراطيات الأغلبية. فبدلاً من أن تكون المعارضة قوة تسعى إلى الإطاحة بالحكومة وتشكيل بديل لها، فإنها غالبا ما تكون جزءًا لا يتجزأ من عملية التوافق الشاملة. يمكن تلخيص دور المعارضة في بلجيكا على النحو التالي:

المشاركة الضمنية في الحكم: نظرًا للطبيعة الشاملة للائتلافات الحكومية الواسعة، قد تجد بعض الأحزاب التي تُصنف تقليديًا كمعارضة نفسها جزءًا من الحكومة الائتلافية. هذا يعني أن المعارضة تمارس دورها من داخل النظام، وتسعى للتأثير على السياسات من خلال التفاوض المستمر والتوافق، بدلاً من المواجهة المباشرة.

الرقابة الفعالة والتوازن الدقيق حتى عندما تكون الأحزاب خارج التشكيلة الحكومية، فإنها تضطلع بدور رقابي حيوي . على أدائها.. ومع . ذلك، فإن هذا الدور يهدف إلى الحفاظ على الاستقرار والتوازن بين المكونات المختلفة للمجتمع. قد تركز المعارضة على قضايا محددة تهم قاعدتها الانتخابية، وتسعى لتحقيق مكاسب من خلال الضغط والتفاوض بدلاً من تبني استراتيجيات المواجهة الشاملة التي قد تزعزع الاستقرار.

• التعبير عن مصالح المجموعات اللغوية: تظل المعارضة في بلجيكا قناة أساسية وفعالة للتعبير عن مصالح المجموعات اللغوية والثقافية المختلفة، فمن خلال الأحزاب التي تمثل هذه المجموعات تضمن المعارضة أن أصوات الأقليات تُسمع وأن مصالحها تُؤخذ في الاعتبار بجدية عند صياغة السياسات العامة، مما يعزز من شمولية النظام وقدرته على استيعاب التنوع.

. التحديات القائمة يواجه دور المعارضة في بلجيكا بعض التحديات الجوهرية. فقد يؤدي التركيز المفرط على التوافق إلى تقليل حدة التنافس السياسي، مما قد يجعل من الصعب على المعارضة تقديم بدائل سياسية واضحة أو مساءلة الحكومة بفعالية. علاوة على ذلك، فإن الانقسامات اللغوية قد تؤدي إلى تفتيت المعارضة على أسس إقليمية ولغوية، مما يقلل من قدرتها على تشكيل جبهة موحدة وفعالة على المستوى الوطني.

على الرغم من هذه التحديات فإن النموذج البلجيكي يقدم دليلاً واضحًا على كيفية قدرة الديمقراطية التوافقية على توفير إطار مستقر للسياسة في المجتمعات المنقسمة، حيث تلعب المعارضة دورًا تكامليا يهدف إلى الحفاظ على التوازن والتعاون بدلاً من الصراع التقليدي.

٢– دراسة الحالة سويسرا كنموذج للديمقراطية التوافقية

تعد سويسرا من ابرز الدول التي لها تاريخ قديم في استخدام الديمقراطية التوافقية في نظامها السياسي (علوان و رجه، ٢٠١٩) اذ تُعتبر نموذجًا فريدًا للديمقراطية التوافقية حيث تمزج ببراعة بين خصائص الديمقراطية المباشرة ونظام راسخ لتقاسم السلطة بين مكوناتها اللغوية والدينية المتنوعة الألمانية، الفرنسية، الإيطالية، والرومانشية). لقد أثمرت هذه التركيبة المعقدة عن نظام سياسي يتميز بالاستقرار والقدرة على التكيف، يعتمد بشكل كبير على التوافق والتعاون المستمر بين النخب السياسية الممثلة لهذه المجموعات.

السمات المميزة للديمقراطية التوافقية في سويسرا:

١. الحكومة الائتلافية الشاملة المجلس الفيدرالي: يتألف المجلس الفيدرالي السويسري من سبعة أعضاء يمثلون الأحزاب السياسية الرئيسية في البلاد، بغض النظر عن حجمها النسبي في البرلمان. يضمن هذا التكوين الشامل مشاركة جميع القوى السياسية الكبرى في عملية صنع القرار على المستوى التنفيذي، ويعكس بوضوح التنوع المجتمعي الغني لسويسرا.

٢. التمثيل النسبي: يعتمد النظام الانتخابي السويسري على مبدأ التمثيل النسبي، مما يكفل حصول المجموعات اللغوية والأحزاب الأصغر على تمثيل عادل في البرلمان. هذا النظام لا يعزز فقط من فرص مشاركة هذه المجموعات في العملية السياسية، بل يضمن أيضًا أن أصواتها تُسمع وتُؤخذ في الاعتبار بجدية.

٣. الاستقلالية القطاعية الفيدرالية والكانتونات تتمتع الكانتونات السويسرية بدرجة عالية من الاستقلالية الذاتية في إدارة شؤونها الخاصة. هذا التوزيع اللامركزي للسلطة يسمح لكل منطقة بالحفاظ على هويتها الثقافية واللغوية الفريدة، ويقلل من الحاجة إلى التدخل المركزي، مما يسهم بشكل فعال في الحفاظ على التنوع المجتمعي.

٤. حق النقض المتبادل من خلال الديمقراطية المباشرة: على الرغم من عدم وجود حق نقض رسمي صريح ومطلق

للأقليات في جميع القرارات، فإن آليات الديمقراطية المباشرة في سويسرا، مثل الاستفتاءات والمبادرات الشعبية، تمنح المواطنين، وبالتالي المجموعات المختلفة، القدرة على الاعتراض على القوانين القائمة أو اقتراح قوانين جديدة. يمثل هذا شكلاً فعالاً من أشكال حق النقض الذي يضمن عدم تهميش أي مجموعة ، ويشجع على التوافق والتفاوض المستمر.

دور المعارضة السياسية في سويسرا:

في سويسرا، يختلف مفهوم المعارضة السياسية بشكل كبير عن النماذج السائدة في الديمقراطيات الأغلبية. فبما أن جميع الأحزاب الكبرى ممثلة في الحكومة، فإن المعارضة التقليدية بالمعنى الغربي تكاد تكون غائبة. بدلاً من ذلك، يمكن وصف دور المعارضة في سويسرا على النحو التالي:

. المعارضة من داخل الحكومة: غالبًا ما تمارس الأحزاب الممثلة في الحكومة دور المعارضة من داخل الائتلاف الحاكم نفسه. قد تعارض هذه الأحزاب بعض المقترحات الحكومية أو السياسات التي لا تتوافق مع مبادئها أو مصالح قاعدتها الانتخابية، مما يؤدي إلى نوع من الاستقطاب السياسي الداخلي ضمن الحكومة.

. المعارضة البرلمانية المحدودة: قد تظهر المعارضة من خلال الأحزاب الصغيرة التي لا تمثل في الحكومة، أو من خلال مجموعات داخل الأحزاب الكبرى التي تعارض سياسات معينة. ومع . ذلك، فإن تأثير هذه المعارضة غالبًا ما يكون محدودًا بسبب طبيعة نظام التوافق الذي يركز على الإجماع.

. المعارضة الشعبية كقوة دافعة (الديمقراطية المباشرة) : تُعد الديمقراطية المباشرة في سويسرا هي الشكل الأكثر فاعلية وتأثيرًا للمعارضة. يمكن للمواطنين من خلال المبادرات الشعبية والاستفتاءات، الاعتراض على قرارات الحكومة أو البرلمان، مما يمنحهم قوة كبيرة في التأثير على السياسات العامة. هذا يسمح للمعارضة الشعبية بتجاوز الأحزاب السياسية والضغط مباشرة على الحكومة، مما يجعلها قوة رقابية لا يستهان بها.

التحديات الفريدة: يواجه دور المعارضة في سويسرا تحديات تتعلق بضعف دورها التقليدي في تقديم بدائل سياسية واضحة، حيث أن التركيز على التوافق قد يؤدي إلى طمس الفروقات الأيديولوجية بين الأحزاب. كما أن طبيعة النظام الفيدرالي والديمقراطية المباشرة قد تجعل من الصعب على المعارضة تشكيل جبهة موحدة وفعالة على المستوى الوطني.

على الرغم من هذه التحديات فإن النموذج السويسري يقدم دليلاً ساطعًا على كيفية قدرة الديمقراطية التوافقية على توفير إطار مستقر ومرن للسياسة في المجتمعات المنقسمة، حيث تلعب المعارضة دورًا تكامليا يهدف إلى الحفاظ على التوازن والتعاون بدلاً من الصراع التقليدي مع إتاحة مساحة واسعة للمشاركة الشعبية المباشرة.

٣– دراسة الحالة هولندا كنموذج للديمقراطية التوافقية

تعد هولندا من الدول الرائدة التي تبنت نموذج الديمقراطية التوافقية لا سيما في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية. جاء هذا التبني كاستجابة للانقسامات المجتمعية العميقة التي كانت سائدة آنذاك، والتي قامت على أسس دينية بين الكاثوليك والبروتستانت واجتماعية بين العمال وأصحاب الأعمال). وقد اشتهر هذا النظام في هولندا بمصطلح نظام الأعمدة (Pillarization)، حيث كانت كل مجموعة مجتمعية رئيسية (عمود) تمتلك شبكة متكاملة من المؤسسات الخاصة بها، تشمل الأحزاب السياسية، والنقابات والمدارس والمستشفيات، وحتى وسائل الإعلام الخاصة بها.

السمات المميزة للديمقراطية التوافقية في هولندا:

١ . الحكومة الائتلافية الواسعة تميزت الحياة السياسية الهولندية بتشكيل حكومات ائتلافية تضم ممثلين عن الأحزاب الرئيسية من مختلف الأعمدة «المجتمعية. هذا الترتيب ضمن مشاركة واسعة في عملية صنع القرار على المستوى الوطني وقلل من احتمالية هيمنة أي مجموعة على أخرى، مما عزز من الاستقرار السياسي .

٢ . التمثيل النسبي : اعتمد النظام الانتخابي الهولندي على مبدأ التمثيل النسبي، وهو ما كفل حصول الأحزاب

الأصغر والمجموعات المجتمعية على تمثيل عادل في البرلمان. هذا النظام لم يعزز فقط من فرص مشاركة هذه المجموعات في العملية السياسية، بل ضمن أيضًا أن أصواتها تُسمع وتُؤخذ في الاعتبار.

٣. الاستقلالية القطاعية (Pillarization): تمتعت المجموعات المجتمعية في هولندا بدرجة عالية من الاستقلالية في إدارة شؤونها الخاصة من خلال مؤسساتها المنفصلة سمح هذا الترتيب لكل مجموعة بالحفاظ على هويتها وقيمها الفريدة، مع الحفاظ على قنوات اتصال وتعاون على المستوى النخبوي لضمان التوافق العام.

٤. حق النقض المتبادل الضمني على الرغم من عدم وجود حق نقض رسمي صريح، إلا أن عملية صنع القرار كانت تتطلب توافقا واسعًا بين النخب الممثلة لمختلف الأعمدة. هذا التوافق الضمني ضمن عدم اتخاذ قرارات تمس المصالح الحيوية لأي مجموعة دون موافقتها، مما عزز من الثقة المتبادلة والاستقرار.

دور المعارضة السياسية في هولندا:

في سياق الديمقراطية التوافقية الهولندية، كان دور المعارضة مختلفًا عن النموذج التقليدي للديمقراطيات الأغلبية. فبسبب طبيعة نظام «الأعمدة» والحكومات الائتلافية الواسعة كانت المعارضة غالبا ما تكون جزءا من النظام بدلاً من أن تكون قوة خارجية تسعى للإطاحة به. يمكن تلخيص دور المعارضة في هولندا على النحو التالي:

. المعارضة من داخل الائتلاف في كثير من الأحيان كانت الأحزاب التي تُصنف تقليديًا كمعارضة تجد نفسها جزءا من الحكومة الائتلافية. هذا يعني أن المعارضة تمارس دورها من داخل النظام، وتسعى للتأثير على السياسات من خلال التفاوض والتوافق بين النخب بدلاً من المواجهة المباشرة.

• ضعف المعارضة البرلمانية التقليدية: نظرًا لأن معظم الأحزاب الكبرى كانت جزءًا من الائتلافات الحكومية، كان دور المعارضة البرلمانية التقليدية ضعيفًا نسبيًا. لم يكن هناك حافز كبير للأحزاب لتقديم بدائل سياسية واضحة أو مساءلة الحكومة بفعالية، حيث أن الهدف الأساسي كان الحفاظ على الاستقرار والتوافق.

التركيز على القضايا الاجتماعية والاقتصادية بدلاً من التركيز على الصراع السياسي المباشر، غالبًا ما كانت المعارضة في هولندا تركز على القضايا الاجتماعية والاقتصادية التي تهم قاعدتها الانتخابية. كانت تسعى لتحقيق مكاسب من خلال الضغط على الحكومة والتفاوض معها، بدلاً من السعي للإطاحة بها.

التحديات التي واجهتها واجهت المعارضة في هولندا تحديات تتعلق بقدرتها على التمايز عن الحكومة، حيث أن المشاركة الواسعة في الائتلافات الحكومية أدت إلى طمس الفروقات الأيديولوجية بين الأحزاب. كما أن نظام الأعمدة» أدى إلى تفتيت المعارضة على أسس مجتمعية، مما قلل من قدرتها على تشكيل جبهة موحدة وفعالة. (شوكات، ٢٠٢٢) وعلى الرغم من هذه التحديات فإن النموذج الهولندي يقدم دليلاً على كيفية قدرة الديمقراطية التوافقية على توفير إطار مستقر للسياسة في المجتمعات المنقسمة، حيث تلعب المعارضة دورًا تكامليا يهدف إلى الحفاظ على التوازن والتعاون بدلاً من الصراع التقليدي.

٤– دراسة الحالة : لبنان كنموذج للديمقراطية التوافقية

يُعد لبنان نموذجًا فريدًا ومعقدًا للديمقراطية التوافقية، حيث تطور نظامه السياسي كاستجابة للانقسامات الطائفية العميقة والمتجذرة بين مكوناته الدينية المتعددة المسيحيون المسلمون السنة المسلمون الشيعة الدروز وغيرهم. يعتمد النظام اللبناني على مبدأ المحاصصة الطائفية في توزيع السلطة والمناصب، وهو ما يُعرف بـ «الديمقراطية التوافقية» أو «الكونفدرالية الطائفية». (الكردي، ٢٠٢٤)

السمات المميزة للديمقراطية التوافقية في لبنان:

١. تقاسم السلطة على أساس طائفي: يتم توزيع المناصب الرئاسية والوزارية والبرلمانية على أساس طائفي محدد مسبقًا، مما يضمن تمثيل جميع الطوائف الرئيسية في السلطة. يهدف هذا الترتيب إلى منع هيمنة أي طائفة على أخرى، والحفاظ على التوازن الطائفي .

٢. التمثيل النسبي (الانتخابات البرلمانية) يعتمد النظام الانتخابي اللبناني على مبدأ التمثيل النسبي، مما يضمن تمثيلا عادلا للطوائف والأحزاب في البرلمان. ومع ذلك، فإن هذا التمثيل غالبًا ما يكون مشوهًا بسبب القانون الانتخابي الذي يعزز الانقسامات الطائفية كما ان الشعب اللبناني مكون من طوائف لكل منها عقيدتها الدينية وتقاليدها الخاصة فإلغاء النظام التمثيلي الطائفي يقضي على التوازن ويرجح كفة بعض منها على حساب الاخرى. (ماشلين، ٢٠١٥)

٣. حق النقض الطائفي: تتمتع كل طائفة رئيسية بحق النقض (الفيتو) على القرارات التي قد تمس مصالحها الحيوية. هذا الحق وإن كان غير رسمي . دائما، إلا أنه يمارس بشكل فعال من خلال التوافق بين زعماء الطوائف، مما يؤدي إلى تعطيل القرارات في حال عدم التوافق.

٤. الاستقلالية الطائفية: تتمتع الطوائف في لبنان بدرجة عالية من الاستقلالية في إدارة شؤونها الخاصة، لا سيما في مجالات الأحوال الشخصية والتعليم. هذا يسمح لكل طائفة بالحفاظ على هويتها الدينية والثقافية، ولكنه يعزز أيضًا الانقسامات المجتمعية.

دور المعارضة السياسية في لبنان:

في سياق الديمقراطية التوافقية اللبنانية، يتخذ دور المعارضة أبعادًا معقدة ومتشابكة، تختلف بشكل كبير عن النماذج الغربية. فبسبب طبيعة النظام الطائفي وتقاسم السلطة، غالبًا ما تكون المعارضة جزءًا من اللعبة السياسية الطائفية نفسها. يمكن تلخيص دور المعارضة في لبنان على النحو التالي:

. المعارضة من داخل النظام الطائفي: غالبًا ما تكون المعارضة في لبنان ليست معارضة بالمعنى التقليدي الذي يسعى إلى تغيير النظام، بل هي معارضة من داخل النظام الطائفي نفسه. قد تكون أحزابا أو كتلاً سياسية تمثل طوائف معينة وتعارض سياسات الحكومة أو كتلًا أخرى من أجل تحقيق مكاسب طائفية أو سياسية.

. المعارضة كجزء من الائتلافات المتغيرة: نظرًا للطبيعة المتغيرة للتحالفات السياسية في لبنان، قد تجد الأحزاب نفسها في موقع المعارضة في فترة ثم تتحول إلى جزء من الحكومة في فترة أخرى. هذا يجعل خطوط المعارضة والحكم غير واضحة ويقلل من فعالية الدور الرقابي التقليدي.

. التركيز على المصالح الطائفية: غالبًا ما تركز المعارضة في لبنان على تمثيل مصالح طائفتها أو مجموعتها، بدلاً من تقديم برامج سياسية وطنية شاملة. هذا يعزز الانقسامات الطائفية ويجعل من الصعب تشكيل جبهة معارضة وطنية موحدة لبنان.

. المعارضة الشعبية والحراك المدني : في السنوات الأخيرة، برزت حركات معارضة شعبية ومدنية تسعى إلى تجاوز الانقسامات الطائفية وتقديم بدائل سياسية وطنية. هذه الحركات تمثل شكلاً جديدًا من أشكال المعارضة في لبنان، وتسعى إلى الضغط على الطبقة السياسية الحاكمة من أجل الإصلاح والتغيير.

. التحديات الجوهرية: يواجه دور المعارضة في لبنان تحديات هائلة، أبرزها طبيعة النظام الطائفي الذي يحد من قدرتها على التمايز وتقديم بدائل وطنية. كما أن التدخلات الإقليمية والدولية، والفساد المستشري وضعف المؤسسات، كلها عوامل تزيد من تعقيد دور المعارضة وتحد من فعاليتها.

على الرغم من هذه التحديات، فإن النموذج اللبناني يقدم حالة دراسية مهمة لفهم تعقيدات الديمقراطية التوافقية في المجتمعات المنقسمة بعمق وكيف يمكن للمعارضة أن تتكيف مع هذه البيئة، وإن كان ذلك غالبًا ما يكون على حساب فعاليتها في إحداث تغيير جذري.

التحليل المقارن والاستنتاجات

أوجه التشابه والاختلاف في دور المعارضة

من خلال دراسة الحالات الأربع (بلجيكا، سويسرا، هولندا ولبنان) يتضح أن دور المعارضة السياسية في النظم

الديمقراطية التوافقية يتسم بخصائص مشتركة، ولكنه يظهر أيضًا اختلافات جوهرية تعكس خصوصية كل نموذج ويمكن تلخيص أوجه التشابه والاختلاف على النحو التالي:

أوجه التشابه:

١. المعارضة كجزء من النظام في جميع النماذج المدروسة تميل المعارضة إلى أن تكون جزءًا لا يتجزأ من النظام السياسي، بدلاً من أن تكون قوة خارجية تسعى للإطاحة به. هذا يرجع إلى طبيعة الديمقراطية التوافقية التي تركز على الشمولية وتقاسم السلطة، مما يدفع الأحزاب إلى المشاركة في الحكم أو التأثير عليه من الداخل..

٢. التركيز على التوافق والتعاون: تسعى المعارضة في هذه النظم إلى تحقيق أهدافها من خلال التفاوض والتوافق مع الأطراف الأخرى، بدلاً من المواجهة المباشرة. الهدف الأساسي هو الحفاظ على الاستقرار السياسي والاجتماعي وتجنب تفاقم الانقسامات المجتمعية.

٣. تمثيل مصالح المكونات المجتمعية : تضطلع المعارضة بدور حيوي في تمثيل مصالح المجموعات اللغوية، الدينية، أو الاجتماعية التي تمثلها. هذا يضمن أن أصوات الأقليات تُسمع وتؤخذ في الاعتبار عند صياغة السياسات العامة.

٤. ضعف المعارضة البرلمانية التقليدية في معظم الحالات يكون دور المعارضة البرلمانية التقليدية ضعيفًا نسبيًا، حيث أن الأحزاب الكبرى غالبًا ما تكون جزءًا من الائتلافات الحكومية، مما يقلل من الحافز لتقديم بدائل سياسية واضحة أو مساءلة الحكومة بفعالية.

أوجه الاختلاف

١. درجة المشاركة في الحكم: تختلف درجة مشاركة المعارضة في الحكم من نموذج لآخر. ففي بلجيكا وهولندا، غالبا ما تكون الأحزاب التي تُصنف كمعارضة جزءًا من الائتلافات الحكومية الواسعة. بينما في سويسرا، تمارس المعارضة دورها بشكل كبير من داخل الحكومة نفسها (المجلس الفيدرالي). أما في لبنان، فإن خطوط المعارضة والحكم تكون غير واضحة وتتغير باستمرار بسبب الطبيعة المتغيرة للتحالفات الطائفية.

٢. آليات ممارسة الدور: تختلف الآليات التي تستخدمها المعارضة لممارسة تأثيرها. ففي سويسرا، تُعد الديمقراطية المباشرة (الاستفتاءات والمبادرات الشعبية هي الأداة الأكثر فاعلية للمعارضة الشعبية. بينما في لبنان، برزت حركات المعارضة الشعبية والمدنية كقوة ضغط جديدة في بلجيكا وهولندا، تعتمد المعارضة بشكل أكبر على التفاوض والتوافق بين النخب.

٣ طبيعة التحديات تواجه المعارضة تحديات مختلفة في كل نموذج. ففي بلجيكا وهولندا، يكمن التحدي في صعوبة التمايز عن الحكومة وتقديم بدائل واضحة بينما في سويسرا، يكمن التحدي في ضعف دور المعارضة البرلمانية التقليدية. أما في لبنان، فإن التحديات أكبر وأكثر تعقيدًا، وتشمل طبيعة النظام الطائفي والتدخلات الإقليمية والدولية، والفساد.

٥. تأثير الانقسامات المجتمعية تؤثر طبيعة الانقسامات المجتمعية على شكل ودور المعارضة. ففي بلجيكا وهولندا، أدت الانقسامات اللغوية والدينية إلى تفتيت المعارضة على أسس إقليمية ومجتمعية. بينما في لبنان، تعزز الانقسامات الطائفية من التركيز على المصالح الطائفية على حساب البرامج الوطنية الشاملة.

الاستنتاجات:

تُظهر هذه الدراسة أن المعارضة السياسية في النظم الديمقراطية التوافقية تضطلع بدور فريد ومعقد، يختلف جوهريًا عن دورها في الديمقراطيات الأغلبية. فبدلاً من أن تكون قوة تنافسية تسعى للإطاحة بالحكومة فإنها غالبًا ما تكون قوة تكاملية تهدف إلى الحفاظ على الاستقرار والتوازن بين المكونات المجتمعية المختلفة. يمكن تلخيص الاستنتاجات الرئيسية على النحو التالي:

التكيف مع بيئة التوافق : تتكيف المعارضة في النظم التوافقية مع بيئة التوافق وتقاسم السلطة، وتتبنى آليات عمل

تركز على التفاوض والضغط، وتمثيل مصالح المكونات المجتمعية، بدلاً من المواجهة المباشرة. هذا التكيف ضروري للحفاظ على استقرار النظام السياسي في المجتمعات المنقسمة.

• أدوار متعددة: تضطلع المعارضة بأدوار متعددة، تتراوح بين الرقابة على أداء الحكومة، وتمثيل مصالح الأقليات، وتقديم بدائل سياسية محدودة. هذه الأدوار تسهم في تعزيز شمولية النظام وقدرته على استيعاب التنوع .

. تحديات جوهرية تواجه المعارضة في النظم التوافقية تحديات جوهرية تتعلق بقدرتها على التمايز عن الحكومة، وتقديم بدائل سياسية واضحة وتشكيل جبهة موحدة وفعالة هذه التحديات قد تحد من قدرتها على إحداث تغيير جذري أو مساءلة الحكومة بفعالية.

. أهمية السياق يظل السياق الوطني والمجتمعي عاملاً حاسما في تحديد شكل ودور المعارضة. فكل نموذج من النماذج المدروسة يقدم تجربة فريدة تعكس خصوصية الانقسامات المجتمعية والآليات السياسية المتبعة.

التوصيات:

بناءً على الاستنتاجات السابقة، يمكن تقديم التوصيات التالية:

١. تعزيز آليات الرقابة غير التقليدية: يجب على المعارضة في النظم التوافقية تطوير آليات رقابية غير تقليدية تتناسب مع طبيعة النظام، مثل تعزيز دور المجتمع المدني، واستخدام وسائل الإعلام والضغط الشعبي، لضمان مساءلة الحكومة وشفافيتها.

٢. بناء تحالفات عابرة للانقسامات يجب على المعارضة السعي لبناء تحالفات عابرة للانقسامات المجتمعية، بهدف تشكيل جبهة موحدة وفعالة قادرة على تقديم برامج سياسية وطنية شاملة، بدلاً من التركيز على المصالح الطائفية أو الإقليمية الضيقة.

٣. تطوير برامج سياسية بديلة: على الرغم من طبيعة التوافق، يجب على المعارضة أن تسعى لتطوير وتقديم برامج سياسية بديلة وواضحة، تهدف إلى معالجة القضايا الوطنية الشاملة، وتوفير خيارات سياسية للمواطنين.

٤.تعزيز المشاركة الشعبية: يجب على النظم التوافقية تعزيز آليات المشاركة الشعبية المباشرة، مثل الاستفتاءات والمبادرات الشعبية، لتمكين المواطنين من ممارسة دور رقابي مباشر على الحكومة، وتعزيز دور المعارضة الشعبية.

في الختام، تُظهر هذه الدراسة أن المعارضة السياسية في النظم الديمقراطية التوافقية تلعب دورًا حيويًا في الحفاظ على الاستقرار السياسي والاجتماعي وإن كان ذلك يتطلب منها التكيف مع بيئة سياسية مختلفة عن تلك الموجودة في الديمقراطيات الأغلبية إن فهم هذا الدور المعقد والمتعدد الأوجه أمر بالغ الأهمية لتعزيز فعالية الديمقراطية في المجتمعات المنقسمة

المصادر:

ابتسام حاتم علوان، و رغد حماد رجه. (٢٠١٩). احزاب الاتحاد السويسري ودورها في النظام الديمقراطي التوافقي. مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، صفحة ٢٤٠.

اسيل محمود الكردي. (٢٠٢٤). تجربة الديمقراطية التوافقية في لبنان كأداة لحل صراع الاثنية والاقلية. تم الاسترداد من المركز الديمقراطي العربي.

الكردي، اسيل محمود. (٢٠٢٤). تجربة الديمقراطية التوافقية في لبنان كأداة لحل صراع الاثنية والاقلية. تم الاسترداد من المركز الديمقراطي العربي.

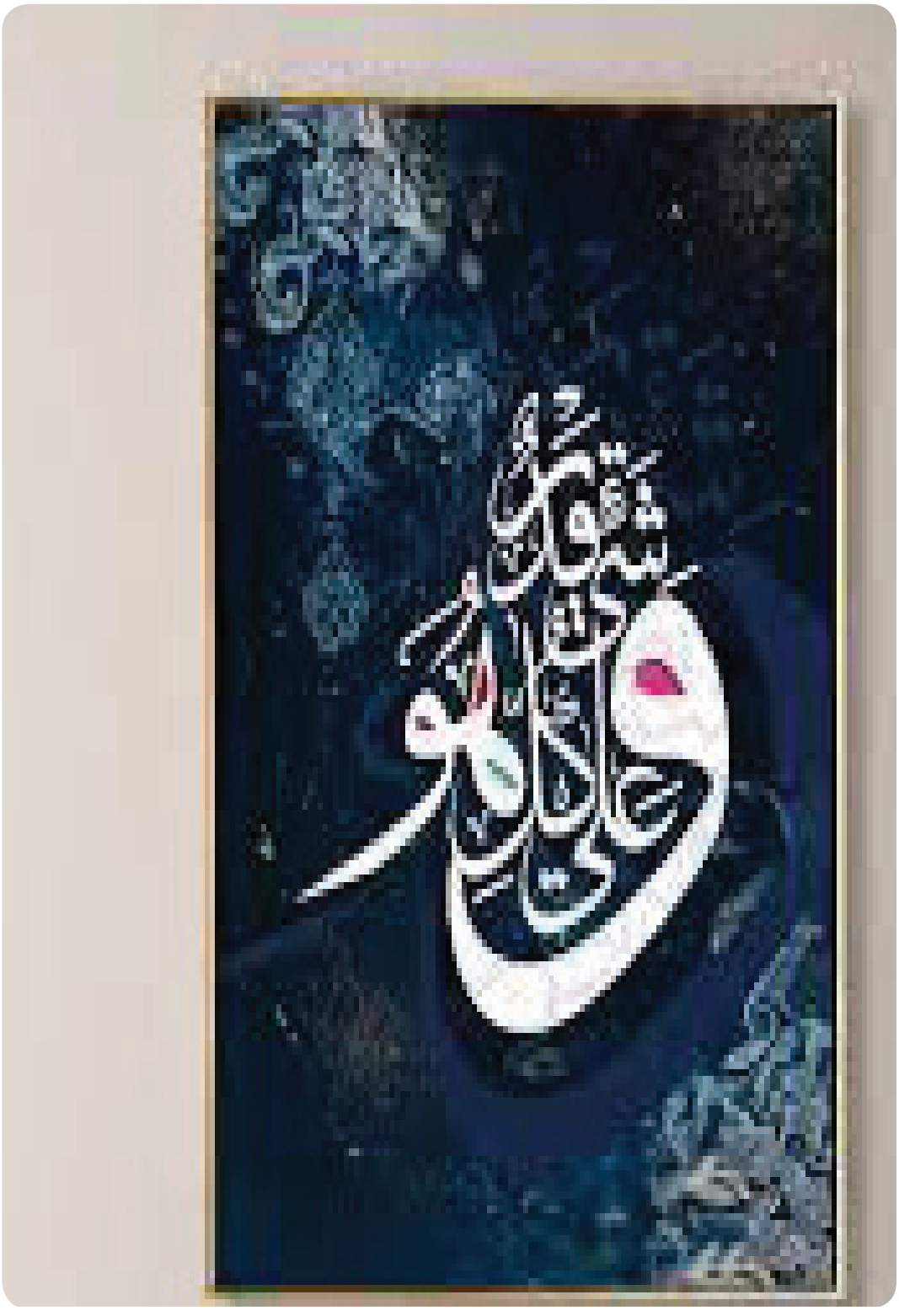
المر، ماشلين. (٢٠١٥). خصوصية الديمقراطية اللبنانية بين التوافقية والميثاقية. ١٠٧. الجامعة اللبنانية/ كلية الحقوق والعلوم السياسية والادارية والاقتصادية.

حيدر عبد جساس. (٢٠٢١). واقع الديمقراطية التوافقية في مملكة بلجيكا الدروس المستفادة. مجلة حمورابي للدراسات، صفحة ٢٥٣.

خالد شوكات. (٢٠٢٢). الديمقراطية الهولندية نموذجا.

قيس عبدالكريم عبدالكريم. (٢٠٢٤). الزعامات السياسية واثرها في الديمقراطية التوافقية(ماليزيا انموذجا). مجلة كلية القانون والعلوم

السياسية، صفحة ٤٠٥.
محمد حسن دخيل، و عباس هادي عبهول. (٢٠٢٣). المعارضة السياسية في الانظمة الديمقراطية– المفهوم والدلالات والادوار. مجلة مركز دراسات الكوفة –جامعة الكوفة، صفحة ٣٧٩.
منجد منصور محمود، و مروة حسين تركي. (٢٠٢٥). المعارضة السياسية واركانها. مجلة الشرائع، صفحة ٨٨٠.



السنة الثالثة جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٩)
السنة الثالثة جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م

فاعلية الاسترجاع وأثرها في فن الرثاء في شعر عصر صدر الإسلام

الباحثة: أسماء باهر فاضل أحمد أ. م. د. محمود أحمد شاكر غضيب
جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية



المستخلص:
يقف الموضوع الموسوم (فاعلية الاسترجاع واثرها في فن الرثاء في شعر عصر صدر الإسلام) (دراسة تحليلية) على العديد من النماذج الشعرية التي حاول نخب من الشعراء الاسلامين في شعر عصر صدر الاسلام استرجاع العديد الاحدث، فكان منها استرجاع ذكرى شهداء سقطوا في معارك الاسلام و وقف الشعراء على ذكرهم في نصوصهم الشعرية، والتي سيقف هذا البحث فيها دراسة وتحليل ووصف الكثير من الاحداث التي مرت على شعراء هذا العصر ومن ضمنهم حسان بن ثابت الانصاري وكعب بن مالك الانصاري
كما ان الاسترجاع اثر كثيرا في صور الشاعر ولغة الشاعر وتجربه الشاعر في عصر صدر الاسلام وبين الا الموسيقى في الشعر في كل جوانب دواين الشعراء واسترجاع الاحداث والوقائع التي أوجد لنفسه في الرد على الخصوم.
وهي شكلت جزءًا من نشر الدعوة الاسلامية التي مثلت التزاما سياسيا في الدفاع عن العقيدة الإسلامية ودينها الاسلامي القديم التي كان المراءة دور فعال وواضح واثره شعره من نكسات صادمة في حياة المسلمين منها من استشهاد حمزة بن عبد المطلب (عليه الصلاة والسلام).

الكلمات المفتاحية: الاسترجاع، شعر، صدر، الإسلام، الرثاء.

Abstract:
The topic 'The Effectiveness of Remembrance and Its Impact on the Art of Elegy in Early Islamic Poetry' (an analytical study) is based on numerous poetic examples in which a selection of Islamic poets from the early Islamic period attempted to commemorate various events. Among these events are the martyrs who fell in the battles of Islam, whom the poets immortalised in their poetic texts. This study will research, analyse and describe several events that occurred to poets of this era, including Hassan ibn Thabit al-Ansari and Ka›b ibn Malik al-Ansari.
The revival also had a significant impact on the image and language of the poet and his experience in the early Islamic period, as well as on the music in poetry in all aspects of the poets› works and the revival of events and facts that he invented for himself in response to his opponents.
It formed part of the spread of the Islamic call, which represented a political commitment to defend the Islamic creed and its ancient religion, where poetry played an effective and clear role, and its influence was felt in the shocking setbacks in the lives of Muslims, including the martyrdom of Hamza bin Abdul Muttalib (peace be upon him).

المقدمة:
الاسترجاع هو تقنية سردية، سُمِّيت بهذا الاسم لأن السارد يقوم بتذكر أحداث سابقة أو يعود بالقارئ إلى الماضي، مما يضُيء الحاضر. تلعب هذه التقنية دورًا في تلوين السرد وتوقيف تدفق الزمن، وبالتالي تسُاعد في الابتعاد عن التعجيل وتحديد نهاية
كونه نوعًا من أنواع السرد، ويُعرف أيضًا بالتذكر أو الاستذكار، أي العودة إلى الزمن الماضي وذكر الأحداث السابقة بالنسبة للحظة الزمنية التي وصل إليها السارد (الشاعر). كل ذكر لحادثة لاحقة يكون سابقًا للنقطة التي نحن فيها في

نسق الحكاية(١)، ومن الأنواع الشائعة من الاسترجاع في النصوص الشعرية:

– الاسترجاع الخارجي: يتضمن مقاطع استعدادية تستُخدم لسد بعض الفجوات الزمنية واسترجاع شخصيات محورية في النص الادبي.

– الاسترجاع الداخلي: يتناول الخط الرئيسي للعمل نفسه الذي تركز عليه الحكاية .(٢)

هذا النوع من الاسترجاع يختص باستذكار أحداث ماضية بالرغم من أنها تحدث بعد زمن بداية الحاضر السردي. نتيجة لتزامن الأحداث، يلجأ الراوي إلى تقنية التغطية المتناوبة، حيث ينتقل من شخصية إلى أخرى لتغطية حركتها وما يرتبط بها من أحداث.(٣)

ذكر صاحب كتاب(نقد الشعر) في حده المفهوم الرثاء بأنه « ليس بين المرثية والمدحة فصل الا أن يذكر فى اللفظ ما يدل على أنه لهالك، مثل (كان) و (تولى) و (قضى نحبه) وما أشبه ذلك ، وهذا ليس يزيد في المعنى. ولا ينقص منه .لأن تأبين الميت إنما هو بمثل ما كان يمدح به في حياته)).(٤)

ورد في المعاجم أن الرثاء لغةً يعني: بكاء الميت ومدحه بعد موته، ويقال: «رثاه يرثيه رثيًا» أي بكاه(٥). أما في الاصطلاح الأدبي، فيُعرّف الرثاء بأنه أحد الأغراض الشعرية القديمة التي عرفها الشعر العربي منذ العصر الجاهلي، ويُقصد به تعداد مناقب الميت، ومدحه بعد وفاته، على نحوٍ يقابل غرض المديح الذي يُوجَّه إلى الحي في حياته. (٦)

يعد الرثاء أحد فنون الشعر القديمة التي عرفها العرب منذ العصر الجاهلي ، وهذا الفن الشعري يمثل غرضا أساسيا في القصيدة العربية القديمة ، وقد رأينا أن هناك شعراء تخصصوا بهذا الفن الشعري بما وصلنا عنهم من شعر ، ولعل الخنساء هي أبرز مثلا على ذلك ، وهناك قصائد أخرى وصلت قمة النضج الفني كقصيدة لبيد في رثاء أخيه أربد ، ومراثي الشعراء العرب قديما تدور ضمن أساليب عرفها الشعر العربي كالندب وهو ما شاع في غرض الرثاء الجاهلي وهو ما وجدنا عليه مراثي الخنساء لأخويها صخر ومعاوية ، والتأبين وهو الشائع منه ، ويقصد به تعداد مناقب الميت ،

بدأ الرثاء في ظل الإسلام يأخذ منحًى جديدًا، يبتعد تدريجيًا عن بعض المظاهر الجاهلية، رغم احتفاظه بجوانب من الأساليب التقليدية في التعبير عن الحزن. (٧)

فقد ظل الشاعر في العصر الإسلامي يعبّر عن مشاعره في الرثاء ضمن الأساليب التقليدية الثلاثة المعروفة: رثاء الندب، ورثاء التأبين، ورثاء العزاء، غير أن هذا الغرض الشعري لم يكن بمنأى عن التأثيرات العقدية والاجتماعية التي جاء بها الإسلام، إذ غيّرت تلك القيم كثيرًا من مضامين الرثاء ومن زاوية نظر الشعراء إليه.

لقد اتجه شعر الرثاء في ظل الإسلام إلى التماهي مع القيم والمبادئ التي دعا إليها الدين الإسلامي، وتحوّل من مجرد تعبير عن الحزن والأسى إلى وسيلة تحمل في طيّاتها مضامين عقدية وروحية تعزز الصبر والإيمان. ولم يكن امتثال الشاعر المسلم لهذه القيم أمرًا كليًّا أو حتميًّا، بل تفاوتت درجة الالتزام بين شاعر وآخر؛ إذ نجح البعض في التعبير عن الرؤية الإسلامية للرثاء، بينما أخفق آخرون في التحرر من بقايا التقاليد الجاهلية القديمة. (٨)

فاعلية الاسترجاع وأثره في فن الرثاء في شعر عصر صدر الإسلام:

يُعدّ حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله عنه) أحد أبرز شعراء صدر الإسلام، وقد عُرف بـ»شاعر الرسول»، إذ كرّس قلمه للدفاع عن الإسلام والذود عن النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) بالشعر. ومن الطبيعي أن يفجع قلب حسان بوفاة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، الذي شكّلت شخصيته مصدر إلهام روحي ووجداني له، فأنشد في رثائه قصائد عميقة عبّرت عن اللوعة، والفقد، والوفاء، والاعتراف بفضل النبي الكريم(٩).

كان من تلك المراثي، القصيدة التي تسكب دموع القلب والعين على فقيد الأمة. قال حسان بن ثابت في رثاء النبي علية الصلاة والسلام قال فيها (١٠):

يا عَينُ جودي بِدَمعٍ مِنكِ أَسبالِ. وَلا تَمَلّنَّ مِن سَحٍّ وَإِعوالِ
لا تَعِد ماني بَعدَ اليَومِ دَمعَكُما. إِنّي مُصابٌ وَإِنّي لَستُ بِالسالي

لَكِن أَفيضا عَلى صَدري بِأَربَعَةٍ. إِنَّ الجَوانِحَ فيها هاجِسٌ صالِ
عَلى رَسولٍ لَنا مَحضٍ مَأربه. سَمحِ الخَليقَةِ عَفٍّ غَيرِ مجهالِ
حامي الحَقيقَةِ نَسّالِ الوَديقَةِ فَك. ام العُناةِ كَريمٍ ماجِدٍ عالِ
كَسّابِ مَكرُمَةٍ مِطعامِ مَسغَبَةٍ. وَهّابِ عانية وَجَناءَ شِملالِ
عَفٍّ مَكاسِبُهُ جَزلٍ مَواهِبُهُ. خَيرِ البَرِيَّةِ سَمحٍ غَيرِ نَكّالِ
واري الزِنادِ وَقوّادِ الجِيادِ إِلى. يَومِ الطِرادِ إِذا شُبَّت بِأَجذالِ
وَلا أُزَكّي عَلى الرَحمَنِ ذا بَشَرٍ. لَكِنَّ عِلمَكَ عِندَ الواحِدِ العالي
أَنّى أَرى الدَهرَ وَالأَيّامَ تَفجَعُني. بِالصالِحينَ وَأَبقى ناعِمَ البالِ
يا عَينُ فَابكي رَسولَ اللَهِ إِذ ذُكِرَت. ذاتُ الإِلَهِ فَنِعمَ القائِمُ الوالي

وبعد عرضنا للنص الشعري يكون التساؤل: كيف استطاع الشاعر ان يسترجع فضائل المرثي؟ وما هي الفضائل والقيم التي وقف عليها الشاعر؟ وهل استرجع شخوصا اخرين في قصيدته؟

استرجع الشاعر فضائل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من خلال توظيف العاطفية القوية في تصوير الحزن والفقد الأليم،وقال عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنه: كريم الخلق، عفيف النفس، السداد، الحماية للدين، وهبته للناس. اما الفضائل والقيم التي ذكرها الشاعر في استرجاع فضائل المرثي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) :وصف الشاعر النبي بأنه «محض المشارب» أي طيب السيرة، وسمح الخليقة، عفّ، غير مجهال أي يتحلى بأعلى درجات الأخلاق. كما استحضر صفاته القيادية: «حامي الحقيقة»، وقواد الجياد» في سبيل الحق. يُبرز الشاعر كرم النبي: «مطعام مسغبة» (يُطعم الجائع)،،ويحصر النص في الرثاء الفردي الخالص للنبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)، وتركّز مشاعره على الميت فقط، دون إحالة لشخصيات قرآنية أو صحابية(١١)، وان الشاعر لم يسترجع شخوصًا آخرين لان ، القصيدة تمحورت حول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كرمز فريد، بدون إشارات شخصية إلى صحابة أو شهداء آخرين. فنقلت هذه القصيدة تجربة مريرة عاشها الشاعر لمرار الفقد ، وحاول ان يسترجع في نصه الكثير من المناقب والفضائل التي عرف بها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومثل هذه التجربة التي تتصل بالموت والحياة انما تعد بحسب قول عز الدين اسماعيل هي من المشكلات العامة الكبيرة التي تكشف عن علاقة الأنسان بالانسان ، وهي تجارب عظيمة تقع خارج حدود الشخصية في مجلمها.(١٢)

وكان من القيم التي وقف عليها الشاعر:

الإيمان بقضاء الله: حين قال: «ولا أزكي على الرحمن ذا بشر».

الكرم والإيثار، القيادة والبطولة، العدل والرحمة: وهي من أبرز القيم التي ألصقها الشاعر بالنبي.

الوفاء والعرفان: فقد ظهرت أعلى صور الوفاء في استدعاء صفات النبي ومدى تأثير غيابه في حياة الشاعر والأمة (١٣)،وهو من قبيل الاسترجاع الخارجي الذي يقف على صفات الشخصية وملامحها والحديث عن بعض ذكريات حياتها كيف كانت في الماضي .(١٤)

وفي قصيدة أخرى قال حسان بن ثابت يرثي جعفر بن أبي طالب (عليه السلام) في غزوة مؤته (١٥):

تَأَوَّبَني لَيلٌ بِيَثرِبَ أَعسَرُ. وَهَمٌّ إِذا ما نَوَّمَ القومَ مُسهِرُ
لِذِكرى حَبيبٍ هَيَّجَت لي عَبرَةً سَفوحاً وَأَسبابُ البُكاءِ التَذَكُّرُ
بَلاءٌ وَفِقدانُ الحَبيبِ بَلِيَّةٌ. وَكَم مِن كَريمٍ يُبتَلى ثُمَّ يَصبِرُ
رَأَيتُ خِيارَ المُؤمِنينَ تَوارَدوا. شُعوبَ وَقَد خُلِّفتُ فيمن يُؤَخَّرُ
فَلا يُبعِدَنَّ اللَهُ قَتلى تَتابَعوا. بِمُؤتَةَ مِنهُم ذو الجَناحَينِ جَعفَرُ
وَزَيدٌ وَعَبدُ اللَهِ حينَ تَتابَعوا. جَميعاً وَأَسبابُ المَنِيَّةِ تَخطِرُ

غَداةَ غَدَوا بِالمُؤمِنينَ يَقودُهُم. إِلى المَوتِ مَيمونُ النَقيبَةِ أَزهَرُ
أَغَرُّ كَنصل السيف مِن آلِ هاشِمٍ. أَبي إِذا سيمَ الظُلامَةَ مِجسَرُ
فَطاعَنَ حَتّى ماتَ غَيرَ مُوَسَّدٍ. بِمُعتَرَكٍ فيهِ قنا يَتَكَسَّرُ
فَصارَ مَعَ المُستَشهِدينَ ثَوابُهُ. جِنانٌ وَمُلتَفُّ الحَدائِقِ أَخضَرُ
وَكُنّا نَرى في جَعفَرٍ مِن مُحَمَّدٍ. وَفاءً وَأَمراً حازِماً حينَ يَأمُرُ
وما زالَ في الإِسلامِ مِن آلِ هاشِمٍ. دَعائِمُ عِزٍّ لا يَزولُ وَمَفخَرُ
هُمُ جَبَلُ الإِسلامِ وَالناسُ حَولَهُ. رِضامٌ إِلى طَودٍ يَروقُ وَيَقهَرُ

في هذه القصيدة، وهي رثاءٌ من الشاعر حسان بن ثابت في شهداء غزوة مؤتة، يتجلى تمكن الشاعر من استحضار فضائل المرثيّين بأسلوب شعري مؤثر يجمع بين الصدق العاطفي والتوثيق البطولي(١٦). ولعل استذكار البطولات التي قدمها الشهيد جعفر بن ابي طالب عليه السلام هو من قبيل الاسترجاع الخارجي استخدم الشاعر مجموعة من الأساليب الفنية لاسترجاع فضائل من رثاهم فمنها:

الإيحاء العاطفي: يبدأ القصيدة بالليل والسهر وهمّ الفقد، مما يُهيّئ القارئ لمشهد وجداني عميق، ويتدرج إلى البكاء والتذكر، وهو مدخل نفسي لاسترجاع الذكريات.والمدح بالبطولة والشهادة ركّز على تصوير استبسال جعفر بن أبي طالب (ذو الجناحين)، الذي طاعن حتى قُتل، في معركة سيفها مشهر والقنا يتكسر.والانتقال من الخاص إلى العام بعد مدح جعفر، يعمم الشاعر بالحديث عن آل هاشم، فيقول إنهم دعائم الإسلام، مما يضفي على الرثاء بُعدًا جماعيًا وعقائديًا ، الرابط النبوي يربط بين جعفر والنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله:

وَكُنّا نَرى في جَعفَرٍ مِن مُحَمَّدٍ وَفاءً وَأَمراً حازِماً حينَ يَأمُرُ»

وهو توثيق لقيمة القيادة والخلق النبوي في شخصية المرثي،واستعرض الشاعر عددًا من الفضائل الأخلاقية والبطولية، نذكر منها:

الشجاعة والإقدام والوفاء:(وفاؤه للنبي وللدين)،والقيادة والنبل وصفه بأنه «ميمون النقيبة» و»أغر كالقمر»، وهي أوصاف تجمع بين الجمال والطهر والقيادة.،والصبر والاحتساب قوله:

بلاء وفقدان الحبيب بلية وَكَم مِن كَريمٍ يُبتَلى ثُمَّ يَصبِرُ

،والمكانة الأخروية جعله من المستشهدين الذين ثوابهم الجنان والحدائق الخضراء.،والانتماء لعائلة النبوة آل هاشم ركيزة للإسلام. واسترجع شخوصاً آخرين في قصيدته:

جعفر بن أبي طالب محور القصيدة، ذو الجناحين، بطل المعركة،وزيد بن حارثة ،وأحد قادة الغزوة، ذكره إلى جانب جعفر،وعبد الله بن رواحة ثالث القادة، ذكره في سياق الاستشهاد الجماعي.

و في قوله:

وَزَيدٌ وَعَبدُ اللهِ حينَ تَتابَعوا جَميعاً وَأَسبابُ المَنِيَّةِ تَخطِرُ

يظهر الاستحضار الجماعي لبطولتهم واستشهادهم، واستطاع الشاعر أن يسترجع فضائل المرثي من خلال الأسلوب العاطفي المؤثر، التصوير البطولي، الربط بالنبي، والإعلاء من قيم الشهادة والصبر والوفاء. كما أبرز فضائل الشجاعة، النبل، القيادة، الصبر، الانتماء النبوي. واسترجع أيضًا شخصيات أخرى من شهداء مؤتة، كزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة، مما أعطى للقصيدة بُعدًا جماعيًا وتوثيقيًا هامًا في ذاكرة الإسلام،ولعل هذه القصيدة أعطت الأجيال صورة من صور الشخصيات ،وقدمت الواقع الحربي في ذلك العصر،وحاول الشاعر ان يسترجع كل تلك المآسي التي وقعت في تلك المعركة الخالدة ..،ولعل ذلك من قبيل تمثيل الواقع ،وفلوتمان كان يرى النتاج الأدبي الخالد هو الذي يقدم الواقع فيظهره كما عاشه الأديب في زمنه:(١٧)، ولعل استذكار البطولات التي قدمها الشهيد جعفر بن ابي طالب عليه السلام هو من قبيل الاسترجاع الخارجي

ومن النماذج الشعرية الأخرى قول كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ يبْكِي حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ(١٨):

طَرَقَتْ هُمُومُكَ فَالرُّقَادُ مَسَهَّدُ ... وَجَزِعْتَ أَنْ سُلِخَ الشَّبَابُ الْأَغْيَدُ
وَدَعَتْ فُؤَادَكَ لِلْهَوَى ضَمْرِيَّةٌ ... فَهَوَاكَ غَوْرِيٌّ وَصَحْوكَ مُنْجِدُ
فَدَعْ التَّمَادِيَ فِي الْغَوَايَةِ سَادِرًا ... قَدْ كُنْتَ فِي طَلَبِ الْغَوَايَةِ تُفْنَدُ
وَلَقَدْ أَنَى لَكَ أَنْ تَنَاهَى طَائِعًا ... أَوْ تَسْتَفِيقَ إِذَا نَهَاكَ الْمُرْشِدُ
وَلَقَدْ هُدِدْتُ لِفَقْدِ حَمْزَةَ هَدَّةً ... ظَلَّتْ بَنَاتُ الْجَوْفِ مِنْهَا تَرْعَدُ
وَلَوْ أَنَّهُ فُجِعَتْ حِرَاءُ بِمِثْلِهِ ... لَرَأَيْتُ رَاسِيَ صَخْرِهَا يَتَبَدَّدُ
قَرْمٌ تَمَكَّنَ فِي ذُؤَابَةِ هَاشِمٍ ... حَيْثُ النُّبُوَّةِ وَالنَّدَى وَالسُّؤْدُدِ
وَالْعَاقِرِ الْكُومَ الْجِلَادَ إِذَا غَدَتْ ... رِيحٌ يَكَادُ الْمَاءُ مِنْهَا يَجْمُدُ
وَالتَّارِكُ الْقِرْنَ الْكَمِيَّ مُجَدَّلًا ... يَوْمَ الْكَرِيهَةِ وَالْقَنَا يَتَقَصَّدُ
وَتَرَاهُ يَرْفُلُ فِي الْحَدِيدِ كَأَنَّهُ ... ذُو لِبْدَةٍ شَثْنُ الْبَرَاثِنِ أَرْبَدُ
عَمُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَصَفِيُّهُ ... وَرَدَ الْحِمَامَ فَطَابَ ذَاكَ الْمَوْرِدُ
وَأَتَى الْمَنِيَّةَ مُعْلِمًا فِي أُسْرَةٍ ... نَصَرُوا النَّبِيَّ وَمِنْهُمُ الْمُسْتَشْهَدُ
وَلَقَدْ إِخَالُ بِذَاكَ هِنْدًا بُشِّرَتْ ... لَتُمِيتُ دَاخِلَ غُصَّةٍ لَا تَبْرُدُ
مِمَّا صَبَّحْنَا بِالْعَقَنْقَلِ قَوْمَهَا ... يَوْمًا تَغَيَّبَ فِيهِ عَنْهَا الْأَسْعَدُ
وَبِبِئْرِ بَدْرٍ إِذْ يَرُدُّ وُجُوهَهُمْ ... جِبْرِيلُ تَحْتَ لِوَائِنَا وَمُحَمَّدُ
حَتَّى رَأَيْتُ لَدَى النَّبِيِّ سَرَاتَهُمْ ... قِسْمَيْنِ: يُقْتَلُ مَنْ نَشَاءُ وَيَطْرُدُ
فَأَقَامَ بِالْعَطَنِ الْمُعَطَّنِ مِنْهُمْ ... سَبْعُونَ: عُتْبَةُ مِنْهُمْ وَالْأَسْوَدُ
وَابْنُ الْمُغِيرَةِ قَدْ ضَرَبْنَا ضَرْبَةً ... فَوْقَ الْوَرِيدِ لَهَا رَشَاشٌ مُزْبِدُ
وَأُمَيَّةُ الْجُمَحِيُّ قَوَّمَ مَيْلَهُ ... عَضْبٌ بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ مُهَنَّدُ

استطاع الشاعر كعب بن مالك أن يسترجع فضائل الشهيد حمزة بن عبد المطلب بأسلوب شعري بليغ يجمع بين الوجدان العميق، والبطولة الظاهرة، والتوثيق التاريخي، مع التلميح لأعداء الإسلام والانتصارات الكبرى ، و نستطيع أن نقول بعد كل ذلك أن استذكار البطولة الفدائية في شخص حمزة عليه السلام هو من قبيل الاسترجاع الخارجي.

واستطاع الشاعر أن يسترجع فضائل المرثي من خلال:

التمهيد العاطفي بوصف الحزن والفقد إذ بدأ الشاعر القصيدة بتصوير حاله النفسي المكلوم

(طرقت همومك فالرُّقاد مسهدُ)

وهنا يستخدم الحزن والحرمان من النوم كمدخل لاستحضار الذكرى الأليمة،و استخدام التهويل والصورة البلاغية القويةحين يقول:

ولو أنه فجعت حراء بمثله ... لرأيتَ راسيَ صخرها يتبدد

اذ شبَّه المصيبة بانفجار الجبل نفسه، وهذا تضخيم بلاغي يدل على فداحة الفقد، وربط المرثي بمكانة النسب من ال بيت النبوي صلى الله عليه وسلم وذلك في قوله(قرمٌ تمكن في ذؤابة هاشمٍ حيث النبوة والندى والسؤدد)اذ نرى استحضارًا لوضع حمزة في قمة المجد الهاشمي، جامعًا بين القرابة للنبي، والكرم، والسيادة،والتمجيد الحربي وتصوير البطولة القتالية،ووصف حمزة بأنه يقتل الأقران في القتال،والتارك القرن الكمي مجدلًا» كما يشبهه في زيه الحربي بأسدٍ مهيب(ذو لِبدةٍ شثن البراثن أربدُ)،والربط بالنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) شخصيًاحين يقول:

(عمُّ النبي محمد وصفيّه)يُعلي بذلك من مكانة حمزة كنصيرٍ للرسالة وصفيٍّ للنبي، وهو تكريم عظيم في التقاليد الإسلامية.

واسترجع شخوصا أخرى في قصيدته:

إذ استرجع كعب بن مالك شخصيات أخرى من معارك الإسلام، أبرزها:
أعداء الإسلام الذين قُتلوا في بدر:مثل (عتبة بن ربيعة)(الأسود بن عبد الأسد) (الوليد بن المغيرة)(أمية بن خلف الجمحي)
والهدف من ذلك هو التأكيد على عدالة المعركة، وانتصار الإسلام، ومكانة الشهيد حمزة في هذه الانتصارات،والنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ذُكر مرتين على الأقل، باعتباره القائد الذي جاهد حمزة تحت رايته(١٩)،وجبريل عليه السلام في قوله(إذ يرد وجوههم جبريل تحت لوائنا ومحمد)
مما يضيف بُعدًا ملائكيًا ربانيًا للمعركة.
استطاع الشاعر استرجاع فضائل حمزة بن عبد المطلب من خلال التمجيد النَسَبي، والبطولة القتالية، والمكانة النبوية، ونصرة الإسلام، مستخدمًا أسلوبًا شعريًا فخمًا ومؤثرًا.
وقف الشاعر على قيم الشجاعة، الوفاء، النبالة، النصر، والشهادة.
واسترجع شخصيات أخرى من شهداء وأعداء بدر، بالإضافة إلى النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وجبريل(عليه السلام)، لإبراز السياق البطولي والإيماني المحيط بالمرثي. وبعد كل ذلك .فأن هذا الشاعر قد عاش مأسأة الحدث. بحسب تعبير بعض الباحثين(فان شاعر صدر الإسلام إنما يعيش الموقف الحزين عبر صور رثائيه عاش في قبلها فخبرها وإدراك قيمتها المأساوية ثم تفاعل معها) (٢٠) ، ولعل هذه استرجاع الفروسية الاسلامية المتمثلة بشخصية جعفر وقيادته الاسلامية هي من قبيل الاسترجاع الذي ينظر في ذكريات البطل. من الاسترجاع الخارجي
ولعل من النصوص الشعرية التي استرجع فيها كعب بن مالك المصيبة العظيمة التي فيها استشهد جعفر بن أبي طالب(عليه السلام)،و قال كعب بن مالك في رثاء جعفر بن ابي طالب(عليه السلام) في موته(٢١) :

نام العيون ودمع عينك يهمل سحا كما وكف الطباب المخضل
في ليلة وردت علي همومها طورا أحن وتارة أتململ
واعتادني حزن فبت كأنني ببنات نعش والسماك موكل
وكأنما بين الجوانح والحشى مما تأوبني شهاب مدخل
وجدا على النفر الذين تتابعوا يوما بمؤتة أسندوا لم ينقلوا
صلى الإله عليهم من فتية وسقى عظامهم الغمام المسبل
صبروا بمؤتة للإله نفوسهم حذر الردى ومخافة أن ينكلوا
فمضوا أمام المسلمين كأنهم فنق عليهن الحديد المرفل
إذ يهتدون بجعفر ولوائه قدام أولهم فنعم الأول
حتى تفرجت الصفوف وجعفر حيث التقى وعث الصفوف مجدل
فتغير القمر المنير لفقده والشمس قد كسفت وكادت تأفل
قرم علا بنيانه من هاشم فرعا أشم وسؤددا ما ينقل
قوم بهم عصم الإله عباده وعليهم نزل الكتاب المنزل
فضلوا المعاشر عزة وتكرما وتغمدت أحلامهم من يجهل
لا يطلقون إلى السفاه حباهم ويرى خطيبهم بحق يفصل

في هذه القصيدة الرثائية العاطفية، يتمكن الشاعر كعب بن مالك من استرجاع فضائل شهداء مؤتة وعلى رأسهم جعفر بن أبي طالب، من خلال لغة حافلة بالحزن النبيل، والتفجع البطولي، والتوثيق الديني والتاريخي.
استطاع الشاعر أن يسترجع فضائل المرثي من خلال الأساليب التالية:
التمهيد بالحزن الشديد والبكاء:يبدأ الشاعر برسم صورة وجدانية قوية (نام العيون ودمع عينك يهمل)فعيونه لا تنام بل

تبكي، ويشبه دموعه بوكف الطِباب المخضل، أي كالغيث المنهمر، ما يعطي القصيدة مدخلًا وجدانيًا عميقًا،و تصوير أثر الفقد على النفس والكونا إذ يقول: (وكأنما بين الجوانح والحشى شهاب مدخل) فيشبّه ألمه بشهاب اخترق قلبه، وهو تصوير عاطفي شديد التأثير،وقول الشاعر:

فتغير القمر المنير لفقده والشمس قد كسفت وكادت تأفل

ليصور من خلاله الشاعر الكون متأثراً بفقد جعفر .اذ لا ينسى((الراثي ان يؤكد حزن الطبيعة على هذا الفقيد الذي لا يشبهه فقيد)).(٢٢)، واستخدام الأسلوب التاريخي التوثيقي للمعركة يستحضر لحظة استشهاد جعفر (حتى تفرجت الصفوف وجعفر حيث التقى وعث الصفوف مجدل)أي أنه سقط شهيدًا مضرّجًا في ميدان القتال، حيث اشتدت المعركة.

وقف الشاعر على بعض الفضائل والقيم فكان على سبيل استرجاع القيم التي يعتز بها الشاعر العربي الإسلامي ، ومن ذلك :

الشهادة في سبيل الله: وذلك في قول الشاعر:

صبروا بمؤتة للإله نفوسهم حذر الردى ومخافة أن ينكلوا

والشاعر يشيد بإقدامهم واختيارهم الموت فداءً للدين دون تردد.والقيادة والبطولة وظهر ذلك بقول الشاعر(إذ يهتدون بجعفر ولوائه قدام أولهم فنعم الأول)يمدح جعفر كقائدٍ ميداني في المعركة،والسمو الأخلاقي:فكان ذلك بقول الشاعر(فضلوا المعاشر عزة وتكرما، وتغمدت أحلامهم من يجهل)ويشير إلى حلمهم، وعزّتهم، ونُبلهم الأخلاقية،والحكمة والعقل (ويرى خطيبهم بحق يفصل»يدل على فصاحتهم، ورجاحة عقولهم،والكرم (بطون أكفهم تندى إذا اعتذر الزمان الممحل)في مدح واضح لسخائهم رغم القحط والجدب. رضا الله ،ونصرة النبي ،(وبهديهم رضي الإله لخلقه، وبجدهم نصر النبي المرسل)

في تأكيد على أنهم سبب في نصر الدين ورضا الله.

ثم استرجع شخوصًا آخرين في القصيدة فمن ذلك (زيد بن حارثة)(وعبدالله بن رواحة)قال فيهم:

وجدا على النفر الذين تتابعوا يوما بمؤتة أسندوا لم يُنقلوا

وقد تم ذكرهم بالجمع دون تسميتهم، ولكن بصفة الشهداء الذين أسندوا ولم يُرجعوا، أي ماتوا في ميدان الشرف.

استرجع الشاعر فضائل المرثي من خلال أسلوب وجداني وعاطفي متدرج من الحزن العميق إلى تمجيد الشهادة والبطولة والنسب.

القيم التي ركز عليها: الشجاعة، الصبر، القيادة، الكرم، السؤدد، الحِلم، نصرة الدين، رضا الله.

استحضر الشاعر غير جعفر، بالإشارة الجماعية إلى شهداء مؤتة، ومنهم زيد وعبد الله، مما أضفى على القصيدة بُعدًا جماعيًا جهاديًا(٢٣).

نتيجة ذلك : فإن هذه القصيدة يمكن ان نعدها من ((مراثي الفرسان المسلمين)) والشاعر الاسلامي قد شارك مصيبة الحرب في اوائل الدعوة الاسلامية ، فاسترجع في ذاكرته كل التفاصيل الاليمة في تلك الوقائع باسترجع الصفات الإنسانية النبيلة، واسترجع لحدث المأساوي وصور تقدم الصفوف، والقيادة النبوية ، فذلك هو تأثير استرجاع التفاصيل الدقيقة على فن الرثاء ، وهنا تقع فاعلية الاسترجاع. ذكريات حياتها كيف كانت في الماضي.

توصل البحث الموسوم (فاعلية الاسترجاع واثرها في فن الرثاء في شعر عصر صدر الإسلام) الى النتائج الاتية:

١ – كان للاسترجاع تأثيره الفاعل في استعادة التفاصيل الدقيقة للمرثي من شهداء الإسلام في عصر صدر الإسلام، و ظهر ذلك في شعر حسان بن ثابت وكعب بن مالك.

٢ – كان الاسترجاع أداة للتأثير في نفوس الخصوم ممن أضرموا العداء للعقيدة الإسلامية في الفترة الأولى من حياة الإسلام.

٣ – كان استرجاع القيم الإنسانية النبيلة أحدى الأدوات التي وظفها شاعر صدر الإسلام في بيان قيمة المرثي الشهيد و موقفه الإنساني في الحياة وهو ما كشف عنه البحث.

٤ – كانت قيم الشجاعة والبطولة و الفروسية العربية و قيم الاستشهاد في سبيل الإسلام هي من ابرز القيم التي استرجع ذكرها الشاعر الإسلامي الملتزم بالدفاع عن العقيدة الإسلامية.

٥ – غلب على بعض القصائد الرثائية الأسلوب التاريخي الذي يسجل التفاصيل الدقيقة، فيسترجعها حزنا على الشهداء الأوائل من أمثال حمزة بن عبد المطلب عليه السلام، وجعفر بن ابي طالب عليه السلام.

الهوامش:

(١)خطاب الحكاية: بحث في المنهج، جيرار جينيت، المجلس الأعلى للثقافة، ط٢، ١٩٩٧م، ص ٥٠.
(٢) المصدر نفسه ص ٦٢.
(٣) ينظر: الزمن في الرواية العربية، مها حسن قصراوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤، ص ١٩٩
(٤) نقد الشعر ،لأبي الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق :كمال مصطفى،مكتبة الخانجي،القاهرة،ط،١٩٩٧،ص١٠٠
(٥) لسان العرب ، ابن منظور، دار صادر ، بيروت، الجزء التاسع عشر، ص ٢٢ ٢٣.
(٦) ينظر :الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام،بشرى محمد علي الخطيب،طبع في جامعة بغداد،ص٢٠
(٧) ينظر:رثاء الخلفاء والقادة في العصر الأموي،طراف طارق النهار،دار الكتب العلمية،بيروت،ص٣٤.٣٣
(٨) ينظر؛رثاء القادة والخلفاءفي العصر الأموي،ص٣٤
(٩) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق مصطفى السقا، دار المعارف، مصر، ج٢، ص٥٠٠.
(١٠) ديوان حسان بن ثابت:(تحقيق سيد حنفي حسنين)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٧٤ ص٢١١
(١١) إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، بيروت: دار الثقافة، ١٩٧١، ص٢١٢.
(١٢) ينظر :الادب وفنونة (دراسة ونقد)د.عز الدين إسماعيل،دار الفكر العربي،القاهرة،سنة ٢٠١٣م،ص٧٠
(١٣) البداية والنهاية ، ابن كثير، في ذكر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ورثائه. ،ج٥، ص ٢٥١، دار الفكر، بيروت،ص ٩٤
(١٤) ينظر :تقنيات السرد،أشواق عدنان شاكر النعيمي،دار الجواهري،بغداد،العراق،ص١٥٣
(١٥) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري (مجلد ١) طبعةمدرسة فقاهت، إيران،ص.٩٨
(١٦) ديوان حسان بن ثابت(نسخة سيد حنفي حسنين)،ص٢٢٤.٢٢٣
(١٧) ينظر :الإبداع الفني والواقع الإنساني (دراسات في نظرية الادب والنقد الأدبي)،ميخائل خربتشنكو،ترجمة شوكت يوسف،منشورات وزارةالثقافة،دمشق،سوريا،٢٠١٢م،ص٢٠٢
(١٨) ديوان كعب بن مالك الأنصاري ، كعب بن مالك الأنصاري، تحقيق الدكتور سامي مكي العاني ، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٦ ، ص ١٣٢
(١٩) البداية والنهاية ، ابن كثير، في ذكر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ورثائه. ،ج٥، ص ٢٥١، دار الفكر، بيروت،ص ٩٤
(٢٠) الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام ،رسالة ماجستير للباحث حسين جمعة ،جامعة دمشق ،كلية الاداب،١٩٨٢،ص٢٠
(٢١) ديوان كعب بن مالك الأنصاري ، ص ٢٤٠
(٢٢) الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، ص٤٠
(٢٣). الرثاء عند العرب حتى نهاية العصر الأموي، عبد العزيز سيد الأهل، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٣م ،ص٩٥

المصادر والمراجع:

- الابداع الفني والواقع الإنساني (دراسات في نظرية الادب والنقد الأدبي)،ميخائل خربتشنكو، ترجمة: شوكت يوسف منشورات وزارة الثقافة،دمشق،سوريا،٢٠١٢م
- إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، بيروت: دار الثقافة، ١٩٧١
- الادب وفنونة (دراسة ونقد)د.عز الدين إسماعيل،دار الفكر العربي،القاهرة،سنة ٢٠١٣م
- البداية والنهاية ، ابن كثير، في ذكر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ورثائه. ،ج٥، ص ٢٥١، دار الفكر، بيروت
- تقنيات السرد،أشواق عدنان شاكر النعيمي،دار الجواهري،بغداد،العراق
- خطاب الحكاية: بحث في المنهج، جيرار جينيت، المجلس الأعلى للثقافة، ط٢، ١٩٩٧م
- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري (مجلد ١) طبعةمدرسة فقاهت، إيران
- ديوان حسان بن ثابت:(تحقيق سيد حنفي حسنين)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٧٤
- ديوان كعب بن مالك الأنصاري ، كعب بن مالك الأنصاري، تحقيق الدكتور سامي مكي العاني ، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٦
- الرثاء الخلفاء والقادة في العصر الأموي،طراف طارق النهار،دار الكتب العلمية،بيروت
- الرثاء عند العرب حتى نهاية العصر الأموي، عبد العزيز سيد الأهل، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٣م
- الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام ،رسالة ماجستير للباحث حسين جمعة ،جامعة دمشق ،كلية الاداب،١٩٨٢
- الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام،بشرى محمد علي الخطيب،طبع في جامعة بغداد

• الزمن في الرواية العربية، مها حسن قصراوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤.
• السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق مصطفى السقا، دار المعارف، مصر.
• لسان العرب ، ابن منظور، دار صادر ، بيروت.
• نقد الشعر ،لأبي الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق : كمال مصطفى،مكتبة الخانجي،القاهرة،ط،١٩٩٧.



السنة الفعلية للرسول محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)

م. م. حامد محسن عبد
الجامعة المستنصرية/كلية التربية الأساسية



المستخلص:

الحمد لله رب العالمين و العاقبة للمتقين، ولا اله الا الله ، اله الاولين والآخرين ، الذي لا فوز الا في طاعته، ولا عز إلا بالخضوع لعظمته ، ولا نعيم الا في قربه وجنته ، ولا حياة إلا في حبه وطاعته ، ولا صلاح القلب الا بإخلاص ينه، الهٌ كريم عظيم، إذا أُطيع اثاب وشكر ، وإذا عُصي غفر وستر، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله وسلم خاتم النبيين، وعلى التابعين لهم بإحسان التي يوم الدين أما بعد:

فاهميه السنه كبيرة جداً فَعِلم الأمة مدون فيها، مدون فيها الوحي وتفسيره واحاديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وشروحها ، وفقه الامه مدون فيها وتاريخها ولغتها ، وغير ذلك، وأمة بلا ذلك ليست بأمة!

ولذلك قامت الامة الاسلامية بمسؤوليتها التاريخية الضخمة في حفظ العلم ورعايته والعمال على ازدهاره وتسميته، لتقدم الحضارة الإنسانية في والعلم والمعرفة، وقد ازدهر العلم في عهودِها ازدهارًا لم يشهد له مثيل، حتى هيمنت على مشارق الأرض ومغاربها، وبسطت معارفها على جامعات العالم قرونًا طويله، بما خلفته من التراث الديني والفكري الضخم ، الذي تميز بالخصوبة والتنوع، بحيث شمل جميع مجالات الحياة، مما يدل دليلًا واضحًا على اصالة الأمة واهليتها بالريادة والابتكار، يتوجب على الاجيال نقلها بأمانة الى من بعدهم الى جانب كونها جزءًا من تاريخنا الذي نفتخر به، لا يتوجب على علماء هذه الأمة وعلى ابناءها أن يعملوا على احياء السنه وفق اسس علميه وخطوات مدروسة واعية حفاظًا عليها من الضياع وقد اقتضت خطة البحث على تقسيمات بعد هذا الملخص الى قسمين:

أولًا: تعريف السنة لقه واصطلاحًا.

ثانيًا: اقسامها.تقسم السنه الى ثلاثة اقسام: القولية والفعالية والتقديرية.

الكلمات المفتاحية: السنة، الحديث، القولية، الفعلية، التقريرية، التشريع.

Abstract:

Praise be to God, Lord of the Worlds, and the good end is for the righteous. There is no god but God, the God of the first and the last, to whom there is no success except in obeying Him, no honor except through submission to His Greatness, no bliss except in His nearness and Paradise, no life except in loving and obeying Him, and no reformation of the heart except through sincerity toward Him. God is Generous and Great. If one is obeyed, He rewards and thanks, and if one is disobeyed, He forgives and conceals. May blessings and peace be upon our Master Muhammad, his family, the Seal of the Prophets, and upon those who follow them in righteousness until the Day of Judgment. Now then:

The importance of the Sunnah is very great, for the knowledge of the Ummah is recorded in it, as is the revelation and its interpretation, the hadiths of the Prophet (peace and blessings be upon him) and their commentaries, the jurisprudence of the Ummah, its history, its language, and other things. A nation without that is not a nation! Therefore, the Islamic Ummah has fulfilled its enormous historical responsibility of preserving and nurturing knowledge, working to promote it, and promoting it, in order to advance human civilization in knowledge and learning. During its era, knowledge flourished in an unprecedented manner, dominating the East and West, and extending its knowledge to the worlds

universities for centuries. This wealth of religious and intellectual heritage, distinguished by its richness and diversity, encompassed all areas of life. This heritage clearly demonstrates the authenticity of the Ummah and its ability to lead and innovate. It is incumbent upon generations to faithfully pass it on to their successors, in addition to being a proud part of our history. It is incumbent upon the scholars of this Ummah and its people to work to revive the Sunnah according to scientific foundations and carefully considered steps, in order to preserve it from loss. The research plan, after this summary, required dividing the research into two parts:

First: A definition of the Sunnah, both in terms of its context and terminology.

Second: Its divisions.

The Sunnah is divided into three categories: verbal, effective, and discretionary.

Keywords:Sunnah, Hadith, verbal,effective, discretionary, legislation

السنةالفعلية:

تعريف السنة في اللغة والاصطلاح:

السنة في اللغة: وهي السيرة، وَسُنَّةُ رَسُولِ اللهِ عَلَيْهِ الصلاة و السلام: سيرته، يقول الشاعر:

فَلَا تَجْزَعَنْ مِنْ سُنَّةٍ أَنْتَ سِرْتَهَا ... فَأَوَّلُ رَاضٍ سُنَّةً مَنْ يَسِيرُهَا

وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَجْرِي جَرْيًا. وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: أَمْضِ عَلَى سَنَنِكَ وَسُنَنِكَ، أَيْ: وجهك(١)، وقيل : الطريقة مرضية كانت أو غير مرضية(٢).

السنة في الاصطلاح: تأتي بعدة اعتبارات:

ففي اصطلاح علماء الحديث تعرف بأنها: كُل ما ورد عن النبي – عليه الصلاة والسلام – من قول أو فعل أو تقرير ، أو سيرة، أو صفة خلقية أو خلقية، فهي كل ما فعله النبي – عليه الصلاة والسلام – ولم يدل على وجوبه دليل، لأنها ثاني مصدر من مصادر التشريع في الإسلام».(٣)

أما المحدثون فعرفوا السنة بأنها : كل ما تقل عن رسول الله – عليه الصلاة والسلام – من أقوال وأفعال وتقرير ، وصفات خلقية وخُلقية، سواء أكان ذلك قبل البعثة أم بعدها .

أما الفقهاء فعرفوا السنة تعريفاً مختلفاً عن تعريف أهل الحديث؛ حيث نظروا إلى السنة بنظرة خاصة من ناحية الأجر والثواب أو التوبيخ والعقاب، فعرفوا السنة بأنها : ما طلب من المكلف فعله طلباً غير جازم، أي ما كان مطلوباً من المسلمين أن يفعلوه لكن دون إلزام لهم على فعله، وقيل أيضاً بأنها ما يُثاب فاعله ولا يُعاقب تاركه. وفي نفس المعنى ما كان في فعله ثواب لمن فعله، وليس في تركه عقاب على من تركه.(٤)

ومنهم من عرفها تعريفاً عام، فقال: هي جميع ما صدر عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم).من قول أو فعل أو تقرير ، وبين ما واظب النبي صلى الله عليه وسلم بلا وجوب، وهي نوعان: سنة هدى، ويقال لها : السنة المؤكدة، كالأذان والإقامة والسنن، والرواتب، والمضمضة، والاستنشاق على رأي، وحكمه كالواجب المطالبة في الدنيا ؛ إلا أن تاركه يعاقب وتاركها لا يعاقب. وسنن الزوائد، كأذان المنفرد والسواك، والأفعال المعهودة في الصلاة وفي خارجها، وتاركها غير معاقب(٥).

أقسامها :

تقسم السنة إلى ثلاثة أقسام: القولية والفعلية والتقريرية.

فالسنة القولية تعرف بأنها ما أخبر به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). – ونطق به في جميع الواقعات والمناسبات، وفي مختلف المواضيع، وسمعها منه أصحابه – رضي الله عنهم ونقلوا ما تحدث به وقاله، وتعد السنة القولية الجزء الأكبر من السنة النبوية التي نقلها المسلمون عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).(٦)

والسنة الفعلية: فتعرف بأنها جميع ما فعله النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). – خلال حياته ونقله عنه الصحابة الكرام، فيروي الصحابة رضي الله عنهم – ما رأوا من أفعال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).(٧)

والسنة التقريرية : تعرف بأنها ما رأه النبي صلى الله عليه وسلم – من أحد من أصحابه فسكت عنه، فيترتب على سكوته حكمًا شرعيًا لأن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم). – لا يسكت على باطل»(٨).

قال الشيخ الأمين الشنقيطي رحمه الله(٩):

أفعال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم). بالنظر إلى الجبلة والتشريع ثلاثة أقسام:

القسم الأول: هو الفعل الجبلي المحض: أعني الفعل الذي تقتضيه الجبلة البشرية بطبيعتها كالقيام، والقعود، والأكل والشرب، فإن هذا لم يفعل للتشريع والتأسي، فلا يقول أحد أنا أجلس وأقوم تقربا الله ، واقتداء بنبيه صلى الله عليه وسلم ، لأنه كان يقوم ويجلس؛ لأنه لم يفعل ذلك للتشريع والتأسي. وبعضهم يقول: فعله الجبلي يقتضي الجواز، وبعضهم يقول: يقتضي الندب.

والظاهر ما ذكرنا: من أنه لم يفعل للتشريع، ولكنه يدل على الجواز.

القسم الثاني: هو الفعل التشريعي المحض. وهو الذي فعل لأجل التأسي والتشريع كأفعال الصلاة ، وأفعال الحج ، مع قوله : صلوا كما رأيتموني أصلي، وقوله: خذوا عني مناسككم.

القسم الثالث ، وهو المقصود هنا : هو الفعل المحتمل للجبلي والتشريعي.

وضابطه أن تكون الجبلة البشرية تقتضيه بطبيعتها، ولكنه وقع متعلقا بعبادة ، بأن وقع فيها ، أو في وسيلتها ، كالركوب في الحج، فإن ركوبه(صلى الله عليه وآله وسلم). في حجه محتمل للجبلة ؛ لأن الجبلة البشرية تقتضي الركوب، كما كان يركب (صلى الله عليه وآله وسلم). في أسفاره غير متعبد بذلك الركوب، بل لاقتضاء الجبلة إياه، ومحتمل للشرعي ؛ لأنه (صلى الله عليه وآله وسلم). فعله في حال تلبسه بالحج، وقال: خذوا عني مناسككم .

ومن فروع هذه المسألة: جلسة الاستراحة في الصلاة، والرجوع من صلاة العيد في طريق أخرى غير التي ذهب فيها إلى صلاة العيد، والضجعة على الشق الأيمن، بين ركعتي الفجر وصلاة الصبح ودخول مكة من كداء – بالفتح والمد – والخروج من كدى – بالضم والقصر – والنزول بالمحصب بعد النفر من منى، ونحو ذلك. ففي كل هذه المسائل خلاف بين أهل العلم ، لاحتمالها للجبلي والتشريعي.

أمثلة على المئنة الفعلية:

١ – أمره (صلى الله عليه وآله وسلم). بفعل الشيء ولو بالإشارة:

قوله(صلى الله عليه وآله وسلم): اكتبوا لأبي شاء يعني الخطبة التي خطبها رسول الل(صلى الله عليه وآله وسلم)، وأمره بالكتابة إلى الملوك ونحو ذلك.

إن القول وإن كان فعلا فهو عمل بجارحة اللسان. والغالب استعماله فيما يقابل الفعل كما هنا، حتى ولو كان الفعل «بإشارة» على الصحيح؛ لأنه كالأمر به، كما في حديث كعب بن مالك لما تقاضى ابن أبي حدرد دينا له عليه في مسجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وارتفعت أصواتهما ، حتى سمعها النبي(صلى الله عليه وآله وسلم).، وهو في بيته. فخرج إليهما، حتى كشف حجرته فنادى فقال: يا كعب». قال: لبيك يا رسول الله – فأشار إليه بيده – أن ضع الشطر من دينك. فقال كعب: قد فعلت يا رسول الله فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم).: «قم فأقضه».

ومنه إشارة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم).لأبي بكر أن يتقدم في الصلاة.
وطاف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). بالبيت على بعير ، كلما أتى على ركن أشار إليه.
ومن الفعل أيضا عمل القلب والترك. فإنه كف النفس فأنه لا تكليف إلا يفعل. فإذا نقل عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). أنه أراد فعل شيء كان من السنة الفعلية، كما أراد النبي(صلى الله عليه وآله وسلم).أن يكتب إلى رهط – أو أناس – من العجم. فقيل: إنهم لا يقبلون كتابا إلا بخاتم، فاتخذ خاتما من فضة، ومثله حديث جابر : أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن ينهى أن يسمى بيعلى، أو ببركة، أو أفلح، أو يسار أو نافع ونحو ذلك، ثم رأيته سكت بعد عنه، فلم يقل شيئا، ثم قبض ولم ينه عن ذلك.
وإذا نقل عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). أنه ترك كذا. كان أيضا من السنة الفعلية. كما ورد أنه (صلى الله عليه وآله وسلم). لما قدم إليه الضب فأمسك عنه وترك أكله: أمسك الصحابة رضي الله عنهم وتركوه، حتى بين لهم أنه حلال، ولكنه يعافه. ولكن هذا النوع مقيد بتصريح الراوي بأنه ترك، أو قيام القرائن عند الراوي الذي يروي عنه أنه ترك»(١٠).

٢ – دعوة الناس أن يعملوا بعمله (صلى الله عليه وآله وسلم):

عن جابر بن عبد الله إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). قال: خُذُوا مناسككم(١١).

٣– صفة رفع يديه(صلى الله عليه وآله وسلم). في الصلاة:

قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). إذا قام إلى الصلاة يرفع يديه حتى إذا كانتا حذو منكبيه كبر ، ثُمَّ إذا أراد أن يركع رفعهما حتى يكونا حذو منكبيه، كبر وهما كذلك، ركع، ثم إذا أراد أن يرفع صلبه رفعهما حتى يكونا حذو منكبيه، ثم قال : سمع الله لمن حمده، ثم يسجد، ولا يرفع يديه في السجود، ويرفعهما في كل ركعة وتكبيرة كبرها قبل الركوع، حتى تنقضي صلاته(١٢).
وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنْ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم). كَانَ : إِذَا افْتَتَحَ الصَّلَاةَ رَفَعَ يَدَيْهِ حَذْوَ مَنْكِبَيْهِ، وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ، رَفَعَهُمَا كَذَلِكَ أَيْضًا، وَقَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ وَكَانَ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي السُّجُودِ(١٣).

٤– كيفية جلوسه (صلى الله عليه وآله وسلم). في الصلاة:

عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُعَاوِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: رَآنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَأَنَا أَعْبَثُ بِالْحَصَى فِي الصَّلَاةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ نَهَانِي فَقَالَ : اصْنَعْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم). يَصْنَعُ، فَقُلْتُ : وَكَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللهِ(صلى الله عليه وآله وسلم).يَصْنَعُ؟ قَالَ: كَانَ إِذَا جَلَسَ فِي الصَّلَاةِ وَضَعَ كَفَّهُ الْيُمْنَى عَلَى فَخِذِهِ الْيُمْنَى، وَقَبَضَ أَصَابِعَهُ كُلَّهَا وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ الَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ، وَوَضَعَ كَفَّهُ الْيُسْرَى عَلَى فَخِذِهِ الْيُسْرَى»(١٤)، وقال: هكذا كان يفعل»(١٥).

٥– صفة صلاة الليل:

عنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائشة زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم). كان يُصلي من الليل إحدى عشرة ركعة، يُوتر منها بواحدة فإذا فرغ اضطجع على شفه الأيمن»(١٦).

٦– وقت صلاة العصر

عن عَائِشَةَ قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم).يُصَلِّي العَصْرَ، وَالشَّمْسُ لَمْ تَخْرُجْ مِنْ حُجْرَتِهَا »(١٧).

٧– بماذا قطع (صلى الله عليه وآله وسلم)يد السارق:

وعنها قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم). يَقْطَعُ السَّارِقَ فِي رُبْعِ دِينَارٍ فصاعدًا»(١٨).
وفي رواية بن عمر رضي الله عنه قال قطع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سارقا في مجن قيمته ثلاثة دراهم(١٩).

٨– خروجه(صلى الله عليه وآله وسلم) لصلاة الاستسقاء:

عَن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ زَيْدٍ الْمَازِنِي قَالَ: «خَرَجَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم).إِلَى الْمُصَلَّى، فَاسْتَسْقَى، وَحَوَّلَ رِدَاءَهُ

حِينَ اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَسُئِلَ مَالِكٌ عَنْ صَلَاةِ الاستسقاء كم هي ؟ فقال : رَكْعَتَانِ. وَلَكِنْ يَبْدَأُ الْإِمَامُ بِالصَّلَاةِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ. فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. ثُمَّ يَخْطُبُ قَائِمًا وَيَدْعُو . وَيَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ. وَيُحَوِّلُ رِدَاءَهُ حِينَ يَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ. ويجهر في الركعتين بالقراءة. وإذا حول رداءه جعل الذي على يمينه على شماله، وَالَّذِي عَلَى شِمَالِهِ عَلَى يَمِينِهِ وَيُحَوِّلُ النَّاسُ أَرْدِيَتَهُمْ، إِذَا حَوَّلَ الْإِمَامُ رِدَاءَهُ. وَيَسْتَقْبِلُونَ الْقِبْلَةَ، وَهُمْ قُعُودٌ»(٢٠).

٩– فعله (صلى الله عليه وآله وسلم). بنخيل اليهود :

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم). حَرَّقَ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ وَقَطَعَ وَهِيَ البُوَيْرَةُ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيُخْزِيَ الفَاسِقِينَ} [سورة الحشر: ٥] (٢١).

١٠– حثه صلى الله عليه وسلم وبيان السنن الفعلية:

فَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ :كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم). فِي سَفَرٍ ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَظِيمًا ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ ثُمَّ قَالَ: « أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كما يُطْفِئُ النَّارَ الْمَاءُ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ قَرَأَ ((تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المضاجع)) [سورة السجدة: (١٦) حَتَّى بَلَغَ ((جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) {سورة السجدة: ١٧} ثم قال: «ألا أخبرك برأس الأمر، وعموده، وذروة سَنَامِهِ الْجِهَادُ ثُمَّ قَالَ: ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قُلْتُ: بلى، فأخذ بلسانه، فقال: «تكف عليك هذا.

قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ، إِلَّا حصائد السنتهم؟»(٢٢).

١١ – تغيير القبلة:

عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وآله وسلم). كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ، أَوْ قَالَ أَخْوَالِهِ مِنَ الأَنْصَارِ ، وَأَنَّهُ صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا ، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلَاةٍ صَلَاهَا صَلَاةَ الْعَصْرِ ، وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّى مَعَهُ، فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ، فَقَالَ : أَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم). قِبَلَ مَكَّةَ، فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَكَانَتِ الْيَهُودُ قَدْ أَعْجَبَهُمْ إِذْ كَانَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَهْلُ الْكِتَابِ، فَلَمَّا وَلَّى وَجْهَهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، أَنْكَرُوا ذَلِكَ. قَالَ زُهَيْرٌ : حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ فِي حَدِيثِهِ هَذَا : أَنَّهُ مَاتَ عَلَى الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ رِجَالٌ وَقُتِلُوا، فَلَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ} [سورة البقرة: ١٤٣] (٢٣).

١٢ – وقت صلاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).:

عن أبي برزة، كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). يُصَلِّي الصُّبْحَ وَأَحَدُنَا يَعْرِفُ جَلِيسَهُ، ويقرأ فيها ما بين الستين إلى المائة، ويُصلي الظهرَ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ، وَالْعَصْرِ وَأَحَدُنَا يَذْهَبُ إِلَى أَقْصَى الْمَدِينَةِ ، رَجَعَ وَالشَّمْسُ حَيَّةٌ – وَنَسِيتُ مَا قَالَ فِي الْمَغْرِبِ وَلَا يُبَالِي بِتَأْخِيرِ الْعِشَاءِ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ، ثُمَّ قَالَ: إِلَى شَطْرِ اللَّيْلِ) (٢٤).

و عَنْ سَيَّارِ بْنِ سَلَامَةَ، قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَأَبِي عَلَى أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ، فَقَالَ لَهُ أَبِي: كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم)يُصَلِّي الْمَكْتُوبَةَ؟ فَقَالَ: «كَانَ يُصَلِّي الهَجِيرَ ، الَّتِي تَدْعُونَهَا الأُولَى حِينَ تَلْحَضُ الشَّمْسُ، وَيُصَلِّي العَصْرَ ، ثُمَّ يَرْجِعُ أَحَدُنَا إِلَى رَحْلِهِ فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ، وَالشَّمْسُ حَيَّةٌ – وَنَسِيتُ مَا قَالَ فِي الْمَغْرِبِ – وَكَانَ يَسْتَحِبُّ أَنْ يُؤَخِّرَ العِشَاءَ الَّتِي تَدْعُونَهَا العَتَمَةَ، وَكَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَهَا، وَالحَدِيثَ بَعْدَهَا، وَكَانَ يَنْفَتِلُ مِنْ صَلَاةِ الغَدَاةِ حِينَ يَعْرِفُ الرَّجُلُ جَلِيسَهُ، وَيَقْرَأُ بالستين إلى المائة»(٢٥).

الهوامش:

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، (ب.ط)، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، (٣/ ٦١).

(٢) التعريفات للجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، (تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط١ ، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م)، (١/ ١٢٢).

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، مجموعة مؤلفين، (مطابع دار الصفوة، ط١ القاهرة – مصر (طبعة من تاريخ ١٤٠٤ – الى ١٤٢٧ هـ) ، (٢٥/ ٢٧٥).

(٤) روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة الجماعيلي (المقدسي)، (٥٤١ - ٦٢٠ هـ)، (تحقيق: قدم له ووضع غوامضه وخرج شواهده: الدكتور شعبان محمد إسماعيل [ت ١٤٤٣هـ]، الناشر: مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٣ هـ-٢٠٠٢م)، (١/ ٢٧٤).

(٥) التعريفات للجرجاني (١/ ١٢٢).

(٦) الوجيز في أصول الفقه الإسلامي (المدخل – المصادر – الحكم الشرعي)، الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – سوريا (مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة الشؤون الإسلامية – دولة قطر، ط٢ ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م)، ص: ١٨٦.

(٧)كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها ، تأليف وتحقيق : عماد السيد محمد إسماعيل الشربيني، جمعه ورتبه وفهرسه الفقير إلى الله عبد الرحمن الشامي، رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ١٤١٨٥ / ٢٠٠١ ، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، ص: ٥٣٨.

(٨) دورة تدريبية في مصطلح الحديث، أبو الأشبال حسن الزهيري آل مندوه المنصوري المصري، وهو عبارة عن (دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، تاريخ النشر، ١٦ – ت٢ – ٢٠١٩م. ص: ٢٥.

(٩) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي، دار النشر: دار عطاءات العلم للنشر، بيروت – لبنان، ط٥، ١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م. (٤/ ٣٠٠).

(١٠) الشرح الكبير لمختصر الأصول من علم الأصول، أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف المنياوي، (الناشر: المكتبة الشاملة، مصر، ط١، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م)، ص: ٣٧٤-٣٧٥.

(١١) السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ)، (تحقيق: حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، بمساعدة مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط [ت ١٤٣٨ هـ]، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م)، باب الركوب إلى الجمار، ٥/ ٢٧٠، برقم (٣٠٦٢).

(١٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط [ت ١٤٣٨ هـ]- عادل مرشد – وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م)، مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، ١٠/ ٣١٥، برقم (٦١٧٥).

(١٣) الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) ١/ ٤٠٧، برقم (١٦).

(١٤) صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي [ت ١٣٨٨ هـ]، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، (ب.ط)، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م)، باب صفة الجلوس في الصلاة، ١/ ٤٠٨ ، برقم (٥٨٠).

(١٥) الاستذكار لابن عبد البر (١/ ٤٧٧).

(١٦) المصدر نفسه، (٢/ ٩٥).

(١٧) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق ، محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: (دار طوق النجاة)، مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ)، باب وقت العصر ، ١/ ١١٤ ، برقم (٥٤٤).

(١٨) صحيح مسلم، باب حد السرقة ونصابها ، ٣ / ١٣١٢، برقم (١٦٨٤).

(١٩) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، (الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ)، (١١/ ١٨١).

(٢٠) الاستذكار لابن عبد البر (٢/ ٤٢٥).

(٢١) صحيح البخاري، باب قوله ما قطعتم من لينة)، (٦ / ١٤٧، برقم: (٤٨٨٤).

(٢٢) سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت ٢٧٣ هـ)، (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي [ت ١٣٨٨ هـ]، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي)، (ب،ط)، باب كف اللسان في الفتنة: ٢/ ١٣١٤ ، برقم (٣٩٧٣).

(٢٣) صحيح البخاري، باب الصلاة من الإيمان ١/ ١٧ ، برقم (٤٠).
(٢٤) صحيح البخاري، باب: وقت الظهر عند الزوال، ١/ ١١٤ ، برقم (٥٤١).
(٢٥) صحيح البخاري، باب وقت العصر ، ١/ ١١٤ ، برقم (٥٤٧).

المصادر:

١. الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، (تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م).
٢. التعريفات للجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، (تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط١ ، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م).
٣. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، (تحقيق ، محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: (دار طوق النجاة)، مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، ١٤٢٢هـ).
٤. السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ)، (تحقيق: حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، بمساعدة مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط [ت ١٤٣٨ هـ]، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م).
٥. الشرح الكبير لمختصر الأصول من علم الأصول، أبو المنذر محمود بن محمد بن مصطفى بن عبد اللطيف المنياوي، (الناشر: المكتبة الشاملة، مصر، ط١، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١م).
٦. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، (الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ).
٧. الموسوعة الفقهية الكويتية: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، مجموعة مؤلفين، (مطابع دار الصفوة، ط١ القاهرة – مصر (طبعة من تاريخ ١٤٠٤ – الى ١٤٢٧ هـ).
٨. الوجيز في أصول الفقه الإسلامي (المدخل – المصادر – الحكم الشرعي)، الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – سوريا (مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة الشؤون الإسلامية – دولة قطر، ط٢ ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦م).
٩. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي، دار النشر: دار عطاءات العلم للنشر، بيروت – لبنان، ط٥، ١٤٤١ هـ – ٢٠١٩ م.
١٠. دورة تدريبية في مصطلح الحديث، أبو الأشبال حسن الزهيري آل مندوه المنصوري المصري، وهو عبارة عن (دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، تاريخ النشر، ١٦– ت٢– ٢٠١٩م).
١١. روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة الجماعيلي (المقدسي)، (٥٤١ – ٦٢٠ هـ)، (تحقيق: قدم له ووضح غوامضه وخرج شواهده: الدكتور شعبان محمد إسماعيل [ت ١٤٤٣هـ]، الناشر: مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٣ هـ–٢٠٠٢م).
١٢. سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت ٢٧٣ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي [ت ١٣٨٨ هـ]، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، (ب، ط).
١٣. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ – ٢٦١ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي [ت ١٣٨٨ هـ]، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، (ب.ط)، ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م).
١٤. كتابات أعداء الإسلام ومناقشتها ، تأليف وتحقيق : عماد السيد محمد إسماعيل الشربيني، جمعه ورتبه وفهرسه الفقير إلى الله عبد الرحمن الشامي، رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ١٤١٨٥ / ٢٠٠١ ، ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م).
١٥. مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ – ٢٤١ هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط [ت ١٤٣٨ هـ]– عادل مرشد – وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م)، مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.
١٦. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، (ب.ط)، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م).

المنهج العقلي عند العلامة الطباطبائي لإثبات وجود الله

م. م. عباس حمزة حسن
جامعة الكوت / كلية التربية



المستخلص:
تناول البحث اعتماد المنهج العقلي عند الطباطبائي في إثبات وجود الله تعالى وحيث أن العقل في الشريعة مأمور به ومعتمد في كثير من النصوص ولا سيما عند المفسرين الجدد ومنهم الطباطبائي، فتناول البحث التعريف بالمنهج العقلي والعلامة الطباطبائي فضلا عن التعريف بدور العقل عند الطباطبائي في إثبات وجود الله تعالى، وحيث أن إثبات وجود الله تعالى هو أولوية العقيدة ويتفرع عنه إثبات للعقائد جميعها من الوحي والقرآن والإيمان وأركانه، فيأتي العقل كمتمم للنقل في توضيح الصورة التشريعية لأي عقيدة ولا سيما أن الإسلام هو دين عقل وله اعتبار عند مفسري القرآن الكريم جميعهم.
الكلمات المفتاحية: المنهج العقلي، العلامة الطباطبائي، اثبات وجود الله، البراهين العقلية.

Abstract:
The research dealt with the rational approach of Tabataba›i in proving the existence of God Almighty, and since reason in the Sharia is commanded and relied upon in many texts, especially by new interpreters, including Tabataba›i, the research dealt with defining the rational approach and Allamah Tabataba›i in addition to defining the role of reason according to Tabataba›i in proving the existence of God Almighty, and since proving the existence of God Almighty is the priority of belief and branches out from it the proof of all beliefs from revelation, the Qur›an, faith and its pillars, reason comes as a complement to transmission in clarifying the legislative image of any belief, especially since Islam is a religion of reason and is considered by all interpreters of the Holy Qur›an.
Keywords: Rational approach, Allamah Tabataba›i, Proof of the existence of God, Evidences

المقدمة:
ذكر العلّامة الطباطبائي أدوار نماذج متعددة من المناهج في تفسير القرآن الكريم، و قد ذكر دور العقل في القرآن الكريم في بناء العقيدة وإثباتها في مواضع عديدة في تفسير الميزان، ويُعد الطباطبائي من أوائل الذين فسروا القرآن بالقرآن في العصر الحديث وحيث أن تفسيره للقرآن ومؤلفاته المختلفة استندت بشكل عام على التفسير المأثور الذي يجعل القرآن والسنة وميراث أهل البيت هي المعتمد في تفسيراته ومؤلفاته كافة كما أن التطرق للمنهج العقلي التي كانت لها حضور في فكر العلامة الطباطبائي باعتباره كان مفكر مفسراً دينياً و واقعياً قائماً على منهاج قرآني كامل وعقلي شامل وبين أن اللبنة الأساسية للتفكير في الفهم الديني الشامل الصحيح تنطلق من العقل وبين ذلك عند تفسيره للقرآن الكريم.

١ – الدراسات السابقة:

١ . نظرية المعرفة عند محمد حسين الطباطبائي ، آلاء جاسم قاطع ،كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٧م.
٢ . موقف محمد حسين الطباطبائي من الإمامة، مجلة كلية الآداب، المنصورة، ٢٠٢٣ .
٣ . الجهد التفسيري الأثري للعلامة محمد حسين الطباطبائي في كتابه تفسير البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن، حسن كاظم الخفاجي، مجلة الكلية الإسلامية، العدد ٧١، ٢٠٢٣ .
٤ . مكانة المعرفة في فكر محمد حسين الطباطبائي، علي جابر، دار الهادي، إيران.

٢ – اهمية البحث

تبرز أهمية البحث من خلال:

١ – معرفة دور العقل في بناء العقيدة من منظور القرآن الكريم

٢ – معرفة دور العقل في بناء العقيدة من منظار العلّامة الطباطبائي

٣ – معرفة دور العقل و دوره في إثبات وجود الله من منظار العلّامة الطباطبائي

٣ – هدف البحث

يهدف البحث إلى :

إيجاد الحلول للكثير من القضايا العقلية من خلال الاستعانة بفكر المفسر الطباطبائي وما سرده من آراء ضمن التأصيل القرآني والروائي لإثبات الأصل والمعتقد.

٤ – إشكالية البحث

١ – كيف يوظف العلامة الطباطبائي دور العقل من خلال تفسيره الميزان؟

٢ – كيف يوظف العلامة الطباطبائي دور العقل في إثبات وجود الله؟

٥ – منهج البحث

يستفاد هذه الدراسة من المنهج الوصفي التحليلي. عبر الاعتماد على تفسير الميزان وقراءته للآيات الكريمة وإيراده للروايات التي تدعم تفسيره واستنباط الأسس التي اعتمدها وجعلها أساس لمنهجه العقلي في التفسير.

المبحث الأول: التعريف بالمنهج العقلي:

أولاً: المنهج لغة واصطلاحاً:

١ . المنهج لغة:

(نهج) النون والهاء والجيم أصلان متباينان.

الأول النهج الطريق. ونهج لي الأمر أوضحه. وهو مستقيم المنهاج. والمنهج الطريق أيضا والجمع المناهج. والآخر الانقطاع. وأتانا فلان ينهج إذا أتى مبهورا منقطع النفس. وضربت فلانا حتى أنهج أي سقط. ومن الباب نهج الثوب وأنهج أخلق ولما ينشق. وأنهجه البلى»(١) .

والنهج «، بفتح فسكون «: الطريق الواضح» البين. وهو النهج، محركة أيضا. والجمع نهجات، ونهج، ونهوج. «المنهج» بالفتح، « والمنهاج»، بالكسر. وفي التنزيل:(لِكُلّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَة وَمِنْهَاجا)(٢) .

٢ . المنهج اصطلاحاً:

استند العلماء في التخصصات المختلفة عند صياغة معنى المنهج في الاصطلاح إلى المعنى اللغوي فالمنهج في الاصطلاح هو الطريق المؤدي إلى كشف عن الحقيقة العلمية من خلال التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة وهذا الطريق موصل بصحيح النظر فيه إلى المطلوب وبالمعنى العلمي هو مجموعة الاجراءات التي ينبغي اتخاذها بترتيب معين لبلوغ هدف معين ويمتاز هذا الطريق بانتظام المعلومات العلمية انتظاماً منهجياً ليتم من خلاله الكشف عن الحقائق وتشكيل التصورات السليمة باعتماد أسس أولية تقود إلى فرز القضايا وتبويبها وتحليلها ثم استخلاص المبادئ والقوانين العامة فيها .

والمنهج بمفهومه التقليدي مجموع المعلومات والحقائق والمفاهيم والأفكار التي يدرسها الطالب وإن كان يراد عادة بقصد من المنهج بالدراسات الأكاديمية والعلمية عن طريق الاستدلال والكيفية على الاستدلال في إثبات المطلوب فمن يعتمد الأدلة العقلية في الوصول لمطلوبه العلمي فمنهجه عقلي ومن يعتمد الأدلة منهجه نقلي ومن يعتمد التجربة منهجه تجريبي ومن يعتمد الاستقرار منهجه استقرائي فلا بد إذاً في المنهج من الدليل المستخدم لإثبات المدعي(٣) .

المنهج : هو الطريق والطريقة مكان بنظرة أعمق أكثر ظهور في القرآن الكريم إذ وردت عشرات المرات لفظ الطريق والطريقة وأيضاً السبل والصراط كما ارتبط السياق الذي وردت فيه هذه الألفاظ بالهدى والضلال فالله يهدي إلى سواد

السبيل :أي الطريق المستقيم والمؤمنون يدعون الله أن يهديهم الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم فاهتدوا إلى الطريق غير المغضوب عليهم الذين عرفوا الطريق وتنكبوه ولا الضالين الذين ضلوا وتاهوا فلم يصرفوا الطريق :
« ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ»(٤).
«يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيق مُّسْتَقِيم».(٥)
والمنهج هو مشتق من النهج وهو الطريق وهو وسيلة محددة إلى غاية وهو خطة منظمة وهو خطة منظمة لعدة عمليات ذهنية أو جسد بغية الوصول إلى كشف حقيقته أو التحقق من افتراضات معينة كما المنهج العلمي أو هو مجموعة الخبرات التي تساعد على النمو الشامل في الجوانب العقلية والشفافية والدينية والاجتماعية والجسمية والنفسية كما في المنهج التربوي والمنهج هو الطريق المستقيم الواضح في الدين قال تعالى:(لِكُلّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَة وَمِنْهَاجاً)(٦) .
وقد اختار الله تعالى أمة محمد «صلى الله عليه وآله وسلم» وأوضح لها الطريق وآيات لها السبيل فالمقصود من المنهج الطريق الواضح الثابت الذي لا يتغير.(٧)
المنهج العلمي: «عرف بأنه استعمال المعلومات استعمالاً صحيحاً في اسلوب علمي سليم يقوم على أسلوب العرض والمناقشة والهادئة والتزام الموضوعية التامة وتأييد القضايا بالأمثلة والشواهد المقنعة دون اجحاف أو تحيز» (٨) .
والمنهج :»هو مجموعة الركائز والأسس المهمة التي توضح مسلك الفرد أو المجتمع أو الأمة لتحقيق الآثار التي يصبو إليها كل فرد ويعتبر المنهج بوصفه إطار علمي يساعد على كشف جماليات النصوص وفهم مكوناته وأبعاده الدلالية هو طريقة في البحث توصل إلى نتائج مضمونة أو يشبه مضمونه في أقصر وقت كما أنه وسيلة تحض الباحث من أن يتيه في دروب ملتوية من التفكير النظري ويُعد المنهج بهذه الوجهة التي تفضي إلى النتيجة المنشودة» (٩) .
تعريف المنهج العقلي اصطلاحًا هو: «طريقة في التفكير تعتمد على استخدام العقل كأداة رئيسية في الوصول إلى المعرفة، من خلال الاستدلال والتحليل المنطقي، بعيدًا عن الاعتماد الكلي على النقل أو الحس أو التجربة فقط». وقد عرّفه الدكتور عبد الرحمن بدوي بقوله: «المنهج العقلي هو الذي يعتمد في المعرفة على العقل وحده، دون أن يستند إلى تجربة حسية أو إلى نقل عن سلطة من السلطات».(١٠) .

ثانياً:الطباطبائي،

هو محمد حسين بن محمد بن الحاج ميرزا علي أصغر ولد عام ١٣٢١هـ كان نسبه من الأشراف ورجالات العلم أول من ارتحل منهم إلى إيران، نشأ في تبريز ثم ارتحل إلى النجف الأشرف ثم رجع إلى تبريز ومنها إلى قم، ومؤلفاته، تفسير الميزان في عشرين مجلد وبداية الحكمة في الفلسفة ورسالة في البرهان والمغالطة وفي التحليل والتركيب ورسالة النبوءات والمنامات ومن مؤلفاته في الفارسية أصول الفلسفة وشيعة در اسلام وحاشية كفاية الأصول ورسالة في الإعجاز ، ونشأ الطباطبائي في ظل نمط علمي خاص هو الحوزة الذي يعود في أصل نشأته إلى الحلقات العلمية التي تعقد في المساجد وحيث أن الطباطبائي تنقل في بيئاته العلمية الثلاث تبريز والنجف وقم وارس نشاطه العلمية في ظلها.

المبحث الثاني: دور المنهج العقلي عند العلامة الطباطبائي في إثبات وجود الله

أولا رؤية الطباطبائي بين العقل والنقل

اعتمد الطباطبائي على منهج في إطار تفسيره على إعمال رؤيته للقرآن الكريم والجمع بين العناصر ضمن رؤية انسجامية في مناسبات عديدة لإقامة العقل واللفظ وما يدل عليه والذي يعمل على إدراك العقلي كما أشار أن ذلك الإدراك له مفردات كثيرة في القرآن الكريم من حيث المعاني وأن وجه التمايز يكون موجوداً فيها وكان أيضاً يعمل على إثبات التفكر وهداه في القرآن الكريم حيث عمل على الاهتمام بأمر كان مطروحاً وهو إعمال العقل والفكر حيث بدأ في طرح تلك المسائل في القرآن الكريم والتي تزيد عن ٣٠٠ آية تدعو إلى العقل والتدبر كما قال أن الله أمر الخلق بالعبادة ولكن لا يكون ذلك دون فهم وتدبر فرأى أن ذلك التدبر يحصل عبر العقل الذي ينفعه ويرشده من حيث تغذيته بالمعرفة وحثه على العمل عبر العقل والذي يمكنه ان يميز بين ضره ونفعه وبين الخير والشر.(١١)

إن المنهج العقلي يقوم بخطوات منهجية وذلك بخلاف المنهج النقلي فإنه لا يقتصر على الفهم البعدي والشرح اللفظي فإنه فضلا عن الفهم البعدي والقبلي والمقارن الذي يرافق عملية التفسير العقلي من المفروض منهجياً أن يقوم المفسر بباقي خطوات المنهج ومن بينها خطوات وصف ما يلزم وصفه من المفردات والآيات وتبرير الفهم والتفسير وكذلك ايجاد التفسير الداخلي وذلك توضيح الحدث المدعوم والتعميم والتقويم(١٢) .

يذكر الطباطبائي أن الكتاب الكريم والسنة المطهرة هما اللذان يعملان ويدعوان إلى فتح مجالات استخدام العقل في العمليات الصحيحة ويرفضان أن يتبع الإنسان ما يخالف ذلك بشكل صريح لأن القرآن والسنة هم مؤكدتان بشكل مصداقي في دلالته على العقل لأنهما الحق ومن المستحيل ان يكون هناك برهان في مجال العقل بأن يبطل ما يثبت في برهانه على حقيقته(١٣) .

فالتفسير العقلي هو الذي يستفيد من القرائن العقلية في فهم وتوضيح آيات القرآن. وذكر الأردبيلي أهمية العقل حيث قال: أن العلم بعقاب الكافر مطلق من الكتاب والسنة لأن العقل يحكم بعدم جوازه مع الجهل(١٤) .

فمورد الترخيص لا إشكال في كون العلم منجزاً يحكم العقل استحقاق العقاب على المخالفة وليس الحال في حال الجهل الدور الذي يحكم العقل فيه بعدم استحقاق العقاب(١٥) .

ثانيا الصفات الألهية عند العلامة الطباطبائي

الصفات الألهية عند الطباطبائي هي مجموعة من الصفات التي يستدل بها على وجود الله عز وجل ولايمكن أن توجد الا في الله وتكمن في الاتي:

أولا : الكمال المطلق

الله جل وعلا كامل في ذاته وصفاته وأفعاله لانقص فيه ولا عيب ما جاء في قوله تعالى (أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (١٦) .

فالله عز وجل له الكمال المطلق في جميع الوجوه بصفاته وأفعاله فهو ليس كمثله شيء وهو خالق كل شيء والكمال المطلق لله تعالى له علاقة بوحدانيته وهو الكامل المطلق وهو الواحد الأحد الذي لا شريك له فوحدانيته تعني أنه لا يوجد مثله ولا نظيره وهذا يعني أنه الكامل المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله وبالتالي فأن الأيمان بالله تعالى كمال مطلق يعني الايمان بوحدانيته وعدم الشرك به بأي شيء

ثانيا : الأزلية والأبدية

الله تبارك وعلا موجود منذ الأزل وسيكون موجود الى الأبد لابداية له ولانهاية كما في قوله تعالى (هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (١٧) .

كما إن الأزلية والأبدية من صفاته سبحانه ، ومن أسمائه. وقد يطلق مكانهما القديم الباقي، فالقدم على الاطلاق، والبقاء كذلك من صفاته، وعليه فهو سبحانه قديم أزلي، باق أبدي. ويطلق عليه الأولان لأجل أنه المصاحب لمجموع الأزمنة المحققة أو المقدرة في الماضي، كما يطلق عليه الآخران لأجل أنه الموجود المستمر الوجود في الأزمنة الآتية محققة كانت أم مقدرة. وربما يطلق عليه السرمدي بمعنى الموجود المجامع لجميع الأزمنة السابقة واللاحقة(١٨) .

ثالثاً: العلم المطلق

الله سبحانه وتعالى عالم بكل شيء ماضيا ومستقبلا وحاضرا فهو لايخفى عليه شيء كما في قوله تعالى (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) (١٩) . والباري عز وجل قد خلق نظام الكون في غاية الإتقان والإحكام بما يتمتع به من علم كامل، وإن له جل وعلا علما كاملا بجميع ضمائر الأشخاص، واسرارهم، وسرائرهم، وخلواتهم، وخلواتهم. إنه ليستنبط من خلال الجمع بين الآية : {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ }(٢٠) ، و الآية {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ}(٢١) فجميع الأشياء معلومة لله، سواء من دون واسطة أو بواسطة في مبادئها الاختيارية وغير الاختيارية

رابعاً: القدرة المطلقة

قدرة الله المطلقة هي أحدى صفات الله تعالى العظيمة تعني أنه قادر على كل شيء لا يعجزه شيء هو الخالق المبدع لكل شيء في الكون من أصغر ذرة الى أكبر المجرات فقدرته لاحدود له ، ولا يمكن لأي مخلوق أن يدركها أو يحيط بها

خامساً: الحياة الأبدية

الله عزوجل هو الأزلي ولأبدي لابداية له ولانهاية . حياته لاتشبه حياتنا كبشر ، لأننا كائنات محدودة في الزمان والمكان . حياته خارج نطاق الزمان والمكان ، وهي حياة لامتناهية من الكمال والعظمة

سادساً: الكلام

الله تعالى يتكلم وهو كلامه المنزل على أنبيائه ورسله هو أحدى الصفات الإلهية العظيمة وهو الحق الخالص وهو مصدر كل المعرفة والحكمة هذه بعض الصفات الألهية التي يستدل بها الطباطبائي على وجود الله عز وجل وهي صفات لا يمكن أن توجد الا في الله مما يدل على أنه موجود حقا .

ثانيا منهج الطباطبائي في فهم خطابات القرآن

كان الطباطبائي منهجه المميز في فهم خطابات القرآن ورسالته الجامعة المتعلقة بشؤون العباد ولا سيما فيما يتعلق بالقيم العامة التي يسعى القرآن الى ترسيخها في وجدان الفرد والمجتمع والمنهج القويم لفهم تلك القيم من منظور الطباطبائي هو فهم القرآن بالقرآن ومن خلال تلك المفاهيم التي يتضمنها القرآن نفسه دون السعي لإسقاط مفاهيم من خارج النص على النص وهو ما يؤدي إلى تأسيس مفاهيم لم يتبناها القرآن الكريم بنفسه ومن الطبيعي مع أن يكون موقف القرآن تجاهها سلبي ولكن مع هذا كله فإن الطباطبائي لا يمانع من الاستعانة بالمعارف الأخرى لفهم أفضل للقرآن الكريم مع ان القاعدة الأساسية التي ينطلق منها المفسر أن يكون المفاهيم القرآنية هي المقررة للمسير والمسار وان تكون مهيمنة في عملية التفسير ولا يفترض معها أي مفهوم مضاد للفهم القرآني عن أي ذريعة معرفية(٢٢) .

يرى الطباطبائي ان الأمر الذي يرفع فساد الاختلاف عن الاجماع الانساني هو الشعور الباطني الذي يدرك صلاح الاجتماع وهو القوة التي يمتاز بها النبي من غيره وأن وراء الشعور الفكري الذي يشترك فيه جميع افراد الانسان وعليه فالشعور الباطني أمر خارق للعادة لا يعرفه الانسان من تلقاء أنفسهم وهو من قبل الادراكات الباطنية ونحو شعور مستور عن الحواس الظاهرية لمن فالعقل لا يتم به الحث في الأعمال من أجل خرق الطبيعة والذي ولا يدرك بالحواس إنما يمنع ما هو محال لأن العقل له أساليبه في تصديق الأمور التي تكون فيها معجزة وتخرق العادة ولا تفهم بالحواس ويتم عمل دليل الشيء عن طريق عليه وهو الاستدلال العلمي ولوازمه وآثاره وهو الاستدلال الآني لذلك وجوده والنبوة ويمكن الاستدلال عليها بطريقين فتارة عن طريق آثاره وما يلحقه من حيث جمعه لآثاره الدين الذي جاء به النبي ويرفع من مكانة الإنسان ويحصل السعادة في الدار الأولى والآخرة وتارة أخرى من جهة تحقيق اللازم من حيث أن النبوة هي خرق للعادة فمن ادعاها هي أمر يكون خارج نطاق الطبيعة والذي يكون دافعها هو الذي خلقها ويعمل على سعادتها وهداها كما يدفع الإنسان نحو الهدى من أجل أن يحصل الكمال ويعمل مع بني جنسه وهو ما يسمى تصرفاً بالوحي ولوكان هذا جائزاً جاز من غيره من الخوارق لأن حكم الأمثال يكون بما هو مجاز وليس بمجاز كما في حال دعوة النبي أن يأتي بأمر خارق للعادة مرتبط بنبوته يوجب تصديق العقل الشاك في نبوته المدعي للنبوة وهو الآية المعجزة(٢٣) .كما في تفسير قوله تعالى ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(٢٤) .

في اختلاف بين العقل والسمع ذكر الطباطبائي موضوعاً أثار ومن عبره أن تسمية العقل في الآيات الشريفة على ما كان علماً الذي يكون الإنسان به نفسه دون الاستعانة بالآخرين أما ما يحصل المكاسب باعتباره عملية كبيرة فهو أساس للعقل وطريقة عمله وتدبره وتفكره وفي عينية الألفاظ التي تؤكد المدارك(٢٥) . يذكر الطباطبائي أن ما كان مدركاً عقلاً يرتكز إلى القلب من أجل تصديقه وإن ما كان هذا نوعه في إدراكاته يعود إلى الفطرة تكون جامعة لأي شيء يستفاد منه في الإدراك في إطاره النظري ضمن حلقة لمعرفة ما كان محقاً ومبطلاً منضمة إليها إدراكات في إطارها العملي في معرفة

ما كان خيراً أم شراً ومن يجلب المصلحة أو الخسارة (٢٦)، ويؤكد العلامة الطباطبائي الإنسان ليميز ويدرك الحق من الباطل في الاطار النظري وما كان خيراً وما كان شراً أي تحقيق منفعة ومصلحة وإبعاد ما فيه شر لأن إيجاد الله تعالى للإنسان في أول أمره قد تم هذا الوجود بامتلاكه حواساً ظاهرة وظيفتها الإدراك أي أن باطنه يتم فيه فهم ما كان رقياً عبر تحديد مصطلحات روحية تمتزج في بعض الأحيان مع أمور واقعية مشاعرية كالإرادة والكره والحب ثم يعمل على التصرف من خلال تفضيل وترتيب وتخصيص حيث ان التعميم يقتضي في إطار النظرية ما كان خارجاً عن العمل في شكله النظري أو في الأمور المقرونة بالعمل في إطار عملي ولكن إن هذا الأمر يشبه حالة تشخيص في نظرته الأصلية(٢٧) .

كما يذكر العلامة الطباطبائي في تفسيره ان الأمر الذي يرفع فساد الاختلاف عن الاجماع الانساني هو الشعور الباطني الذي يدرك صلاح الاجتماع وهو القوة التي يمتاز بها النبي من غيره لتكليم الله لأنبيائه وإن الآيات القرآنية وما نقل إلينا من بيانات الأنبياء الماضيين ظاهرة في كونهم لم يريدوا بها المجاز والتمثيل بحيث لا يشك فيه الا مكار فتعسف ولو جاز حمل هذه البيانات إلى أمثال هذه التجاوزات جاز تأويل جميع ما اخبروا به من الحقائق الإلهية من غير استثناء إلى المادية المحصنة النافية لكل ما وراء المادة(٢٨) .

يرى الطباطبائي ان البراهين العقلية وان قصرت عن إعطاء التفاصيل الواردة كتاباً وسنه كالمعاد مثلاً لعدم نيلها المقدمات المتوسطة في الاستنتاج لكن ما يستقبله الانسان من كمالاته العقلية والمثالية في السعادة والشقاء فالإنسان في بادئ أمره يحصل على فعل يفعله في حينة نفسية وحال من أحوال السعادة والشقاوة بما هو خير له أو بالعكس من حيث الشقاوة ثم تصير بتكرارها ملكه راسخة ويحصل منها على صور سعيدة او شقية للنفس تكون مبدئاً لهيئات وصور لها أثار وجود به ملائمة(٢٩) .

ومن حيث الظواهر اللفظية كما في مسائل العذاب والخلود ويرى الطباطبائي من حيث النظر العقلي ان الكتاب نص في الخلود مع مالها من الاستدلال العقلي والتي تدل على خصوصيات ما جاء به الشرع في مسائل المعاد بالمقدمات الكلية العقلية غير بمقدوره لأن العقل لا ينال الجزيئات السبيل فيه تصديق ما جاء عن تبوحي والبرهان(٣٠) .

ويدعو الطباطبائي في مجال الكتاب والسنة باعتبارهما الداعيان إلى التوسع في استعمال الطرق الصحيحة ليست الا المقدمات او المعتمدة على البديهيات قال تعالى « فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتتبعون احسنه» وغيرها من الآيات والأخبار الكثيرة فالكتاب والسنة ينهيان عن اتباع ما يخالفهما مخالفة صريحة لأنهما من مصاديق ما دل كونهما ومن الحق والصدق ولان من المحال ان برهن على بطلان ما برهن على حقيقته أولا فالحاجة الى تمييز المقدمات العقلية المحضة من الباطلة ثم التعلق بالمقدمات كالتمييز بين المحكم والمتشابه وحيث كما يرى البعض أن طريق الاحتياط في الدين المندوب إليه في الكتاب والسنة والاقتصار على الظواهر للكتاب والسنة واجتناب تعاطي الاصول المنطقية العقلية وقد يشمل على قياس استثنائي أخذ فيه مقدمات عقلية مبينة عند العقل ولو لم يكن كتاب ولا سنة ولا يفي الاستعداد بفهم الأمور العقلية الدقيقة أما المستعد المطبق لذلك لا دليل عليه في الكتاب والسنة والعقل مع حرمان من المعارف التي لا يمكن تحصيلها الا عبر الاستدلال عن الكتاب والسنة والعقل.

إن المعجزة في القرآن برهان على تأكيد الصدق لأي رسالة لا يعتبر من حيث الأدلة بشكل عمومي فيكون التساؤل عن الصلة والوثاقة بين ما كان معجزاً وما كان حقاً وصدقاً في الرسالة فالعقل قد لا يجد تلازم بين ما جاء به الأنبياء من علوم كالحشر والمعاد وبين صدور أمر يعج عنه الناس مؤيداً بالأدلة والبراهين التي تعد حقيقة تكون غنية للإنسان المنصف عن السعي في أمر الإعجاز لذا ورد القول بأن المعجزة إنما تكون أداة للإقناع ولا سيما العامة لأن كثيراً منهم بعيدون عن الإدراك العقلي أما في إطارها الخاص فهم لا يحتاجون الجواب(٣١) .

القرآن الكريم هو البيان من حيث الأمر أو التوحيد من حال تبيان المعارف والدعوة إليها فيعتبر التوحيد أول الأمور التي ليس فيها حس وقوام المادة من حيث اتصالها بالأحكام الدالة على العقل والقرآن الكريم هو من بين المعرفة وارتباطه بالفطرة قال تعالى «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ

أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ)(٣٢) .أي أن الخلقة الإنسانية نوع من الإيجاز يستتبع هذه العلوم والإدراكات ولا معنى لتبديل خلق إلا أن يكون نفس التبديل أيضاً من الخلق والإيجاد وأما تبديل الإيجاد المطلق حكم الواقع فلا يتصور له معنى فلن يستطيع الإنسان أن يبطل علومه الفطرية ويسلك في الحياة سبيلاً آخر غير سبيله البتة وأما الانحراف المشهود عن أحكام الفطرة فليس ابطالاً لحكمها بل استعمالاً لها في غير ما ينبغي من نحو الاستعمال(٣٣) .

الخاتمة:

يمكن القول أن العلامة الطباطبائي قدم منهجا عقليا متكاملا لأثبات وجود الله جل وعلا ومنهجه اعتمد على الأستدلال المادي والمعنوي وصولا ألى الإقرار بوجود خالق مدبر لهذا الكون ومن خلال تحليلنا لآثار الطباطبائي يتضح لنا عمق تفكيره وشمولية رؤيته في أثبات الوجود الإلهي وان هذا البحث يفتح آفاقا في مطالعة ودراسة الفلسفة الاسلامية والعقيدة بشكل عام . ومن خلال الأبحاث الفلسفية للطباطبائي حول طبيعة العلاقة بين العقل والوحي انتهى الى طرح سؤال مادام الإنسان يحظى بالعقل وعقله يدعوه إلى اتباع الحق من الاعتقاد والعمل فما حاجته الى بعث لأنبياء ؟ وهل يكون العقل بديلاً ؟ وبحيث دل ذلك أن العقل يدعو إلى ذلك وإلى اتباع الإنسان المحق في الاعتقاد والعمل وسلوكه الفضيلة والتقوى وهو العقل العمل الحاكم بالحسن والقبح دون العقل النظري المدرك لحقائق الأشياء والعقل العملي يأخذ مقدمات حكمه من الاحساسات الباطنية والاحساسات التي بالعقل في الإنسان.

الهوامش:

(١)ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ج ٥ ، ص ٣٦١

(٢)المائدة اية ٤٨

(٣)ينظر جبر، منهج القرآن الكريم في التغيير الفردي ، ٢٠١٥، ص ٣٥

(٤)الفاتحة اية ٥ .

(٥)الأحقاف اية ٣٠

(٦)المائدة آية ٤٨

(٧)ينظر عيسى ، المنهج الدراسي وبرامج تعليم الموهوبين٢٠١٨، ص ١٠

(٨)ينظر حسن، شوقي حساني: تطوير المناهج٢٠١٢ ، ص ٢٥

(٩)ينظر الدسوقي، منهج الدعوة الإسلامية في معاملة أصحاب الأديان: دار الكلمة، القاهرة، ٢٠١١، ص ٩ .

(١٠)عبد الرحمن بدوي، المنطق الصوري والرياضي، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٣م، ص: ١٤ .

(١١)الربيعة، البحث العلمي حقيقته ، دار العبيكان: الرياض، ٢٠١٨، ص ١٧٣

(١٢)حمد، مناهج النقد الأدبي: دار القلم، بيروت، ٢٠١٧، ص ١٣

(١٣)الأوسي، منظمة الاعلام الإسلامي، ١٩٨٥م. ص ٤٤ .

(١٤)مجموعة مؤلفين، مركز الحضارة، بيروت، ٢٠١٥م، ص٣٠

(١٥)مصطفوي، أساسيات المنهج والخطاب، بيروت، ٢٠١٧م، ص١١٨

(١٦)ابراهيم آية ١٠

(١٧)الحديد آية ٣

(١٨)الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ج٥، ص٢٥٨

(١٩)البقرة آية ٢١٠

(٢٠)الرعد آية ١٦

(٢١)الملك آية ١٤

(٢٢)الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٢، ص١٥٤– ١٥٥

(٢٣)الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص١٨٣

(٢٤)البقرة آية ١٠

(٢٥)نفس المصدر، ج١، ص٤١٢

(٢٦)نفس المصدر، ج٥، ص٢٥٨ – ٢٥٩

(٢٧)الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص١٨٣

(٢٨)نفس المصدر، ج١، ص٨٣

(٢٩)نفس المصدر، ج٥، ص٣١٢

(٣٠)نفس المصدر، ج٥، ص٣١٢

(٣١)رضائي، مناهج التفسير واتجاهاته، ص٣٠٧

(٣٢)الروم آية ١٧

(٣٣)المحقق الأردبيلي، مجمع الفائدة والبرهان، ج٣ – ص١٨٨

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١ – الأوسي، علي، الطباطبائي ومنهجه في تفسيره الميزان، معاونية الرئاسة للعلاقات الدولية في منظمة الاعلام الإسلامي، ١٩٨٥م. ص ٤٤ .

٢ – بن فارس، أحمد: معجم مقاييس اللغة: تح عبد السلام هارون، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤، ج ٥ ، ص ٣٦١ .

٣ – الحكيم، عبد الصاحب، منتقى الأصول، مطبعة الهادي، قم، ١٤١٦هـ، ج٥، ص٧٠

٤ – الربيعة، عبد العزيز علي: البحث العلمي حقيقته، دار العبيكان: الرياض، ٢٠١٨، ص ١٧٣ .

٥ – رضائي، محمد علي، مناهج التفسير واتجاهاته، مركز الحضارة بيروت، د.ت، ص٣٠٧

٦ – روشن، محمد باقر السعيدي، منطق الخطاب القرآني، مركز الحضارة ٢٠١٦م، بيروت، ص٣٤٤

٧ – الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص١٨٣

٨ – الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٤١٢

٩ – الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٨٣

١٠ – الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٢، ص١٥٤ – ١٥٥

١١ – الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٥، ص٢٥٨ – ٢٥٩

١٢ – الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٥، ص٣١٢

١٣ – الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤١٧هـ، ج٥، ص٢٥٨

١٤ – مجموعة مؤلفين، عين الحكمة في تاريخ الفكر الإسلامي، ص٣١

١٥ – مجموعة مؤلفين، عين الحكمة في تاريخ الفكر الإسلامي، مركز الحضارة، بيروت، ٢٠١٥م، ص٣٠

١٦ – المحقق الأردبيلي، أحمد بن محمد، مجمع الفائدة والبرهان، منشورات الحوزة العلمية . قم، ج٣، ص١٨٨

١٧ – المصطفوي، أساسيات المنهج والخطاب، ص٧٧

١٨ – مصطفوي، محمد، أساسيات المنهج والخطاب، بيروت، مركز الحضارة، ٢٠١٧م، ص١١٨

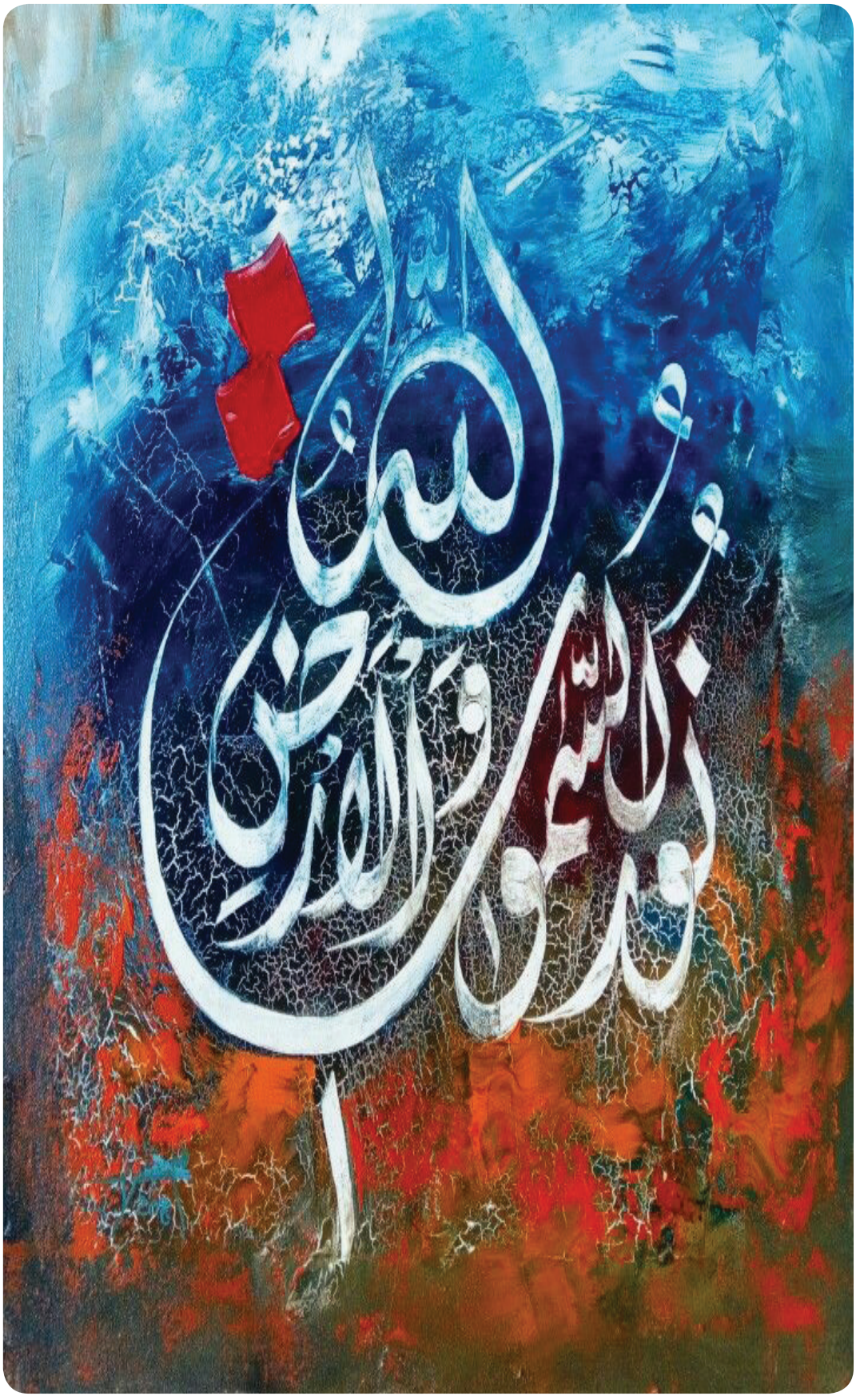
١٩ – ينظر الدسوقي، علي، محمود عبد الهادي: منهج الدعوة الإسلامية في معاملة أصحاب الأديان: دار الكلمة، القاهرة، ٢٠١١، ص ٩ .

٢٠ – ينظر جبر، تهاني عفيف يوسف: منهج القرآن الكريم في التغيير الفردي: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، ٢٠١٥، ص ٣٥ .

٢١ – ينظر حسن، شوقي حساني: تطوير المناهج: منشورات المجموعة العربية للتدريب، ٢٠١٢، ص ٢٥ .

٢٢ – ينظر عيسى، آسيا محمد : المنهج الدراسي وبرامج تعليم الموهوبين: دار ابن النفيس، عمان، ٢٠١٨، ص ١٠ .

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٩)
السنة الثالثة جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م



السنة الثالثة جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م

القوانين المسنونة للحد من المخدرات في العراق

م. م. منار صلاح اسماعيل العبيدي
جامعة بغداد/كلية التربية للبنات



المستخلص:
اصبحت المخدرات ومشاكلها وانتشارها وتداولها وتعاطيها من أخطر القضايا التي تهدد دول العالم ووبلادنا العربية لما بها من تأثير علي الشباب, و أفراد المجتمع صانعي التنمية ومتخذي القرار، كما أن تعاطي المخدرات من الظواهر الإجتماعية والأمنية التي تحكمها الأبعاد السياسية والتربوية والإعلامية في كل مجتمع استوجب اقرار قوانين صارمة للحد من هذه الظاهرة المرعبة التي تجتاح المجتمعات بكل الطرق والاساليب وفي البحث الحالي سنتتبع تلك القوانين الحديثة للحد من المخدرات المثيرة للذعر والرهبة إلي حد كبير لدي المجتمعات البشرية عامة مما أدي إلي إرتفاع الإصابة بالأمراض العقلية كالإنتحار والسلوكيات المنحرفة و الاجرامية والعنف والجنوح والإرهاب وتهريب الأسلحة وغيرها.

الكلمات المفتاحية:المخدرات,القوانين,الادمان,العمالة الاجنبية,قانون العقاقير.

Abstract:
Drugs, their related problems, spread, trafficking, and abuse have become among the most dangerous issues threatening countries worldwide, as well as our Arab nations, due to their impact on youth and members of society who are the drivers of development and decision-makers. Drug abuse is a social and security phenomenon influenced by political, educational, and media dimensions in every society. This has necessitated the enactment of strict laws to curb this alarming phenomenon, which is sweeping through communities by all means and methods. The present study examines these recent laws aimed at combating drugs, which instill fear and anxiety to a great extent among human societies in general, leading to a rise in mental illnesses such as suicide, deviant and criminal behaviors, violence, delinquency, terrorism, arms smuggling, and more .

Keywords: Drugs, laws, addiction, foreign labor, drug law.

المقدمة:
الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :
فإن الإدمان في عالمنا المعاصر مشكلة تهدد الوجود البشري كله ، وعلى المستوى العربي والإسلامي أصبحت لها جوانب سياسية واجتماعية ، وتربوية ودينية واقتصادية.
إن هناك نوعا جديدا من الحرب الموجهة ضد شعوبنا الإسلامية ، حرب لا يستعمل فيها طائرات ولا صواريخ، وإنما هي حرب العقول المسممة ، والأجساد المدمرة ، التي تكون أدواتها المخدرات ، التي يروج تجارتها عن قصد في بلادنا عن طريق ايد خفية ؛ للقضاء على كل جوانب العقل والجسم تدريجيا إلى أن يصل إلى حد الضياع ثم الموت .

أولاً: إشكالية الدراسة:
تُعد مشكلة المخدرات من أخطر التحديات التي تواجه المجتمع العراقي في العقود الأخيرة، نظرًا لآثارها الاجتماعية والاقتصادية والأمنية والصحية. وعلى الرغم من وجود قوانين وتشريعات تهدف إلى الحد من انتشارها، فإن الواقع يشير إلى استمرار معدلات التعاطي والاتجار، بل وتطور أساليب الجريمة المرتبطة بها. ومن هنا تبرز الإشكالية الرئيسة: إلى أي مدى أسهمت القوانين العراقية المسنونة في الحد من مشكلة المخدرات؟ وهل تكمن المشكلة في قصور

التشريعات ذاتها، أم في ضعف آليات التطبيق، أم في عوامل اجتماعية واقتصادية وسياسية مرافقة؟

ثانياً: أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

١. تحليل مضمون القوانين العراقية المتعلقة بمكافحة المخدرات، وتطورها التشريعي.
٢. تقييم مدى فاعلية هذه القوانين في الحد من انتشار المخدرات في العراق.
٣. تحديد أوجه القصور التشريعي أو التطبيقي التي قد تحد من كفاءة هذه القوانين.
٤. تقديم مقترحات عملية لتطوير الإطار القانوني وتعزيز آليات تطبيقه.

ثالثاً: أهمية الدراسة:

أهمية علمية: ترفد هذه الدراسة المكتبة القانونية والاجتماعية بتحليل متخصص للإطار التشريعي العراقي في مجال مكافحة المخدرات، وهو مجال بحاجة إلى المزيد من الدراسات التحليلية والتقييمية أهمية عملية: تسهم نتائج الدراسة في مساعدة صناع القرار والمشرعين على تطوير التشريعات والسياسات الوطنية لمكافحة المخدرات بما ينسجم مع المعايير الدولية ويلبي احتياجات الواقع العراقي.

رابعاً: دواعي اختيار الموضوع:

١. تزايد معدلات انتشار المخدرات في العراق خلال السنوات الأخيرة، لاسيما بين فئة الشباب.
٢. وجود فجوة بين النصوص القانونية وواقع التطبيق، ما يستدعي البحث عن الأسباب والحلول.
٣. الحاجة إلى تقييم مدى ملاءمة القوانين الحالية مع المستجدات الاجتماعية والأمنية.
٤. قلة الدراسات الأكاديمية المتخصصة التي تناولت هذا الموضوع من منظور قانوني وتحليلي شامل.

خامساً: فرضية الدراسة:

تفترض الدراسة أن القوانين العراقية الحالية لمكافحة المخدرات، رغم أهميتها، تعاني من قصور في بعض الجوانب التشريعية والتطبيقية، ما يحد من فعاليتها في الحد من انتشار الظاهرة.

سادساً: حدود الدراسة:

الحدود الموضوعية: تقتصر الدراسة على تحليل القوانين والتشريعات العراقية الخاصة بمكافحة المخدرات، وتقييم أثرها في الحد من الظاهرة.

الحدود المكانية: تشمل الدراسة جمهورية العراق.

الحدود الزمانية: تغطي الدراسة الحقبة من صدور قانون المخدرات والمؤثرات العقلية رقم ٥٠ لسنة ٢٠١٧ وحتى الوقت الحاضر، مع الإشارة إلى التشريعات السابقة عند الحاجة.

والتزاما منا بمنهج البحث العلمي فقد قسمنا بحثنا هذا الى الفقرات التالي/المقدمة .

أولاً:مالمقصودبالمخدرات مفهومها

ثانياً:العوامل المسببة للادمان.ثالثاً: عوامل خارجية.رابعاً: القوانين التي صدرت بحق المخدرات ومروجيها ومتعاطيهاثم الخاتمة ثم المصادر والمراجع.

أولاً:مالمقصود بالمخدرات ومفهومها :

المخدرات في الفقة عديدة واجمعت كل التعاريف هي مادة اذا اساء الانسان استخدامها شكلت خطراً على صحته ,او هي كل مواد طبيعية, أو أدوية كيميائية تتسبب بحدوث الإدمان بمجرد تعاطيها المخدرات ما تسبب انهاكا للجهاز العصبي وتتسبب بإحداث تغيرات لا إرادية على الحالة النفسية أو الجسدية للمتعاطي، وعلمياً يقال عن المواد التي تدرج ضمن قائمة المخدرات اسم المخدار أو ما يُغيب الوعي وخواص العقل الادراكية، لما تتضمنه من مواد كيميائية تسبب أعراض)النعاس الدائم وغياب الوعي(١) ، فيبدي المتعاطي ظواهر سلوكية غير مألوفة تتطور

مع تكرار الاستخدام، أما الادمان على المخدرات فما هو رغبة لا ارادية في استمرار التعاطي وفي زيادة الجرعات ما يسبب الضرر على المتعاطي والمجتمع الذي يعيش فيه.

ثانياً:العوامل المسببة للإدمان (٢):

هناك عوامل عدة مسببة للادمان ولكن اهمها هي المتعلقة بالشخص نفسه وتختلف هذه العوامل من فرد الى اخر باختلاف البيئة الاجتماعية والسياسية والاسرية والاقتصادية ومن تلك العوامل:

اولاً: البيئة الدينية لنشئة المتعاطي:

هشاشة التنشئة الدينية منذ الصغر للابناء وحثهم ومتابعتهم على الالتزام بالتعاليم الاسلامية سيكون لها الاثر فى بناء شخصية غير متزنة مضطربة تعانى من القلق والوساوس والاضطرابات فعندها يسهل عليها الانقياد نحو الادمان والتعاطى لاى مؤثر من قبل الاشخاص المتعاطين مما يحرفها عن طريق الحق والخير اى طريق الفساد والضلال فضلا عن الفهم الخاطئ للتعاليم الدينية فى سلوك المراهقين اذا لوحظ انهم اكثر انقيادا الى من يدفعهم ويستوبهم باسم الدين الى سلوك معين يتضمن خروجا على قواعد المجتمع ولذلك يمكن القول ان كلا من الفهم الدينى الخاطئ او نقص التوجيه الدينى يعتبر من اهم الاسباب الدافعة الى تعاطى المخدرات(٣)

ثانياً:الاصدقاء السوء:

رفاق السوء احد المتغيرات المرتبطة بانتشار ظاهرة ادمان المخدرات حيث اظهرت العديد من الدراسات التى اجريت فى كثير من بلدان العالم فلهم دورا كبيرا ومؤثرات فى دفع بعضهم البعض لتعاطى المخدر و اتضح من معظم تلك الدراسات ان رفاق السوء يشكلون المرتبة الاولى وبنسب مرتفعه فى دفع الافراد لتعاطى المخدرات مما يؤكد ان رفاق السوء وصحبتهم تعتبر من العوامل الرئيسة فى زيادة اعداد المتعاطين والاقبال على المخدرات وزيادة انتشارها(٤).

ثالثاً: كثرة اوقات الفراغ

ضعف استثمار الفراغ بشكل مجد وفعال يصبح مفسدة من قبل الافراد خاصة اذا تلازم وقت الفراغ مع عدم توفر الاماكن الصالحة التى تمتص طاقة الشباب كالنوادى التي لا تخضع للرقابة والمتنزهات فعندها ينبغى تعليم هؤلاء الافراد البدائل المختلفة للاستمتاع بوقت فراغهم دون اللجوء الى المخدرات مثل الرياضة ، الموسيقى ، الهوايات المختلفة ، بما يعود عليهم بالنفع وعلى مجتمعهم فى النمو والتقدم يعتمد على المستوى الفكري الذى يعيش فيه الافراد

رابعاً: استخدام المال الخاطئ وعدم المحاسبة

المال فى يد البعض لايقتصر على الاقدام على تناول الاطعمة ذات السعر المرتفع بل يدفعهم حب الاستطلاع الى شراء اغلى انواع المخدرات والمسكرات فى سبيل تحقيق المتعة

قد يفسر البعض الحرية تفسير خاطئ على انها الحريه المطلقة حتى لو كانت تضر بهم او بالاخرين ,ومن هذا المنطلق يقوم البعض بالسهر خارج المنزل حتى اوقات متاخره من الليل وغالبا مايكون فى احد الاماكن التى تشجع على السكر والمخدرات وخلافه من المحرمات (٥)

خامساً:التجول خارج البلد

السفر الى خارج البلاد ملاذا للافراد لاسيما فئة الشباب اذ لاتوجد مراقبة او متابعه لهم فى غالبية الاحيان من اسرهم مما يجعلهم يفكرون فى تناول العقاقير والارتياد الى اماكن اللهو وتناول جرعات كبيرة من المنبهات والمواد المخدرة بدون اى مساءلة او محاسبة من اى جهة ما(٦)

سادساً:المشكلات الاجتماعية

المشكلات الاجتماعية لايقوى افرادها على تحملها فيلجأ البعض منهم الى تناول بعضا من العقاقير والمواد المخدرة

املا في الهروب من الواقع المعاش وتغير فعلي في حياته النفسية لكن خطورة مثل هذه الحالات ربما تعد اكثر تفتكا من اى سبب اخر اذ انها تتضاعف من حالته النفسية وتجعله مدمنا ومستهلكا لها باستمرار من شأنها ان تحدث اضرار بالغه ليس فقط على جسده فحسب بل تضاعف من همومه ومشاكله الاجتماعية(٧).

***وهناك عوامل اخرى لا تقل اهمية منها الاعتقاد بزيادة القدرة الجنسية , ضعف الشخصية الفضول وحب التجريب حب التقليد القدوة السيئة من قبل الوالدين او ادمان احد الوالدين و الوالدين عن الابناء والقسوة على الابناء

وهناك عوامل خارجية تؤثر على المجتمع الذي تجتاحه المخدرات منها :

وجود بعض اماكن اللهو بعض المجتمعات تحرص على توفير اماكن اللهو مناطق ترفيهية يزورها افراد المجتمع للترفيه والترويح عن انفسهم من ضغوط الحياة وتعقيداتها المستمرة لكن يحرص بعض القائمين عليها احيانا الى تشويهها عبر ادخال المسكرات وبعض العقاقير المخدرة بهدف تحقيق اكبر قدر ممكن من الارباح الطائلة على حساب توفير الراحة النفسية للبشر فضلا عن استغلالهم بشتى الوسائل والطرق تحت زرائع وهمية وحجج لايستطيع العقل البشرى تحملها او استيعابها فمن يريد ان يفسد عقول البشر والاتجار بهم فهو لايسعى الى توفير الراحة لهم.

العمالة الاجنبية وتعاطى المخدرات

استقدام الايدى العاملة الاجنبية لاسيما من مختلف البلدان الاسيوية الى دول الخليج فترة السنوات العشر الاخيره الى جلب العديد من السلوكيات المنحرفة كان ابرزها عادة تعاطى المخدرات بمختلف انواعها واساليبها وسائل الاتصال نقصد بوسائل الاتصال عامة تلك الوسائل التى تساعد الانسان على الاتصال بالعالم الخارجى المحيط سواء كان هذا العالم محليا او قوميا او عالميا ولعل اهم هذه الوسائل هى المطبوعات بشكل عام وتتضمن المجلات والكتب ثم وسائل الاعلام المسموعة والمرئية كالاذاعة والتلفيزيون والسينما والفيديو والانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي المختلفة التى تسرف فى اظهار حياة الرفاهية والبذخ على حساب القيم والاخلاق مما يخلق تناقضا بين تطلعات الشباب وعدم توافر الوسائل الازمه التى تمكنهم من تحقيق هذه التطلعات بما يؤدى الى تمرد الشباب وميلهم للادمان.

الموروث الثقافي المواد المخدرة وكيفية التعامل معه من الاسباب المؤدية الى الادمان ففى الوقت الذى يعتبر تناول المخدرات والكحول فى المجتمعات والدول الاوربية نوعا من الموروث الثقافي واحد مظاهر تلاقى الاجتماعى فان الوضع فى المجتمع العربى والاسلامي يكون خلاف ذلك اذ ان الاكثار من التدخين وتناول القهوة والشاي الاكثر تداولا يعود فى ذلك الى طبيعة المجتمع الملزمة والتى ترفض تناول اى نوع من انواع المخدرات من شانها الاضرار بافراد المجتمع الا ان الشئ المهم على سبيل المثال فى التدخين هو ان تاثيراته السلبية واعراضه لاتظهر على المريض الابعد عقد او عقدين من الزمن هو يذلك يتلاقى فى تاثيراته مع المواد المخدرة فى حجم الاضرار الناتجة بفعل تعاطى المستمر من قبل المدمنين عليه من افراد المجتمع(٧).

كل ما سبق وخطورته ادى الى ان تتخذ الدول العديد من القوانين وسنها للحد من المخدرات وتأثيراتها ومنها الحكومة العراقية , وسنستعرض القوانين التي صدرت بحق المخدرات ومروجيها ومتعاطيها.

أولًا: صدر أول قانون عراقي لمكافحة المخدرات سنة ١٩٣٣، وقد سمي هذا القانون قانون منع زراعة قنب الحشيشة الهندي وخشخاش الأفيون) والمرقم (١٢ لسنة ١٩٣٣ الملغي .

ثانيًا: قانون العقاقير الخطرة المرقم (٤٤) لسنة ١٩٣٨ الملغي .

ثالثًا: قانون المخدرات المرقم ٦٨ لسنة ١٩٦٥ الملغي .

رابعًا: القانون الأصل قانون العقوبات العراقي المرقم ١١١ لسنة ١٩٦٩ المعدل، والذي نصَّ في مادته ٦١ على

أنَّه إذا كان فقد الادراك او الارادة ناتجا عن مواد مسكرة او مخدرة تناولها المجرم باختياره وعلمه، عوقب على الجريمة التي وقعت ولو كانت ذات قصد خاص كما لو كانت قد وقعت منه بغير تخدير أو سكر، فإذا كان قد تناول المسكر أو المخدر عمدا بغية ارتكاب الجريمة التي وقعت منه، يعد ذلك ظرفًا مشددًا للعقوبة.

(ومن هذه المادة نرى مدى اهتمام المشرع العراقي بأهمية مكافحة المخدرات، وتجديد العقوبة على مرتكبها في ظل هذا القانون الأصلي).

خامسًا: أحدث التشريعات العراقية في إطار مكافحة المخدرات، هو القانون المرقم٥٠ لسنة ٢٠١٧ النافذ، لمكافحة الاتجار غير المشروع للمخدرات والمؤثرات العقلية، وهدف القانون العمل على تطوير سلطات الدولة المختصة بمكافحة المخدرات والمؤثرات العقلية وسوء استخدامها، فضلا عن تكثيف التدابير الوطنية لمكافحة الاتجار، والتعامل غير المشروع بالمخدرات والمؤثرات العقلية، والحد من تفشيها وتأمين التطبيق الجاد والفعال للاتفاقيات الاقليمية والدولية ذات العلاقة بالمخدرات، وضمان سلامة التداول بالمخدرات والمؤثرات العقلية للمتطلبات العلمية والطبية والعلاجية والصناعية، واتخاذ الآليات الوقائية والعلاجية والتأهيلية لمتعاطيها .

ونستعرض أهم المواد التي تضمنها القانون اعلاه لأهميتها، وبوصفه القانون الأحدث في العراق في مجال مكافحة المخدرات والمؤثرات العقلية.

- نصت المادة ٢٧ على أنَّه يعاقب بالإعدام أو بالسجن المؤبد كل من ارتكب أحد الأفعال أولا: استورد أو جلب أو صدر مواد مخدرة أو مؤثرات عقلية أو سلائف كيميائية، بقصد المتاجرة بها في غير الأحوال التي أجازها القانون(٨)
- ثانياً: انتج مواد مخدرة أو مؤثرات عقلية لقصد المتاجرة بها في غير الأحوال التي أجازها القانون.(٩)
- . ثالثاً: زرع نباتاً ينتج عنها مواد مخدرة أو مؤثرات عقلية أو استورد أو جلب أو صدر نبات من هذه النباتات في أي طور من أطوار نموها، بقصد المتاجرة بها أو المتاجرة ببذورها في غير الاحوال التي أجازها القانون
- نصت المادة ٢٨ على أنَّه يعاقب بالسجن المؤبد أو المؤقت، وبغرامة لا تقل عن ١٠٠٠٠٠٠٠ عشرة ملايين دينار، ولا تزيد على ٣٠٠٠٠٠٠٠ ثلاثين مليون دينار، كل من ارتكب الأفعال الآتية: أولاً: حاز أو أحرز أو اشترى أو باع أو تملك مواد مخدرة أو مؤثرات عقلية أو سلائف كيمياوية من هذا القانون أو نباتا من النباتات التي تنتج عنها مواد مخدرة أو مؤثرات عقلية أو سلمها أو تسلمها أو نقلها او تنازل عنها أو تبادل فيها أو صرفها بأي صفة كانت أو توسط في شيء من ذلك بقصد الاتجار فيها بأي صورة، وذلك في غير الأحوال التي أجازها القانون
- ثانياً: قدم للتعاطي مواد مخدرة أو مؤثرة عقلياً أو أسهم أو شجع على تعاطيها في غير الأحوال التي أجازها القانون
- ثالثًا: أجيز له حيازة مواد مخدرة أو مؤثرات عقليةلاستعمالها في غرض معين، وتصرف فيها خلافاً لذلك الغرض
- رابعًا: أدار او أعد أو هيأ مكاناً لتعاطي المخدرات والمؤثرات العقلية
- خامسًا: اغوى حدثا أو شجَّع زوجه وأحد أقاربه حتى الدرجة الرابعة على تعاطي المخدرات أو المؤثرات العقلية.
- سادسًا: يعاقب بالحبس الشديد وبالغرامة لا تقل عن ٥٠٠٠٠٠٠ خمسة ملايين، ولا تزيد عن ١٠٠٠٠٠٠٠ عشرة ملايين دينار، كل من:

١- حاز أو أحرز أو اشترى أو باع أو تملك مواد مخدرة أو مؤثرات عقلية أو سلائف كيميائية، أو سلمها أو تسلمها أو نقلها أو تنازل عنها أو تبادل فيها أو صرفها بأي صفة كانت، أو توسط في شيء من ذلك يقضي الاتجار فيها بأي صورة، وذلك في غير الأحوال التي اجازها هذا القانون يعاقب بذات العقوبة المدرجة في الفقرة سادسا من هذه المادة كل من حاز أو أحرز أو اشترى أو باع أو تملك مواد مخدرة أو مؤثرات عقلية وسلائف كيميائية أو نباتا

من النباتات التي تنتج عنها مواد مخدرة أو مؤثرات عقلية أو سلمها أو تسلمها أو نقلها أو تنازل عنها أو تبادل فيها أو صرفها بأي صفة كانت، أو توسط في شيء من ذلك بقصد الاتجار فيها بأي صورة، وذلك في غير الأحوال التي أجازها القانون للمواد المدرجة (١٠)

• نصت المادة ٢٩ على حالات الظروف المشددة للعقوبات، إذ نصت على أنَّه: يعد ظرفا مشددا للعقوبات المنصوص عليها في المادتين:٢٨، ٢٩ من هذا القانون تحقق إحدى الحالات الآتية: أولاً: العود ويراعى جميع الاحكام القضائية الوطنية والاجنبية الصادرة بالإدانة عن جرائم منصوص عليها في هذا القانون. ثانياً: إذا كان الفاعل من الموظفين او المكلفين لخدمة عامة المنوط بهم مكافحة الاتجار أو الاستعمال غير المشروعين للمخدرات والمؤثرات العقلية، والرقابة على تداولها أو حيازتها

• . ثالثا: اذا كان فعله متلازما مع جريمة مخلة بأمن الدولة الداخلي أو الخارجي

• . رابعا: إذا استعمل الفاعل العنف أو السلاح في ارتكاب الجريمة

• . خامساً: إذا ارتكب جريمة في دار عبادة او مؤسسة تعليمية عسكرية او مدنية أو في سجن أو موقف أو مكان حجز أو دار اصلاح للأحداث أو دار المشرعين والمتسولين او لرعاية الايتام او نادٍ رياضي او مؤسسة مجتمع مدني)١١)

• كما نصت المادة ٣١ يعاقب الطبيب المخالف لأحكام هذا القانون عن طريق النص على أنَّه: يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن ٣ ثلاثة أشهر، وبغرامة لا تقل عن ثلاثة ملايين دينار، ولا تزيد على ٥٠٠٠٠٠٠) خمسة ملايين)، أو بإحدى هاتين العقوبتين، ومنع مزاولة المهنة لمدة ١ سنة كل طبيب أعطى وصفة طبية لصرف مواد مخدرة أو مؤثرات عقلية لغير أغراض العلاج الطبي مع علمه بذلك

• وفي خصوص استيراد او انتاج او حيازة المواد المخدرة، فقد جاءت المادة ٣٢ بالنص على أنّه: يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن (١) سنة واحدة ولا تزيد عن ٣ ثلاث سنوات وبغرامة لا تقل عن ٥٠٠٠٠٠ خمسة ملايين دينار، ولا تزيد على ١٠٠٠٠٠٠٠ عشرة ملايين دينار كل من استورد او انتج أو صنَّع أو حاز او احرز او اشترى مواد مخدرة او مؤثرات عقلية او سلائف كيميائية او زرع نباتاً من النباتات التي تنتج عنها مواد مخدرة او مؤثرات عقلية واشتراها بقصد التعاطي والاستعمال الشخصي .

• تطرقت المادة (٣٣) إلى العقوبات الآتية

• أولا: يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن (٦) ستة أشهر ولا تزيد على (٢) سنتين، وبغرامة لا تقل عن (٣٠٠٠٠٠٠) ثلاثة ملايين دينار ولا تزيد على (٥٠٠٠٠٠٠) خمسة ملايين دينار، كل من: أ– سمح للغير بتعاطي المخدرات أو المؤثرات العقلية في أي مكان عائد له ولو كان بدون مقابل. ب– ضبط في أي مكان أعد أو هيأ لتعاطي المخدرات أو المؤثرات العقلية وكان يجري تعاطيها مع علمه بذلك ولا يسري حكم هذه الفقرة على الزوج أو الزوجة أو أصول أو فروع من أعد أو هيأ المكان المذكور أو من يسكنه

• . ثانيا: أ– يعاقب بغرامة لا تقل عن (٢٠٠٠٠٠٠) مليوني دينار ولا تزيد على (٥٠٠٠٠٠٠) خمسة ملايين دينار، كل من حاز أو أحرز مواد مخدرة أو مؤثرات عقلية بكميات تزيد على الكميات الناتجة من تعدد عمليات الوزن أو تقل عنها بشرط أن لا تزيد الفروق على ما يأتي: ١– (١٠٪) عشرة من المئة من الكميات التي لا تزيد على غرام واحد.

٢– (٥٪) خمسة من المئة من الكميات التي تزيد على غرام واحد وحتى (٢٥) غرام بشرط عدم زيادة مقدار السماح على (٢٥) ملي غرام. ٣– (٢٪) اثنان من المئة من الكميات التي تزيد على (٢٥) غرام. ٤– (٥٪)

خمسة من المئة من المواد المخدرة أو المؤثرات العقلية السائلة أيا كان مقدارها. ب– تكون العقوبة في حالة العود الحبس وغرامة لا تقل عن (٥٠٠٠٠٠٠) خمسة ملايين دينار ولا تزيد عن (١٠٠٠٠٠٠٠) ملايين دينار أو بإحدى هاتين العقوبتين

• . ثالثاً: يعاقب بالعقوبة المنصوص عليها في الفقرة من البند ثانيا من هذه المادة كل من علم بوجود النباتات المخدرة المنصوص عليها في هذا القانون مزروعة في مكان ما لأغراض غير مشروعة ولم يبادر إلى الإخبار عنها.(١٢)

• أما فيما يتعلق بالعقوبات التبعية فقد نصت الفقرات ١ ، ٢ ، ٣ من المادة ٣٥ على:

• أولاً: أن يحكم في جميع الاحوال بمصادرة المواد المخدرة والمؤثرات العقلية والادوات والاجهزة والآلات والاوعية المستعملة ووسائل النقل المضبوطة المستخدمة في ارتكاب الجرائم، وذلك دون الاخلال بحقوق الغير حسن النية

• . ثانياً: ترسل جميع المواد المخدرة والمؤثرات العقلية والسلائف الكيميائية المضبوطة مباشرة الى الجهات المختصة بحفظها. ثالثاً: يحكم بغلق كل محل مجاز باستيراد تصدير أو نقل المواد المخدرات العقلية أو السلائف الكيميائية وبحيازتها استنادا إلى أحكام المادة ٨ من هذا القانون، مدة لا تقل عن شهر ولا تزيد على ١ سنة، ويتبع الغلق حظر مباشرة العمل او المتاجرة او الصناعة ذاتها في المحل ذاته سواء كان بواسطة المحكوم عليه أحد أفراد أسرته، وأي شخص آخر يكون المحكوم عليه قد أجر له المحل، أو تنازل عنه بعد وقوع الجريمة، ولا يشمل الحظر مالك المحل أو أي شخص يكون له حق عيني منه، إذ لم تكن له صلة بالجريمة.

• رابعاً: على المحكمة أن تحكم فضلا عن العقوبات المنصوص عليها في هذا القانون، بحرمان المحكوم عليه من ممارسة العمل لمدة لا تزيد على ١ سنة، فإذا عاد إلى مثل جريمته خلال ٥ خمس سنوات التالية لصدور الحكم النهائي بالحظر، جاز للمحكمة أن تأمر بالحظر لمدة لا تزيد على (٣) سنوات، ويبدأ سريان الحظر من تاريخ انتهاء تنفيذ العقوبة أو انقضائها لأي سبب

• نصت المادة (٣٧) على حالات الاعفاء من العقاب والاعذار المخففة، وكالآتي:

•أولاً: يعفى من العقوبات المنصوص عليها في هذا القانون، كل من بادر من الجناة بإخبار السلطات العامة عن الجريمة قبل ارتكابها، وقبل قيام تلك السلطات بالبحث والاستقصاء عن مرتكبيها وعلم بالفاعلين الآخرين، أمّا إذا حصل الإخبار بعد قيام السلطات بذلك، فلا يعفى من العقوبة إلا إذا كان الإخبار قد سهل القبض على أولئك الجناة

• ثانياً: يعد عذرًا مخففًا للمشمولين بأحكام هذا القانون، كل إخبار إلى السلطات العامة عن الجريمة أثناء التحقيق أو المحاكمة، إذا ادعى الإخبار إلى ضبط الجناة، أو إلى الكشف عن أشخاص اشتركوا بالجريمة، ولهم علاقة بعصابات إجرامية محلية أو دولية ١٣

• أشارت المادة (٣٩) إلى تدابير معالجة المدمنين، ومنها

• أولاً: للمحكمة بدلا من أن تفرض العقوبة المنصوص عليها في المادة (٣٣) من هذا القانون، أن تقرر ما تراه مناسبا مما يأتي:

أ– إيداع من يثبت إدمانه على المخدرات أو المؤثرات العقلية في إحدى المؤسسات الصحية التي تنشأ لهذا الغرض، ليعالج فيها إلى أن ترفع اللجنة المختصة ببحث حالة المودع، تقريرًا عن حالته إلى المحكمة، لتقرر الإفراج عنه أو الاستمرار بإيداعه لمدة أو مدد أخرى.

ب– أن يلزم من يثبت تعاطيه المواد المخدرة أو المؤثرات العقلية، بمراجعة عيادة نفسية – اجتماعية تنشأ لهذا الغرض مرة أو مرتين في الأسبوع، لمساعدته على التخلص من عادة التعاطي، إلى أن يرفع الطبيب المكلف

بمساعدته، تقريرًا عن حالته إلى المحكمة، لتقرر وقف مراجعته أو استمرارها لمدة أو مدد أخرى، ولا يجوز أن يتأخر رفع هذا التقرير عن (٩٠) تسعين يومًا من تاريخ بدء المريض بمراجعة تلك العيادة, ج– أن تلزم من يتقرر الإفراج عنه من المؤسسة الصحية، بمراجعة عيادة نفسية – اجتماعية أولاً :تشكل في وزارة الصحة لجان طبية متخصصة، للعمل على تنفيذ الإجراءات المنصوص عليها في البند.

• ثانياً:من هذه المادة، وتحدد مهام تلك اللجان بتعليمات يصدرها الوزير.

ثالثا: إذا رفض المحكوم عليه العلاج المقرر في المادة، فللمحكمة إيداعه مكان الحبس بالمدة المنصوص عليها في المادة (٣٣) من هذا القانون (١٤).

• أشارت المادة (٤٠) إلى الاجراءات الآتية

• أولاً: لا تقام الدعوى الجزائية على من يتقدم من متعاطي المواد المخدرة أو المؤثرات العقلية من تلقاء نفسه للعلاج في المستشفى المختصة بعلاج المدمنين.

• ثانياً: أ. يوضع المريض المشمول بأحكام البند اولا من هذه المادة، تحت الملاحظة في المؤسسة الصحية لمدة لا تزيد على (٣٠) يوما. ب. إذا ثبت للمؤسسة الصحية أنَّ المريض مدمن ويحتاج إلى العلاج، فلها إبقائه لمدة لا تزيد على (٩٠) تسعين يوما. جـ. تمدد المؤسسة الصحية مدة بقاء المريض فيها لمدة (١٨٠) مئة وثمانين يوما، إذا رأت أنَّ حاجته للعلاج تقتضي ذلك.

• ثالثاً: للجنة الطبية المختصة أن تلزم من يتقرر إخراجهم من المؤسسة الصحية، بمراجعة عيادة نفسية اجتماعية على أن يرفع الطبيب المعالج تقريره الى اللجنة، لتقرر وقف مراجعته العيادة الطبية المذكورة أو استمراره

• رابعاً: عند عدم التزام المريض ببرنامج العلاج لدى المؤسسة الصحية، تشعر المحكمة المختصة بذلك، لاتخاذ الإجراءات القانونية بحقه، وفق المادة (٣٣) من هذا القانون, وتعليقاً على ما ورد في النصوص القانونية المشار إليها آنفا، ضمن القانون العراقي المرقم٥٠ لسنة ٢٠١٧، لمكافحة المخدرات والمؤثرات العقلية، وهو أحدث قانون وطني عراقي يتناول هذه القضية والجريمة بشكل مفصل، فإنَّ هذا القانون ومواده العقابية، تمثل خطوات جادة من قبل المشرع العراقي لمكافحة المخدرات والمؤثرات العقلية، وتخويل الجهات الأمنية والقضائية لاتخاذ التدابير الكفيلة للحد من ظاهرة انتشار تعاطي المخدرات في المجتمع العراقي، وتنفيذه للتشريعات الدولية المنصوص عليها في الاتفاقيات الدولية الاقليمية، الذي يعد العراق عضوا و طرفا فيها.

التوصيات :

١ – وضع استراتيجه واضحه لكبح ظاهرة المخدرات تشمل علاجات امنية مكثفة واقتصادية واجتماعية والتوعوية المصادر ونفسيه

٢–تكثيف البرامج الوطنية التوعوية من خلال الحملات الدعائية لكشف مخاطر ادمان المخدرات ومعالجة اسباب الادمان وتوعيتهم كأنه جرم جنائي.

٣–الاسراع في تحديث وسن قانون عراقي متعلقا بالمخدرات وتشديد العقوبات على المروجين والتجار.

٤–وجود حل ضروري للمتعاطين من خلال تحسين الوضع المعشي لانه فئه من عمر ١٥ – ٣٠ سنه الكثرهم من نقاطي واغلبيتهم متزوجين بسبب البطالة والفقر ومستويات تعليميه متواضعه ويسكنون الاحياء العشوائية لذلك فأن الاهتمام بهذه الشريحه يخفف من انتشار المخدرات.

الهوامش:

١–عبد العزيز العليان, الجهود الدولية لمكافحة المخدرات ,مكتبة العبيكان ,(السعودية:١٩٩٦م),ص٣٦.

٢– صالح السعد ,المخدرات اضرارها واسبابها أنتشارها سلسلة المخدارات,ص ٦٣.
٣–المشرق,عبدالاله بن عبدالله,المخدرات والمؤثرات العقلية اسباب التعاطي واساليب المواجهة ,جامعة نايف العربية للعلوم الامنية ,(الرياض: ٢٠١١م),ص١٦.
٤–عبد العزي ,احمد الاصفر ,اسباب تعاطي المخدرات في المجتمع العربي ,جامعة نايف العربية للعلوم الامنية ,(الرياض:٢٠١٢م),ص١٥٩.
٥–لامية ,بوبيدي,واقع ظاهرة تعاطي المخدرات في المجتمع الجزائري,مجلة علوم الانسان,العدد(٣),المجلد(١),لسنة(٢٠١٢م),ص٤١.
٦– الاصفر,احمد , اسباب تعاطي المخدرات في المجتمع العربي,ص١٤٣.
٧– صالح السعد , المخدرات اضرارها واسبابها أنتشارها سلسلة المخدارات
٨–عطية فياض ,جريمة غسل الاموال في الفقه الاسلامي,ط١(القاهرة:٢٠٠٤م), ص١٨١.
٩–فخري عبد الرزاق الحديثي وخالد حميد الزغبي ,شرح قانون العقوبات ,دار الثقافة ط١(عمان:٢٠٠٩م),ص٨٥.
١٠–وفي قرار محمكة جنايات نينوى الاتحادية العراقية بعدد(٨٦/ج/٢٠٠٧)وبتاريخ ١٢ /٣ /٢٠٠٥,غير منشور قضت بتجريم المتهم (خ أ ج)وفق المادة (١ / ١٤ / ب / ٣) من قانون مكافحة المخدرات رقم (٦٨) لسنة (٦٥) المعدل ,والحكم عليه بالسجن لمدة سبع سنوات مع احتساب موقوفيته ,واتلاف المادة المخدرة المظبوطة من قبل رئاسة صحة نينوى
١١–أدور غالي,جرائم المخدرات في التشريع الليبي ,المكتبة الوطنية. ط١(ليبيا:١٩٧٣م),ص٣٤
١٢–النباتات الممنوع زراعتها هي القب الهندي ذكر او انثى بجميع مسمياته مثل الحشيش أو الكمنجة أو البانجو ,او غير ذلك من الاسماء الخشخاش بجميع اصنافه ومسمياته مثل الافيون وغيرها من الاسماء.
١٣–الطعن رقم ٢١٢٠٩ لسنة (٦٤ق)جلسة بتاريخ ١٢ / ١ / ١٩٩٧م,س٤٢ ,ص ٧١.
١٤– غالب الداودي, شرح العقوبات العراقي – القسم العام ,ص١٨٧.

المصادر :

١–عبد العزيز العليان, الجهود الدولية لمكافحة المخدرات ,مكتبة العبيكان ,(السعودية:١٩٩٦م),
٢– صالح السعد ,المخدرات اضرارها واسبابها أنتشارها سلسلة المخدارات.
٣–المشرق,عبدالاله بن عبدالله,المخدرات والمؤثرات العقلية اسباب التعاطي واساليب المواجهة ,جامعة نايف العربية للعلوم الامنية ,(الرياض: ٢٠١١م) .
٤–عبد العزي ,احمد الاصفر ,اسباب تعاطي المخدرات في المجتمع العربي ,جامعة نايف العربية للعلوم الامنية ,(الرياض:٢٠١٢م), .
٥–لامية ,بوبيدي,واقع ظاهرة تعاطي المخدرات في المجتمع الجزائري,مجلة علوم الانسان,العدد(٣),المجلد (١),لسنة (٢٠١٢م), .
٦–عطية فياض ,جريمة غسل الاموال في الفقه الاسلامي,ط١(القاهرة:٢٠٠٤م)
٧–فخري عبد الرزاق الحديثي وخالد حميد الزغبي ,شرح قانون العقوبات ,دار الثقافة ط١(عمان:٢٠٠٩م),
٨–وفي قرار محمكة جنايات نينوى الاتحادية العراقية بعدد(٨٦/ج/٢٠٠٧)وبتاريخ ١٢ /٣ /٢٠٠٥,غير منشور قضت بتجريم المتهم (خ أ ج)وفق المادة (١ / ١٤ / ب / ٣) من قانون مكافحة المخدرات رقم (٦٨) لسنة (٦٥) المعدل ,والحكم عليه بالسجن لمدة سبع سنوات مع احتساب موقوفيته ,واتلاف المادة المخدرة المظبوطة من قبل رئاسة صحة نينوى .
٩–أدورغالي,جرائم المخدرات في التشريع الليبي ,المكتبة الوطنية ط١(ليبيا:١٩٧٣م),.
١٠–النباتات الممنوع زراعتها هي القب الهندي ذكر او انثى بجميع مسمياته مثل الحشيش أو الكمنجة أو البانجو ,او غير ذلك من الاسماء الخشخاش بجميع اصنافه ومسمياته مثل الافيون وغيرها من الاسماء.
١١–الطعن رقم (٦٤ق) لسنة ٢٠١٢جلسة بتاريخ ١٢ / ١ / ١٩٩٧م,س٤٢ ,
١٢– غالب الداودي, شرح العقوبات العراقي – القسم العام .

الآنا والآخر في كتاب « المرأة وفلسفة التناقضات»

م. م. إيمان عبد الجبار جمال
جامعة بغداد/ كلية التمريض



المستخلص:

تُعتبر إشكالية "الأنا والآخر" من أكثر وأهم الإشكاليات الفلسفية والثقافية تعقيدًا وثراءً، مما جعلها محور أهتمام الكثير من الباحثين وذلك لما تشتمل عليه من أبعاد إنسانية، واجتماعية، وثقافية. وفي ظل ما يشهده الفكر المعاصر من تجاذبات فكرية وخلافات حول الهوية والتنوع، وظهرت الحاجة إلى تحليل هذا الثنائي من منظور نسوي، يسلط الضوء على مكانه المرأة ضمن البنية الثقافية العربية.

وهدف هذا البحث الى اظهار تجسيد الانا بالاخر عن طريق هذا الكتاب النقدي الحديث « المرأة وفلسفة التناقضات» للدكتور سمير الخليل مما ساهم البحث توضيح مفاهيم "الأنا" بوصفاً ذاتًا نسوية تعاني في علاقتها بالآخر، وهذا عالج مواضيع مختلفة منها الاجتماعية والعاطفية، الذي قدّم فيه طرحًا فلسفيًا وتحليليًا حول موقع المرأة في خطاب مليء بالتناقضات والتصورات المتضادة.

انطلق البحث من افتراض أن "الأنا النسوية" لا يمكن استيعابها خارج علاقتها المعقدة بالآخر؛ الرجل، المجتمع، السلطة، والتقاليد والاعراف، وعن طريق تحليل نصوص فلسفية ومفاهيمية من كتاب د. الخليل، مسنودة بمصادر فكرية ومنهجية مختلفة، سعى البحث إلى تحليل تمثيلات الآخر وتأثيرها في تشكيل وعي المرأة بذاتها.

–منهج البحث هو تحليلي؛ لتحليل هذه الاشكالية وفهم حقيقتها والاستفادة منها في الواقع من منطلق قبول الاخر ايضاً.

وقد توزعت الدراسة على ثلاثة فصول: بحث الفصل الأول تشكّل الأنا في خطاب التناقض، مستعرضًا السياقات الفلسفية والثقافية التي تؤثر على تشكيل الذات النسوية. وركّز الفصل الثاني على تجسيد الآخر في الثقافة والمجتمع، وتحولاته من رمز مسيطر إلى عنصر صراعي. أما الفصل الثالث، فقد تتبّع التقاطعات المتشابكة بين الأنا والآخر في تمثيل المرأة في الخطاب العربي المعاصر.

وفي الختام، توصّل البحث إلى أن ثمة علاقة بين الانا والاخر لايمكن تجاهلها؛ لان يجب على الانا ان تتعرف على ذاتها دون الاخر كون التناقضات التي تحيط بالمرأة ليست انعكاسًا لمسألة فردية، بل هي نتاج منظومة فكرية وخطابية تحتاج إلى تفكيك مستمر لإعادة بناء الأنا النسوية بشكل حر ومستقل.

الكلمات المفتاحية: الأنا،الآخر، المرأة ، التناقضات، الفلسفة النسوية.

Abstract:

The problem of «self and other» is considered one of the most complex and important philosophical and cultural problems, making it the focus of interest of many researchers due to its human, social, and cultural dimensions. In light of the intellectual tensions and disagreements surrounding identity and diversity that contemporary thought is witnessing, the need has emerged to analyze this binary from a feminist perspective, highlighting the place of women within the Arab cultural structure.

This research aims to demonstrate the embodiment of the self in the other through this modern critical book, «Women and the Philosophy of Contradictions,» by Dr. Samir Al-Khalil. The research contributed to clarifying the concepts of «self» as a feminine self that suffers in its relationship with the other. This dealt with various topics, including social and emotional ones, in which he presented a philosophical and analytical approach about the position of women in a discourse full of contradictions and conflicting perceptions. The research proceeded from the assumption

that the «feminine self» cannot be understood outside of its complex relationship with the other: man, society, authority, traditions, and customs. This was done through analyzing philosophical and conceptual texts from the book Dr..Al-Khalil, supported by various intellectual and methodological sources, the research sought to analyze representations of the other and their impact on shaping women›s awareness of themselves. The research methodology is analytical; to analyze this problem, understand its truth, and benefit from it in reality from the standpoint of accepting the other as well.

The study was divided into three chapters: The first chapter examined the formation of the ego in the discourse of contradiction, reviewing the philosophical and cultural contexts that influence the formation of the feminist self. The second chapter focused on the embodiment of the other in culture and society, and its transformation from a dominant symbol to an element of conflict. The third chapter traced the intertwined intersections between the ego and the other in the representation of women in contemporary Arab discourseIn conclusion, the research concluded that there is a relationship between the self and the other that cannot be ignored, because the self must recognize itself without the other, given that the contradictions surrounding women are not a reflection of an individual issue, but rather the product of an intellectual and discursive system that requires continuous deconstruction in order to rebuild the feminine self in a free and independent manner

.Keywords: Self, Other, Woman, Contradictions, Feminist Philosophy.Qur'an

المقدمة:

تعد إشكالية الذات والغير من ابرز المسائل الفلسفية التي انشغلت بها الفكرة الانسانية نظراً لصلتها الوثيقة بمفاهيم الهوية والاختلاف وان هذا البحث الذي يتناول العلاقة بين "الأنا" و "الآخر" كما تتجلى في كتاب المرأة وفلسفة التناقضات للدكتور سمير الخليل, ودار هذا البحث حول دراسة الناقد حول دستور الرجل لفهم المرأة عن طريق جدل الانا والاخر , وذلك بركائز اساسية عن طريق تقديم المرأة كائناً اجتماعياً بكل صورتها وحقيقها .. كما قدم الرجل وفق هذا الوصف الموضوعي ايضا؛ لتسليط الضوء على المرأة عبر عنوان الكتاب, مما جعل الحديث حول المرأة باتساع وركز على قوتها الذهنية وتمركزها الذاتي, اي ان هذا البحث يحاول الكشف عن قراءة مغاير من منظور سيسيوثقافي لكل مايحيط بالمرأة وفهمها والتناغم مع انظمتها النفسية وتفهم موقفها, تقوم فرضية البحث على أن تصوير المرأة في الثقافة العربية ليس مجرد صورة لواقع اجتماعي، بل هو نتاج لتراكم رمزي وفلسفي يعيد تشكيل العلاقة بين الذات (الأنا) والغير (الآخر) ضمن ثنائيةمشحونهبالتناقضات.

يشير د. سمير الخليل إلى أن الذات الأنثوية في الخطاب العربي تتشكل دائماً في مرآة الآخر المسيطرة، سواء تمثل في الرجل، أو المؤسسة، أو الثقافة الأبوية (١)، ((ولا يمكن استيعاب صورة المرأة إلا عبر تحليل تمثلات الآخر التي تحدد هويتها وحدودها، من خلال آليات رمزية كاللغة، والدين، والمجتمع. وهنا نجد تداخلاً مع الطرح الفلسفي لسيمون دي بوفوار التي ترى أن "المرأة لا تولد امرأة، بل تُصبح كذلك" حين يُسقَط عليها موقع الآخر داخل

منظومة السمو الذكوري))(٢) .

كما يؤكد إدوارد سعيد على أن ((الآخر ليس موضوعًا حيادياً، بل تشييد ثقافي تنتجه القوة من أجل إحكام السيطرة والتفوق)) (٣)، هذا التصور يسير بقوة على تمثيل المرأة في المجتمعات التي تستخدم الأنوثة كأداة للتحكم الاجتماعي، مثلما ناقشته نوال السعداوي في المرأة والجنس (٤).

مما يؤكد بول ريكور على أن ((ادراك الأنا لا يكتمل إلا بوعيها بالآخر الذي يعمرها ويعيد تكوينها في كل مرحلة)) (٥). من هنا تنبع أهمية تحليل الخطاب الثقافي الذي يعيد إنتاج هذه الازدواجية ويكرس دونية المرأة كآخر دائم, ويعد الانا في هذا البحث هو ذات المرآة اما الاخر هو الرجل وكل محور في هذا البحث يعد مقارنة بينهما, اذا نجد كيف (آنا) المرآة ونظرتها الى الرجل عن طريق كتاب المرأة وفلسفة التناقضات لتحليل البنية الفلسفية والثقافية لتمثيل الآخر وتوضيح أثر ذلك على تشكيل هوية المرأة، بالاعتماد على مناهج تحليل الخطاب والقراءة التفكيكية والفلسفة النسوية.

هدف البحث الى تحليل العلاقة بين الذات والغير كما تظهر في كتاب المرأة وفلسفة التناقضات للدكتور سمير الخليل، من منظور ثقافي وتفكيري, فضلا عن استكشاف تجسيدات "الآخر" في الخطاب الثقافي العربي، في ما يخص صورة المرأة، والكيفية التي يُعاد عن طريق إنتاج تلك الصورة في ضوء منظومات رمزية تقليدية, وان تتبع أثر السلطة الرمزية في تشكيل الهوية الأنثوية، عبر وسائل اللغة والدين والتقاليد والمؤسسات الاجتماعية كما قدمها المؤلف, مما رصد جدلية التناقض بين الانا والاخر في الخطابات النسائية واستكشاف كيف يتم توظيف ذاك التناقض كمدخل لاستيعاب الهوية لا كمعوق لها .

وهدف الى إبراز إمكانية تحوّل المرأة من موضوع للخطاب إلى فاعل فيه، عبر تحليل مساهمة المؤلفين في إعادة تعريف موقع المرأة ضمن الثقافة, فضلا عن الإسهام في إثراء الدراسات النسوية والنقد الثقافي عن طريق استخدام منهج تحليلي يجمع بين الفلسفة والسوسيولوجيا في دراسة النصوص المعاصرة, لتقديم قراءة نقدية للخطابات الثقافية السائدة حول المرأة والأنا والآخر، مع اقتراح إمكانيات جديدة لفهم الذات الأنثوية في ظل سياقات السيطرة.

أهمية البحث

١. يساهم البحث مساهمة في ادراك البنية الرمزية التي تضبط في تشكيل صورة المرأة في الخطاب الثقافي العربي، ويُعيد طرح مفهومي "الأنا" و"الآخر" في ضوء قراءة تحليلية لكتاب فلسفي معاصر.

٢. يسلط البحث على البعد الفلسفي الذي تنطوي عليه إشكالية التناقض بين الذات والغير، ويساعد في توسيع حقل الدراسات النسوية عبر مقاربة فكرية تتجاوز التحليل الوصفي.

٣. يتيح هذا البحث أدوات تحليلية يمكن تطبيقها على نصوص أخرى في مجال الثقافي والأدبي، مما يفتح المجال لقراءات جديدة في مجال تمثلات المرأة يواكب البحث التغيرات الجارية في الخطاب النسوي العربي، ويعيد التفكير في موقع المرأة داخل بنية الثقافة والسلطة في زمن يتطلب الوعي والتحرر.

حدود البحث

يعتمد البحث على دراسة تحليلية لكتاب المرأة وفلسفة الاختلافات بوصفه المادة الاساسية للتحليل، مما يعني الاستنتاجات المتعلقة ترتبط بشكل مباشر بالتصورات المطروحة في هذا العمل، ولا تهدف لتعميم يشمل كل الإنتاج الفلسفي أو النسوي. كما يقتصر البحث على قراءة خطابية وفكرية دون التوسع في المجال الاجتماعي أو التاريخي..

منهجية البحث

يعتمد البحث على المنهج التحليلي النقدي في دراسة المفاهيم الاساسية مثل "الأنا"، "الآخر"، "التمثيل"، "الهوية"، و"الخطاب". كما يستعين بأدوات من التحليل الفلسفي والقراءة التفكيكية لتحليل النصوص واستجلاء تركيبتها العميقة, وقد تم توظيف عديد من المراجع الفكرية والفلسفية ذات طابع نسوي وثقافي، لاسناد المقاربة

النظرية وتوسيع نطاق الادراك, مع اعتماد الاستشهادات المرقمة لتوثيق المصادر وضمان المنهجية العلمية.

الفصل الأول: الأنا والآخر ، تأسيس المفهوم

او مدخل في الانا والاخر

تُعدّ إشكالية "الأنا والآخر" من أكثر المفاهيم الفلسفية جدلية وحضورًا في ميادين الفكر والهوية والتمثيل الثقافي, ولا يمكن الحديث عن تكوّن الذات دون الإشارة إلى الغير بوصفه مرآة معرفية وسوسيو–ثقافية، تلعب دورًا حاسمًا في تحديد الوجود والمعنى. وهذا ما يسلّط عليه الضوء د. سمير الخليل في كتابه المرأة وفلسفة التناقضات، حيث يرى أن المرأة في الثقافة العربية تتشكّل ذاتها عبر الآخر – الرجل – الذي يُنتجها رمزيًا ككائن ناقص أو تابع ضمن أطر السلطة الذكورية(٦).

ويبدأ بناء الهوية من لحظة الوعي بالذات بوصفها متميزة، غير أنها لا تكتمل دون استحضار "الآخر"، كما يؤكد بول ريكور ((الأنا تتعرّف على ذاتها فقط في علاقتها بالآخر)) (٧)، ومن هذا المنطلق، فإن العلاقة بين الأنا والآخر ليست متوازنة، بل قائمة على التراتب، خصوصًا في المجتمعات التي تعيد إنتاج الفوقية الذكورية في كافة بنياتها.

مما تشير سيمون دي بوفوار في كتابها الجنس الآخر إلى ((الرجل هو "الذات" الفاعلة، بينما المرأة هي "الآخر" الصامت أو المؤطَّر)) (٨)، وقد أثّر هذا التصنيف في تشكيل الوعي الجمعي، حتى بات يُنظر إلى المرأة بوصفها نقيضًا بيولوجيًا وثقافيًا للرجولة، لا ذاتًا مستقلة.

أما إدوارد سعيد، فيُبرز في الاستشراق ان تمثيل الآخر لا يعكس الواقع بل يصوغه خطاب القوة، ويُخضعه لتصورات السلطة والمركزية الغربية أو الذكورية (٩)، وينطبق هذا الطرح على الطريقة التي يُصاغ بها وعي المرأة في المجتمعات الأبوية، اذ يُعاد إنتاجها عن طريق خطاب الآخر لا من خلال ذاتها.

وفي السياق العربي، تكشف نوال السعداوي في المرأة والجنس ((أن الثقافة العربية كثيرًا ما تحصر المرأة في دور الجسد، وتُحمّلها عبء الشرف الأسري، مما يُعيد إنتاج الآخر كرقيب دائم على الأنا الأنثوية))(١٠)، ويُعزز هذا المنظور ما أوردته فاطمة المرنيسي في الحريم السياسي حول البنية الرمزية اذ تضع المرأة في موقع الحذر والرقابة الذاتية، كونها تمثّل تهديدًا محتملاً للنظام الرمزي القائم (١١).

كما يُحلل طه عبد الرحمن في سؤال الأخلاق مفهوم الآخر من منظور الفلسفة الإسلامية، حيث يشير إلى أن "الغيرية الأخلاقية" هي شرط لاعتراف الذات بقيمتها، لكنها تتحوّل في المجتمعات التراتبية إلى وسيلة للإقصاء(١٢)، وهذا الطرح يتقاطع مع تحليل جورج طرابيشي الذي رأى((الأنا في الثقافة العربية مأزومة لأنها تُنتج ذاتها من خلال رفض الآخر – سواء كان المرأة، أو الغرب، أو المختلف – بدلًا من التفاعل معه)) (١٣).

يُشير عبد الوهاب المسيري في رحلتي الفكرية إلى أن((المركزية الذكورية ليست فقط منتجًا ثقافيًا، بل مشروعًا تاريخيًا بُنِيَ على مفاهيم القوة والسيطرة، والتي يُعاد إسقاطها على العلاقة بين الجنسين)) (١٤). كما يُشير ميشيل فوكو إلى أن ((الآخر ليس مجرد كيان خارجي، بل يُشكّل البنية المعرفية للذات من خلال ممارسات السلطة والمعرفة)) (١٥).

هكذا، فإن العلاقة بين الأنا والآخر في كتاب المرأة وفلسفة التناقضات لا تُفهم إلا ضمن منظور بنيوي تفكيكي، يُبرز كيف أن الذات الأنثوية لا تولد جاهزة، بل تتكوّن ضمن خطاب الآخر، وتُعاد صياغتها بما يضمن استمرار السيطرة الرمزية.

الانا ((هو الضمير المتصل الواحد وهو التعبير عن النفس الواعية لذاتها))(١٦). اما في معجم الوسيط آنا ((ضمير رفع منفصل للمتكلم والمتكلمة)) (١٧)، وفي لسان العرب عرف الانا ((كلمة انا اسم مكنّي, وهو للمتكلم وحده , وانما بني على الفتح فرقا بينه وبين أن التي هي حرف نصب للفعل ؛ اما الالف الاخيرة انما هي لبيان الحركة للوقف))

(١٨)، فالانا انعكاس افكار شخص ولايمكن فصل الانا عن نفسه.

اصطلاحاً ((هو الذات التي ترد اليها افعال الشعور جميعها وجدانية كانت او عقلية او ارادية وهو دائما واحد ومطابق لنفسه , وليس من اليسر فصله عن اعراضه , ويقابل الغير والعالم الخارجي ويحاول فرض نفسه عن الاخرين وهو اساس الحساب والمسوولية))(١٩)

فالانا عند فرويد هو الجانب الوعي من الشخصية الانسانية التي تمثل حلقة وصل بين ذات الفرد والعالم الخارجي (٢٠).

نجد تناول الموضوع الاناكثير من فلسفة وعلماء النفس وعلماء الاجتماع .. ان الانا في علم الاجتماع تعرف بانها ((فرد واعي لهويته المستمرة , ولارتباطه بالمحيط , فاحساس الفرد بانه لايتحقق الابعد ادراكه لكينونته اولاً, كيف لا؟ وجسدي هو مركز توجه نقطة الصفر منه ادى كل ما استطيع رؤيته .. فهو عامل محرك لمجرى الادراك)) (٢١) .

الاخر لغة هو ((احد الشخصين او الشيئين ويكونان من جنس واحد, او هو ما يدل على فرق, على تميز بين شخصين او شيء مقصود واشخاص او اشياء من الفئة ذاتها والجنس نفسه (انك تحب الاخر) اي ان من تحب ليس بالشخص المقصود ذاته بل بغيره ثان)) (٢٢)

الاخر اصطلاحاً ((هو عبارة عن مركب من صفات وخصائص النفس البشرية والاجتماعية والسلوكية والفكلرية , ينسبها الفرد ما الى الاخرين , وكل تعريف يطلق على الانا من شانه ان يطلق على الاخر ايضاً , اي في حالة ان تكون الانا ترتبط بعلاقة اختلاف – سواء في الجنس أو الفكر أو الانتماء – مع (انا الاخر) تكون الاخيرة هي الاخر))(٢٣)

الفصل الثاني: تمثّلات الآخر في الخطاب الثقافي

لا يُمكن أن تُبنى الأنا دون أن تكون في علاقة مع الآخر؛ لان الهوية ليست معطى ثابتًا، بل نتاج تفاعل جدلي مع صور الآخر، الذي يتخذ أشكالًا رمزية واجتماعية وسياسية في المرأة وفلسفة التناقضات، يشير د. سمير الخليل إلى ((أن الآخر يُعاد إنتاجه في الخطاب الثقافي على نحو يُكرّس دونية المرأة بوصفها كائنًا غير مكتمل، يتعيّن عليه إثبات ذاته باستمرار أمام مركزية الرجل)) (٢٤)، ويؤكد أن اللغة والدين والعرف تمثل أدوات هذا الخطاب في بناء صورة الآخر الذكوري كمقياس، والأنثى كمرآة له.

وفقًا لتحليل إدوارد سعيد في الاستشراق، ((تمثيل الآخر هو ممارسة سلطة رمزية، تُخضع الآخر لمنظومة تمثيلية تخدم مصالح الذات المركزية))(٢٥)، ينطبق هذا التحليل على خطاب الهيمنة الذكورية الذي لا يعكس واقع المرأة بقدر ما يُنتج تصورًا يخدم مصالح السلطة الذكورية.

وفي هذا السياق، تشير سيمون دي بوفوار إلى أن ((الأنثى تُقدَّم في المجتمعات الذكورية بوصفها الآخر الثانوي، المرتبط بالجسد والانفعال، في مقابل "الذات" الذكورية المرتبطة بالعقل والفاعلية))(٢٦) ,وتُؤكد أن هذا التمثيل الثقافي يُشكّل البنية اللاواعية لخطاب الآخر، الذي يُرسّخ الفجوة بين الجنسين.

وتعرض نوال السعداوي في كتابها المرأة والجنس ((أن تمثيل الأنثى كمصدر للعار والفتنة هو تمثيل أيديولوجي يخدم بنية سلطوية تتستر بالدين والعرف)) (٢٧), وتُظهر كيف تُستخدم رمزية الجسد الأنثوي لإعادة إنتاج الخضوع والرقابة.

من جهة أخرى، يُبرز بول ريكور في الزمان والسرد((الآخر لا يقتصر على الخارج، بل يسكن الذات، ويتداخل في عملية السرد التي تُعيد تشكيل الهوية باستمرار)) (٢٨)، وهذا ما أشار إليه الخليل في قراءته لدور المرأة في إعادة إنتاج صورة الآخر الذكوري من خلال التنشئة والخطاب الأبوي اليومي (٢٩).

وفي كتاب خطاب الأنوثة في الفكر العربي، تشير سعاد مرعي إلى((أن الأدب العربي التقليدي كثيرًا ما مثّل المرأة

بصورة مزدوجة: إما الملاك الطاهر أو شيطان الغواية، وهو ما يكشف عن رؤية متأزمة تجاه الآخر الأنثوي)) (٣٠), هذا التمثيل الازدواجي يعكس انقسام الوعي الذكوري، ويُسهم في تشكيل هوية المرأة ضمن ثنائية الخير والشر.

أما فوكو، فيؤكد في إرادة المعرفة ((ان السلطة لا تُمارس فقط من الأعلى، بل تُعاد إنتاجها من خلال الأجساد والخطابات والمؤسسات الصغيرة))(٣١) بهذا المعنى، فإن تمثيل المرأة كآخر لا يحدث في النصوص فقط، بل في الممارسات اليومية التي تُكرّس دونيتها.

كما يشير جورج الخوري في كتابه المرأة والهوية الثقافية إلى ((أن خطاب الآخر في الثقافة العربية كثيراً ما يُبنى على الخوف من الأنثى، مما يؤدي إلى إخضاعها داخل منظومة أخلاقية صلبة تحكم تصرفاتها وتطلعاتها))(٣٢)، وفي السياق ذاته، ترى نانسي ميلر في النسوية والهوية أن التحرر لا يكمن فقط في مقاومة الآخر، بل في إعادة إنتاج خطاب بديل يُعيد تعريف الذات خارج شروط الهيمنة (٣٣).

((من الشروط الاولية لبناء وحدة سيبكولوجية اجتماعية هو انشاء صورة الاخر : فبفضلها تتحقق نزعة الفرد الى خلق انشطار بين (نحن)و(لهم) والى تثمين الفروق القائمة بين هولاء وأولئك تلك هي النزعة التواقة الى انشاء (نحن) ذاتيه تقرن بكل ماهو اخر لكي يصلح فصالها عنه لاحقا , وقد تكون للاخر اولوية اكبر على الانا في هذه الحالة)) (٣٤).

بناءً على ذلك، تُظهر قراءة الخطاب الثقافي أن تمثلات الآخر ليست معطى ثابتًا، بل نتاج صراعات رمزية وتاريخية تُعيد تشكيل علاقة الأنا بالآخر من موقع القهر أو المقاومة. وهكذا، فإن تفكيك هذا الخطاب يُعد خطوة أولى نحو إنتاج هوية نسوية مستقلة وفاعلة.

الفصل الثالث: المرأة بين الأنا والآخر ، جدلية الوعي والتحرر

تطرح فلسفة التناقضات، كما يقدمها د. سمير الخليل، مفهومًا جدليًا لعلاقة المرأةبـ"الأنا"و"الآخر"، بحيث لا تكون العلاقة فقط علاقة صراع أو تبعية، بل علاقة تشكل متبادل، تُنتج فيها الأنا (الأنثوية) ذاتها عبر إدراك الآخر، ثم تجاوزه أو مقاومته, ويُشير الخليل إلى أن الأنوثة تُصاغ اجتماعيًا ضمن خطاب الآخر، حيث تُجرد المرأة من حقها في تقرير ذاتها، وتُجبر على التمثيل الرمزي، لا الوجود الفعلي (٣٥).

في هذا السياق، يُلفت الخليل النظر إلى أن((خطاب السلطة يُعيد إنتاج المرأة ككائن رمزي، لا بوصفها فردًا فاعلًا، بل كأداة لضبط النظام القيمي والاجتماعي. فعندما تُعرّف المرأة في الثقافة بوصفها عرضًا أو شرفًا، يتم تجريدها من كينونتها الخاصة لصالح صورة مفروضة خارجيًا)) (٣٦).

,وتُعد هذه الصياغة واحدة من أهم تجليات التداخل بين الأنا والآخر في البنية الثقافي المرأة كأنا مغتربة ترى نانسي ميلر في كتابها النسوية والهوية أ((الذات الأنثوية تتكوّن في ظل شروط الآخر الذكوري، ما يجعل تحريرها غير ممكن دون إعادة بناء الأنا من الداخل، لا فقط عبر مقاومة الخارج))(٣٧) ,وهو ما يتقاطع مع ما طرحه الخليل حول أن التحرر يبدأ بإعادة تعريف الأنوثة بوصفها ذاتًا لا مرآة،وهوية لا رد فعل(٣٨)، كما يؤكد د. مصطفى عطية في كتابه المرأة وسؤال الحرية ((أن المرأة لا تُنتج خطابًا حرًا إلا حين تدرك أن الآخر ليس فقط خصمًا خارجيًا، بل مكونًا داخل بنيتها النفسية والثقافية، وهي بحاجة لتفكيكه)) (٣٩)، هذه الرؤية تتأسس على تفكيك التصورات الرمزية المتجذّرة، وليس فقط كسر القواعد الاجتماعية الظاهرة ويذهب جورج الخوري في المرأة والهوية الثقافية ((تجاوز الآخر لا يتحقق بنفيه، بل بالحوار معه من موقع الندية، أي أن التحرر لا يعني التمرد، بل إنتاج توازن رمزي جديد))(٤٠)، وقد أشار الخليل إلى هذا التوازن بوصفه ((تحررًا واعيًا لا يقوم على العداء، بل على الانفصال الرمزي عن شروط التبعية))(٤١).

مقاومة السلطة وإعادة تشكيل الذات يُقدم ميشيل فوكو في تاريخ الجنسانية تصورًا دقيقًا لكيفية اشتغال السلطة، موضحًا ((أن المقاومة لا تأتي من خارج النظام، بل من داخله، إذ أن الخطاب المقاوم ذاته يتشكل في إطار ما يرفضه))(٤٢). لذلك، فإن مقاومة المرأة للآخر تبدأ من تفكيك خطاب الهيمنة الذي بُني داخلها.

أما حسن حنفي، في كتابه التراث والتجديد، فيدعو إلى ((إعادة تأويل التراث لصالح قيم المساواة والعدالة، معتبرًا أن كثيرًا من التصورات الذكورية المغلقة تستند إلى قراءات تراثية جامدة، لا إلى الدين ذاته))(٤٣)، هذا الرأي يتكامل مع رؤية الخليل حول ضرورة تفكيك العلاقة المزدوجة بين الدين والخطاب الذكوري(٤٤) .

ويُحلل عبد الله فتحي في كتابه التحرر الواعي فكرة حول التحرر الحقيقي للمرأة((لا يعني فقط الخروج من قيد الآخر، بل التحرر من صورته الداخلية – الآخر الذي يسكنها، ويعيد إنتاج خطاب الذكورة داخله)) (٤٥)، هذا النوع من "التحرر الذاتي" يتطلب مستوى عميقًا من الوعي بالذات واللغة والتمثيل.جدلية الذات والتحوّل–((ان ادراك قيمة الانا في حقيقتها يجعلها تدرك انها ما وجدت لتعيش في عالم تنطوي فيه على ذاتها , لكن تتحقق قيمتها في فهم ووعي consciousheссذاتها من خلال وعيها بادراك قيمة الاخر اذا لايمكن انفصال الانا عن الاخر , كما لايمكن وجود الانا بالقضاء على الاخر او التقليل منه , او حرمانه من وجوده الذي وهب اياه , من خلال اختراع نظام فكري محاوله فيه الانا ان تقضي على الاخر باي طريقه)).(٤٦)

تستند فلسفة الخليل إلى رؤية تؤمن بإمكانية التحوّل, فالمرأة ليست ضحية مطلقة ولا فاعلًا مطلقًا، بل هي "كائن قيد التشكل"، وفق تعبيره، تنشطر بين مرآة الآخر ورغبتها في التشكل كذات مستقلة (٤٧).

إن لحظة التحرر، كما يصورها، ليست لحظة صدام، بل لحظة إدراك عميق للتناقض، واستثمار لهذا التناقض في توليد هوية قادرة على تجاوز التبعية دون الوقوع في العزلة أو العداء, وهكذا، فإن العلاقة بين الأنا والآخر في التجربة النسوية ليست علاقة طرفين متصارعين، بل سيرورة من التشكل والانعتاق، تبدأ من مساءلة الخطاب وتنتهي ببناء خطاب جديد.

الخاتمة:

ينتهي هذا البحث إلى أن العلاقة بين "الأنا" و"الآخر" في التجربة النسوية كما تناولها كتاب المرأة وفلسفة التناقضات ليست مجرد علاقة صراع خارجي بين طرفين متقابلين، بل هي علاقة جدلية معقدة تتغلغل في بنية الهوية الفردية المجتمعية. فـ"الآخر" ليس فقط ذاك الذي يقف في الخارج ليحاصر الأنا ويقيدها، بل يسكن داخلها أيضًا، يتشكل في وعيها، ويؤثر في صورتها عن نفسها.

وقد تبيّن من خلال الفصول الثلاثة أن تمثلات المرأة في الخطاب الثقافي ليست مجرد انعكاس للواقع، بل جزء من تكوين هذا الواقع نفسه. فهي تمثيلات مشبعة بالقيم والعقائد والسلطات الرمزية التي ترسخ التبعية وتصور الأنوثة في صور نمطية متعارضة. وفي مقابل فإن "الأنا" النسوية تطمح إلى التحرر لا فقط من الخارج الاجتماعي والسياسي، بل من الداخل الرمزي الذي يعيد إنتاج خضوعها.

يؤكد البحث الى أن تجاوز هذا التناقض لا يتحقق بإنكار الآخر أو ابطاله، بل بإعادة تحديد الذات في علاقة جديدة معه؛ علاقة تعتمد على الوعي، والمساءلة، والمساواة فالتحرر الحقيقي للمرأة ليس فقط في امتلاكها لصوت مستقل، بل في مقدرتها على تفكيك الخطابات التي شكلت هويتها لعقود، وصياغة خطاب جديد ينبع من تجربتها الشخصية.

إن التحدي الأكبر الذي يطرحه هذا البحث ليس فقط ادراك مكانه "المرأة" في الثقافة، بل كيف يمكن تغيير هذا الكتنه من موقع تصوير إلى موقع انشاء، ومن موضوع للمعنى إلى عامله تشكل ذاتها في هذا الاطار، لا يكون

التناقض عائقًا، بل مدخلًا إلى ميلاد جديد، تستمر فيه الأنا النسوية حوارها مع الآخر من موقع الادراك والاختيار هذا التحقيق يبحث عن حشد من الاستنتاجات التي تؤكد على مدى المصدرالذي قدمه الدكتور سمير الخليل في المرأة وفلسفة التناقضات. فقد اتبين أن العلاقة بين الأنا والآخر في الخطاب الثقافي ليست مجرد تفاعل سطحي، بل هي هيكلية متاصله تتداخل فيها مفاهيم السلطة والهوية والتمثيل. هذا التداخل يظهر نفسه بوضوح في كيفية تكوين صورة المرأة في الثقافة العربية، حيث يُعاد إنتاجها في موضع "الآخر" التابع، من خلال مؤسسات اللغة والدين والتقاليد.

واحدة من أهم النتائج التي توصل إليها البحث، هي أن المرأة ليست فقط ضحية لخطابات الغير، بل فاعلة – أحيانًا من دون وعي – في إعادة إنتاج هذه الخطابات. فالآخر لا يقع خارج الذات فقط، بل يتسلسل إلى داخلها، ويتجذر في وعيها، ويشكل تصوراتها عن ذاتها والعالم. ومن النتائج المركزية أيضًا أن التناقض ليس حالة سلبية بالضرورة، بل يمكن أن يكون مدخلًا فلسفيًا لاستيعاب الذات ومكانتها في الوجود. ففي ظل هذا التناقض، تبدأ المرأة في استجواب الصور المسبقة، وفي البحث عن خطاب بديل يعبر عن تجربتها الفعلية, بعيدًا عن النماذج المفروضة.

كما يظهر الكتاب أن التحرر لا يتحقق عبر الانفصال عن الآخر، بل من خلال الادراك لوجوده، وتحويل العلاقة به من التبعية إلى الندية. فلا معنى لهوية مفروضة من الخارج، كما لا معنى لتحرر لا ينبع من الداخل. ومن هنا تبرز أهمية الوعي النقدي في إعادة صياغة الذات.

بناءً على ذلك، يُمكن القول إن مشروع د. سمير الخليل لا يعرض فقط نقدًا لتمثلات المرأة في الثقافة، بل يؤسس لرؤية فلسفية حديثة ترى في المرأة كائنًا فاعلًا قادرًا على إعادة بناء ذاته، والتفاوض مع مكانه، والخروج من التناقض من دون إنكار اصوله.

هدفت هذه الدراسة الى اظهار كيف تجسدت الانا والاخر في كتاب المراة وفلسفة التناقضات , الذي عالج فيه الناقد مواضيع مختلفة منها الاجتماعية والعاطفية .. اثار فصول هذا الكتاب , من منظور احادي يحمل كثيراً من النقد والتشخيص علل ثقافة المرأة ...,كونه ينظر الى واقعها .. بد من القول ان ما ورد في هذا الكتاب يمثل النسبة المهيمنة عند المرأة أو ما يغطي توجهات ٨٠٪ من النساء العربيات ..

قدم المولف دراسة موضوعية تحمل كل الفرضيات والاسقاطات وكل النتائج سلباً او ايجابيا ؛ لانها لم لتنطلق من بعد واحد ولم ترضح الى منطق المدح , التعاطف , التمجيد الشاعري ؛ لانها تشخيص الادواء وعلاجاتها .

ومعرفة صورة الانا والاخر وأهم المواقف الذي ظهرو فيها ,كما هدفت الدراسة الى اظهار نظرة الانا لذاتها الاخر , وتوصلت الدراسة الى انه ثمة علاقة بين الانا والاخر لايمكن تجاهلها ؛ لان لايمكن للانا ان تتعرف على ذاتها دون الاخر, مما اثبت الناقد ان الاخر ليس دائما عدو , انما اثبت لنا ان الاخر محب ومتعاون في العلاقة الاجتماعية بينه وبين الانا.

الهوامش:

(١) الخليل، سمير. المرأة وفلسفة التناقضات. الطبعة الأولى، دار الصحيفة العربية، ٢٠٢٤. ص١٢.

(٢) دي بوفوار، سيمون. الجنس الآخر. ترجمة: نهاد حداد، دار الآداب، ٢٠١٦. ص٢٩.

(٣) سعيد، إدوارد. الاستشراق. ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٩٥. ص٥٦.

(٤) ينظر: السعداوي، نوال. المرأة والجنس. دار الآداب، بيروت، ١٩٧٢. ص٤٧.

(٥) ريكور، بول. الذات والآخر. ترجمة: فتحي إنقزو، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠١٣. ص٩١–

(٦) ينظر: الخليل، سمير. المرأة وفلسفة التناقضات. دار الصحيفة العربية، ٢٠٢٤. ص٢١.

(٧) . ريكور، بول. الزمان والسرد. ترجمة: فريد الزاهي، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٦. ص١١٣.
(٨) دي بوفوار، سيمون. الجنس الآخر. ترجمة: نهاد حداد، دار الآداب، ٢٠١٦. ص١٥.
(٩) ينظر: سعيد، إدوارد. الاستشراق. ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٩٥. ص٥٤.
(١٠) السعداوي، نوال. المرأة والجنس. دار الآداب، بيروت، ١٩٧٢. ص٤٧.
(١١) المرنيسي، فاطمة. الحريم السياسي. ترجمة: فاطمة الزهراء أزرويل، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢. ص١٠٣.
(١٢) ينظر: طه عبد الرحمن. سؤال الأخلاق. المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠. ص٨٩.
(١٣) طرابيشي، جورج. من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث. دار الساقي، ٢٠٠٠. ص٦٦.
(١٤) المسيري، عبد الوهاب. رحلتي الفكرية. دار الشروق، ٢٠٠١. ص١٣٣.
(١٥) فوكو, ميشيل, المراقبة والمعاقبة , ترجمة : هشام صالح , دار المدى , ١٩٩٥, ص ٩٢.
(١٦) مراد وهبة : المعجم الفلسفي,دار قباء الحديث , القاهرة, مصر , ٢٠٠٧م, ص٩٥.
(١٧) معجم اللغة العربية , المعجم الوسيط , جمهورية مصر العربية , الادارة العامة للمعجمات واحياء التراث, مكتبة الشروق الدولية, القاهرة مصر , ط٤, ٢٠٠٥م,ص٢٨.
(١٨) ابن منظور : لسان العرب : مجموعة ١, دار الجيل , دار لسان العرب , لبنان د.ط ١٩٨٨م , ص١٢٢.
(١٩) ابراهيم مذكور , المعجم الفلسفي , مجمع اللغة , الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية , القاهرة , مصر , ١٩٨٣م: ص٢٣.
(٢٠) ينظر: سيغموند فرويد : الانا والهو , تر: محمد عثمان نجاتي , دار الشروق , عمان , ط ٤, ص ١٧.
(٢١) بوجلاس سلاف , صورة الانا والاخر في شعر مصطفى محمد الغماري , مخطوطة الماجستير , جامعة الحاج لخضر , باتنة , ٢٠١٨- ٢٠١٩م , ص ١٠.
(٢٢) المنجد في اللغة العربية المعاصرة : ص ١١
(٢٣) عمرو علي عبد العلام , الانا والاخر الشخصية العربية والشخصية الاسرائيلية في الفكر الاسرائيلي المعاصر, ص ١٧
(٢٤) الخليل، سمير. المرأة وفلسفة التناقضات. دار الصحيفة العربية، ٢٠٢٤. ص٤١.
(٢٥) سعيد، إدوارد. الاستشراق. ترجمة: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٩٥. ص٦٩.
(٢٦) دي بوفوار، سيمون. الجنس الآخر. ترجمة: نهاد حداد، دار الآداب، ٢٠١٦. ص٢٧
(٢٧) السعداوي، نوال. المرأة والجنس. دار الآداب، بيروت، ١٩٧٢. ص٥١.
(٢٨) ريكور، بول. الزمان والسرد. ترجمة: فريد الزاهي، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٦. ص١١٩.
(٢٩) ينظر: الخليل، سمير. المرأة وفلسفة التناقضات. دار الصحيفة العربية، ٢٠٢٤. ص ٤٩.
(٣٠) مرعي، سعاد. خطاب الأنوثة في الفكر العربي. دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٣. ص٨٨.
(٣١) فوكو، ميشيل. إرادة المعرفة. ترجمة: حسن قبيسي، دار الفارابي، ٢٠٠١. ص٤٤.
(٣٢) الخوري، جورج. المرأة والهوية الثقافية. المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥. ص٩١.
(٣٣) ينظر : ميلر, نانسي, النسوية والهوية , ترجمة : هالة كمال , دار رؤية , ٢٠١٤, ص ٧٣.
(٣٤) بو حلايس سلالف , صورة الانا والاخر في شعر مصطفى محمد الغماري , مخطوطة الماجستير , جامعة الحاج لخضر , باتنة , ٢٠١٨-٢٠١٩ , ص ١١.
(٣٥) ينظر:الخليل، سمير. المرأة وفلسفة التناقضات. دار الصحيفة العربية، ٢٠٢٤. ص٦٦.
(٣٦) الخليل، سمير. المرأة وفلسفة التناقضات. دار الصحيفة العربية، ٢٠٢٤، ص٧٢.
(٣٧) . ميلر، نانسي. النسوية والهوية. ترجمة: هالة كمال، دار رؤية، ٢٠١٤. ص١٠٢.
(٣٨) ينظر: الخليل، سمير. المرأة وفلسفة التناقضات. دار الصحيفة العربية، ٢٠٢٤. ص٨٣.
(٣٩) عطية، مصطفى. المرأة وسؤال الحرية. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩. ص٥٧.
(٤٠) . الخوري، جورج. المرأة والهوية الثقافية. المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥. ص١١٧.
(٤١) . الخليل، سمير. المرأة وفلسفة التناقضات. دار الصحيفة العربية، ٢٠٢٤. ص ٩٧.

(٤٢) فوكو، ميشيل. تاريخ الجنسانية: إرادة المعرفة. ترجمة: حسن قبيسي، دار الفارابي، ٢٠٠١. ص١٣٢.

(٤٣) حنفي، حسن. التراث والتجديد. دار التنوير، بيروت، ١٩٩٢. ص٧٧.

(٤٤)ينظر: الخليل، سمير. المرأة وفلسفة التناقضات. دار الصحيفة العربية، ٢٠٢٤. ص ١٠٢.

(٤٥) فتحي، عبد الله. التحرر الواعي: نحو نسوية تأويلية. دار العين، ٢٠١٥. ص١٣٩.

(٤٦) جدل الانا والاخر في فلسفة سقراط , رواية نحو بناء الفرد والمجتمع , د. ايمن عبد الله شندي , مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية – مجلة علمية محكمة (issn:٢٥٣٦-٩٥٥٥) ص ٣.

(٤٧) ينظر: الخليل، سمير. المرأة وفلسفة التناقضات. دار الصحيفة العربية، ٢٠٢٤. ص١١٠.

المراجع:

١. ابن منظور. لسان العرب، مجموعة ١. دار الجيل، دار لسان العرب، لبنان، د.ط، ١٩٨٨م.

٢. إبراهيم مذكور. المعجم الفلسفي. مجمع اللغة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، ١٩٨٣م.

٣. بوجلاس سلاف. صورة الأنا والآخر في شعر مصطفى محمد الغماري. مخطوطة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ٢٠١٨-٢٠١٩.

٤. بو حلايس سلالف. صورة الأنا والآخر في شعر مصطفى محمد الغماري. مخطوطة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ٢٠١٨-٢٠١٩م.

٥. دي بوفوار، سيمون. الجنس الآخر. ترجمة: نهاد حداد. دار الآداب، بيروت٢٠١٦.

٦. السعداوي، نوال. المرأة والجنس. دار الآداب، بيروت، ١٩٧٢.

٧. سعيد، إدوارد. الاستشراق. ترجمة: كمال أبو ديب. مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٩٥.

٨. شندي، أيمن عبد الله. جدل الأنا والآخر في فلسفة سقراط: رواية نحو بناء الفرد والمجتمع. مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية – مجلة علمية محكمة.

٩. طرابيشي، جورج. من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث. دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٠.

١٠. عبد الله، فتحي. التحرر الواعي: نحو نسوية تأويلية. دار العين، القاهرة، ٢٠١٥.

١١. عمرو علي عبد العلام , الانا والاخر الشخصية العربية والشخصية الاسرائيلية في الفكر الاسرائيلي المعاصر , دار العلوم للنشر والتوزيع والمعلومات ,ط١, ٢٠٠٥م

١٢. عطية، مصطفى. المرأة وسؤال الحرية. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩.

١٣. فرويد، سيغموند. الأنا والهو. ترجمة: محمد عثمان نجاتي. دار الشروق، عمّان، ط٤.

١٤. فوكو، ميشيل. المراقبة والمعاقبة. ترجمة: هشام صالح. دار المدى، دمشق، ١٩٩٥.

١٥. فوكو، ميشيل. تاريخ الجنسانية: إرادة المعرفة. ترجمة: حسن قبيسي. دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠١.

١٦. فتحي، حسن. التراث والتجديد. دار التنوير، بيروت، ١٩٩٢.

١٧. الخليل، سمير. المرأة وفلسفة التناقضات. دار الصحيفة العربية، ٢٠٢٤.

١٨. الخوري، جورج. المرأة والهوية الثقافية. المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٥.

١٩. المسيري، عبد الوهاب. رحلتي الفكرية. دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠١.

٢٠. المرنيسي، فاطمة. الحريم السياسي. ترجمة: فاطمة الزهراء أزرويل. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٢.

٢١. مراد وهبة. المعجم الفلسفي. دار قباء الحديث، القاهرة، مصر، ٢٠٠٧م.

٢٢. مرعي، سعاد. خطاب الأنوثة في الفكر العربي. دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٣.

٢٣. ميلر، نانسي. النسوية والهوية. ترجمة: هالة كمال. دار رؤية، القاهرة، ٢٠١٤.

٢٤. المعجم الوسيط. معجم اللغة العربية. جمهورية مصر العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٥م.

٢٥. المنجد في اللغة العربية المعاصرة،صبحي حموي, دار المشرق ,ط١, ٢٠٠٠م.



أثر استراتيجية التعلم الاصيل في تحصيل طلاب المرحلة المتوسطة في مادة الجغرافية وتفكيرهم التأملي

الباحث: نذير يحيى جليف
وزارة التربية / المديرية العامة لتربية محافظة بابل



المستخلص:

هدف البحث الحالي التعرف على اثر استراتيجية التعلم الاصيل في تحصيل طلاب الصف لثاني متوسط في مادة الجغرافية وتفكيرهم التأملي, تحددت عينة البحث الحالي بطلاب الثاني متوسط في متوسطة درة الجنوب الاساسية التابعة الى مديرية تربية ديالى للعام الدراسي(٢٠٢٤ – ٢٠٢٥), تم اختيار طلاب الثاني متوسط ليكون طلابها عينة البحث بصورة قصدية وتم اختيار قاعتين من مجموع ثلاث قاعات, أحد المجموعتين تجريبية والأخرى ضابطة ، وقد بلغت عينة البحث (٧٠) طالب بواقع (٣٥) طالب في المجموعة التجريبية، و (٣٥) طالب في المجموعة الضابطة وقدكافئ الباحث مجموعتا البحث في متغيرات (اختبار الذكاء، العمر الزمني, التفكير التأملي), كذلك تم اعداد الاختبار التحصيلي, إذ تم صياغة (٣٥), فقرة بما يتناسب مع محتوى المادة والاغراض السلوكية (معرفي, فهم, تطبيق), اختبار التفكير التاملي، إذ تم اعداد اختبار من قبل الباحث وهو التفكير التاملي الذي تالف من (١٥) فقرة وتم تحليل البيانات ومعالجتها إحصائياً باعتماد البرنامج الإحصائي ,(SPSS.V ٢١)إذ اظهرت النتائج بتفوق طلاب المجموعة التجريبية الذين درسوا باستراتيجية التعلم الاصيل على طلاب المجموعة الضابطة الذين درسوا بالطريقة الاعتيادية في اختبار التفكير التاملي، وبناءً على نتائج البحث يوصي الباحث بضرورة اعتماد استراتيجية التعلم الاصيل في تدريس مادة (الجغرافية) لما لها من أثر إيجابي في زيادة التفكير التاملي لدى الطلاب, ولغرض التحقق من هدف البحث وضع الباحث الفرضية الحضرية الآتية:–

١ –لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون وفق استراتيجية التعلم الاصيل، وبين درجات المجموعة الضابطة الذين يدرسون بالطريقة الاعتيادية في التحصيل.

٢–لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون باستراتيجية (التعلم الاصيل) ومتوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون الطريقة الاعتيادية في التفكير التاملي.

الكلمات المفتاحية:استراتيجية التعلم الاصيل, التفكير التاملي, طلاب الثاني متوسط.

Abstract:

The current research aims to identify the effect of the authentic learning strategy on the achievement of second-grade middle school students in geography and their reflective thinking. The sample of the current research was determined by second-grade middle school students at Durrat Al-Janub Basic Intermediate School affiliated with the Diyala Education Directorate for the academic year (2024-2025). Second-grade middle school students were chosen to be the research sample intentionally. Two halls were chosen from a total of three halls, one of the two groups was experimental and the other was a control group. The research sample amounted to (70) students, with (35) students in the experimental group and (35) students in the control group. The researcher rewarded the two research groups in the variables of the intelligence test, chronological age, and reflective thinking. The achievement test was also prepared, as (35) paragraphs were formulated in accordance with the content of the material and behavioral purposes

(cognitive, understanding, application). The reflective thinking test was prepared by the researcher, which is reflective thinking, which consisted of (15) paragraphs. The data were analyzed and processed statistically using the statistical program (21.SPSS.V). The results showed that students excelled The experimental group who studied using the authentic learning strategy were compared to the control group students who studied using the traditional method in the reflective thinking test. Based on the research results, the researcher recommends the necessity of adopting the authentic learning strategy in teaching the subject of (Geography) due to its positive impact in increasing reflective thinking among students. In order to verify the research objective, the researcher set the following urban hypothesis: – 1–There are no statistically significant differences at a significance level of (0.05) between the average scores of the students of the experimental group who study according to the authentic learning strategy, and the scores of the control group who study using the traditional method in achievement.
20There is no statistically significant difference at the level (0.005) between the average scores of the experimental group students who study according to the authentic learning strategy and the average scores of the control group students who study according to the traditional method in reflective thinking.

Keywords: authentic learning strategy, reflective thinking, second–year middle school students

الفصل الاول: التعريف بالبحث

أولاً:مشكلة البحث :

يرى كل من المدرسين وأولياء الأمور أن احتياجات الطلبة لا ينبغي أن تقتصر على استيعاب المعرفة النظرية فحسب بل يجب أن تمتد لتشمل مهارات ومعارف مرتبطة بالواقع العملي تسهم في مواجهة قضايا البيئة المحيطة وتشجعهم على خوض تجارب مدروسة والعمل بروح الفريق وتنمية الإحساس بالمسؤولية, وفي المقابل يوضح العديد من الطلاب أن هذا النمط من التعليم يبدو مملاً وغير جاذب بالنسبة لهم الأمر الذي يجعلهم أقل استعداداً للتعامل مع متطلبات عصرهم ومجتمعهم, كما أن اعتماد التعليم التقليدي على التلقين والحفظ والمقررات الجامدة، والصفوف المغلقة، إضافة إلى ضعف الترابط بين الأنشطة المدرسية والحياة الواقعية،كلها عوامل تثير حالة من عدم الرضا لديهم (Herrington & Kervin, ٢٠٠٧, p ٦٥) وانطلاقاً من هذا الواقع برز مفهوم التعلم الأصيل الذي يقوم على أساس معرفي يعد النشاط الواقعي جزءاً محورياً من عملية التعلم وشرطاً ضرورياً لنجاح المدرسة في أداء رسالتها, ويعتمد هذا الاتجاه على استراتيجيات استقصائية ذات معنى يتجاوز حدود النجاح الأكاديمي داخل المدرسة، إذ يتيح فرصاً للتفكير المتقدم والتعامل مع قضايا العالم الحقيقي .(Herrington, ٢٠٠٦, p ١١١) .

إذ يشير سيلكمان واخرون Seligman et al (٢٠٠٩) إلى أن تهيئة البيئات التربوية تؤدي دوراً محورياً في تعزيز النمو الإيجابي للأفراد وذلك من خلال التركيز على الجوانب المشرقة بدلاً من الاقتصار على الجوانب السلبية بما يعزز شعورهم بالمتعة في الحياة والتفاعل البناء مع محيطهم, ومن هذا المنطلق يؤكد أن من الضروري أن ينطلق المدرس في تعامله مع الطلاب مما يمتلكونه من إمكانات وقدرات لا مما يفتقرون إليه، إذ إن لكل طالب جوانب قوة يمكن التعرف عليها مبكراً, كما ينبغي أن تبنى أساليب التعليم على تنمية تلك الإيجابيات دون إهمال مواطن الضعف وبما يتناسب مع استعدادات المتعلمين، الأمر الذي يسهم في جعل عملية التعلم أكثر متعة ويعزز سعادتهم وجودة حياتهم وإحساسهم بمعنى وجودهم .(Seligman et al., ٢٠٠٩, p ٣٩٥)

وفي السياق نفسه يوضح ليرد وهيجل٢٠١٥)) Layard & Hagellأن المدارس الأكثر نجاحاً في تحقيق أهدافها التربوية هي تلك التي توفر لطلبتها إشباعاً لحاجاتهم النفسية عبر ممارسات تتسم بالعدالة والاهتمام بقضاياهم والإنصات لاهتماماتهم مع تعزيز حاجتهم للانتماء وتشجيع التعاون ومساعدة الآخرين واحترام الفروق الفردية وحرياتهم وحقوقهم, كما أن هذه المدارس تسعى إلى تزويد الطلاب بمعنى أعمق لحياتهم، خصوصاً في ظل الضغوط الاجتماعية والتحديات البيئية وتراجع التماسك الأسري (Layard & Hagell, ٢٠١٥, p ١٣٢).

في المقابل، أوضحت بعض الدراسات (زكي، ٢٠٠٩, حسن، ٢٠٠٩, حسن، ٢٠١١) أن الواقع المدرسي ما زال يعتمد في الغالب على نقل المعرفة من الكتاب إلى ذهن الطالب بصورة مباشرة دون إتاحة الفرصة للحوار أو التفكير النقدي أو التعبير عن الرأي أو تقديم أمثلة جديدة, ونتيجة لذلك تحول التعليم إلى عملية حفظ آلية للمعلومات باستخدام طرائق تدريس تقليدية تحد من النشاط العقلي للطلاب، ولا تجيب عن تساؤلاتهم المرتبطة بالعالم الطبيعي أو القضايا المجتمعية, كما أن هذا النمط من التعليم لا يشجعهم على ممارسة مهارات معرفية عليا أو إدراك قيمة حل المشكلات الواقعية، مما يعيق نمو قدراتهم الذهنية خاصة في بيئة صفية تُقابل فيها أفكارهم الإبداعية والتخيلية بالرفض والمعارضة.

كذلك تناولت دراسة (Jermigan, ٢٠١٧) مسألة تصحيح الفهم السائد الذي ينظر إلى المعلم باعتباره المصدر الوحيد للمعرفة، وذلك من خلال طرح استراتيجيات للتعامل مع مواقف لا يكون فيها المدرسون قادرين على الإجابة عن جميع أسئلة الطلبة, وفي السياق ذاته، يشير (Newmann et al, ١٩٩٩, p٦٦) إلى أن المدرسة التقليدية تمثل بيئة غير أصيلة، إذ تسود فيها ثقافة بعيدة عن واقع الحياة اليومية وتفتقر إلى السياقات المرتبطة بالعالم الحقيقي مما يؤدي إلى نشوء ثقافة تعليمية مصطنعة, فعلى سبيل المثال، عندما يطلب من الطلبة حل مسائل رياضية باستخدام الورقة والقلم ضمن فترة زمنية قصيرة، يتكون لديهم انطباع خاطئ بأن المشكلات يمكن معالجتها في بضع دقائق, وبالمثل فإن تكليف الطلبة بمهام كتابية يرسخ لديهم فكرة أن الكتابة موجهة لشخص واحد فقط هو المعلم بوصفه مقوماً لأدائهم (Herrington & Kevin, ٢٠٠٧, p ١٦٥).

وبناءً على ما تقدم، صاغ الباحث مشكلة دراسته في السؤال الرئيس الآتي:

ما أثر استراتيجية التعلم الأصيل في تحصيل طلاب الصف الثاني المتوسط في مادة الجغرافية وتفكيرهم التأملي؟

ثانياً: أهمية البحث :

تتضح أهمية البحث الحالي في الاهمية النظرية والتطبيقية وكما يلي:

أولاً: الجانب النظري

تنبع أهمية هذه الدراسة من إسهامها في إثراء المعرفة المتعلقة باستراتيجيات التعلم، وما قد يترتب على نتائجها من تطبيقات تربوية عملية, فهي تسعى إلى الكشف عن مستوى امتلاك طلاب المرحلة المتوسطة لاستراتيجيات التعلم الأصيل، فضلاً عن توضيح طبيعة العلاقة بين هذه الاستراتيجيات والتفكير التأملي لديهم, وتتمثل الأهمية النظرية أيضاً في الدور البارز لهذه الاستراتيجيات في ظل التحولات المعرفية والتكنولوجية الراهنة، إذ أصبح من الضروري

أن يمتلك الطالب القدرة على التعلم كيف يتعلم، وأن يتزود بمجموعة متنوعة من الاستراتيجيات التي تسهم في تسهيل عملية تعلمه وتعزيز قدرته على التكيف مع متطلبات العصر.

ثانياً: الأهمية التطبيقية

تتجلى الأهمية التطبيقية لهذه الدراسة في إمكانية الإفادة من نتائجها من قِبَل المعلمين والمهتمين بالعملية التربوية عموماً، وذلك من خلال العمل على تنمية وتطوير مستوى استراتيجيات التعلم الأصيل لدى الطلاب عبر تصميم برامج تدريبية متخصصة أو عقد دورات تسهم في تعزيز امتلاكهم لاستراتيجيات تعلم أكثر عمقاً وفاعلية بما ينعكس بصورة إيجابية على دافعيتهم نحو التعلم وتحقيقهم الأكاديمي, كما أن لهذه الدراسة أهمية إضافية من خلال تمكين أعضاء هيئة التدريس من التعرف على طبيعة الاستراتيجيات التي يوظفها الطلاب، مما يساعدهم في تطوير ممارساتهم التعليمية وتخطيط مقرراتهم الدراسية بما يتلاءم مع أساليب التعلم ودافعية الطلبة, وإلى جانب ذلك يمكن الاستفادة من أداة القياس التي أعدها الباحث في هذه الدراسة لتطبيقها مستقبلاً على عينات أخرى من طلاب المرحلة المتوسطة، سواء بهدف الكشف عن جوانب القصور في استراتيجيات التعلم لديهم أو من أجل إدماج هذه الاستراتيجيات ضمن البرامج الإرشادية والعلاجية الموجهة لهم.

ثالثاً:هدف البحث :

يهدف البحث الحالي الى معرفة :

اثر استراتيجية التعلم الاصيل في تحصيل طلاب الصف الثاني متوسط في مادة الجغرافية وتفكيرهم التأملي.

رابعاً: فرضيات البحث :

١-ليس هناك فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون وفق استراتيجية التعلم الاصيل، وبين درجات المجموعة الضابطة الذين يدرسون بالطريقة الاعتيادية في التحصيل.

٢-لا يوجد فرق ذو دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون باستراتيجية (التعلم الاصيل) ومتوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين يدُّرسون بالطريقة الاعتيادية في اختبار التفكير التأملي.

خامساً: حدود البحث :

١- **الحد البشري** : طلاب المرحلة المتوسطة /الصف الثاني.

٢- **الحد المكاني** : مدرسة درة الجنوب الاساسية ذات المعايير الدولية التابعة الى مديرية تربية ديالى.

٣- **الحد الزمني** : العام الدراسي (٢٠٢٤ – ٢٠٢٥).

٤-**الحد الموضوعي** : مادة الجغرافية

سادساً: تحديد المصطلحات :

اولاً: استراتيجية التعلم الاصيل عرفها :

• **Lombardi**,٢٠٠٧)):

يُنظر إلى التعلم الأصيل بوصفه استراتيجية تعليمية تركز على معالجة المشكلات المعقدة المرتبطة بالعالم الواقعي وإيجاد حلول لها من خلال توظيف أساليب متنوعة مثل لعب الأدوار، والأنشطة القائمة على حل المشكلات، ودراسات الحالة، والمشاركة في مجتمعات الممارسة الافتراضية (**Lombardi**, ٢٠٠٧, p ٢)

• (**Brown & Duguid**, ١٩٨٩)

أن التعلم الأصيل يتمثل في الممارسات الثقافية اليومية، إذ يقوم على الربط بين الأنشطة التعليمية المنظمة والسياقات ذات المعنى المرتبطة بها(**Brown & Duguid**, ١٩٨٩, p ٣٢) .

• (Brophy & Allman, ١٩٩١)

بأنه أسلوب يتيح توظيف المعرفة الإجرائية أو الاستراتيجية بوصفها أدوات تساعد المتعلم على إنجاز تطبيقات حياتية عملية بما يوضح مبررات إدراجها ضمن العملية التعليمية (Brophy & Allman, ١٩٩١, p ٩) .

التعريف الاجرائي: مجموعة من الخطوات تبدأ باثارة سؤال من المدرس لطلاب الصف الثاني لتعبيرهم عن المفاهيم التي يستعملها الطالب في حل المشكلات, إذ يرسم الطالب المفهوم كما يتصوره وتحدد اسم المفهوم.

ثالثاً: التحصيل عرفه كل من :

• الخالدي (٢٠٠٨)

التحصيل الدراسي بأنه أحد العوامل الرئيسة في تكوين البنية العقلية للطالب، إذ يُعد معياراً أساسياً يمكن من خلاله تحديد مستواه الأكاديمي)الخالدي, ٢٠٠٨: ٨٩).

• ربيع (٢٠٠٨)

أن التحصيل الدراسي يمثل أداة لقياس مدى استيعاب الطلبة لما تم تدريسه لهم من موضوعات مرتبطة بمقرر دراسي محدد، دون التطرق إلى موضوعات أخرى لم تُدرّس لهم)ربيع, ٢٠٠٨: ١٧٠).

رابعاً: التفكير التأملي وعرفه

• يعرف سعادة (٢٠١١)

بأنه نمط من أنماط التفكير يقوم على الوعي الذاتي والمعرفة بالنفس أو ما يُعرف بالتأمل الذاتي، حيث يعتمد على التمعن ومراقبة الذات والنظر المتعمق في الأمور)سعادة, ٢٠١١: ٣٣).

• ريان (٢٠١٢)

أن التفكير التأملي هو عملية يقوم فيها الفرد بتحليل الموقف الذي يواجهه إلى عناصره الأساسية، ثم وضع الخطط المناسبة لفهمه، وصولاً إلى نتائج محددة، يليها تقويم تلك النتائج في ضوء ما تم رسمه من خطط)ريان, ٢٠١٢: ٥١)

• Eysenck (١٩٧٧)

انه سلوكاً ناتجاً عن سمة معتادة ضمن بُعد الانبساط–الانطواء، حيث تتصف الشخصية التأملية بأنها محافظة، هادئة المزاج، متحفظة، وعميقة الإدراك للأشياء Eysenck, ١٩٧٧, p٣٣))

التعريف الاجرائي: بأنها الدرجة التي يحصل عليها الطلاب على مقياس التفكير التأملي اعداد الباحث, كذلك تبن الباحث تعريف ونظرية ((Eyncy›s, ١٩٧٧ .

الفصل الثاني: الاطار النظري والدراسات السابقة :–

اولاً استراتيجية التعلم الاصيل

•نشأة مفهوم استراتيجية التعلم الاصيل

على مر السنوات وضع العديد من الباحثين إرشادات متقاربة حول كيفية تصميم بيئة التعلم الأصيل، إذ تم جمع وتلخيص قائمة موسعة من هذه الإرشادات التي تتكرر عادة في الأدبيات المتخصصة وقد أعيد تناولها باختصار هنا (Reeves & Oliver, ٢٠٠٢, p ٦٥).

وتعد الصلة بالعالم الواقعي من المتطلبات الأساسية لتصميم بيئة تعلم أصيلة، إذ ينبغي أن تحاكي الأنشطة المهام التي يؤديها المتخصصون في الممارسة العملية قدر الإمكان, كما يجب أن تتيح البيئة للمعلم إمكانية إشراك الطالب في أنشطة أصيلة ومعقدة ضمن موضوع أو مجال معين بما يعزز مستوى الخبرة العملية لديهم (Young, ١٩٩٣, p ٢٢)

وفي السياق نفسه، يشير Welhage, ١٩٩٣)) إلى أهمية الترابط في بيئة التعلم الأصيل موضحين أنه ينبغي للطلاب التعامل مع مشكلات العالم الواقعي واستخدام خبراتهم الشخصية كسياق لتطبيق المعرفة, كما توضح

الدراسات أن مستويات الأصالة في بيئة التعلم يمكن أن تتجلى في استخدام الأدوات والبيانات المرتبطة مباشرة بالموضوع، وإشراك الطلاب في المهام الفعلية التي تتعلق بالمادة،مع إمكانية تصميم هذه المهام بما يتناسب مع الصف الدراسي، شريطة ألا تفقد الأنشطة أهميتها التعليمية (Welhage, ١٩٩٣, p ٧٦)..

كذلك يشير Cronin (١٩٩٣) إلى أن خصائص المهام في بيئة التعلم الأصيل قد لا تكون أصيلة تماماً بل يجب أن تُقاس بالنسبة للسياق الذي يتم تطبيقها فيه, فقد لا تتاح للمتعلمين جميع الظروف الموجودة في مكان العمل الفعلي، كما قد يواجهون قيوداً تتعلق بالسلامة أو نقصاً في الفرص لتصحيح الأخطاء، وقد تكون تكلفة التجربة عالية إذا حدثت أخطاء, ومن هنا توفر بيئات التعلم التي تحاكي مكان العمل وتدمج التفاعلات الاجتماعية المصممة بعناية، فرصاً للمتعلمين للملاحظة والممارسة ضمن إطار آمن وعملي. (Cronin, ١٩٩٣, p ٨٨).

وفي السياق نفسه، يرى Reeves et al(٢٠٠٢) أن بيئات التعلم الأصيل يجب أن تكون غير محددة بشكل صارم، إذ يطلب من الطلاب تحديد المهام اللازمة لإتمام النشاط بأنفسهم, وعند تقديم مهمة في مثل هذه البيئة ينبغي أن يكون الطلاب قادرين على اكتشاف مشكلاتهم الخاصة والبحث عن المعلومات اللازمة لمعالجتها, كما يجب أن تكون ظروف البيئة غير منظمة إلى حد ما، بينما تقدّم المشكلات بشكل سيء الصياغة وبحلول غير معروفة مسبقاً لتعزيز مهارات التفكير النقدي وحل المشكلات لدى الطلاب.(Reeves et al,٢٠٠٢, p٩٠)

إذ ينبغي أن تصمم بيئات التعلم الأصيل لتشمل أنشطة تعزز التعاون بين الطلاب، كذلك يعد التعاون أداة قوية لتحفيز المتعلمين ومهارة حيوية يتطلبها سوق العمل في بيئة تعاونية يتاح للطلاب الفرص التالية: (أ) التفاعل المكثف حول أفكار الموضوع المطروح، (ب) التعبير الحر عن أفكارهم دون قيود أو رقابة، (ج) إجراء حوارات بنّاءة تعزز فهم الموضوع، (د) مشاركة المعارف والمهارات مع متابعة أنشطة وعمليات التعلم لدى الآخرين، و(هـ) التعامل مع وجهات النظر المختلفة للطلاب الآخرين. وعلى غرار المواقف الواقعية التي تتطلب فرقاً تجمع خبراء في مجالات متنوعة ومعقدة، لا يمكن لشخص واحد امتلاك كل المعرفة أو حل مشكلة بمفرده. لذلك، فإن اكتساب الطلاب خبرة العمل التعاوني ضمن فرق يعد شرطاً أساسياً لنجاحهم في معالجة المشكلات الواقعية .(Gordon, ١٩٩٨, p ٦٥).

• نظرية البنائية للتعلم الاصيل

تعد البنائية منظوراً تربويًا يؤكد أن كل فرد يبني فهمه للواقع سواء بشكل فردي أو جماعي من خلال تفسير خبراته الإدراكية للعالم الخارجي, وتنص هذه النظرية على أن كل معرفة يعيد المتعلم بناؤها اعتمادًا على ما يراه قابلاً للتكيف أو التطبيقي، حيث يفترض البنائيون أن المعرفة لا يمكن نقلها مباشرة من شخص لآخر بل يشارك المتعلم في تكوين أو تفسير الواقع استنادًا إلى إدراكه الشخصي, كما يركز البنائيون على التعلم في المجالات غير المنظمة بدلاً من المجالات المنظمة، إذ تحتوي المجالات المنظمة على حلول صحيحة محددة مسبقًا يجب على المتعلم اكتشافها، بينما لا يمتلك المتعلم ملكية المشكلة. في المقابل، تفتقر المجالات غير المنظمة إلى أهداف أو حدود محددة للمشكلات، ولا تقدم إرشادات حول القواعد أو المبادئ الواجب تطبيقها للوصول إلى الحل، وقد تحتوي هذه المشكلات على حلول متعددة أو طرق غير تقليدية لتقييم الحلول، مما يتطلب من المتعلمين تبرير ودعم اختياراتهم (Jonassen, ١٩٩٩, p ١١١).

• خطوات استراتيجية التعلم الاصيل:

أ – تتضمن عملية الحل المبدع لأي مشكلة على ثلاثة عمليات متعاقبة هي:

١ – ملاحظة المشكلة والإحاطة بها.

٢ – معالجة المشكلة، والتوصل الى الحل.

٣– تقييم الأفكار التي تم التوصل اليها.

ب يعطي السلوك المبدع ناتجا يتصف بالأصالة، والقيمة العملية أو الوظيفية.
ج – توافر درجة عالية من القدرة على استشفاف المشكلات المحيطة.
د– تحديد مختلف جوانب المشكلة في مراحل متعاقبة تشمل :
١– جمع الحقائق المتصلة بالمشكلة.
٢– تحديد المشكلة.
٣– التفكير في الحلول المحتملة للمشكلة.
٤– اختيار الحل الملائم.
٥– اختبار فاعلية الحل.
٦– طريقة تألف الأشتات

ثانياً: التفكير التأملي

• مفهوم التفكير التأملي:

يعود مفهوم التفكير التأملي إلى النظرية التي قدمها الفيلسوف الأمريكي جون ديوي عام ١٩٣٣، حيث عرف التأمل بأنه «النظر في المعتقدات بطريقة فعالة، ثابتة، ومتأنية»، أو بعبارة أخرى «شكل من أشكال المعرفة المفترضة المبنية على أسس داعمة لها نتائج متوقعة». ويرى ديوي أن الشخص المتأمل هو الذي يشكك باستمرار في أهدافه وأفعاله ويبحث عن مدى صحتها، كما يقوم بمراجعة أفعاله ومراعاة آثارها القريبة والبعيدة .(Dewey, ١٩٩٧, p ٨٨).

وقد أسهمت أعمال ديوي في وضع الأسس النظرية لسلوك التفكير التأملي، إذ أظهرت دراساته أن هذا السلوك يهدف إلى تعزيز التعلم وتحفيز الطلاب على المشاركة بنشاط أكبر في عملية التعلم, وأكد ديوي أن التفكير التأملي يتطور عندما يواجه الطالب مواقف صعبة تتطلب منه التحليل النقدي. ومع مرور الوقت، توسعت تعريفات العلماء لهذا السلوك لتشمل ثلاث مهارات أساسية هي: الانفتاح الذهني، التوجيه الذاتي، والمسؤولية الفكرية، والتي تعتمد على المعارف والخبرات المكتسبة من قبل الطالب (Mahardale, ٢٠٠٧, p ١٧٤)

• النظريات التي تناولت التفكير التأملي:

١–نظرية سولومون (Solomon, ١٩٨٤)

قدم سولومونSolomon, (١٩٨٤) نظرية حول التفكير والتصور الإدراكي مبنية على أن التصور الإدراكي يمكن تطويره لدى الطلاب من خلال التعلم والتدريب في المواقف التعليمية وذلك عبر تزويدهم بالوسائل اللازمة. وحدد سولومون ثلاثة مستويات للتصور الإدراكي: التصور الواقعي، التصور الرمزي، والتصور التأملي التجريدي ويتميز الطلاب الذين يميلون إلى التفكير التأملي على مستويات عليا بالاهتمام بالأفكار المجردة والرمزية، ويعبرون عن ذلك في المناقشات الفلسفية والحوار العميق بهدف الوصول إلى المعرفة لذاتها, أما الطلاب الذين يميلون إلى مستويات التفكير التأملي الأدنى فيركزون على التفكير الواقعي ويفضلون العمل على تنفيذ الأمور عمليًا بدلاً من التفكير فيها (الشكعه، ٢٠٠٧: ٣٣).

• نظرية أيزنكEysenck, (١٩٧٧)،

فتعرّف سلوك التفكير التأملي باعتباره سمة معتادة ضمن بعد الانبساط–الانطواء, وتصف الشخصية التأملية بأنها متحفظة، هادئة المزاج، وعميقة الإدراك للأشياء. وحدد أيزنك أربعة أبعاد أساسية للشخصية: الانبساطية، العصابية، الذهانية، والاتكاء، وقام بتصنيف الأفراد وفق موقعهم على هذه الأبعاد, وتتمثل هذه الأبعاد في تنظيم هرمي للشخصية يشمل الأفعال والاستعدادات، متدرجًا حسب العمومية والأهمية. كما أشار أيزنك إلى أن السمات الخاصة هي استجابات قابلة للملاحظة لكنها ليست دائمة، بينما السمات المعتادة تتميز بالعمومية

والثبات النسبي(Eysenck, ١٩٧٧, p ٢٤٠)

• دراسات سابقة

اولاً: دراسات تناولت استراتيجية التعلم الاصيل

• دراسة الفرحاتي وصموئيل (٢٠٢٢):

مكونات التعلم الأصيل وعلاقتها بالنمو الإيجابي والشغف بريادة الأعمال وسعة الحيلة المتعلمة لدى طلاب المدارس اليابانية والحكومية.

هدفت الدراسة إلى التعرف على مستوى تحقق مكونات التعلم الأصيل وعلاقته بالنمو الإيجابي والقدرات الريادية لدى الطلاب، وشملت العينة (٣٤٠) طالباً وطالبة، منهم (١٩٤) من المدارس الحكومية المصرية و(١٤٦) من المدارس اليابانية. وطبق الباحثون عليهم مقاييس التعلم الأصيل والنمو الإيجابي والشغف بريادة الأعمال وسعة الحيلة المتعلمة، وأظهرت النتائج وجود فروق دالة إحصائياً بين الطلاب في المدارس الحكومية واليابانية فيما يتعلق بمؤشرات مكونات التعلم الأصيل، وكذلك في مكونات النمو الإيجابي والقدرات الريادية، وكانت الفروق لصالح طلاب المدارس اليابانية (الفرحاتي وصموئيل, ٢٠٢٢: ١-٢٣).

• دراسة فرحاتي (٢٠٢٢):

العقلية الأكاديمية كمخرجات للتعليم المشبع بالمسارات، والقدرة الاستجابية، والعمليات المعرفية للإبداع والتعلم الأصيل

هدفت الدراسة التعرف على العقلية الأكاديمية كمخرجات للتعليم المشبع بالمسارات، والقدرة الاستجابية، والعمليات المعرفية للإبداع والتعلم الأصيل، بالإضافة إلى موثوقية المدرسة لدى طلاب مدارس العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات (STEM). شملت العينة (٦٠٣) طالباً وطالبة، وتم استخدام مقاييس العقلية الأكاديمية، ومسارات القدرة، والعمليات المعرفية للإبداع، والتعلم الأصيل، بالإضافة إلى مقياس موثوقية المدرسة. وأظهرت النتائج وجود ارتباط دال إحصائياً بين مكونات العقلية الأكاديمية ومسارات القدرة الاستجابية، والعمليات المعرفية للإبداع، والتعلم الأصيل، وموثوقية المدرسة. كما بينت الدراسة وجود ارتباط متعدد دال بين مكونات العقلية الأكاديمية من ناحية، ومسارات القدرة الاستجابية والعمليات المعرفية للإبداع والتعلم الأصيل والموثوقية المدرسية مجتمعة من ناحية أخرى (فرحاتي, ٢٠٢٢: ١-٣٤).

دراسات التفكير التأملي:

• دراسة Westbrook & Rogers (١٩٩١)

أثر دورة التعلم في تحفيز الطلاب نحو التفكير التأملي وتطوير قدراتهم على الفهم

هدفت الدراسة التعرف على أثر دورة التعلم في تحفيز الطلاب نحو التفكير التأملي وتطوير قدراتهم على الفهم، بالإضافة إلى تسهيل عمليات التحقيق العلمي. شملت العينة أربع صفوف دراسية من الصف التاسع الأساسي في الولايات المتحدة الأمريكية. وطبق الباحثون اختبارًا قبليًا وبعديًا على أفراد المجموعتين التجريبية والضابطة، وأظهرت النتائج تحسنًا ملحوظًا لدى أفراد المجموعتين التجريبيتين في التفكير التأملي والقدرة على إجراء التحقيقات العلمية مقارنة بالمجموعة الضابطة (Westbrook & Rogers, ١٩٩١, p ١-٧٧).

• دراسة بركات (٢٠٠٥):

مستوى التفكير التأملي لدى عينة من طلاب الجامعات وطلاب الثانوية العامة في ضوء بعض المتغيرات الديمغرافية

فهدفت إلى التعرف على مستوى التفكير التأملي لدى عينة من طلاب الجامعات وطلاب الثانوية العامة في ضوء بعض المتغيرات الديمغرافية. شملت العينة ٤٠٠ طالب وطالبة، منهم ٢٠٠ طالب جامعة البحرين و ٢٠٠ طالب من طلاب الثانوية العامة، واستخدم الباحث مقياس أيزنك لتحديد مستوى التفكير التأملي. وأظهرت النتائج أنه

لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في مستوى التفكير التأملي لدى طلبة الجامعات، بينما ظهرت فروق دالة إحصائيًا مرتبطة بمستوى الدراسة والمرحلة التعليمية وعمل الأم ومهنة الأب لدى طلبة الثانوية العامة (بركات, ٢٠٠٥: ١-٢٩).

منهجية البحث واجراءاته:

منهجية البحث :

اتبع الباحث المنهج الوصفي والتجريبي في استراتيجية التعلم الاصيل واجراءات تطبيقها من حيث التصميم التجريبي ومجتمع وعينه البحث ومستلزمات التجربة واداة البحث والمعالجات.

التصميم التجريبي:

أولاً : التصميم التجريبي : ان اختيار التصميم التجريبي ذات أهمية كبيرة باعتباره مخطط وبرنامج عمل لكيفية تنفيذ التجربة بمعني التخطيط للظروف والعوامل المحيطة بالظاهرة التي سيتم دراستها وتحديد نتائج البحث ، ولأجل ذلك اعتمد الباحث التصميم التجريبي ذا الضبط الجزئي المكون من مجموعتين متكافئتين مجموعة تجريبية تدرس وفق استراتيجية التعلم الاصيل ومجموعة ضابطة تدرس وفق الطريقة السائدة، وعد التحصيل متغيراً تابعاً للبحث والجدول (١) يوضح ذلك

جدول (١) التصميم التجريبي المعتمد بالدراسة

ت	المجموعة	التكافؤ	المتغير المستقل	المتغير التابع	الاختبار البعدي
1.	التجريبية	العمر الزمني(بالأشهر) الذكاء التفكير التاملي	استراتيجية التعلم	التحصيل التفكير التاملي	اختبار التفكير التاملي
.	الضابطة		الطريقة الاعتيادية		

تحديد مجتمع البحث وعينته:

أ –مجتمع البحث: يتكون مجتمع البحث الحالي من طلاب متوسطة درة الجنوب الاساسية التابعة الى تربية مديرية ديالى, التي تم اختيارها والتي سحبت منها العينة.

ب– عينة البحث: اختار الباحث عشوائيا شعبتين للمرحلة الثانية واحدة تجريبية والأخرى ضابطة، فضلاً عن استعداد ادرة المدرسة للتعاون مع الباحث، وتوفير مستلزمات التجربة, إذ كانت شعبة (أ) تمثل المجموعة التجريبية التي تعرض طلابها إلى المتغير المستقل استراتيجية التعلم الاصيل, في تدريس مادة الجغرافية، في حين مثلت شعبة (ب) المجموعة الضابطة التي درس طلابها مادة الجغرافية من دون التعرض للمتغير المستقل، وقد بلغ عدد طلاب الشعبتين (٧٠) طالباً بواقع (٣٥) للمجموعة التجريبية, (٣٥) للمجموعة الضابطة وتم استبعاد خمس طلاب وجدول (٢) يوضح ذلك.

جدول (٢) توزيع طلاب عينة البحث على المجموعتين (التجريبية والضابطة)

المجموعة	الشعبة	عدد طلاب العينة	عدد الطلاب الراسبين	عدد طلبة العينة بالصورة النهائية
التجريبية (استراتيجية التعلم الاصيل)	أ	٣٥	٣	٣٢
الضابطة (الطريقة الاعتيادية)	ب	٣٥	٢	٣٣
المجموع		٧٠	٥	٦٥

تكافؤ مجموعتي البحث من متطلبات إجراءات البحث تكوين مجموعات متكافئة فيما يتعلق بالمتغيرات التي لها علاقة بالبحث اذا حرص الباحث في التجربة على تكافؤ مجموعتي البحث التجريبية والضابطة إحصائياً في بعض المتغيرات التي يعتقد أنها قد تؤثر في نتائج البحث، وقد حصل الباحث على المعلومات عن طريق ادارة المدرسة

ولكل متغير من متغيرات التكافؤ ولمعرفة اثر المتغير المستقل في المتغير التابع، لذلك ينبغي التحقق من السلامة الداخلية والسلامة الخارجية للتصميم التجريبي, إذ عمل الباحث على ضبط أو تحديد العوامل الدخيلة التي يمكن أن تؤثر في نتائج التجربة، وكما يأتي:

١-العمر الزمني محسوباً بالأشهر

٢- درجات الذكاء

٣-التفكير التأملي

•العمر الزمني للطلاب محسوباً بالشهور : حصل الباحث على المعلومات لهذا للمتغير من ادارة المدرسة وأدراج أعمارهم، وعند تحليلها وجد الباحث أن متوسط العمر الزمني للطلاب المجموعة التجريبية (٦٩ ,١٢٩)، وبانحراف (٦٧ ,٥)، ومتوسط العمر الزمني للطلاب المجموعة الضابطة (١٢٨,٥٥)، وبانحراف معياري (٦٣ ,٤) ، وعند استعمال الاختبار التائي لعينتين مستقلتين، أتضح أن الفرق ليس بذي دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجة حرية (٦٣) ، وهذا يدل على تكافؤ مجموعتي البحث في هذا المتغير ، وجدول (٣) يوضح ذلك.

جدول (٣) العمر الزمني للطلاب

المجموعة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	المحسوبة	الجدولية	الدلالة
التجريبية	٣٢	٨٣,٦٩	٦,٦٧	٦٣	٠,٨٩١	٢,٠٠	غير دالة
الضابطة	٣٣	٨١,٥٥	٥,٦٣				

درجات اختبار الذكاء

تم استعمال اختبار مان- وتني, لحساب دلالة الفرق بين المتوسطين للمجموعة التجريبية والضابطة, اتضح انه ليس هناك فرق ذو دلالة احصائية, اذ بلغت قيمة مان وتني المحسوبة الصغرى(١٢٨,٥٠٠) وهي اكبر من القيمة الجدولية(١,٨٣), ومن طريق آخر اعتمد الباحث على القيمة الإحصائية (قيمة P الاحتمالية) حداً فاصلاً للدلالة الإحصائية ، وقيمة p هي قيمة احتمالية تستعمل لتأويل مقايس الإحصاء الاستدلالي، وما إذا كان الاختلاف يوافق الصدفة أم أنه فرق ذو دلالة (Everitt &Skrondal,٢٠١٠ : ٣٠٤) ، وهي الصيغة المعتمدة (الافتراضية) في حساب الدلالة الإحصائية في برنامج SPSS ، وبما ان قيمة p-value الاحتمالية البالغة(٠,٧٨٥) أكبر من قيمة مستوى الدلالة (٠,٠٥) لذا نقبل فرضية العدم, وهذا يدل على أن مجموعتي البحث متكافئتان في متوسط أ درجات الطلاب في اختبار الذكاء.

• اختبار التفكير التأملي القبلي:

بلغ متوسط التفكير التاملي لطلاب المجموعة التجريبية (١٥,٠٧) بينما كان متوسط ذكاء طلاب المجموعة الضابطة (١٦,٨٦) ، وعند استعمال الاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين لمعرفة دلالة الفرق الإحصائي بين مجموعتي البحث، اتضح أن الفرق ليس بذي دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) ، إذ كانت القيمة التائية المحسوبة البالغة (١,٩٠٢) أصغر من القيمة التائية الجدولية البالغة (٢) ، وكذلك ان قيمة p-value الاحتمالية البالغة (٠,٠٦٢) أكبر من قيمة مستوى الدلالة (٠,٠٥) لذا نقبل فرضية العدم، وهذا يدل على أن مجموعتي البحث متكافئتان في متوسط درجات الطلاب في التفكير التاملي

• إجراءات السلامة الداخلية (ضبط المتغيرات الدخيلة)

١- العمليات المتعلقة بالنضج: إنَّ جميع الطلاب يخضعون لعوامل نمو واحدة وان التوزيع العشوائي واجراء التكافؤ للعينة قد اسهما في الحد من هذا المتغير.

٢- المدة الزمنية: كانت المدة الزمنية للتجربة متساوية لمجموعتي البحث (التجريبية والضابطة) وهي الفصل الدراسي الاول للعام الدراسي ٢٠٢٤/٢٠٢٥ ، إذ بدأت التجربة في يوم الثلاثاء لغاية يوم الخميس.

٣- المادة الدراسية :- حددت المادة الدراسية نفسها لمجموعتي البحث, وتمثلت بثلاث فصول (الاول الثاني, الثالث) من كتاب مادة (الجغرافية) للصف الثاني في مدرسة درة الجنوب الاساسية, وتم إعداد الخطط التدريسية المناسبة لكل مجموعة.

• إعداد مستلزمات البحث:

يتطلب البحث الحالي إعداد مجموعة من المستلزمات لغرض تنفيذ إجراءات البحث، ومن هذه المستلزمات:

أ- تحليل المادة العلمية : تم تحديد خمس محاضرات من مادة (الجغرافية) المقرر تدريسها للصف الثاني والتي تم تدريسها خلال الفصل الدراسي الأول المتضمن ثلاث فصول (الاول, الثاني, الثالث) من العام الدراسي (٢٠٢٤ - ٢٠٢٥).

ب- اعداد الخطط التدريسية : وبعد تحديد المادة التدريسية وصياغة الاغراض السلوكية قام الباحث بوضع خطط يومية تدريسية للمجموعة التجريبية وفق استراتيجية التعلم الاصيل، وللمجموعة الضابطة وفق الطريقة الاعتيادية، بلغ عددها (٨٠) هدف في مستوى (التذكر الفهم وللتطبيق) ولكل من الاستراتيجية والطريقة، وقد عرضت مجموعتي البحث على عدد من المحكمين لبيان رأيهم في صلاحية الخطط ، وتم إعداد الخطط التدريسية بحسب الملاحظات التي أبداها المحكمين التي تم الاتفاق عليها بنسبة (٨٠٪)

اعداد الخطط التدريسية:

الخطة التدريسية هي خطة قصيرة المدى، توصف بانها خطة لدرس يقوم بها المدرس قبل التدريس ، وتهدف إلى رسم صورة واضحة لما يمكن ان يقوم به المدرس والطالب، وتعد من واجبات المدرس ومسؤولياته, أعد الباحث الخطط التدريسية للموضوعات التي ستدرس خلال التجربة، وعرضت نماذج منها على مجموعة من السادة الخبراء في علم النفس، وطرائق التدريس، وفي ضوء ما أبداه الخبراء من ملاحظات ، أجريت التعديلات اللازمة عليها.

- الوسائل التعليمية

وهي مجموعة الوسائل تشمل الادوات والاشياء التي يستعملها المدرس في التعليم، ونقل مادة التعلم للمتعلمين, استعمل الباحث الوسائل التعليمية لمجموعتي البحث بشكل متساوي وهي كل من السبورة و الاقلام الملونة ، والصور.

خطوات اعداد الاختبار التحصيلي:

١- تحديد الهدف من الاختبار : هدف الاختبار قياس التحصيل طلاب الصف الثاني متوسط للمجموعتين التجريبية والضابطة في محتوى مادة الجغرافية للعام الدراسي الدراسي (٢٠٢٤ - ٢٠٢٥) للفصل الدراسي الأول المتكون من ثلاث فصول (الاول, الثاني, الثالث).

تحديد عدد الفقرات : يتم تحديد عدد فقرات الاختبار بما يتناسب مع محتوى المادة والأغراض السلوكية، حيث أشتمل على (٣٥) فقرة.

صياغة فقرات الاختبار : اعد الباحث فقرات الاختبار التحصيلي بالاعتماد على جدول المواصفات حيث تضمن الاختبار (٣٥) فقرة موضوعية من نوع اختيار من متعدد ذي الأربعة بدائل لقياس مستويات بلوم المعرفية (معرفة ، فهم، التطبيق).

٢- صدق الاختبار : ويعني أن يقيس الاختبار ما أعد لقياسه وللتحقق من صدق الاختبار تم اعتماد على الصدق الظاهري : ويقصد به ان الاختبار كان مظهره يدل على انه يقيس صفة ما أو ان عنوانه ومطابقة فقراته لهذا العنوان يقيس تلك الصفة, قام الباحث بعرض الأختبار بصيغته الأولية والمكون من (٣٥) فقرة على مجموعة من المختصين وذلك للتأكد من صدق الأختبار، وقد بلغت نسبة الأتفاق (٨٠٪) .

٣-اعداد الخريطة الاختبارية :

بعد تحديد الاهداف التعليمية وعناصر محتوى الاختبار لا بد من تنظيمها في جدول مواصفات الغرض منه هو ربط الاهداف التعلمية بعناصر المحتوى ، وتحديد عدد البنود لكل هدف مرتبطا بكل عنصر من عناصر المحتوى ويفيد جدول المواصفات في اعطاء كل هدف الوزن الذي يستحقه بنظر واقع الاختبار، وبعد تبعا لذلك أداة فعالة في تأسيس الصدق لمحتوى الاختبار, لذلك اعد الباحث خريطة اختبارية مشتملة موضوعات البحث والاهداف السلوكية للموضوعات ، ووفقا للمستويات الثلاثة الأولى في المجال المعرفي لتصنيف بلوم.

٤ – صدق المحتوى : وبقصد به مدى تمثيل محتوى الأختبار للنطاق السلوكي الشامل للسمة المراد الاستدلال عليها، اذ يجب ان يكون المحتوى ممثلاً تمثيلاً جيداً لنطاق المفردات الذي يتم تحديده مسبقاً» (علام، ٢٠٠٠ : ١٩٠) .

٥ – اعداد تعليمات الاختبار : اعد الباحث تعليمات لكيفية الأجابة عن فقرات الاختبار.

٦– تعليمات تصحيح الاختبار : اعد الباحث الأجوبة النوذجية للأجابة عن فقرات الأختبار .

٧– تطبيق المقياس على العينة الاستطلاعية : تم تطبيق الأختبار على عينة إستطلاعية تم أختيارها عشوائياً من طلاب الصف الثاني اذ تكونت العينة من (٣٠) طالب لغرض التأكد من وضوح الفقرات وتعليمات الاختبار وتحديد الوقت اللازم للأجابة عن فقرات الأختبار ، وقد كان الوقت المستغرق للأجابة (٤٥) دقيقة.

٨– التحليل الأحصائي للفقرات : طبق الاختبار على عينة مكونة من (٦٥) طالب لغرض التحقق من الخصائص السايكومترية والتي تشمل :

أ– صعوبة فقرات الأختبار : تم حساب معامل الصعوبة للفقرات الموضوعية وذلك بأستخدام معادلة معامل الصعوبة للفقرات الموضوعية ، وقد تراوحت قيمته (٠,٥٠ – ٠,٧٠) ، وكذلك تم حساب معامل الصعوبة للفقرات المقالية بأستخدام معادلة معامل الصعوبة للفقرات المقالية ، وقد تراوحت قيمته بين (٠,٥٠–٠,٦٧).

ب – معامل تمييز الفقرات :

الفقرات الموضوعية :– عند حساب معامل تمييز الفقرات الموضوعية وجد انه يتراوح بين (٠,٣١ ٠,٥٥) ، إذ تعد الفقرة التي معامل تمييزها (٠.٢٠) فأكثر مقبولة (عودة ، ١٩٩٨ : ٢٩٥) وهذايعني ان فقرات الاختبار مقبولة من حيث قدرتها التمييزية لذا تم الابقاء على جميع الفقرات ولم تحذف اي منها

– الفقرات المقالية :– عند حساب معامل التمييز للفقرات المقالية وجد انه يتراوح بين (٠,٤٠–٠,٤٩) إذ تعد الفقرة التي معامل تمييزها (٠.٢٠) فأكثر جيدة ومقبولة .

ثبات الاختبار : ويحسب الأجابة التي حصل عليها الباحث عند توجيه سؤال شفوي لمجموعة من الخبراء في مجال القياس والتقويم ، اذ بلغ معامل الثبات للاختبار التحصيلي (٠.٧٨) وهو معامل ثبات جيد حيث ان الاختبار يتصف بالثبات الجيد اذا كانت قيمته (٠.٦٧) فأكثر (ملحم ، ٢٠٠٥)

بناء أداة البحث:

تطلب البحث الحالي بناء أداة لقياس المتغير التابع، وتمثلت بـ (بالتفكير التاملي) وفيما يلي توضيح لإجراءات بناء هذا الاختبار:

تحديد الهدف من اختبار :

يعد تحديد الهدف من الخطوات الأساسية في اعداد هذا الاختبار, هدفه قياس مستوى التفكير التاملي لدى طلاب الصف الثني متوسط.

صياغة فقرات الاختبار :

تم الاطلاع من قبل الباحث على الدراسات السابقة والاطر النظرية التي تخص التفكير التأملي, إذ تم صياغة (١٥)

فقرة, وتم اختيار فقرات الاختبار من نوع (الاختيار من متعدد), اذ رأى الباحث عند صياغة الفقرات مراعات المستوى العقلي للطلاب, والدقة اللغوية والعلمية, وان تتناول الفقرة فكرة واحدة رئيسة, وكذلك وضوح الفقرة بحيث لا تحتمل التأويل, والتوازن بين البدائل كي تقلل من فرص التخمين .

تعليمات تصحيح الاختبار

وضع الباحث اجابات انموذجية لجميع الفقرات والتي عددها (١٥) فقرة من نوع اختبار من متعدد اذ اعد الباحث مفتاح للتصحيح , واعطت لكل فقرة من فقرات الاختبار (درجة واحدة) اذا كانت الاجابة صحيحة و (صفر) اذا كانت الاجابة خاطئة او متروكة.

صلاحية فقرات اختبار:

تم عرض فقرات المقياس على عدد من المحكمين في مجال علم النفس طرائق تدريس لبيان مدى ملائمة الفقرات للبدائل ومدى ملائمة الفقرات لمستوى الطلاب ومدى وضوح التعليمات, إذ تم الاخذ بملاحظات الخبراء وتم تعديل عدد من الفقرات ولم يتم حذف اي فقرة وكانت نسبة اتفاق الخبراء (٨٧٪)

إذ تعد الفقرة صالحة اذا نالت موافقة (٨٠٪) او اكثر من المتخصصين .

صدق اختبار:

إذ يعد اختبار صادقا اذا كان يقيس ما اعد لقياسه (عودة, ٢٠١٥: ٣٢), وقد تم التحقق منه وكالاتي:

الصدق الظاهري :

قدرت الصدق الظاهري من خلال التقدير الكيفي لبنود الاختبار وتمثيلها للمفهوم المراد قياسه، وأيد ذلك بحساب تقديرات المحكمين لصدق الفقرات وتمثيلها للمفهوم وأبعاده، إذ عُرض اختبار للتحكيم على عدد من المحكمين وأظهر التحكيم تمتع جميع بنود اختبار بنسبة اتفاق (٨٧٪) بين المحكمين ما يدل على تمتع اختبار بدرجة مرتفعة من الصدق الظاهري, وفي ضوء الاجراءات والتعديلات السابقة اصبح اختبار جاهزا بصيغته الاولية التطبيق على العينة الاستطلاعية الاولى .

التطبيق الاستطلاعي الاول للاختبار :

والتأكد من وضوح تعليمات اختبار، وتحديد مدى ملاءمة الفقرات ووضوحها، وتحديد الزمن اللازم للإجابة عن فقرات اختبار، قام الباحث بتطبيق اختبار على العينة الاستطلاعية الأولى من الطلاب (٣٠) طالباً في الصف الثاني متوسط، وبعد تطبيق اختبار ، بلغ متوسط الزمن المستغرق للإجابة ما بين ٥–١٥ دقيقة على التوالي، وقد تم حساب متوسط الوقت الذي استغرقه الطلاب للإجابة عن فقرة اختبار ليكون (١٥) دقيقة، ولم يواجه الباحث أي استفسار من الطلاب في العينة الاستطلاعية الأولى، مما يتضح منه أن فقرة اختبار الخاصة بالتفكير التأملي يشير إلى الوضوح.

التطبيق الاستطلاعي الثاني :

قام الباحث بتطبيق اختبار على عدد من طلاب الصف الثاني متوسط بلغ عددهم (٦٥) طالب وبعد اتمام تصحيح اجابات الطلاب قام الباحث بترتيب الدرجات الى مجموعتين عليا ودنيا بترتيب تنازلي ولكل مجموعة نسبة (٢٧٪), لإيجاد معامل الصعوبة والقوة التمييزية للفقرات وفعالية البدائل لكل فقرة من فقرات اختبار التفكير التأملي.

التحليل الاحصائي لفقرات اختبار التفكير التأملي.

معامل الصعوبة

طبق الباحث معامل الصعوبة على الفقرات وكانت النتائج بعدم الغاء اي فقرة من الفقرات, إذ تراوح معامل بين (٠,٣٢١–٠,٥٤٤), وهي جيدة.

معامل تمييز الفقرات

اظهرت نتائج معامل التميز لفقرات التفكير التأملي (٠,٣١٠-٠,٦٥٥),إذ لم تلغى اي فقرة, وان قيمة معامل التمييز التي تساوي او تزيد عن (٠,٣٠) تكون مقبولة (الهويدي , ٢٠١٥ : ١١٩).

فعالية البدائل للفقرات :

تم استعمال معادلة فعالية البدائل الخاطئة لجميع فقرات اختبار لأنه من نوع الفقرات الموضوعية , ووجد ان معاملات فعالية البدائل الخاطئة فعالة .

صدق البناء :

تم التاكد من صدق البناء عن طريق الاتساق الداخلي والقوة التمييزية لفقرات اختبار التفكير التأملي.

ايجاد معامل ارتباط كل فقرة بالدرجة الكلية للأختبار :

تم استخراج معامل الارتباط بين درجات كل فقرة من فقرات الاختبار ودرجات اختبار الكلي , واظهرت النتائج ان جميع الفقرات دالة احصائيا اذ تراوحت قيم معاملات الارتباط ما بين (٠,٤٣٣-٠,٦٢٢), ويعد مؤشر جيد على صدق البناء اختبار التفكير التأملي.

ثبات اختبار :

استعمل الباحث لاستخراج الثبات معادلة (كيودر ريتشارد – ٢٠), اذ تم تطبيق اختبار على العينة الاستطلاعية الثانية البالغة (٦٥) طالب اذ بلغ معامل الثبات (٠,٨٥) , وهذا يدل على ان اختبار يحظى بدرجة جيدة من معامل الثبات .

تطبيق اختبار التفكير التأملي:

قام الباحث بتطبيق الاختبار بصورته النهائية على طلاب الصف الثاني متوسط لغرض التكافؤ, بعدها بفترة زمنية تم تطبيقه على مجموعتي البحث.

الوسائل الاحصائية:

استخدم الباحث الوسائل الاحصائية الاتية:

اولاً:- استخدم الباحث في هذا البحث الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية – SPSS لاستخراج الاتي:

١-الاختبار التائي (t-test) لعينتين مستقلتين: استخدمت للتحقق من تكافؤ المجموعتين التجريبية والضابطة في متغيرات (العمر ، والذكاء، التفكير التأملي ،كذلك في اختبار فرضية البحث.

ثانياً: برنامج Microsoft Office Excel ٢٠١٠ وذلك لاستخراج :

معامل صعوبة وسهولة الفقرة الموضوعية: استخدم في ايجاد سهولة وصعوبة الفقرات لاختبار التفكير التأملي

الصعوبة = ١ – معامل السهولة.

معادلة تمييز الفقرات الموضوعية : استخدم في ايجاد تمييز الفقرات اختبار التفكير التأملي

ثالثاً: معامل ارتباط بوينت بايسريال:

استخدم من اجل التحقق من الاتساق الداخلي للاختبار أي حساب معامل ارتباط درجة الفقرة بالدرجة الكلية لاختبار التفكير التأملي ، وايضاً حساب الارتباط بين درجة الفقرة ودرجة الكلية التي تنتمي اليها اختبار التفكير التأملي

رابعاً:- معادلة كيودر- ريتشاردسون ٢٠ :

أستخدم لحساب معامل ثبات اختبار التفكير التأملي

عرض النتائج وتفسيرها:

يضم هذا الجزء من البحث عرضا للنتائج التي توصل إليها الباحث، ومناقشتها وتفسيرها في ضوء الإطار

النظري والدراسات السابقة وتبعا للفرضية المعتمدة في البحث وعرض التوصيات والمقترحات.

أولاً: عرض النتائج

١ –لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون وفق استراتيجية التعلم الاصيل, وبين درجات المجموعة الضابطة الذين يدرسون بالطريقة الاعتيادية في التحصيل.

جدول (٥) الاختبار التحصيلي لمجموعتي البحث التجريبية والضابطة

المجموعة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	المحسوبة	الجدولية	الدلالة
التجريبية	٣٢	٣٤,٠٤	٤,٠٧	٦٣	٩,٢٥	٢	دالة
الضابطة	٣٣	٢٣,٤٦	٤,٩١				

يتضح من جدول رقم (٥) انه توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية ومتوسط درجات المجموعة الضابطة في اختبار التحصيل لمادة (الجغرافية) ولصالح المجموعة التجريبية.

وللتحقق من صحة هذه الفرضية استخرج الباحث المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لدرجات طلاب مجموعتي البحث التجريبية والضابطة في اختبار التحصيل ، إذ كان الوسط الحسابي لطلبة المجموعة التجريبية (٣٤,٠٤)، وبانحراف معياري مقداره (٤,٠٧)، في حين كان الوسط الحسابي لطلاب المجموعة الضابطة (٢٣,٤٦)، وبانحراف معياري مقداره (٤,٩١)، ولغرض تعرف دلالة الفرق بين متوسطي المجموعتين استعمل الباحث الاختبار التائي لعينتين مستقلتين (test) إذ بلغت القيمة التائية المحسوبة (٩,٢٥) وهي أكبر من القيمة التائية الجدولية البالغة (٢) عند درجة حرية (٦٣) ومستوى دلالة (٠.٠٥) ومن طريق آخر يمكن الاعتماد على القيمة الإحصائية قيمة (P) حداً فاصلاً للدلالة الإحصائية ، والقيمة هي قيمة احتمالية تستعمل لتأويل مقاييس الإحصاء الاستدلالي ، وما إذا كان الاختلاف يوافق الصدفة أم أنه فرق ذوات دلالة (Everitt &Skrondal,٣٠٤ :٢٠١٠)

ثانياً: لا توجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسط درجات طلاب المجموعة التجريبية الذين يدرسون على وفق استراتيجية (التعلم الاصيل) ومتوسط درجات طلاب المجموعة الضابطة الذين يدرسون على وفق الطريقة الاعتيادية في اختبار التفكر التأملي.

وللتحقق من هذه الفرضية استخرج الباحث المتوسط الحسابي و الانحراف المعياري الدرجات مجموعتي البحث في الاختبار التحصيلي ، ثم طبق الاختبار التائي (t–test) لعينتين مستقلتين ، والجدول (٣) يوضح ذلك.

جدول (٦) القيمة التائية المحسوبة والجدولية والمتوسط والانحراف المعياري لدرجات طلاب المجموعتين

المجموعة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الحرية	القيمة التائية		مستوى الدلالة
					المحسوبة	الجدولية	
التجريبية	٣٢	٣,٦٧٨	٠,٩٥٤	٦٣	٣,٦٧٢	٢	دالة
الضابطة	٣٣	٤,٥٢٢	٠,٩٧٤				

يتبين من الجدول اعلاه الاتي :

١ . ان القيمة التائية المحسوبة للتجريبية بلغت (٣,٦٧٢) وهي اكبر من القيمة التائية الجدولية البالغة (٢) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) ودرجة حرية (٦٣) , وهذا يعني انه توجد فروق ذات دلالة احصائية بين المجموعة التجريبية التي تدرس وفق الاستراتيجية (التعلم الاصيل) والمجموعة الضابطة التي تدرس بالطريقة الاعتيادية في اختبار التفكير التأملي ولصالح المجموعة التجريبية.

مناقشة وتفسير النتائج:

تفسير النتائج المتعلقة بالفرضية الصفرية الاولى :

أظهرت نتائج البحث أن استراتيجية التعلم الأصيل تساهم في رفع مستوى التحصيل الدراسي لدى طلاب المرحلة المتوسطة, ويعزو الباحث ذلك إلى أن التعلم الأصيل يزود الطلاب بالمعرفة والمهارات والقيم الضرورية داخل البيئة المدرسية كما يعزز فهمهم للأبعاد المختلفة للمشكلات التي يواجهونها بما يعكس طبيعتها الواقعية, إذ يتوقع أن تكون الحلول التي يتوصل إليها الطلاب متعددة الأبعاد ويتيح التعلم الأصيل للطلاب القدرة على تحويل ما تعلموه إلى ممارسات واقعية لحل المشكلات.

وتوضح النتائج أن مكونات التعلم الأصيل تسهم في تنمية سعة الحيلة المتعلمة لدى الطلاب، إذ يقوم هذا النوع من التعلم بتدريبهم على تنظيم الذات مما يزيد من شعورهم بالتمكن والثقة في تأثير سلوكهم الموجه نحو الأهداف, كما يعزز قدرتهم على إدارة متطلبات الحياة المدرسية واستثمار استراتيجيات التفكير الإيجابي وتنمية مهارات حل المشكلات، وتأخير الإشباعات الفورية غير المهمة، مع إدراك أن هذا التعلم يتطلب بذل جهود إضافية لتحقيق نتائج ملموسة.

تفسير النتائج المتعلقة بالفرضية الصفرية الثانية :

مكن تفسير هذه النتيجة بأن استخدام استراتيجية التعلم الأصيل في العملية التعليمية يساهم في تنويع أساليب إثارة اهتمام الطلاب، ويتيح لهم فرصة اختيار الموضوعات التي يرغبون في مناقشتها، ما يجعلهم أكثر نشاطًا وتفاعلاً مع الموقف التعليمي, كما تعمل هذه الاستراتيجية على تعزيز المرونة في التفكير وتمكين الطلاب من اختيار البدائل الأنسب، إذ تشجعهم على التنقل بين أنماط التفكير المختلفة، سواء كانت حيادية أو سلبية أو إيجابية أو عاطفية أو إبداعية, وبذلك تمنحهم الاستراتيجية فرصاص للتأمل والتحليل والاستنتاج والنقد، مع القدرة على التفكير بحرية ودون قيود.

الاستنتاجات:

١. تجعل خطوات استراتيجية التعلم الأصيل الطلاب محور العملية التعليمية مما يسهم بشكل ملحوظ في زيادة مستوى التفكير التأملي لديهم.

٢. للاستراتيجية أثر بالغ الأهمية ما يبرز ضرورة توظيفها في تدريس مادة الجغرافية للصف الثاني متوسط.

٣. يعزز التدريس باستخدام التعلم الأصيل من نشاط الطلاب ويحفزهم على طرح التساؤلات والمشاركة الإيجابية بما يعكس تعزيزاً داخلياً يدفعهم لاستكشاف المعرفة بشكل أوسع.

٤. تضع استراتيجية التعلم الأصيل الطالب في قلب العملية التعليمية، مما يتطلب منه الانتباه والمتابعة واستنتاج الأسباب، وإيجاد حلول دقيقة وواضحة للمشكلات المطروحة.

التوصيات:

١. ضرورة توظيف استراتيجية التعلم الأصيل في تدريس مختلف المواد التعليمية بشكل عام، ومادة الجغرافية بشكل خاص.

٢. الاهتمام بتصميم برامج تعليمية قائمة على التعلم الأصيل لتدريس مادة الجغرافية.

٣. عقد دورات تدريبية للطلاب في الصفوف الأولى لتعريفهم بالبرامج التعليمية المبنية على استراتيجيات التعلم الأصيل وتنمية مهاراتهم التعليمية.

٤. التأكيد على استخدام استراتيجيات تدريسية فعالة تركز على تنمية التفكير وتطوير مهارات الطلاب لتحقيق فعالية إيجابية في التعلم.

٥. تضمين منهج الجغرافية وأدلة المدرسين تعليمات واضحة حول استراتيجية التعلم الأصيل، وكيفية توظيفها

وتنفيذها داخل العملية التعليمية.

المقترحات:

١-إجراء دراسات خاصة بتحديد المهارات والكفايات التي يحتاجها الطلاب المرحلة المتوسطة لتنمية وتطوير أساليبهم التعليمية بما يتناسب مع تطورات المجتمع.

٢-إجراء دراسات مقارنة بين طلاب المرحلة المتوسطة بمختلف المدارس.

٣-إجراء دراسة مماثلة وتضمينها الصفوف المختلفة من المرحلة المتوسطة والاعدادية.

المصادر العربية والاجنبية:

• بركات ، زياد (٢٠٠٥): العلاقة بين التفكير التأملي والتحصيل لدى عينة من الطلاب الجامعيين وطلاب الثانوية العامة في ضوء بعض المتغيرات الديمغرافية. مجلة العلوم التربوية والنفسية, م ٦ (٤).

• حسن, أحلام الباز (٢٠١١): تعزيز الدافعية الذاتية لتعلم العلوم والمسئولية الاجتماعية من خلال التعلم الخدمي لدى تلاميذ المرحلة الإعدادية, مجلة التربية العلمية، المجلد (١٤).

• حسن, مدحت محمد (٢٠٠٩): فعالية استخدام نموذج مارزانو الأبعاد التعلم في تنمية التفكير الاستدلالي والتحصيل في مادة العلوم والاتجاه نحو المادة لدى تلاميذ الصف الأول المتوسط بالمملكة العربية السعودية, مجلة التربية العلمية ، مجلد (١٢)، عدد (١).

• ريان ، عادل (٢٠١٠): دلالة التمايز في مستوى التفكير التأملي لى طلبة الصف العاشر الأساسي في ضوء فاعلية الذات الرياضية. مجلة جامعة القدس المفتوحة للابحاث والدراسات، فلسطين، العدد (٢٠).

• زكي, سعيد خيرى (٢٠٠٤): أثر تفاعل بعض مكونات بيئة الفصل الدراسي ومستوى الدافع المعرفي على الخيال العلمي لدى تلاميذ الحلقة الثانية من مرحلة التعليم الأساسي, رسالة دكتوراه، كلية التربية ، جامعة الأزهر.

• سعادة جودت (٢٠١١): تدريس مها ارت التفكير, دار الشروق رام الله، فلسطين.

• الشكعه، على (٢٠٠٧): مستوى التفكير التأملي لدى طلبة البكالوريوس والدراسات العليا, مجلة جامعة النجاح للأبحاث الإنسانية – جامعة النجاح.

• الفرحاتي, السيد محمود (٢٠١٨): العقلية الأكاديمية كمخرجات للتعليم المشبع المسارات القدرة الاستجابية والعمليات المعرفية للإبداع والتعلم الأصيل وموثوقية المدرسة لدى طلاب مدارس العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات, الجمعية المصرية للدراسات النفسية, مج ٢٨, ع ١٠١.

• الفرحاتي,السيد محمود, وصموئيل, اماني زكريا (٢٠٢٢): مكونات التعلم الأصيل وعلاقته بالنمو الإيجابي والشغف بريادة الأعمال وسعة الحيلة المتعلمة لدى تلاميذ المدارس اليابانية والحكومية, كلية التربية, جامعة عين شمس, المجلة المصرية للدراسات النفسية, مج ٣٢, ع ١١٥.

• Brown, J. S., Collins, A., & Duguid, P. (1989): Situated cognition and the culture of learning. Educational Researcher, 18(1), 32–42. doi:10.3102/0013189X018001032.

• Brophy, J., & Allman J. (1991): Activities as instructional tools: A framework for analysis and evaluation. Educational Researcher, 20(4),doi:10.3102/0013189X020004009

• Cronin. J. F. (1993): Four misconceptions about authentic learning. Educational Leadership, 50(7).

• Dewey, J. (1997): How we think. NY: Dover.

• E.P. Torrance (1976): Creative Thinking Tests. Manual, the editions of the center of applied psychology, 48 avenue Victor Hugo 75783Paris.

• Eysenck, H. J., & Wilson, G. D. (1977): Know Your Own Personality London: Penguin Books.

• Eysenck, H. J., & Wilson, G. D. (1977): Know Your Own Personality London: Penguin Books.

• Gordon, R. (1998): Balancing real–world problems with real–world results.

Phi Delta Kappan, Retrieved from http://edweb.fdu.edu/anyfile/epsteinj/ gor–donrealwrldprobs.pdf.

• Guilford. (1967): The Nature of Human Intelligence. Me Craw Hill, New York.

• Herrington, A., & Herrington, J. (2006): Authentic learning environments in higher education, Hershey, PA: Information Science Publishing.

• Herrington, J., & Kervin, L. (2007): Authentic learning supported by technology: 10 suggestions and cases of integration in classrooms. Educational Media International, 44(3).

• Jernigan, C (2017): Authentic Learning and Student Motivation Building Instructor and Student Confi dencethrough Genuine Interaction and Authentic Classroom Materials R. Breeze, C. Sancho Guinda (eds.), Essential Competencies for English– medium University Teaching, Educational Linguistics 27, Springer International Publishing Switzerland 2017,DOI 10.1007/978–3–319–40956.

• Jonassen. D. (1999): Designing constructivist learning environments. In C. Reigeluth (Ed.(. Instructional Design Theories and Models Mahwah. NJ: Lawrence Erlbaum Associates.

• Layard, R & Hagell, A. (2015): Healthy Young Mind: Transforming the Mental Health of Children. In: J. F. Helliwell, R. Layard and J. Sachs (eds.) World Happiness Report 2015. New York, The Earth Institute, Columbia University.

• Mahardale, J, NevillR, Jais, N. chan,c(2007): Reflective thinking in a problem based English programmer: Astudy on the development of thinking clementary students.

• Newmann, F. M., Wehlage, G.G& Lamborn S.D (1999): «The Significance and Sources of Student Engagement.» In Student Engagement and Achievement in American Secondary Schools, edited by F.M. Newmann, pp. 11–30. New York: Teachers College Press.

• Reeves. T.C.. Herrington. J.. & Oliver, R. (2002): Authentic activities and online learning. In A. Goody. J. Herrington. & M. Northcote (Eds.), Quality conversations: Research and Development in Higher Education, Volume 25 (pp. 562–567). Jamison. ACT: HERDSA.

• Seligman, M.E.P., Ernst, R.M., Gillham, J., Reivich, K. and Linkins, M. (2009): Positive Education: Positive Psychology and Classroom Interventions. Oxford Review of Education, 35.

• Westbrook, S. L & Rogers,L.N (1991): an analysis the Relationship between students invented Hypotheses and the Development of Reflective Thinking Strategies paper presented at the annual Meeting of the national Association for Research in Science Teaching, Geneva, WI, and April.

• Young. M. F. (1993): Instructional design for situated learning. Educational Technology Research and Development, 41(4). doi:10.1007/BF02297091.



الرحلة التعليمة بين نبي الله موسى والخضر(عليه السلام) دراسة موضوعية

م. م. حسين تعيب جابر
وزارة التربية /المديرية العامة للتربية في ذي قار



المستخلص:
يهدف البحث إلى بيان الرحلة التعليمية بين نبي الله موسى والخضر "عليهم السلام" كما ذكرت في الكتاب والسنة النبوية, وتعتبر الرحلة التعليمة رحلة علاقة بين العالم والمتعلم, وتعد من أبرز القصص القرآنية التي تحمل في طياتها الكثير من الدروس والعبر في العلم والتواضع والصبر, وحكمة الله تعالى في تدبير الأمور, ولما لمعالم هذه العلاقة من أهمية كبرى, حيث تسهم هذه العملية التعليمية في تحقيق اهدافها المرجوة منها.
إذ يتجلى فيها دور الصبر والتواضع والالتزام بمنهج المعلم في مواجهة المواقف. وقد حاول البحث أن يوظف الدلالات التربوية في هذه الرحلة في قراءة معاصرة تسهم في إثراء العملية التربوية, وتهيأ المجال أمام مناهج تربوية تعتمد على القرآن الكريم في أسسها ومبادئها. ومن هنا تظهر قيمة البحث في إبراز هذه الرحلة التعليمية كمنظومة تعليمية كاملة وهدفها تأسيس رؤية حضارية للتعلم.

الكلمات المفتاحية: موسى, الخضر, طلب العلم, الرحلة التعليمية

Abstract:
The research aims to demonstrate the educational journey between the Prophet Moses and Al-Khidr (peace be upon them), as mentioned in the Qur'an and the Sunnah. This educational journey is considered a relationship between the scholar and the learner. It is one of the most prominent Qur'anic stories, carrying within it many lessons and morals in knowledge, humility, patience, and the wisdom of God Almighty in managing affairs. Given the great importance of the features of this relationship, this educational process contributes to achieving its desired goals.
It demonstrates the role of patience, humility, and adherence to the teacher's approach when facing situations. The research attempts to employ the educational implications of this journey in a contemporary reading that contributes to enriching the educational process and paving the way for educational curricula based on the Holy Qur'an for their foundations and principles. Hence, the value of the research emerges in highlighting this educational journey as a complete educational system, with the goal of establishing a civilized vision for learning.

Keywords: Moses, Al-Khidr, seeking knowledge, educational journey

المقدمة:
الحمد لله الذي رفع اهل العلم درجات, والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين سيدنا ومولانا وحبيبنا وقرة أعيننا محمد "صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين بلغوا في الآداب والسلوك ذروت الكمالات وبعد:
ولا شك أن القرآن الكريم زاخر بالدروس والعبر من ذلك قصة نبي الله موسى "عليه السلام" مع سيدنا الخضر "عليه السلام" ، وهي من القصص التي توضح منهج الأنبياء ، ومسلكهم في طلب العلم ، ورحلتهم إليه ، فطلبهم للعلم ، رحلة طويلة ، عناء ومشقة ، عزيمة وإصرار ، وهذه الرحلة هي ما سأتحدث عنها في هذا البحث .
أهمية البحث: في هذا البحث تم تسليط الضوء على البعد التربوي والتعليمي في قصة موسى والخضر "عليهم السلام" بوصفها نموذجاً قرآنياً فريداً في طلب العلم الثابت على الحوار والتواضع والصبر. كما للبحث أهمية في

إبراز التكامل بين العلم الباطني والظاهري, واستثمار الدروس التربوية المستخلصة من هذه الرحلة في تطور المناهج التعليمية الحديثة.

سبب اختياري الموضوع: كثير من الأمور التي كانت وراء اختياري لهذا الموضوع عديدة يأتي في مقدمتها:

١ .أن الموضوع يتناول آيات القصة من الآداب المهمة والفوائد القيمة للتعليم والتعلم, ويتناول الموضوع من جميع جوانبه بالطريقة التي سلكتها.

٢ .الرغبة التي وجدتها في اختياري لهذا الموضوع.

٣ . يعتبر البحث ذوا أهمية بالغة من حيث كونه مرتبط بأجل وأسمى وأرفع وأنبل كتاب على وجه الأرض الا وهو القرآن الكريم.

أهداف الدراسة للبحث: من أهم اهداف الدراسة حول الموضوع هو:

١ .التوكيد على ان القصص القرآنية مملو بالتعاليم التربوية الفوائد القيمة.

٢ .التوضيح والشرح لآيات القصة في سورة الكهف في ضوء النقل الصحيح والعقل السليم للكشف عن نظرية الإسلام الشاملة حول عملية التعلم.

٣ .الغوص في آيات هذه القصة والكشف عن ما فيها من الآداب والفوائد والحكم, لما لها من دور لطلبة العلم والأساتذة.

مشكلة البحث والأسئلة الأساسية فيها: أن من اهم اسباب تخلف الأمة الاسلامية في عصرنا الحالي هو انخفاض مستوى التعليم والتربية في العالم الإسلامي. والسبب الأساسي يرجع لبعدنا وغفلتنا عن القرآن الكريم كوحي سماوي كامل وشامل وثابت منزل من الله سبحانه وتعالى, فما توصل اليه الباحث من خلال هذه الدراسة, لو أن هذه الدراسة أعطي حقها من العناية والاهتمام الجاد والعمل المتواصل والصحيح من المعلمين والمتعلمين , والطلاب والأساتذة في مؤسساتنا التربوية والتعليمية في العالم الإسلامي , لحلت مشكلة انخفاض التعليم بيننا ورفع مستويها ولسوف تغيرت الأمة مما فيها الآن من الخلفية والذلة والضعف.

أهم الأسئلة الأساسية في البحث:

١ .هل اللقاء بين موسى والخضر "عليهما السلام" يدل على جم غفير من الآداب الإسلامية القيمة النامية في التعليم.

٢ . هل القصة تحتوي على التوجيهات ما يحث المتعلم ويشوقه على تعظيمه للأستاذ ومعرفة قدره والتشرب من علمه.

٣ .هل الرحلة التعليمية ترشد المعلم في الامة الإسلامية وتساعده في إعلاء مستواه التعليمي وتقويته وتفعيله على التعليم المثمرة والتربية المؤثرة لأبناء المجتمع الإسلامي.

أما عن منهجية البحث فهو كالآتي :

١ .استندت على منهج الدراسة الموضوعية .

٢ .استجمعت الآيات سورة الكهف ووزعتها على مباحث .

٣ .ذكرت تفسير الآية بالآيات القرآنية والحديث ما امكنني .

٤ .قدمت الاقوال المأثورة عزوتها الى قائليها ما امكنني .

٥ . نسبت الآيات القرآنية الى سورها ورقمت الآيات .

٦ .نسبت الاحاديث النبوية الى مصادرها .

خطة البحث: المقدمة: وتشمل على: أهمية البحث, سبب اختيار الموضوع, واهداف البحث, ومنهج البحث, وأسئلة البحث, وخطته, فقد قسمت البحث الى اربع مباحث وخاتمة ونتائج البحث.

المبحث الأول: رحلة النبي موسى (عليه السلام) للبحث عن الخضر:

بدأت رحلة النبي موسى (عليه السلام) بالبحث عن رفيقة الخضر (عليه السلام) ,وقد دارت أحداث متنوعة حول ذلك منها رفقته "ع" لفتاه وعودته إلى مكان عند الصخرة ثم لقاءه بالخضر (عليه السلام) ,وسنفصل الكلام في ذلك من خلال الاتي :

المطلب الاول :الشخصيات المتعلقة بالبحث

أولاً: شخصية النبي موسى (عليه السلام):

اختلفت الآراء في تحديد شخصية موسى (عليه السلام) في سورة الكهف فرأي ذهب إلى أنه موسى نبي الله ورأي آخر مخالفه، فما هو الرأي الأرجح لشخصية موسى ؟ وما المراد بهذه الشخصية ؟ المراد بموسى المذكور في هذه القصة هو نبي الله موسى ابن عمران (عليه السلام)، صاحب المعجزات الظاهرة وصاحب التوراة يؤيد هذا ما أخرجه الشيخان وأصحاب السنن وغيرهم(١).ويؤكد هذا القول قول سعيد ابن جبير : قلت لابن عباس :"(إن نوفا البكالي(٢) يزعم إن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل فقال ابن عباس : كذب عدو الله، حدثني أبي بن كعب أنه سمع رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم). يقول: إن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل، فسئل أي الناس أعلم : فقال أنا، فعاتبه الله ، وأوحى إليه :"إن لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك فقال موسى، يا رب فكيف لي به, قل: تأخذ معك حوتا تجعله في مكتل(٣) فحيثما فقدت الحوت فهو ثم")(٤).

أما الرأي الثاني فقد زعموا بأنه موسى آخر واختلفوا فيه فمنهم من يعتبره موسى بن أفراثيم بن يوسف، "ومنهم من يعتبره موسى بن ميشا بن يوسف بن يعقوب" ، وهو قول جمهور اليهود، وتبعهم في هذا الزعم بعض المؤرخين الذين يأخذون عن كتبهم، منهم نوف بن فضالة الحميري الشامي البكالي(٥).

وأخيرا فان القول الأرجح لشخصية موسى هو القول الأول المراد به موسى بن عمران "عليه السلام" كما قال به الكثير من المفسرين منهم ابن كثير حيث قال : والصحيح الذي دل عليه ظاهر سياق القرآن ونص الحديث الصحيح الصريح. المتفق عليه: أنه موسى ابن عمران صاحب بني إسرائيل.

ثانياً: شخصية الخضر

لم يبين القرآن اسم صاحب موسى (عليه السلام) فاكتفى بوصفه بالعبد الصالح، ونصت السنة الصحيحة على أن العبد الصالح هو الخضر(عليه السلام)، ونقل إجماع العلماء عليه ، وأما اسمه فذكر ابن قتيبة أن اسمه :"بليا من ملكان بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح "عليه السلام"(٦). وهو القول الأشهر ولقب بالخضر وكانت كنيته : أبو العباس، وكان من أبناء الملوك وإنما لقب بالخضر لأنه كان لا يقف موقفا إلا اخضر ذلك الموضع من أثر بركته، وذلك في صحيح البخاري: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال :"إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء"(٧).

المطلب الثاني: موسى بصحبة الفتى

كانت من الاحداث الاولى من القصة هو رفقته الى احد الشخصيات التي اخذت حيزاً من القصة وهي شخصية فتى النبي موسى (عليه السلام)، وهو الذي نصت علية السنة الصحيحة وأقوال الصحابة أنه: يوشع بن نون ,ذكره سعيد بن جبير عن ابن عباس عن ابي كعب عن النبي "ص" قال : "ثم أنطلق وأنطلق معه فتاه يوشع بن نون" (٨).وهو يوشع بن نون بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم "عليهم السلام" , صاحب موسى وخادمة , وسمي فتاه لملازمته إياه في العلم , او في الخدمة(٩).

تبدأ قصة النبي موسى والخضر (عليهما السلام) من خلال حوار بين موسى وفتاه, ويتضمن هذا الحوار مفهوماً زمنياً مبهماً("وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا")(١٠).

هذه البداية القصصية تنطوي على جملة من أسرار الجمال المتصل ببناء القصة , إذ فيها دلالة زمنية , ويدرك

القارئ من عبارة "لا أبرح "و "أمضى حقباً" أن موسى (عليه السلام) قد تأهب لأمر ما, وعزم على سفر طويل بغية الوصول إلى منطقة خاصة.

أنطلق النبي موسى(عليه السلام) للبحث عن الخضر ، وانه لم يكف عن الطلب والبحث عنه ، فجهز عدته ، فأخذ حوتا ، فجعله في مكتل واصطحب معه فتاه يوشع بن نون .

سار موسى (عليه السلام)، وفتاه سيرا طويلا فشق عليهما السير, عندئذ قال موسى "عليه السلام" لفتاه لا أزال سائر الى مجمع البحرين وهو المكان الذي سأجد من هو أعلم مني حتى لو سرت زمنا طويلا ، وصل موسى وفتا هـ مجمع البحرين ,ويقول صاحب التحرير والتنوير في قولة "مجمع البحرين" لا ينبغي أن يختلف في مكان من أرض فلسطين , والأظهر أنه مصب نهر الاردن في بحيرة طبرية فإنه النهر العظيم الذي يمر بجانب الأرض التي نزل فيها موسى "عليه السلام" وقومة , وكانت تسمى عند الإسرائيليين بحر الجليل, فإن موسى "علية السلام" بلغ إليه بعد مسير يوم وليلة راجلا فعلمنا أنه لم يكن مكانا بعيدا جدا(١١).

ف مجمع البحرين : هو المكان الذي يجتمع فيه البحران ويصيران بحرا واحداً وفيه رأيان :

الأول: إنه ملتقى بحري فارس والروم ملتقى المحيط الهندي والبحر الأحمر عند باب المندب.

الثاني: إنه ملتقى بحر الروم والمحيط الاطلنطي عند طنجة "البحر الابيض المتوسط والمحيط الاطلسي عند جبل طارق"(١٢).

ولما وصلا مجمع البحرين ناما من شدة التعب عند صخرة وفي أصل الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من مائه الا حيي(١٣). ذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت في المكتل, فلم يكن هناك ما يدعو إلى العجب , لكن العجب أن يكون الحوت ميتاً فتدب فيه الحياة , وينطلق إلى البحر في قوة , بل ان الحوت حين انطلق إلى الماء , فعل ما لم يكن معهوداً في جريان الحيتان في الماء , فقد شق في البحر سرباً, أي: طريقا كأنه السرداب في الجبل , فخرج منه فسقط في البحر واتخذ سبيله في البحر وامسك الله عن الحوت جربة الماء فصار عليه مثل الطاق , وكان موسى "عليه السلام" نائم , اما يوشع فكان يقظ(١٤).

وما إن استيقظ موسى (عليه السلام) و اخذ حقهما من الراحة تابعا المسير وكان على عجلة من أمره, حتى جاوزا مجمع البحرين وهو المكان الذي نسي الحوت فيه ، فلما شعر موسى بالجوع والتعب قال : "لفتاه أتنا غدائنا لقينا تعبا شديدا ، نحتاج معه شيء من الراحة وشيء من الطعام ، ذهب الفتى ليعد الطعام وبحث عن الحوت فلم يجده، وهنا تذكر انه نسيا الحوت عندما أويا الى الصخرة واستراحا قليلا عندها"، فقال يوشع لموسى نسيت أن اخبرك بخبر الحوت ،فقد ذكر لموسى(عليه السلام) ما كان من أمر الحوت ,وما أظهر الله فيه من عظيم آياته, إذ أحياه وكان ميتاً , وانطلق في الماء, وإذا بالماء يتجمد حتى كأنه الصخور , والحوت قد شق له طريقا يبساً, فكان ذلك مثار العجب , ولأعجب من قدرة الله(١٥).

بعد أن أخبر الفتى موسى (عليه السلام) انه نسي أن يخبره ما كان من أمر الحوت هنا تذكر موسى(عليه السلام) العلامة التي ذكرها الله له ، والتي يتعرف بها الى المكان الذي يلتقي عنده العبد الصالح ، وهي الصخرة التي نسيا الحوت عندها ، لهذا لم يلتفت موسى "عليه السلام" الى الفتى ولا الى ما كان من نسيان الحوت ، بل أتجه الى المكان الذي عند الصخرة قائلا لفتاه : ذلك هو المقصد الذي نقصده، والموقع الذي نبحث عنه(١٦).

موسى هنا يبحث عن حقيقة مادية هي الصخرة مع ان الصخرة كانت تحت قدميه ، فانه لم يرها ، ولم يتعرف عليها ، ولو رفع عنه حجاب الغيب للزم مكانه ولما سعى هذا السعي المجهد(١٧).

المطلب الثاني: الحوار بين موسى (عليه السلام)، وسيدنا الخضر

ولننظر إلى ما وصف الله به هذا العبد , إن القران يصف هذا الرجل بأنه عبد من عباد الله , والعبودية لله أشرف صفة يتصف بها الانسان, وأمر اخر منحه الله لهذا العبد الصالح , هو هذا العلم الإلهي اللدني , إذ قال: "و علمناه

من لدنا علما"(١٨).

وذلك ورد في الحديث عن القصة لما وصل موسى "عليه السلام" وبصحبته الفتى الى المكان المنسي فيه الحوت وما جرى له فيه وهو الصخرة ,هنا تبدأ أحداث هذا الحدث العظيم ، الذي كان موسى "عليه السلام" على موعد معه ، والذي من أجله قطع هذه الرحلة المثيرة واحتمل فيه اما احتمل من جهد وعناء(١٩).

وجد موسى (عليه السلام)"عند الصخرة رجلا، مسجى بثوب قد جعل طرفه تحت رجليه ، وطرفه تحت رأسه"(٢٠).

هذا الرجل اسمه الخضر وهو: "بليا بن ملكان بن فالخ بن عامر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح "عليه السلام"(٢١).

"ولقب الخضر لأنه جلس على الأرض فاخضرت تحته ، وقيل لأنه كان إذا صلى اخضر ما حوله وهو من نسل نوح وكان أبوه من الملوك"(٢٢).

واختلف من قالوا : انه بشر ، هل هو نبي أو ولي:

القول الأول : من ذهب الى انه نبي رسول ، لأن مثل تلك الأفعال الصادرة منه لاسيما قتل الغلام لا يمكن إيقاعها الا ممن كانت لديه شريعة يتصرف ويفعل على وفق ما جاءه بها ، وهي شريعة مخصوصة به ، اوحي اليه بها أن يعمل بالباطن وخلاف الظاهر(٢٣).

القول الثاني : إنه لم يكن نبيا ولا رسو لا ، وانما كان رجلا صالحا وليا ، اودعه الله تعالى من علم باطن الأمور ما لم يودع غيره وبه قال كثيرون(٢٤).

لقي موسى (عليه السلام) الخضر فسلم عليه وقال له الخضر :"اني بأرضك السلام قال انا موسى نبي إسرائيل ، قال نعم ، قال انك على علم من علم الله، علمك الله لا اعلمه ، وأنا على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه انت"(٢٥).

ثم أكد ذلك مشيرا الى علمه عدم استطاعته فقال : وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا , أي وكيف تصبر وانت نبي على ما اتولى من امور ظواهرها منكرة ، بواطنها مجهولة ، والرجل الصالح لا يمتلك ان يصبر اذا رأى ذلك بل يبادر بالإنكار(٢٦).

فحين قال له الخضر لابتدأني سؤال عنك وانكار ، حتى اكون انا الذي اخبرك بحاله ، في الوقت الذي ينبغي اخبارك به فنهاه عن سؤاله ووعد أن يوافقه على حقيقة الامر(٢٧).

ووافق موسى على الا يسرع بالإنكار على الخضر عندما يقوم ببعض الامور التي يبدو في ظاهرها المنكر ، لان التسرع ينافي التثبيت(٢٨).

المبحث الثاني: أحداث قصة النبي موسى والخضر

المطلب الأول: ظاهرة خرق السفينة

بدأت أحداث القصة بخرق السفينة ويقول الله تعالى مخبرا عن موسى "عليه السلام" والخضر : انهما انطلقا معا, واشترط عليه الخضر أن لا يسأله عن شيء أنكره حتى يكون هو الذي يبتدئه من تلقاء نفسه بشرحه وبيانه . فانطلقا " الضمير لموسى والخضر , وذلك أن موسى رد يوشع إلى بني إسرائيل وذهب موسى مع الخضر, وقيل : انه ذهب معهم ولم يضمر لأنه في حكم التبع(٢٩).وفي الحديث انهما انطلقا معا يمشيان على شاطئ البحر حتى وصلا إلى سفينة فعرفها الخضر فحمل فيها بغير نوال أي بغير أجرة , وقيل أنهما لما أتيا السفينة قال أهلها : لا يدخل علينا هذان الرجلان , فإنا لا نعرفهما ونخاف على متاعنا منهما , فقال الملاح : بل سيماهم سيما الزهاد ,فحملهما في السفينة, وبعد أن ركبا فِي السَّفِينَةِ قام الخضر بخرقها ،وقوله خرقها روي بأن الخضر قطع بعض ألواحها، وقيل : أخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بأن أزال لوحين من ألواحها مما تسبب بدخول الماء فجعل موسى (عليه السلام). يسد الخرق بثيابه ويقول مستنكرا هذا العمل أخرقتها يا خضر لتغرق أهلها؟ فما هذا العمل العجيب منك ؟! – لَقَدْ جِئْتَ يا خضر شَيْئاً إمراً أي منكرا عظيما، ونرى موسى "عليه السلام" ينسى ما عاهد عليه الخضر ويوجه إليه لوما

شديدا ويقرر أن فعله هذا قد يفضي إلى إغراق السفينة بمن فيها , وأنه قابل إحسان أصحابها بالإساءة ويحكم عليه حكما قاسياً حسب ما بدأ له بأنه ارتكب ذنبا عظيما قبل أن يسمع إلى سبب هذا الفعل(٣٠).

قال خضر أَلَمْ أَقُلْ لك إنك يا موسى لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صبراً فقد شرطت على اتباعك لي أن تصبر، فكيف اعترضت على هذا الاعتراض، ولم تصبر حتى أحدثك بالنتيجة؟(٣١). قال موسى "عليه السلام" بعد أن تذكر الشرط قال ("لَا تؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيت وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عسْرًا")(٣٢).

المطلب الثاني: ظاهرة قتل الغلام

بعد ان قدم موسى الاعتذار للخضر في حادثة خرق السفينة بسبب نسيان الوصية وعدم الصبر على الاحداث نستكمل القصة بحدث ثاني قام به الخضر برفقة موسى (عليهما السلام) بعد نزولهما من السفينة وسلامتهما من الغرق .

فخرجا من البحر وانطلقا يمشيان في البر ، يعني موسى والخضر ، ولم يذكر يوشع لأنه كان تابعاً لموسى أو كان قد تأخر عنهما وهو الأظهر ، لاختصاص موسى بالنبوة واجتماعه مع الخضر (عليه السلام). في البحر فلقيا غلاماً يلعب مع الصبيان فذبحه بالسكينة, وكان من أحسن أولئك الغلمان واحبهم وقيل صرعه ثم نزع رأسه من جسمه أو قيل ضربه برجله فقتله, لم يبين القران كيف قتله, ولكن بينته السنة فقد روى البخاري بسنده عن النبي " (صلى الله عليه وآله وسلم). قال : ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه بيده فأقتلعه بيده فقتله(٣٣).

وقيل كان شاباً بالغاً لأن غير البالغ لا يستحق القتل .(٣٤)، فاشتد بموسى الغضب واخذته الحمية الدينية ، حيث قتل غلاماً صغيراً ، لم يذنب قَالَ "(أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا)"(٣٥).

وأي نكر مثل قتل الصغير الذي ليس عليه ذنب ، وهذه فعلة أشد من سابقها وقعا , وأفدح خطبا , وأنكر نكرا , فقد وقعت على نفس إنسانية بريئة براءة الطفولة .

ومن أجل هذا ينسى موسى وجوده كله , ولا يذكر الشروط التي بينه وبين الخضر , ولا يلتفت الى زلته التي زلها مع أستاذه , واعتذاره له ، وكانت الأولى من موسى نسياناً ، وهذه غير نسيان ولكن عدم صبر , فقال له الخضر معاتباً ومذكراً ("قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا")(٣٦).

فقال موسى (إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ) بعد هذه المرة فلا تصحبني أي :" فأنت معذور بذلك وبترك صحبتي (قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِي عُذرًا)" أي : أعذرت من ولم تقصر(٣٧).

مع العلم بشدة حرصه على مصاحبته فهذا كلام نادم شديد الندامة(٣٨).

المطلب الثالث: ظاهرة إعادة بناء الجدار من دون أخذ الأجرة

قوله تعالى في محكم كتابة الكريم ("فَأَنطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتيا أَهْل قرية")(٣٩).

انطلق موسى والخضر "عليهما السلام" يتابعان سيرهما, حتى حلا بإحدى القرى(٤٠).

واختلف العلماء في القرية فقيل : هي أنطاكية كما روي عن ابن عباس أو الابلة أو هي الناصرة واليها تنسب النصارى فكانوا لا يضيفون أحد قط ولا يطعمون غريباً ("اسْتطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهمَا") وكانا جائعين(٤١).

يقول فضيلة الشيخ الشعراوي قوله : "استطعما أهلها" استطعم أي طلب الطعام , وطلب الطعام هو أصدق أنواع السؤال , فلا يسأل الطعام إلا جائع محتاج , فلو سأل مالا لقلنا : إنه يذخره , إنما الطعام لا يعرض عليه احد , ومنع الطعام عن سائله دليل بخل ولوم متأصل في الطباع .

وهذا ما حدث من أهل القرية التي مرا بها وطلبا الطعام فمنعوهما, والمتأمل في الآية يجد أن اسلوب القران يصور مدى بخل هؤلاء القوم ولومهم وسوء اطباعهم.

("فوَجَدَا فِيهَا جِدَارا يُرِيد أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَه") أي: وبعد أن امتنع أهل القرية عن استضافتهما , تجولا فيها فوجدا فيها جدارا, أي : بناء مرتفعا يريد أن يهدم ويسقط ,يتفتت فيصير حصاة , فأقامه أي الخضر بأن سواه واعاد إليه

اعتداله(٤٢).وقد كان موسى "عليه السلام" يشعر بالتعب والجوع ، والأهم من ذلك ، انه كان يشعر بأن كرامته وكرامة استاذه قد اهينت من اهل هذه القرية التي ابت ان تضيفهما .

من جانب آخر شاهد كيف ان الخضر قام بترميم الجدار بالرغم من سلوك اهل القرية القبيح إزاءهما وكان بذلك اراد أن يجازي أهل القرية بفعالهم السيئة .

وهنا لم يتمالك النبي موسى "ع" مشاعره , لأنه وجد نفسه امام حالة متناقضة , قوم بخلاء أشحاء لا يستحقون العون , ورجل يتعب نفسه في إقامة حائط مائل لهم , هلا طلب منهم أجرا على هذا العمل الشاق , خصوصا وهما جائعان لا يجدان مأوى لهما في تلك القرية . لذا بادر موسى "ع" ليقول للخضر "لو شئت لأتخذت عليه أجرا" الجملة الكريمة تحريض من موسى للخضر على اخذ الاجر على عمله , ولوم له على ترك هذا الأجر مع انهما في اشد الحاجة إليه(٤٣).

"يقول الامام الرازي :واعلم أن ذلك العالم لما فعل ذلك, وكانت الحالة حالة اضطرار وافتقار إلى الطعام فلأجل تلك الضرورة نسي موسى ما قاله من قوله , إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني"(٤٤).

وقوله تعالى ("قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا")(٤٥).

أي قال الخضر لموسى "عليهما السلام" بعد أن اعترض عليه لهدمه الجدار ثم بنائه لقوم بخلاء: حان لي فراقك وفقا لتعهدك، ولكني قبل الفراق سأنبئك بتفسير ما قمت به من أعمال استدعت اعتراضك عليها ، لتدرك بواعث وأهداف هذه التصرفات ولكنك تعجلت في الحكم عليها دون أن تدرك أسبابها وتقف على بواعثها(٤٦).

المبحث الثالث: توضيح الخضر للمواقف التي قام بها

المطلب الأول: توضيح الخضر لظاهرة خرق السفينة

روي أن موسى (عليه السلام). لما عزم الخضر على مفارقته أخذ بثيابه , وقال : لا أفارقك حتى تخبرني بم أباح لك فعل ما فعلت , فلما التمس ذلك منه أخذ في البيان والتفصيل فقال الخضر لموسى "عليه السلام" ان السفينة التي خرقتها لأعيبها فكانت مملوكة لضعفاء ايتام ليس لهم شيء ينتفعون به غيرها ، ولا يقدرون دفع من اراد ظلمهم ، وكانوا يكرون تلك السفينة لركاب البحر ويأخذون الأجرة ، فأردت بخرقها ونزع لوح منها أن اعيبها ، لان كان امامهم ملك جبار ظالم يستولي على كل سفينة صالحة غير معيبة ، ويغتصبها ظلماً وعدواناً دون وجه حق ، فكان عملي حماية لهذه السفينة لأصحابها الضعفاء ، فأنا لم أعمل سوءاً ، وانما ارتكبت اخف الضررين لدفع اعظمهما(٤٧).

رد علية موسى(عليه السلام). معتذرا لما فرط منه وقال : لا تؤاخذني ايها العبد الصالح بما نسيت. أي بسبب نسياني لوصيتك في ترك السؤال والاعتراض حتى يكون لي منك البيان، ولا تزهقني من أمري عسراً، أي : لا تكلفني من أمري مشقة في صحبتي إياك , والمراد التمس لي عذرا بسبب النسيان , فأن في هذا التضييق ما يحول بيني وبين الانتفاع بعلمك , وكأن موسى (عليه السلام). الذي اعتزم الصبر وقدم المشيئة ، ورضى بشروط الخضر في المصاحبة" , كأنه قد نسى كل ذلك أمام المشاهدة العملية , وأمام التصرف الغريب الذي صدر من الخضر دون أن يعرف له سببا , وهكذا الطبيعة البشرية تلتقي في أنها تجد للتجربة العملية وقعا وطعما , يختلف عن الواقع والطعم الذي تجده عند التصور النظري(٤٨).

المطلب الثاني: توضيح الخضر لظاهرة قتل الغلام

وأما الولد الغلام الذي قتله وكان اسمه "شمعون" فأنه كان كافراً ، قد أطلعني الله على مستقبله ، وكان أبواه مؤمنين فخشينا أن صار كبيراً أن يحملهما حبه على متابعته في الكفر والوقوع في الظلم والعصيان والمنكرات لأن حب الولد غريزة ، وهذا من قبيل سد الذرائع وفتحها فان كل ما كان وسيلة الى المصلحة فهو مصلحة(٤٩).

قيل: إن ذلك الغلام كان بالغا وكان يقطع الطريق ويقدم على الأفعال المنكرة , وكان أبواه يحتاجان إلى دفع شر الناس عنه والتعصب له وتكذيب من يرمه بشيء من المنكرات وكان يصير ذلك سببا لوقوعهما في الفسق .

وقيل: إنه كان صبيا إلا أنه علم منه أنه لو صار بالغا لحصلت فيه هذه المفاسد والخلاف في بلوغه أو صغره , في الحديث: أن ذلك الغلام طبع يوم طبع كافرا، وهذا يؤيد ظاهره أنه كان غير بالغ، ويحتمل أن يكون خبرا عنه، مع كونه بالغاً(٥٠).

"قال فضيلة الشيخ الشعراوي : الغلام الولد الذي لم يبلغ الحلم وسن التكليف، وما دام لم يكلف فما يزال في سن الطهارة والبراءة من المعاصي؛ لذلك لما اعترض موسى على قتله قال(أقتلْت نَفْساً زَكِيَّة)(٥١). أي طاهرة، ولا شك أن أخذ الغلام في هذه السن خَيْر له ومصلحة قبل أن تلوثه المعاصي، ويدخل دائرة الحساب(٥٢).

وكثيراً ما يكون الأولاد فتنة للآباء، كما قال تعالى ("يا أيها الذين آمنوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدوا لَّكُمْ فاحذروهم")(٥٣).

"والفتنة بالأولاد تأتي من حرص الآباء عليهم، والسعي إلى جعلهم في أحسن حال، وربما كانت الإمكانات غير كافية، فيضطر الأب إلى الحرام من أجل أولاده، وقد علم الحق سبحانه وتعالى أن هذا الغلام سيكون فتنة لأبويه، وهما مؤمنان ولم يرد الله تعالى لهما الفتنة، وقضى أن يقبضهما إليه على حال الإيمان"(٥٤).

ان الله تعالى قد علم ان ابويه لا يثنيان على الايمان الا بقتل هذا الغلام , فنحيت وجه الوجوب في القتل(٥٥).

أي هناك دلالة على أنه يجوز دفع الشر الكبير بارتكاب الشر الصغير ويراعي أكبر المصلحتين , بتفويت أدناهما , فإن قتل الغلام شر , ولكن بقاءه حتى يفتن أبويه عن دينهما , أعظم شرا منه , ولو بقي كان فيه هلاكهما , وبقاء الغلام من دون قتل وعصمته, , إن كان يظن أنه خير , فالخير ببقاء دين أبويه , وإيمانهما خير من ذلك, فلذلك قتله الخضر , فليرض المرء بقضاء الله , فأن خفاء الله للمؤمنين فيها يكره ضجر له من خفائه فيما يحب(٥٦).

المطلب الأول: توضيح الخضر لظاهرة إعادة بناء الجدار

وأما الحائط الذي أصلحته ، فكان لولدين صغيرين يتيمين في قرية هي انطاكية وكان تحته كنز ، أي مال جسيم مدفون ، وكان أبوهما هو الاب السابع رجلاً صالحاً، فأراد الله ابقاء ذلك الكنز (وكان مالاً) مدفون حفظاً لهما ولصلاح ابيهما فأمرني ربي بإصلاح ذلك الحائط ، اذ لو سقط لأكتشف وأخذ ، واراد الله أن يبلغ الغلامان كمالهما ويتمان نموهما ، ويستخرجا الكنز من ذلك الموضع الذي عليه

الجدار ، رحمة لهما ، بصلاح أبويهما(٥٧).

فالخضر تصرف في شأنها عن إرادة الله باليتيمين جزاء لأبيهما على صلاحه، إذ علم الله أن أباهما كان يهمه أمر عيشهما بعده، وكان قد أودع تحت الجدار مالا، ولعله سأل الله أن يلهم ولديه عند بلوغ أشدهما أن يبحثا عن مدفن الكنز تحت الجدار بقصد أو بمصادفة، فلو سقط الجدار قبل بلوغهما لتناولت الأيدي مكانه بالحفر ونحوه فعثر عليه عاثر ، فذلك أيضا لطف خارق للعادة(٥٨).

وهذان الغلامان صغيران، بقرينة وصفهما باليتم، وقد قال(صلى الله عليه وآله وسلم). لا يتم بعد بلوغ(٥٩)."هذا الظاهر، وقد يحتمل أن يبقى عليهما اسم اليتم بعد البلوغ أي كانا يتيمين على معنى التشقق عليهما، واختلف الناس في الكنز : فقال عكرمة وقتادة كان مالا جسيما، وقال ابن عباس كان علما في صحف مدفونة ، وقيل : مال مدفون من ذهب وفضة، والظاهر لإطلاقه أنه مال ولأن الكنز إذا أطلق إنما ينصرف إلى كنز المال، ويجوز عند التقييد لكنز العلم، يقال: عنده كنز علم، وهذا اللوح كان جامعاً لهما" .وقيل: لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن، وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب، وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها، وفِي اللُّغَةِ "أَنَّ الْكَنْزَ إِذَا أُفْرِدَ فَمَعْنَاه الْمَالُ الْمَدْفُون، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ مَالًا قِيلَ: كَنْزُ عِلْمٍ وَكَنْزُ فَهْمٍ"(٦٠).

تظهر الدلالة القرآنية في الآيات الكريمة فنجد في خرق السفينة إرادة مطلقة

للإنسان، ومشيئة خالصة له، يتصرف بها كيف يشاء هكذا فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وفي قتل الغلام تبدو مشيئة الإنسان

مختلطة مع مشيئة الله داخلة فيها هكذا فَخَشِينا"، "فَأَرَدْنا" فهذا الضمير يشير إلى أن العبد الصالح ليس وحده هنا، وإنما هو مع مشيئة مشيء، وإرادة مريد، وفي إقامة الجدار يتجرد العبد الصالح من كل مشيئة وإرادة، إنه هنا ليس أكثر من أداة منفذة لمشيئة الله عاملة بإرادته وهكذا الإنسان في هذه الحياة، وفي كل ما يأخذ أو يدع من أمورها(٦١).

يقول ابن كثير : هذا تفسير ما ضقت به ذرعا ولم تصبر حتى أخبرك به ابتداء ولما أن فسره له وبينه ووضحه وأزال المشكل قال ما لم تسطع وقبل ذلك كان الإشكال قويا ثقيلا فقال سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا فقابل الأثقل بالأثقل، والأخف بالأخف، كما قال تعالى ("فما اسطاعوا أن يظهروه وهو الصعود إلى أعلاه، وما استطاعوا له نقبا")(٦٢).

وهو أشق من ذلك، فقابل كلا بما يناسبه لفظا ومعنى والله أعلم(٦٣).

المبحث الرابع: الفوائد المستوحاة من القصة

أن قصة موسى والعبد الصالح من عجائب القرآن الكريم، ولطائفه التعبدية، وجميل القصص القرآني، فالقصة تعطينا دروساً وعبر للتعلم والإفادة، اشتملت على الكثير منها: السعي في طلب العلم والتواضع من أجل تعلمه، والصبر عند طلب العلم وتحمل السفر لأجله، واصطحاب من يستأنس بهم عند الحاجة، واشتملت أيضاً على كيفية تعلم الأكبر والأعلم من الأصغر، والأقل منه درجة، فموسى "عليه السلام" كليم الله، ومع كثرة علمه يؤمر أن يصطحب الخضر للتعلم، تدل على أن التواضع خير من العجب والكبر، وأن فوق كل علم عليم .

المطلب الاول: توضيح مكانة العلم والعالم والمتعلم

"أن موسى قد راعى في مخاطبته للخضر أسمى ألوان الأدب اللائق بالأنبياء "عليهم الصلاة والسلام" حيث خاطبه بصيغة الاستفهام الدالة على التلطف، وحيث أنزل نفسه منه منزلة المتعلم من المعلم، استأذنه في أن يكون تابعاً له، ليتعلم منه الرشد والخير, قال بعض العلماء في هذه الآية دليل على أن المتعلم تبع للعالم، وإن تفاوتت المراتب، وهنا يؤخذ من الآية الكريمة جواز التعاقد على تعليم القرآن والعلم، كما في حديث تزوج المرأة التي عرضت نفسها على النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، فلم يقبلها، فزوجها من رغب فيها على أن يعلمها ما معه من القرآن"(٦٤).

قال ابن عطية في تفسيره وعلمناه من لدنا علما كان علم الخضر علم معرفة بواطن الأمور وأسرارها الخفية التي قد أوحيت إليه، لا تعطى ظواهر الأحكام أفعاله بحسبها, بينما كان علم موسى "عليه السلام" هو علم ظواهر الأحكام والفتيا بظاهر أفعال الناس وأقوالهم، أي: كان علم الخضر بأحكام وقائع مفصلة هو معرفة القدر، وحكم نوازل معينة لا مطلقا بدليل قول الخضر لموسى "عليه السلام" ("إنك على علم علمه الله لا أعلمه، وأنا على علم علمني لا تعلمه أنت، وعلى هذا فيصدق على كل واحد منهما أنه أعلم من الآخر بالنسبة إلى ما يعلم كل واحد منهما، ولا يعلمه الآخر")(٦٥). وكان علم موسى هو معرفة الشريعة, بينما علم الخضر هو معرفة القدر.

المطلب الثاني: فهم وتعلم الصبر

يسعى الإنسان إلى العلم والمعرفة، والاطلاع، لمعرفة الكثير عن الحياة وما يتعلق بها، لن يستطيع الإنسان الوصول إلى هذه المعرفة إلا من خلال وضع القواعد الأولية للمعرفة والعلم أول هذه القواعد الصبر، فالعلم يحتاج إلى الصبر للوصول على المعرفة، يتضح ذلك من خلال قول سيدنا الخضر عليه السلام للنبي موسى(عليه السلام) : ("وَكَيْف تَصْبِر على ما لم تحط به خبراً")(٦٦). "بيان لعدم استطاعته الصبر معه، والمعنى وكيف تصبر يا موسى على أمور ستراها هذه الأمور ظاهرها أنها مذكرات لا يصح السكوت عليها، وباطنها لا تعلمه؛ لأن الله لم يطلعك عليه؟ فالخبر هنا معناه العلم يقال: خبر فلان الأمر يخبره أي علمه، والاسم الخبر، وهو العلم بالشيء، ومنه الخبير، أي العالم، وكان الخضر يريد بهذه الجملة الكريمة أن يقول ي قال موسى للخضر ستجدني إن شاء الله صابراً معك، غير معترض عليك، ولا أعصى لك أمراً من الأمور التي تكلفني بها وقدم موسى (عليه السلام) المشيئة، أدبا مع خالقه عز وجل واستعانة به سبحانه على الصبر، وعدم المخالفة". ولكن موسى (عليه السلام). الحريص على تعلم العلم

النافع، يصر على مصاحبة الرجل الصالح، فيقول له في لطف وأدب، مع تقديم مشيئة الله تعالى : (”سَتَجِدنِي إِنْ شاء اللَّه صابراً وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْراً“)(٦٧).أي قال موسى للخضر سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ الله صابراً معك، غير معترض عليك، ولا أعصى لك أمراً من الأمور التي تكلفني بها وقدم موسى(عليه السلام) المشيئة، أدبا مع خالقه عز وجل واستعانة به سبحانه على الصبر، وعدم المخالفة.

وأن من ليس له قوة الصبر على صحبة العالم والعلم , وحسن الثبات على ذلك , انه يفوته بحسب عدم صبره كثيرا عن العلم , فمن لا صبر له الا يدرك العلم , ومن استعمل الصبر ولازمه , ادرك به كل امر سعى فيه(٦٨).

المطلب الثالث: المتعلم لابد أن يلتزم بشروط المعلم

كان اشتراط سيدنا الخضر على سيدنا موسى يدل على وضع الأمور في نصابها؛ لكي يدرك موسى – عليه السلام قيمة الأمر المقبل عليه، وتعميقا لهذا الأمر في نفسه، فاشترط عليه صاحبه ما اشترط، وأول هذه الشروط عدم السؤال عن أي شيء إلا إذا حدثه عنه سيدنا الخضر (عليه السلام) ، فقال : ” قال فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْتَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذكراً“، أي: قال الخضر لموسى على سبيل التأكيد والتوثيق يا موسى إن رافقتني وصاحبتني، ورأيت مني أفعالا لا تعجبك؛ لأن ظاهرها يتنافى مع الحق، فلا تعترض عليها، ولا تناقشني فيها، بل اتركني وشأني، حتى أبين لك في الوقت المناسب السبب في قيامي بتلك الأفعال، وحتى أكون أنا الذي أفسره لك، قالوا: وهذا من الخضر تأديب وإرشاد لما يقتضى دوام الصحبة، فلو صبر موسى ودأب لرأى العجب ”(٦٩).

وأن الحقيقة في اعتراض النبي موسى ”عليه السلام“ على الخضر ”عليه السلام“، كما اتضح مما سبق، بل كان السبب في ذلك هو الأمر الإلهي والتكليف الشرعي. ولأجل ذلك طلب منه أن لا يؤاخذه بالاعتراض، والسؤال.. وهو المدلول عليه بكلمة ”ما“ في قوله: ”بما نسيت“(٧٠).

أي أن ثمة شيئاً كان الخضر ”عليه السلام“ قد طلبه من النبي موسى ”عليه السلام“ وهو: ”أن لا يسأله عن شيء حتى يحدث له منه ذكراً“ وقد أزال النبي موسى ”عليه السلام“ هذا الأمر من ذاكرته، وتركه، وأبعده عن مخيلته، فأصبح منسياً عنده بصورة عمدية، فرضها هو على نفسه، بعد أن ورد عليه أمر أهم منه،

متضمن لتكليف إلهي بأن لا يلتفت إلى شيء، بل عليه أن ينشغل . فقط . بمعالجة ما ظهر في فعل الخضر ”عليه السلام“ من مخالفة لظاهر الشريعة.

المطلب الرابع: مسألة العلم ”علم مكتسب او علم لدني من الله“

أن العلم يقسم إلى : علم مكتسب يدركه الإنسان باجتهاده وتحصيله بعد عون الله له، وعلم لدني يهبه الله لمن شاء من عباده (”وعلمناه من لدنا علما“)(٧١).ان على المتعلم أن يخفض جناحه للمعلم، وأن يخاطبه بأرق العبارات وألطفها، حتى يحصل على ما عنده من علم (”هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا“) لا بأس للعالم أن يعتذر للمتعلم عن تعليمه؛ إذا لمس المعلم من المتعلم أنه لا يطيق تحمل العلم الذي يعلمه (”إنك لن تستطيع معي صبرا“)(٧٢).

قال الخضر لموسى(عليه السلام) (”أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا, قال: يا موسى :إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه, وأنت على علم من علم الله علمك الله, لا أعلمه, يريد علم الظاهر“)(٧٣). أعلم ان الخضر (عليه السلام). صورة اسم الله الباطن ومقامة مقام الروح وله الولاية والغيب واسرار القدر وعلوم الهوية والآنية والعلوم الدينية. اما موسى(عليه السلام) فهو صورة اسم الله الظاهر ومقامة مقام القلب وله علوم الرسالة والنبوة والتشريع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحكم بالظاهر ولذلك كانت معجزات في غاية الوضوح والظهور(٧٤).

رأي الباحث : ”هذه القصص التي أخبر الله عزوجل نبيه محمد ”صل الله عليه واله وسلم“ بها عن موسى وصاحبه ، تأديب منه له ، وتقدم اليه الاستعجال بعقوبة المشركين الذين كذبوه واستهزأوا به وبكتابه ، بما قد يجري مثله احياناً لأوليائه، فإن تأويله صار بهم الى أحوال اعدائه فيها ، كما كانت افعال صاحب موسى ”عليه السلام“ واقعة بخلاف

الصحة في الظاهر عند موسى "عليه السلام" اذ لم يكن عالماً بعقوبتها ، وهي ماضية على الصحة في الحقيقة وآيلة الى الصواب في العاقبة" .

وان في هذه القصة حكمة مهمة بأن الله يستر جميع الحقائق المخبئة وراء الافعال الموجودة بين يدي الناس ولو كان خطأ في الظاهرة . فجعل قلبه صخراً ولا يستطيع ان يصبر ليشهد تلك الحالة . وان الحوار بين موسى والخضر يكون من السياق العاطفي والسياق الموقفي والمعنى القياسي.

الخاتمة:

الحمد لله الذي يسر لي اتمام هذا البحث ، والذي ذكرت فيه جوانب عديدة من قصة موسى مع الخضر ، بدأ الرحلة للبحث عن الخضر ، ثم اللقاء وما تم فيه من حوار وشروط ، ثم الانطلاق في الرحلة وتوالي الاحداث الثلاثة : خرق السفينة ، قتل الغلام ، وبناء الجدار ، بعد ذلك الدروس المستفادة من هذه الرحلة .

واذ بلغت نهاية هذا البحث فان من المناسب أن أذكر أهم النتائج التي توصلت اليها من خلال هذا البحث :

١ .الحاجة الماسة الى العلم ، واهمية تكوين الدعاء للقيام بمهمة الدعوة على بصيرة ومعرفة ، وان استلزم الأمر الى الرحلة والسفر لأجل ذلك . . افضل العلم وادومه ، وهو ما يسترشد به الانسان ويدعوه الى الحق والرشاد ، لا الى الغي والضلال .

٢ .صلاح العبد لنفسه ، جذور لنبت ، تمتد اغصانها حتى تصل ثمارها الى اولاده من بعده .

وقبل ان اختم هذا البحث اوصي بعدة وصايا :

١ . اوصي نفسي وكل مسلم ، بأن يتخذ له مسلكاً يلتمس به علماً نافعاً ، وان يداوم على ذلك .

٢ .اوصي كل داعية الى الله بأن يسير ويتبع الرسل في منهجهم في الدعوة وفي طلب العلم .

٣ .اوصي بالتأني وعدم العجلة في الحكم بالأمور قبل التثبت منها .

٤ . اوصي بالصبر على اقدار الله المؤلمة ، والنظر اليها بعين التفاؤل ، فكم من محنة صارت منحة ، وكم من منحة انقلبت الى محنة .

هذا فما كان فيها من صواب وحق فهو من الله وحده ، وما كان فيها من خطأ فمن نفسي والشيطان والله ورسوله منهما بريئان والله اعلم .

الهوامش:

(١)البدء والتاريخ , لمطهر بن طاهر المقدسي ,٧٨\٣.

(٢) نوفا البكالي , هو نوف بن أبي فضالة البكالي.

(٣) مكتل , اجتماع الماء في البئر

(٤) صحيح البخاري ,كتاب التفسير , باب حديث ابن عباس , رقم الحديث ٤٣٥٦.

(٥)عماد الدين أبي الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي , البداية والنهاية , ٣٤٤\١

(٦)التحرير والتنوير , محمد الطاهر بن عاشور , ١٥٠\١٥

(٧) صحيح البخاري ,كتاب التفسير , باب حديث الخضر , رقم الحديث , ٢٥٧٠

(٨) صحيح مسلم , رقم (٤٣٨٥) , باب من فضائل الخضر

(٩) النكت والعيون , أبو الحسن علي بن محمد الماوردي ٧٧.

(١٠) سورة الكهف الآية ٦٠

(١١) التحرير والتنوير , محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي , ١٥ \ ٣٧٢

(١٢) تفسير المراغي ,أحمد بن المصطفى المراغي, ١٧٣\١٥.

(١٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني, ابو الثناء الألوسي , ٢٥٠\١٥

(١٤)كتاب البداية والنهاية, ابي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي, ١\٢٩٦

(١٥) تفسير القاسمي , محمد جمال الدين بن محمد القاسمي , ٧\٤٧

(١٦) ينظر: القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور , عبد الكريم الخطيب , ١\١٢٥

(١٧) المصدر نفسة ص١١٨

(١٨) سورة الكهف ,الآية ٥٦

(١٩) القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور , عبد الكريم الخطيب , ١\١٢٦

(٢٠) تفسير القران العظيم , ابي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي , ٣\٩٣

(٢١) المنتظم في تاريخ الامم والملوك , جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي , ١\٤٣٢

(٢٢) أحمد الصاوي المالكي ,حاشية الصاوي علي تفسير الجلالين ٣\ ١٧-١٨

(٢٣) روح المعاني ، ابو الثناء الالوسي ، ٦١/ ٢١.

(٢٤) الميزان في تفسير القرآن ، الطبطبائي ، ص ٨٧٢

(٢٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير, ٣٩/٣

(٢٦) تفسير المراغي ، احمد مصطفى المراغي، ٤٤٢/٥١

(٢٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير المنان، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ٥١٦/٦١

(٢٨) بحر العلوم، ابو الليث نصر بن محم د بن احمد السمرقندي ، ٥٥٣/٢

(٢٩) صحيح البخاري ,كتاب الشروط , ٥\١٣٩

(٣٠) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد, ابو الحسن الشافعي , ٣\١٥٨.

(٣١) تقريب القران الى الأذهان , الحسيني الشيرازي, ٣\٢٠٨.

(٣٢) سورة الكهف آية٧٣.

(٣٣) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القران ,محمد الامين بن عبدالله العلوي الشافعي , ١٦\٤٤٨.

(٣٤) مجمع البيان في تفسير القران , أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي , ١٥\٣٦١.

(٣٥) سورة الكهف الآية :٧٤

(٣٦) سورة الكهف الآية :٧٥

(٣٧) تيسير القران الرحمن في تفسير كلام المنان , الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي , ص٥٦١

(٣٨) التفسير الكبير , للفخر الرازي , ١٢\٤٨٧

(٣٩) سورة الكهف الآية: ٧٧

(٤٠) التفسير الوسيط للقران الكريم , الطنطاوي , ٨\٥٥٧-٥٨٨.

(٤١) تفسير بيان السعادة , الحاج سلطان محمد الجنابذي , ٢\٤٧٦

(٤٢) ينظر: التفسير الوسيط , الواحدي , ٣\١٦٠

(٤٣) التفسير الوسيط , الطنطاوي ٨\٥٥٨

(٤٤) التفسير الكبير , الرازي , ٢١\٤٨٨-٤٨٩

(٤٥) سورة الكهف الآية: ٧٨

(٤٦) تفسير حدائق الروح والريحان في راوبي علوم القران , ١٧\١٢

(٤٧) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج , وهبة الزحيلي , ٨\٣٣٧

(٤٨) التفسير الوسيط , محمد سيد طنطاوي . ٨\٥٥٥

(٤٩)التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج , وهبة الزحيلي, ص ٣٣٧-٣٣٨

(٥٠) مفاتح الغيب , الرازي , ٢١\٤٩١

(٥١) سورة الكهف الآية :٧٤

(٥٢) ينظر:تفسير الشعراوي , ١٤\٨٩٧٠

(٥٣) سورة التغابن الآية :١٤

(٥٤) ينظر: تفسير الشعراوي , ١٤\٨٩٧٠

(٥٥) مجمع البيان في تفسير القران , امين الامة ابي الفضل بن الحسن الطبرسي , ص٣٦٨

(٥٦)تفسير القران العظيم , ابي الدرداء اسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي , ط١ , ٣\٩٠

(٥٧)التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج , وهبة الزحيلي , ص٣٣٨

(٥٨)التحرير والتنوير , محمد الطاهر بن عاشور التونسي , ١٦\١٤

(٥٩)صحيح مسلم , ٣\١٤٤٤

(٦٠)المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز , ٣\٥٣٦-٥٣٧

(٦١) ينظر: التفسير القرآني للقران , عبد الكريم يونس الخطيب, ٨\٦٧١

(٦٢) سورة الكهف الآية :٩٧

(٦٣) تفسير ابن كثير , ٥\١٨٨

(٦٤) التحرير والتنوير , الطاهر بن عاشور ,١٥\٣٧٠

(٦٥) ينظر: المحرر الوجيز , ابن عطية , ٣\١٢٣

(٦٦) سورة الكهف الآية: ٦٨

(٦٧) سورة الكهف الآية: ٦٩

(٦٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير المنان , عبد الرحمن السعدي , ص٥٦٣

(٦٩) تفسير القرطبي , القرطبي ,١١\١٨

(٧٠) سورة الكهف الآية: ٧٣

(٧١) سورة الكهف الآية: ٦٥

(٧٢) سورة الكهف الآية: ٦٧

(٧٣) تفسير الثعالبي ,الجواهر الحسان في تفسير القرآن الكريم, ١/٥٣٥

(٧٤) الفتوحات المكية، محيي الدين عربي، النشر مكتبة المصطفى الإلكترونية ج١ , ٣٢

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.....

١. ابن كثير, ابي الفداء الحافظ ابن كثير ,(١٩٩١):تفسير القرآن العظيم ، ط٢، المكتبة العلمية, بيروت.

٢. أبو الحسن, مسلم بن الحجاج,(١٩٩١): صحيح مسلم , ط١, دار إحياء التراث العربي , بيروت .

٣. أبي الدرداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي,(٢٠٠٩)تفسير القرآن العظيم ,ط ١، دار الغد الجديد ،القاهرة.

٤. الأشقر, عمر سليمان,(١٩٩٧): صحيح القصص النبوي, ط١, دار النفاس, الاردن.

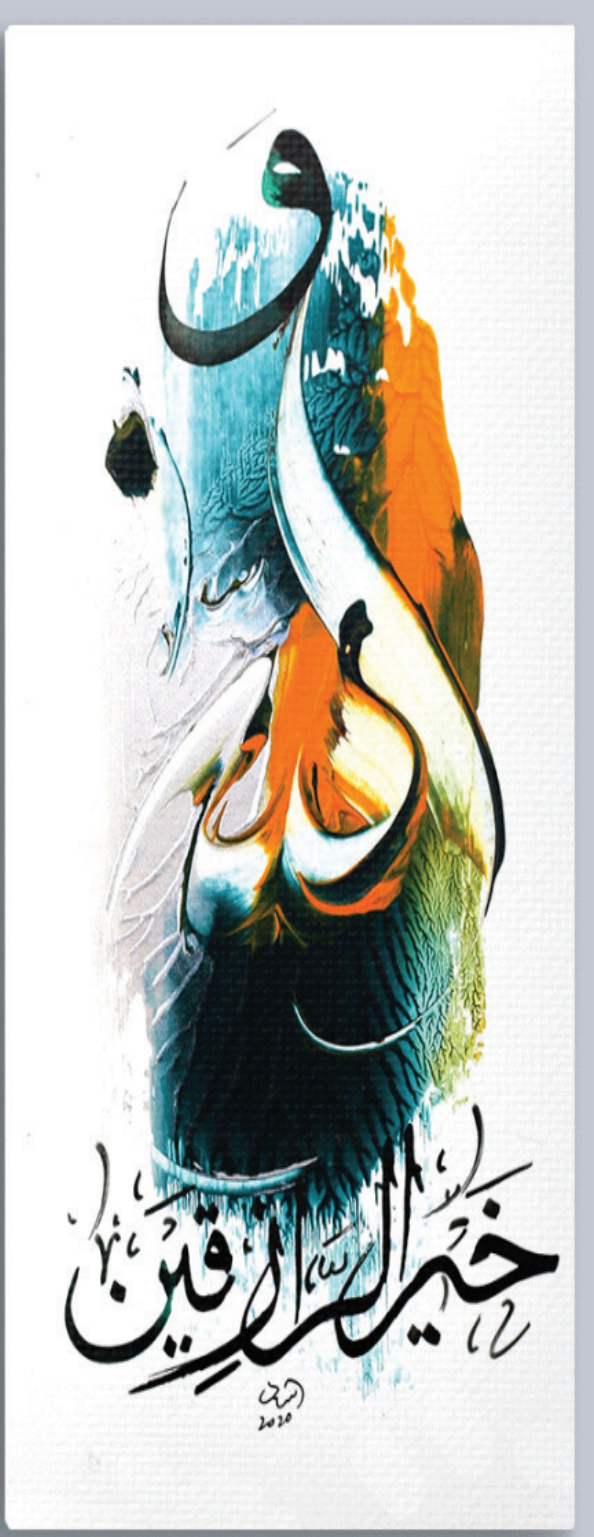
٥. الأشقر, محمد سلمان عبدالله, (١٩٩٥): معجم علوم اللغة العربية, ط١ ,مؤسسة الرسالة, بيروت.

٦. الاصفهاني, الراغب,(د س):المفردات في غريب القرآن, دار القلم , دار الشامية, دمشق, بيروت .

٧. الالوسي, ابو الثناء, (١٩٨٥):روح المعاني، ط ٤, دار احياء التراث العربي، بيروت.

٨. البيضاوي, الإمام ناصر الدين,(٢٠٠٨): تفسير البيضاوي المسمى انوار التنزيل واسرار التأويل ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

٩. الثعالبي, عبد الرحمن بن محمد,(١٩٩٧): الجواهر الحسان في تفسير القرآن الكريم, تحقيق الشيخ محمد علي عوض ,ط١, النشر دار إحياء التراث العربي, بيروت.
١٠. الجنابذي ,السلطان سلطان محمد,(١٩٨٨): تفسير بيان السعادة , ط ٢، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت.
١١. الخطيب, عبد الكريم, (١٩٨٤): القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور, ط١ ، مؤسسة دار الاصالة, بيروت.
١٢. الدوسري, منيرة محمد ناصر ,(٢٠٠٥):اسماء سور القرآن وفضائلها ، ط ١ ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية.
١٣. الرازي, محمد فخر الدين,(١٩٨١):التفسير الكبير، ط ١ ، دار الفكر ، لبنان .
١٤. الزبيدي, مرتضى محمد أبو الفيض,(١٩٩٣) تاج العروس من جواهر القاموس (د ط), دار الهداية , القاهرة .
١٥. الزحيلي, الدكتور وهبة,(٢٠٠٩):التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ط ١٠، دار الفكر, دمشق.
١٦. زيدان, عبد الكريم,(٢٠٠٥): المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.
١٧. السعدي, الشيخ عبدالرحمن بن ناصر, (٢٠٠٢):تيسير الكريم الرحمن في تفسير المنان ، ط٢, تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ،دار السلام, الرياض .
١٨. الشقفي, احمد بن ابراهيم بن الزبير,(٢٠٠٧):البرهان في تناسب سور القرآن , ط ١ ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية.
١٩. الشيرازي, السيد محمد الحسيني,(٢٠١١): تقريب القرآن الى الاذهان ، ط ١، دار العلوم ،بيروت.
٢٠. الشيرازي, الشيخ ناصر مكارم ,(٢٠٠٦): الامثل في كتاب الله المنزل، ط ٢، دار احياء التراث العربي, بيروت.
٢١. الصابوني, الشيخ محمد علي, (٢٠٠٩): صفوة التفاسير ، (ب ط) المكتبة العصرية ،بيروت .
٢٢. الصاوي, احمد ، (٢٠٠٤): حاشية الصاوي علي تفسير الجلالين، ط١ ، دار احياء الكتب العربية ,لبنان .
٢٣. الطبرسي, امين الامة ابي علي الفضل,(٢٠٠٥): مجمع البيان في تفسير القرآن، ط ١، دار ومكتبة الهلال ، بيروت.
٢٤. الطبطبائي, السيد محمد حسين,(٢٠٠٩): الميزان في تفسير القرآن ، ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، بغداد.
٢٥. طهماز, عبد الحمد محمد ,(١٩٨٧):العواصم من الفتن، ط ١، دار المنار ،١٤٠٧بيروت .
٢٦. العلوي, محمد الأمين بن عبدالله ,(٢٠٠١): تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن, ط١, دار طوق النجاة , بيروت – لبنان
٢٧. القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد,(٢٠٠٦), الجامع لأحكام القرآن,ط١, تحقيق: الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي,ج١, مؤسسة الرسالة, بيروت.
٢٨. الماوردي, ابو الحسن علي بن محمد ,(د س):النكت والعيون، تحقيق : السيد بن عبد المقصود ، (د ط) ، دار الكتب العلمية, بيروت.
٢٩. المحاربي, ابو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن(٢٠٠١), ط١ , دار الكتب العلمية , بيروت .
٣٠. المراغي, احمد مصطفى,(٢٠٠٦): تفسير المراغي ، ط ٢ ،دار الكتب العلمية ,بيروت .
٣١. مصطفى مسلم واخرون, (٢٠١٠):التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ، ط ١، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي ، جامعة الشارقة ، الامارات العربية المتحدة.
٣٢. مغنية, محمد جواد ,(د س):التفسير الكاشف ، ط ٤ ، دار الانوار، بيروت ، لبنان .
٣٣. المقدسي, المطهر بن مطهر, (١٩٦٢): البدء والتاريخ , ط١ ,ج٣, مكتبة الأسدي, إيران.
٣٤. المؤلف مجمع اللغة العربية,(٢٠٠٨): المعجم الوسيط , باب القاف , ط٤, مكتبة الشروق الدولية , القاهرة.
٣٥. النحاس، ابو جعفر احمد بن محمد اسماعيل(١٩٨٩): معاني القرآن، تحقيق : محمد علي الصابوني ، ط ١ ، جامعة ام القرى ، مكة المكرمة.
٣٦. النسفي, ابي البركات عبدالله بن احمد,(٢٠٠٩): تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل، ط ١ ,المكتبة العصرية، بيروت .
٣٧. النيسابوري, ابو الحسن علي بن محمد, (١٩٩٤):الوسيط في القرآن المجيد ,ط١, دار الكتب العلمية , بيروت – لبنان.



السنة الثالثة جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م

العمليات العسكرية التي سبقت حصار الكوت في المدونات البريطانية للمدة ٦ تشرين الثاني ١٩١٥– ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٥

م. م. كريم خفيف صندل سعيد
جامعة واسط/كلية التربية



المستخلص:
على الرغم ما شهدته المنطقة من زيادة في حدة التنافس بين بريطانيا والمانيا على الامبراطورية العثمانية، أصبح من السعة والشمول بين الدولتين، فأن بريطانيا استطاعت أن تركز نفوذها في العراق بعلم وموافقة الدولة العثمانية وبرز ذلك في تقليص النفوذ الالماني في مد سكة حديد بغداد، التي كانت من نتائجه زيادة نفوذ بريطانيا داخل العراق، أملةً ما ستكون عليه المنطقة من اهمية في المستقبل، كما توضح ذلك عندما بدأت بريطانيا بإقامة المشاريع الزراعية الاروائية وتطوير الانتاج الزراعي. ولم يكن ذلك ايضاً بمعزل عن المصالح البريطانية في المنطقة، ومنها الانشطة التجارية التي انفردت بها بريطانيا لزيادة نفوذها في المنطقة، فضلاً عن عملها الدبلوماسي الذي كان له من القوة والتأثير الشيء الكثير، إلا أن الرأي الراجح في كل ذلك انصب العمل على وضع العراق تحت السيطرة البريطانية المباشرة.
تأكيداً لهذه الاهمية بدأت الجهات العسكرية البريطانية بوضع الخطط العسكرية لاحتلال جنوب العراق قبل اندلا ع الحرب العالمية الاولى، إذ قامت حكومة الهند بتشكيل لجنة رباعية منذ عام ١٩١١، لتقوم بدراسة الاجراءات التي يجب أن تتخذ لحماية مصالحها في جنوب العراق وتم التوجيه من قبل هذه اللجنة في تقريرها الذي صدر في ١٢ تشرين ١٩١٢ باحتلال الفاو والبصرة.
ومما اسهم في ذلك، أن التجارة البريطانية اخذت تواجه منافسة من النشاط التجاري الالماني في تلك المدة الذي بدأ يزداد يوما بعد آخر، مما عدته بريطانيا مخاطر محتملة وتحدياً لمصالحها في العراق.وممكن القول أن المخاوف البريطانية من النفوذ الالماني شكل عاملاً استراتيجياً على بقية العوامل في السياسة البريطانية اتجاه العراق للحفاظ على النفوذ البريطاني في العراق.
كان لقيام الحرب العالمية الاولى التي اندلعت في أوائل آب ١٩١٤ بين دول الوفاق ودول الوسط. الخطوة التي كانت تنتظرها بريطانيا لتنفيذ خططها واهدافها في المنطقة، وبصورة أدق للبدء في احتلال العراق والسيطرة عليه.

الكلمات المفتاحية: الحصار، الكوت، بريطانيا، العراق

Abstract:
Despite the region›s increasing intensity of rivalry between Britain and Germany over the Ottoman Empire, which had become more widespread and comprehensive between the two countries, Britain was able to consolidate its influence in Iraq with the knowledge and approval of the Ottoman Empire. This was evident in the reduction of German influence in the extension of the Baghdad Railway, which resulted in an increase in British influence within Iraq, signaling the region›s future importance, as demonstrated when Britain began establishing irrigation projects and developing agricultural production. This was also not isolated from British interests in the region, including the commercial activities that Britain pursued to increase its influence in the region, as well as its diplomatic efforts, which had considerable power and influence. However, the prevailing view in all of this was that the effort focused on placing Iraq under direct British control.
Confirming this importance, British military authorities began developing military plans to occupy southern Iraq before the outbreak of World War I. The Government of India formed a Quadripartite Committee in 1911 to study the measures that should be taken to protect its interests in southern Iraq. This committee issued a report on October 12, 1912, di-

recting the occupation of Al-Faw and Basra.
Contributing to this was the fact that British trade began to face competition from German commercial activity during this period, which began to increase day by day. Britain viewed this as a potential threat and a challenge to its interests in Iraq. It can be said that British fears of German influence constituted a strategic factor, over and above other factors, in British policy toward Iraq, aiming to maintain British influence there.
The outbreak of World War I in early August 1914 between the Entente and the Central Powers was the step Britain had been waiting for to implement its plans and objectives in the region, and more specifically, to begin the occupation and control of Iraq.

Keywords: Memory, Kut, Britain, Iraq

المقدمة:

على الرغم ما شهدته المنطقة من زيادة في حدة التنافس بين بريطانيا والمانيا على الامبراطورية العثمانية، أصبح من السعة والشمول بين الدولتين، فأن بريطانيا استطاعت أن تركز نفوذها في العراق بعلم وموافقة الدولة العثمانية وبرز ذلك في تقليص النفوذ الالماني في مد سكة حديد بغداد، التي كانت من نتائجه زيادة نفوذ بريطانيا داخل العراق، أملةً ما ستكون عليه المنطقة من اهمية في المستقبل، كما توضح ذلك عندما بدأت بريطانيا بإقامة المشاريع الزراعية الاروائية وتطوير الانتاج الزراعي. ولم يكن ذلك ايضاً بمعزل عن المصالح البريطانية في المنطقة، ومنها الانشطة التجارية التي انفردت بها بريطانيا لزيادة نفوذها في المنطقة، فضلاً عن عملها الدبلوماسي الذي كان له من القوة والتأثير الشيء الكثير، إلا أن الرأي الراجح في كل ذلك انصب العمل على وضع العراق تحت السيطرة البريطانية المباشرة.

مقابل ذلك نجد أن حكومة الهند على الرغم من مطامعها في العراق، وتعارض منح العراق الجنوبي للإدارة البريطانية تقديراً لمساعداتها العسكرية المستمرة لبريطانيا، إلا أنها فيما بعد وجدت من المناسب والضروري أن تكون البصرة وبغداد تحت النفوذ البريطاني خوفاً أو تلاشياً لما قد يحدث في المنطقة والجزيرة العربية من تطورات والذي قد يؤثر على بريطانيا وعلاقتها مع فرنسا، في الوقت الذي تحاول بريطانيا عقد نوع من المساومات بصيغة اتفاقية مع فرنسا في المنطقة لتحديد مراكز النفوذ وتعزيز مصالحها السياسية الاقتصادية على اعتبار أن وادي الرافدين اصبح مجالاً حيوياً لتلك المصالح.

تأكيداً لهذه الاهمية بدأت الجهات العسكرية البريطانية بوضع الخطط العسكرية لاحتلال جنوب العراق قبل اندلاع الحرب العالمية الاولى، إذ قامت حكومة الهند بتشكيل لجنة رباعية منذ عام ١٩١١، لتقوم بدراسة الاجراءات التي يجب أن تتخذ لحماية مصالحها في جنوب العراق وتم التوجيه من قبل هذه اللجنة في تقريرها الذي صدر في ١٢ تشرين ١٩١٢ باحتلال الفاو والبصرة.

شكلت مظاهر السياسة الالمانية في الدولة العثمانية واستمراريتها مخاوف وقلق شديد للسياسة البريطانية في المنطقة، ورافق ذلك كثرة الاحاديث في أورقة الحكومة البريطانية حول الضعف العثماني، الذي من الممكن مساعدة المانيا في زيادة تغلغلها في الدولة العثمانية، مما جعل البريطانيين يتحركون بسرعة والعمل على انتهاز الفرصة المناسبة لاقتطاع حصتهم من الدولة العثمانية، فيما أخذ الالمان التركيز على حماية الدولة العثمانية والمحافظة عليها.

ومما اسهم في ذلك، أن التجارة البريطانية اخذت تواجه منافسة من النشاط التجاري الالماني في تلك المدة الذي بدأ يزداد يوما بعد آخر، مما عدته بريطانيا مخاطر محتملة وتحدياً لمصالحها في العراق.وممكن القول أن المخاوف البريطانية من النفوذ الالماني شكل عاملاً استراتيجياً على بقية العوامل في السياسة البريطانية اتجاه العراق للحفاظ على النفوذ البريطاني في العراق.

كان لقيام الحرب العالمية الاولى التي اندلعت في أوائل آب ١٩١٤ بين دول الوفاق ودول الوسط. الخطوة التي كانت تنتظرها بريطانيا لتنفيذ خططها واهدافها في المنطقة، وبصورة أدق للبدء في احتلال العراق والسيطرة عليه.

العمليات العسكرية التي سبقت حصار الكوت في المدونات البريطانية

أصبح واضحاً أن السيطرة البريطانية على العراق واحتلاله ارتبطت منذ بدايتها نتيجة لحجم ثرواته الاقتصادية وفي مقدمتها النفط، وموقعه الاستراتيجي مما يفترض زيادة نفوذها ولغرض الحفاظ على مصالحها في العراق، فضلاً عن ذلك لغرض الحفاظ على مصالحها في المنطقة بالكامل (١).

وعلى الرغم ما شهدته المنطقة من زيادة في حدة التنافس بين بريطانيا والمانيا على الامبراطورية العثمانية، أصبح من السعة والشمول بين الدولتين، فأن بريطانيا استطاعت أن تركز نفوذها في العراق بعلم وموافقة الدولة العثمانية وبرز ذلك في تقليص النفوذ الالماني في مد سكة حديد بغداد، التي كانت من نتائجه زيادة نفوذ بريطانيا داخل العراق، أملةً ما ستكون عليه المنطقة من اهمية في المستقبل، كما توضح ذلك عندما بدأت بريطانيا بإقامة المشاريع الزراعية الاروائية وتطوير الانتاج الزراعي(٢). ولم يكن ذلك ايضاً بمعزل عن المصالح البريطانية في المنطقة، ومنها الانشطة التجارية التي انفردت بها بريطانيا لزيادة نفوذها في المنطقة، فضلاً عن عملها الدبلوماسي الذي كان له من القوة والتأثير الشيء الكثير(٣)، إلا أن الرأي الراجح في كل ذلك انصب العمل على وضع العراق تحت السيطرة البريطانية المباشرة(٤).

مقابل ذلك نجد أن حكومة الهند على الرغم من مطامعها في العراق، وتعارض منح العراق الجنوبي للإدارة البريطانية تقديراً لمساعداتها العسكرية المستمرة لبريطانيا، إلا أنها فيما بعد وجدت من المناسب والضروري أن تكون البصرة وبغداد تحت النفوذ البريطاني خوفاً أو تلاشياً لما قد يحدث في المنطقة والجزيرة العربية من تطورات والذي قد يؤثر على بريطانيا وعلاقتها مع فرنسا، في الوقت الذي تحاول بريطانيا عقد نوع من المساومات بصيغة اتفاقية مع فرنسا في المنطقة لتحديد مراكز النفوذ(٥) وتعزيز مصالحها السياسية الاقتصادية على اعتبار أن وادي الرافدين اصبح مجالاً حيوياً لتلك المصالح(٦).

وتأكيداً لهذه الاهمية بدأت الجهات العسكرية البريطانية بوضع الخطط العسكرية لاحتلال جنوب العراق قبل اندلاع الحرب العالمية الاولى، إذ قامت حكومة الهند بتشكيل لجنة رباعية منذ عام ١٩١١، لتقوم بدراسة الاجراءات التي يجب أن تتخذ لحماية مصالحها في جنوب العراق وتم التوجيه من قبل هذه اللجنة في تقريرها الذي صدر في ١٢ تشرين ١٩١٢ باحتلال الفاو والبصرة(٧).

وبعد قيام الحرب العالمية الاولى في آب ١٩١٤، وتعاطف الدولة العثمانية مع المانيا، بدأت بريطانيا تهيء قواتها العسكرية للحفاظ على مصالحها واحتلالها للخليج العربي. حيث مراكز النفط والتجهيزات وخطوط النفط التي لابد أن ستتعرض للتدمير، وكما ستتعرض المصالح البريطانية في البصرة وبغداد وهي الاخرى للتدمير والسيطرة عليها(٨).

دفعت تلك الرؤى الحكومة البريطانية الى ارسال قوات عسكرية بريطانية الى الخليج العربي في الثاني من تشرين الاول عام ١٩١٤.حيث صدرت الاوامر السرية الى لواء المشاة السادس عشر من الفرقة السادسة بالابحار من بومباي الى الخليج العربي وقد ضمت هذه الحملة بطاريتين من المدفعية الجبلية وما يتبعها من نقليات وخدمات صحية وغيرها، وكان عدد ضابطها (٩١) و(٩١٨) جنديا بريطانيا و(٨٢) ضابطا و(٢٦٤٠) جنديا هندياً و((٤٦٠) تابعاً، فضلاً عن (١٢) مدفعاً و(١٢٩٠) دابة وسميت الحملة (D) نسبة الى قائدها الجنرال ديلامين (Delamen)، وأسندت بقوة أخرى ترسل لاحقاً بقيادة السير ايرنر باريت(Baret) قائد الفرقة السادسة ويكون ملف الحمل تحت أدارة حكومة الهند بالكامل(٩)، وحددت واجباتها بالسيطرة على منطقة عبادان وحماية المصالح النفطية وخطوط الانابيب لكن سرعان ما تغير انزال تلك القوات من عبادان أو المحمرة الى البحرين بانتظار تعليمات جديدة، حيث تم تعيين السير برسي كوكس ضابطا سياسياً في الغزو المرتقب(١٠).

شكلت مظاهر السياسة الالمانية في الدولة العثمانية واستمراريتها مخاوف وقلق شديد للسياسة البريطانية في المنطقة، ورافق ذلك كثرة الاحاديث في أورقة الحكومة البريطانية حول الضعف العثماني، الذي من الممكن مساعدة المانيا في زيادة تغلغلها في الدولة العثمانية، مما جعل البريطانيين يتحركون بسرعة والعمل على انتهاز الفرصة المناسبة لاقتطاع حصتهم من الدولة العثمانية، فيما أخذ الالمان التركيز على حماية الدولة العثمانية والمحافظة عليها(١١).

ومما اسهم في ذلك، أن التجارة البريطانية اخذت تواجه منافسة من النشاط التجاري الالماني في تلك المدة الذي بدأ يزداد يوما بعد آخر، مما عدته بريطانيا مخاطر محتملة وتحدياً لمصالحها في العراق.وممكن القول أن المخاوف البريطانية من النفوذ الالماني شكل عاملاً استراتيجياً على بقية العوامل في السياسة البريطانية اتجاه العراق للحفاظ على النفوذ البريطاني في العراق(١٢).

لم يقتصر الامر على ذلك، فقد اشارت المس بيل بالقول:» أن المصالح البحرية والتجارية في الخليج العربي واهميتها السياسية لحكومة الهند، فرضت علينا مسؤوليات لا يمكن تغافلها وضرورة الانتباه لها في ضوء التطورات الدولية التي قد تبرز في مناطق النفوذ، وعزز من ذلك لقائنا مع الشيوخ العرب ورغبتهم بالتواجد البريطاني المباشر في المنطقة، أي وضع سياسات جديدة تتفق مع التنافسات الدولية في المنطقة وعدم فسح المجال للدول الاخرى في تقليص النفوذ البريطاني في المنطقة أو على اقل تقدير تقليصه بما يتوافق مع المصالح البريطانية في المنطقة(١٣).

كان لقيام الحرب العالمية الاولى التي اندلعت في أوائل آب ١٩١٤ بين دول الوفاق ودول الوسط(١٤). الخطوة التي كانت تنتظرها بريطانيا لتنفيذ خططها واهدافها في المنطقة، وبصورة أدق للتواجد البريطاني المباشر في المنطقة مع الاخذ بنظر الاعتبار الاحتمالات المتوقعة، والراجح أنها شعرت بأنها الاقرب الى اهدافها من غير الدول في ضوء قدراتها العسكرية. التي كانت تتصف بها في وقتها، بمعنى ايراد الاسباب المؤثرة في الحوادث التاريخية والدقة في ادراكها، سيما العسكرية، وهو المعنى الحقيقي للتدوين الحقيقي للتاريخ العسكري، على أن يرتبط بذلك عدم المبالغة في تشخيص درجة النجاح والتفوق على الآخرين وتقليل درجة الفشل(١٥)، والتي تحصل لقوات الدول التي تقوم باحتلال الدول الاخرى، وتحاول بنحو أو بآخر بأنها القوة التي لا تقهر متناسية الطرف المقابل وتوجهاتهم العسكرية أو الفرص التي من الممكن انتهازها، وكذا هو حصار الكوت وتطوراته، وهو ما أكده الفريق طونزن نفسه، عندما اشار على دور العراقيين في مقاومة الغزو البريطاني ومقارعة جنود الاحتلال اثناء دخول بريطانيا الى العراق وبعدها، بل كانوا يبثون القلق والاضطراب النفسي لدى الجنود وفي نفسي بنحو خاص(١٦).

١ – احتلال الفاو والبصرة والقرنة (٦ – ٢٢ تشرين الثاني، ٩ كانون الأول) ١٩١٤

كانت البداية الاولى للاحتلال البريطاني للعراق عندما صدرت الاوامر من قبل بريطانيا الى قواتها في الهند باحتلال البصرة في السادس من تشرين الثاني عام ١٩١٤، وقد تحركت هذه القوات من البحرين متوجهة نحو جنوب العراق، وكان الهدف الاول بحسب ما ادعى به البريطانيين(السبب الظاهري) حماية حقول النفط التي كانت تملكها بريطانيا لوحدها في (الاحواز)، الاقليم العراقي العربي السليب، وحماية مداخل الخليج العربي وطرق الملاحة فيه، وفي مقدمة ذلك الملاحة في شط العرب ونهر الكارون ويشير المصدر نفسه(١٧)، أن الحملة البريطانية على العراق، عدت من العمليات العسكرية التي كان يجب أن تنتهي بكارثة وسبب أنها مثلن خيانة للصداقة الطويلة القائمة مع الامبراطورية العثمانية، مقابل اعتبار الامر من قبل بريطانيا نوع من التقرب الى روسيا القيصرية، في الوقت الذي عملت المانيا على مدى خمسين عاماً على كسب صداقة الامبراطورية العثمانية، فقدمت لها القروض ومولت خط السكك الحديدية، وتدريب الجنود العثمانيين، وتزويد الجيش التركي بالمعدات العسكرية الالمانية، كما تعاونت مع الاسطول التركي عن طريق السفن الالمانية، وضمنت لها في الاخير المساعدة ضد أي اعتداء من جانب روسيا(١٨). وهو تنافس في أوسع مظاهره؛ لكن يبدو أن بريطانيا لم تكترث لذلك بسبب جهودها التي ادت الى نمو وتغلغل نفوذها التجاري الاحتكاري في المنطقة الذي رافقه العمل الدبلوماسي الذي أثبت في أحيان كثيرة قوته

وسيطرته(١٩)سيما أن بريطانيا في ضوء تنافسها مع الالمان في الامبراطورية العثمانية عملت على تركيز وزيادة نفوذها في العراق وتحت سيطرتها المباشرة(٢٠).

وبالرجوع الى بدء العمليات العسكرية البريطانية في العراق، نجد أن اللواء(١٦) من الفرقة السادسة، تحرك من الهند الى الخليج العربي وكان احد أفواج اللواء وهو فوج(دورس) الثاني يتكون من قطعات بريطانية نظامية التي ادركت مسبقاً ما كان يدور في ذهن قياداتها السياسية، أما القطعات الهندية فقد كانت من جانبها متحمسة لتنفيذ الحملة لإيمانها بالقيادة البريطانية، فيما كانت بقية الفرقة السادسة تحت قيادة الجنرال (آرثر باريت) الذي كان يحظى باحترام واضح وبحسب الخطة الموضوعة أبلغت بانضمامها الى اللواء(١٦),اضفى المجير جنرال(اللواء)(ديلامين) الاحترام والهيبة للقوة المتحركة (٢١).

بعد وصول الحملة البريطانية الى البحرين لتنفيذ واجباتها، انتظرت إعلان الدولة العثمانية الحرب ما افصح عن مدى استعداد القوة البريطانية للبدء في عملياتها العسكرية بحسب وصف السير برسي كوكس الذي كان مرافقاً سياسياً للقوات البريطانية(٢٢).وقد رافق ذلك وجود البعض من السفن البريطانية المتواجدة في شط العرب, التي انذرها القائد العثماني في البصرة في الثالث عشر من تشرين الاول بمغادرة مياه شط العرب بمدة لا تتجاوز(ثمانية أيام)، وقد انصاعت السفن البريطانية لذلك، فتم خروج السفن كافة باستثناء الباخرة البريطانية(**Espeegle**) التي بقيت في نهر الكارون كحماية لشركة النفط الايرانية – البريطانية، والمصالح البريطانية في الاحواز(٢٣).

ويبدو ان الالمان كانوا اكثر تحمساً لدخول الدولة الثمانية ضد بريطانيا، إلا أنهم اصبحوا غير متأكدين وبنحو كبير دخولها الحرب مما اضفى عليهم صفة الناكرين للجميل وعدم تجاوبهم مع التوجهات الالمانية في صراعها مع البريطانيين في المنطقة، بمعنى متناسين ما قدمته المانيا لهم من خدمات ومساعدات في جميع المجالات، وأن الاسلام غير المتعاطف سوف لا يقوم بجهاده ضد البريطانيين(الكفار) وعليه قررت المانيا اصدار الاوامر الى السفينتين الحربيتين(غوين) و(برسلاو) التي كانتا ترسوان في بحر مرمرة بالتوجه الى البحر الاسود لقصف المنشآت الواقعة على الشاطئ الروسي، الامر الذي اضطر بريطانيا حليفة روسيا الى اعلان الحرب على الدولة العثمانية حليفة الالمان في الخامس من تشرين الثاني عام١٩١٤(٢٤) وعلى الفور اقلعت باقي الفرقة السادسة بقيادة الفريق الاول(آرثر باريت) من بومبي وانضم الاخير الى اللواء السادس عشر الذي نزل الى البر في جزيرة البحرين، فأصبحت قوة الحملة العراقية فرقة كاملة او نحو خمسة عشر الف مقاتل(٢٥).

وفي الوقت الذي كان فيه افراد اللواء السادس عشر يتضررون آسى على ظهر سفنهم،القى السير برسي كوكس فيهم خطبة أبلغهم فيها تاريخهم الآن، وقد اعلنت الحرب بين بريطانيا والدولة العثمانية، اصبح واجبهم حماية المصالح النفطية البريطانية قرب شط العرب، وإلا فأن الاسطول الملكي سوف يضطر الى الاعتماد على نفطه من امريكا، وبعد ان علموا بأهمية حملتهم، في ضوء التنبيه بالاعتماد على النفط الامريكي في أي شيء ابحر رجال ديلامين من البحر وعبروا صباح اليوم التالي حاجز شط العرب ودخلوا اعالي النهر(٢٦)، وفوراً شاهد المقاتلين (قلعة الفاو) وهي تتعرض للقصف من قبل الباخرة (آودن) وشاهدوا ايضاً علماً عثمانياً يخفق أمام مبنى الكمارك، وتوقعوا أنهم سيخضون قتالاً من أجل الاستيلاء أو الوصول الى موطئ قدم لهم على هذه الارض(ذات اللون البني)، إلا انهم فوجئوا وهم ينزلون على تلك الاراضي (الشاطئ) عبر بساتين النخيل، لم يتعرضوا أو يجابهوا أية مقاومة بل وجدوا (قلعة الفاو) مهجورة(٢٧).

واشار طونزند أن الفريق(باريت) ومقر الفرقة السادسة وصل الى الفاو في الرابع عشر من تشرين الثاني عام ١٩١٤ التي تقع عند مصب شط العرب، وكل ما فيها من مباني كانت بمثابة منارة للمراكب وحصنها وقد استولت عليها سرية مشاة نزلت الى البر بقوارب، بعد أن تم اطلاق قليل من النار، ثم اتحدت الفرقة عند مصب شط العرب. وهو اسم يطلق على النهر العظيم المؤلف من اتحاد نهري دجلة والفرات، واضاف أن الفرقة كان بأماكنها الوصول

الى البصرة، سيما أن الاخيرة كانت هدف هذه التحركات منذ البداية، ألا أن النقلية لقوة(باريت) حالت من دون ذلك، مما دفع الاخير الى العدول عن التقدم(٢٨)، وفي حسابات طوزند، أن بروز هذا المظهر في عدم تقدم قوة(باريت). ارتبط بحسب وصفه بالتقاليد التي يقوم بها الجيش البريطاني في حملاته العسكرية التي تم وصولها الى الدول الاجنبية، إذ لايتم على الاطلاق التقدم خطوة واحدة عن المراكب الراسية على الشاطئ،والتاريخ العسكري البريطاني منذ نشأته كان تاريخ حملات عسكرية، وكانت تضع في حملاتها في السفن قوة عسكرية صغيرة وتقوم بإنزالها الى البر سواء على جزيرة من الجزر أو شاطئ من الشواطئ، بلا نقلية تمكنها من التوغل في البر أما أن تتخذ موقفاً لشأن له على حافة البحر حتى إذا وصل جيش العدو اليها فيرغمها على ركوب السفن مرة أخرى وأما ان تهاجم بلدة او ميناء أو تستولي على حصن أو يقوم العدو بإجبارها على الخروج من الموقع الذي اتخذته وهو ما حدث لقوة(باريت) التي لم يتيسر لها شيء من ذلك على الاطلاق وافصح عن مدى الاخطاء التي ارتكبتها في الحملة العراقية وبنحو متكرر مقارنة بالحملات الحربية السابقة(٢٩).

ونتيجة لانقطاع الاتصال البرقي مع البصرة، لم تعلم القيادة العثمانية باحتلال الفاو، واخبار ذلك جاءت بواسطة الموظفين الهاربين من مدينة الفاو، التي بدأ عن طريقها الاحتلال البريطاني للعراق، حيث نلاحظ أن القوات البريطانية بدأت تتوافد على العراق بنحو سريع ولم تكتف من حيث العدة والعدد وهذا يعني هناك توجه جديد للسياسة البريطانية في هذه الحملة لا تتضمن الحفاظ على مصالحها ونفوذها في العراق والمنطقة بل وضع العراق تحت الاحتلال البريطاني بالكامل لغرض الحفاظ على التفوق البريطاني في المنطقة، والعراق هو المدخل الرئيسي لذلك(٣٠) في الوقت الذي توضح لنا ان خطط بريطانيا في بدايتها لم تفكر في ذلك، كونها اقتصرت على حماية آبار النفط وخطوطها.

وبين تلك التوجهات وتلك نجد أن كلاهما شكلا من الاهمية عندما أعلنت بريطانيا الحرب ضد الدولة العثمانية، وفي الوقت نفسه احتلال العراق، وهو ما فعلته بريطانيا في الحرب العالمية الاولى (٣١).عندما بدأت حملتها في العراق. وعودة الى احتلال الفاو، نجد أن قوة الفريق(باريت) اثناء تقدمها العسكري عثرت على القوة العثمانية في مكان يدعى(الساحل) على ضفة شط العرب اليمنى وكانت مؤلفة من الفرقة الثانية والثلاثون التي كان مقرها في البصرة، وهي من الناحية العسكرية ضعيفة على مستوى مقاتليها، ومعظم جنودها كانوا من العراقيين الذين يخضعون لتدريبات وتوجيهات ضباط عثمانيين، واضيفت اليها وحدات تركية أرسلت قبل مدة كعقوبة لها، فضلاً عن البعض من وحدات الخيالة ومدفعية الميدان (الصحراء) وكان مجموعها نحو(خمسة الاف) جندي بقيادة القائد صبحي بيك والي ولاية البصرة(٣٢).

وعملاً بالأوامر استمرت قوة(باريت) بتقدمها بعد احتلال الفاو، فتحركت قوة تكونت من لواءي المشاة السادس عشر والثامن عشر، حيث قاما بهجوم على احد خطوط تحصينات الجيش العثماني التي كانت تتواجد على البر وفي غابة على ضفة النهر، وكان لقوة لهجوم ما دفع القوات العثمانية الى التراجع والانسحاب الى الخلف والانسحاب الى البصرة والتي تتبعها القوات البريطانية من دون أية مقاومة اثناء طريق سيرها، ولم يخفي طونزند الاشارة الى نقص المعدات والوسائل الميدانية لهذه القوة والمشقات والمخاطر البيئية التي واجهتها، ومنها غرق البعض من الجنود وموتهم، فضلاً عن نقص اعتدة المدافع مما ادى الى استعمالها بنحو قليل، أي تقليل دورها القتالي ومحدوديته،أن لم نقل مقتصراً على بعض الاطلاقات التي يقتضيها الوضع بنحو عام. لكن الذي ساعدنا أن القوة لم تلقى أي مقاومة اثناء نزولها وتقدمها، فتم دخول البصرة في ٢٢ تشرين الثاني عام ١٩١٤، ثم اعقبتها احتلال القرنة في التاسع من كانون الاول من السنة نفسها، التي تقع عند مفترق نهري دجلة والفرات وعلى مسافة خمسة وثلاثين ميلاً الى شمال البصرة (٣٣).

أفرزت مظاهر المعركة نوعاً من الرعب أن لم نقل الرعب بعينهْ، سيما عند الذين لم يسبق لهم مشاهدة الموت مطلقاً،

فقد ارتاعوا لمشاهدة القتل والموت، فقد كتب أحد الجرحى في مذكراته وهو السيد(د. رز هولزماير) « نزلنا الى البر– الله يعلم لماذا عشرات الرجال غرقوا أمام عيني، حينما كنا نتدافع من الزورق الى الشاطئ، وعند وصولنا الى الشاطئ، فوجئنا بأطلاق النار وبقوة، فتساقط الرجال في كل الاماكن... كان بعضهم ايديهم موثقة حول بطونهم، اغلبهم من الهنود النمور كالبنجاب وكانت ترتسم على وجوههم الحيرة والخوف، ولشدو ذلك اليوم أصبح وكأنه (دهر) كنا نسير ورؤوسنا الى الاسفل باتجاه وابل من الرصاص... لا نستطيع الرؤيا... ربما لأنني اغمضت عيني... المدافع الرشاشة ... الأموات يتكدسون أكواما... حتى أخذنا نتعثر فوقهم...شعرت بأني جبان... أردت ايقاف احد الطلقات المتسارعة لكي أمسك بها .... لأنتهي من هذه المحنة... اعتراني دوار غريب، ثم اغمي علي وسقطت»(٣٤). ويضيف برادون كلهم كانوا معرضون للجنون.... اينما ذهبت تجد الجميع في ألم، فالموت كان يلاحق الجميع. فمثلاً كان هناك ضابط برتبة نقيب يعاني من سكرات الموت...وبينما كان يثبت زجاجة نظارته الاحادية في عينه سقطت الزجاجة ومات(٣٥).وكانت محصلة احتلال القرنة الاستيلاء على(٩) مدافع واسر نحو (١,٢٠٠) اسير، وكانت المقاومة العثمانية ضعيفة جداً، وبنحو يدعوا الى الازدراء ووصل الامر ان حكومة الهند تنفست الصعداء وأخذت تتساءل أن بالإمكان الاندفاع والتقدم بسرعة وصولاً الى بغداد، إلا أن البعض ألمح وبصيغة النصح بعدمْ القيام بالتقدم، أو ما يمثله إلا بحدود القرنة– البصرة لأهميتها البحرية، فاقتنعت الحكومة بما حققته، وأن كان ذلك مؤقتاً(٣٦).وحسب راي الباحث، أن وصف وضع المقاتلين العثمانيين كان فيه شيء من المبالغة والتهويل، وإلا ما معنى الذي كتبه احد الجنود في مذكراته وما كتبه رسل كمدون لتلك الأحداث وتطوراتها، الأمر الذي أكده الجنرال باريت قائد القوة، عندما أشار لرجال جيشه» سوف لا يكون هناك مزيد من القتال مالم يتعرضوا لهجوم» وكان هذا النوع من التعامل النفسي لتطمينهم، وجعل واجباتهم حراسة الحاميات لغرض اسكاتهم، وقد أدرك بأنهم أخذوا لا يستسيغون المنطقة وقتالها(٣٧).

٢– معركة الشعيبة واحتلالها ١٤ نيسان ١٩١٥

استمر تقدم القائد(فراي) أمر اللواء الثامن عشر الذي كان يعمل بأمرة (باريت) بعد معركة الفاو والقرنة وبعد قتال بسيط في منطقة(المزيرعة) التي تقع على ضفاف نهر دجلة اليسرى مقابل القرنة، تراجعت القوة العثمانية، ووقع البعض الآخر في الاسر، وفي نهاية شهر كانون الاول من السنة نفسها وصل الى(عران) او قناة (عران)، حيث قابله فوجان عثمانيان تحصنا هناك اما العرب القاطنون في البطائح فقد شكلوا مقاومة مستمرة لجنود القائد(فراي) وذلك بأطلاق النار عليهم واستكمالاً للجهد العسكري لفرقة(باريت) وصل اثناء ذلك اللواء السابع عشر من الهند، ودخل القرنة، وبذلك اكتملت قوة(باريت)، مما عزز موقفها وسيطرتها على المنطقة مما دفع الدولة العثمانية الى عزل والي بغداد(جاويد باشا) وقائد القوات العثمانية بسبب هذا التهاون والضعف(٣٨). وتعين (سليمان العسكري) بدلاً عنه، الذي وصل بغداد في نهاية شهر كانون الاول عام ١٩١٤، حيث منح منصب قائد الجيوش وقد أظهر عليه الجدية والتحمس لإعادة البصرة والمدن الاخرى الى أملاك الدولة العثمانية، أي عودة الأمور الى وضعها الطبيعي، وكان أولى توجهاته بث روح الجهاد بين القبائل العربية، فالتحقت اعداد كبيرة من المجاهدين وبضمنها عشائر عربية وكردية وغيرها، فضلاً عن البعض من رجال الاعمال والتجار، وقد ضم الى جانب قواته لواء الموصل الذي يرتبط بالفرقة(٣٧) العثمانية لتعزيز قواته ولإثبات وجود الجيش العثماني وامكانيته في الدفاع عن املاكه واراضيه أمام الجيش البريطاني(٣٩). وهي في محصلتها التهيئة والحفاظ على الوجود العثماني قبل كل شيء، بصرف النظر عما اشار اليه القائد العثماني الجديد في مقاومة البريطانيين. وإعادة المدن التي سيطروا عليها. قام قائد اللواء الجديد السابع عشر المدعو(دوي) وهو برتبة(لواء) في الاول من كانون الثاني ١٩١٥ بهجمة استكشاف في جبهات (صخريجة) ورجع الى القرنة وظن العثمانيين أن هذا تراجع من قبل البريطانيين، وقاموا بإرسال رسائل الى قياداتهم العليا قالوا فيها أنهم ردوا البريطانيين مما منح القيادة العثمانية الحماس والاندفاع وبدأت قطعات كثيرة

تتوافد الى ميدان القتال(٤٠).

عاد البريطانيون مرة أخرى لعملية الاستكشاف في العشرين من كانون الثاني عام ١٩١٥ وهذه المرة من (المزيرعه) لاستطلاع مواقع العدو وقوته فحدث معركة خسر فيها العثمانيون زهاء(٤٥٠) جندي وبضمنها جرح قائدهم سليمان العسكري، ومرة أخرى توقع العثمانيون أن رجوع القوات البريطانية الى الخلف بأنه انتصار لهم متناسين أن محور الخطة الاستطلاعية البريطانية تقتضي التراجع، والتي عدّها العثمانيين انتصار، فتم اقامت حصناً قوياً من جانبهم في(عران) قابلهم انشاء حصن مماثل من قبل البريطانيين ايضاً في(مزيرعه) على ضفة نهر دجلة اليسرى، وفي الوقت نفسه قامت القوات العثمانية بحشد قواتها في الناصرية استعداداً للزحف الى البصرة عن طريق الصحراء حيث اعتمدت خطة القائد العثماني على ما يأتي: (٤١).

١- تشكيل قوة صغيرة في نواحي عران، تكون معظم قواتها من رجال القبائل العربية .

٢- اسناد قيادة هذه القوة الى محمد فاضل الداغستاني احد المجاهدين المعروفين لدى القبائل العربية، وعرف عن ولائه الشديد للدولة العثمانية.

٣- تكون حركة القوة من العمارة الى نهر الكارون ليكون مصدر تهديد للقوات البريطانية ومشاغلته في شط العرب، الامر الذي نجح به العثمانيين عندما احدثت المواجهة لهم مع البريطانيين في شهر شباط ١٩١٥، حيث استطاع العثمانيين من الانتصار على القوات البريطانية الذي اعقبه عمليات التحصن لكلا القوتين طيلة شهر آذار وبداية شهر نيسان عام ١٩١٥، لبدء سلسلة جديدة من المعارك بين الطرفين، حيث اتخذ البريطانيين خطة الدفاع تبعاً لذلك.

لم يستثمر العثمانيون الانتصار آنف الذكر الذي حققوه في شهر شباط ١٩١٥ على البريطانيين إذ مالوا الى التحصن، وقد يكون ذلك من باب ادامة هذا الانتصار أو تحسباً لهجوم كبير قد يقوم به البريطانيون، في الوقت الذي كانت قوة سليمان العسكري تتجمع في الناصرية لمهاجمة البصرة من الجهة الشمالية الغربية بطريق الصحراء قابله في ذلك قيام القوات البريطانية بتعزيز دفاعاتها وتنظيم قواتها، كلاً حسب الخطة التي وضعت لهما(٤٢).وفي هذه الاثناء وصل الفريق « السير جون لكس» وهو من ضباط الجيش الهندي لتسلم قيادة الحملة العراقية بأكملها نظراً لاعتلال صحة القائد(آرثر باريت) حيث غادر البصرة، وتم خلافته من قبل القائد(طونزند)(٤٣).

بدأت معركة الشعيبة عندما هجم سليمان العسكري على المعسكر البريطاني المحصن في ١٤ نيسان ١٩١٥ بقوة مؤلفة من نحو عشرين الف من المقاتلين من العرب والكورد معظمهم جنود غير نظامين ودرك ومعهم من خمسة عشر الى عشرين مدفعاً، وقد اشتركت في هذه المعركة العشائر العراقية نتيجة للضغوط الدينية التي اصدرها رجال الدين في النجف بوجوب الجهاد ضد العدو(الكافر المحتل)، ومن بين الشخصيات التي أسهمت في فتاوى الجهاد السيد هبة الدين الشهرستاني(٤٤) الذي قال في جهاد البريطانيين» قمنا معاشر خدام العلم والدين بهذه الخدمة وأدينا فريضة الذمة تلك الفريضة الالهية العظمى، قمنت بإدائها طاعة لأمر الله ورغبة في ثواب الله، وحماية لدين الله لأمثال هذه الغايات المقدسة قُمنا وبذلنا غاية الجد والاجتهاد اقمنا في وجه نصارى (البريطانيين) ندافعهم عن استيلاء العرق بالسيف والدم المراق، بلا طمع من ملك ولا خوف من امير ولا ابتغاء شهوة أو شهرة، إلا ابتغاء مرضاة الله، وهو توثيق لذلك التاريخ العريق في الدفاع عن الارض والدين والكرامة(٤٥)، كما كتب في أسباب التي كان لها الدور دون تحقيق النصر على المحتلين تحت عنوان» اسرار الخيبة من فتح الشعيبة» ناقش فيها عوامل واسباب الاندحار في معركة الشعيبة ووفق ما يأتي(٤٦):

١- سلوك قادة الجيش العثماني الذي اتسم بالسطوة والعجرفة الى أدت الى عدم تعاون السكان مع العثمانيين.

٢- عدم توظيف القادة العثمانيين زخم المناوشات والعمليات العسكرية التي قام بها المجاهدون ضد معسكر البريطانيين، حيث أن الاستعانة بهذا الاسلوب وقت الحروب والشدائد من أهم العوامل في رفع الهمم وحماسة المقاتلين معنوياً.

٣- سوء الخطط العسكرية العثمانية واختلال التنسيق بين مراكز وتجمعات المقاتلين، فضلاً عن ضعف التكتيك السوقي للقوات العثمانية في البلاد، والذي رافقه النقص الكبير في التعبئة عدة وعدداً، مما ادى الى التخبط والفوضى عند تحرك القوات العثمانية والمجاهدين التي استغلها البريطانيون بدقة العارف والمتدبر.

٤- ضعف الجانب التمويني والاعاشة في الجيش العثماني، والأكثر منذ لك اصرار القيادة العثمانية على توزيع ارزاق المجاهدين، فضلاً عن شحتها وتأخرها الذي تسبب في تذمر المجاهدين وانسحاب البعض منهم، كما اسهم في ذلك تعرض مستودعات التموين الى النهب والسرقة، فضلاً عن ذلك الحسابات العسكرية الخاطئة لهيئة اركان القوات العثمانية في ضوء المعلومات غير الدقيقة للأجهزة الاستطلاعية والاستخبارية، مما اثر في تحديد نقاط ضعف العدو بنحو كبير، فيما كان الامر عكس ذلك لدى البريطانيين، التي رافقها العدة والعدد، امور رجحت كفة العدو على العثمانيين والمجاهدين في لحظة الحسم(٤٧).

واختتم الاسباب بانتحار القائد العام للجيش العثماني في العراق سليمان العسكري بك(٤٨)، وما تركه من أثر وصدى مروع في صفوف المقاتلين النظامين والمجاهدين مستهجناً فعل القائد العثماني، فالحرب كر وفر مشدداً على اهمية ضبط النفس لمن هو في موقع قيادي ومواجهة الخطوب بعزم(٤٩).

مقابل ذلك كان للانتصارات البريطانية في البصرة والمدن الأخرى من دون مقاومة وأخرها (معركة الشعيبة) من شدة التأثير على العناصر المؤيدة للعثمانيين، ومنهم الضباط العراقيين الذين كانوا يعملون في الجيش العثماني، إذ بدأ الكثير منهم التفكير بالتفاوض مع بريطانيا حول منح العراق استقلاله وتشكيل دولته المستقلة(٥٠)، وفي الوقت أن بعض المدن التي اشتركت في المعركة ومنها(النجف وكربلاء)، والتي كانت عرضه للاضطهاد والحكم العثماني استمرت بالتعاون مع العثمانيين، وتوضح ذلك ايضاً مع البعض من العشائر التي اتخذت الموقف نفسه، وبتأثير من البعض من الشيوخ في المنطقة ومنهم(الشيخ مبارك الصباح) شيخ الكويت وشيخ المحمرة اللذان كانا لهما انصار من العشائر الساكنة في جنوب العراق(٥١).

بلغ اعداد العشائر التي اسهمت بذلك نحو(٤٠٠) مسلح من مناطق العراق المختلفة و(٦٠٠) مسلح من عشائر المنتفك، في حين كانت علاقة بريطانيا بالعراقيين ضعيفة جداً، لرفضهم القاطع الخضوع للضباط البريطانيون في الخليج، ورغم محاولات المقيمية البريطانية في بغداد التأثير في ذلك فقد كانت في موقف أضعف من تنفيذ تلك المهمة للتأثير على السكان، وهو عكس التأييد للعثمانيين، الذي اتسم بالجدية والحرص، وتوافق ذلك مع موقف البعض من العشائر الصغيرة التي كانت تسكن غرب البصرة، والتي كانت تجهل معرفة البريطانيين، من حيث التأييد العثمانيينً الراجح أن الدولة العثمانية أجبرت هؤلاء على مناصرتها، فيما كانت هذه العشائر تتحين الفرص للسلب والنهب في حالة هزيمة العثمانيين(٥٢). وهو ما يعني تأثير العمل الديني التي راهنت عليه الدولة العثمانية كان من الضعف في زيادة حدة الجهاد ضد البريطانيين، سيما في منطقة الفرات الاوسط والبصرة ومدنها ونلاحظ ايضاً القيادات الدينية في النجف اتصلت برئيس الحكام السياسيين في الخليج العربي برسي كوكس بالرغبة في تأييد بريطانيا مقابل احترام العتبات المقدسة(٥٣).

تم احتلال الشعيبة في١٤ نيسان ١٩١٥، وكانت من جملة الحقائق التي افرزتها المعركة، أنها أتاحت لرجال الدين الشيعة الفرصة لأثبات وجودهم في الحياة السياسية في تلك المدة نتيجة موافقة الاهالي مقاومة البريطانيين واطاعتهم لهم، والراجح أن سلاح الدين في هذه المعركة، كان له التأثير، ومع ذلك فأن الكثير من العناصر رفضت تلك التوجهات والفتاوى، وكانوا الاقرب الى بريطانيا، فقدموا لهم الخدمات مقابل الحصول على البعض من المكاسب، وعلى ساحة المعركة، أن المعركة لم تثبت تفوق العثمانيين على بريطانيا، كونها افرزت أن العثمانيين افتقروا الى عنصر المباغتة، بينما كان الهجوم البريطاني منظماً ومنسقاً أدى الى انتصارهم والقضاء على قسم كبير من الجيش العثماني، والاكثر منذ لك انتحار القائد العثماني (سليمان العسكري)، مما أنعكس ذلك على تفتيت لمعنويات القيادة

العثمانية وزيادة الشكوك لدى السكان على قدرة العثمانيين على مجابهة البريطانيين ومنعهم من احتلال العراق، وعليه تم وصف هذه المعركة بأنها كانت مأساة تاريخية للعثمانيين(٥٤).

٣- احتلال العمارة والناصرية والكوت عام ١٩١٥

واصلت القوات البريطانية تقدمها على ضفاف نهر دجلة بعد انتهاء مفركة الشعيبة واحتلالها بسرعة بسبب الانسحاب غير المنظم للقوات العثمانية نحو العمارة والناصرية، وعدم قدرتهم على المقاومة، فتم احتلال العمارة في الثاني من حزيران عام ١٩١٥، واحتلت قوة أخرى اتجهت من نهر الفرات الناصرية بعد معارك دامية في ٢٥ تموز من السنة نفسها، وهكذا تم للبريطانيين السيطرة على المثلث الواقع بين البصرة والعمارة والناصرية، واصبحت ولاية البصرة تحت الاحتلال البريطاني بالكامل(٥٥). فأنفتح الطريق أمامهم للتقدم الى الكوت ليلة ٣٠ ايلول – الأول من شهر تشرين الاول ١٩١٥ على اثر انسحاب القوات العثمانية فتم احتلالها.

الخاتمة:

بينت المعلومات الواردة في البحث أن الاحتلال البريطاني للعراق ارتبط بعدة عوامل كانت في مقدمتها الحفاظ على تجارتها الخارجية والحفاظ على مصالحها النفطية في الخليج العربي، فضلاً عن زيادة حدة التنافسات مع الدول الأخرى ذات المطامع الاقتصادية في العراق، وعدة المانيا الاولى في هذا الجانب،وعلى الرغم ما شهدته المنطقة من زيادة في حدة التنافس بين بريطانيا والمانيا على الامبراطورية العثمانية، أصبح من السعة والشمول بين الدولتين، فأن بريطانيا استطاعت أن تركز نفوذها في العراق بعلم وموافقة الدولة العثمانية وبرز ذلك في تقليص النفوذ الالماني في مد سكة حديد بغداد، التي كانت من نتائجه زيادة نفوذ بريطانيا داخل العراق، أملةً ما ستكون عليه المنطقة من اهمية في المستقبل، كما توضح ذلك عندما بدأت بريطانيا بإقامة المشاريع الزراعية الاروائية وتطوير الانتاج الزراعي. ولم يكن ذلك ايضاً بمعزل عن المصالح البريطانية في المنطقة، ومنها الانشطة التجارية التي انفردت بها بريطانيا لزيادة نفوذها في المنطقة، فضلاً عن عملها الدبلوماسي الذي كان له من القوة والتأثير الشيء الكثير، إلا أن الرأي الراجح في كل ذلك انصب العمل على وضع العراق تحت السيطرة البريطانية المباشرة.

تأكيداً لهذه الاهمية بدأت الجهات العسكرية البريطانية بوضع الخطط العسكرية لاحتلال جنوب العراق قبل اندلا ع الحرب العالمية الاولى، إذ قامت حكومة الهند بتشكيل لجنة رباعية منذ عام ١٩١١، لتقوم بدراسة الاجراءات التي يجب أن تتخذ لحماية مصالحها في جنوب العراق وتم التوجيه من قبل هذه اللجنة في تقريرها الذي صدر في ١٢ تشرين ١٩١٢ باحتلال الفاو والبصرة.

شكلت مظاهر السياسة الالمانية في الدولة العثمانية واستمراريتها مخاوف وقلق شديد للسياسة البريطانية في المنطقة، ورافق ذلك كثرة الاحاديث في أورقة الحكومة البريطانية حول الضعف العثماني، الذي من الممكن مساعدة المانيا في زيادة تغلغلها في الدولة العثمانية، مما جعل البريطانيين يتحركون بسرعة والعمل على انتهاز الفرصة المناسبة لاقتطاع حصتهم من الدولة العثمانية، فيما أخذ الالمان التركيز على حماية الدولة العثمانية والمحافظة عليها.

ومما اسهم في ذلك، أن التجارة البريطانية اخذت تواجه منافسة من النشاط التجاري الالماني في تلك المدة الذي بدأ يزداد يوما بعد آخر، مما عدته بريطانيا مخاطر محتملة وتحدياً لمصالحها في العراق.وممكن القول أن المخاوف البريطانية من النفوذ الالماني شكل عاملاً استراتيجياً على بقية العوامل في السياسة البريطانية اتجاه العراق للحفاظ على النفوذ البريطاني في العراق.

كان لقيام الحرب العالمية الاولى التي اندلعت في أوائل آب ١٩١٤ بين دول الوفاق ودول الوسط.الخطوة التي كانت تنتظرها بريطانيا لتنفيذ خططها واهدافها في المنطقة، وبصورة أدق للبدء في احتلال العراق والسيطرة عليه.

المصادر والهوامش:

(١) ينظر: فاروق صالح العمر، حول سياسة بريطانيا في العراق ١٩١٤-١٩٢١، دراسة وثائقية، بغداد، منشورات مركز دراسات

الخليج، جامعة البصرة، مطبعة الارشاد، ١٩٧٧، ص٦-٧؛ جعفر عباس حميدي، تاريخ العراق المعاصر ١٩١٤-١٩٦٨، بغداد، دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر، ٢٠١٥، ص١٤-١٥..

(٢) Willcocks , The irrigation Mesopotamia, London , ١٩١١ , P.٢٣-٢٤.

(٣) كوتلوف، ثورة العشرين، ترجمة عبد الواحد كرم، بغداد، ١٩٦٦، ص١٠٢.

(٤) F.O ٣٧١/٢٤٨٦E-٣٤٩٨٢, Future of the Middle East, ١٩١٥.

(٥) F.O ٣٧١/٢٤٨٦E-١٦٦٨-٧, Memorandum by secretary of State for India « Negotiations with Grand Shareef » No٨, ١٩١٥,٦ F.O ٣٧١/٢٤٨٦-E/١٦٩٤٥٠, Memorandum to Lord Bertie , war office from E, G, No ٨٢٨, ١٠Nov, ١٩١٥.

(٦) فيليب ويلارد ايرلند، المصدر السابق، ص٣٢-٣٣.

(٧) حميد حمدان التميمي، المصدر السابق، ص٩٤.

(٨)فيليب ويلارد ايرلند، المصدر السابق، ص٩٤.

(٩)عبد الرزاق الحسني، تاريخ العراق السياسي الحديث، ج١، المصدر السابق، ص٦٤.

(١٠) جعفر عباس حميدي، تاريخ العراق المعاصر، المصدر السابق، ص١٦.

(١١) رسل برا دون، حصار الكوت في الحرب بين البريطانيين والعثمانيين في العراق ١٩١٤-١٩١٨، ترجمة: سليم طه التكريتي وعبد المجيد ياسين التكريتي، ج١، بغداد، دار احياء التراث العربي، ١٩٨٥، ص١٤.

(١٢) صالح محمد خضير، الدبلوماسيون البريطانيون في العراق ١٨٣١-١٩١٤، دراسة تاريخية، بغداد، الشؤون الثقافية، ٢٠٠٥، ص٤٧.

(١٣) غيرترو دبيل، فصول من تاريخ العراق القريب، كتاب يبحث في عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٤-١٩٢٠، ترجمة: جعفر الخياط، د.ت، ص١.

(١٤) للتفصيل عن قيام الحرب العالمية الاولى وعملياتها العسكرية ونتائجها ينظر: ليبررنوفين، تاريخ العالم في القرن العشرين ١٩٠٠-١٩٤٨، ترجمة نور الدين حاطوم، دمشق، مطبعة الجامعة السورية، ١٩٥٩.

(١٥) مذكرات الفريق طاوزن، قدم له وعلق عليه حامد أحمد الورد، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ط٢، ١٩٨٦، ص٩.

(١٦) المصدر نفسه، ص ص٦ و ٨.

(١٧)رسل برا دون، المصدر السابق، ص١٤-١٥.

(١٨) رسل برا دون، المصدر السابق، ص٣.

(١٩) كوتولف، ثورة العشرين، ترجمة عبد الواحد كرم، بغداد، ١٩٧١، ص١٠٢.

(٢٠) F.O ٣٧١/٢٤٨٦E/٣٤٨٩,٨٤٣٥٥ Memorandum to F.O. , April ١٩١٥.

(٢١)رسل برادون، المصدر السابق، ص١٦.

(٢٢) Ston Lloyed , ;.٩٦.P.١٩١٩, Candler E. The long Road Baghdad , London , ١٩٥٤ , Twin rivers , London ١٩٥.p.

(٢٣) Candler E., Op.Cit, p.٩.p ,١٩٥.

(٢٤) اصل النص(مضبطة الالمان) ينظر: رسل برادون، المصدر السابق، ص١٩؛ F.O ٣٧١/٢٤٨٨E/١٦٩٤٥٠, Memorandum to Lord Berite War office from, E.G.No ٨٢٨١٠ Mov.١٩٥٥,P.٢.

(٢٥) مذكرات الفريق طونزند، المصدر السابق، ص٥١.

(٢٦) رسل برادون، المصدر السابق، ص١٩-٢٠.

(٢٧)مذكرات طوزند، المصدر السابق، ص٥١.

(٢٨) المصدر نفسه، ص٥٢.

(٢٩) لا يخفي في هذا الجانب أن الجيش الذي ينزل الى البر من أسطوله لابد أن تنقصه الاسلحة الثقيلة، وتكون المدفعية دون الحاجة بالنسبة الى حجمه، وكذلك كانت احدى حملاتنا التي قامت بها القوات البريطانية قبل مائة وخمسون عاماً على(كويبك) التي افتقرت الى الثقيلة التي منعتها من التقدم على الرغم من، توافر معونات (زوارق)، ألا ان دورها اقتصر على انزال الجنود. للمزيد من المعلومات ينظر: مذكرات طوزند، المصدر السابق، ص٥٢-٥٣.

(٣٠) F.O.٣٧١/٢٤٨٨E.١٦٩٤٥٠, P .Op.Cit.٢.

(٣١)غيرترو دبيل، فصول من تاريخ العراق القريب، المصدر السابق، ص٢؛ رسل برا دون، المصدر السابق، ص١٣.

(٣٢) مذكرات طوزند، المصدر السابق، ص٥٤.

(٣٣) تعد مدينة القرنة من المواقع العسكرية المهمة في العراق، التي كانت تعتمد لفترة عليها الدولة العثمانية واستمرت على ذلك بحسب الاعراف العسكرية وارتبط ذلك بموقعها المحوري، نقلاً عن: مريم بغور، التواجد البريطاني في العراق ١٩١٤-١٩٣٢، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة محمد خضير، مكتبة العلوم السياسية والاجتماعية، الجزائر، ٢٠١٥، ص٢٤-٢٥؛ شكري محمود نديم، حرب العراق ١٩١٤-١٩١٨، بغداد، مطبعة العاني، ١٩٧٤، ص٦٥.

(٣٤) الحصار ومسيرة الاهوال، المصدر السابق، ص١٧؛ رسل برادون، المصدر السابق، ص٢٠.

(٣٥)رسل برادون، المصدر السابق، ص٢١.

(٣٦) A.J, Barker, The Neglected War ٢ ,Maj.F, Castaldinic Cassell ,١٩٦٧ .P.٦٤.

(٣٧) Op.Cit, P.٦٤

(٣٨) كامل سلمان الجبوري، حرب العراق» آفاق عربية» (مجلة)، العدد العاشر ن حزيران، بغداد، ١٩٧٣، ص٣٢،٥٥، ؛ عبد الحليم الرهيمي، تاريخ الحركة الاسلامية في العراق، بغداد، الدار العلمية،١٩٨٥، ص١٧٣-١٧٤.

(٣٩) كامل سلمان الجبوري، المصدر السابق، ص٣٥، ٥٥؛ عبد الحليم الرهيمي، المصدر السابق، ص١٧٣-١٧٤.

(٤٠) مذكرات طوزند، المصدر السابق، ص٥٨.

(٤١)المصدر نفسه، ص٥٨-٥٩.

(٤٢) المصدر نفسه، ص٥٩.

(٤٣) تم انشاء معسكراً محصناً غرب البصرة في طريق البصرة، وتعززت هذه القوة باللواء الثامن عشر الذي انسحب من القرنة، كما وصلن الفرقة الثانية عشر بقيادة الفريق(ملس) وابقاء اللواء السابع عشر في القرنة كقوة حماية. وسيق الواء الثاني عشر من الفرقة الثانية عشر الجديدة الى الاحواز بطريق نهر الكارون: ينظر: طونزند، المصدر نفسه، ص٥٩-٦٠.

(٤٤) هبة الدين الشهرستاني: ولد هبة الدين محمد علي الحسيني الشهرستاني في سامراء المقدسة عام ١٨٨٤، ودرس مبكرة العلوم العربية في كربلاء المقدسة والفقه وعلوم الحديث والمنطق في النجف الأشرف ووصل الى مرحلة الاجتهاد ولم يكمل العشرين من عمره، وقد شغف بحب العلم والمعرفة فدرس علم الفلك والرياضيات والفيزياء والكيمياء وكانت له صلات ومراسلات مع رواد النهضة العربية الحديثة وحركة الاصلاح الديني ومنهم محمد عبده ورشيد رضا ومن علماء الازهر الشريف الشيخ عبد العزيز جاويش وطنطاوي جوهري، كما مختلف الانشطة الاجتماعية والسياسية توفي عام ١٩٦٧. للتفصيل عن حياته ينظر: السيد هبة الدين الشهرستاني فيلسوف الاصلاح الديني والمفكر الوطني العراقي ١٨٨٤-١٩٦٧ الكتاب التذكاري الاول، الموسم١٣٢، الكوفة . اكاديمية الكوفة، هولندا، ص٢٠١٧.

(٤٥) المصدر نفسه، ص٤٣٥.

(٤٦) هبة الدين الشهرستاني، اسرار الخيبة من فتح الشعيبة (مخطوط)، بغداد، مكتبة الجواد،١٩١٥، ص ص ١٠، ١٣، ١٦، ٢٢.

(٤٧) المصدر نفسه، ص ص ١٠، ١٣، ١٦، ٢٢، ٢٥، ٢٦.

(٤٨) أنتحر في الثامن من كانون الثاني ١٩١٥ أثر هزيمته في معركة الشعيبة. للتفاصيل ينظر:
تحسين العسكري، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، بغداد، مطبعة العهد، ١٩٦٣، ص٥٧؛ (الانترنيت)، ثورة العشرين، الموقع
http: www. geocities.com

(٤٩) هبة الدين الشهرستاني، اسرار الخيبة من فتح الشعيبة، و(٥٤).

(٥٠)تحسين العسكري، المصدر السابق،ص٧٩، ٨٣.

(٥١) F.O ٣٧١/٢٤٨٦E ,١٦٩٤٥٠ ,Op.Cit ١٠ Nov.١٩١٥.

(٥٢) F.O ٣٧١/٢٤٧٧٠E ,١١٩١٧ Memorandum by» Lake» to Political secretly Indian Office ١٠ June ١٩١٦.

(٥٣)غيرترو دبيل، فصول من تاريخ العراق القريب، المصدر السابق، ص٢٨-٣٠

(٥٤) ينظر: ستار جبار الجابري، المصدر السابق، ص٢٢٥؛ حميد حمدان التميمي، المصدر السابق، ص٢٤٨.

(٥٥) عبد الرحمن البزاز، العراق من الاحتلال الى الاستقلال، بغداد، ١٩٦٧، ص٣٣؛ فهد عويد محمد، وعلي خيري مطرود، استراتيجية الدفاع البريطاني في حصار الكوت ٥ كانون الاول ١٩١٥-٢٩ نيسان ١٩١٦ بحث منشور « لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، ج١، العدد (٢٨)، المصدر السابق، ص٢٧٧-٢٨٨.



Website address

White Dome Magazine

Republic of Iraq

Baghdad / Bab Al-Muadham

Opposite the Ministry of Health

Department of Research and Studies

Communications

managing editor

07739183761

P.O. Box: 33001

International standard number

ISSN3005_5830

Deposit number

In the House of Books and Documents (1127)

For the year 2023

e-mail

Email

off reserch@sed.gov.iq

hus65in@gmail.com

فصلية تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية العدد(٩)
السنة الثالثة جمادى الأولى ١٤٤٦هـ تشرين الثاني ٢٠٢٥م

General supervision the professor
Alaa Abdul Hussein Al-Qassam
Director General of the
Research and Studies Department editor
a . Dr . Sami Hammoud Haj Jassim
managing editor
Hussein Ali Muhammad Hassan Al-Hassani
Editorial staff
Mr. Dr. Ali Attia Sharqi Al-Kaabi
Mr. Dr. Ali Abdul Kanno
Mother. Dr . Muslim Hussein Attia
Mother. Dr . Amer Dahi Salman
a. M . Dr. Arkan Rahim Jabr
a. M . Dr . Ahmed Abdel Khudair
a. M . Dr . Aqeel Abbas Al-Raikan
M . Dr . Aqeel Rahim Al-Saadi
M. Dr.. Nawzad Safarbakhsh
M. Dr . Tariq Odeh Mary
Editorial staff from outside Iraq
a . Dr . Maha, good for you Nasser
Lebanese University / Lebanon
a . Dr . Muhammad Khaqani
Isfahan University / Iran
a . Dr . Khawla Khamri
Mohamed Al Sharif University / Algeria
a . Dr . Nour al-Din Abu Lihia
Batna University / Faculty of Islamic Sciences / Algeria
Proofreading
a . M . Dr. Ali Abdel Wahab Abbas
Translation
Ali Kazem Chehayeb